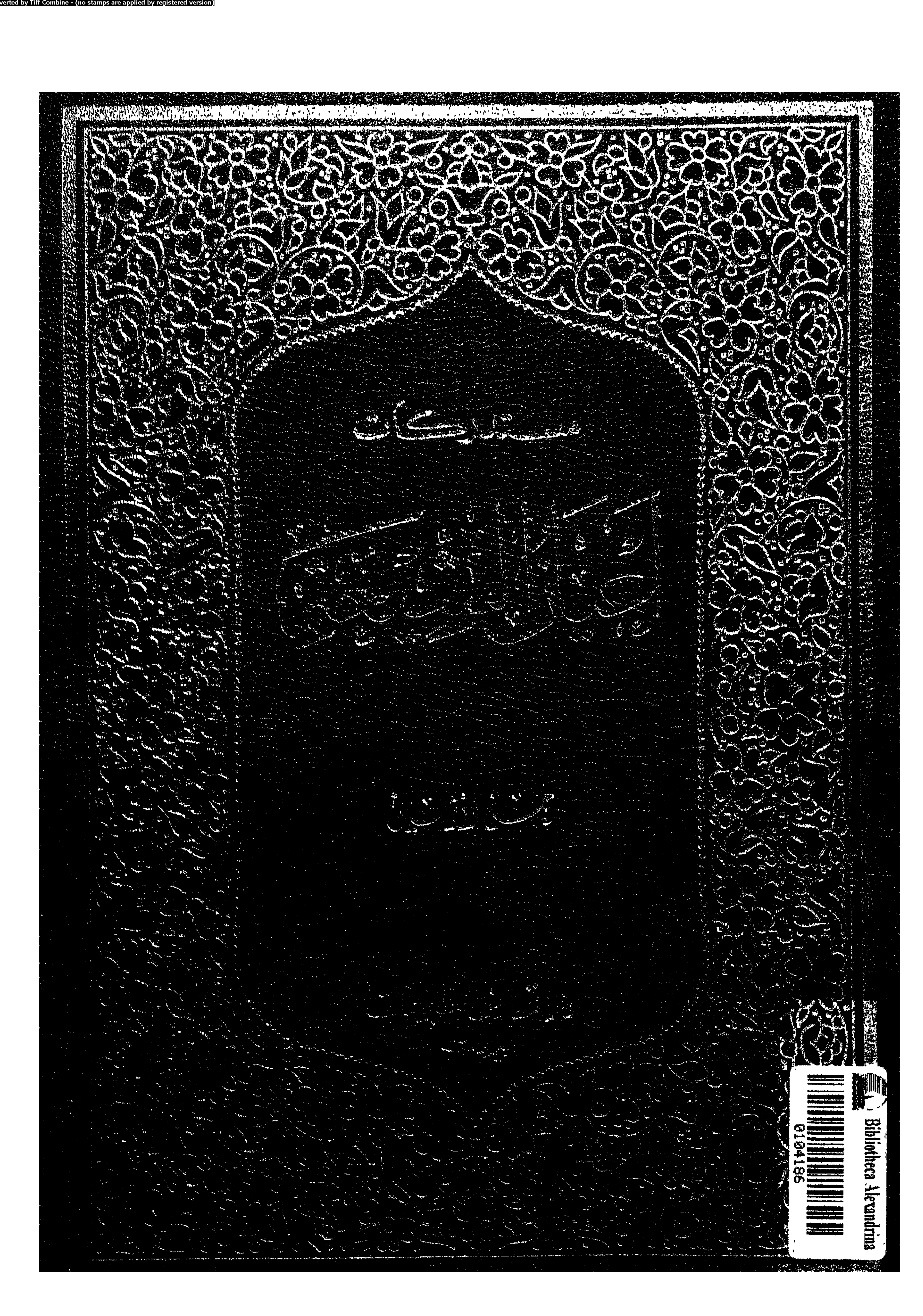

Bibliotheca Alexandrina
0104186

مستدركات
أعيان الشيعة

المجلد السابع

حسن الأمين

دار التعارف للمطبوعات

دار التعارف للمطبوعات

المكتب : شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض : حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٠١٠ - ٨٢٣٦٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

آتشي :

من شعراء القرن (٩ - ١٠) في ايران وقد كان خبازاً، معاصراً لشاعر هو الآخر خباز اسمه صبوحي، وقد كانا يتهاجيان هجاء مبتذلاً.

وتوجد نسخة من ديوانه في المكتبة المركزية بجامعة طهران تشتمل على ٢٥ قصيدة في مدح اهل البيت (عليهم السلام).

الامير آق ملك بن جمال الدين فيروز الكوهي السبزواري المتخلص باسم (شاهي) :

هو من اصحاب الغزل المعروفين في القرن التاسع الهجري. كان أجداده من امراء السربداريين ومن اتباع المذهب الشيعي، وخاله هو الخواجة علي المؤيد السربداري (٧٦٦ - ٧٨٨هـ)[1] الذي عرف بحبه للتشيع وسعيه لترويج مناقب الأئمة واقامة المراسم الشيعية، وكذلك اشتهر بترويجه للعلم والادب، وامضى السنوات السبع الاخيرة من عمره في ركاب الأمير تيمور مع الاحتفاظ بمنصب الامارة. وسبب اشتهار الشاعر بـ(الأمير) هو انتسابه الى هذه العائلة، ولعل تخلصه بـ(شاهي) يعود لنفس السبب، وقد ايد ذلك غياث الدين خواند مير وقال: «كان يتخلص بـ(شاهي) لرجوع نسبه الى سربداريي سبزوار واعتناقه المذهب الشيعي» واشار دولتشاه وخواند مير الى المنافسة بين بايسنقر بن شاهرخ الذي كان يتخلص باسم (شاهي) على اسم ابيه والامير شاهي حول هذا التخلص ثم يضيف دولتشاه بان بايسنقر ترك التخلص باسم (شاهي) لاشتهار الأمير شاهي بهذا الإسم اكثر منه بينما ذكر خواند مير حادثة دارت بين الطرفين بهذا الشأن. الى جانب ذلك هناك عدد من المؤرخين ومنهم القاضي نور الله ذكر ان تخلص الشاعر باسم (شاهي) انما كان بسبب ارادته لـ(شاه الولاية) علي بن أبي طالب (ع). ولست ادري اذا ما كانوا قد استندوا الى اساس في هذا الامر.

كان الامير شاهي قد امضى بداية حياته في هرات طالباً للعلم والادب، وملازماً للأمير بايسنقر ميرزا، واستطاع بمساعدة الاخير استعادة املاكه الموروثة في سبزوار، ثم وقع الخلاف بينهما فترك الشاعر خدمة التيموريين، وذهب الى سبزوار قانعاً بما تدره عليه املاكه فيها، وبقي في مدينة اجداده هذه اغلب حياته حتى سافر في اواخر عمره الى استرآباد ومكث فيها حتى فارق الحياة عام ٨٥٧هـ. فحملت جنازته الى سبزوار ودفن خارجها في الخانقاه الذي كان اجداده قد بنوه.

كان رجلاً فناناً وماهراً في الشعر والخط والرسم والموسيقى. وقد اعترف معاصروه والمؤرخون بفضائله هذه، ومنهم دولتشاه الذي مدح خصاله قائلاً: «كان رجلاً فناناً، ليس له نظير في عصره في انواع الفنون، واستاذاً في الكتابة، وبارعاً في الرسم، وماهراً في علم الموسيقى ويعزف على العود باجادة، واما في المعاشرة وحسن الاخلاق والمنادمة في مجالس الاكابر فكان متقدماً على اقرانه وانداده».

وامتدح النقاد المتقدمون اشعار الشاهي فوصفوها بالقوة ورقة المعاني ودقة المضامين وانتخاب الالفاظ والابيات، فعلى سبيل المثال قال دولتشاه: «اجمع الفضلاء على ان لطف ورقة وصفاء شعر حافظ مجتمعة كلها في شعر الامير شاهي، ونفس هذه الصفات جعلته يوجز ويختصر...»، ووصف جامي الاستاذ الكبير في القرن التاسع الهجري، شعره بالترتيب والسلاسة، حيث قال: «كانت اشعاره لطيفة ومرتبة وسلسة ذات عبارات واضحة ومعان قوية» وعلى نفس هذا النمط كان حديث الامير علي شير حيث وصف شعره بالسلاسة واللطف، وحسن الاختيار في غزلياته، وامتدح آثاره بقوله: «ان شعره غني عن التعريف في القوة واللطف والسلاسة، واذا كان مقلاً في غزله، فان هذا القليل كان مستحسناً ومختاراً لدى جميع الناس» والحقيقة ان هذه الاحكام التي صدرت بحق شعر الامير شاهي كانت كلها صحيحة ومناسبة، والمسلم به ان ديوانه كان مليئاً بالغزل المختار والالفاظ المنظمة والدقيقة جداً، ولكن معاني ومضامين غزلياته جاءت في بعض الاحيان تكراراً لما ورد في غزليات المتقدمين، وجميعها من نوع الغزل الوجداني المقترن بالمعاني الرفيعة التي وردت في بعض غزليات خواجو وجميع غزليات حافظ واحياناً في شعر اتباعهما.

طبع ديوانه عدة مرات في الهند وايران وهو يشتمل على ما يزيد قليلاً على الالف بيت، وكان البعض قد ذكر ان مجموع اشعاره في مختلف

(١) راجع الحديث عنه وعن السربداريين في المجلد الثاني من (المستدركات).

انواع الشعر بلغت ١٢٠٠٠ بيت[1].

الميرزا ابراهيم الملقب بـ(حيرت الكرمانشاهي) بن الميرزا حسين خان الملقب بـ(الشاهي):

من الشعراء الذواقين المقتدرين في اواخر القرن الثالث عشر الهجري. ولد في كرمانشاه عام ١٢٩٣هـ، وبرزت قابلياته في دراسة مقدمات الاداب. اشتغل مدة كاتباً لدى رضا قلي خان حاكم كلهر، ونظم خلال ذلك قصة مجنون ليلى، ولكن كان عمر هذا الشاعر الذواق قصيراً جداً، حيث توفي عام ١٢١٧هـ، اي لم يتجاوز عمره ٢٥ سنة.

ابراهيم فران بن حيدر.

ولد في النبطية (جبل عامل) سنة ١٩٢٠ م وتوفي سنة ١٩٨٣ في أبيدجان (افريقيا الغربية) ونقل جثمانه الى النبطية فدفن فيها.

كان شاعراً مجيداً نشأ في النبطية وبدأ دراسته فيها ثم تابعها في بيروت. وفي سنة ١٩٤٠ م عين معلّماً واستقر في مدرسة النبطية حتى سنة ١٩٥٢ م حيث هاجر الى (ابيدجان) في افريقيا الغربية لامتهان التجارة ولكنه لم يوفق في تجارته، فتركها إلى (الغابون) سنة ١٩٦٧ فلم يكن أكثر توفيقاً.

على أنه استطاع بثقافته وشخصيته أن يكون ذا أثر محمود في جمع شمل المهاجرين، وتوجيه الجالية هناك إلى أفضل السبل الاجتماعية.

له ديوان شعر بقي مخطوطاً، ورغم محاولتنا الحصول على شعره لم نوفق إلا إلى القليل منه مما يراه القارىء فيما يلي:

قال في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

سالك البيد طِرْ، فديتك واحمل
شوق قلبي لمن وراء البيدِ
وتحدّث عن مدنفٍ ليس تخبو
في حشاه نار المعنّى العميد
صبحه حالك الحواشي، كئيب
ودجاه في الهم والتسهيد
لم يهيّج كوامن الوجدِ فيه
سحر طرفٍ ولا التفاتة جيد
بل نفوسٌ في نصرة الحق طارت
وشهيدٌ ألوى وراء شهيد
هتف الحق بالجنود فكانوا
لحماه السامي أعزّ جنود
طلّقوا خسّة الحياة وباتوا
من ذرى المجد في قرانٍ سعيد
شهداء من هاشم شرع الله
لهم في السماء أسمى البنود
رفعوا من دمائهم فوق هام
الدهر تاج الفخار، تاج الخلود
اتخذ الناس من سناه مناراً
هادياً في دجى الليالي السود
هم نجاة الشقي من شرك
الغي وغوث الداعي ورشد الرشيد
كلما صنتُ حبهم في فؤادي
خانني خاطري فباح قصيدي!

* * *

سالكَ البيد طر فداك من
السوء عليلٌ يئنّ بين الضلوع
إن أتيت الغريّ قَعْ والثم
الأعتاب عني وارو حديث دموعي
وتقدم إلى المقام بعهد
من ولائي لأهله وخضوعي
أنا من هزّه الحنين لأرضٍ
يتعالى فيها ضريح الشفيع
مشرفٌ، دونه تطامنتِ
الأجيال ما بين سجّدٍ وركوع
تحت أقدامه تحطمت الأحداث
كالموج تحت حصن منيع
يتخطى القرون كالشمس في
عالي ضحاها، وفي بهاء السطوع
حوله من ملائك الملأ الأعلى
جموع تحوم فوق جموع
هو سحر الجمال في كل نفس
هو سرّ الجلال في كل روح
هل درى القلب فيه غير خضوعٍ
وعرا الطرف فيه غير خشوع
كم يثير النجوم في أفقها العالي
إلى قدسه أشدُّ نزوع
ساهرات الجفون أبعد عنهنّ
بعيد المزار طيب الهجوع

* * *

سالكَ البيد هل ترى تذكر
البيد عهود ازدهارها وعلاها
إذ أطلّت تتيه، زهواً،
على الدنيا بوجهي نبيها وفتاها
فأزالت غواشيَ الجهل عنها
بسنى وحيها ونور هداها
ويحها! ما دها مغانيها الزهر
وأشجى وهادها وذراها
لكأن السماء لم يأت منها
خبرٌ هزّ أرضها وسماها
وكأن الزمان لم يك يوماً
رهن آمالها وتبع هواها
لهف نفسي على الربوع
تغشّيها غيوم اكتئابها وشقاها

---
(١) ذبيح الله صفا.

كانت البرء للنفوس فصارت
وهج آهاتها وحرّ أساها
كانت النور في العيون ندياً
فهي، اليوم، بلغيبون قذاها
ينكر العزّ وجهها حقّه
الذلّ فيدمي فؤاده إذ يراها
ربّ أين الإمام يلقي
على البيد سناه فتستعيد بهاها؟
أين، يا ربّ، صرخة منه في
البيد يهزّ العصور رجعُ صداها؟!

* * *

يا إمام الدنيا لأنت حديث
لوّنته فواجع الأرزاء!
ذكرك المجدُ، صبحه في ائتلاق
وضحاه مخضّبٌ بالدماء
ذكرك الحق في الأنام صريعاً
حطمته عواصف الأهواء
ذكرك الدين ضائعاً بين أفاكٍ
ضعيف النهى وبين مرائي
ليت شعري ماذا ترى تبلغ
الدنيا إذا ناصبتك شر عداء
أنت فوق الأقدار، فوق صروف
الدهر، فوق الفناء، فوق البقاء!
نهجك الطهر لعلوم خضمّ
مترامي الأطراف رحب الفضاء
زاخرٌ جلّلت حواشيه
الزهراء روحُ الشريعة السمحاء
لجج الحق فيه والحكمة
الغرّاء ترى صخّابةَ الأصداء
في ثنايا هديره روعة يخطر
فيها جلالُ وحي السماء!
يا إمام الدنيا... وهل نلت منها
بعد طول العناء، غير العناء
كبرت أن تكون للخير رفداً
هي رفد الأشرار واللؤماء!

* * *

أيهذي الدنيا تنحّي، لكِ الويل،
فما فيك مأرب لعليّ
يرتع الظلم في ظلالك لا يشكو
جفا ناصرٍ وفقد صفيّ
أنتِ نَفْحُ النعيم للخامل الغمر
ولفحُ الجحيم للعبقريّ
أنتِ عون السفيه والجاهل
الباغي وحرب النبيه والألمعيّ

حيّر الفكر منك عفّةُ وجه
يزدهي سنه وطبع بغيّ
أيّ نفسٍ تجرّعت بين أبنائك
صاب الضنى كنفسِ الوصيّ
أي قلبٍ تناهبته الرزايا
كأبيّ في صدره أريحيّ
كيف يسلو وهو الغريب ومنْ
يصغي لسامي بيانه العلويّ
أينما مال لا يرى غير أشباه
رجالٍ تعسّفوا كل غيّ
لو أصاخوا إليه لم تعرفِ الأرض
عتوّ الباغي ودمع الشقيّ
ضيّعوه فضيّعوا عزّة العُرب
وسلطان دينها الحنفيّ
فكأن البيداء ما أنبتت يوماً
نبيّ الهدى وصِنْو النبيّ!!

* * *

لست مني يا قلب إن كنت تسلو
عن عليّ وذكره لست مني
وإذا لم تفض على الكون شعراً
عَلوياً يُروى ويؤثر عني
تتغنّى به الطيور فيهتزّ
لمعناه كل روضٍ أغنّ
ويدوّي صداه في كل قصرٍ
هاشميّ الهوى وفي كل ظعن
كيف لا يستبي فؤادي هواه
وهو إن تهت يهدني ويصني
حبه جنة منوّرة غناء
تزهو بكل لون ولحن
حبه للنفوس آية حسنٍ
تتباهى به على كل حسن
حبّه في الحياة رمز جهادٍ
حبّه ثورة على كل غبن
وانعتاق من عالم ليس يرضى
العيش فيه سوى الذليل القنّ
يا إمام الدنيا أتقبل مني
دمعة تقرح الجفون وتضني
بعثتها ذكراك خير رسولٍ
من فؤادي المضنى الكئيب لعيني
هي زلفى إلى رضاك ليومٍ
ليس فيه غير الرضى منك يُغني

وقال يرثي المؤرخ العاملي الأستاذ محمد جابر:

من ذا يؤرخ بعدك الأياما
ويميط عن وجه القرون لثاما
ويقود للحق المبين، فيهتدي،
طرفاً عن الحق المبين تعامى
ويُنير من تاريخ (عامل) حقبة
جالت يراعاً وانبرت صمصاما
سمراء غراء الجبين إذا انتمت
كان النجار العرب والاسلاما!
تركت فؤاد المجد نفاقاً
من الطرب المثير وثغره بسّاما
مرّت كأحلام الشباب وخلّفت
بعد الهناء الوجد والآلاما
فإذا الروابي الضاحكات تسربلت
بعد السنا، كآبة وظلاما
تجتازها الأحداث عاتيةً وقد
كانت على أقدامها تترامى
يا ويحها أذوى الشقاء بهاءها
وكسا محيّاها الجميل سقاما
يا ويحها عكس الزمان خطوطها
فغدت مغاني عزها أوهاما!
قفراء مضرمة الفؤاد من الجوى
تهمي مآقيها الدموع سجاما
قفراء حالكة الأديم كأنها
لم ترعَ للماضي السنيّ ذماما
أو لم تكن للفكر أقدس هيكلٍ
حضنت ذراه الوحي والالهاما
تشكو وما يصغي لبثّ شكاتها
إلا سوام تعبد الأصناما
أين الأباة الصيد تحمي غيلها
وتصدُّ عنه كل شرّ حاما
تدعو إلى رعي الحفاظ جماعة
عافوا الحفاظ وأنكروا الأرحاما
ألِفوا الهوان كأنما لم يأثِروا
عن يعرب الأباء والأعماما

* * *

يا واضع التاريخ قم حدّث فكم
أطفأت في عذب الحديث أواما
من دكّ حصن الظلم من أساسه
وأطار باغية القيود رماما
وأعاد للجبل الأشم بهاءه
وأعزّ فوق هضابه الاعلاما
هل عمّه من قبل (عاليه) السنا
وأنار منه القلب والأحلاما

إذا عانقتكم مشفقات سجونها
رغم الظلام كواكباً تتسامى
لو لم يقيدها الجمود لأسرعت
وحنت أمام جلالكم أعظاما
لمَ لا تتيه تسلم على الدنيا وقد
حوت الحفاظ المرّ والإقداما
الله للأحرار! كم جرعوا على
مضضٍ من الألم المبرح جاما
الله للأحرار! ماذا أجرموا
حتى استحقوا الأسر والاعداما
ألأنهم عافوا الحياة ذليلة
تحني أمام الظالمين الهاما
وأبوا عليها أن تكون على المدى
ذنباً يمزّق نابه الأنعاما!
الله للأحرار! لم يُثلمْ لهم
عزم وإن أتت الخطوب جساما
عادت به الآمال وهي نضيرة
وعليه بنيان العروبة قاما
قم للحديث أبا الفؤاد مُردّداً
وانثر بثاقب نوره الأفهاما
فحديث (عاليه) المضمخ بالإبا
زان الخلود وتوّج الأياما
ما زال للحر الأبيّ حياته
والموت للنذل الخؤون زواما

* * *

يا واضع التاريخ حال أديمه
بعد الصفاء، من الفراق، وغاما
ما زال ينعم في ظلالك آمناً
حتى رمته الحادثات فهاما
ذبلت أمانيه العذاب وأصبحت
بعد النضارة والبهاء ركاما
قد كان ألقى في يديك زمامه
واليوم يلقي للوفاء زماما
هذي الرسائل والطروس تركتها
حسرى مسهدة الجفون يتامى
كم جلسة لك بينهن هنيئة
لا تشتكي سأماً ولا إبراما
خاطبتهن خلالها قبس النهى
وعصارة القلب الطهور مداما
عذراً إذا كان العزاء لنفسها
والأنس والصبر الجميل حراما
للهفي على تلك الأنامل لم تعد
خلف الصفائح تحمل الأقلاما

لهفي على الأدب المنوّر يكتسي
بعد الطلاقة حُلكة وجهاما
لهفي على الفكر الملطيف يغوله
عدم مع الأبد البهيم ترامى
بئس الحياة تكون وهماً خادعاً
وتكون خاتمة المطاف ظلاما
فيها يقاسي العقل مُرّ عذابه
العسف والتضليل والإبهاما

* * *

امدينة الآلام أي رزيّةٍ
نزلت فروّع وجهها الاعلاما
ألوى فأدمى منك قلباً عانياً
علمٌ، على عهد الوفاء أقاما
هل تذكرين له مواقف حُرّةً
كانت لمجدك حائطاً ودعاما
العلم والشرف الرفيع تلاقيا
فيها ودكّا البطل والأوهاما
كم هزّ رائعها حرائر أنفسٍ
طرباً وأحفظ غيرهن لئاما
هذي الرياض، أبا الفؤاد، كئيبة
حيرى من الخطب الأليم هيامى
لا تستسيغ من الطيور إذا شدت،
لوناً ولا تستعذب الانغاما
وإذا النسائم داعبت أفنانها
أشجى الدعاب الزهر والأكماما
كيف السلوّ وكل يومٍ صدرُها
يلقى من القدر الغشوم سهاما
هذا الربيع على طلاقة وجهه
أهدى إليها الشكل والآلاما

* * *

أأبا الفؤاد إليك نَفْثة مهجة
أذكى بها الحزن العميق ضراما
تجذت من الودّ الوثيق شريعة
ومن الرعاية للعهود ذماما
يروى بها شوق لوجهك كلما
شامت وجوهاً من بنيك وِساما
ورأت بقومك بعد بينك سيداً
فطناً رشيداً حازماً مقداما

وقال راثياً:

الدين بعدك مطرق متجهم
والشعر مكلوم الفؤاد متيم
والمنبر المحزون أقلقه الأسى
يبدي تباريح الهموم ويكتم
يا للمقادر! أين منها حقبة؟
مرت كأحلام الصبا تتبسم
كانت تدغدها السعادة والمنى
فيها ويحضها الرجاء ويرأم
واليوم روّعها القضاء بحكمه
وأزال بهجتها المصاب المؤلم
طافت عليها الحادثات تعلها
كأساً جرى في حانتيها العلقم
عُذراً إذا جزعت وحال رداؤها
فالبين يرهق والرزية تُقصم

* * *

أربوع (عبقر) ما دهاك؟ وما جرى؟
حتى طوى ناديك ليل أسحم
عرصاتك الفيحاء عاطلة الحلى
ورياضك الفيحاء لا تترنم
حسرى يداعبها النسيم فتنحني
وتئن من فرط الجوى تجمجم
في كل ناحية بأرضك مأتم
فلذ يرفّ عليه روح الملهم
تبكي بنات الشعر فيه عزيزها
حيناً، ويغلبها الذهول فتلطم
تبكي اليفاً ما تحوّل قلبه
عنها، ولا عن ذكرها غفل الفم
من للقوافي الشاردات يصيدها
ويصوغ منها الخالدات وينظم
غرّاء تسبي النفس منها طلعة
أزهى من الأمل البهي وأنعمُ
مختالة الأعطاف ساحرة الرؤى
عن روعة الوحي السنيّ تترجم
من لفحة البيداء سمرتها ومن
ترف الحضارة جيدها والمعصم
تهتز في خفقات عينيها إذا
هي أتلعت، متع الهوى وتحوّم
تشقى النفوس فلا يريم شقاؤها
حتى تطالعها الغداة فتنعم
يُصغي لها الفجر الندي فينتشي
ويهزّ روح الليل حسٌّ مبهم
إن أرعدت راع الأسود زئيرها
وإذا استرقّت خلت ظبياً يبغم
خطرت على ربوات — عامل — فازدهى
وترنّح الصخر الأصم الأبكم
وشدت بها الآرام في أكنافها
طرباً، وصاح البلبل المترنم

* * *

لله يومك ما أشدّ شجويه
طوراً يفيض أسى وطوراً يكظم
يوم به وجم الزمان كآبة
وعلا محياه قطوب مظلم
الله أكبر! صرخة علوية
هتف الفؤاد بها ورددها الفم
الله أكبر! هل إمام عادل؟
يُزجي المواكب أو نبيّ ملهم؟
يحدو إلى دار الخلود ركابه
والقلب يُشفق والمآقي تسجم
يعتاده خوف الفراق فينثني
ويحثه حبّ اللقاء فيقدم
يا من رأى العلماء حول سريره
كالبدر حفت جانبيه الأنجم
نور الهدى يفترّ فوق جباههم
والطهر في قسماتهم يتجسم
تذري عيونهم عليك دموعها
ونفوسهم مشبوبة تتضرّم
واروك في جدث وهم لو خُيروا
واروك ما بين الأضالع منهم

* * *

يا شاعر الطفّ المخلّد ذكره
أين العزاء؟ وأين منكَ محرّم
رجّع وراء القبر شجو حديثه
فالنفس من ترجيعه لا تسأم
رجع أناشيد البطولة والعلى
ومآثراً تفنى العصور وتسلم
واهتف بذكرى كربلاء ويومها
لما هوى فيه الشهيد الأعظم
كم نفثة لك فيه سعرها الجوى
يلظى بها القلب الخلي ويضرم
تبقى على الأيام منها رنة
أشجى من النغم الشجي وأرخم

* * *

ماذا لقيت من الحياة؟ وهل ترى؟
في حالتيها ما يسرّ ويؤلم
إن الهناء بها سراب زائل
وكذا الشقاء خديعة وتوهم
نسعى ونجهد كي نحقق مغنماً
فيها وما غير المنية مغنم

أبو اسحاق ابراهيم بن نوبخت:

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) وننشر هذه الدراسة عنه مكتوبة بقلم الأستاذ علي اكبر ضيائي:

بنو نوبخت[1] بيت معروف من الشيعة منسوبون الى نوبخت الفارسي المنجّم[2]، نبغ منهم كثير من أهل العلم والمعرفة بالكلام والأخبار والنجوم[3] والفرق الإسلامية واشتهر منهم بعلم الكلام جماعة أشهرهم ابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي، وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي وأبو اسحاق ابراهيم بن نوبخت وكان لهم المام بالفلسفة وسائر علوم الأوائل ونظر في الأصول وإطلاع على الكتب الفلسفية المترجمة الى العربية والحركات السياسية في عهد الدولة العباسية.

ولما كان لبعضهم مخالفات يسيرة في خصوص بعض المسائل مع سائر متكلّمي الشيعة وأهل الفقه والحديث منهم، تعرض متكلمو الشيعة لجملة منها في أثناء كتبهم وأشاروا الى من يوافقهم في تلك المسائل أو يخالفهم.

والظاهر أن الشيخ المفيد هو اول من اشار الى هذه الخلافات الكلامية في كتابه المسمى بـ«أوائل المقالات في المذاهب والمختارات». قال المؤلف[4] في مقدمته: «فإني بتوفيق الله ومشيئته مثبت في هذا الكتاب ما أثر إثباته من فرق ما بين الشيعة والمعتزلة وفصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب الى العدل من المعتزلة والفرق ما بينهم من بعد وما بين الإمامية فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول وذاكر في اصل ذلك ما اجتبيته انا من المذاهب المتفرعة في أصول التوحيد والعدل والقول من اللطيف من الكلام وما كان موافقاً منه لبني نوبخت رحمهم الله وما هو خلاف لآرائهم في المقال وما يوافق ذلك مذهبة من

(١) المشهور ان نوبخت بضم النون والظاهر ان هذا معرّب نوبخت بفتح النون وهو لفظ فارسي مركب معناه جديد البخت والطالع (أفندي، رياض العلماء(٦/٣٨) وقال السمعاني: النوبختي بضم النون او فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفي آخرها التاء المنقوطة من فوقها بالنتين، هذه النسبة الى نوبخت وهو اسم لبعض اجداد ابي محمد الحسن بن الحسن بن علي بن عباس بن اسماعيل بن ابي سهل بن نوبخت (١٣/١٨٩ - ١٩٠) وانظر ايضاً: ابن الاثير الجزري، اللباب في تهذيب الانساب ٣/٣٢٨؛ ابن طاووس، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، النجف، ٣١١-٣١٢.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، باريس، ١٨٧٤م، ٨/٢٩٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، دار الكتاب العربي، ١/٦٧؛ ابو ريحان البيروني، الآثار الباقية، حققه إدوارد زاخاو، ١٩٢٣م، ص ٢٧٠؛ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت دار سويدان ٧/٦٣٢، ٦٤٨.

(٣) من مدائحهم بعلم النجوم ما مدحهم به ابن الرومي وافرط على عادة الشعر فقال:

أعلم الناس بالنجوم بنونو
بخت علما لم يأتهم بالحساب
بل بأن شاهدوا السماء علواً
يترقى في المكرمات الصعاب
ساوروها بكل علياء حق
بلغوها مفتوحة الأبواب

راجع عن هذه الابيات: فرج المموم في تاريخ علماء النجوم، لابن طاووس: النجف، ١٣٦٨.

(٤) المفيد، اوائل المقالات، ١ - ٢.

أهل الاعتزال وغيرهم من أصحاب الكلام ليكون أصلاً معتمداً فيما يمتحن للاعتقاد» وقد تعرض الشيخ المفيد لآرائهم الكلامية في أثناء كتابه مرّات كثيرة.

وتعرض تلميذه السيد المرتضى لبعض آرائهم في كتاب الذخيرة وجاء بعدهما شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي وأشار الى آرائهم في كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام وهو شرح على القسم النظري من جمل العلم والعمل للسيد المرتضى وأيضاً الفيلسوف الكبير خواجه نصير الدين الطوسي في كتاب تلخيص المحصل والعلامة الحلي في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد وكتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت وجمال الدين مقداد بن عبد الله السيوري الحلي في كتاب إرشاد الطالبين الى نهج المسترشدين.

ثم انتشرت آراؤهم في الكتب الكلامية وذاعت شهرتهم بين متكلّمي الشيعة والمعتزلة وتعرضت آراؤهم للبحث والنقد في عالم الفكر الإسلامي.

ابن نوبخت:

اسمه أبو اسحاق ابراهيم بن نوبخت على ما قاله العلّامة الحلّي في مقدمة كتاب أنوار الملكوت في شرح الياقوت: «قد صنّف شيخنا الأقدم وإمامنا الأعظم أبو اسحاق ابراهيم بن نوبخت قدّست روحه الزكية ونفسه العلية مختصراً سمّاه الياقوت»(١). لكنه اشتهر باسم ابن نوبخت في الكتب الكلامية.

أما المؤرخون فاختلفوا في اسمه، فقال الميرزا عبد الله الأفندي الأصبهاني: «ابن نوبخت قد يطلق على الشيخ اسماعيل بن اسحاق بن أبي سهل بن نوبخت الفاضل المتكلم المعروف الذي هو من قدماء الإمامية، صاحب الياقوت في علم الكلام(٢)» وقال: إنّ هذا الاسم أعني - ابن نوبخت - يطلق على اسماعيل بن نوبخت الذي كان معاصراً لأبي نواس الشاعر وعلى الشيخ اسماعيل بن علي بن نوبخت المتكلم الذي كان من كبار الشيعة وعلى أبي الحسن علي بن احمد بن نوبخت(٣) ولا ندري ما هو مستنده في هذا القول ولكننا وجدنا في الكتب الكلامية أن هذا الاسم - أي ابن نوبخت - يطلق فقط على مؤلف الياقوت، لا غيره من بني نوبخت.

وقال السيد حسن الصدر: «أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن أبي سهل بن نوبخت صاحب كتاب الياقوت في الكلام الذي شرحه العلّامة ابن المطهر الحلّي» ثم أشار الى قول العلامة في مقدمة كتاب انوار الملكوت في أن مؤلف الياقوت هو أبو اسحاق ابن نوبخت ولكنه لم يشر الى اسمه اعني ابراهيم وزعم ان اسمه اسماعيل(٤).

وقال الشيخ عباس القمي(٥): «ومن غلمان أبي سهل أبو الحسن السرسنجردي واسمه محمد بن بشير ويعرف بالحمدوني منسوباً الى آل حمدون وحفيده أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن أبي سهل صاحب كتاب الياقوت في الكلام الذي شرحه العلامة».

وقال عباس اقبال الاشتياني(٦): «كلّما ذكر في الكتب الكلامية قول من الياقوت ذكر اسم «ابن نوبخت»، إلّا انّ العلامة في مقدمة أنوار الملكوت ذكر أنه الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن نوبخت وهذه الكنية والاسم رأيتها في ثلاث نسخ من كتاب أنوار الملكوت واحد وبدون اختلاف ومع تصريح العلامة باسم ابن نوبخت ما علمت دليل الميرزا عبد الله أفندي مؤلف رياض العلماء ومن تبعه من المؤلفين المتأخرين في العراق وسوريا بأن اسم ابن نوبخت اسماعيل وأنه اسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ومستند صاحب الرياض في ذلك غير معلوم».

وتردد محقق كتاب أنوار الملكوت(٧) في اسم ابن نوبخت وقال: لكنني لا أرى ترجيحاً لقول العلامة على قول صاحب الرياض، إذ لو كان قرب عهد المؤلف (مؤلف الياقوت) من العلامة مرجحاً لقوله، فتضلع صاحب الرياض في تراجم العلماء وتبحره فيه أيضاً يرجح قوله» ولكنه اختار في نهاية القول ما قاله العلامة، لأن خلاف ذلك يحتاج الى دليل قاطع.

وأما مستند قول الميرزا عبد الله أفندي في اسم أبيه وجده فغير معلوم ايضاً وتبعه في ذلك الشيخ عباس القمي والسيد حسن الصدر وأما اذا علمنا أن عهد المؤلف بعيد جداً عن عهد أبي سهل بحيث يبعد أن يكون المؤلف حفيداً له ولنا دلائل تؤيد ذلك، فإنا نشك في ما قاله أفندي الاصبهاني في اسم أبيه وجده.

وجاء في كتاب بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض(٨) الذي ألّف في حدود ٥٦٠هـ اسم ابراهيم النوبختي ولكن لا ندري أهو مؤلف الياقوت، ام هو ابراهيم آخر غير مؤلف هذا الكتاب وأما ابراهيم الذي اشار اليه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة (٩) فهو غير مؤلف الياقوت، لأن من ذكره الشيخ كان حيّاً في أواخر القرن الثالث أو اوائل القرن الرابع وعهد المؤلف - اعني أبا اسحاق ابراهيم بن نوبخت - في رأينا بعيد عنه جداً.

عهد ابن نوبخت:

وقع في تحديد عهده خلاف كبير بين المؤرخين الإسلاميين والمستشرقين.

لم يحدد الميرزا عبد الله أفندي(١٠) عهده، لكنه يعتقد أن مؤلف الياقوت هو حفيد أبي سهل بن نوبخت (كان حياً في القرن الثاني) وهذا يعني أن أبا إسحاق كان يعيش في حدود القرن الثالث وزعم السيد حسن الصدر(١١) أن أبا اسحاق عاش في القرن الثاني واستند الى قول الجاحظ البصري(١٢):

---

(١) أنوار الملكوت، ص ٢.
(٢) رياض العلماء، ٣٨/٦.
(٣) نفس المصدر وانظر قول السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ٣٧٤/٢.
(٤) الشيعة وفنون الإسلام، ٦٩؛ تأسيس الشيعة، ٣٤٦ - ٣٦٥.
(٥) الكنى والألقاب، ٩٤/١ - ٩٥.

(٦) خاندان نوبختي، ١٦٧.
(٧) أنوار الملكوت، «و» مقدمة.
(٨) ١٨٤/٢، ١٨٦.
(٩) ص ٢٢٦ - ٢٢٧؛ خاندان نوبختي، ١٧٠.
(١٠) رياض العلماء، ٣٨/٦.
(١١) تأسيس الشيعة، ٣٦٥ - ٣٦٥.
(١٢) البخلاء، ص ١٠٥.

«كان أبو نواس يرتعي [١] على خوان اسماعيل بن نوبخت كما ترتعي الإبل في الحمض [٢] بعد طول الخلة [٣]، ثم كان جزاؤه انه قال:

خبز اسماعيل كالوشي [٤] اذا ما شق يرفا

ثم قال الصدر: «أبو نواس مات سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل: قبل ذلك، فلا بدّ أن يكون اسماعيل بن اسحاق المذكور من أعيان المائة الثانية ولا أعرف اسماعيل قبله في آل نوبخت». ثم استند الى قول الميرزا أفندي في أن اسماعيل بن نوبخت كان معاصراً لأبي نواس الشاعر ولكن ليس لدينا أي دليل على أن اسمه اسماعيل، لا ابراهيم ومع هذا الشك يبقى دليل السيد الصدر مشكوكاً فيه.

وزعم عباس إقبال الآشتياني [٥] ان ابا اسحاق بن نوبخت صنّف الياقوت في حدود ٣٤٠ق/٩٥٠م وله دلائل متعددة تؤيد نظره واشتهر هذا القول عنه بين المستشرقين [٦].

وأما ما ذهب اليه ابنا نوبخت في معنى المكلف، على ما قاله السيد المرتضى [٧]، فلا نعلم ما المراد منهما، لا سيّما اذا علمنا ان الشيخ ابن نوبخت ذهب الى خلاف ما نسب الى ابني نوبخت في معنى المكلّف.

نقل بول كراوز عن الميرزا محمد خان القزويني أنّ منهج أبي اسحاق بن نوبخت في تأليف الياقوت يدل على ان عهد المؤلف قريب من عهد العلامة الحلّي (ت. ٧٧٦ هـ).

واعتقد هنري كوربن أنّ أبا اسحاق هو أوّل من نظم الفلسفة الاسلامية في كتاب الياقوت في حدود ٣٥٠هـ/٩٦١م وتبعه خواجة نصير الدين الطوسي وأتمّ فعله.

وقد أشرنا الى أقوال العلماء في تحديد عهد المؤلف ونحن نعتقد أن المؤلف عاش بين النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السابع ولنا دلائل متعددة نشير اليها بالاختصار كما يلي:

١ ـ إنّ المعتقدات الكلامية للمصنف في هذا الكتاب لا تناسب الأفكار التي نسبها الشيخ المفيد الى بني نوبخت في كتاب اوائل المقالات والتي نسبها السيد المرتضى في كتاب الذخيرة والشيخ الطوسي في كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام.

والظاهر أن ولفرد مادلونغ هو أوّل من نبّه على هذا الموضوع من المقارنة بين أقوال بني نوبخت في اوائل المقالات وكتاب الياقوت واعتقد ان زمن تأليف الياقوت يجب ان يكون القرن الخامس أو بعده.

٢ ـ ذهب أبو اسحاق بن نوبخت الى ان مناط حاجة الممكن الى العلة هو الإمكان.

وقال خواجة نصير الدين الطوسي: «والقائلون بكون الإمكان علّة الحاجة هم الفلاسفة والمتأخرون من المتكلمين والقائلون بكون الحدوث علّة لها هم الأقدمون منهم».

والجدير بالذكر أن خواجة نصير الدين الطوسي ولد في ٥٩٧هـ ومات في ٦٧٢هـ وهذا يدل على أن أبا اسحاق كان معاصراً لنصير الدين الطوسي.

٣ ـ شرح هذا الكتاب ابن أبي الحديد المعتزلي الذي مات في سنة ٦٥٦هـ وهذا يعني ان زمن تأليف الياقوت لا يكون بعد النصف الأول من القرن السابع والمقارنة بين هذا الكتاب وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين لفخر الدين الرازي (ت. ٦٠٦ هـ) تكشف لنا أن الياقوت قد ألّف على ترتيب كتاب الرازي والمؤلف ـ أي أبو اسحاق ـ قبل بعض آراء الرازي وردّ على البعض الآخر.

آراؤه الكلامية:

نشير اليها كما يلي:

١ ـ ذهبت الحكماء الى زيادة الوجود على الماهية في الذهن، لا في الخارج واستدلوا على ذلك بصحة سلب الوجود عن الماهية وبافتقار حمل الوجود على الماهية الى الدليل وبانفكاك الماهية من الوجود في الذهن وبلزوم اتحاد كل الماهيات لو كان الوجود عيناً لها وبلزوم التسلسل لو كان الوجود جزءاً للماهية.

أما أبو الحسن الأشعري وأبو الحسين البصري وأبو اسحاق بن نوبخت فذهبوا الى ان الوجود هو نفس الماهيات، واجبة كانت او ممكنة.

٢ ـ ذهب الشيخ ابو اسحاق الى ان الايمان هو التصديق القلبي فقط، كما ذهب اليه كمال الدين بن ميثم في قواعده وجمال الدين مقداد بن عبد الله السيوري الحلّي في ارشاده وأمّا المحقق الطوسي والعلامة الحلّي فذهبا الى أنّه التصديق بالقلب واللسان معاً وذهب ابن أبي الجمهور الاحسائي الى أنّ الايمان لغةً هو التصديق وأما شرعاً فهو التصديق القلبي للرسول في كل ما علم مجيئه به بالضرورة، أي فيما علم انه من الدين، بحيث يعلمه العامة من غير افتقار الى نظر واستدلال، كوجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك.

٣ ـ ذهب الشيخ أبو اسحاق بن نوبخت الى أن الأجسام يجوز خلوّها عن الأعراض الا اللون والطعم والرائحة كالهواء وذهبت المعتزلة والحكماء وفخر الدين الرازي والعلامة الحلي الى جواز خلوها عن الأعراض الا الكون وقيد المحقق الطوسي بالمذوقة والمرئية والمشمومة وخالفت الأشاعرة في ذلك وقالوا بامتناع خلوها عن شيء من الأعراض.

٤ ـ ومن معتقداته ان ماهيته تعالى معلومة كوجوده.

٥ ـ وأنّ ماهيته تعالى الوجود المعلوم.

٦ ـ واعتقد ان اللذة العقلية عليه تعالى جائزة، مع تفسيرها بإرادة

---

(١) يرتعي: يأكل.

(٢) الحمض: ما كان فيه ملوحة.

(٣) الخلة: خلاف الحمض.

(٤) الوشي: الثوب المرقوم.

(٥) خاندان نوبختي، ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٦) فؤاد سزجين، تاريخ التراث العربي، /(٣) ٢٩٥ ـ ٢٩٦؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣/٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٧) الذخيرة، ١١٤، قال السيد المرتضى: «قالوا: إن الحي الفعال هو الذات من الذوات، ليست بجوهر متحيز ولا حال ولا عرض في هذه الجملة وإن كان يفعل فيها ويدبرها ويصرفها وهذا المذاهب محكي عن معمر واليه كان يذهب ابنا نوبخت».

الكمال من حيث انه كمال.

٧ ـ وذهب الى ان استحقاق الثواب والعقاب سمعي، لا عقلي وأما جمهور المعتزلة فيذهب الى انه عقلي، لا سمعي.

٨ ـ وذهب الى ان العلم بدوام الثواب والعقاب سمعي وقالت المعتزلة انه عقلي واختاره المحقق الطوسي والعلامة الحلي وذهبت المرجئة الى انه سمعي.

٩ ـ وله في مبحث الارادة والحركة والسكون آراء يطول ذكرها.

آثاره:

أ ـ الياقوت

وقد أشرنا الى بعض آراء المصنف في هذا الكتاب. وأوّل ما شرح هذا الكتاب عبد الحميد بن محمد المدائني المعروف بابن أبي الحديد، ثم شرحه العلامة الحلي وسماه أنوار الملكوت في شرح الياقوت وحققه السيد محمد النجمي الزنجاني وطبع في جامعة طهران وأعيد طبعه بالأوفست في قم المقدسة ومع ذلك وجدنا فيه أخطاء كثيرة.

ومن الجدير بالذكر ان المقارنة بين المباحث الكلامية المطروحة في كتابي الياقوت ونهج المسترشدين للعلامة الحلي ترشدنا الى أن العلامة كان الى حد كبير متأثراً بابن نوبخت وأسلوبه البياني في كتاب الياقوت. وشرح أنوار الملكوت السيد عميد الدين الأعرجي الحلّي.

ثم شرح الياقوت أيضاً الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن الشيخ شرف الدين أبي عبد الله الحسين العاملي وسمّاه أرجوزة في شرح الياقوت.

ب ـ الابتهاج

والمراد منه اللذة العقلية واتفق الحكماء وبعض المتكلمين على ثبوتها لله تعالى لأنه تعالى مدرك لأكمل الموجودات ـ أعني ذاته ـ فيكون ملتذاً بها وذهب اليه ابن نوبخت في كتاب الياقوت وبسط القول في كتابه المسمى بـ«الابتهاج» وذكر العلامة الحلي في أنوار الملكوت انه ما عثر على هذا الكتاب وقال ابن أخت العلامة السيد عميد الدين الأعرجي الحلّي في شرحه لأنوار الملكوت انه ما عثر على هذا الكتاب أيضاً ونحن نقول كذلك.

ابو الحسن ميرزا الملقب بـ(حيرت) و(الشيخ الرئيس) ابن الامير محمد تقي ميرزا حسام الدولة بن فتح علي شاه القاجاري:

احد كبار الشعراء في اواخر العصر القاجاري. ولد عام ١٢٦٤هـ في تبريز، وذهب الى المدرسة في السادسة من عمره، وتعلم القراءة والكتابة في فترة قصيرة. وفي الحادية عشرة من عمره قدم الى طهران وباشر بدراسة العلوم القديمة في مدرسة الملا آقا رضا، ثم سافر مع ابيه الى مشهد وهو في الرابعة عشرة من عمره. وبعد وفاة ابيه عاد الى طهران ودخل في مدرسة نظام بأمر من القائد الاعظم الميرزا محمد خان القاجاري ودرس فيها لمدة سنتين الحساب والهندسة، ولكنه لم يكن يرغب في هذه العلوم فانصرف عنها، وذهب مع امه الى خراسان وارتدى لباس اهل العلم هناك وباشر بتعلم علوم الأدب وبدأ بنظم الشعر، واشتغل خلال ذلك بتعلم الحكمة والكلام ومباحثة الاسفار الاربعة، وكذلك درس الطب. ثم سافر الى العتبات المقدسة لاكمال العلوم الشرعية، فدرس ستة اشهر على كبار العلماء والمشايخ ثم انتقل الى سامراء فحضر دروس الميرزا الشيرازي وبعد ذلك حج بيت الله الحرام ثم سافر الى عشق آباد وسمرقند وبخارى وعاد في نهاية المطاف الى شيراز، واقام فيها زمنا اشتغل فيه بالوعظ والتدريس وامامة الجماعة واضحى مرجعاً لاهالي تلك النواحي وقدوة للعلماء ورجال الدين واسوة للحكماء.

تحدث محمد علي المدرس عنه في كتابه (ريحانة الادب) فقال: «لما كان ابو الحسن ميرزا شريفاً في حسبه ونسبه وعالماً واديباً كبيراً في عصره، وصاحب قدرة كبيرة في الوعظ والخطابة، فانه لفت انتباه واهتمام السياسيين القائمين بحركة المشروطة والداعين الى انهاء السلطة الاستبدادية، فاستفادوا منه كثيراً في الخطابة والبيانات، وكان هو بدوره من ابرز شخصيات دعاة المشروطة، حتى كان قصف مجلس الشورى الوطني بالمدفعية بامر من محمد علي شاه القاجاري وتعرض دعاة التحرر لانواع التعذيب والمطاردة، فلم يسلم هو من هذه الاعمال حيث القي عليه القبض واوثق بالسلاسل في حديقة الشاه، ثم افرج عنه فيما بعد.

الف ثلاثة كتب هي (كتاب الابرار) و(كتاب اتحاد الاسلام) و(كتاب المنتخب النفيس)، وكان الكتاب الاول في الرد على احمد القادياني مدعي المهدوية، والف الكتاب الثاني للسلطان العثماني، واشتمل الثالث على اشعاره العربية والفارسية وبعض مقالاته.

توفي عام ١٣٣٦هـ في طهران، ودفن في ايوان مقبرة ناصر الدين شاه القاجاري[١].

الميرزا ابو الفتح خان الساماني (الاصفهاني) الملقب بسيف الشعراء والمعروف في اشعاره بالدهقان ابن باباخان:

احد كبار الشعراء في زمن ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه. ولد عام ١٢٤٩هـ في قرية (ساحان) الواقعة بين شهر كرد واصفهان (الى الشمال الغربي من جهار محال بختياري) لعائلة قروية مزارعة. درس مقدمات الأدب ثم توجه الى الشعر فشق طريقه الى محافل شعراء اصفهان، فنال شهرة في اوساطهم. ترك العديد من الآثار الشعرية، منها ديوانه المشتمل على عشرة الاف بيت في المثنوي والغزل والقصائد، ومنظومة باسم (باستان نامه) والاهم من ذلك نظمه لالف ليلة وليلة باسم سليمان خان ركن الملك الشيرازي في كتاب اسماه (هزار داستان)، وهو يحتوي على اثنين وخمسين الفاً وخمسمائة بيت، وقد دون بخط النستعليق في ٦٤٥ صفحة وطبع في طهران بين عامي ١٣١٧ و١٣١٨هـ. بدأ تأليف كتابه هذا في عام ١٢٩٦هـ وفرغ منه عام ١٣٠٤هـ. وكانت وفاته في عام ١٣٢٦هـ[٢].

الميرزا ابو القاسم القائم مقام الفراهاني المشهور بالثنائي

كان وزيراً كبيراً وعالماً بارزاً في العهد القاجاري ومن مشاهير شعراء وادباء هذا العهد. وهو من سادات اراك. كان ابوه سيد الوزراء الميرزا عيسى المشهور بالميرزا القائم مقام الكبير قد ارسل الى آذربايجان في زمن فتح علي شاه لمساعدة ولي العهد عباس ميرزا، ولقب حينئذ بقائم مقام

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) عبد الرفيع حقيقت.

الصدارة الكبرى. وكان اجداده ايضاً قد اشتغلوا في زمن كريم خان زند بالوظائف البلاطية.

ولد الميرزا ابو القاسم عام ١١٩٣هـ واشرف ابوه على تربيته وتدريسه العلوم المتداولة في عصره. وحين توفي اخوه الاكبر الميرزا حسن الوزير عام ١٢٢٦هـ، تأثر ابوه كثيراً وقرر الركون الى العزلة، وكان الميرزا ابو القاسم حينئذ في طهران، فاستدعاه ابوه واوكل اليه وظيفته الرسمية التي كانت عبارة عن وزارة نائب السلطنة الميرزا عباس بعد ان استأذن فتح علي شاه في ذلك. ولم يمض وقت طويل على تسلم الابن لمهام ابيه حتى اثبت جدارته ولياقته، ولفت نظر الميرزا عباس اليه، وحظي بمنزلة رفيعة عنده.

لقب الميرزا ابو القاسم الفراهاني بلقب (القائم مقام) بعد وفاة ابيه عام ١٢٣٧هـ. وقد تزامنت وزارة القائم مقام مع الحروب بين ايران وروسيا، ويمكن الوقوف على اسباب هزيمة ايران من خلال التصريحات والاشارات التي وردت في نظمه ونثره. وقد ذكر المؤرخون ان فتح علي شاه القاجاري سافر الى تبريز عام ١٢٤٢هـ، وعقد اجتماعاً مع مجلس استشارة ضم اعيان ووجهاء ايران لمداولة الرأي في خوض الحرب مع روسيا او عقد الصلح معها، فكان رأي الجميع مع شن الحرب ما عدا القائم مقام الذي كان مخالفاً للحرب ومؤيداً للصلح. فاثار رأيه هذا سوء الظن في نفس الشاه فطرده من البلاط، ولكن هزيمة ايران اظهرت رجاحة رأيه وسلامة نيته، فاعيد مرة اخرى الى منصبه.

بقي القائم مقام ملازماً لنائب السلطنة الميرزا عباس حتى وفاة الأخير عام ١٢٤٩هـ، وبعد وفاة فتح علي شاه عام ١٢٥٠هـ وقف الى جانب محمد ميرزا بن عباس ميرزا حتى وصل الى السلطة. ولكن هذا الملك لم يحفظ عهد الصداقة مع الوزير العالم، فما ان استقرت له الامور حتى اخذ يستمع الى اقوال المغرضين بحق صديقه القديم، ومن ثم امر بخنقه في بستان (نكارستان) عام ١٢٥١هـ. وذكر بعضهم ان عدوه ومنافسه الحاج الميرزا الآقاسي كان شريكاً في قتله، حتى انه تولى مهام الصدارة بعد مقتل القائم مقام.

يعتبر القائم مقام من كبار رجال السياسة الى جانب كونه من اساتذة الادب. وقد جمع ذكاء ونبوغاً وفضائل جمة، وهو شاعر كبير وكاتب مقتدر، وعلى حد تعبير صاحب الـ(مرزبان نامه) قلما يحدث ان يجتمع هذان الفنّان في شخص واحد، بحيث يصبح استاذاً فيهما معاً.

وبغض النظر عن المقام السياسي الشامخ الذي شغله الميرزا ابو القاسم القائم مقام بحكم موقعه في البلاط، والآثار الكبيرة التي تركها على الاوضاع السياسية والاجتماعية في البلاد، كان مؤثراً في المجالات الادبية والامور المعنوية في ايران من خلال نثره ونظمه، فهو يعد واحداً من فحول العلماء وكبار الأدباء في عصره.

وقد ذكر الوحيد الدستگردي في مقدمته التي كتبها على ديوانه ان عدد ابيات شعره تجاوز الثلاثين الف بيت، ولكن لم يبق منها اكثر من الفي بيت. وقد اشتملت اكثر قصائده على الأحداث السياسية لعصره، وعلى وجه الخصوص الحروب التي دارت في زمن ولي العهد الميرزا عباس بين ايران وجيرانها. وكانت مثل هذه القصائد اما مشتملة على فتوحات ولي العهد او الهزائم التي منيت بها ايران، والتي يعقب على ذكرها بالتأكيد على ان الحروب التي وقعت فيها الهزائم لم تكن موافقة لرأيه بل كان القرار فيها بعيداً عن موافقته ورضاه. ثم يخاطب قادة الجيش المنهزمين باستهزاء وسخرية. وجاء قسم آخر من اشعاره في الشكوى من اغتنام اعدائه لفرصة فصله عن وظيفته ومبادرتهم الى نهب املاكه، وهو يأس لما يراه من الغاصبين والمعتدين ويقول ان جزاء ثلاثين سنة من الخدمة الصادقة لا يمكن ان يكون ما رآه من اعدائه. وفي قسم آخر من اشعاره يدافع بشكل خاص عن الذين حل عليهم غضب الشاه، فهو ينظر الى الدنيا من خلال نظرتهم ويتحدث عن لسانهم. ثم يشكو في جانب آخر من شعره من ظلم وجور الحكام وقد قال اغلب هذه الاشعار في زمن عزله عن منصبه.

واذا كان القائم مقام قد نظم بعض قصائده في المدح، فانه لم يكن يتردد في ذكر عيوب الدولة، كما فعل مثلاً في قصيدته التي يمتدح فيها الميرزا عباس. وسوى هذه الامور لا نرى شيئاً آخر نظم به الا شيئاً قليلاً من الغزل والتشبيب، ولكنه لم يبدع في هذين الجانبين كابداع الشعراء المتقدمين.

ولم تأت مدائحه مبالغ فيها ومستهجنة كمدائح (صبا) والقاآني لفتح علي شاه ولا عذبة ومستحسنة كمدائح سروش وملك الشعراء محمود خان وقد تحدث ملك الشعراء (بهار) عن شعر الميرزا ابو القاسم القائم مقام فقال: «رغم ان القائم مقام سلك في شعره مسلك الشعراء المتقدمين في خراسان، ولكنه كان يتصرف في هذا المسلك، وخصوصاً في الاشعار التي يريد فيها ان يقول شيئاً معينا او يوضح أمراً بعينه»[1].

ابو القاسم اللاهوتي المعروف بـ(اللاهوتي خان):

من شعراء عهد الصحوة واستقرار حكومة القانون والمشروطة في ايران. ولد في كرمانشاه عام ١٣٠٥هـ، وكان ابوه الميرزا احمد الالهامي من الشعراء المعروفين في زمانه.

ترعرع ابو القاسم اللاهوتي في منزل ابيه وسط اجواء كرمانشاه الادبية، ولم يكن ابوه قادراً على الانفاق عليه لاكمال دراسته، وهو من يتوسم في نفسه موهبة واستعداداً لطلب العلم، فاستعان باحد أصدقاء الأسرة وسافر الى طهران لهذا الغرض. وكان عمره آنذاك ست عشرة سنة. وبعد سنتين أي في أواخر عهد الاستبداد اخذ ينظم الشعر في صحيفتي (الحبل المتين) في كلكتا و(ايران نو) في ايران، وكان شعره يحمل نغمة التحرر. وكانت اشعاره هذه سبباً الى اشتهار اسمه على ألسنة الناس (وذلك في عام ١٣٢٣هـ).

نشط اللاهوتي خلال تلك السنين في فعالياته مع دعاة الحرية والمشروطة وكان ينشر مقالاته السياسية عام ١٣٢٣هـ اي قبل صدور قرار المشروطة بسنة واحدة، فتعرض للمطاردة كسائر الاحرار الآخرين. ويبدو من قصيدة له نظمها عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) باسم (نشان) انه اشترك في قتال المستبدين في رشت ونال وسام (ستارخان).

وفي عام ١٣٣٠هـ (في زمن احمد شاه) قام ناصر الملك بنفي بعض الديمقراطيين وجماعة من دعاة العدالة والتحرر الى قم، فحدثت ضجة في اوساط انصارهم وخصوصاً بين افراد قوات الدرك، فقام الشباب

(١) عبد الرفيع حقيقت.

منهم بحركة احتجاج صاخبة، ومن ابرز المحتجين علي اصغر خان قربان زاده التبريزي الذي كان من اصحاب المراكز الكبيرة في الدرك وتميز باخلاصه ومواقفه، وكان حينئذ يشغل منصب قائد منطقتي قم واراك، فتمرد على الدولة وجرد مراكز خط طهران ـ قم من السلاح والتحق بسالار الدولة، ولكنه لم يستطع الوصول الى اهدافه، فالقي القبض عليه واعدم رمياً بالرصاص. وكان اللاهوتي آنذاك رئيساً للدرك في منطقة قم، فاتهم بالقيام باعمال تخريبية في درك قم، وتعرض للمطاردة، ثم حوكم غيابياً وحكم عليه بالاعدام. الا انه افلح في الهرب من الاراضي الايرانية ولجأ الى الاراضي العثمانية، فوصل اسطنبول عام ١٩١٤م، وامضى هناك فترة من البطالة والضياع، حتى ساعده بعض اصدقائه الايرانيين المقيمين في اسطنبول على الاشتغال مدرساً للغة الفارسية في ابتدائية (احمديه) الايرانية ولكن حياته بقيت صعبة رغم ذلك.

وفي تلك السنين كانت ايران تعيش اقصى مراحل تاريخها، حتى اندلعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) فاخذ الأعداء يهاجمون الاراضي الايرانية من كل حدب وصوب ويتقاسمونها بينهم. وكان القتال والنزاع يحدثان في كل المناطق الايرانية بين آونة واخرى. فمثلاً كان الالمان والعثمانيون يتخاصمون بينهم من جهة، ومن جهة اخرى كان هؤلاء يتقاتلون مع الروس. ومن جهة ثالثة كانت بريطانيا تشدد من نشاطاتها وهجماتها، وهي التي تعتبر نفسها المالك الاصلي لايران والهند وبلدان سواحل الخليج الفارسي.

وساهم الالمان ثم تلاهم العثمانيون في تشكيل الحكومة الايرانية المؤقتة برئاسة رضا قلي خان المافي (نظام السلطنة) في قم اولاً ثم في كرمانشاه، فعمت البلاد الفوضى والاضطراب. وفي مثل تلك الظروف رأى ابو القاسم اللاهوتي الفرصة مناسبة للعودة الى ايران، بعد ان كان مرغماً على البقاء في اسطنبول سنين طويلة خوفاً من الاعدام، وهكذا عاد الى ايران في خضم الاضطرابات الداخلية، وتوجه من فوره الى كرمانشاه فدخل معسكر الوطنيين الاحرار، وباشر بشن حملاته على الاجانب من خلال صحيفة (بيستون) التي اسست في اواخر عام ١٣٢٥هـ، وتصدر مرتين في الاسبوع بادارة صديق دفتر. وكان اللاهوتي قد تعرض خلال ذلك عدة مرات للاعتقال بامر من الحكومة المؤقتة، ثم كان يستأنف نشاطاته وحملاته في كل مرة بعد خروجه من السجن بنفس الصلابة والجدية. وحين خرج من السجن في المرة الاخيرة رأى ان اقامته في كرمانشاه لا تعود عليه الا بالضرر، فذهب الى قبيلة (سنجابي)، واخذ ينسق معهم في نشاطاتهم الوطنية.

بقي اللاهوتي حوالي ثلاث سنوات بين القبائل، وخصوصاً قبيلة (سنجابي) وحين قصفت القوات البريطانية اراضي السنجابيين بالمدفعية، رحل هو مع قائد السنجابيين القوي الى الاراضي العثمانية (عام ١٣٣٩هـ). وهناك اسس مجلة (بارس) ولم يطل مكث اللاهوتي هذه المرة في ديار الغربة، اذ لم يستطع تحمل البعد عن الوطن، فعاد اليه عن طريق ساوجبلاغ، وتوجه الى تبريز، ولجأ فيها الى منزل محافظ آذربايجان الحاج مخبر السلطنة هدايت، وطلب منه المساعدة في انقاذه من الحكم الصادر بحقه من قبل. فاستجاب مخبر السلطنة لطلبه وبذل مساعيه حتى الغي الحكم، وعاد بعدها الى العمل في قوات الدرك، حيث عين في البداية آمر سرية ثم أخذ يتدرج في المناصب حتى عين معاوناً لرئيس الدرك في تبريز (الميجر محمود خان بولادين) وما زال في منصبه هذا حتى ثار دعاة التحرر في آذربايجان بقيادته، مناصرين لـ(خياباني) في اليوم الاول من جمادى الاولى عام ١٣٤٠هـ. بادر اللاهوتي الى توقيف مخبر السلطنة هدايت في مقر الدرك في تبريز، وعين بدلاً عنه اجلال الملك الذي كان في ذلك الوقت في ارومية.

ولكن قوات مياندوآب وصلت تبريز في العاشر من جمادى الاولى عام ١٣٤٠هـ بقيادة العميد ظفر الدولة مقدم، ودارت المعركة بين الطرفين فقتل الميرزا سلطان تورج الذي كان مسؤولاً عن ادارة المعركة، وبقيت قوات الدرك مسيطرة على الموقف حتى حين ثم منيت بالهزيمة في آخر المطاف، فاضطر اللاهوتي الى مغادرة الاراضي الايرانية برفقة عدد من الضباط في نفس الليلة التي هزموا فيها، ولجؤوا الى الاراضي الروسية (وكان ذلك في اواخر عهد أحمد شاه)، وبقي اللاهوتي واصحابه مسلحين الى حين في آذربايجان الشمالية (القفقاس) حتى اضطروا في آخر المطاف الى تسليم اسلحتهم الى السلطات الروسية مكرهين. وبقي في تلك البلاد حتى آخر حياته ينشد الشعر غريباً عن وطنه.

اما بالنسبة لأسلوبه في الشعر، فقد كان متأثراً بالاسلوب الفارسي القديم بالاضافة الى الاشعار الوطنية لأديب الممالك الفراهاني والسيد اشرف الدين الحسيني مدير صحيفة (نسيم الشمال)، وخصوصاً الميرزا علي اكبر خان (صابر الاذربايجاني). واللاهوتي نفسه يعترف بهذه الحقيقة في انه اخذ الشعر الهزلي الساخر اللاذع كوسيلة للكفاح الاجتماعي عن صابر، اذ يقول: «كانت اشعار صابر سهلة عذبة ذكية ومليئة بروح الشهامة الى حد بعيد بحيث يتأثر بها كل من حمل بين جنبيه روحاً تحررية وقد كان صابر قدوة لي في مثل هذه الاشعار، فهو استاذي واستاذ جميع الذين يكتبون الفكاهة، ومن الطبيعي ان هناك من تقدم على صابر في هذا المجال، الا ان مؤسس الفكاهة المقاومة للاستبداد والاستعمار والتي تناصر الناس وتدعو الى الحرية هو صابر ولا شخص سواه». وكذلك فان اللاهوتي ذكر بانه تعرف الى صابر من خلال ترجمة السيد اشرف الدين الحسيني، مدير صحيفة نسيم الشمال.

طبعت اشعار ابو القاسم اللاهوتي بصورة متفرقة في موسكو وطهران عدة مرات، ولكن المجموعة، الكاملة لاشعاره تم طبعها في مؤسسة امير كبير في طهران عام ١٩٧٩م[١].

السيد ابو القاسم الخوئي بن السيد علي اكبر[٢] بن المير هاشم:

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) السيد علي اكبر الخوئي ولد في خوي في ٢٨ صفر ١٢٨٥هـ ونزح الى النجف سنة ١٣٠٧هـ فبقي في النجف سنة وفي سامراء سنتين ثم عاد الى النجف سنة ١٣١٠ فحضر بحث الشيخ محمد الفاضل الشربياني، والشيخ محمد حسن المامقاني، وفي سنة ١٣١٥ رجع الى بلده (خوي) وعاد الى النجف في اوائل حركة المشروطة سنة ١٣٢٨، وفي سنة ١٣٤٦ سكن عند المشهد الرضوي في خراسان، توفي في النجف زائراً ليلة الثلاثاء ١٨ شعبان ١٣٧١ وصلى عليه الشيخ أغابزرك الطهراني (صاحب الذريعة) ودفن في ايوان مقبرة

ولد سنة ١٣١٧ في مدينة (خوي)[1] من اعمال آذربيجان وتوفي سنة ١٤١٣ في النجف الأشرف.

هاجر والده الى النجف فرافقه اليها وهو في الثالثة عشرة من عمره وذلك في حدود سنة ١٣٣٠ وفي النجف انضم الى الحلقات الدّراسية في مراحلها المتعارف عليها، وكان من اساتذته فيها الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسن الكمباني والشيخ آغا ضياء الدين العراقي وشيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ محمد جواد البلاغي وغيرهم.

وبعد وفاة السيد محسن الحكيم سنة ١٣٨٩ انتهت اليه المرجعية الدينية في النجف، وقُلّد في ايران والعراق ودول الخليج وسوريا ولبنان وافغانستان وغيرها.

ولم تشغله شؤون المرجعية عن التدريس ولا عن التأليف. بل نستطيع القول انه تميز في التأليف عن غيره من كبار المراجع الذين استغرقت المرجعية اوقاتهم فلم يكتبوا شيئاً يبقى بعدهم سوى رسائلهم العملية في حين انه كان يستغل اوقات الفراغ ليكتب ويؤلف فأخرج للناس الكتب الآتية:

١ ـ أجود التقريرات في أصول الفقه.
٢ ـ تقريرات الفقه.
٣ ـ الفقه الاستدلالي.
٤ ـ حاشية على العروة الوثقى.
٥ ـ نفحات الاعجاز.
٦ ـ البيان في تفسير القرآن.
٧ ـ المسائل المنتخبة ـ وهي مجموعة فتاواه.
٨ ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (٢٣ مجلداً).

وقد كتب بخط يده عن موسوعة (معجم رجال الحديث) يقول:

«إن علم الرجال كان من العلوم التي اهتم بشأنه علماؤنا الأقدمون، وفقهاؤنا السابقون، ولكن اهمل امره في الاعصار المتأخرة حتى كأنه لا يتوقف عليه الاجتهاد، واستنباط الاحكام الشرعية.

لأجل ذلك عزمتُ على تأليف كتاب جامع كاف بمزايا هذا العلم، وطلبت من الله سبحانه ان يوفقني لذلك فاستجاب بفضله دعوتي».

كان يرعى الحوزات العلمية بالرواتب كحوزة النجف الاشرف، وحوزة كربلاء في العراق وحوزات قم ومشهد وغيرها في ايران والحوزات والمعاهد الدينية في الهند وباكستان وقد اهتم بالعمل المؤسساتي، تشييداً ودعماً. فقد امر بانشاء «مؤسسة الامام الخوئي الخيرية»، حيث قامت في غضون عمرها القصير بمشاريع دينية وثقافية واجتماعية في لندن ونيويورك وبومباي وتايلند والهند. فمن ذلك مدرسة دار العلم في بانكوك (تايلاند) ومدرسة صاحب الزمان في كهولنا بنغلادش ومدرسة اهل البيت في هوكلي (البنغال الغربية) ومدرسة امير المؤمنين في الهند ومدرسة الامام الباقر في بهيونـدى (الهند) والمدرسة الايمانية في بنارس بالهند والحوزة العلمية في حيدر آباد. ووضع اساس مدينة متكاملة للطلاب ولمدرسي الحوزة العلمية في قم وهي اليومَ مدينة شامخة باسم مدينة العلم وتقوم المؤسسات الخيرية الثلاث في بريطانيا وفي الولايات المتحدة وفي الهند بتأسيس المدارس والمعاهد وتقديم الخدمات الثقافية.

كان محلقاً في (علم اصول الفقه) وباحثاً ماهراً فيه، حتى صار المدرس الاول لهذا العلم.

وكانت مهارته في (الفقه) لا تقلّ عن تتبعه وتعمقه في (اصوله)، ومن خصائصه انه تفرّغ لـ(علم رجال الحديث) بعد ان اعتبره الاداة الوحيدة لتشخيص خبر الثقة والحسن او الصحيح من الضعيف. فان الجزم بعدالة الراوي او الوثوق بصحة الرواية لا يكاد يحصل الا بمراجعة علمِ الرجال. وعن طريق معرفة وثاقة الراوي يمكن الاطمئنان بصدور الرواية عن المعصوم (عليه السلام)، واستنباط الحكم الشرعي في نهاية المطاف.

وحيث خاض ابحاثاً في (علم التفسير) و(علوم القرآن) عاملها باسلوب الخبير الماهر المتخصص، فكان اثره القيّم (البيان) خير شاهد على مقدرته التفسيرية وتبحره في ما يتعلق بعلوم القرآن.

ولم يكتف بمعالجة الفقه واصوله والتفسير وعلم الرجال، وانما كان متضلعاً في (اصول الدين) و(العقائد) فكان يعالج الموضوعات المتعلقة بالتوحيد والعدل و النبوة والامامة والمعاد ضمن ابحاثه الاخرى بنفس العمق والرّصانة اللتين اتصف بهما في سائر ابحاثه.

ولم يُعهد منه ممارسة النظم سوى ما كان ينظمه في بعض المناسبات الخاصة احياناً وباللغات العربية والفارسية والتركية، الا انه ابى الا ان يختم حياته بخير في نظم ارجوزة في العدل والامامة فبلغت ١٥٦ بيتاً مع سبعة ابيات في التاريخ، فصار المجموع ١٦٣ بيتاً وذلك في السنوات الاخيرة من عمره.

وقد التزم في ارجوزته بألفاظ الأحاديث غالباً او بمضمونها من الروايات الصحيحة، ولخص المناقشات المذهبية حول الامامة والتي خصصت لها الكتب المطولة لعلمائنا العظام من قبيل (الشافي) للسيد المرتضى و(تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي و(منهاج الكرامة) للعلامة الحلي وغيرها من كتب الحديث المعتبرة، وذلك في بيان موجز منظوم على نمط الارجوزة كي يسهل حفظها وفيها يقول:

انّي ابو القاسم لَستُ شاعِراً
ولست في النظم خبيراً ماهراً
لكن حب العترة المطهرة
دعا الى نظم وربي يسره

شيخ الشريعة الاصفهاني ومن آثاره: كتاب في الأصول في مجلد من تقرير أستاذه الشربياني، وعليه تقريظه بخطه.

(١) من اعمال آذربيجان الايرانية اقليم شمال غرب ايران يفصله نهر اراس في الشمال عن جمهورية آذربيجان التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي ، ارضه جبلية في معظمها وتوجد بعض سهول خصبة، تنتج الحبوب والفاكهة، اهم مدنه تبريز، فتحه المسلمون في القرن ٧م، حكمه السلاجقة الأتراك (القرنان ١١ ـ ١٢م) غزاه تيمور لنك (القرن ١٤م) حكمه ملوك فارس من اوائل القرن ١٧م الى اوائل القرن ١٩ ضمت روسيا الجزء الشمالي اليها واحتفظت ايران بباقيه ثم قسم سنة ١٩٣٨ الى محافظتين، وحينما كانتا تحت احتلال السوفيت ١٩٤٤ قامت حكومة انفصالية بتشجيعهم ولكن قضي عليها. وانتساب العلماء لهذه البلدة قديم فممن نُسب اليها يوسف بن طاهر الخوي (ت نحو ٥٤٩هـ) صاحب كتاب شرح التنوير على سقط الزند (كشف الظنون ١٢٤٢).

مستحسن مني ذا لكنه
ذنب لمن كان القريض فنه
محاسن الابرار ذنبا تحسب
لمن سليم قلبه مقرب

ومن نماذج الارجوزة قوله:

الحمد لله العلي الواحد
مكون الكون وأقوى شاهد
مصلياً على النبي المؤتمن
وآله المطهرين من درن
ارجوزتي هدية للبشر
تهدي الى الرشد وخير الخبر
اذكر فيها ما روته المهرة
عن الرسول في امام البررة
ذا حيدر اذ خصَّهُ الله بما
قد خصه من شرفٍ واكرما
ارجو الهي صانعي وخالقي
ومالكي وملجأي ورازقي
غفران ذنبي فهو اهل العفو
ما كان من عمد أتى او سهو
نبينا خير نبي مرسل
كتابه خير كتاب منزل
امته امة خير أخرجت
تنهى عن المنكر فيما امرت
تأمر بالمعروف والاطاعة
لخالق الكوْنِ ورب الساعة

الميرزا ابو القاسم رابع ابناء الميرزا وصال الشيرازي، الملقب بـ(فرهنك الشيرازي)

ويعد من مشاهير شعراء ومؤلفي وفناني وخطاطي العصر القاجاري. ولد في شيراز عام ١٢٤٢هـ، درس مقدمات العلوم على ابيه ثم تعهد بتدريسه اخوه الاكبر الميرزا احمد وقار، ودرس بتشجيع من القاآني اللغة الفرنسية وبعض العلوم المتداولة في عصره، واشتهر بحسن خطه ودماثة اخلاقه وقوة شخصيته. واشتغل في شيراز بالتحقيق والتأليف والتصنيف، وارتبط بعلاقات وثيقة مع فناني وشعراء عصره، حتى توفي عام ١٣٠٩هـ.

وضع العديد من المؤلفات هي: رسالة طب البله او (ذخر السفاهة على طب البلاهة) وهي تتحدث باسلوب نثري ساخر عن الذين يعتمدون الغموض في كتاباتهم او يقفزون من موضوع الى موضوع دون مناسبة. وقد طبعت هذه الرسالة عدة مرات ـ شرح حدائق السحر لرشيد الوطواط ـ شرح وترجمة كتاب البارع في علم النجوم ـ معجم فرهنك ومن ميزاته امكانية الوصول الى معنى الكلمة العربية باللغة الفارسية، وبالعكس ـ ديوان شعر وهو يشتمل على ما يقارب عشرة الاف بيت فارسي وعربي.

الميرزا ابو القاسم القزويني الملقب بـ(العارف) بن الملاهادي

احد الشعراء والفنانيين الوطنيين الاحرار، ويعد من شعراء عهد الصحوة الايرانية واستقرار حكومة المشروطة في ايران.

ولد في قزوين عام ١٢٩٧هـ، ودرس في كتاتيبها القراءة والكتابة الفارسية ومقدمات اللغة العربية من نحو وصرف، وتعلم الخط على ثلاثة من اساتذة الخط المعروفين، وهم: الشيخ رضا الخطاط ومحمد رضا كتابفروش والشيخ علي الشالي المعروف بالسكاك، ودرس الموسيقى على الحاج صادق الخرازي، وكان يمتلك حنجرة صافية وصوت شجي، فطلب منه ابوه ان يشتغل بقراءة التعازي والمراثي، ومن ثم البسه عمامة واوكل امره الى الميرزا حسين واعظ بن الحاج ملانوروز القزويني، فاشتغل العارف سنتين او ثلاث في هذا المجال. ولكن القدر شاء ان يصرفه عن المراثي الى عالم الشعر والفن والموسيقي، فاشتهر في ذلك. ثم قدم الى طهران عام ١٣١٦هـ، واقام في منزل صدر الممالك. وبعد فترة تعرف الى موثق الدولة وغيره من رجال السياسة بسبب قدرته في الموسيقى وعذوبة صوته.

توثقت علاقته بامراء القاجاريين، وبلغ بينهم منزلة رفيعة، حتى انه كان يجلس على مائدة الميرزا علي اصغرخان اتابك الذي كان يطعمه بيده، وما زال امره يرتقي حتى بلغ اسمه مظفر الدين شاه، فامر باحضاره وسمع صوته فاعجب به وامر له بخمسمائة تومان وامر ايضاً بخلع عمامته وتسجيل اسمه مع خدم الخلوات. وبقي على حاله هذه عدة سنوات، حتى بدأت حركة التحرر وارتفعت نغمة المشروطة، وكان العارف القزويني واقفاً على كثير من فضائح وجرائم عهد الاستبداد، فلم يتردد في الالتحاق بصفوف المثقفين ودعاة المشروطة، ووقف قريحته الفنية وقدرته الشعرية على الحركة التحررية الوطنية. فتحمل في هذا الامر الكثير من المصاعب والمتاعب، وقد تحدث عنها بنفسه في ديوانه. وبقي صامداً في طريقه الذي اختطه لنفسه، حتى فارق الحياة في همدان عام ١٩٣٣م.

كان العارف بارعاً في انشاد الاشعار الوطنية وكذلك في التصنيف والموسيقى والغناء، واستطاع بقدرته هذه ان يثير اعجاب دعاة التحرر في فترة الصحوة واستقرار حكومة القانون والمشروطة في ايران. وكانت تصنيفاته تنتشر بين عامة الناس.

طبع ديوانه الكامل في طهران ثلاث مرات[1].

الميرزا احمد الصفائي ابن الميرزا ابو الحسن يغما الجندقي:

احد شعراء اواخر العصر القاجاري. كان هذا الشاعر يعيش في سمنان. واغلب اشعاره جاءت في رثاء الامام الحسين (ع) طبع ديوانه عام ١٣١٥ باهتمام عميد الممالك السمناني نائب سمنان في الدورة الرابعة لمجلس الشورى الوطني وصهره اسد الله منتخب السادات الجندقي والد حبيب اليغمائي مدير مجلة يغما، وهي طباعة حجرية مدونة بخط النستعليق. وقد ورد في هذا الديوان ١٢٨ مرثية للامام الحسين (عليه السلام)، بالاضافة الى بعض الاحداث التاريخية.

توفي الميرزا احمد الصفائي اليغمائي عام ١٣١٤هـ.

(١) عبد الرفيع حقيقت.

احمد بن افلح :

قال في محاصرة ابي يزيد لمدينة سوسة سنة ٣٣٥/٩٤٦ :

ألم بسوسة وبغى عليها
ولكن الإله له نصير
مدينة سوسة للغرب ثغر
تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها
كما لعنت قريظة والنضير
اعز الدين خالق كل شيء
بسوسة بعدما التوت الأمور
ولولا سوسة لدهت دواه
يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض
ويفشي أهلها العدد الكثير

المصدر:

١ ـ أبو عبيد البكريّ: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر ١٨٥٧ ص ٣٥. يقول البكريّ أنه شاعر سوسيّ، ويسميّه «أحمد بن بلح السوسيّ».

٢ ـ ابن عذاري: البيان. . . ج ١ ص ٢١٩. اسقط منها البيتين الأخيرين ولم ينسب القطعة الى قائل.

٣ ـ رحلة التجاني ص ٢٨ وقد اسقط صاحب الرحلة البيت الأوّل، وخفّف الفخار بسوسة في البيت الخامس فصار «ولولا نصره لدهت دواه. . .» عوض «ولولا سوسة. . .». ونسبها الى «احمد بن افلح» وقال انه من «قديم شعرائها (شعراء سوسة) ولم يزد.

٤ ـ الوزير السرّاج: الحلل السندسيّة تحقيق محمد الحبيب الهلية ص ٣٠١ نقلها السراج عن رحلة التجاني ونقل ما قيل هناك عن صاحبها. وأراد محقّق الكتاب ان يتثبت من احمد بن افلح، فنقل ما جاء في جذوة المقتبس للحميدي. ولكن يظهر أنّ الشخص الذي ترجم له الحميديّ كان فقيهاً اندلسيّاً، بدليل ما رواه ابن حزم الفقيه الظاهري في شأنه، وقد قال ابن حزم أنّه رآه وسمع من شعره. ومعلوم انّ ابن حزم توفي سنة ٤٥٦/١٠٦٣، فلا يمكن ان يكون صاحب الترجمة هو شاعرنا السوسيّ الذي هجا أبا يزيد ومدح سوسة سنة ٣٣٥/٩٤٦.

التعليق :

هذه الأبيات نظمها شاعر مناهض للخارجيّ، وهي مع هذا خالية من مناصرة للفاطميين، ونتذكّر ان الفزاري نظم قصيدة بهذا الوزن وهذه القافية في هجو الفاطميين ولكن لا يمكن ان نلحق بها هذه الأبيات نظراً لاختلاف المنهج السياسيّ فهي تهجو أبا يزيد لا الفاطميين. ثمّ ان البكري نسبها الى شاعر من سوسة، وانّ في هذا الاطراء القويّ لسوسة ما يدعّم هذه النسبة.

على أنّه لا مانع من ان نعتبر انّ هذا الشاعر السوسيّ قد عارض بأبياته هذه قصيدة الفزاري التي تضمنّت هي الأخرى مدحاً مسهباً للقيروان وأهلها.

أحمد بن اسفنديار بن الموفق بن أبي علي، أبو الحكام البغدادي الصوفي

ولد ببغداد سنة ٥٨٧ على عهد الخليفة الناصر لدين الله، وسمع الحديث النبوي عن الشيوخ المشهورين في عصره من الحنابلة وغيرهم وحفظ القرآن الكريم وعني بفن الوعظ وأخذه عن أبيه، ودرس الأدب وقال الشعر وجمع لنفسه ديواناً يشتمل على مجلدتين ولم يضع فيه هجواً البتة لعفة لسانه وطهر جنانه، وبلغ ديوانه عشرة آلاف بيت، وكان شيعي المذهب على ما ذكر كمال الدين بن الشعار الموصلي المؤرّخ الأديب، صحيح السماع للأحاديث النبوية والإجازة به، وقد رتب شيخ الرباط الأرجواني ببغداد الموقوف على الصوفية المنسوب الى السيدة ارجوان والدة المقتفي بأمر الله الخليفة العباسي.

قال ابن الشعار: وتوفي بعد منصرفي من بغداد في أوائل شهر ذي القعدة سنة ٦٣٩ وقد شاهدته في بغداد وأنشدني لنفسه في مولانا أمير المؤمنين (المستنصر بالله) وذكر أنه أنشدها بالمدرسة التاجية (الشافعية) في يوم الغدير:

لا تسق بالقدح الصغير
من كان ذا حظ كبير
إن الأكابر للأكا
بر والأصاغر للصغير
وادر كؤوسك لاعدمنك
من أخي نظر مدير
حمراء يشرق من زجاجتها
سنا القمر المنير
جلت محاسن وصفها عن أن تشبه بالخمور
بكر اذا نطقت حكت
ما كان في قدم الدهور
كانت ولم يخطر وجو
د الكون في نفس الضمير

يهدي الى قلب الحزين حديثها روح السرور
قدسية الأوصاف مشرح وردها العذب النمير
يجلو العمى وينير بالايمان أوعية الصدور
فإذا انتشيت من المدام ومست في حلل الحبور

وأرتك أنوار الهدى
تجلي لدى نظر البصير
فاحلف بمن ظهرت خصا
ئص فضله يوم الغدير
وعلا على كتف النبي الصادق البر الطهور
وأباد عمراً بالحسا
م المقصل العضب الطرير
وشفى بقتلة مرحب
في خيبر قلب البشير
إن الندى المستنصري ندى يجل عن النظير

جود الخليقة لا يقا
يس بالحيا الهامي الغزير
في دولة أساسها
تعلو على الفلك الأثيري
أني وكيف وفضله القدسي من كرم وخير
ومواهب المنصور للاسلام كالحامي النصير
مولى يخاف سطاه قلب الباسل الأسد الهصور
فاسلم أمير المؤمنين من الردى حتى النشور
تبنى دعائمها برأي وليك المولى الوزير
الناصح البر الوفي
الصادق العف الضمير

أراد بالوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وزير المستنصر بالله الخليفة العباسي، وكان محباً لآل البيت عليهم السلام وقد توفي سنة ٦٤٢ ودفن في مشهد الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في تربة اتخذها لنفسه(١).

الميرزا احمد الاشتياني بن حسن:

ولد سنة ١٨٨٢م وتوفي سنة ١٩٧٥ في طهران ودفن في صحن روضة السيد عبد العظيم هو الابن الرابع والاصغر للفقيه الكبير الميرزا حسن الاشتياني. بعد دراسته للمقدمات تابع دراسته الفقهية على والده، وبعد وفاة والده (١٩٠١م) تتلمذ على جماعة من المشاهير كالسيد محمد اليزدي والميرزا هاشم الرشتي والحكيم الكرمانشاهي والحكيم الاشكوري.

ثم تولى تدريس الفلسفة والعلوم الشرعية في مدرسة سپهسالار، ثم هاجر الى النجف الاشرف لمتابعة دراسة العلوم الاسلامية، وفي الوقت نفسه كان يتولى تدريس الفلسفة.

وكان من اساتذته في النجف كل من الميرزا حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي.

وفي سنة ١٩٣١م عاد الى طهران متوليا تدريس الفقه والاصول والفلسفة، فضلا عن قيامه بالارشاد والتأليف.

ثم تولى الإشراف على مدرسة (مروي) التي كانت اكبر حوزة علمية في طهران، وظل على ادارتها حتى وفاته..

كان عابداً زاهداً تقياً ورعاً متواضعاً. وكان ينظم الشعر ويتخلص في شعره بـ(واله) وترك عدة مؤلفات بقي العديد منها مخطوطاً، ويبلغ عدد مؤلفاته وتعليقاته ورسائله ٦٢، واكثر من ٢٧ منها لم يطبع.

السيد أحمد فرديد

أستاذ الفلسفة والحكمة في جامعة طهران، تعلم في الجامعات الايرانية ونال شهادة الدكتوراه واستمر يدرس الفلسفة والحكمة المعنوية في الجامعات الايرانية سنين عديدة وحتى بعد أن أحيل الى التقاعد دُعي لتدريس الفلسفة في (نادي الفلسفة والحكمة) بطهران. كان يجيد عدة

(١) الدكتور مصطفى جواد.

لغات وهي العربية والعبرية واللاتينية والسانسكريتية والألمانية وغيرها.

توفي عام ١٤١٥ بطهران(١).

ابو علي احمد بن الأفضل بن بدر الجمالي:

قتل سنة ٥٢٦ في القاهرة، مرت كلمة عنه في موضعها من (الاعيان) ونزيد على ما هنالك ما يلي:

أمر هذا الرجل مضطرب في العقيدة المذهبية، واذا كنا نترجمه هنا فلا ليقيننا بأنه من شرط كتابنا، بل لأن قول ابن الاثير عنه (الكامل ج ١٠ ص ٧٢ ط بيروت ١٩٦٦) بأنه كان امامي المذهب، لا يمكن ان يهمل. وان كان ابن الاثير نفسه يقول وهو يتحدث عنه انه اسقط من الأذان: حي على خير العمل، فكيف يكون امامي المذهب ويسقط من الأذان حي على خير العمل.

وكذلك قال ابن الأثير انه اسقط من الدعاء اسم اسماعيل جد الفاطميين الذين اختلفوا في امامته مع (الامامية) الذين قالوا بامامة موسى الكاظم لا بامامة اسماعيل.

ولهذا قلنا إن امره مضطرب في العقيدة المذهبية، كما قلنا ان قول ابن الاثير بانه كان امامي المذهب، وكذلك قوله بانه اسقط اسم اسماعيل من الدعاء - إن قول ابن الاثير هذا لا يمكن ان يهمل، وكان علينا ان نترجمه هنا، تاركين للباحثين ان يحققوا ويغربلوا النصوص ويستقرئوا الأحداث لعلهم يصلون في مذهب احمد الجمالي الى حقائق لم نصل نحن اليها.

على انه لا بد لنا قبل التحدث عن المترجم نفسه، من التحدث عن احداث طويلة متباعدة الزمن، ولكن لا يمكن فهم احداث عصر المترجم قبل فهمها، ولأن الاحداث على تباعدها مترابطة كل الترابط، متصلة الحلقات، متشابكة الاسباب والعوامل.

وطريق الوصول الى سيرة ابي علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي لا بد من ان تمر بالسلاجقة والعباسيين والايوبيين وعلاقة هؤلاء جميعاً بالحروب الصليبية، ثم بما اطلقنا عليه اسم (الدولة الجمالية).

لذلك فاننا نبدأ أولاً بالحديث عن السلاجقة المرتبطة نهايتهم بالخليفة العباسي الناصر لدين الله، المرتبط استقلاله بالخلافة عن السلاجقة بصلاح الدين الايوبي، المرتبط أمره بالصليبيين واواخر الدولة الفاطمية وعلاقة ذلك بالمترجم احمد بن الافضل بن بدر الجمالي، فنقول:

في المحرم من سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) كان الملك السلجوقي طغرلبك يتحفز لاقتحام العراق والحلول محل البويهيين في السيطرة على حكم بغداد.

وكان قد اعلن انه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر والقضاء على الخلافة الفاطمية التي كان يمثلها يومذاك: (المستنصر).

وكان يمثل الحكم البويهي (الملك الرحيم ابو نصر بن ابي كاليجار).

ولا نريد هنا الدخول في تفاصيل الاحداث لأن ذلك ليس من موضوعنا، وانما نكتفي بالالمام بها الماماً يوصلنا الى ربط الاحداث بما يتعلق بموضوعنا.

(١) الشيخ محمد رضا الانصاري.

وتقدم طغرلبك عن طريق حلوان فالنهروان[1]، وفي يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ٤٤٧ (١٠٥٥م) كان خطب له في جوامع بغداد بطلب من الخليفة (القائم بأمر الله)، وذلك قبل ان يدخل بغداد، اذ انه دخلها يوم الاثنين لخمس بقين من الشهر.

وقد ثارت عليه بغداد. ومن العجيب ان البغداديين من غير الشيعة كانوا اصحاب هذه الثورة.

يقول ابن الأثير في تاريخه (ج ٩ ص ٦١١ ط١٩٦٦) وسمع الناس الصياح فظنوا ان الملك الرحيم (البويهي) وعسكره قد عزموا على قتال طغرلبك فارتج البلد من اقطاره، واقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغُز (جنود طغرلبك) من وُجد في محال بغداد. ويكمل ابن الاثير قوله: الا اهل الكرخ (الشيعة) فإنهم لم يتعرضوا الى الغز. بل جمعوهم وحفظوهم.

ثم يقول ابن الأثير: وبلغ السلطان طغرلبك ما فعله أهل الكرخ من حماية اصحابه فأمر بإحسان معاملتهم. فأرسل عميد الملك الوزير الى عدنان بن الرضي نقيب العلويين[2] يأمره بالحضور، فحضر، فشكره عن السلطان، وترك عنده خيلاً بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلة. وإن مما يثير الاهتمام هنا ان زوال الحكم البويهي وحلول الحكم السلجوقي محله لم يقابل من السنيين بالترحيب، ولا من الشيعة بالنقمة.

فلدى وقوع سوء تفاهم بسيط بين جندي سلجوقي وبين بغدادي ـ كما يذكر ابن الاثير ـ صاح العامة بهم (بالجنود السلاجقة) ورجموهم وهاجوا عليهم.

وهنا اعتقد الجمهور البغدادي السني ان الملك البويهي (الرحيم) قد عزم على الانقضاض على طغرلبك، فهب هذا الجمهور لنصرته، وانثال على الجنود السلاجقة يقتلهم حيث وجدهم.

في حين ان سكان الجانب الشيعي من بغداد وهو الكرخ لم يشاركوا في هذه الثورة على السلاجقة وملكهم طغرلبك. بل عمدوا الى تجميع الجنود السلاجقة عندهم وحفظوهم.

لا يستطيع المؤرخ المنصف ان يمر بهذا الامر مروراً عابراً فلا يثير انتباهه ولا ينفذ الى ما وراءه من معان كثيرة.

هذا يدل دلالة واضحة ان الحكم البويهي (الشيعي) لم يكن موضع استياء رعاياه السنيين، ولم يقابل منهم بالسخط، ولا قوبل زواله بالبهجة والاغتباط. بل ان الحال كان عكس ذلك تماماً. بدليل ان البغداديين السنيين قد استغلوا سوء التفاهم البسيط بين الجندي السلجوقي وبين احد البغداديين ليصيحوا بالسلاجقة ويرجموهم ويهيجوا عليهم.

وان الجمهور البغدادي السني بمجرد ان استنتج من هذا الصياح والهياج ان الملك البويهي (الرحيم) قد عزم على قتال طغرلبك، ارتج البلد بهم وأقبلوا من كل حدب ينسلون لنصرة الملك البويهي، واخذوا يقتلون جنود السلاجقة اينما رأوهم.

وفي هذا دلالة قاطعة على ان البويهيين الشيعة لم يكونوا منحازين لفريق على فريق، ولا محابين لاصحاب مذهب على اصحاب مذهب آخر، بل كانوا حكاماً عادلين، فكان السنيون اكثر الناس أسفاً لزوال حكمهم، لذلك هبوا للثورة على اعدائهم ونصرتهم فيما حسبوه مقاومة منهم لهؤلاء الاعداء.

اما الشيعة فلم يروا في زوال الحكم البويهي (الشيعي) خسراناً يجب الثورة على من سببه لأن هذا الحكم لم يكن يميزهم عن غيرهم في شيء، بل كان حكماً يتساوى فيه الناس وهم من بعض هؤلاء الناس. لذلك حموا الجنود السلاجقة، ولم يشاركوا في الثورة على طغرلبك.

وهذا يناقض كل المناقضة ما اعتاد بعض الناس على اثارته في كل مناسبة يذكر فيها البويهيون من عدم العدل في المعاملة بين رعاياهم المختلفي المذاهب. ثم يصف ابن الاثير ما جرى قائلاً (ص ٦١١ وما بعدها):

وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا، حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر الى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطاني (السلجوقي)، فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما ارادوا، لكن تخلفوا. ا هـ.

وهكذا نرى التصميم البغدادي السني على مقاومة الاحتلال السلجوقي، فالاحداث الاولى كانت مع الجنود السلاجقة الذين دخلوا بغداد قبل وصول طغرلبك اليها، اما الآن فانه التصميم على قتال الجيش السلجوقي ومنعه من دخول بغداد. وقد استطاع الثوار أن يقنعوا جماعة من عسكر الحكم بالانضمام اليهم، ولكن الملك الرحيم البويهي لم ينضم مع عسكره اليهم. وفي رأي ابن الأثير انه لو انضم الملك الرحيم مع قواته اليهم لأمكن صد السلاجقة عن دخول بغداد ولدام فيها الحكم البويهي.

وهنا لنا ان نتساءل عن السبب في عدم انضمام الملك البويهي الى الثائرين مع ما بدا من اندفاع البغداديين من تصميم على قتال السلاجقة؟!

ربما كان فيما يرويه الراوندي في (راحة الصدور) (ص ١٦٩) هو العامل على عدم مشاركة الملك البويهي في قتال الملك السلجوقي. فالراوندي يقول ان تفاهماً كان قد تم بين القائم بامر الله وبين الملك الرحيم على تسليم الأخير بالأمر الواقع والرضا بالدخول السلجوقي الى بغداد والتعاون معه على ان يخطب بعد الخليفة لكل من السلجوقي والبويهي على ان يبدأ باسم السلجوقي ثم البويهي.

وهذا الاتفاق لم يشر اليه ابن الأثير. فاذا صح امره يكون هو المانع للملك البويهي عن المشاركة في قتال السلاجقة، فقد اراد الملك الرحيم ان يحافظ على وعده في مصافاة طغرلبك.

وقع الصدام الدموي خارج بغداد بين الثائرين وبين جيش طغرلبك، ولم يلبث هذا الجيش ان تغلب على الثائرين بعد مقتلة عمت الفريقين، فانطلق الجيش السلجوقي ينهب ويسلب كل ما يمر به من متاجر ومنازل، فأخذ الناهبون من الاموال ما لا يحصى ـ على تعبير ابن الاثير ـ

ثم يقول ابن الاثير: واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف وتعطلت الجمعات. هذا في بغداد نفسها. اما في غير بغداد فيقول ابن الأثير (ص ٦١٣):

وانتشر الغز السلجوقية في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من

---

(١) النهروان بلدة اندرست وكانت على صدر نهر النهروان جنوبي بغداد.

(٢) هو ابو احمد عدنان بن الشريف الرضي ولي النقابة بعد وفاة عمه الشريف المرتضى سنة ٤٣٦ واستمر حتى توفي ببغداد سنة ٤٤٩.

تكريت الى النيل. ومن الشرقي الى النهروان واسافل الاعمال، واسرفوا في النهب، حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط الى عشرة، والحمار بقيراطين الى خمسة، وخرب السواد وأجلي اهله عنه.

وحين نعود الى الخريطة العراقية ونرى المدى الواسع التي تشمله المنطقة التي حددها ابن الأثير وسماها سواد بغداد وقال انها نهبت وخربت واجلي عنها اهلها ـ حين نعود الى الخريطة العراقية نرى عظم المحنة التي حلت بالعراق باستيلاء السلاجقة عليه، وما فعلوه في تلك المناطق الممتدة من تكريت في الشمال الى الحلة في الجنوب. ومما يدل على استمرار الظلم على الناس دون انقطاع، قول ابن الاثير وهو يتحدث عن احداث سنة ٤٤٨ في بغداد: طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد وعمّ الخلق ضرر عسكره وضاقت عليهم مساكنهم، فان العساكر نزلوا فيها وغلبوهم على اقواتهم وارتكبوا منهم كل محظور (ص ٦٢٦). مع العلم ان الاحداث الاولى كانت سنة ٤٤٧.

ثم يتحدث ابن الاثير عن اضطرار طغرلبك لمغادرة بغداد مع بعض قواته لمهمة عسكرية: «فلما بلغوا أوانا نهبها العسكر ونهبوا عكبرا وغيرها.

واذا كان شيعة الكرخ لم يشتركوا في الثورة على طغرلبك السلجوقي بل حافظوا على جنوده وحموهم من القتل، فأمر طغرلبك بإحسان معاملتهم، وشكرهم على ما فعلوه. ـ فقد كان ذلك الى حين، اذ لم يلبث ان تدخل في شؤونهم العقائدية، وارغمهم على فعل ما لا يرون فعله. يقول ابن الاثير وهو يتحدث عن استباب الامر لطغرلبك في بغداد، وعما بدأ يتخذه من اجراءات جديدة، يقول: «وأمر اهل الكرخ ان يؤذنوا في مساجدهم سحراً: الصلاة خير من النوم».

ثم زاد على ذلك بعد ذلك بإحراق مكتبة الشيعة التي انشأها ابو نصر سابور وزير بهاء الدولة البويهي وكانت من دور العلم المهمة في بغداد، بناها هذا الوزير الاديب في محلة الكرخ سنة ٣٨١ وقد جمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف اهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد علي في خطط الشام ـ ونافت كتبها على عشرة آلاف كتاب من جلائل الآثار ومهام الاسفار، واكثرها نسخ الاصل بخطوط المؤلفين.

قال ياقوت الحموي (معجم البلدان ج ٢): وبها كانت خزانة الكتب التي اوقفها الوزير ابو نصر ـ سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة. الى آخر ما قال... وكان من جملتها مئة مصحف بخط ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير (ج ١٠).

وحيث كان الوزير سابور من اهل الفضل والادب أخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكتبة من اغنى دور الكتب ببغداد.

وقد أحرقت هذه المكتبة فيما أحرق من محال الكرخ عند مجيء طغرلبك. وتوسعت الفتنة حتى اتجهت الى العالم الكبير ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الشهير بالشيخ الطوسي فأحرقوا كتبه وكرسيه الذي يجلس عليه للتدريس.

يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨: وهرب ابو جعفر الطوسي ونهبت داره. ثم قال في حوادث سنة ٤٤٩: وفي صفر من هذه السنة كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام وأخرج الى الكرخ واضيف اليه ثلاث سناجق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فاحرق الجميع يقول (فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد) في كتابه (تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ص ٤٥٥ تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ط ١٩٨١):

لم يكن بوسع السلاجقة ان يشبهوا تماماً بالسامانيين والغزنويين لأنهم ظلوا حتى آخر أيامهم غريبين على أي ضرب من المدنية. هذا وقد وصلت الينا معلومات غاية في الثقة تؤكد انه حتى السلطان سنجر آخر السلاجقة الكبار كان أمياً، وليس هناك ما يحملنا على الافتراض بأن اسلافه كانوا اكثر ثقافة منه (انتهى).

ونقول: ما داموا كذلك، وما دام لا يمكن تشبيههم لا بالسامانيين ولا بالغزنويين، فكيف بهم امام اسلافهم البويهيين؟!

مصير آخر الملوك البويهيين

ثم مصير آخر الملوك السلاجقة

قبض طغرلبك على الملك الرحيم وارسله مقيداً الى قلعة (السيروان) ثم نقله الى قلعة (الري) فتوفي فيها سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م).

وهكذا تمت السيطرة للسلاجقة بقيادة طغرلبك على بغداد وحلوا فيها محل البويهيين.

ولكن ما أمّله الخليفة العباسي (القائم بامر الله) بتشجيعه طغرلبك على التحرك نحو بغداد، ودعوته له الى الوصول اليها. ـ ان ما أمّله في ذلك من التخلص من سيطرة الآخرين على الخلافة، وتحكمهم في البلاد دون الخليفة لم يتحقق فقد أحكم السلاجقة منذ اول ملوكهم في بغداد طغرلبك حتى آخر ملوكهم فيها طغرل الثالث ـ أحكموا قبضتهم على الحكم وعبثوا بالخلافة والخلفاء ولم يتركوا لهم اي نفوذ، مما لا مجال لتفصيله هنا.

وكل ما نقوله ان الامر ظل هكذا حتى تولي الناصر لدين الله الخلافة بعد وفاة والده المستضيء بأمر الله سنة ٥٧٥هـ (١١٧٩م). فقد استطاع هذا الخليفة القضاء على الملك السلجوقي طغرل الثالث بتحريض الخوارزميين عليه وامدادهم بالجنود واطماعهم بتملك البلاد. فساروا اليه والتقى جيشهم بجيشه سنة ٥٩٠هـ (١١٩٣م) فدارت الدائرة عليه وقتل في المعركة وارسل الخوارزميون رأسه الى الخليفة (الناصر).

وبذلك استقل الناصر بالخلافة، ولما حاول الخوارزميون الحلول محل السلاجقة في بغداد رفض الناصر ذلك فارسلوا جيشا للاستيلاء على بغداد ففشل الجيش في تفاصيل ليس ذكرها من موضوعنا.

صلاح الدين الايوبي والناصر العباسي:

كان المقال التالي رداً على ما نشر في بعض الصحف:

اردنا في بادىء الامر ان نترك المحتفلين بتاريخ صلاح الدين الايوبي ـ المحتفلين بذلك دون اية مناسبة ـ اردنا ان نتركهم وشأنهم ولا نعرض بشيء مما افاضوا فيه انشغالا منا بالحاضر المحزن عن الماضي المشجي.

اردنا ان نتركهم وشأنهم، ولكنهم لم يتركونا وشأننا، فصب احدهم الدكتور فهمي سعد جام غضبه علينا صاخبا شاتما متهما، ملقيا كلاما، مجرد كلام فارغ من اي محتوى تاريخي علمي وثائقي، حاسبا ان

التهويل بالتعابير المدوية يمكن ان يطمس الحقائق ويلغي الوقائع

يقول الدكتور فهمي سعيد في تقديمه للمحاضرين عن صلاح الدين في المركز الثقافي للبحوث والتوثيق في صيدا - يقول فيما يقول وهو بعض ما نشر في «نهار» يوم السبت ٩٣/٣/١٠:

«واصحاب الرأي الذي يميل الى الغض من انجازاته (صلاح الدين) جهدوا في اضفاء الطابع العلمي على ملاحظاتهم، لكن الباحث والمؤرخ المحايد سرعان ما يكتشف اغراضا ذاتية بعيدة المرامي».

بهذا القول العنيف واجه الدكتور سعد من لا يرون رأيه، وبهذه الصفة النكراء عرض لهم. ولما كنا نحن لا نميل الى الغض من منجزات صلاح الدين فقط، ونرى ان وصفنا بهذا الوصف هو قليل في حقنا وخفيف في امرنا، لان حالنا ليس حال (ميل)، بل هي حال توغل واقتحام، واقوالنا ليست غضا، بل هي تجريح واتهام، وما نكتبه ليس ملاحظات بل هو ضربات.

لذلك نرى اننا لسنا مشمولين بمن عناهم الدكتور سعد فقط، بل نحن فيمن يمكن ان ينالهم من حممه ما هو اغلظ واعتى، ويطولهم من لسانه ما هو افظ واقسى.

ومن هنا كان علينا ان نواجه الدكتور سعد لا باتهامه (بالاغراض الذاتية البعيدة المرامي) فحسب، بل بالحقائق الناصعة والبراهين القاطعة والحجج الرادعة فنقول:

اذا كان للدكتور فهمي سعد ان يجبه احدا، واذا كان له ان يعنف بالقول فلسنا نحن الذين عليه ان يجبههم ويعنف عليهم، بل هم المؤرخون الاقدمون الذين لم تطاوعهم اقلامهم للسكوت على ما جرى. واننا لنقدم للدكتور سعد نموذجا منهم هو عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة صاحب (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) النورية والصلاحية.

هذا الكتاب الذي الفه صاحبه للاشادة بنور الدين وصلاح الدين، وملأ صفحاته بما ملأها من المفاخر المدعاة لصلاح الدين، والمطاعن المزعومة لاعداء صلاح الدين.

هذا الكتاب ابى الله وابى التاريخ الصحيح الا ان ينطق صاحبه بما كان يود ان لا ينطق به، فاذا به يسجل ما يمحو كل ما حاول ان يعده حسنات، ذلك دون ان يدرك خطورة ما سجل، لأنه في غمرة انبهاره بما يكتب عميت بصيرته عن ادراك هول ما سجل:

يقول ابو شامة في الصفحة ٥٨١ وما يليها من الجزء الاول - القسم الثاني من كتابه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٦٢ ما نصه:

«وكان نور الدين قد شرع بتجهيز السير الى مصر لاخذها من صلاح الدين لانه رأى منه فتورا في غزو الفرنج من ناحيته، فأرسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج، ليسير هو بعساكره الى مصر. وكان المانع لصلاح الدين من الغزو الخوف من نور الدين، فانه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج اخذ البلاد منه، فكان يحتمي بهم عليه ولا يؤثر استئصالهم، وكان نور الدين لا يرى الا الجد في غزوهم بجهده وطاقته، فلما رأى اخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه تجهز بالسير اليه، فأتاه امر الله الذي لا يرى» (انتهى).

ومثل هذا القول قال ابن الاثير.

على ان ابن العديم وهو ممن الفوا في تمجيد صلاح الدين يتوسع في ذكر ذلك فيقول في الجزء الثاني من كتابه:

«سار الملك الناصر (صلاح الدين) من مصر غازيا فنازل حصن الشوبك وحصره، فطلبوا الامان واستمهلوه عشرة ايام، فلما سمع نور الدين بذلك سار من دمشق ليدخل بلاد الافرنج من الجهة الاخرى، فقيل للملك الناصر (صلاح الدين): ان دخل نور الدين من جانب وانت من هذا الجانب ملك بلاد الافرنج فلا يبقى لك معه بديار مصر مقام، وان جاء وانت ها هنا فلا بد من الاجتماع به ويبقى هو المتحكم فيك بما يشاء. والمصلحة الرجوع الى مصر، فرحل عن الشوبك الى مصر».

وكرر ابن العديم الرواية في مقام اخر قائلاً:

«واتفق نور الدين وصلاح الدين على ان يصل كل منهما من جهة وتواعدا على يوم معلوم ان يتفقا على قتال الفرنج، وايهما سبق اقام للاخر منتظرا الى ان يقدم عليه، فسبق صلاح الدين ووصل الكرك فحصره. وسار نور الدين فوصل الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان، فخاف صلاح الدين واتفق رأيه ورأي اهله على العودة الى مصر، (انتهى).

ويمكن تلخيص الموقف بما يلي:

كانت خطة نور الدين فتح جبهتين على الصليبيين: جبهة مصر بقيادة صلاح الدين، وجبهة الشام بقيادة نور الدين، وحصر الصليبيين بين الجبهتين، وبذلك يتم القضاء عليهم.

ويبدو جليا ان صلاح الدين لم يتوقع النصر السريع على الصليبيين لذلك زحف متجها الى الكرك، فلما بدت طلائع النصر نكص على عقبيه، فاضطر نور الدين للرجوع.

اما لماذا فعل صلاح الدين ذلك؟ فلانه يريد ان يستقل بحكم مصر، فاذا زال الصليبيون توحدت مصر والشام وصار هو تابعا لنور الدين.

لذلك آثر ان (يحتمي بالصليبيين). نعم يحتمي بهم - كما نص على ذلك - ابو شامة وابن الاثير وغيرهما، - آثر صلاح الدين ان يحتمي بالصليبيين، وفضل بقاءهم محتلين للبلاد، فاصلين بين مصر والشام، - فضل ذلك على هزيمتهم وتوحيد البلدين.

ولم يقدم على حربهم الا بعد موت نور الدين وضمان بقائه مستقلا بالحكم.

وانتصر في حطين وتحررت القدس. ولكن هل كانت معركة حطين حاسمة فانتهت بجلاء الصليبيين عن بلاد الشام وعودهم من حيث اتوا؟

ابدا لم تكن كذلك فالصليبيون محتلون للبلاد ويتحكمون فيها.

في هذا الوقت كان الخليفة العباسي (الناصر) (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) تمكن من التخلص من تسلط السلاجقة على الخلافة وتحكمهم في امورها، واستقل في رقعة كبيرة من البلاد العربية والاسلامية تشمل العراق وقسما من ايران وتركيا والف فيها جيشا قويا، فاتجهت انظاره للمعاونة في انقاذ البلاد الشامية من الاحتلال الصليبي بجيشه القوي. وكان لا بد له من استئذان صلاح الدين في ذلك.

ولكن صلاح الدين الذي احتمى بالصليبيين من نور الدين راح

يحتمي بهم الآن من الخليفة (الناصر) فرد على استئذان الخليفة له بالتحالف معه على الصليبيين - رد على ذلك برفض طلب الخليفة.

ونحن لا نريد ان نستشهد على اقوالنا الا بشهادات عملاء صلاح الدين انفسهم الذين ابى الله وأبى التاريخ الصحيح الا ان ينطقهم بالحق رغما عنهم.

ذكر ما قلناه عن طلب الخليفة الناصر التحالف مع صلاح الدين على الافرنج، ورفض صلاح الدين ذلك - ذكر هذه الواقعة مؤرخ من اقرب الناس الى صلاح الدين حتى كان بمثابة (سكرتير) شخصي له، هو عماد الدين الاصفهاني صاحب كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي). ذكر ذلك في الصفحة ١٧٦ من طبعة مطبعة الاتحاد بالقاهرة.

تعلل صلاح الدين في رفضه بأن قواد جيشه غير موافقين على ذلك لانهم ملوا الحرب.

وهنا لا بد لي من تبيان حقيقة جيش الخليفة العباسي وانه كان يمكنه الحاق الهزيمة بالصليبيين واخراجهم من البلاد، بدل ان يظلوا محتلين لها مئة سنة بعد ذلك، مع عودة القدس اليهم بسبب تصرفات صلاح الدين نفسه كما سنرى.

بدىء ببنيان هذا الجيش في عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ - ٥٢٩هـ) حتى بلغ تعداد المقيم منه في بغداد في عهد (الناصر) ١٥٠ الفا. خاض هذا الجيش معارك كثيرة خلال (٤٧) سنة هي مدة خلافة الناصر اسقط فيها دولا وانشأ دولا واحتل مدنا واغاث امارات وممالك وولايات، ما ليس هنا مكان تفصيله.

وصف الشاعر ابن البنية هذا الجيش بقوله:

ملك اذا انتظمت صفوف جيوشه
ايقنت ان البر بحر مزبد
انفت صوارمه الجفون فأصبحت
بالنصر في قمم الخوارج تغمد

رفض صلاح الدين طلب الخليفة (الناصر) انجاده بجيش الخلافة القوي، الكفيل بهزيمة الصليبيين واخراجهم من بلاد الشام. رفض ذلك لان انتصار هذا الجيش سيوحد البلاد العربية بانضمام ما يسيطر عليه صلاح الدين منها الى ما تسيطر عليه الخلافة في العراق واطراف البلاد الاخرى.

كان ما يسيطر عليه صلاح الدين يشمل بلاد الشام (سوريا وفلسطين ولبنن والاردن) امتعداد الى جبال طورس، ويشمل مصر واليمن. وبانضمام هذه الاقطار الى حكومة بغداد تقوم الدولة العربية الكبرى برعاية الخلافة الاسلامية المرتبط بها العالم الاسلامي كله ارتباطا معنويا حتى في حالة ضعفها. اما حين تكون بهذه القوة فان ارتباط هذا العالم بها يكون الارتباط المتماسك المتضامن الطيع.

رفض صلاح الدين ذلك لان قيام هذا الكيان المترامي الاطراف يجعل منه واليا من ولاته وتابعا من تابعيه، وهو يريد الانفراد بالسلطنة، ولو في رقعة محدودة.

وخوفا من ان يصر الخليفة على ارسال جيشه بادر صلاح الدين الى التحالف مع الصليبيين وتوحيد جيوشه مع جيوشهم لصد جيش الخلافة اذا تقدم الى بلاد الشام. ورأى الصليبيون حاجة صلاح الدين اليهم فأخذوا يشتطون في شروطهم لعقد هذا التحالف.

وكان اهم ما في شروطهم اعادة فلسطين اليهم واسترجاعهم لكل ما اخذه منهم صلاح الدين فيها من مدن، فخضع صلاح الدين لشروطهم وسلم لهم بكل ما طلبوا، مستثنيا القدس لان احتفاظه بها سيديم النشوة التي عرت المسلمين باسترجاعها فيغطي ذلك على استسلامه للصليبيين فلا يدرك المسلمون في فرحتهم حقيقة ما يجري حولهم.

قلنا فيما تقدم اننا لا نقدم شهودا على صلاح الدين الا من اهل صلاح الدين، ممن لم يستطيعوا الا ان يدونوا بعض الحقائق، على ان تدوين هذا (البعض) كشف (الكل).

فهذا ابن شداد صاحب كتاب (الاعلاق الخطيرة في امراء الشام والجزيرة) الذي هو ربيب صلاح الدين واحد رجال بلاطه وصاحب المنصب القضائي في حكومته يعدد لنا المدن التي اعادها صلاح الدين للصليبيين. عندما حالفهم على خليفة المسلمين. وكل ما استطاع ابن شداد ان يخدم به صلاح الدين هو انه كان يسمي ذلك التحالف (مهادنة).

يقول ابن شداد وهو يتحدث عن مدينة حيفا في الصفحة (١٧٧ - ١٧٨).

«لم تزل في ايدي الفرنج الى ان فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ثلاث وثمانين فلم تزل في يده الى ان نزل عنها للفرنج فيما نزل عنه لهم في المهادنة التي وقعت بينه وبينهم، وذلك سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ولم تزل في ايديهم».

وقال وهو يتحدث عن مدينة يافا في الصفحة (٢٥٦): ولم تزل في ايديهم (الفرنج) الى ان فتحها عنوة الملك الناصر صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة على يد اخيه العادل وخربها وبقيت خرابا الى ان تقررت الهدنة بين الملك الناصر (صلاح الدين) وبين الفرنج وشرطوا عليه ابقاءها في ايديهم».

وهكذا يقول ابن شداد عن غير حيفا ويافا من المدن الفلسطينية.

على ان من اخطر ما ذكره ابن شداد هو ان الصليبيين كانوا يملون شروطهم، وصلاح الدين يخضع لتلك الشروط، وهذا ما ذكره صراحة في حديثه عن يافا.

كان الصليبيون يملون الشروط على صلاح الدين لعلمهم بحاجته اليهم في الاعداد معهم لحرب الخليفة اذا عزم على التوجه الى فلسطين، وكان صلاح الدين يخضع لتلك الشروط ليتسنى له الاستناد الى الصليبيين في حربه المتوقعة على ان رفض صلاح الدين قبول نجدة الناصر، وما بلغ الناصر من عزم صلاح الدين على قتال جيوشه في تقدمها الى فلسطين حال بين الناصر وبين تنفيذ ما عزم عليه، فلم يكن ليقدم على الاشتباك في حرب اهلية بين المسلمين.

وصلاح الدين الذي تعلل في رفض طلب الناصر انجاده لانقاذ بلاد الشام من الصليبيين - تعلل بأن قواد جيشه ملوا الحرب فهم لا يريدون حربا جديدة مع الصليبيين. ان صلاح الدين هذا بعد ان سلم للصليبيين بكل ما طلبوا التسليم به واطمأن الى تحالفه معهم، عاد يفكر في الحروب لا مع الصليبيين - بل مع المسلمين.

اعاد فلسطين الى الصليبيين ورفض انجاد الجيش العراقي له، فعاد

يفتش عن مكان آخر يقاتل فيه، لان انقاذ الوطن الاسلامي من الصليبيين يحد من نفوذه ويقلل من هيمنته. اما القتال في مناطق أخرى فانه يزيد من نفوذه ويكثر من هيمنته، فاذا ضمن ذلك فليبق الصليبيون في بلاد الشام.

ولو ان المناطق الاخرى التي عزم على القتال فيها هي مناطق اجنبية يريد ادخالها ضمن المناطق الاسلامية، لهان الامر. ولكن صلاح الدين الذي سالم الصليبيين وتحالف معهم واعاد لهم ما كان اخذه منهم، صلاح الدين هذا عاد يخطط لغزو البلاد الاسلامية وسفك دماء المسلمين تحقيقا لمطامحه الشخصية. ترك الصليبيين في امان واتجه لترويع المسلمين الآمنين، ولكن الله الرحمن الرحيم انقذهم منه، ونجاهم من السيوف التي اعدها لذبحهم توسيعا لملكه ومدا لسلطانه.

قال ابن الاثير وهو يتحدث عن وفاة صلاح الدين:

«وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل، وقال لقد تفرغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل، فأي جهة نقصد، فأشار عليه اخوه العادل بقصد (خلاط) لانه كان قد وعده بأنه اذا اخذها ان يسلمها اليه. واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم (الاناضول) التي بيد اولاد قلج ارسلان، وهى بلاد اسلامية».

يقول صلاح الدين: تفرغنا من الفرنج، وليته كان تفرغ منهم باستئصالهم مستعينا عليهم بجيش الخليفة.

ولكن تفرغ منهم بالتحالف معهم على ذلك الجيش.

تفرغ منهم بذلك وراح يحاول الانشغال عنهم بالمسلمين، ونسي ما قاله من ان قواد جيشه ملوا الحرب.

اعتبر البلاد التي استولى عليها ملكا شخصيا له يتملكها كما يتملك المزارع والقرى، لذلك قسمها بين اخوته واولاده كما يقسم اي مالك املاكه بين ورثته، فاعطى مصر لولده العزيز عماد الدين ابي الفتح، ودمشق وما حولها لولده الافضل نور الدين علي وهو اكبر اولاده، وحلب وما اليها لولده الظاهر غازي غياث الدين، والكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الفرات لاخيه العادل، وحماه ومعاملة اخرى معها لابن اخيه الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر، وحمص والرحبة وغيرها لاسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن اسد الدين شيركوه الكبير نجم الدين اخي ابيه نجم الدين ايوب، واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه لاخيه ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب، وبعلبك واعمالها للأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه، وبصرى واعمالها للظافر بن الناصر. واستقل كل واحد منهم بما في يده.

وهكذا تمزقت البلاد وانفصمت وحدتها، وعادت مزقا يصارع بعضها بعضا. وقام الورثة يتنازعون فيما بينهم ويستنصر بعضهم بالصليبيين على البعض الآخر. ففي سنة ٦٣٨ سلم الصالح اسماعيل صاحب دمشق للصليبيين صيدا (بلد الدكتور فهمي سعد) سلم صيدا وهونين وتبنين والشقيف للصليبيين فيما سلمهم من البلاد، سلمهم ذلك كله ليساعدوه على ابن اخيه الصالح ايوب صاحب مصر.

وفي سنة ٦٢٥هـ (شباط سنة ١٢٢٩م) سلم الكامل والاشرف ولدا العادل اخي صلاح الدين ـ سلما القدس وما حولها للملك الصليبي فريدريك الثاني وسلماه معها الناصرة وبيت لحم وطريقا يصل القدس وعكا.

ويصف ابن الاثير وقع هذه الرزية على العالم الاسلامي بقوله: «واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه».

هذا ما ادى اليه تمزيق صلاح الدين للبلاد وتوريثها لاسرته قطعا قطعا. واذا كان المسلمون يومذاك استعظموا هذا الامر ووجدوا ما وجدوا فيه من الوهن والتألم، فان الدكتور فهمي سعد وجد فيه اليوم مجالا للتفاخر والتمجيد.

يتهمنا الدكتور فهمي سعد بأن لنا اغراضا ذاتية بعيدة المرمى في غضنا من صلاح الدين.

اما ان لنا في ذلك اغراضا بعيدة المرمى فصحيح: ذلك اننا نريد رفع الزيف عن تاريخنا، وهو غرض بعيد المرمى حقا.

واما (الذاتية)، فاننا نقول للدكتور فهمي سعد ولامثاله: ليت اغراضكم كانت ذاتية فقط، اذن لهان الامر... واما نعتنا بأننا جهدنا في اضفاء الطابع العلمي على ملاحظاتنا، فان ذلك مما يشرفنا ونعترف به، وهو سبيلنا دائما فيما ندون.

اما هو فليس باحثا ولا مؤرخا ولا محايدا ـ كما ادعى لنفسه ـ بل كان شتاما للباحثين المؤرخين المحايدين (انتهى).

هل كانت هناك خلافة فاطمية؟

عند مداهمة الخطر الصليبي للعالم الاسلامي لم تكن هناك خلافة فاطمية في مصر، بل كان المسيطرون على الحكم من تغلبوا على الخلفاء وحجبوهم داخل قصورهم لا يملكون من الامر شيئاً حتى في شؤونهم الخاصة لقد انتهت سلطة الفاطميين على مصر قبل وصول الصليبيين الى اطراف العالم الاسلامي لا سيما بلاد الشام بربع قرن.

فان بدر الجمالي انهى سلطة الخليفة الفاطمي المستنصر وسيطر على الدولة سنة ٤٦٦هـ وكان ابتداء وصول الصليبيين سنة ٤٩٠ وسقطت انطاكية في ايديهم سنة ٤٩١.

ويقول ابن الاثير عن سيطرة بدر: فلما كانت سنة ست وستين واربعمائة ولي الامر بمصر بدر الجمالي امير الجيوش وقتل المركز والوزير وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى ان مات، وولي ابنه الافضل (الصفحة ٨٧ من الجزء العاشر طبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٦).

ويقول عن موته في احداث سنة ٤٨٧: توفي امير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة، وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه.

ثم يقول: ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر (الصفحة ٢٣٥ من الجزء العاشر. طبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٦) على ان بدراً الجمالي لم يكتف بانهاء سلطة الخلافة الفاطمية والسيطرة على البلاد سيطرة كاملة تنتهي بموته، بل تعدى الامر الى ما يمكن ان نسميه انشاء اسرة مالكة جديدة اذا لم تحمل اسم الخلافة لاستحالة ذلك عليها، فقد كان لها جميع مظاهر وحقائق الاسرة المالكة من سلطة مطلقة واقامة ولاية عهد، فحين مات بدر الجمالي تولى بعده ابنه وولي عهده الأفضل الملقب: شاهنشاه.

والمقريزي حين يتحدث عنه في خططه يقر هذه الحقيقة فيقول في ذلك: «فاستناب ولده شاهنشاه وجعله ولي عهده، والصفحة ٣٨٢ من طبعة مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ).

ولنلاحظ تلقيبه باللقب الملكي شاهنشاه. ثم يواصل المقريزي الحديث عنه قائلاً: «وقد تحكم في مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور».

ويقول: «وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر».

ويقول عن انهاء سلطة المستنصر والخلافة الفاطمية وقيام السلطة الجديدة سلطة بدر الجمالي: وكان من قدوم امير الجيوش بدر الجمالي في سنه ست وستين واربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر ابواب القاهرة، فلم يزل المستنصر مدة امير الجيوش ملجماً عن التصرف الى ان مات سنة سبع وثمانين.

ثم يقول عن الافضل بن بدر الجمالي: فلما مات المستنصر اقام الافضل ابن امير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه المستعلي بالله ابا القاسم احمد (الصفحة ٣٥٦ من الجزء الاول ولم يذكر تاريخ الطبع، نشر مكتبة الثقافة الدينية).

وهكذا نرى ان الافضل بن بدر الجمالي هو الذي اختار الخليفة واقامه مقام ابيه لأنه هو الحاكم المسيطر.

واذا كان بدر وابنه الأفضل لم يعلنا الغاء الخلافة نظرياً في حين انهما الغياها عملياً، فلأنهما كانا يريدان غطاء شرعياً لحكمهما يبرران به تسلطهما، وكان وجود الخليفة الشكلي هو الغطاء المطلوب.

ثم يقول المقريزي: ولم يكن للمستعلي مع الأفضل امر ولا نهي ولا نفوذ كلمة. (الصفحة ٣٥٧ من الجزء نفسه).

وفي عهد المستعلي هذا الذي لم يكن له امر ولا نهي ولا نفوذ كلمة تقدم الصليبيون الى البلاد الاسلامية واحتلوا القدس.

وكان صاحب الامر والنهي ونفوذ الكلمة هو الافضل، اذن فلماذا تنسب أحداث تلك الفترة الى الفاطميين وخلافتهم؟

انها يجب ان تنسب الى اصحاب الامر والنهي ونفوذ الكلمة، وهم غير الفاطميين.

لا نقول هذا لاننا نرى في تصرف الافضل تقصيراً وضعفاً، او شيئا مما يؤاخذ عليه في موقفه من الصليبيين.

بل على العكس من ذلك نرى انه قام بكل ما يستطيع القيام به في دفع الصليبيين عن الوطن الاسلامي. ووقف في وجههم بحزم وصلابة. فحاول اول الامر دفعهم سلماً، بالمفاوضات كما نقول اليوم، ولما لم ينجح في ذلك قاتلتهم جيوشه اشد قتال وظلت تقاتل دفاعاً عن القدس سبعة أسابيع. واذا كان الصليبيون قد تغلبوا عليها فقد تغلبوا على غيرها ممن هم اقوى منها.

هل قصّر الأفضل بن بدر الجمالي؟

ومع ذلك اننا نتسائل هل فرّط الأفضل بن بدر الجمالي حاكم مصر الفعلي في أمر مقاومة الصليبيين؟

إننا نقول: لا، لم يفرّط، بل كان موقفه موقف المتفاني في مقاومتهم، بالوسائل السلمية أولاً، هذه الوسائل التي رأى فيها محاولة يائسة لايقاف زحفهم، ومع ذلك أقدم عليها، فلما لم تنجح ساق الجيوش لقتالهم، واذا كانوا استطاعوا التغلب على جيوشه، فقد تغلّبوا من قبل على جيوش غيره من المسلمين. فلماذا الحديث عن الفاطميين وحدهم وعن الافضل بن بدر الجمالي وحده؟

أما الوسائل السلمية التي حاولها بدر الجمالي بعد سقوط أنطاكية وانهزام كربوقا السلجوقي وقواده بدون قتال ـ كما سيأتي ـ وظهور الخطر الصليبي على أقوى صوره، وتهديد هذا الخطر للقدس وما في الطريق اليها من بلاد، اما هذه الوسائل فقد اوضحها الدكتور محمد جمال الدين سرور في كتابه (النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، الصفحة ٦٧).

قال الدكتور سرور: «لما وصل الى الحكومة الفاطمية في مصر نبأ هجوم الصليبيين على انطاكية رأت ان تبذل جهدها لمنع زحفهم على بيت المقدس، فأنفذ الوزير الافضل بن بدر الجمالي سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٨م) سفارة الى الصليبيين للتفاوض في عقد اتفاق معهم يتضمن أن يتفردوا بأنطاكية وأن تستقل مصر ببيت المقدس على ان يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية على ان لا تزيد مدة اقامتهم بها عن شهر واحد، والا يدخلوها بسيوفهم. (انتهى).

ومن هذا يتبيّن ان الأفضل بن بدر الجمالي لما رأى سقوط انطاكية وانهزام قوى كربوقا أيقن أنّه لم يبقَ في طريق الصليبيين قوى اسلامية تستطيع التغلّب عليهم والحؤول بينهم وبين الوصول الى القدس، فحاول أن يقنعهم بالوقوف عند انطاكية على ان تكون لهم حرية زيارة القدس أفراداً غير مسلحين وان يغادرها من يزورها منهم في مدة أقصاها شهر.

وأحسب ان هذا اقصى ما كان يستطيع ان يفعله الافضل من اجل القدس يومذاك، فأين هو موضع التجريح بهذا الرجل؟

ولما فشلت محاولته السلمية لايقاف الصليبيين عند انطاكية استعد لحربهم، مع علمه بقوتهم وضعف قوته امام حشودهم اللجبة، فقام واليه على القدس بتسميم الآبار وطم القنوات لئلا يستفيدوا من مائها، وأخرج النصارى من المدينة وعهد بحراسة الاسواق الى جماعة من العرب والسودان. ويقول الدكتور حسن حبشي في كتابه (الحروب الصليبية) فيما يقول عن جيش الأفضل بن بدر الجمالي المدافع عن القدس: «وأدرك الصليبيون انهم واجهوا هذه المرة خصماً يرى ان في ضياع بيت المقدس ضياعاً لهيبته السياسية وانتهاكاً لحرماته الدينية».

ثم يصف الدفاع البطولي عن القدس قائلاً: «شرع الصليبيون في الهجوم مساء الأربعاء ١٣ يوليو ١٠٩٩م (٤٩٢هـ). ووجدوا من الحاميات الاسلامية الفاطمية دفاعاً قوياً رغم ما استعدوا به من آلات الحصار والأبراج المتحركة، وأخذت حامية المدينة ترميهم بالنار الأغريقية». واستمرت المعارك على هذا المنوال العنيف سبعة أسابيع من ٧ يونيو الى ١٥ يوليو ١٠٩٩م.

وبعد سقوط القدس واصل الأفضل قتالهم، وقاد حملة لاسترداد القدس في رمضان سنة ٤٩٢هـ (آب ١٠٩٩م) وصل بها الى عسقلان، فلما بلغت أخبارها الى (جود فروي) في القدس ارسل على عجل رسولاً

الى تنكريد الذي كان في نابلس يستدعيه هو والقوات التي معه للمشاركة في دفع الخطر الداهم، كما استدعى بقية الأمراء الذين ساهموا في فتح بيت المقدس يطلب اليهم الانضمام اليه للدفاع عن القبر المقدس هذه المرة، ولم يتخلّف منهم احد، على الرغم مما كان قائماً بينهم من خلاف يومذاك. وهكذا وحّد الخطر (الفاطمي) ـ اذا اردنا ان نأخذ بتسمية المؤرخين ـ بين جميع القوى الصليبية فتحشدت بأقصى ما تستطيع من تحشد، ففشلت معركة استرداد القدس في تفاصيل ليس هنا مكان الخوض فيها.

لم يستسلم بدر الجمالي بعد سقوط القدس للامر الواقع ـ كما رأينا ـ بل ظل يقاتل الصليبيين ما وسعه القتال.

يقول المقريزي في خططه وهو يتحدث عن الأفضل: «وفي سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الأفضل بالعساكر وسار الى عسقلان، فسار اليه الفرنج فقاتلوه وقتلوا كثيراً من اصحابه وغنموا منه شيئا كثيراً و حصروه فنجا بنفسه في البحر وسار الى القاهرة».

ويقول المقريزي ايضاً: وفي سنة اربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة ويقول ابن الأثير (ج ١٠ ص ٣٩٤ طبعة ١٩٦٦): سيّر الأفضل ولده شرف المعالي في السنة الحالية الى الافرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم.

ويقول المقريزي في خططه (ص ٤٤٣ ج ١): وكوتب الافضل ابن امير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليهم، فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر ابن امير الجيوش بين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر (ولكن الحملة لم تنجح).

وقال المقريزي ايضاً: (ص ٤٨٠ ج ١): وذكر تجهيز العساكر في البرعز وورود كتب صاحبي دمشق وحلب في سنة سبع عشرة وخمسمائة ما يحث على غزو الفرنج وصيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر باحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالنظرة في اعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة.

وهذا ما يدل على ان الأفضل لم يهدأ، ولم يترك الصليبيين يهدأون بل ظل يغير عليهم ويقاتلهم فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة، على حد تعبير المقريزي.

واذا كانت القوى الصليبية المتدفقة من اوروبا هي اكثف واقوى مما استطاع الافضل حشده، واذا كان لقوى الصليبيين امداد دائم من الخارج، وليس للأفضل اي امداد من العالم الاسلامي الواسع، فذلك ليس ذنب الافضل بن بدر الجمالي.

وبالرغم من أن من جاؤوا بعد الفاطميين طمسوا كل ما يستطيعون طمسه من مآثر تلك العهود وما قيل فيها من الشعر والنثر فقد أمكن ان يصل الينا بعض ما خلده الشعراء من مآثر الافضل بن بدر الجمالي في جهاده للصليبيين فمن ذلك قصيدة للشاعر أمية بن ابي الصلت يشير فيها الى انصراف البلاد الاسلامية الأخرى عن مواجهة الخطر الصليبي، واقتصار تلك المواجهة على الأفضل وجيشه. وفيها يقول مخاطباً الافضل:

جردت للدين والاسياف مغمدة
سيفا تفل به الاحداث والغير

ثم يشير الى فشل حملة استعادة القدس:

وإن هم نكصوا يوما فلا عجب
قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر

العود أحمد والايام ضامنة
عقبى النجاح ووعد الله ينتظر

وربما ساءت الاقدار ثم جرت
بما يسرك ساعات لها أخر[1]

من هو بدر الجمالي؟

هو مملوك ارمني الأصل، واذا كانت قد قامت للمماليك بعد ذلك دولة في مصر تطاول بها الزمن، فيمكن اعتبار دولة هذا المملوك اول دولة مملوكية تقوم في مصر.

والمماليك الذين حكموا بعد ذلك هم من اصول مختلفة تعود الى جذور غير اسلامية، وشأن هذا المملوك شأن غيره ممن حكموا بعده في مصر وغير مصر[2] فاذا كان فيهم من ابناء القرم والقفجاق والروم والروس وبعض المناطق الاوروبية الاخرى ممن ولدوا غير مسلمين ثم اسلموا، فهو مثلهم[3] ولم يكن بدر هذا المملوك الوحيد من اصل ارمني

(١) مما يذكر في مناقب (الأفضل) ما ذكره ابن ميسر في (أخبار مصر ص ٥٧ من انه وجد في ثروة الأفضل بن بدر الجمالي خمسمائة الف مجلد من الكتب.

(٢) اذا كان المعروف ان دولة المماليك في مصر تبدأ في نظر المؤرخين بتولي عز الدين أيبك عرش مصر (٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ = ١٢٥٠م) فاننا نستطيع القول بأن الحكم المملوكي لمصر يعودالى زمن ابعد من هذا الزمن، يعود الى عهد قيام الدولة الطولونية التي كانت في واقعها دولة مملوكية فان احمد بن طولون مؤسس هذه الدولة سنة ٢٥٤هـ ابن مملوك تركي اسر في احدى الغزوات في تركستان نوح بن اسد الساماني الى الخليفة العباسي سنة ٢٠٠ مع ما اهداه من الرقيق والهدايا. ثم قدر لولده احمد ان يتولى حكم مصر وان يستقل بها منفصلا عن الدولة العباسية.

ويبدو ان احمد هذا حنّ إلى اصله فأكثر من شراء المماليك حتى بلغ عدد من اشتراهم اكثر من اربعة وعشرين الف غلام من الاتراك، واربعين الفاً من السود.

وان دولة يقوم على رأسها ابن مملوك يحوطه ستون الف مملوك هم عدته في حكمه، هي في واقع الامر دولة مملوكية.

ثم جاء الأخشيديون وكان مؤسس دولتهم محمد بن طغج الملقب بالاخشيد (٢٦٨ ـ ٣٣٤هـ = ٨٨٢ ـ ٩٤٦م) من اصل تركي ومن ابناء المماليك، فزاد على اسلافه الطولونيين وانشأ جيشاً من مماليك الاتراك والديلم، قيل انه بلغ عدده في مصر وبلاد الشام اربع مئة الف جندي عدا جرسه الخاص الذي بلغ ثمانية آلاف مملوك.

واذا كنا قلنا عن دولة احمد بن طولون انها دولة مملوكية لانها ارتكزت في حكمها على ستين الف مملوك، فكيف بنا امام الدولة التي ترتكز على اربعة مئة الف وثمانية الاف مملوك.

(٣) لا بد لنا من ان نوجز التعريف بالمماليك وكيفية انتشار امرهم في مصر بتلك الكثافة التي عرفتها تلك العصور:

تتألف الاكثرية من مجموع المماليك الذين اخذ الايوبيون ثم من بعدهم سلاطين المماليك باحضارهم الى مصر من ابناء ألقوقاز وشبه جزيرة القرم والقفجاق

الذي حكم مصر، فقد جاءت بعد ذلك (شجرة الدر) المملوكة الارمنية الاصل فحكمت مصر.

كان ابو النجم بدر الجمالي مملوكاً لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالي. ويقول عنه المقريزي في خططه[١]:

ما زال يأخذ بالجد في زمن سبيه فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم وينتقل في الخدم حتى ولي امارة دمشق من قبل المستنصر ثم سار منها كالهارب، ثم وليها ثانية فلغبه قتل ولده شعبان بعسقلان فثار العسكر وأخربوا قصره، وتقلد نيابة عكا، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي، والرخاء قد أيس منه، والصلاح لا مطمع فيه، ولواتة قد ملكت الريف. والصعيد بايدي العبيد. والطرقات انقطعت براً وبحراً الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته (انتهى).

المستنصر

وقبل الدخول في تفاصيل تولي بدر الجمالي شؤون مصر، لا بد من شيء من التعريف بالخليفة الفاطمي المستنصر الذي بدأت الخلافة في القسم الأخير من عهده تضعف وتنتقص من اطرافها ثم انتهى امرها باستيلاء بدر الجمالي عليها.

طالت خلافة المستنصر ستين سنة واربعة اشهر تحقق له في القسم الاول منها ما لم يتحقق لأحد من اسلافه اذ خطب باسمه في بغداد والبصرة وواسط واعمالها اربعون خطبة، بعد ان طرد منها الخليفة العباسي (القائم) واستمر ذلك سنة وتم ذلك بدون معرفة المستنصر في حديث طويل ليس هنا مكانه، ثم عادت الامور الى مجاريها وعاد الخليفة (القائم(الى بغداد.

وفي القسم الثاني من عهده بدأ التضعضع انتهاء بسيطرة بدر الجمالي، او بما يمكن ان نسميه انتهاء العهد الفاطمي وحلول العهد الجمالي محله حكماً وسيطرة. فقد قامت فعلاً الدولة (الجمالية) بكل ما للدول في تلك العصور من واقعية الحكم ومظاهره. وصار الخليفة سجين قصره محجوراً عليه بما نستطيع ان نطلق عليه بلغة العصر الحاضر اسم (الاقامة الجبرية).

ولم يكن في مصلحة الدولة الجديدة قتله او طرده، بل كان من مصلحتها الاحتفاظ به اسيراً في يديها لاستغلال اسمه بما يمكن ان يستغل به[٢].

وآسيا الصغرى وتركستان وبلاد ما وراء النهر وبعض المناطق الاوروبية. فهم بذلك لا ينتمون الى اصل واحد.

وتعددت تجارة الرقيق تجار الشرق، اذ اغرت ارباحها غيرهم، فرأينا نخاسي اوروبا يدخلون السوق متاجرين بالرقيق حتى قبل قيام دولة المماليك، لا سيما البنادقة والجنوبيين الذين وصلوا الى شواطىء البحر الأسود شارين للرقيق، حاملين فتيانه الى مصر حتى قيل إن ما كان ينقله هؤلاء الى مصر يبلغ كل عام نحو الفين، وفيهم المغول والشراكسة والروم والالبانيون والصقالبة (السلاف).

سبقهم الى ذلك قبل قرون الجرمانيون الذين باعوا اسراهم من الصقالبة إلى المسلمين في اسبانيا.

وكانت مساهمة التجار الاوروبيين في شراء الرقيق وارسال ما يرسلونه الى مصر بما فيها من انتقال هؤلاء الى الدين الاسلامي - كانت هذه المساهمة حافزاً لبعض ملوك اوربا وباباواتها الى التدخل للحد من نشاط التجار الاوروبيين المسيحيين في هذا الميدان ومنعهم من بيع ما يبيعونه الى المسلمين والى البنادقة لان ما يصل الى ايدي البنادقة سينتقل حتما الى ايدي المسلمين.

وعندما يقال ان السلطان المملوكي (لاجين) هو من أصل ينتمي الى شواطىء بحر البلطيق، وان أنس والد السلطان (برقوق) هو من فلاحي الدانوب، فهذا يعني الاشارة الى ما قلناه من ان نخاسي اوربا ساهموا في نقل الرقيق الى مصر.

ويمكن القول ان اهم الاسواق التي كان يشترى فيها المماليك من اوربا هي اسواق الساحل الشمالي من البحر الاسود وبحر أزوف.

وممن ساهم في تكثيف جمهور المماليك في مصر الاتراك الذين كانوا يرسلون اسراهم المجرين لبيعهم في مصر.

وكان المماليك بعد شرائهم من مختلف المناطق يباعون في مصر ويشترط فيهم في اوائل اليفاعة من اعمارهم وان لا يتجاوزوا هذه السن.

(١) الجزء الاول ص ٣٨١ نفس الطبعة.

(٢) لا يمكن ونحن نمر بذكر المستنصر ان نتجاوز حادثاً حدث عندما كان لا يزال في قوته مسيطراً على الحكم، قبل ان ينحيه عنه بدر الجمالي، حادثاً على ما كان يتمتع به هذا الخليفة الفاطمي من حمية اسلامية واخلاص لقومه ووطنه.

واذا أخذنا باصطلاحنا في هذا العصر قلنا: حادثة تدل على وطنية المستنصر، وطنية شماء لا حدود لها، وطنية ترفعه الى أعلى مقام في الملوك الوطنيين المخلصين.

ذلك - كما يروي المقريزي في خططه ج ١ ص ٣٣٥ - قائلاً: «ان السعر ارتفع بمصر في سنة ست واربعين واربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي الى متملك الروم بقسطنطينية ان يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر، فادركه اجله ومات قبل ذلك. فقام بالملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله ان يكون عوناً لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها احد فأبى ان يسعفها في طلبها فحددت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودي في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق اهلها وجال في اعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب انطاكية ثمانين قطعة في البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه، واسر هو وجماعة كثيرة في شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القضاعي برسالة الى القسطنطينية، فوافق اليها رسول طغرل بك السلجوقي من العراق بكتابه يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنطينية فأذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي. فبعث القاضي القضاعي الى المستنصر يخبره بذلك. الى آخر ما جرى.

وتلخص الواقعة بالآتي: ان ازمة غذائية حدثت في مصر واشتد الغلاء، فاضطر المستنصر لطلب استيراد القمح من القسطنطينية، فوافق ملك القسطنطينية على ذلك دون شروط، ولكنه توفي قبل تحقيق ذلك، فتولت الحكم بعده ملكة اشترطت لانفاذ صفقة القمح ان يحالفها المستنصر عسكرياً وان يمدها بالمقاتلين.

ولما كان الصراع المفترض ان يقوم هو بين السلاجقة المسلمين وبين البزنطيين، كان معنى امداد المستنصر لملكة القسطنطينية بالمقاتلين هو ان يحالفها على السلاجقة. ومع ان السلاجقة هم في الوقت نفسه مزاحمي الفاطميين على بلاد الشام وغيرها، فان وطنية المستنصر وحميته الاسلامية رفضت هذا الحلف مع القسطنطينية على السلاجقة، مع شدة اضطرار المستنصر للقمح الذي كان موعوداً به من القسطنطينية، فلجأ الى اعلان الحرب على البيزنطيين والاشتباك

سيطرة الدولة الجديدة

لقد صور لنا المقريزي في الكلام الذي تقدم ذكره الفوضى التي وصلت اليها البلاد حتى اضطر المستنصر الى استدعاء بدر الجمالي من خارج مصر ليضبط الامور ويعيد للدولة هيبتها ويبسط سلطتها، اذ كان معروفاً عن بدر حزمه وكفاءته، فكان في نظر المستنصر الرجل المأمل لتلك المهمة العسيرة.

ويصف لنا المقريزي في خططه ما جرى مكملاً كلامه السابق الذي نقلنا بعضه فيما تقدم قائلاً: «كتب المستنصر اليه (بدر) يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته فاشترط ان يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقي احداً من عسكر مصر، فاجابه المستنصر الى ذلك، فاستخدم معه عسكراً وركب البحر من عكا في اول كانون وسار بمئة مركب بعد ان قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه وخوف التلف، فأبى عليهم وأقلع، فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوماً حتى كثر التعجب من ذلك وعد من سعادته. فوصل الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها. وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتي كبير اهل البحيرة. وسار الى قليوب فنزل بها وارسل الى المستنصر يقول: لا ادخل الى مصر (والمقصود بمصر هنا القاهرة) حتى تقبض على (بلدكوش) وكان احد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان[1]، فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بحزانة الجنود. فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين واربعمائة. فتهيأ له ان قبض على جميع امراء الدولة. وذلك انه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه، فما منهم الا من اضافه وقدّم اليه، فلما انقضت نوبتهم في ضيافته استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبيت مع اصحابه ان القوم اذا اجنهم الليل فانهم لا بد يحتاجون الى الخلاء، فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هناك. ووكل بكل واحد واحداً من أصحابه وانعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره، فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين. فما طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤوسهم بين يديه، فقويت شوكته وعظم امره، وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقوّر وقلده وزارة السيف والقلم. فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في القابه: (أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين).

وتتبع المفسدين فلم يبق منهم احداً حتى قتله. وقتل من اماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم جماعة. ثم خرج الى الوجه البحري فأسرف في قتل من هنالك من (لواتة) واستصفى اموالهم وازاح المفسدين وافناهم بانواع القتل. وصار الى البر الشرقي فقتل منه كثيراً من المفسدين، ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياما من المحرم سنة سبع وسبعين واربعمائة الى ان أخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين واربعمائة. ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده.

... الى ان يقول: فلما كان في سنة سبع وثمانين واربعمائة مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى منها وقد تحكم في مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه امر، واستبد بالامور فضبطها أحسن ضبط. وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة، قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالقها. منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين الف انسان الى غير ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر. الا انه عمر البلاد واصلحها بعد فسادها وخرابها بإتلاف المفسدين من اهلها. وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة. وكانت له محاسن منها: انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا في ايامه، ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في ايام الشدة، ومنها كثرة كرمه.

وكانت مدة ايامه بمصر احدى وعشرين سنة. وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر.

الى ان يقول:

وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن امير الجيوش.

وكان المقريزي قد قال من قبل عن الأفضل وهو يتحدث عن ابيه بدر: واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولي عهده - كما مر -.

وبتسميته ابنه (ولي العهد) يكون قد اكمل اعلان قيام الحكم الملكي الجديد على انقاض الحكم الفاطمي المنهار. وتكون دولة جديدة قامت في مصر هي وحدها المسؤولة عما جرى في عهدها من احداث.

مصير الدولة الجمالية

كما سيطر الافضل على الدولة ايام المستنصر كذلك سيطر عليها ايام المستعلي وبعد المستعلي وقيام عهد (الآمر) استمرت سيطرته محكمة كما في السابق ويقول المقريزي عن موت المستعلي وتولي الآمر:

«فلما مات المستعلي، أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه الآمر بأحكام الله (ج ١ ص ٣٥٧) وهكذا فان استبداد الأفضل في شؤون الحكم قد وصل الى انه هو الذي ينصب الخلفاء ويقيمهم وجاء في كتاب (ادب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ص ٥٢ نقلاً عن المقريزي وهو يروي بعض الاحداث ما نصه: «وكان اغلاق هذه الدار العلمية وقع وقع الصاعقة على الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله، ولكن الخليفة كان مسلوب الارادة مع وزيره فصبر على مضض.

على ان الآمر قرر التخلص من السيطرة (الجمالية) والقضاء نهائياً على هذه الدولة التي قامت الى جانب الخلافة الفاطمية فحرمتها من سلطتها وحجرت على خلفائها واستبدت بالامور دونها. فرأى ان افضل طريقة للتخلص من (الجماليين) هي اغتيال الأفضل، وان ذلك يتم بأن

معهم براً وبحراً. فاغتنم السلاجقة ذلك للتقرب الى البيزنطيين والتحالف معهم على الفاطميين فارسل ملكهم طغرل بك رسوله الى القسطنطينية وأحكم امره معهم.

(١) ناصر الدولة الحمداني وكان قد استبد بالمستنصر وسيطر على الحكم.

يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام، او في ايام الاعياد[١] فتذاكر في ذلك مع ابن عمه عبد المجيد فنهاه عن سلوك هذا الطريق في قتله؛ واشار عليه بأن يتولى قتله غيرهم، وذكر ابا عبد الله بن البطائحي قائلاً: «والرأي ان تراسل ابا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره، وتعده أن توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله».

وقد نجحت هذه الخطة بتفاصيل ليس هنا مكان ذكرها، ولما قتل ولي الوزارة بعده ابو عبد الله بن البطائحي فتحكم هو الآخر واستبد بالأمور، وأدى به الحال في النهاية الى ان يتآمر على الخليفة (الآمر) فاغرى اخاه جعفراً بقتله وجعله خليفة بعده، واتصل خبر المؤامرة بالآمر فكان هو الاسرع بالقضاء على ابن البطائحي.

اذا كان قد بدا ان الدولة (الجمالية) قد انتهت بقتل الأفضل، فان الامر لم يكن كذلك اذ ان مقتل الأفضل لم يكن هو الفصل الاخير في حياة هذه الدولة.

ومن اعاجيب الزمان، وغرائب تصاريف الأقدار ان عبد المجيد بن عم الآمر الذي دبر مع الآمر قتل الأفضل عاد هو يتعاون مع ابن الأفضل.

انتهت حياة الآمر قتلاً بيد اتباع الحسن الصباح الذي كان قد انشق بهم الحسن عن حكم مصر وعرفوا في التاريخ باسم (الاسماعيليين النزاريين)[٢]

وكان عمر الآمر حين اغتيل اربعاً وثلاثين سنة، ومدة خلافته تسعاً وعشرين سنة.

ولما قتل لم يكن له ولد بعده، فحل الاشكال بأن يتولى الحكم ابن عمه عبد المجيد الذي لقب بالحافظ على ان لا يعطى لقب (الخليفة)، وانما يتولى الأمر نائباً عن الخليفة العتيد، اذ ربما ظهر حمل للآمر، فاذا ظهر سلم الحافظ الخلافة له.

والحافظ هذا المتآمر مع الآمر على الافضل بن بدر الجمالي استوزر احمد بن الأفضل بن بدر الجمالي.

واذا كان الافضل ومن قبله ابوه بدر قد اكتفيا في امر المستنصر والمستعلي والآمر بتجريدهم من السلطة وبابقائهم بما يشبه الاقامة الجبرية، فان احمد بن الأفضل بن بدر الجمالي لم يكتف مع (الحافظ) بذلك، بل اضاف الى الاستبداد بالأمر والاستئثار بالسلطة ـ أضاف الى ذلك: الحجر على الحافظ وايداعه في خزانة لا يدخل اليه الا من يريده هو.

ونقل أحمد ابن الأفضل هذا كل ما كان في قصر الخلافة الى داره من الاموال وغير الاموال. ومما فعله انه اسقط اسم الحافظ من الخطبة وأمر بأن يخطب له وحده بألقاب رنانة طنانة.

وزاد على ذلك بانه مسّ العقيدة المذهبية للفاطميين في الصميم ـ كما تقدم ـ، فصمم جماعة على قتله بعيداً عن رأي الحافظ الذي كان محجوراً عليه لا يصل اليه احد ـ كما ذكرنا ـ، ونفذوا التصميم وقتلوه.

وأُخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها وبويع هذه المرة لا باعتباره نائباً عن الخليفة المنتظر، بل بويع خليفة اصيلاً.

وهكذا انتهى امر الجماليين في حكم مصر بقتل احمد بن الافضل بن بدر الجمالي.

تصرفات كربوقا

واتماماً للحديث عن الصليبيين نذكر ما يلي:

يحدثنا ابن الأثير في تاريخه (ج ١٠ ص ٢٧٦ طبعة ١٩٦٦) عن زحف كربوقا لانقاذ انطاكية كما يلي:

«جمع العساكر وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام، تركها وعربها سوى من كان بحلب. فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك، وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار سليمان ابن ارشف وغيرهم من الأمراء او ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم. وسار المسلمون فنازلوا انطاكية. واساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظناً منه انهم يقيمون معه على هذه الحال، فاغضبهم ذلك واضمروا له في انفسهم الغدر اذا كان قتال، وعزموا على اسلامه عند المصدوقة.

واقام الفرنج بأنطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه، وتقوت الاقوياء بدوابهم، والضعفاء بالميتة وورق الشجر، فلما رأوا ذلك ارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد، فلم يعطهم ما طلبوا، وقال: لا تخرجون الا بالسيف[١].

وكان معهم من الملوك: بردويل وصنجيل وكُندفري والقُمّص صاحب الرها وبيمُنت صاحب انطاكية، وهو المقدم عليهم.

---

(١) ابن الاثيرج ١٠ ص ٥٩٠ طبعة ١٩٦٦.

ويقول المقريزي عن موت المستعلي وتولي الآمر: «فلما مات المستعلي» أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه الآمر بأحكام الله (ج ١ ص ٣٥٧) وهكذا فان استبداد الأفضل في شؤون الحكم قد وصل الى انه هو الذي ينصب الخلفاء ويقيمهم وجاء في كتاب (ادب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ص ٥٢ نقلاً عن المقريزي وهو يروي بعض الاحداث ما نصه: «وكان اغلاق هذه الدار العلمية وقع وقع الصاعقة على الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله، ولكن الخليفة كان مسلوب الارادة مع وزيره فصبر على مضض».

(٢) في اواخر عهد المستنصر كان الحسن الصباح في مصر وشاهد بنفسه تفرد الأفضل بن بدر الجمالي بالحكم واستبداده بالمستنصر، واقتنع بان المستنصر كان مرغماً على صرف ولاية العهد عن ولده الاكبر نزار الى ولده الاصغر احمد الذي عرف بعد ذلك بلقب المستعلي.

فقرر الحسن التمرد على ذلك ورفض بعد موت المستنصر الاعتراف بخلافة أحمد واعلن أن الخليفة بعد المستنصر هو نزار، وصمم على الانفصال عن الخلافة المحكومة باسم الجماليين، وأنشأ حكم مستقل عنها.

وبعد خطوب واحداث ليس هنا مكان ذكرها، أعلن حكومته المستقلة في ايران واتخذ من قلعة (ألموت) قاعدة، وانشأ حركة الفدائيين، وصار اعدى اعداء الحكم في مصر. ومن اعمال فدائييه اغتيال (الآمر).

(١) المقصود بطلب الامان: هو ان يلقوا سلاحهم ويستسلموا خارجين بدون سلاح على ان يكونوا آمنين على ارواحهم فلا يقتل منهم احد، ولا يكونون اسرى، بل ينطلقون راجعين الى بلادهم.

وقد كانت القيادة الصليبية كلها في انطاكية كما عدد رجالها ابن الأثير فيما تقدم من القول، فطلبها الامان واستسلامها كان معناه انتهاء الحروب الصليبية عند انطاكية وعودة رجالها الى بلادهم شراذم جائعة عارية.

وكان معهم راهب مطاع فيهم، وكان داهية من الرجال، فقال لهم: إن المسيح (عليه السلام) كان له حربة مدفونة بالقسياد الذي بانطاكية، وهو بناء عظيم، فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق.

وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفى أثرها، وامرهم بالصوم والتوبة، ففعلوا ذلك ثلاثة ايام. فلما كان اليوم الرابع ادخلهم في الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم، وحفروا في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر، فقال لهم: ابشروا بالظفر، فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة، ونحو ذلك. فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج، فإن امرهم الآن وهم متفرقون سهل، فقال: لا تفعلوا، أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم، ولم يتمكن من معاجلتهم. فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين، فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم.

فلما تكامل خروج الفرنج، ولم يبق بأنطاكية احد منهم، ضربوا مصافاً عظيما، فولى المسلمون منهزمين، لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة بهم والاعراض عنهم، وثانياً من منعهم من قتل الفرنج. وتمت الهزيمة عليهم، ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم. وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم.

فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة، اذ لم يجر قتال يُنهزم من مثله، وخافوا ان يتبعوهم، وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة. وطلبا للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوفاً، وغنموا ما في المعسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة، فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم. (انتهى).

وعندما ينهي ابن الاثير كلامه هذا يشير الى ان ما اتاحه تصرف كربوقا وخيانة القادة السلاجقة الآخرين هي التي رسّخت عزم الصليبيين على الزحف الى القدس بعدما عراهم من اليأس والانخذال، فيقول:

«لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان».

مسؤولية السلاجقة وأتباعهم

كان ابن الاثير واضحاً في تحميل السلاجقة مسؤولية نجاح الصليبيين في اختراق بلاد الشام والوصول الى القدس. السلاجقة وأتباعهم ابتداء من كربوقا ووصولاً الى بقية الامراء القادة المرافقين له، مع اختلاف نوع المسؤولية بين كربوقا وبين بقية الامراء.

لقد استطاع كربوقا ان يجيش الجيوش الاسلامية ويجمع جموعها من الموصل حتى بلاد الشام، وان يحرك العرب والاتراك وكل من هو في طريقه الطويل من شمال العراق حتى شمال الشام، وفي هذا المدى الواسع من القوى البشرية ما يتألف منه جيوش جرارة، وهذا ما كان، وما اكده ابن الاثير في عباراته الصريحة.

وهذا ما ادركه الصليبيون الذين كانوا يعانون الوهن وقلة الاقوات، - كما يقول ابن الاثير - بعد تلك الرحلة الطويلة التي بدؤوها من قلب اوروبا وصولاً الى انطاكية.

ومما زاد في وهنهم وانخذالهم ما عانوه في حصارهم لانطاكيه، حتى عادوا وكأنهم المحاصَرون (بفتح الصاد) لا المحاصِرون (بكسرها). وقد كانت المجاعة قد حلت بهم لانعدام موارد القوت فيهم، فلم يجدوا سبيلا لاتقاء الجوع سوى التحول الى عصابات تحاول نهب القرى والمزارع، ولكن اهل هذه القرى والمزارع عرفوا كيف يصدونهم ويفتكون بهم - كما تقدم - فدب اليأس فيهم، وبدأوا يتسللون من جيشهم هاربين. وحين نعلم انه كان في طليعة الهاربين الرجل الاول في الدعوة الى اشعال الحرب الصليبية، وبطل جمع جموعها وتحريض الجماهير على الانضمام الى جيوشها، اعني بطرس الناسك.

وحين نعلم ان الفرار من الجيش الصليبي الجائع الواهن قد تعدى العامة الى القادة ففر امثال (ستيفن) كونت بلوا.

حين نعلم ذلك، ندرك الى أي مدى كان الصليبيون يائسين منخذلين واهنين جائعين وهم حول انطاكية.

ولولا خيانة خائن كان داخل انطاكية لارتد الصليبيون عن انطاكيا وفشلت الحملة الصليبية من اساسها.

لقد دخلوها على وهنهم وجوعهم، وظلوا على هذا الوهن والجوع وهم داخلها، لأن اسباب الوهن والجوع كانت لا تزال قائمة، فلا مصادر للقوت تقيهم الجوع وتدفع عنهم الوهن.

وصلت الحملة السلجوقية الى انطاكية والصليبيون على تلك الحال ووصلتهم اخبار ضخامة الجيوش التي اخذت تحاصرهم لذلك قرروا الاستسلام - كما ينص على ذلك ابن الأثير -.

وهذا يعني ان الحملة الصليبية قد فشلت وان جيوشها وقوادها على وشك ان يسقطوا اسرى في ايدي المسلمين، وان القدس التي كانت هدفهم قد سلمت، وانتهى امرهم، ولم تعد تقوم لهم قائمة.

فماذا غير ذلك كله، وماذا أحال ومنهم الى قوة وجوعهم الى شبع وماذا غيرهم من موقف طالب الاستسلام الى المهاجم المنتصر؟

ان ابن الاثير يفصل لنا ذلك بعبارات مقتضبة، فهو يقول:

«... ولما سمعت الفرنج (بقدوم الجيوش الاسلامية الكثيفة عظمت عليهم المصيبة وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم».

ثم يسترسل ابن الاثير قائلاً:

«واساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال، فاغضبهم ذلك وأضمروا له في انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة».

عوضاً عن ان تبعث كثرة الجند وضخامة الجيش في نفس كربوقا: التواضع لله على ان وفقه لقيادة مثل هذه القوة الكبرى، وعوضاً ان يحمد الامراء على استجابتهم لدعوته ويتألفهم ويتواضع لهم، عوضاً عن ذلك، عاد الى طبيعته فرأى في تلك الحشود الاسلامية مجرد اتباع له، وفي اولئك الامراء مجرد مأمورين له، فازدهاه ذلك فتكبر وتجبر وعامل الامراء بمهانة احفظتهم وغيرت نواياهم لا عليه وحده، بل على الموقف كله، فانقلبوا من متحفزين لنصرة الاسلام، الى ناوين خيانة الاسلام.

ثم يواصل ابن الاثير وصف حال الصليبيين داخل انطاكية قائلاً:

«واقام الفرنج بأنطاكية بعد ان ملكوها اثني عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه، وتقوت الاقوياء بدوابهم، والضعفاء بالميتة وورق الشجر، فلما رأوا ذلك ارسلوا الى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد، فلم يعطهم ما طلبوا، وقال: ولا تخرجون الا بالسيف. وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها، وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم» الى ان يذكر ابن الاثير عزمهم على الخروج من انطاكية لمصادمة المسلمين بعد رفض كربوقا لاستسلامهم، فيقول:

«فخرجوا من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك. فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج، فإن امرهم الآن وهم متفرقون سهل. فقال: لا تفعلوا، أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم، ولم يمكّن من مفاجأتهم، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين، فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم.

فلما تكامل خروج الفرنج، ولم يبق بأنطاكية احد منهم ضربوا مصافاً عظيماً، فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولاً من الاستهانة بهم والاعراض عنهم، وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج، وتمت الهزيمة عليهم، ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وانهزم كربوقا معهم.

فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة، اذ لم يجر قتال يُنهزم من مثله، وخافوا ان يتبعوهم. وثبت جماعة من المجاهدين، وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوفاً، وغنموا ما في المعسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والأسلحة، فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم انتهى كلام ابن الاثير».

ثم يصف بعد ذلك استئنافهم الزحف ووصولهم الى معرة النعمان. . .

فالامر يلخص كما ذكر ابن الاثير كما يلي:

١ : ـ كان الصليبيون في منتهى الوهن والجوع.

٢ : ـ قرروا الاستسلام.

٣ : ـ رفض كربوقا استسلامهم وقرر دخول انطاكية بالسيف.

٤ : ـ بدأوا بالتسلل من انطاكية فرأى المسلمون مقابلتهم وهم شراذم تسهل ابادتها تدريجياً، وبالفعل بدأ ذلك المسلمون فقتلوا كل من خرج، فرفض ذلك كربوقا وجاء بنفسه يمنع المسلمين من هذا.

٥ : ـ كان كربوقا قد أساء معاملة الامراء المنضمين اليه وعاملهم بمهانة.

٦ : ـ حقد هؤلاء الامراء عليه وقرروا عدم القتال والانهزام من المعركة عند اول مواجهة لهم مع العدو.

٧ : ـ اصرار كربوقا على منع جمهور المقاتلين معه من تصيد الاعداء وهم شراذم اغضب هذا الجمهور فقرروا ما قرره الامراء من الانهزام دون قتال.

٨ : ـ وجدت جماعة في الجيش الاسلامي رفضت ذلك فقررت الاستشهاد تقرباً الى الله.

فأول ما يطال كربوقا من المسؤولية في ذلك هو تنفيره قلوب الامراء منه والاستعلاء عليهم.

وثاني ما يطاله ـ وهو الاخطر في الأمر ـ هو رفضه استسلام الصليبيين بلا قتال.

وثالث ما يناله ـ وهو ما لا يقل خطورة عن الثاني ـ هو رفضه طلب جمهور المقاتلين عدم السماح للصليبيين بالتجمع كتلة واحدة ومقابلتهم وهم شراذم تسهل ابادتها. فلماذا فعل كربوقا ذلك؟

نحن يصعب علينا اتهام كربوقا بالخيانة، لذلك فاننا هنا لا ننسبها اليه، فتصرفاته كلها منذ اخذ يجيش الجيوش حتى وصوله الى انطاكية تدل على الاخلاص والعزم على محاربة الصليبيين.

ولكننا لا نتردد ابداً باتهامه بالانانية وحب الذات وتغليبهما على كل شيء، مهما تعارض هذا الشيء مع المصلحة العامة.

ان انانيته وحبه لذاته جعله يحتقر الامراء الذين استجابوا لدعوته، ويحاول بذلك اثبات انه هو وحده السيد المطلق الآمر الناهي، وان هؤلاء الامراء مجرد اتباع لا شأن لهم.

وان انانيته وحبه لذاته وحرصه على مجده الشخصي جعله يرفض استسلام الصليبيين بامان بلا قتال وخروجهم من انطاكية ورجوعهم الى بلادهم.

لانه ـ وقد ايقن بوهنهم وحلول المجاعة فيهم ـ اعتقد انه سيخوض معهم معركة سهلة يكون هو بطلها المنتصر، واستسلامهم بلا قتال سيحرمه من التباهي بالانتصار عليهم في معركة حاسمة.

وكذلك القول في منعه جمهور المقاتلين المسلمين من تصيد الصليبيين افراداً وشراذم وهزيمتهم بهذه الطريقة فان ذلك سيحرمه من المجد الشخصي والتفاخر بالانتصار.

وهكذا فان الانانية وحب الذات وطلب المجد الشخصي قد حال بين المسلمين وبين انهاء الحروب الصليبية عند انطاكية، وعرضهم لما عرضهم من فجائع دخول الصليبيين للقدس فاتحين واستمرار الاحتلال الصليبي لبلاد الشام مئتي سنة، وما اقتضى ذلك من اذلال وسفك دماء.

وهذا في رأينا ورأى جميع المنصفين لا يقل جريمة عن تعمد الخيانة اما اولئك الامراء واما جمهور المقاتلين فانهم جمعوا الى الصفات الذميمة التي ـ كانت لكربوقا ـ جمعوا اليها الخيانة الصريحة. . .

هذا كله يتناساه مزيفو التاريخ ويتجاهلونه، ويفتشون عن بريء يتهمونه وبطل يخونونه وهذا ما نأسف ان يتمسك به في هذا العصر من يقولون انهم آكاديميون وحملة دكتوراه واساتذة جامعيون!.

أحمد الناصر لدين الله المستضيء بأمر الله الحسن:

مرت ترجمته في مكانها من (الأعيان) ومر بحث عن الوظائف الادارية في دولته في المجلد الخامس من (المستدركات).

وننشر هنا عنه بحثاً للدكتور مصطفى جواد:

كانت أوائل القرن السادس للهجرة طلائع نهضة واستقلال

للدولة العباسية في أواخر عصورها، وتلكم النهضة وذلكم الاستقلال كانا حصيلة مجهود وكفاح جسيم بدأ بهما الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ ــ ٥٢٩ هـ) وابنه الراشد بالله، وأخوه المقتفي لأمر الله (٥٣٠ ــ ٥٥٥ هـ) وابنه المستنجد بالله (٥٥٥ ــ ٥٦٦) ثم انتكست الخلافة العباسية بعض الانتكاس على عهد الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ ــ ٥٧٥ هـ) فهيأ الله تعالى لها الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله (٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ)، وهو الخليفة الهمام الذي وحّد العرب وغيرهم من المسلمين، وبلغ درجة التقديس عندهم، وبقيت سيرته من أعجب السير العالمية، وسياسته من مفاخر السياسات العربية، وأخباره من نوادر أخبار ذوي السلطان في الدنيا، لا يكاد التصديق يطُور بساحتها لغرابتها وبراعتها وأرابتها حتى يجدها من الأخبار الصحيحة، التي أجمع عليها المؤرّخون وأيدتها الآثار والأفعال وعضدها التواتر، وإذا نطق العمل صدق القول.

وولد بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد، يوم الثلاثاء عاشر رجب من سنة (٥٥٣ هـ) وأمه جارية تركية اسمها «زمرد» وتلقب بخاتون، وقد أدركت خلافته وعاشت من سنيها أربعاً وعشرين سنة، قال ظهير الدين الكازروني الأصل البغدادي المؤرّخ «كانت راغبة في الخير والصدقة وأفعال البر، ولها من الصدقات والوقوف ببغداد وغيرها شيء كثير».

كان مولد الناصر لدين الله على عهد أبي جده الخليفة المقتفي لأمر الله، المشار إليه آنفاً، قبل وفاته بسنتين، وقضى طفولته وصباه في عهد جده المستنجد بالله. فالمقتفي أتمّ محاولة أخيه المسترشد بالله، لاعادة سلطة الخلافة العباسية، والتخلص من هيمنة الدولة السلجوقية عليها، والاستقلال في الحكم بالعراق، وهو أيامئذ من تكريت في الشمال الى البصرة في الجنوب، ومن عين التمر في الغرب الى البندينجن[1] في الشرق. وقطعت على عهده الخطبة ببغداد والعراق باسم السلطان السلجوقي في سنة ٥٤٧ وهي سنة وفاة السلطان الجبار مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي الذي كان يُخطَب له بلقب السلطنة ببغداد بعد ذكر الخليفة الذي هو أمير المؤمنين والمقدم في الدين على الولاة والأمراء والسلاطين، وبعد ذكر ولي عهده في الخطبة أيضاً، كما جرت عادة الخلفاء العباسيين في عصورهم الأخيرة. وكان هذا السلطان الجبار قد واطأ الاسماعيلية على اغتيال الخليفتين: المسترشد بالله وابنه الراشد بالله، وشاركه في هذه المواطأة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي ملك خراسان وما إليها، وهو يومئذ أكبر السلاطين السلجوقيين بالشرق، وكان سلاجقة كرمان وسجلاقة بلاد الروم دونه مقاماً.

وكان جد الخليفة الناصر لدين الله المستنجد بالله قد شارك أباه الخليفة المقتفي لأمر الله في النِفاح عن استقلال الدولة العباسية، وكفاح أعدائها من سلجوقيين وأتباعهم من أمراء الأطراف والأتباع والولاة، وكان شديد الوطأة عليهم، غيوراً على ناموس الدولة الذي أقامه هو وأبوه، واستعد للأحداث بجمع العساكر وحارب المفسدين والمعتدين، وأحكم الحصون التي على حدود العراق، وكثرت الحروب في أيامه، وكثر عدوان أتباع السلاجقة على بلاده، فاضطر الى القسوة في الحرب والاعدام، وإلى رمي الخارجين عليه بالتكفير واللعن لهم على المنابر، فضلاً عن حشد الجيوش لمقاومتهم. وكانت شبهتهم الكبرى في تنقّص أطراف العراق والنهب للأموال في مدنه، هي وجوب اعادة السلطنة السلجوقية الى العراق والخطبة للسلطان ارسلان شاه بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه، وهو صبي يومئذ يتولى أتابكيته أي تربيته أمير تركي اسمه «ايلدكز» ويحكم في بلاد مملكته التي أهم مدنها أصفهان والري وهمذان وعدة مدن في آذربيجان من البلاد المعروفة اليوم بايران.

وتنافس الأمراء السلجوقيون في طلب الخطبة بالسلطنة ببغداد والعراق حتى قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٣ هـ: «في هذه السنة أرسل آقسنقُر الأحمديلتي صاحب مراغة إلى بغداد أن يخطب للملك الذي هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه. (بن محمود بن محمد بن ملكشاه) ويبذل انه لا يطأ أرض العراق ولا يطلب شيئاً غير ذلك وبذل ما لا يحمله (إلى الخليفة) إذا أجيب إلى ملتمسه، فأجيب بتطييب قلبه، وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك فجهز عسكراً كثيفاً وجعل المقدَّم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم إلى سُنقُر، فوقعت بينهم حرب أجلت عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة، ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فأصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان».

وإذا كان نصف السياسة اختيار رجالها لا نجد بداً من أن نذكر أن نهضة الدولة العباسية الأخيرة استندت فيمن استندت اليهم الى عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة كاتب الخليفة المقتفي لأمر الله، ثم وزيره العالم السياسي المستيقظ المؤلف المتوفى سنة ٥٦١ هـ على عهد المستنجد بالله. قال ابن الأثير في تاريخه: «كان حنبلي المذهب، ديّناً خيّراً عالماً يسمع حديث النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وله فيه التصانيف الحسنة، وكان ذا رأي سديد، ونفق على المقتفي نفاقاً عظيماً حتى أن المقتفي كان يقول: لم يَزِد لبني العباس مثلُه. ولما مات قبض على أولاده وأهله. «فهذا الوزير كتب وحسب ونظم وساس وحارب وألَّف وأنفق على العلم، وأيده ابناه عز

(١) تطور اسمها على اختلاف العصور وتعرف اليوم باسم مندلي.

الدين محمد وشرف الدين ظَفَر، فكان جزاؤه بعد موته وتمهيده استقلال الدولة العباسية أن قُبض على ابنيه المذكورين وأعدما بطريقة الغدر الاحتيال، وهذه الأفعال المنكرة أعني التنكيل بالمخلصين للدولة تدل على اختلال الحكم فيها.

إن الذي ارتكب هذه الجرائم باسم السياسة رجل دخل هو وأبوه في خدمة الدولة وتدرّج في المراتب حتى صار أستاذ دار الخلافة بعد أبيه، وهو عضد الدين أبو الفرج محمد المعروف بابن رئيس الرؤساء وبابن المسلمة، وأيده أبناؤه. وكان الخلفاء العباسيون في عصورهم المتأخرة قد استحدثوا منصباً جديداً تحت الوزارة سموه «نيابة الوزارة» فاستناب الخليفة المستنجد بالله بعد موت الوزير الكبير ابن هبيرة قاضي القضاة أبا البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفي. ثم رأى تحكّم أستاذ الدار عضد الدين بن المسلمة المذكور في أمور الدولة فبحث عن وزير أيد حازم ضابط، فوجده وهو أحد ولاته ويدعى شرف الدين أحمد بن محمد بن البلديّ. وكان ناظراً بواسط وذا كفاية عظيمة. قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٣ هـ: «في هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلديّ. وكان عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكماً عظيماً فتقدم[1] الخليفة إلى ابن البلديّ بكفّ يده وأيدى أهله وأصحابه ففعل ذلك»، وكان الخليفة المستنجد بالله راغباً في اتباع آثار الخلفاء الصالحين.

وأراد هذا الوزير أن يجري حكم الشريعة في السرقة وينفذ حدودها، فقبض سنة ٥٦٤ هـ على أحد موظفي الدولة واسمه الحسين بن محمد السيبيّ وعلى أخيه الأصغر ــ وكانا ابني عمة أستاذ الدار عضد الدين، فأمر بقطع يد الحسين ورجله وحمله الى المارستان فمات فيه، قال ابن الأثير: «قيل انه كان عنده صنُج يقبض بها، ويحمل الى الديوان بالصُنج الصحيحة. وكان الأصغر عامل المارستان». وبيان ذلك أنه كان عنده عيار أثقل من عيار الدولة الصحيح يستوفي به حقوق الدولة لأن الدنانير كانت تستوفى في الغالب بالوزن لا بالتعداد، ويحمل الى بيت المال بالعيار الصحيح، ويستولي على الفرق. فلذلك عُدَّ سارقاً، وطُبقت عليه أغلظ العقوبات في حدود السرقة المعنية. والذي يبعث الأسى والأسف على هذا الرجل السيىء الحظ انه كان أديباً شاعراً.

وبهذه الحادثة تحول التنافس الشديد بين أستاذ الدار عضد الدين والوزير ابن البلدي إلى عداوة زرقاء، تراق فيها الدماء، وترتكب فيها أسوأ الأسواء. وأخذ أستاذ الدار يهتبل الفرص للايقاع بالوزير، فانضوى أولاً إلى مقدم الجيوش العباسية أيامئذ وهو قطب الدين قايماز التركي الأصل، المقتفوى ــ نسبة إلى الخليفة المقتفي لأمر الله لأنه كان من مماليكه ــ وفي سنة ٥٦٦ هـ مرض الخليفة المستنجد بالله مرض الموت، أو مرضاً حاداً. وكان قطب الدين قايماز وأستاذ الدار عضد الدين قد خافا منه أشد الخوف، وخشيا أعظم الخشية من تأييده الوزير ابن البلدي، فاتفقا على الائتمار به مع طبيبه المعروف بابن صفيّة ليقتلاه بشبهة الطبّ، فوصف له الطبيب دخول الحمام مع أنه كان مصاباً بالحمى المحرقة أي التيفوئيد فأبى أن يدخل الحمام لضعفه، ولكنهم ادخلوه اياه مرغماً، وأغلقوا عليه الباب فمات وكان ذلك في تاسع شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦٦ هـ المذكورة آنفاً.

قال ابن الأثير «كان المستنجد بالله من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلاً فيهم، كثير الرفق بهم، وأطلق كثيراً من المكوس ــ يعني أبطلها ــ ولم يترك بالعراق شيئاً منها، وكان شديداً على أهل العيث والفساد والسعاية بالناس» وذكر بعد ذلك حكاية نادرة تدل على شدة انكاره للسعاية. وهكذا قضى نحبه هذا الخليفة العادل المتيقظ، فقد ائتمر به الخونة الغدَرة من رجال الدولة فأسرعوا وفاتّه، قيل انه أمر وزيره ابن البلدي باستئصال زعيميهم، فتريّث في ذلك وفاتته الفرصة، وقرع سِنَّه ندماً ودُعي الى دار الخلافة لمبايعة الخليفة الجديد وهو أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله فلما دخلها أدخله خصماه عضد الدين وقطب الدين في موضع منها، وأمرا رجالاً مسلحين من أصحابهما بقتله وتقطيعه أرباً أرباً، ثم رموا أشلاءه في نهر دجلة، واستولى الخصمان المذكوران على جميع ما في داره، فرأيا فيها رأيا أوامر من الخليفة المستنجد بالله يأمره فيها بالقبض عليهما وجوابه بالكف عنهما، ولكن العداوة لا تعرف الحدود.

يأبى النظام الوراثي في الحكم إلا أن يتتكس وينعكس، وهكذا انتكست الدولة العباسية في نهضتها الأخيرة، وولي خليفة مستضعف ولُقّب «المستضيء بأمر الله». وشَرَط المؤتمران بأبيه أن يكون عضد الدين وهو أحدهما وزيراً، ويكون ابنه كمال الدين عبيد الله أستاذ دار الخلافة. ويكون قطب الدين قايماز مقدم الجيوش وهو المؤامِر الآخر، ولبث الخليفة المستضيء بأمر الله كالمحجور عليه بدار الخلافة. واتفق في عهده انقراض الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧ والخطبة باسمه فيها.

ولم تهدأ أحوال الخلافة العباسية، فقد بدأ النزاع بين المتآمرَيْن الاثنين قطب الدين قايماز وعضد الدين محمد الوزير، فكل منهما يريد السلطة العليا والتحكم التام في

(١) تقدم فلان بكذا: أي أمر به، وهو الغالب في الاستعمال على هذا الفعل.

الدولة. وقد كان الغلَب لصاحب الجيش قطب الدين، فالزم الخليفة المستضيء بأمر الله بعزل الوزير فعزله ولم تُمْكنه مخالفته، واستنيب في الوزارة أبو الفضل يحيى بن عبد الله بن جعفر صاحب المخزن، والمخزن أيامئذ ديوان تجهيزات الدولة جميعها، وفي سنة ٥٦٩ هـ أحس قطب الدين بأن الخليفة المستضيء يريد اعادة عضد الدين الى الوزارة فحاصر دار الخلافة، وأجبر الخليفة الى ترك ما أراده، ولم يقنع بذلك بل أراد اخراج عضد الدين من بغداد، ثم اجتزأ من ذلك (بما يسمى اليوم (فرض الإقامة الجبرية عليه مدة).

وقد شهد الناصر لدين الله وهو أمير جميع هده الهزاهز والاضطرابات والائتمارات، وكانت تبدو منه امارات الشهامة، وعلامة الشجاعة والغيرة والتيقّظ والتأثّر الشديد بما يجرى على الخلافة وما يقاسي أبوه من تحكم رجال الدولة وسوء تصرفهم في شؤونها وادارتها، وكأنه لما سمع بمحاصرة قطب الدين قايماز مقدم الجيوش لدار الخلافة رقي قبة عالية من قصر التاج وهو أحد قصور دار الخلافة الفخمة فسقط منها الى أرض القصر ولكنه سلم ونجا. وكان معه مملوك له اسمه «نجاح». فلما هوى الأمير أسقط المملوك نفسه معه فقيل له: لم ألقيت نفسك؟ فقال: ما كنت أريد البقاء بعد مولاي. فرعى له الأمير ذلك. ولما تولى الخلافة جعله شرابياً لنفسه، ولقبه بالملك الرحيم عز الدين وقدمه على الأمراء جميعهم.

وتقدم عند الخليفة المستضيء رجل اسمه ظهير الدين منصور بن نصر الحراني المعروف بابن العطار، فرتبه صاحب المخزن. وهذه الوظيفة من أعلى الوظائف في الدولة العباسية في أواخر عصورها، فحصلت نفرة بينه وبين قطب الدين قايماز مقدم الجيوش. وكان ظهير الدين رجلاً متعصّباً لمذهبه تعصّباً أعمى، لكنه مقرّب من الخليفة المستضيء جداً وله منه رعاية بالغة، فأرسل قطب الدين يستدعي ابن العطّار ليحضر عنده فهرب والتجأ إلى دار الخلافة، فأحرق قطب الدين داره، وكان ذلك سنة «٥٧٠ هـ» وحالف أغلب الأمراء في الجيش، وطلب منهم المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد، لعلمه أن ابن العطار ملتجىء اليها. فلما علم الخليفة المستضيء بذلك، ورأى الغلبة صعد الى سطح قصر من قصور دار الخلافة وظهر للعامة ــ وكان نادر الظهور لهم ــ وأمر خادماً من خدمه أن يصيح ويستغيث ويقول للعامة: «مال قطب الدين لكم، ودمه لي» يحضهم على نهب أمواله دون التعرّض له بما يؤدي إلى قتله، فقصدت جموع الناس وخصوصاً الرعاع والغوغاء والعيّارين دار قطب الدين لنهب ما فيها، وأيد الخليفة يومئذ مملوك «حبشي» من مماليك جده المقتفي اسمه عماد الدين صندل[1]، وكان أستاذ دار الخلافة اذ ذاك. وهو الرسول الذي حمل خِلَعَ الخليفة لنور الدين وصلاح الدين لما قرضا الدولة الفاطمية بمصر، فسار في جماعة من الجند وأحرق دار قطب الدين بقوارير النفط الطيّار التي تقابل اليوم القنابر[2] المحرقة، فاضطر قطب الدين إلى الهرب من بغداد، وقصد الى الموصل فتوفي قبل بلوغه اياها، ونجا ظهير الدين بن العطار من عدوه وكذلك عضد الدين محمد بن المسلمة، فاستدعاه الخليفة المستضيء ــ أعني عضد الدين ــ وولاه الوزارة ثانية، وبقي ظهير الدين في رتبته (صاحب المخزن) وزاد نفوذ كلمة الأمراء الأحباش كعماد الدين صندل المذكور وقرينه مجاهد الدين خالص وهو الذي رآه ابن جبير الأندلسي الرحّالة في دخوله بغداد سنة ٥٨٠ هـ فقال:

«ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والأحابشر المجابيب» منهم فتى اسمه (خالص) وهو قائد للعسكرية كلها، أبصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه أمراء الأجناد من الأتراك والديلم وسواهم، وحوله نحو خمسين سيفاً مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجباً في الدهر، وله القصور والمناظر على دجلة» ولم نعرف السبب في عجب ابن جبير فقد أجبر الخليفة المقتفي على شراء المماليك الأحباش.

واستتبت أحوال الخلافة العباسية بعد هذه الاضطرابات والاشتباكات بعض الاستتباب. ثم ظهر استبداد ظهير الدين بن العطار بالتدريج واستؤنفت المنازعات بين أرباب الدولة ففي سنة ٥٧١ هـ، قبض على عماد الدين صندل أستاذ الدار وولي مكانه أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله المعروف بابن الصاحب، وهو من أبناء أسرة خدمت الدولة العباسية منذ ابتداء نهضتها على عهد الخليفة المسترشد بالله، واستؤنف تعدى أمراء الأطراف على العراق بشبهة استمرار الدولة العباسية على عدم الاعتراف بالدولة السلجوقية وترك الخطبة لسلطانها ببغداد والعراق، وأرسلوا جماعة ففتكوا بالوزير عضد الدين بن المسلمة وهو بالجانب الغربي من بغداد وقد عزم على سلوك طريق الحج، وكان ذلك في رابع ذي القعدة من سنة ٥٧٣ هـ وتم استبداد ظهير الدين بن العطار بأمور الخلافة، وظهرت الفتن المذهبية ببغداد، وثار العوام على الحكام الطغام، وحدث غلاء ووباء، ثم عقب ذلك وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله في ثاني ذي القعدة من سنة ٥٧٥ هـ.

خلف المستضيء بأمر الله من الأبناء اثنين أحدهما أبو العباس أحمد الذي مر ذكره غير مرة، وأبو منصور هاشم، وكان أحمد هو الأكبر وأرادت جماعة من رجال الدولة صرف

(١) له قبر بزاويته بالجانب الغربي من بغداد لا يزال معروفاً، وقد اتخذت زاويته مسجداً ونسبت اليه المحلة المجاورة لقبره وتعرف اليوم بمحلة الشيخ صندل.

(٢) هو الاسم الصحيح لما يسمى بالقنابل التي هي تصحيف.

الخلافة عنه إلى أخيه هاشم إلا أن حزب الناصر وفيهم حظية والدة السيدة (بنفشة) وأستاذ الدار مجد الدين هبة الله بن الصاحب، والقائد عماد الدين صندل حملوا والده المستضيء على أن ينصّ عليه قبل وفاته، فبويع بالخلافة صبيحة يوم الأحد غرة ذي القعدة، على قول، أو ثاني ذي القعدة على قول آخر، من سنة ٥٧٥ هـ.

وظن رجال الدولة استمرار الضعف فيها طبيعياً كما كان على عهد أبيه، فانتقم بعضهم من بعض، وقبض على ظهير الدين منصور بن نصر بن العطار الحراني النائب في الوزارة، وقيد في دار الخلافة، وبحث عن أمواله وودائعه ثم قُتل وأُخرج من دار الخلافة ثاني عشر ذي القعدة ميتاً على رأس حمال سراً، فغمز به بعض الناس وثارت به العامة فألقوا جثته عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا بها حبلاً وسحبوه ببغداد وكانوا يضعون بيده مغرفة قد غمسوها بالعذرة ــ تشبيهاً لها بالقلم ــ وهم يقولون «وقّع يا مولانا» استهزاء وتهكماً، لما رأوا منه من العسف والجور والظلم والتعصّب الشنيع.

وجرت العادة عند انتقام بعض رجال الدول من بعض بتمهيد الطريق إلى الإستبداد وما يسمى اليوم باستغلال الاستقلال، فلا غرابة في أن ينحو هذا النحو أستاذ دار الخلافة مجد الدين هبة الله بن الصاحب، وقد أخطأ هذا الرجل خطأ عظيماً في تحكمه بشؤون الدولة وكان عليه أن يدرس نفسية الخليفة الجديد، ويسبر غوره، ويختبر أمره، فقد كان الناصر لدين الله قوى النفس شجاعاً ذكياً ألمعياً جريئاً مدهش السياسة ظاهر الكياسة جميل الخَلق والخُلق، عالماً بحقيقة منصبه، عارفاً بالواجب عليه للدين وللأمة الاسلامية، فمثل هذا الخليفة ينبغي أن لا يفتات عليه، ولا يقطع أمر دون موافقته واستئماره، وقد رآه ابن جبير عند قدومه بغداد سنة «٥٨٠ هـ» قال: «وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكباً في زورقه، وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار، تعمية لأمره على العامة، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلا اشتهاراً، وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة، ويؤثر التحبّب لهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له. أبصرنا هذا الخليفة[1] المذكور وهو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بنور الله (كذا) أبي محمد الحسن ابن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف، ويتصل نسبه إلى أبي الفضل جعفر المقتدر بالله إلى السلف فوقه من أجداده الخلفاء ــ رضوان الله عليهم ــ بالجانب الغربي أمام منظرته، وقد انحدر عنها صاعداً في الزورق إلى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط، وهو في فتاء من سِنّه، أشقر اللحية صغيرها، كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، أبيض اللون، معتدل القامة، رائق الرداء، سنه نحو الخمس وعشرين سنة، لابساً ثوباً أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهّبة مطوّقة بوبر أسود من الأوبار الغالية القيمة، المتخذ للباس الملوك مما هو كالفنك[2] وأشرف، متعمداً بذلك زي الأتراك، تعمية لشأنه، لكن الشمس لا تخفى وان سترت وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين وخمسمائة».

وقال ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ «قال من شاهده يوم المبايعة: رأيته وهو شاب أبيض مُترَّك الوجه، مليح العينين، أقنى الأنف، رقيق المحاسن، خفيف العارضين، نقش خاتمه: «رجائي من الله عفوه»، وكان قبل المبايعة قد أهلك الناس الجدبُ وغلوّ الأسعار وقلة المعاش وكثرة الأمراض والوباء، فلما بويع بالخلافة زال ذلك ببركة بيعته حتى درت الأمطار، وتراخت الأسعار، وهنأ الناس بعضهم بعضاً ببركته.. فجمع الله شمل الاسلام والمسلمين ببرّه وجوده ثم انه عمر المساجد وجدد المشاهد.

وجد الناصر لدين الله العباسي أن عليه أن يصلح أمور الدولة الداخلية أولاً ثم يسيطر على العالم العربي والعالم الاسلامي لتوحيدهما، فنظم ادارة الدولة أحسن تنظيم وأحكم قواعدها أحسن أحكام، ولما رأى اصرار أستاذ الدار مجد الدين ابن الصاحب على استبداده بأمور الدولة واعتماده على الطائفية المذهبية أمر بقتله فقتل. قال ابن الأثير «كان مجد الدين ابن الصاحب متحكماً في الدولة ليس للخليفة معه حكم، وكان هو القيم بالبيعة، وظهر له أموال عظيمة أخذ جميعها». وجاء في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ما يدل على أنه خنق ثرياً فأخذ ماله.

وكانت سياسة الناصر لدين الله تعتمد على احسان انتخاب الرجال للأعمال، فأدخل في خدمة الدولة طائفتين كانتا متعاديتين بينهما ومعاديتين للدولة العباسية، وهما الشيعة والحنابلة، وقطع دابر الطائفية من دولته، وأزال آثار الأعاجم التي تذكر الشعب بسلطتهم وسلطانهم، حتى لقد رأى لوحاً كان السلطان مسعود السلجوقي قد أمر بالصاقه على جدار، وكتب فيه أبطالاً لبعض المكوس، فقال الناصر «اقلعوه فلا حاجة لنا بآثار الأعاجم» وأمر بنقض دار السلطنة السلجوقية في شمالي بغداد الشرقي ليزيل أثر الاستعباد من البلاد.

---

(١) قوله «هذا الخليفة» سببه أنه كان في مراكش وما حولها ملك من الموحدين يدّعي الخلافة وهو من بني عبد المؤمن.

(٢) الفنك بالفاء جنس من الثعالب أصغر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء وأغلاها.

وصرف همته إلى تجنيد الجنود وتحشيد الحشود، فألف جيشاً كبيراً كان يخرج منه في احتفال العيد حَسْبُ «مائة وخمسون ألف جندي»، وأمر السلطان تكش الملقب بخوارزمشاه بأن يزحف الى السلطان السلجوقي «طغرل الثالث» ويزيل سلطنته، فزحف اليه سنة «٥٩٠» وقتله وحمل رأسه إلى بغداد. ووسع أطراف مملكته، واحتل خوزستان وأصفهان والري وهمذان، وجهز جيشه لارساله الى بلاد الشام للتعاون مع صلاح الدين لطرد الصليبيين من بقية بلاد الشام ولكن صلاح الدين رفض ذلك وسالم الصليبيين واتفق معهم على محاربة جيش الناصر إذا تقدم الى بلاد الشام مؤثراً مصالحه الشخصية على مصالح الأمة، لأنه اعتقد أنه إذا جاء جيش الناصر وانتصر على الصليبيين فسيكون الحكم للناصر ويكون هو تابعاً له. وجدد نظام الفتوّة في العالمين العربي والاسلامي وأدخل أغلب السلاطين والملوك والأمراء فضلاً عن الرعايا فيها، وكان هو رئيس الفتوّة في جميع البلاد، ونشّأ للبلاد الاسلامية جيلاً قوياً شجاعاً يجمع بين الديانة والصيانة والمتانة. ووضع جهازاً ومؤسسة للاستخبارات في داخل العراق وخارجه، واستعمل أنواع حمام الزاجل لنقل الأخبار. حتى كان لا تخفى عليه خافية في الداخل والخارج، ولا يغبى عليه سر من أسرار الدول، بحيث ظن الناس أن الجن كانت تنقل اليه الأخبار، كما ذكر شمس الدين الذهبي في تاريخه، وتدل أنباء استخباراته على أن الدول العصرية التي افتنّت أعظم افتنان في التجسس لم تبلغ ما بلغه هو في الاطلاع على أخفى الأمور وأكتم الشؤون في أدنى الأرض وأقصاها.

وعنى بنشر الثقافة والعلم وأنشأ لوالدته مدرسة ورباطاً للصوفية بجانب تربتها المعروفة اليوم بقبر الست زبيدة في مقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد، ووضع ألوف الكتب في المدرسة النظامية وفي قصره الذي ذكره ابن جبير المعروف قديماً بدار المسناة وحديثاً بالقصر العباسي، وفي رباط المامونية المنسوب الى والدته. وألف كتاباً في الحديث النبوي سماه «روح العارفين» رواه عن شيوخه الثقات الاثبات وأجاز للعلماء المشهورين روايته في مشارق الأرض ومغاربها وشرحه جماعة من المشتغلين بالحديث.

وجدد نظام الرمي في مذهب الفتوة، ووضع له القواعد والأحكام وأوضح أصناف الطيور التي تصطادها الرماة الفتيان وهي المسماة تارة طيور الواجب وتارة «الطير الجليل». وقد جدد الناصر شباب الأمة الاسلامية بتجديد الفتوة.

وعاصرت خلافته الطويلة الأمد ظهور جنكيز خان ملك المغول السفاح المجتاح، فكان على البعد يخشى من الخليفة الناصر، ويطبع اسمه على نقوده حتى تروج بين العالمين، ولما خرج عليه قطب الدين محمد بن تكش الملقب بخوارزمشاه، وحرك المغول على العالم الاسلامي بسوء سياسته وكثرة عدوانه، وسمع الناصر بتقدم المغول الى الغرب استكثر من الجنود، وجدد المواضع الضعيفة من سور بغداد، ولا سيما باب سورها الشرقي المعروف بباب الحَلْبة، وقد عرف بين الناس بباب الطلسم، لوجود صورة رجل مسيطر على ثعبانين في جانبيه وكانت عمارة هذا الباب سنة ٦١٨ هـ وكان هذا الباب من أجمل المباني التحصينية، وقد نسفه الأتراك العثمانيون بالبارود الذي كان مخزوناً فيه ليلة احتلال الانكليز لبغداد في اليوم الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٧ م.

توفى الناصر لدين الله، سنة ٦٢٢ وقد دامت خلافته «٤٧» سنة وهي أطول خلافة لبني العباس، وترك من المآثر والآثار ما لا يحصى كثرة، ولا يستقصى وفرة، ولولا نزق سلطان خوارزم لنجى العالم الاسلامي من طوفان المغول وطغيانهم ومجازرهم البشرية وعدوانهم وعيثهم وافسادهم إلا أن ذلك السلطان الأحمق جنى بخروجه على خليفة المسلمين على نفسه ومملكته والعالم الاسلامي. قال جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وقال قبله ابن نباته في كتابه الاكتفاء بتاريخ الخلفاء نقلاً عن تاريخ محب الدين محمد المعروف بابن النجار وكان معاصراً للناصر لدين الله «دانت له السلاطين، ودخل في طاعته من كان من المخلفين وذلت العتاة والطغاة، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبغاة، واندحض أعداؤه وأضِدّاؤه، وكثر أنصاره وأولياؤه، وفتح البلاد العديدة، وملك من الممالك ما لم يملكه مَنْ بعده من الخلفاء والملوك، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين، وكان أسد بني العباس، تتصدّع لهيبته الجبال، وتذل لسطوته الأقيال، وكان حسن الخُلق، لطيف الخلْق. كامل الظرف، فصيح اللسان، له التوقيعات المسددة، والكلمات المؤيّدة، وكانت أيامه غرّة في وجه الدهر، ودرّة في تاريخ الفخر».

وقد ذكرت آنفاً قول ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ «انه عمر المساجد، وجدد المشاهد» وقال بعد ذلك: «وبنى الأربطة والمدارس وأثر الآثار الجميلة.. ثم انه جدد عزيمته في قطع سلاطين السلجوقية وغيرهم عن بغداد، ومحا آثارهم وملك خوزستان بجيوشه التي أنفذها اليها، وملك بلد دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة، وله من الفتوح شيء كثير كولاية همذان وغيرها، وقتل طغرلبك السلجوقي وحمل رأسه الى بغداد.. ثم انه عمر دار المضيف للصادر والوارد من الحاج وغيرهم للفطور في شهر رمضان ووقف الكتب المفيدة الفقهية، وغيرها في خزائن الكتب، وجعلها لمن عساه يشتغل بالعلم، وانشأ الرباط الذي بمشرعة الكرخ والتربة المجاورة له،

ودفن فيه جهتها[١] السعيدة سلجوقي خاتون ابنة قلج أرسلان ملك الروم وكانت صالحة محبة لأفعال البر والقُرب ــ رحمها الله ــ».

أحمد بن الحسين الهمذاني الملقب بديع الزمان الهمذاني:

مرت ترجمته في المجلد الثاني من (الأعيان). وننشر هنا دراسة عن القصة في مقاماته مكتوبة بقلم الدكتور أحمد علبي:

ما إن تُذكر المقامات أمام أحدهم إلّا ويلوي رقبته مستخفّاً، بَرِماً بهذه المقابر اللفظية! وقد يكون لهذا التبرم ما يسوّغه إذا اختص الأمر بالحريري، أو غيره من الذين تعاطوا هذا الفن الأدبي، ودرجوا فيه متأثرين خطى هذا الرائد الثاني للمقامات، وهو الذي أشاع ذكرها، ولكنه أرسلها في الناس فتاة متبرّجةً تنوء بالحُليّ والعقود، فيغريك البريق وتأخذك المساحيق دون الجوهر والفحوى. غير أن بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ ــ ٣٩٨ هـ) يعتبر مؤسس المقامة والمشرف على ميلادها، وذا اليد الطولى في إرساء قواعدها وإخراجها؛ هذا الأديب أعمل قلمه فأتى عجباً، وتفرّد عن سائر كتاب المقامات القدامى بصفات أصيلة تشير إلى أن صاحبها علم مطويّ وحق له أن يخفق. «فمقامات الهمذاني تسجل، في الواقع، حدثاً في تاريخ الأدب العربي. فهي تقرر وجود نوع جديد..»[٢]. وأن مفجّر هذا «الحدث» حريّ بكل عناية وتقدير، وأن كرور الأيام يزيدنا تبصّراً بمكانة صاحب المقامة الأول، بحيث أن الدراسات الموقوفة على شخصه أخذت تقحم الظلام وتبدي «البديع» في وضح النور وهو صنوه.

ولا يعنينا في هذا المبحث أن نعرض لبديع الزمان ككل، وأن نلمّ بجوانب من قُرِنَ بديعه بالزمان، وإنما بغيتنا أن نتناول موضوعاً من وحيه، فنقلّب فيه وجوه الكلام، عسى أن نهتدي بذلك إلى محصل ننصف به الرجل، دون أن نعتسف في أحكامنا، أو تحملنا عاطفة الإعجاب على الشطط؛ ولنا في النهج العلمي، الذي نعوّل عليه، خير معوان لتجنب الزلل. وبعدُ المسألة هي: هل المقامة عند بديع الزمان تعتبر قصة؟ أو بشكل آخر: هل من علائق بين القصة والمقامة؟

هذا السؤال ليس بجديد على الآذان، وسبق لعدد من الباحثين أن خاضوا فيه، إلا أن أحكامهم في معظمها كانت هامشية مطلقة لأنها، على ما يظهر منها، لا تستند إلى معرفة تقنية بفن القصة.

المقامة المضيرية:

إن «المقامة المضيرية»[٣] تحل في المراتب الأولى بين مقامات الهمذاني، فلقد وُفّق فيها بديع الزمان أيّما توفيق. ويهمنا الآن أن نوجز القول في موضوعها، ومن ثم نرى في ما إذا كانت قصة، أو تمتّ إلى القصة بعلائق متينة.

يروي عيسى بن هشام كيف أنه لبّى، برفقة أبي الفتح الإسكندري، دعوة بعض التجّار، وذلك في البصرة. وقُدّمت للضيوف أكلة العصر، المضيرة[٤]، في قصعة برّاقة. فما إن حلّت هذه الأكلة على الخُوان حتى انبرى لها أبو الفتح الإسكندري باللعن والشتم، ثم برح المائدة مغضباً. عندها رُفعت المضيرة، فودّعتها العيون والأكباد وهي أسيفة حرقى. وأقبل الصحاب، بعد هجرها القسري، على أبي الفتح يستفسرونه الأمر، «فقال: قصّتي معها أطول من مصيبتي فيها. ولو حدّثتكم بها لم آمنِ المقت وإضاعة الوقت. قلنا: هات».

ويشرع أبو الفتح يحدّث كيف أن تاجراً بغدادياً دعاه لتناول المضيرة وألحف في دعوته، ونزل أبو الفتح عند رجائه ومضى معه إلى منزله. وأخذ التاجر يقطع الطريق بالحديث عن زوجته وما تتحلى به من رائق الشمائل، فهي طبّاخة نفاخة، ولم يفته القول أنها ملساء الخد جميلة، وهي ابنة عمه لحّاً وموطن عشقه، كما أنه موطن عشقها، فسبحان مدبّر الأمور وجامع القلوب. وانتهى بهما الحديث عن زوجه وخليلته إلى المحلّة التي يقطن فيها، فما كان من التاجر إلا أن قرّظ محلته، فهي مسكن التجّار، ويقع داره في الوسط من هذا الحي المختار. ولا تسل كم أُنفق من المال على كل دار منه؟ تقول كثيراً! سامحك الله فهو وحده يعلم مبلغ ذلك.

ويتابع أبو الفتح الإسكندري الحديث فيبلّغنا أنهما وصلا إلى باب دار التاجر، فأخذ هذا يطري ما يقع عليه بصره، فالطاقة دقيقة الصنع، إعلم أن الباب «هو ساجٌ من قطعة واحدة، لا مأروضٌ ولا عَفِن». وقد صنعه رجل بصير بصنعه، وحُلّي بحلقة اشتراها تاجرنا ــ أعزه الله ــ من «أنتيكخانة» بغداد. غير أن الله سلّم وقرع بعدها التاجر الباب ودلفا إلى الدِّهليز. وبعد الأدعية بسلامة الدار والتغني بمعارجها، أخبر المضيف أبا الفتح كيف أن هذه الدار كانت لجاره أبي سليمان، فوفوه من طفق يبدد أمواله الكثيرة. فاحتال تاجرنا على هذا الوريث، بأن أغرقه في الديون، إلى أن وضع يده على الدار، وهو ــ على حد قوله ــ «بحمد الله مجدود، في مثل هذه الأحوال محمود». وبما أنه عرض للحيلة والاحتيال، فليزوّد أبا الفتح بفيض من ملف «مكارمه». فقد طرقت بابه منذ ليالٍ امرأة تعرض عليه عقد لآلٍ، فابتاعه بالثمن البخس، وسينفق ــ بعون الله ــ بربح وافر. وهناك الحصير الذي يعزّ وجود مثيله، فإذا به يشتريه وقد عُرض في الأسواق بعد نكبة أحد آل الفرات من وزراء العراق.

بعد هذه الافتتاحية والتمهيد المسهب، يصل بنا أبو الفتح الاسكندري الى القول أنه قد حانت الظهيرة، وأن التاجر نادى غلامه ليأتي بالطسّت والماء. فظن أبو الفتح أنه بالغٌ أخيراً المضيرة، وأن الفرج آتٍ بعد الشدّة. ولكن ما إن تقدّم الغلام حتى أدار التاجر الحديث عليه وكيف اشتراه. ثم جاء هذا الغلام بالطسّت، فتناوله التاجر وقلّبه

---

(١) الجهة عندهم أيامئذ كناية عن الزوجة المحترمة ولم نقل «الزوج» خشية الالتباس.

(٢) R. Blachère et p. Masnou: Al-Hamadani Maqamat. Introduction P.5.

(٣) مقامات الهمذاني، ص ١٠٤ إلى ١١٧

(٤) ظن الشيخ محمد عبده، شارح مقامات البديع، أن المضيرة ربما توازيها «لبنية» بلاد الشام، وهي التي تُدعى عند أهل بيروت «فقّاعية». ولكن الحقيقة، التي ترضي البطون، هي أنها توازي بالفعل ما يسمى في سورية «شاكريه»، أو ما نطلق عليه في لبنان «لبن أمه» أو «مربى اللبن».

والمضيرة: نوع من الطعام مؤلّف من لبن ولحم.

وعرّف بمحاسنه وأخبر ضيفه أنه ــ والله شهيد على ذلك ــ من مشتريات عام المجاعة! وقدّم له الغلام، تلبية لطلبه، الإبريق، فما مرّ دون تعليق. بعدها نادى التاجر «أرسلِ الماء يا غلام، فقد حان وقت الطعام». وما إن جاء الماء الصافي حتى تناوله بالكلام الضافي. ثم أدار لسانه على المنديل فطرزه بما واتاه من الكَلِم السلسبيل.

و «أحسّ» التاجر بكثرة كلامه، فأمر غلامه بالخوان، وما إن أتاه به حتى أفرغ ما عنده في وصفه والإعجاب بشكله، فقال له أبو الفتح: «هذا الشكل، فمتى الأكل؟ فقال: الآن. عجّلْ يا غلامُ الطعام. لكنَّ الخوانَ قوائمهُ منه»! شعر أبو الفتح، عندما عاود التاجر الكلام على الخوان، أنه لن يبلغ المضيرة إلا بعد نصَب كبير، وأن ثرثرة طويلة تنتظره حول الخبز وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد، وعن السُّكُرُّجات، أي الصحون، والخل والأطوار التي تقلّب فيها حتى صار ما نعهده، وبقي البقل، ثم أخيراً للمضيرة والأدوار التي مرّت بها بحيث خرجت جيدة الصنع.. «وهذا خطبٌ يطُمُّ، وأمر لا يتمُّ. فقمت. فقال: أين تريدُ؟ فقلت: حاجةٌ أقضيها. فقال: يا مولاي، تريد كنيفاً يُزري بربيعيِّ الأمير، وخريفيِّ الوزير...». وسرد مفاتن هذا الموضع إلى أن قال: «يتمنى الضيف أن يأكل فيه. فقلت: كل أنت من هذا الجِراب، لم يكن الكنيفُ في الحساب»!

وخرج أبو الفتح الاسكندري من منزل هذا التاجر يعدو، والمضيف يلحق به منادياً: «يا أبا الفتحِ المضيرةَ». وخال صبيان المحلة أن المضيرة لقب أبي الفتح، فصاحوا لمساعدة التاجر في مناداته لضيفه. غير أن النزق كان قد استبد بأبي الفتح فرمى أحد الصبيان بحجر، فإذا به يصيب رجلاً معمماً في رأسه. فانهالت عندها النعال من قديمة وحديثة على بطل بديع الزمان الهمذاني، وقادت هذه المضيرة اللعينة أبا الفتح إلى الحبس، حيث حلَّ ضيفاً عليه طوال عامين، خرج بعدهما وقد نذر أن لا يأكل المضيرة مهما عاش.

ويختتم عيسى بن هشام، راوية الهمذاني، هذه المقامة قائلاً: «فقبلنا عُذرَه، ونَذَرنا نذْره، وقلنا: قديماً جنت المضيرة على الأحرار، وقدَّمتِ الأراذلَ على الأخيار».

«المقامة المضيرية» ومقوّمات القصة:

هذه المقامة المضيرية لا تنطبق عليها كافة الأحكام والخصائص التي تلقاها في أغلب المقامات. فهي تشذّ من حيث محتواها، اذ ليس فيها الكُدْية المألوفة التي تقوم على ضرب من الاحتيال في سبيل العيش يكون بطله أبا الفتح الاسكندري، كما هو الحال مثلاً في «المقامة القريضية»، وموضوعها القريض وأهله، أو «المقامة الأزاذية» والأزاذ نوع من التمور، أو «المقامة المكفوفيّة»، وسميت هكذا لأن أبا الفتح احتال على الناس في هذا المقام بأنه أعمى مكفوف البصر، إلى ما هناك من مقامات تنزيًا بهذا الإطار التقليدي القائم على الخديعة لتحصيل المعاش. ويكون الشاهد على هذه التّكْدية، كما درجت العادة غالباً، عيسى بن هشام الذي يكتشف دائماً في النهاية أن المُكْدي هو أبو الفتح نفسه، في حين أن الراوية الرئيس في المقامة المضيرية التي نحن بصددها هو أبو الفتح.

الفارق الأهم الذي نسعى لإثباته أنه إذا كان الاطار المألوف للمقامة، الذي نلقاه في الكثرة من هذه المقامات، هو موضوع خلاف ويحتمل النقاش في ما إذا كان يمتّ إلى القصة بنسب أو وشيجة، فإن بديع الزمان قد خرج عن هذا الإطار التقليدي في مقامته المضيرية، وأتى بنسج جديد ليست القصة في الواقع من قماشة بعيدة عن نسجه. فما حظ هذه المقامة من مقوّمات القصة؟

بادىء ذي بدء هل توفّرت «الحادثة»، التي هي الخامة الأولى للقصة، في مقامتنا المعنية؟ نجيب دون تردد: بلى، فالحادثة في صلب المقامة المضيرية. ولا ينبغي أن تؤخذ كلمة «الحادثة» بمعناها السطحي، فالحياة حافلة بالحوادث، ونحن نتعثر بها في كل منعطف من حياتنا، وهي ملقاة على قارعة الطريق تصدم الإنسان في كل حين، ومع ذلك فهذه الحوادث لا يكفي أن يلقيها أي امرىء على الطِرْس فتغدو أقاصيص ناجحة. الحادثة بتضاعيفها هي الألوان المبعثرة على مَلْوَنة الفنان، فهذه الألوان تستحيل عند الفنان الحق ينابيع جمال، نغني بها وجودنا الروحي، وكذا الحادثة تحتاج إلى شحنة إنسانية تبعث في أوصالها دبيب الفن واليقظة. وبديع الزمان في مقامته يخصب العمل أو الحركة بما يُضفي على كلامه من نعوت وأوصاف وتشابيه، كقوله واصفاً المضيرة التي نزعت عن الخوان بعد أن حمل عليها أبو الفتح: «ورفعناها فارتفعت معها القلوب، وسافرت خلفها العيون، وتحلّبت لها الأفواه، وتلمّظت لها الشفاه، واتّقدت لها الأكباد، ومضى في إثرها الفؤاد» ويقول الهمذاني بعد سطرين من هذا الكلام مصوّراً، على لسان أبي الفتح، التاجر الذي ألحف في دعوته للاسكندري: «ولازمني ملازمة الغريم، والكلب لأصحاب الرّقيم». ويحدّث التاجر أبا الفتح عن زوجه ومهارتها فيقول: «يا مولاي لو رأيتها، والخِرقة في وسطها، وهي تدور في الدُّور، من التنّور إلى القدور، ومن القدور إلى التنّور، تنفث بفيها النار، وتدقّ بيديها الأبزار؛ ولو رأيت الدخان وقد غبّر في ذلك الوجه الجميل، وأثّر في ذلك الخدّ الصقيل، لرأيت منظراً تُحار فيه العيون».

فهذه النماذج، التي نكتفي بها للتدليل على حسن تخلّص بديع الزمان في تصوير الأشياء، تبعث في النفس بعض التساؤل. من ذلك أن الهمذاني يعوّل في مقامته على الوصف دون التحليل. وعلى هذا نجيب بأن التحليل في الأدب والاستغراق فيه أمر غير قديم، وقد نتج هذا الايغال في سبر طوايا النفس البشرية عن تطور علم النفس الحديث. ثم لا يفوتنا أن هناك نوعاً من القصة يدعى «قصة الحادثة»، أو «القصة السردية»، وهذه تعتمد على ما يصدر عن الإنسان من أعمال، أي على الحركة العضوية ــ بحسب اصطلاح فن القصة. ويبغي الكاتب من هذه الحركة تجسيد الحركة الذهنية، وهذه الأخيرة «... تتمثل في تطور الفكرة العامة نحو الهدف الذي تهدف إليه القصة»[1].

هذا، ولربما أبدى قارىء المقامة المضيرية شيئاً من الاستغراب لتلاحق الأفعال في سلوك التاجر البغدادي، مما يبعد عن الحقيقة، ويجعل الحركة العضوية معقدة العناصر. والحال أن الأدب تعبير عن الواقع، ولكنه ليس تعبيراً آلياً انعكاسياً، يتم بشكل تلقائي دون معاناة

(١) عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، ص ١٦٠.

أو جهد. لا بد أولاً في الأدب من عملية اختيار، فليس كل ما يحدث لفرد ما صالحاً أو جديراً بالتسجيل. ثم إن الأدب يختصر الزمن ويجمّع اللحظات، لأنه يسعى إلى إبراز نماذج وشخصيات انسانية. وهذا الكلام يقودنا إلى الحديث عن «الشخصية» في القصة، وبالتالي في المقامة ــ القصة التي نتدارسها.

قيل في بخيل «موليير» إنه مندوب فوق العادة لكافة البخلاء، بحيث إننا نطالع في شخصه أكثر من بخيل، وذلك أن الكوميدي الخالد أراد أن يخلق نموذجاً للبخل في شخص هَرْبغون (Harpagon). وهذا التمثال المسرحي الحي له نظراؤه في القصة. ولا نبعد بالتفتيش في زوايا ذاكرتنا، فإن بديع الزمان يمدّنا بنموذج في مقامته المضيرية. فهذا التاجر البغدادي نستمد عناصر شخصيته من فعاله، فهو إنسان لجوج، مفتون بزوجته، حديثُ نعمةٍ حصّلها بالاحتيال «المشروع»، وهو إلى ذلك ثرثار لا يني لسانه من الدوران حول حوائجه، من غلام وطست وإبريق ومنديل وخوان إلى ما هناك، بحيث يثير ثائرة أبي الفتح ويخرجه عن طوره، فيولي هارباً وهو في غنى عن المضيرة وأكلها. فثرثرة التاجر وافتنانه بما كنز وحصّل أمر يندر وقوعه على هذا النحو المقيت، وإنما هي عملية يراد بها بلورة شخصية، فلا مندوحة عندها من طرف مبالغة، لأننا نحشد في شخصٍ ما نجده مفرّقاً في غير واحد من الناس.

والمقامة المضيرية تندرج في عملية «البناء»، فينتقل بنا الهمذاني من الطريق إلى محلة التاجر البغدادي، فإلى داره بما حوت من صنوف النعمة والثراء. وهذا كله تمهيد طويل ينبغي أن يوصلنا إلى المضيرة، وهي الهدف. ولكن التاجر لا يفرغ من إفراز الكلام وأبو الفتح ينتظر المضيرة، فهو في شوق إلى الطعام، فيحاول التخلص من لسان التاجر بارتياد الكنيف، فينعقد لسان التاجر على الكنيف الذي «سُطِّح سقفه، وفُرشت بالمرمر أرضُه». عند هذا الحادث المفاجيء تمشي المقامة ــ القصة نحو الحل والنهاية، إذ يفرّ أبو الفتح من دار التاجر، فيناديه هذا ويساعده صبية الحي بالصراخ له، فينبري لهم الاسكندري ويرشقهم بحجر فيصيب به الرجل المعمّم، بهذا يقع حادث مفاجيء جديد، وينتج عنه حل جديد، إذ تتقدم عندها النعال إلى العمل، ويُسجن أبو الفتح عامين لفعلته.

بهذا تنتهي القصة منطقياً، ولكن بما أن هذه القصة صيغت بقالب ندعوه المقامة، وبما أن الوعظ لم يكن بالسمة الغريبة على ذلك الزمن، ولأن المقامات درج محدثها بديع الزمان على إنهائها بموعظة مستمدة من جو المقامة وأحداثها؛ لهذا جميعاً ختم عيسى بن هشام هذه المقامة بقفلة ساخرة. فنحن عرفنا من بداية المقامة أن أبا الفتح تمنّع عن أكل المضيرة عند التاجر البصريّ مكرهاً، وشاركه المدعوون فتمنّعوا عن أكل المضيرة آسفين عليها، ثم سرد أبو الفتح حكايته اللعينة معها. أمّا هذه القفلة الأخيرة فقد أملتها تقاليد المقامة، إذا صحّ القول، ولكنها في الواقع تضمنت لفتة ساخرة من هذه التقاليد نفسها التي اهتدى إليها الهمذاني بوحي من عصره وبيئاته ومشاغله. فالقفلة تضمنت مثلاً، إذ أقرّ المدعوون بعذر أبي الفتح، ونحوا نحوه في عدم تناول المضيرة وخلصوا إلى القول: «قديماً حنتِ المَضِيرةُ على الأحرار، وقدّمت الأراذِلَ على الأخيار». والمثل يكون عادة زبدة الحُقَب وخلاصة التجارب، فإذا بهم هنا يستخرجون عظة وعبرة من حادث طريف وقع لأبي الفتح فشملوا به الأحرار. فنحن أمام مثل وضعه بديع الزمان وأجراه في آخر مقامته، فيبدو للمطالع «الجاد» أنه وُجد قديماً، وهو في واقع الحال من صنيع الهمذاني، فكأن بديع الزمان رمى به إلى السخرية من الأمثال.

ويؤكّد الدارسون لفن القصة على القصة على أهمية عنصري: «الزمان» و «المكان»، إذ القصة تصوّر دائماً بيئة معينة، وتبدو موفقة بمقدار كشفها عن هذه البيئة وصدق تصويرها، وهذه البيئة المعنية إنما تكوّنت في زمن محدد نتيجة عوامل مختلفة.

والمقامة المضيرية تسمح لنا أي سماح بوضع حدّ لهذه الفكرة السقيمة التي نلقاها عند أكثر من باحث محترم[1]، والتي يذهب مشيعوها إلى القول إن المقامات قصص لغوية، أو إنه قُصدت بها فقط الفائدة اللغوية والمهارة في التصرّف بفنون الكلام. وهذا الرأي إذا كان يصدق ــ وإنه ليصدق ــ على عدد وافر من كتبة المقامات، وخاصة الحريري، والذين تتلمذوا عليه، ومنهم ناصيف اليازجي في مطلع النهضة، فإنه يبدو بيّن الزيف إذا أُجري على بديع الزمان في مقاماته، وإنه ليشين الهمذاني أكثر مما يكسبه غاراً. والتكلّف اللغوي عمد إليه بديع الزمان في بعض رسائله، ولهذا حديث ليس هنا موضعه؛ أما مقاماته فلا نقول انها خلت تماماً من صنيع لغوي مقصود بذاته، إنما نؤكد على أن هذا الصنيع ليس الصفة الغالبة والسمة المميزة لمقامات الهمذاني.

وإذا قيل لنا: لِمَ لجأ بديع الزمان إلى السجْع كطريقة في الكتابة والتزمها التزاماً كبيراً لا يشذ عنه إلا لِماماً؟ أما كان بمكنة الهمذاني أن ينسحب على أذيال أديب فاضل كابن المقفع مثلاً؟ على هذا نجيب موضحين، لا مختلقين المعاذير، أن السجع لابس اللغة العربية الفصحى ــ على حد علمنا ــ منذ أن استقامت في أفواه الناس. وهذا السجع الذي يبدو في خُطَب الجاهلية، والذي نلقى آثاره البيّنة في القرآن، ظل مرافقاً العربية، ويبدو على نحو ما في أدب ابن المقفع نفسه، ثم اشتد ظهوره في كتابات القرن الثالث، غير أن القرن الرابع الهجري احتفل أيما احتفال بالسجع، فتكلفت اللغة الأناقة، كما تكلفها الناس الأرستقراطيون المترفون في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وحياتهم. وهذا السجع اللغوي توسّل به فريق من أجلّة الأدباء في هذا القرن الرابع الذي عرف عدداً عجيباً من رجال الفكر والأدب، ومن هؤلاء المتوسلين بالسجع، كأسلوب لازم مؤلفاتهم لأنه غدا أسلوب العصر، أبو منصور الثعالبي معاصر البديع ومن معارفه، وأبو اسحاق

---

(١) يقول المستشرق توماس تشنري Chenery، أحد مترجمي مقامات الحريري إلى الإنكليزية على أن «الأسلوب هو كل شيء» في مقامات الهمذاني. ويذهب المستشرق نيكلسون Nicholson إلى أن «القصة لا شيء والأسلوب كل شيء» عند بديع الزمان. (نقلاً عن: بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية مصطفى الشكعة، ص ٢٧٩ و ٢٨٠)، ويقول شوقي ضيف، موافقاً ابن الطقطقي على رأي له في المقامات: «وإن من يتابع البديع في مقاماته يحس حقاً أنه ألفها لغرض التمرّن على الكتابة والإنشاء...»! (الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١٧٧)، أما جرجي زيدان فيبدو أوفر اعتدالاً وبعد نظر إذ يقول عن مقامات البديع: «والمراد بها في الأكثر التفنّن بالإنشاء وتضمينه الأمثال والحِكَم. ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني». (تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢ ص ٢٧٥).

الصّابي متولي ديوان الرسائل، وأبو بكر الخُوارَزمي الذي عـاركه بـديع الزمان، وأبو حيّان التوحيدي أحد مفاخر العربية، وغيرهم.

ومع هذا كله فالحريّ بـالذكر أن الهمذاني، مـع تقيّده إلى حـد كبير بالسجع، ابتعد به عن جادة التكلّف والتصنّع المعيبين للأدب(١). فـإن قراءة هادئة للمقامـة المضيريـة، التي هي محور بحثنـا، تُظهـر أن بديـع الزمان نزر التكلف، والتكلف يقوم على استعمال حـوشيّ الكلام الـذي يندر استعماله ويُشكل فهمه، ويغلظ في الأسماع جرْسه، ثم إن السجـع المتكلّف هو الذي يقود صاحبه إلى ترديد المعاني طمعاً في نيل السجـع، ويتم ذلك على حساب المعنى. وهذا «هو العيّ الأكبر»، عـلى حد تعبير لابن المقفع. وجلنا النظر في مقامتنا المضيرية فتبدّى لنا، بعد تشدّد، أن البديع انساق إلى شيء مما تقـدم، كقـولـه في الـدار: «ثم درَّجْتُـهُ بالمعاملاتِ إلى بيعِها حتّى حصلَتْ لي بجَدٍّ صاعِـدٍ، وَبَخْتٍ مُساعـدٍ»، فالجد الصاعد والبخت المسـاعد يؤديـان المعنى نفسه تقـريباً، وإنمـا هو السجع ألجاه إلى هذا الترديـد، وكذا قـوله في الحـطب: «وكيف صُفِّفَ حتّى جُفِّفَ، وحُبِس حتّى يَبِسَ». وقـد تخدش كلمـة «السِّطَة»، بمعنى الـوسط، آذان بعضنا حيث يقـول: «ودَارِي في السِّطَةِ من قِـلادتِهـا، والنُّقطةِ من دائِرتِهـا». ونتساءل أخيـراً: لمَ استعمل الهمـذاني تعبير «آلَ هَمْذَان» وهو في البصرة ـــ حسب ما ورد في بداية المقامة ـــ وما المراد به؟

أتراه قصد بـه اسم العائلة التي كـان يحضر دعوتهـا برفقـة عيسى بن هشام؟ مع العلم أن الأمر لا علاقة له بـالسجع، بـل إن الكلام الـذي سنورده يدل على أن بديع الزمان يتحرر من ربقة السجع حيناً بعد حين من قوله: «فنذَرْتُ أنْ لا آكُلَ مَضيرةً ما عِشْتُ. فهـلْ أنا في ذَا، يـا آلَ هَمْذَان، ظالِمٌ؟». وهذا الذي ذكرنا عن تكلف بـديع الـزمان في مقـامته المضيرية لا يُؤْبه له، بل إنه تشددُ أملته الـدراسة الحـريصة، إذ مـا حظ حصاة أن تعكّر من صفو بحيرة؟!

وبعدُ، فقد سقنا هذا الكـلام لنخلص إلى رأي يؤكد تـوفر عنصرَي المكان والزمـان في بعض مقامـات البديـع، ومتى توفـر هذاا العنصران اكتسب الأدب صفـة اجتماعيـة، هذه الصفـة التي نراهـا عند الجـاحظ والتي قبسها الهمذاني بدوره عن أبي عثمان. فالمقامة المضيرية تحكي قصة هذا الرجل الذي ينتسب ـــ على ما يظهر ـــ إلى الطبقة الـوسطى، وقـد أثرى مهتبلاً الفرص، تارة عـلى حساب الأغنيـاء من الوزراء أصحـاب الأموال الفاحشة التي صادروها من الناس والولاة، ثم جاء الخليفة، في ساعة قوة، فوضع يده عليها وباع منها الأثاث لحاجته(٢). وهكذا يقول التاجر البغـدادي لأبي الفتح: «اشتَـرَيْتُ هذا الحصـير في المُنَاداةِ، وقـد أُخرِجَ من دور آلِ الفُراتِ، وقتَ المُصـادراتِ وزمنَ الغـارات». وفي طور آخر لم تكن المجاعة، التي طـرقت أبواب النـاس أكثر من مـرة في

القرن الرابـع الهجري، وكـان من شدتهـا أنها حملت بعض الناس عـلى بيع عقاراتهم لقاء أرغفة من الخبز ـــ كما يخبرنا ابن مسكويه في «تجـارب الأمم»(٣)، وأنها لتجارب قاسية ـــ نقول لم تكن المجاعة لتمـرّ دون أن يصيب تاجرنا فائدة، فإذا بـه يشتري طسْتـاً من النحاس الأصفـر «وقد عَرَفَ دُورَ المُلوكِ ودَارَهَا»، ويتابع طارحاً السؤال عـلى أبي الفتح ومجيباً عليه دون انتظار: «تـأمَّلْ حُسْنَـهُ وسَلْني: متى اشتريتُـهُ؟ اشتريتُـهُ واللهِ عامَ المجاعَةِ، وادَّخرْتُهُ لهذه السَّاعَةِ».

وما دمنا قد أتينا على ذكر الطسْت، فمن المفيد أن نشير إلى أن التاجر البغدادي يتغنّى هزجاً بحوزته لهذا الـطسْت وغيره من الأواني والحـوائج كالإبريق والدّست والخوان، كما تُذكر السُّكُرُّجاتَ ومفردهـا السُّكرُّجـة بمعنى الصحفة والقصعة، فهذه التعابير كلها فـارسية الأصـل(٤)، وقد دخلت البيئة العربية الإسلامية بمدلولاتها وأخذ بها الناس المرفّهـون، مما يشير إلى الأثر الفارسي في تحضر العرب المادي.

إن بديع الزمان ينتسب في مقاماتـه إلى زمن عاش فيـه ومكان طـرقه بـذهنه وجـاس فيه بجسمـه واستشعره بحواسـه، في حـين أن واضـع مقامات كناصيف اليازجي كتب مقـاماتـه في مشارق النهضـة، وهي لا تمتّ إلى هذه المشارق بخيط مرئي. والمسألة واضحة في رأينا، فالهمذاني في مقاماته أديب فنان، الى حذقه اللغة وايغاله في شعابها؛ بينما اليازجي في «مجمـع البحرين» لغـوي متفقّه، عليم بغـريب اللغة، بصـير بأيـام العرب وأمثالهم، متمرّس بتاريخهم وآدابهم. إن ناصيف اليازجي في ما كتب من مقامات يعيش بروحه وعقله في غـير زمنه، أمـا بديـع الزمـان الهمذاني فقد عاش زمنه وصوّر بيئاتـه، بحيث أن الباحث في العـادات الإسلامية يعثر في مقامـات الهمذاني ـــ «. . التي يبـدو أننا لم نشعـر إلى حـد كافٍ بقيمتهـا الوثـائقيـة»(٥) ـــ عـلى منهـل ثـرّ. أو ليس اختيـار الهمذاني للكُدْيَة والمُكْدِين دليل على أنه يحمل هوية عصره!؟.

تطور القصة العربية:

وهكذا لا يسعنا إلا الإقرار بأن المقامة المضيرية قصـة موفقـة، سواء درى بديع الزمان بما كان يصنع أم لا؛ ثم هي تخالف الإطـار التقليدي القائم على الكُدْية الذي صيغت بواسطته معظم المقامات. فهذا القالب الكلاسيكي للمقامة، كما نرى، لا يرقى إلى القصـة في مفهومنـا الحالي بصلة ذات شأن، وعندما نقول القصة فنحن نقصد بذلك دائمـاً المفهوم الذي استقرّت عليه القصة بعد نضجها خلال العصر الحديث.

وإذا مـا قلنـا إن القصـة عـرفت النضـوج في الأدب الغـربي خـلال العصر الحديث، وتبدّت في نماذج ابداعية رائعة، فهذا يعني أنها لم تكن على هذا النحو من النضوج قبلاً، وأنها تمشّت في أوصال الأدب الغـربي منتقلة من الشكل البدائي الخام، ثم نمت وتطورت إلى أن غدت فنـاً لـه أصـوله وقـواعده. وهـذا المتطور كـان مكتوبـاً على القصـة العربيـة أن

(١) يقول أبو منصور الثعالبي إن بديع الزمان أملى مقاماته «. . . وضمَّنها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين، من لفظ أنيق قريب المـأخَذِ بعيدِ المرام، وسجـع رشيق المَطلع والمقطع كسجع الحمام. . .»، (يتيمة الدهـر، ج ٤ ص ٢٥٧)، ويرى زكي مبارك أن الهمـذاني «. . . أبـرع من حـمل القلم بـين أهـل عصره، ولا نعرف كاتباً التزم السجع، ووُفِّق الى الدقة والرشاقة والعـذوبة كـما وُفِّق بديع الزمان». (النثر الفني في القرن الرابع، ج ٢ ص ٣٥٦).

(٢) راجع كتابنا «ثورة الزنج، وقائدها علي بن محمد» ص ٦٧.

(٣) نقلاً عن: أهل الكدية أبطال المقامـات في الأدب العربي لعبـد النافـع طليمات، ص ٦٠.

(٤) القس طوبيا العنيسي: كتاب تفسير الألفـاظ الدخيلة في اللغة العربيـة مع ذكـر أصلها بحروفه، ص ١، ٢٥، ٢٧، ٣٦ و ٤٦.

(٥) R. Blachère et P. Masnou: Introduction, P.5.

تسلكه. فتصل حاضرها بماضيها، غير أن الإنقلاب السريع غشي الدولة الإسلامية العربية فقضى على سلطتها السياسية وتركها بَدَداً، وشلّ نشاطها الحضاري ورماها في انحطاط طويل، بحيث إن العرب عندما استفاقوا من جديد وعادوا إلى ركب الحياة، كانت سُنن التطور قد غلبتهم وتخطتهم، وكان على الأدباء العرب أن يعالجوا القصة غير معتمدين على تراثهم الماضي، وإنما كان عليهم، كما تقضي بذلك قوانين التطور والحياة، أن يلتفتوا شطر الأدب الغربي، أي الآداب الفرنسية والانجليزية والروسية بشكل خاص، وأن يقبسوا عنها المراحل التي فاتتهم، ليعوِّضوا ما ولَّى ويرتقوا إلى حال الأدب في ما وصل إليه من تبلور عند الغربيين. وهذا التطور للقصة في الأدب العربي الحديث لم يحدث فجأة، بل تطلّب مراحل من النماء والنضوج، وهذه المراحل لم تكن منبعثة من ذات الأدب العربي، وإنما خضعت لتأثيرات الأدب الغربي.

ولا يفوتنا التنويه في هذا المقام أن أديباً كمحمد المويلحي قد كتب المقامات في «حديث عيسى بن هشام»، كما أن حافظ ابراهيم عالج هذا الفن في «ليالي سطيح»، وجرى في سبيلها آخرون. بيد أن هذين الأديبين، إن كانا تلقّحا بأسلوب المقامات واغترفا من هذا التراث، فلقد وقفا عند حد الشكل دون المحتوى. فالأسلوب في عهدهما لم يكن قد تطور بشكل وافٍ بحيث يتحرر من ربقة السجع وينطلق من قواقعه، ويرمي بهذه الرِجْل الخشبية، على حد تعبير أحمد فارس الشدياق. وهذا أمر مفهوم، لأن الشكل عادة يتسم بأنه «محافظ»، فقد يتبدّل المحتوى ويظل لابساً للشكل القديم، ذلك أن المحتوى هو أكثر تبدّلاً من الشكل، وأن التطور أول ما يطرأ على المحتوى، ولا نعني بهذا الكلام أن الشكل خالد لا يحور ولا يزول، وإنما ليس من الإلزامي دائماً أن يكون لكل محتوى جديد شكل جديد تواً، وعلى نحو تلقائي مباشر، إنما في مرحلة تالية ومتقدمة يدخل المحتوى الجديد المتطور في عراك وخصام ونزاع مع الشكل القديم المتخلف نسبياً، فيتعرّى منه ويتزيّا بشكل جديد نسبياً. ولا حاجة بنا إلى التأكيد أن الشكل والمحتوى لا ينفصم أحدهما عن الآخر، وأن هذا التطور عند كل منهما لا يتم بمعزل عن الآخر بل باتصال وثيق به.

نتابع ما انقطع من أفكارنا فنقول إن المويلحي وحافظ قد التزما أسلوب المقامات من غير افتعال مقيت للسجع، أي بخلاف ناصيف اليازجي مثلاً في «مجمع البحرين». فاليازجي مكمّل ومتابع أمين لتقاليد الحريري البالية، شكلاً ومحتوى، لكونه لغوياً متفقهاً أكثر منه أديباً مبدعاً، في حين أن المويلحي وحافظ ليّنا السجع ومضيا به في دروب أنارها لهما الأدب الغربي. ومن الأمور ذات الدلالة أن حافظ ابراهيم هو معرّب رواية «البؤساء» لفكتور هوغو، ولقدترجمها بأسلوب مسجَّع، أي أنه استعان بشكل قديم لتعريب محتوى جديد، وقد تُرجمت هذه الرواية إلى لغتنا عدة مرات في ما بعد بأسلوب جديد لا يعرف معنى للسجع وملحقاته!

وهكذا تنتهي بنا هذه الاستطرادات الموضوعية إلى أنه من الضلال أن نُلزم المقامات الهمذانية بأن تستوفي شروط القصة العصرية الناضجة، فالمرحلة التي كُتبت فيها المقامات كانت مرحلة أوّلية في تطور القصة عند العرب، والقصة الاجتماعية بنوع خاص، لأنها مدار الخلق الصحيح والإبداع الحق، ثم انقطع الطريق بهذه المرحلة الأوّلية، كما أسلفنا، وعرف الأدب العربي القصة في عهد النهضة على يد الأدب الغربي واستنار بأقباسه، لذا قلنا: «إن المقامة المضيرية قصة موفّقة، سواء درى بديع الزمان بما كان يصنع أم لا!» وذلك أن الهمذاني لم يكن ليعي فنّ القصة وعينا له اليوم، وإنما كان، كما نعتقد، ذا روح قصصية، أو على الأصح كان محدّثاً لبقاً ماهراً ألمعياً، يرتجل من الكلام عَجَباً. وإذا كان بديع الزمان قد تأثر في موضوعات مقاماته بشعراء الكُدية الذين كانوا على جانب كبير من الظرف والطرافة، أمثال: ابن الحجّاج، وابن سكّرة، والأحنف العُكْبَري، وأبي دُلَف الخزرجيّ وغيرهم، فهو في مقامته المضيريّة يقتفي خطى الجاحظ كما نلاحظ. إن مقامته هذه، بما اشتملت عليه من مضمون اجتماعي، تذكّرنا من حيث الجوهر والاتجاه بقصة الكِنديّ الواردة في «البخلاء»، والتي تصوّر النزاع القديم الجديد بين المالك والمستأجر.

تبقى نقطة أخيرة ينبغي بحثها، لئلا يعتقد القارىء أننا وقعنا في شيء من التناقض دون علم منا. فقد قلنا إن المقامة المضيرية قصة ناجحة بعد إخضاعها لعملية تحليلية، راعينا فيها قواعد القصة العصرية وأصولها: من تقييم للحادثة، وإبراز للشخصية، وإيضاح لعملية البناء في تدرّجها، ثم التأكيد على عنصري الزمان والمكان اللذين يعطيان للقصة هويتها الاجتماعية، وقلنا أيضاً: «إنه من الضلال أن نُلزم المقامات الهمذانية بأن تستوفي شروط القصة العصرية الناضجة». فكيف نوفّق بين القولين، وهل هناك من خلل واضطراب بين الرأيين؟ الواقع أنه لم يقع اختيارنا على المقامة المضيرية اعتباطاً، بل هي تنفرد تقريباً عن سائر المقامات وتخرج عن الإطار التقليدي الذي صيغت بواسطته المقامات على العموم ومداره الكُدْيَة والمُكْدون وأساليبهم وحيلهم. إن المقامة المضيرية، في عُرفنا، «لُقيَة» فريدة في أدب بديع الزمان الهمذاني، شأنها في ذلك شأن قصة الكِي نديّ في «البخلاء»، أو قصة الذبابة الخبيثة مع عين قاضي البصرة الزميت عبد الله بن سوار وهي من دُرر «الحيوان» عند أبي عثمان الجاحظ. فهذه النماذج الجميلة نجمت في المرحلة الأوّلية التجريبية للقصة في الأدب العربي، كما أبنّا، وهي، على ما أصابته من توفيق عزّ نظيره في تلك الفترة من أدبنا، تُعتبر في مرتبة ثانية بالقياس إلى القصة المتطورة، لأن جُلّ اعتمادها على الحوادث، فهي «قصة حادثة» محورها الحركة العضوية، كما أسلفنا، في حين أن القصة المتطورة تحفل بالحركة الداخلية والتحليل النفسي.

آراء جاهزة:

إذاً فالمقامة المضيرية «لُقيَة» لدى بديع الزمان، «ولو وفق البديع في جميع مقاماته توفيقه فيها، لبلغ في هذه الصنعة غاية الغايات»[1]. ومن شأن اللقية أن تخرج على المألوف، وتشذ عن العام وتتخطى المتعارف عليه مرحلياً، لتطرح نموذجاً أرقى يدفع عجلة الأدب قُدُماً، وإنه لمن الإجحاف واصطناع الأمور وتحميلها فوق طاقتها ومرحلتها أن

(١) بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص ٣٨٩.

نعرض بعض مقامات الهمذاني على قواعد القصة ونطلق بصددها[1] التعابير الجاهزة، المقتبسة من قاموس الفن القصصي، دون تحليل لهذه التعابير ومدى انطباقها على المقامات المعنية بالدرس. من ذلك أن أحد الباحثين[12] تناول «المقامة المَوْصليّة» بالبحث، فاعتبر «أن القصة في روحها تكاد تكون كاملة الأركان»، وفيها «تفصيل دقيق وتصوير بارع لأبطال القصة وأشخاصها»، وأن «عنصر المخاطرة واضح جداً»، كما أن الكاتب «يعطي للقصة شيئاً من الحيوية والنشاط ويبعدها عن السذاجة». وهكذا «فالعقدة في القصة محبوكة، والانتقال واضح والحركة سريعة، والعرض موفق خالٍ من الفجوات، والقصة بعد ذلك مليئة بالمفاجآت والوقائع المثيرة، ولا تلبث القصة أن تنتهي نهاية فنية طيبة». والواقع أن هذا الكلام العام، المفتقر إلى أدلة وبراهين، يتردد في التعليق على أكثر من مقامة يتراءى للسيد الباحث أنها قصة. فما نصيب هذه الآراء المطلقة من الصحة؟

يقوم موضوع المقامة المَوْصليّة[13] بشكل موجز على أن أبا الفتح الاسكندري وعيسى بن هشام عادا من المَوْصِل إلى الوطن، فتعرضا للنهب في الطريق، والتجآ إلى بعض القرى حيث دخلا داراً مات صاحبها وعلا الصياح عليه. وكانوا يهيئون الميْت على قدم وساق لدفنه، عندما أقدم أبو الفتح على جس عرقه وقال: «يا قومُ اتَّقُوا اللهَ لا تدفِنُوهُ فهو حيّ، وإنما عرَتْهُ بهتَةٌ، وعلَتْهُ سكتَةٌ، وأنا أُسلِّمُهُ مفتوحَ العينينِ، بعْدَ يومين». ثم قام أبو الفتح إلى «ضحيته» فجرّده من ثيابه وعلّق عليه التمائم.. «شاع الأمر بهذه المعجزة، فانهالت العطايا والهدايا على أبي الفتح وعيسى، وجهدا في الهروب ليفوزا بما حصّلا من خيرات. وماطل أبو الفتح في نشْر الميْت، ثم لم يعد من مفر من ساعة البعث، فأشار أبو الفتح على أهل الميت بنزع التمائم وإنامته ثم إيقافه وتركه، فهوى لا حراك به! «وطنّ الاسكندريُّ بفيهِ، وقالَ: هو ميْتٌ كيف أُحيِيهِ؟». وبعد أن نال أبو الفتح نصيبه من الضرب انسلّ هارباً مع عيسى، فيما كان أهل الميْت منشغلين بتجهيزه.

ولا تقف المقامة عند هذا الحد، بل إن أبا الفتح وعيسى دخلا قرية على شفير وادٍ يتهددها السيل وأهلها في همّ وغمّ، وكالعادة تبرّع أبو الفتح بجهوده الخاصة لإنقاذ أهل القرية من الأذى، فأوصاهم بذبح بقرة صفراء في مجرى الماء، وطالبهم بجارية عذراء ليبني بها، وأشار عليهم بالصلاة خلفه ركعتين متأنيتين، بحيث يذهب عنهم الشر الذي يتهددهم، وإلا فدمه عليهم حلال. فعملوا بارشاداته، وكانت الركعتان اللتان طالتا فخلّفتا فيهم أنين الأضلاع، وفيما القوم في السجدة الثانية ووجوههم ملتصقة بالأرض، لا يجرأون على رفع رؤوسهم لئلا تفسد صلاتهم، انسلّ الرجلان وسلكا طريق الوادي، وأبو الفتح ينشد متغنياً بحذقه وزُوره على الناس.

وبعدُ، فهل من حسن التقدير وسلامة النهج أن نأخذ بما تقدّم من أحكام حول هذه المقامة؟ إن الدكتور الشكعة يتناول المقامة المَوْصليّة بأحكام جادة وينفي عنها السذاجة، وهذا، لعمري، مما يخالف محتوى المقامة التي بين أيدينا، ويناقض روحها في الصميم! فأبو الفتح الاسكندري وعيسى بن هشام شخصيتان أطلقهما بديع الزمان الهمذاني بين الناس، فعاشا معهم ورافقا مجالسهم وضحكا في ندواتهم وتندّرا في أسمارهم، فغدوا شخصيتين شعبيتين يتّسمان بصفات المكر المحبب، والخداع الظريف، والكُدية المستملحة، والكذب المستلطف، والتجرؤ والتملّق والتخابث وغيرها من الصفات التي لا نحكم عليها بنفس رصينة وروح صارمة، بل نتناولها تناولاً هيّناً، لأنها تصدر عن شخصين فكهين نستغرب منهما الرزانة والاستقامة، لأننا ألفنا الخفة والطيش والدعابة في سلوكهما، وخاصة لدى أبي الفتح.

المقامات أدب شعبي:

وهكذا فنحن تجاه شخصيتين شعبيتين تذكراننا على نحو ما بالشخصيات الشعبية «التاريخية»، كعنتر وجحا وقراقوش وغيرهم، مع العلم أن لكل من هذه الشخصيات تركيبها الذي علِقَ في أذهان القوم وظروفها الاجتماعية التي ساعدت في تكوينها على الشكل الذي استقرت عليه بين الناس لا في التاريخ القويم. وإننا نجد في نفسنا جرأة تحملنا على التصريح أن المقامات، وهي الغالبية العظمى، التي اتخذت من التكدية اطاراً لها، أقرب إلى أن تندرج في باب «الأدب الشعبي» منها إلى ما يدعوه بعضهم «الأدب الخاص» أو «الرسمي» دون أن تكون هناك علاقة لهذه التسمية بالسلطة والحكّام، وإننا لنعتقد أن الأدب يكون شعبياً، سواء في ذلك أكان مكتوباً بلغة عامية أو فصحى. ونحن لا نحمل في قرارتنا عقدة في فهم جوهر الأدب الشعبي، أو النظر إليه، وإنا لنضع له هذا التعريف المحيط فنقول:

الأدب الشعبي جزء من التراث الشعبي الحافل، وهو يعبر عما يضطرب في نفوس جماهير الشعب الواسعة من آمال وآلام وأشواق ومطامح. أما أداته فهي العامية أو الفصحى. ويستوي فيه الأدب الشفوي أو المنسوخ أو المطبوع؛ المجهول المؤلف أو المعروف؛ القديم أو الحديث. وهذا الأدب يتشعّب إلى ثلاثة أقسام: أدب الفلاحين، القصص الشعبية، وأدب الفكرة الوطنية[3].

ونرى أن المقامات تدخل في قسم القصص الشعبية، كحال قصص البطولة المأثورة عن العرب، أو القصص الدينية المحكية عن الأنبياء والأولياء، أو القصص الأسطورية في محتواها كألف ليلة وليلة الشهيرة.. وهذه القصص الشعبية على أنواعها لا نراعي فيها تقاليد القصة الاجتماعية الناضجة، غير أن هناك في تضاعيفها دائماً روح القصّ والإخبار كخامة يعوزها أحياناً الصقل ورعشة الفن المرهف. ومما يؤكد الاعتقاد المتقدم في أن المقامات قصص شعبية، أنها «تصوّر أحاديث تُلْقَى في جماعات» في معناها الاصطلاحي الذي أرساه بديع الزمان[4]. وكان الهمذاني يخاطب أصحابه، في آخر جلساته وإياهم، بهذه المقامات[5]، وهذا يعني أن بديع الزمان كان يُفرغ من جعبته، التي ملأها له ابن فارس والصاحب بن عباد لغة وأدباً، ويفيض على حضّار مجلسه ظرفاً وأنساً، ثم يختم الجلسة بمقامة تُرفّه عن السامعين،

(١) مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، ص ٢٨٤ و ٢٨٥.

(٢) مقامات الهمذاني، ص ٩٨ إلى ١٠٣.

(٣) أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص ٩ إلى ١٩.

(٤) شوقي ضيف: المقامة، ص ٨ — أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص ٣٦٠.

(٥) فكتور الكك: بديعات الزمان، ص ٦٤.

لأنها تحتوي العنصر القصصي، والإنسان ميال بطبيعته دائماً إلى سماع القصص. وبما أن هذه المقامات كانت موجّهة الى طبقة من المثقّفين والبلغاء في بداية أمرها، فلا غرابة أن «تغلب عليها الصبغة البلاغية» (١). بيد أن روحها ظلت في الغالب شعبية تغترف من القاع الشعبي وتبرز جوانبه. إنها قصص شعبية على مستوى بليغ غير محنّط.

الهمذاني صانع أقصوصة:

والواقع أن بديع الزمان ما إن يخرج عن القالب التقليدي القائم على الكُدية، الساري في معظم مقاماته، حتى يتبدّى رائع اللفتات، عجيب التفنن. وإذا كان الهمذاني قد وُفّق في المقامة المضيرية إلى كتابة قصة، فهو في «المقامة الحُلْوَانيّة» صانع أقصوصة. ولنزيد الأمر وضوحاً نطرح على المتلكئين بين لا ونعم التعريف المتعارف عليه لفن الأقصوصة فنقول: الأقصوصة تقوم على تصوير مشهد عابر، أو إيراد موقف يتحلّى بنكتة شفافة، أو رسم سلوك قد يصدر عن إنسان في فترة ساخرة حرجة. فالأقصوصة هي لمسة قصصية فنية. أو تخرج مقامة بديع الزمان الحُلوانية (٢) عن حدود هذا الضرب القصصي؟

عاد عيسى بن هشام من الحجّ ونزل حُلوان العراق. ووجد نفسه بحاجة إلى حمّام وحِجامة، فأوصى غلامه أن يبحث له عن حل لائق، بحيث يكون الحمّام مريحاً والحجّام ماهراً غير ثرثار. ومضى عيسى بن هشام الى الحمام الذي اختاره الغلام وغشيه، فتناوله رجل هناك ولطّخ جبينه بقطعة من طين ثم خرج، فجاء آخر فدلكه بعنف، وكان «يُصفّرُ صَفيراً يرُشُّ البُزاق»، ثم صبّ عليه الماء، غير أن الأول عاود الدخول فضرب زميله بقبضته في عنقه قائلاً له: «يا لُكَعُ مالَكَ ولهذا الرَّأسِ وهوَ لي». فحيَّا الثاني زميله بتحية أطيب من تحيته وقال: «بَلْ هذا الرَّأسُ حقّي ومِلكِي وفي يَدِي». فدارت الملاكمة بينهما، وقصدا بعدها صاحب الحمّام، وزعم كلٌّ منهما أنه صاحب الرأس! «فقال الحمّاميّ: ائتُوني بصاحِبِ الرَّأسِ أسألهُ أَلَكَ هذا الرَّأسُ أَمْ لَهُ؟». فقاما إلى عيسى بن هشام وقاداه للشهادة. «فقالَ الحمّاميّ: يا رجُلُ لا تقُلْ غيرَ الصِّدقِ، ولا تشهَد بغيرِ الحقِّ، وقُلْ لي هذا الرَّأسُ لأيهما؟ فقُلتُ: يا عافاكَ اللّهُ هذا رأسي قد صحِبَني في الطَّريقِ، وطافَ معي بالبيتِ العتيقِ، وما شكَكْتُ أنه لي. فقالَ لي: اسكُتْ يا فُضُوليّ»، ثم أنّب صاحب الحمّام خادميه على هذه المنافسة حول هذا الرأس الحقير قائلاً: «وهَبْ أنّا هذا الرَّأسَ لتيْسٍ، وأنَّ لم نَرَ هذا التَّيْسَ». فما كان من عيسى بن هشام بعدها إلا أن وضع ثيابه عليه وانسلّ من الحمّام، وهو يلعن غلامه الذي مُنح نصيبه من الضرب المبرّح.

بيد أن صاحبنا لم يكتفِ بما ناله، فبعث بغلام آخر يأتيه بحجّام، فجاءه برجل «مَليحِ الحِليَةِ في صُورةِ الدُّمْيَةِ». ولكن عيسى اكتشف من ثرثرته ولدى سؤاله الناس عنه، أنه مختبط ذو جِنّة، فينتهي الحال بعيسى بن هشام أنه يُقسم بأن لا يحلق مهما عاش!

فهذه أقصوصة، بل أقصوصتان تنمّان عن روح مرحة لا نستغرب صدورها عن شخص البديع الذي قال فيه صاحب «يتيمة الدهر» (٣)

إنه كان «خفيف الروح، حسن العِشرة، ناصع الظَّرف». وتنتهي الأقصوصة الأولى بخروج عيسى بن هشام من الحمّام مهرولاً لاعناً غلامه. وهي لمسة فكاهية لا ناجحة. وإذا قلنا الفكاهة لم نقصد بها تلك التي يلقاها القارىء في زاوية من جريدة، أو على ظهر يوم من «روزنامة»، والتي يُراد بها مجرد الإضحاك في الغالب، ففكاهة بديع الزمان التي عقدها حول رأس عيسى بن هشام هي فكاهة فنية، قصد صاحبها إلى صياغتها فأنزلها في حبكة حيّة، ورمى إلى أن تحرك أعماقنا بمتعة هي وراء الحروف والجدار اللفظي للكلمات. فما الكلمة سوى واسطة، وربما كانت اللغة جَذَثاً لولا هذه الروح الإنسانية التي تبعث في المفردات قبساً منها، فتختال أمام ناظرنا وتدبّ في عروقها الحياة الناشطة.

خلاصة:

وبعدُ، فمقامات الهمذاني احتوت مواضيع شتى وأغراضاً متنوعة، فهو مبدع فنّ المقامة، وأوّل من شرّع لها النوافذ ومدّ لها السبل، فكان البداية الفنية الإبداعية والنهاية معاً، لأن الذين درجوا وراءه، ابتداء من الحريري إلى ناصيف اليازجي، إنما كانوا ينحتون ويتعمّلون ويزوّقون ويكلّفون أنفسهم ما لا يتقبله صاحب ذوق أو بعض ذوق. وقادنا البحث إلى الحكم بأن المقامة المَضِيريّة قصة صائبة، والمقامة الحلوانية أقصوصة ظريفة، والمقامات القائمة على الكُدية قصص شعبية. «ولكن ليست كل مقامات البديع قصصاً، فقسم منها لا شيء؛ والقسم الآخر شيء عظيم، وحسب الرجل ما خلق. إنه لفنان بديع» (٤).

أحمد بهمنيار الكرماني المتخلص بدهتان بن محمد علي.

ولد سنة ١٣٠١ في مدينة كرمان وتوفي سنة ١٣٧٤ في طهران ونقل جثمانه إلى كربلا فدفن فيها بوصية منه.

كان ذا مهارة كبيرة في الحساب والهندسة والرياضيات والفلك والهيئة وعلوم المعقول والمنقول والنحو والصرف وله رسالة في (العوامل) على غرار رسالة العوامل لعبد القاهر الجرجاني. كان أبوه محمد علي شيخياً ومريداً لزعيمهم في كرمان (حاج محمد كريم خان) ومدرساً ومعلماً في مدارسهم بكرمان.

تلقى أحمد العلم عند أبيه وأخيه وعندما كان عمره ١٦ سنة بدأ يُعلّم الطلاب ويدرّسهم الدروس التي تلقاها عن أبيه وأخيه، وعندما توفي والده عام ١٣١٩ حلّ محلّه في المدرسة، وبرغم أنه كان معلماً ولكنه سعى بجد ونشاط في التعليم والتعلم ودرس العلوم العربية والفقه والأصول والأدبين الفارسي والعربي، كما تعلم اللغات الانكليزية والتركية العثمانية، وكان ينظم الشعر ويتخلص فيه باسم (دهتان: الفلاح).

كانت له أفكار ثورية وتحررية ودافع في مقالاته في الصحف والمجلات عن ثورة الدستور (المشروطة) وأسس عام ١٣٢٩ مجلة باسم (دهتان) في مدينة كرمان خصصها للدفاع عن ثورة المشروطة ونشر

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١ ص ٤٤٢.

(٢) مقامات الهمذاني، ص ١٧١ إلى ١٧٥.

(٣) أبو منصور الثعالبي: ج ٤ ص ٢٥٧.

(٤) مارون عبّود: بديع الزمان الهمذاني، ص ٣٧.

المقالات وتوعية الناس، واستمر في هذا النشاط هو وجماعة معـه الى أن اعتقلوا عام ١٣٣٤ على أيدي البريطانيين ونفـوا جميعاً إلى شـيراز حيث أودعوا هناك السجن فقضى أحمد مدة ١٤ شهراً في السجن وقد استغـل الفرصة في السجن فتعلم فيه اللغة التركية، كـما نظم في السجن أبيـات شعرية توصف حاله وحال رفاقة المساجين، وفي عام ١٣٣٥ أفرج عنـه ونقـل الى طهران وعـاش هناك لفـترة حياة صعبـة، ثم صار مـوظفاً في وزارة المالية، ثم بُعث بصفة مفتش (الترياك) إلى ولاية خراسان وسكن فيهـا سبع سنـوات ونشر عام ١٣٤٠ مجلة (فكـر آزاد: الفكر الحـرّ) في مشهد ونشر فيها المقالات التي تدعو الى التحرر وبعث الهمم في نفـوس الناس، واستمر في اصدارها مدة سنتين الى أن اضطر الى اغلاقهـا عام ١٣٤٣ واستقـال من منصبه الحكـومي وسافـر الى طهـران عـام ١٣٤٣ ونشر مجلة في العاصمة ولكنها لم تستمر مدة طويلة فأغلقت بعد سنة أي في عام ١٣٤٤.

وفي عام ١٣٤٥ انتخب رئيساً لدار المعلمين العـالية في تـبريز وزاول مهنته مدة سنة ولكن ضجر منهـا فعاد الى طهـران عام ١٣٤٦، ودخـل عـام ١٣٤٦ فدخـل سلك القضاء وصـار قاضيـاً في مـدينـة قـزوين ثم همـذان، ثم عاد الى طهـران ودخل مجـال التعليم فقام بتـدريس اللغـة العربية والفارسية والفلسفة والمنطق في مدرسة دار الفنـون ودار المعلمين العالية، وحين أسست جامعة طهران عـام ١٣٥٣ صار يـدرس في كلية المعقـول والمنقول تـاريخ الأدب، ثم عـين عام ١٣٥٥ أستـاذاً في كليـة الآداب وفي عـام ١٣٦١ انتخب عضـواً في المجمـع العلمي الإيـراني واستمر في نشاطه العلمي في الجامعة والمجمع انتخب عام ١٣٧٣ رئيساً لمؤسسة الطبع والترجمة التابعة لجامعة طهران واستمر في نشاطـاته بـرغم مرضه وكبر سنه الى أن توفي.

كـان مجداً في تـدريسه مـواظباً عـلى المستـوى العلمي في محـاضراتـه ودروسه التي كان يلقيها على طـلاب الجامعـات، كان أديباً يكتب النثر الفارسي بسلاسة وطلاقة، وكانت اجادته للغـة العربيـة تعينه في تـرجمة مختارات الأدب العربي الى الفارسية وكان ماهراً في العثور عـلى الكلمات الفارسية المعادلة لمعاني الألفاظ والمصطلحات العربية.

كـان عالمـاً ومحباً للعلم والعلماء وقـد قضى معظم عمـره بـين الكتب والعلماء، وكان لا يبخل بمعلوماته على طلابـه، كان متتبعـاً في الأبحاث التاريخية قلّ نظيره. قام خلال حياته بتحقيق وتأليف مجموعة من الكتب وهي كما يلي:

١) تحقيق كتاب: أسرار التوحيد للشيخ أبي سعيد.

٢) تحقيق كتاب: التوسل الى الترسل.

٣) تحقيق كتاب: تاريخ بيهق لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي.

٤) منتخب أسرار التوحيد.

٥) كتاب (الصرف).

٦) التحفة الأحمدية في شرح الفية ابن مالك.

-دية شرق (منظومة).

-ة التواريخ في تاريخ آل سلجوق. لصـدر الدين أبـو

٩) ترجمة لصاحب بن عباد.

١٠) تصحيح كتاب: الأبنية عن حقائق الأدوية للهروي.

١١) الصرف والنحو التركي.

١٢) مجمع الأمثال الفارسي.

١٣) الصرف والنحو العربي ٦ مجلدات.

١٤) تاريخ الأدب العربي ٣ أجزاء.

١٥) مجموعة أشعار.

١٦) ديوان.

١٧) رسالة في المنطق القديم.

وكتب ومقالات عديدة أخرى بعضها مطبوع وقسم منها مخطوط[١].

احمد بن ماجد:

مرت ترجمته في المجلد الرابع من المستدركات. وعثرنا بعد ذلك على بعض اراجيزه الملاحية فآثرنا أخذ بعضها هنا. كما اننـا نشرنا في (دائـرة المعارف الاسلامية الشيعية) دراسة عن كتابه: (الفوائـد في اصول علم البحر والقواعد) وهذه الاراجيـز مأخـوذة من مجموعـة (الشعر المـلاحي عند ابن ماجـد) التي حققها ابـراهيم الخوري ونشرهـا المعهد الفـرنسي للدراسات العربية بدمشق وننشر هنـا مقدمـة المجموعـة المكتوبـة بقلم المحقق:

الشعر ديوان العرب

وشعر احمد بن ماجد ديوان تجاربه الفريـدة، وابتكاراتـه الجديـدة في علم البحر، وديوان ما كتب قبله في الملاحة البحرية عند اليمنيـين وعند الشعـوب القاطنـة في سواحـل بحر الهنـد من زنج وشـوليان وغـيرهم، وليس نثره سوى شروح وتعليقات، مجموعة في كتاب تارة، ومتفرقـة في وريقات احيانا اخرى (الفصول)، أراد بها توضيح بعض نـظمه الـذي استعصى فهمه على بعض المعـالمة المعـاصرين له، او خشي ان يستعصي في مستقبل الأيام على بعض قرائه من ربابنة او باحثين.

واحمد بن ماجد رائد «بالشعر العلمي»، او بـالعلم في الشعر، عـلى الرغم من تقصيره الصارخ في سلامـة اللغة احيـاناً وفي سـلامة الأوزان احيـانا اخـرى. فلم يسبقه احـد من اليمنيين الى تصنيف مبـادىء علم بحر عصره وما قبل عصره، بتمامها وكمالها، نظما في عدة بحور شعرية، وفي أبيات تجاوز عدد ما نعرفه منها ٤٦٠٣ ابيات، وصلت الينـا في ٢٤ ارجـوزة وقصيدة، تشتمـل أطولهـا على ١٠٨٢ بيتـاً وأقصرها عـلى ١٣ بيتـاً، نشرنا في وقت سـابق اهمها وأطـولها، نعني حـاوية الاختصـار في اصول علـم البحار، ثم ثلاث عشرة قصيدة متفاوتة الـطول. وها نحن ننجز «فك رموز» الاراجيز. العشر البـاقية في هـذه الدراسـة، نقدمهـا محققة ومدققة ومحللة.

الأرجوزة الثانية: السفالية

---

(١) الدكتور رضا مصطفوي السبزواري.

بسم الله الرحمن الرحيم

(تمهيد)

(الحمد له)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(اسم الأرجوزة)

هذه الأرجوزة المسماة بالسفالية.

(نطاق بحث الارجوزة)

ومعناها يقتضي معرفة المجاري والقياسات من مليبار، وكنكن، وجوزرات، والسند، والاطواح، الى السيف الطويل، ومنه، الى نواحي السواحل، والزنج، وارض السفال، والقمر، وجزره، ونوادر علوم جميع ما في تلك النواحي الى آخر الأرض من الجنوب، وذكر قياسات يعرف بهم المعلم النقصان والزيادة في جميع الأخنان، ووصف نوادر في تلك الطريق من القياسات، والدير، والمجاري، وسكان الأرض، وملوكها، وموسمها، وسفرها، على ما يليق بذلك المكان وسفره.

(مصنف الارجوزة)

اختراع رابع الثلاثة، حاج الحرمين الشريفين، شهاب الدين احمد بن ماجد، تغمده الله برحمته، آمين.

(الطرق المائية عبر البحر العربي)

(التفاؤل في السيف الطويل)

(قياس النجوم عليها ومجاري الأخنان)

الحمد لله الذي انشأ الملا
من عدم جل تعالى وعلا
قد كلت الألسن عن اوصافه
وكم نرى في البحر من الطافه
لو لم يكن الا القياس والدير
نجري عليها في صباح وسحر
من ارض كاليكوت مع دابول
وجوزرات ومن الديول
ثم هراميز مع الأطواح
فافعل بصنع خالقي يا صاح
الى السواحل ونواحي القمر
الى سفالة استمع لي واجر

اولاً ـ (الطرق البحرية المتشعبة من مليبار)

(المجاري من كاليكوت من مليبار الى جزر الفال)

من ارض كاليكوت الى الفالات
من جاه اصبعين للثلاث
مجراك في الجوزا معاً والتير
على قدر ريحك في المسير
إن كان ريحاً مولناً موافق
فالنهج كفيني بمجرى صادق
عشرين زاما جمة فأحسب
يفول في الجواش ريح المغرب
من جزر الفالات شاما ويمن
فذاك يسمى الفال وقيت الزحن
فإن يكن ريحك من مغارب
مخالفاً على ذوي المطالب
او زحن او طوفان او امطار
فذاك بالتدبير في الأسفار
ما حاجة يوصف للمعلم
كوي له فيه تجده واعزم
لا تسقط الجاه وقالب مشملا
ان لم تفول عن ثلاث كملا
قياس كفيني على العين
وشاهده تراه باليقين
في سابع النعش وضلع الشام
ثمان الا ربع بالتمام
ورامح في الشرق مع ذي الضلع
هم ستة تقاس فيهم رفع
إن ضقن عن ستة اصابع في النظر
انت على ملكي فتاك المطر
اذا سقطت الزم الجنوش ولا
تترك الجاه وارق للعلا
لتستريح من أذى الأمطار
والزحن والموسم في الاسفار

(المجاري من كاليكوت في مليبار الى جنوبي شرقي جزيرة العرب)

واجر على السماك ثم الكاسر
حتى يزيد الجاه اصبع وافر
إن كنت منكبا لجوزرات
او طالبا ظفار او قلهات

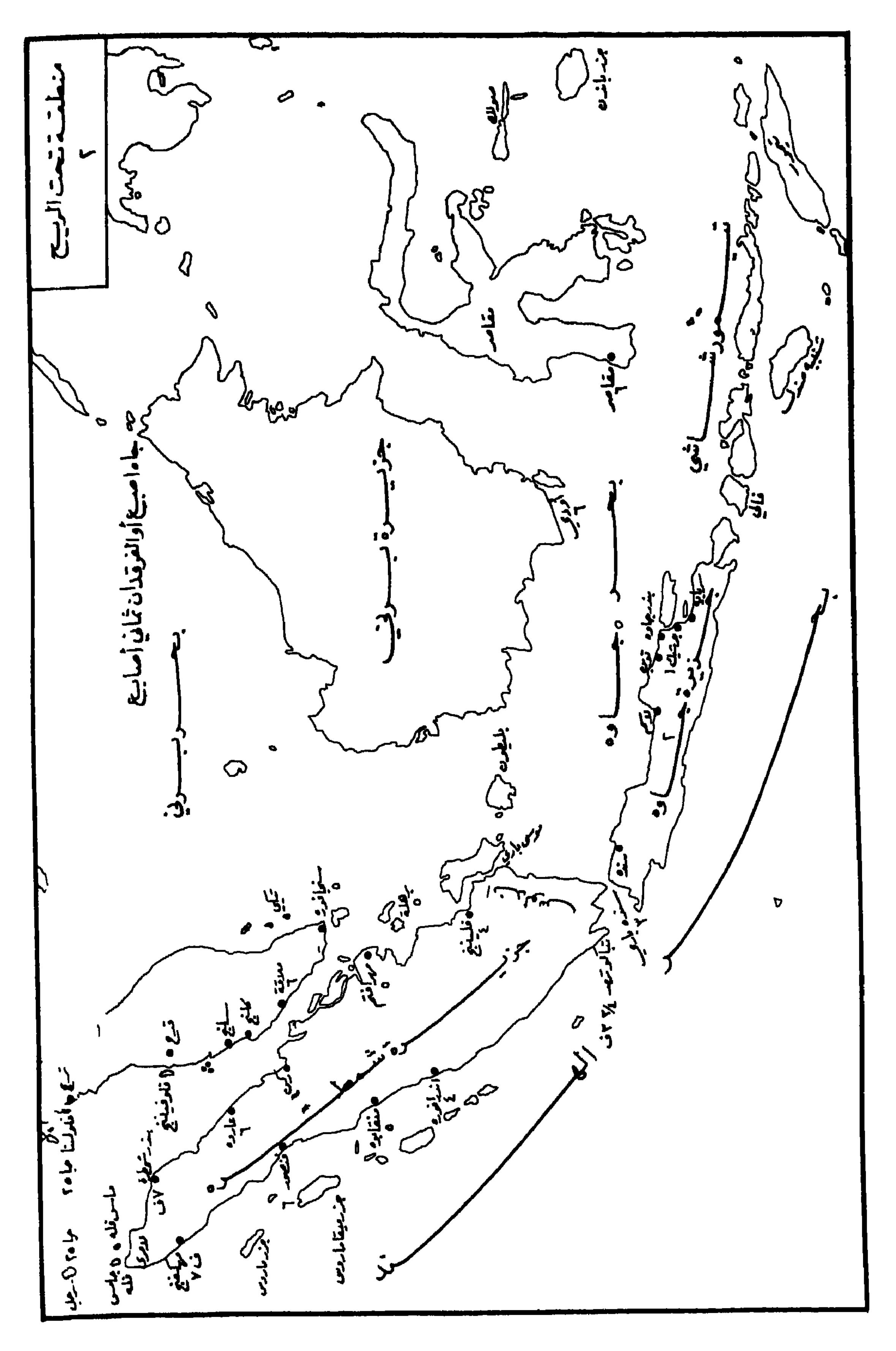
(المجاري من كاليكوت في مليبار الى زنجبار)

أما الذي يطلب زنجباري
يحكم في الريح وفي المجاري
موسمه السبعون في خروجه
وفي الثمانين يكون وُلُوجُهُ
وَلَمْ يَلِجْ مَنْ سارَ في التسعينا
إن لم يكن في نادر السنينا

ثانياً ـ (الطرق البحرية المتشعبة من جزر الفال)

(المجاري من جزر الفال الى ساحل الزنج)

فإن نشرتَ علم الفالات
وقصدك الزنج فخذ وصاتي



الملاحة في الشرق الأقصى

فأجر على المغيب والجوزاء
للسبيف وأنتخه على المجراء
تلقى به السهيل والظليما
ستة ونصفاً كن به عليما
اذا رأيت القياس قد وفى
فاقبل على الغروب ومل بلا خفا
ثم ترى الشرطين في الغروب
مع سادس النعش فخذ تجريبي
اربع اصابع في قياس واحد
وثلث ايضاً فوقهم زوايد
ورتب المجرى مع القياس
في نتخة البر فكن ذا باس
لا ترقد الليل على النتخات
لأنها عظيمة الزلات
وذاك بر ما له علايم
بل عندك المنجي مديم دايم
فيغزر الواجد بالطوفان
عشرين من الأزوام يا رباني
وإن ترى كثر طيور المنجي
احذر من البر تفز بالفرج
فكل ربان له سياسه
يعرف بالمجرى وبالفراسة
وكثرة الجربوب والطيور
والحوت والحاية يا نصيري

ثالثاً ـ (الطرق البحرية من كنكن الى السيف الطويل)

(المجاري من دابول في كنكن الى السيف الطويل)

وإن تكن تطلق من دابول
افعل بأوصافي وخذ بقولي
واجر منها في غروب التير
حتى يصير الجاه بالتحرير
ذبان ليس ينقص ولا يزيد
ورد في الأكليل بالتوكيد
تنتخ بها للسيفية الطويلة
نتختها مأمونة جميلة
من حد طبقات لفشت مقبل
إن لم تر البر فقدم واقبل
لقوة الماء وسهو المجري
إن كنت من فرسان هذا البحر
منه العلايم قد تقدم ذكرها
اما القياسات فهاك شرحها

رابعاً ـ (قياس بعض النجوم في مطالق بر الهند)

(قياس الشرطين والعناق)

ينفع في كل مكان كانا
تجود المنتخ يا ربانا
اوله في الشرطين والعناق
قياسهم صحيح في الآفاق
بل هم ببر الزنج ضيقات
ذكرتهم من قبل ذي الصفات
لكن نفيسات ببر عالي
اسمع مقالا يشبه اللآلي
وهم بدابول كمثل الجاه
ثمانية ما فيهم اشتباه
وكلما ينقص من الجاه اصبع
ينقص فيهم نصف قسهم واسمع
وإن يكن قيدك في الأشراط
ثمانية فاتقنه كالمحتاط
واعلم بأن ذلك العناق
يصير كالجاه بالاتفاق

(قياس الجاه والبراق في مهايم وبر الهند)

وإن تقيس الجاه عشراً دايما
وقيدك البراق في مهايما
ثلث أصابع وافرة في الخشب
وكل ما ينقص من الجاه احسب
زيادة البراق اصبع اصبعاً
بسدس اصبع قسته موقعا
والبار لا نقص ولا زيادة
عشر فخذ من هذه الإفادة
وقسه في جميع بر الهند
قصدي بذا حفظ الأصول عندي
أما اذا قيدت للبراق
ينقص معك البار في الآفاق
في كل راس اصبعا الا ربع
احفظ اصول العلم في نقص الصبع

(قياس البار والمرزم في عرض جاه سبع)

واعلم بأن البار ثم المرزما
في جاه سبعة، فقسهم محكما
قياسهم ثمانية في خشبه
على الغروب قس لهذا واحسبه
وكلما غاص من الجاه ترى
ينقص نجم البار مع كل الورى
ثلثين فاحفظهن في الغروب
ذكرتهم في النظم عن تجريب
وإن يكن قيدك في العيوق
ثمانية، قيداً على التحقيق

يزيد في المرزم في الترفا
اصبع الا ربع يا حريفا

(قياس المعقل والمربع على رأس الحد ورأس مامي)

وقس على المعقل والمربع
فهن معلومات معكم ومعي
اذا استقل انجم الغراب
وآخر العواء بالصواب
بل يستوي اذا استوى بالمعقل
وفي استواه بظليم يبطل
وهو على الحد اربعة الا ربع
ونجمه الفوقي يكن في الرفع
هناك سبعة ثم نصفا نيطا
والأصل في ذاك الذي توسطا
لكنه نفيس في القياس
انتخ به، قل لجميع الناس
وهو على مامي تسعة فاعلم
ونصف درج ذا الخلاف وافهم

(قياس القلب والمعقل على مهايم وفي عرض جاه ست وربع)

وإن تقيس القلب ثم المعقلا
على مهايم اربعا مشتملا
حتى تقابل يا همام الديره
في جاه ستة وربع قدرا
فالقلب يبقى اربعه بحاله
والمعقل المشهور خذ زواله
يكون ستا ثم ربع اصبع
مثل قياس الأصل قسه واسمع
إن قياسات النجوم الطالعة
والغاربات فيهم المنازعه
قياسهم يختل لا يعرفه
إلا خبير عالم صنفه
إلا بهذا السيف الطويل
اعني ببر الزنج يا خليلي
ذكرتهم لتعرف الأفلاك
وسير ذي الكواكب الزواكي
وقس على المعقل ثم القلب
في خشبة وانظر لصنع ربي
في جاه ستة وربع سبعه
ونصف فافهم بعض تلك الصنعه
لأنهم كانوا على مهايا
اربعة في جاه تسعة دايما
زادوا ثلاث أصابع مع نصف
فقسهم، ذا بدليل وصفي

(قياس القلب والظليم على رأس زجد)

وإن تقيس القلب والظليما
على زجد اربعة مديما
وسيره والقلب اعرفوه
على مسير المعقل افهموه
والمعقل المذكور والمربع
مسيرهم كالجاه اصبع باصبع
بل يختلف في جملة الإقليم
بربع اصبع يا له تقويم

(قياس التير والعيوق على سائر الرؤوس)

أما اذا قيدت نجم التير
ينقص من العيوق في المسير
في كل رأس اصبع نفيس
كلاهما في الغرب يا رئيس
كذاك ان قيدت للعيوق
يزيد في التير على التحقيق
وزدهم تجربة لا تنتخا
بهم وحققهن يا مؤرخا
وهم على مهايم بالوصف
صبعان بل زيدهم بنصف
حتى اذا جيت لجاه سبعه
فالتير يبقى خمسة ورفعه
والبار لم ينقص ولم يزيدا
عن اصبعين ونصف يا حميدا
اعلم اصول العلم في القياس
ولا تعلمه لكل الناس

خامساً - (الطرق البحرية من جوزرات الى السيف الطويل)
(المجاري من رأس مدور وسومنات الى السيف الطويل)

وإن تكن تطلق راس مدورا
من سومنات فاجر واحزم واسهرا
نعم البنادر هن للدخول
ثم الخروج عند ذوي العقول
ومنهم، الإكليل ثم العقرب
لآخر السيف الطويل، تقرب
جيريش وهو. اول الهيراب
من الشمال اعرفن حسابي
وآخر الهيراب يا رباني
ففي جرديل بذي المكان
لكل في جاه اصبع ونصف
ذراع كالهيراب خذ من وصفي

وإن تراخيت براس المارزة
يوماً بيومين الى المجاوزة
رد على الاكليل يا رباني
واستوف ما ضيعت في الحسبان
تنتخ به السيف هناك حكما
وتلزم البر هناك لزما
ما حاجة اكرر القاسا
هذي استهيت عندك الأساسا

(قياس بعض النجوم على ظهر سقطرة وجردفون ومقابل جردفون)

وإن ترد زيادة فخذها
على طريق البر واستفدها
وقس على سقطرة بظهرها
فرغ المقدم الجنوبي تلقها
وإن تر النعش اصابع خمسا
غرست ذا يا نعم هذا غرسا
واسمه الفرغ بعين معجم
قال الدميري ذا بلا توهم
في شرحه المنهاج يا رباني
ثم سمعنا في كتاب ثاني
وثم قسنا الحوت بالتحقيق
مع بطن ذا الحوت أيا رفيقي
في خشبة هم خمسة مع نصف
قياس ظهر سقطره وصفي
فكان بطن الحوت مع الفؤاد
هناك وبع ثم نصفاً باعتياد
وهن ابدال بجردفون
في الغرب والشرق لهم فنون
قسهم بجردفون مثل الجاه
في الغرب والشرق بلا اشتباه
لكن يطول الحوت في الغروب
في ذلك الموسم يا حبيبي
هذي العلوم يسير بها الطالب
بما يكن وهو عليه واجب
وقس مقابل جردفون الرامحا
مع سهيل عشرة يا فالحا
وعندك الجاه معاً والفرقد
نعم القياس أصلهن وَاكِدُ
وإن ترد سهيل والظليما
هن كمثل الجاه يا عليما
أربعة اربعة فيها النفس
قسهن واجرين كمثل من جرس
في راس جردفون ثم هيلي
افعل بوصفي تعرف سبيلي

سادساً ـ (الطرق البحرية من السند الى سقطرة والزنج)
(المجاري من ديول السند الى سقطرة والزنج)

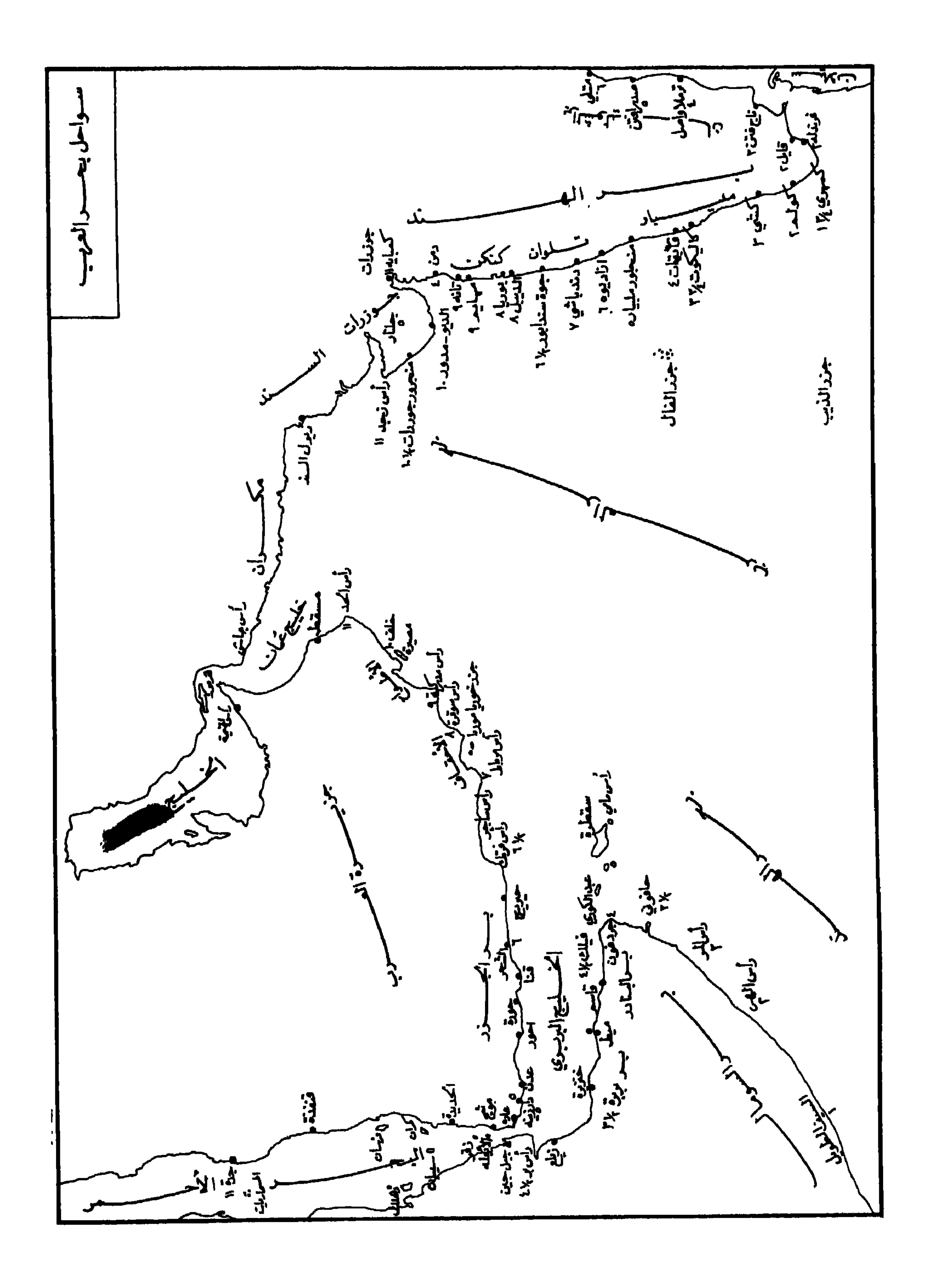
وإن تكن تطلق ارض السند
للزنج جزبها ولا تعد
عن مغرب الحمار ثم العقرب
الى سقطره ثم ادن واقرب
أقبل على العقرب يا خليلي
انتخ به ومل على الإكليل
عندك ميدان طويل يحملا
تفاوت النتخة وقيت البلا
فانتخ به البر بلا ندامه
هنيت فيه الأمن والسلامة

سابعاً ـ (قياس بعض النجوم في الباحة)
(قياس سهيل والرامح ، والقلب والعيوق، وشامي الشامي والواقع)

ترى هنا سهيل ثم المعتلي
ثمانية فقس لهم يا املي
والقلب والعيوق يا معلما
ثلث أصابع تراهن في السما
وشامي الشامي ترى والواقعا
اربعة ونصف كن لي سامعا
فإن ترى قياس يا رفيقي
لطول ذي الطريق بالتحقيق
اذا خفيت بحر ماء ابيض
قس السماكين هناك واخفض
تراهم حقا على البيان
في شرقهم ستا على الإيقان
درجهم لما يزيد في السفر
واحرص عليهن لتحظى بالظفر
وتلتقي في طول ذا الميدان
صحت قياساتي فلا تنساني
ذكرتهم في غير تلك الأرجوزة
أيضاً وفيها انها عزيزة

(قياس القلب والظليم، والعيوق والمرزم، والقلب والمعقل، والمربع والظليم، والتير والعيوق في جاه سبع)

وقس على القلب بجاه سبعه
مع الظليم اربعة اربعة
هنالك العيوق ثم المرزم
ثلاثة ونصف قسهم واعلم
وتنظر القلب معا والمعقلا
سته محكم في القياس كملا


سواحل بحر العرب

ما، المربع والظليم سبعه
ونصف اصبع هم بجاه سبعه
وفي مقابل غبة الحشيش
كفيت فيها الرجس والنحوس
والتير ذبان على الغروب
وثلث في العيوق بالتجريب

(قياس الذراع الشامي والذراع اليماني، وشامي الشامي والواقع، والشعري في جاه ثمان ونصف)

وقس على الشامي واليماني
والقيد في الشامي يا رباني
ترى يزيد في الذراع اليمني
بثلث اصبع في الترفا فاتقن
كذاك نقصان الذراع الشامي
والقيد في اليمني بلا احجام
واعلم بأن الوصف يا معلما
بجاه ثمان ونصف تلقى في السما
في شامي الشامي ونجم الواقع
مثل قياس الأصل خذ منافعي
هناك تلقى الشعري الغميصا
خمساً ونصفاً ما به تنقيصا
واعلم بهذا النقص والزيادة
في الشعر والذراع مثل العادة
عادتهم في كل راس نصف
ما حاجة اطيل فيهم وصفي

(قياس السماكين وسهيل في عرض جاه تسع)

أما السماكان بجاه تسع
على طلوعهم فهم كل معي
سته على الاعزل اما الرامح
خمسه وهذا بين وواضح
إن نقص الجاه اصبعا فالأعزل
يزيد نصفاً ثم ثمنا فاعقلوا
والقيد في الرامح لما يزل
وينقص الرامح كذا بلا خلل
وليس هؤلاء قياس منتخ
بل ذكرهم اليق عندي يا أخي
لني لم اترك نجما في السما
إلا جعلت للهدى فيه اسهما
بل ان في الرامح ثم الأعزل
قيود للسهيل حين يعتلي
وهم بجاه تسعه بالقاعده
تقيد الرامح خمسه واكده

يكون سهيل ذبانين
يشف ربعاً افهم التقمين(١)
وكلما غاص من الجدي اصبع
زاد سهيل يا اخي فاسمع
ثلاثة ارباع قياس صافي
مع قيده الرامح خذ اوصافي
وفي قياس واحد سبعه
في جاه سبعه يا لها من صنعه
ثم يزيدان بكل راس
نصفاً وعشراً احفظن قياسي
لأن هذي انجم دريه
سهيل والرامح خذ وصيه

(قياس المربع والظليم والرامح والفرقد في عرض جاه خمس ونصف)

أما بجاه خمسة ونصف
كان المربع فاتخذ من وصفي
أما الظليم سبعة بالقاعدة
قد عدم النقصان مع زوايده
وقس بنصف ثم اصبعين
أعني به في الجاه باليقين
هناك ذبان، انجم المربع
أعني القريبات الى الما فاسمع
كذلك الرامح قِسْ ذبانا
كشفت لك العلم يا ربانا
وليس يحتاج الى وصف ثان
سوى بليد ماله عينان
إن فاتك الفراقد الأصلية
اذا استقلت صرفة سميه
عليك بالفرقد وهو مستقل
يصح للأخوار ما فيه خلل
وأصله بالحد هو عشرين
يزيد اصبعا ونصفاً باليقين
يصح بالتدريج يا أخواني
جربته صحيح بالإيقان
إصبع بإصبع بلا مراء
قد قست ذبانيه بالخضراء

ثامناً ـ (الطرق البحرية من الأطواح الى السيف الطويل)
(المجاري من الأطواح الى سقطرة)

وارجع لمجرى يا اخي الأطواح
وبر قلهات على الفلاح

(١) الشطر مكسور.

فجار للبر هنا على البنات
لراس جمجمه واحذر النبات
واجرين من مشرفي الراس
في مغرب السهيل وهو راسي
إلى مصيره ثم رد في العقرب
في أي صوب شيت إجر واحسب
إن كان في النيروز للتسعين
فاحذر من الأرياح في التدجين
لا تعبرن في مبتدا الحايات
فأرس واعزمن على الثبات
وإن أردت غيرة للبحر
صوب وكن صاحب فكر واجر
واعبر من ظفار في سهيل
ترى سقطره وهي دليلي

(المجاري من سقطرة الى حافوني عبر الجزر)

وإن تكن تطلق من ذي الجزر
يغرب المحنث نعم المجري
هذي مجاري يا أخي السفار
ترى سقطره جانب اليسار
ومل على السهيل خوف الماء
على مجاري الأصل بالسواء
حتى يكون مجرى الى حافوني
مرتفعا عنه على اليقين
أما الذي يجري من الجزاير
في مغرب السهيل سكنى عابر
يأتي الى سمحة ودرزة ظاهر
فكن حذوراً من أذى الجزاير

(مجاري الباحة من وراء سقطرة الى الطبقات)

أما مجاري البحر عن سقطره
تجعلها يمين عند العبره
في القطب تخفى في حباب الماء
لم ترها الا على الاصحاء
لكنها تطول الطريقا
فاعمل بتجريبك يا رفيقا
إن رحت بحريها خذ الحمار
ورد في العقرب يا ذا الجاري
حتى يجيك البر من طبقات
لحد خيريس فخذ صفاتي
هناك هيراب من الرمال
لبئس بالهيراب خذ مقالي
لكنه اقرب من الهيراب
للبحر يعرف بذوي الاكتاب

(المجاري من طبقات الى السيف الطويل)

وتلقى في طبقات نجم الرامح
والضلع خمساً في القياس الواضح
فإن نتخت، سيفك الطويلا
فالبر صاف واضح سبيلا
اعمل بتدبيرك والمشاوره
لعاقل معاود ذي مخبره
في كل ما تفعله يا عاقلي
لا خير في شخص بأرض جاهل
قد اتفقنا كلنا فالسيف
لفشت مقبل كله نظيف
أكدافه عالية الذرعان
كن عارف الأوصاف يا رباني

(الملاحة من السيف الطويل الى السواحل)
(الهيراب الأول، الهيراب الثاني، الجب، السواحل)
(قياس الفرقدين، وصف السحايب الجنوبية، المجاري)
(المجاري من فشت مقبل الى شعب المروت)

فإن تخلفه يدور البر
عن مغرب السهيل هذا خبر
في مغرب العقرب والحمار
لكل ذاك البطن أشوار
لكن بين الفشت والمروت
طحله عليها الماء يا جودتي
والمروت شعب عن البر انعزل
يحوي الذي يهجم، خذ هذا المثل
في غالب الأحيان لم تروه
لا هو ولا الفشت فاهربوه
لأنهم عالقات البر
والسفري مرتفع للبحر
والأرض بين المروت والفشت
ذرعان هابطات خذ لنعتي

(المجاري من شعب المروت الى براوة)

وبعده اكداف للصناني
والمروت أحد عشر لا تداني
وربما ترى هناك الجبل
منجذباً في البر ليس بالعلي
تراه في البر قريباً داني
إن لم يكن يأخذ بالذرعان
لقرب مقدشوه أما بالمطر
أو في غبار لم تراه بالنظر

واسمه الميراب عند العرب
أما لغات الزنج اسم غبي
احتاجه بالعين لا بالاسم
اذ ما له هناك شبيه متسم
واجر لمقدشوه والبلاد
إن شيت فادخل او فظل غادي
لمركة ثم الى براوه
تقطعها في يوم بالتلاوه

(وصف براوة وبندرها)

ومن علامات براوه فيها
سبعة ذرعان ترى عليها
بندرها علي منها الرابع
من أي صوب جيته فواضع
وادخل الى البندر بالسلامة
عن شدة في البحر والملامة
ترى على بندرها جزيره
منعزلة عالية كبيره
بندر بكل ريح عند العارف
افهم صفاتها ولا تخالف
فدر من الجزيرة واطرح بها
والناس تأتي قبل ان تأتيها
تدخل بجوش يمين عند الأزيب
إن شيت أن تدخلها فرتب

(المجاري من براوة الى ملوان)

إن لم تردها والين واسر
على طريق البر أن شيت اجر
يجزر معك البحر من ذا البر
لآخر السفال يا ذا الخبر
وإجر في إكليلنا لا تختلف
لبطن شيكا وهو بطن معترف
لآخر السفال يا معلمي
فاعلم به كفيت شر الظلم
اول ما يأتيك في ذا الغب
جزيرة على بلاد الجب
مسيرة اربعة أزوام
بريح أزيب، كملا تمام
منها على ملوان ايضاً اربعه
أو خمسة، احفظ لنظمي واسمعه

(المجاري من ملوان الى بته)

ومن هنا بتة مسير سته
والكل بر المول هاك نعته
لأن بتة فوقها جزيره
فازعلي تسمى، بذا شهيره
وبينها طريق هي والبر
بحريها شعب وهو منجر
لقرب وازينا. وهم أقوام
في البر كالسارق يا همام
عليهم جزر بلا حساب
صغار ثم كبر يا حبابي
وهن من ملوان الى بتاء
ما بينهم في الوسط بالسواء
وأرض بتا بلد الأجواد
وتلك معدن بسس الزباد

(قياس الفرقدين من براوة للأخوار)

وإن ترد شهود في هذا الطرف
هنا قياس لا يخون معترف
على براوه تنظر الفراقد
خمسه مع الصرفة علم واكد
والفرقد الأكبر وهو مستقل
ثمانية ونصف ما فيه خلل
وهو على الجب سبعة وربع
في بلد ملوان هو الوضع
سبعة إلا ثلث تحقيقا
فقس عليه تعرف الطريقا
وإن تقيس الفرقد الكبيرا
فالمستقل عندنا اشتهرا
سته ونصف إعلمن وصفه
في بلد السارق ثم جزره
وست إلا ربع في بتاء
وخمسة ونصف بالسواء
تأتي الى لاموه مع كتاوه
وقس لها واحفظ التلاوة
ما حاجة اشرحه للقاري
من خوف سهو العلم كن داري
لأنه في اصل راس الحد
احدى وعشرين ونصفاً يبدي
فأخذ بالتدريج للأخوار
إصبع باصبع في الترفا جاري
لأنه يقوم فوق القطب
ما قط فيه خلل او كذب
إلا قياساً نفساً او ضيقا
جربته محققا تحقيقا
خمساً وثلثاً بل هو داني
أما على الخضرا فهو داني

وإن هنا لم تنظر الفراقد
عند قياس الأصل في الشدايد
فقس على الفرقد بهذا اليوصف
عند الحمارين فهاك وصفي
لأنه يصح اصبع اصبع
والأصل عندك واضح فوقع
من حد راس الحد حتى منفيه
لم يختلف اصبع فخذ من وصفيا
إن صح ذا القياس لك فافعل
وارجع بنا لوصفي الأول

(المجاري من بتة الى لاموه وكتاوه)

من حد بتته طالب الجنوب
على طريق البر والشعوب
منها يدور البر، للجزاير
، كتاوة ولاموه، أشاير
ذرعان عناليات وصف واكد
مدخلهم مدخل خور واحد
لكن ذاك الخور هو طويل
يدخل لوازينا لنا قد قيل
في مدخل الخور تكون كتاوه
على اليمين إفهم التلاوة
وبر لاموه يجي يسارا
جزيرة كانت هنا عمارا
بهم ترى الأعزل بالمشارق
خمساً كمثل الضلع في الحقايق
والأعزل المشهور والمربع
عشر اصابع في القياس فاسمع
وسابع النعش مع الدبران
فالبار كل سبعة عياني
وسابع النعش هنا والرامح
مثل قياس الأصل خذ منافح
وسابع النعش مع الظليم
ست ونصف كن بهم عليم

(المجاري من لاموه وكتاوه الى ملندي ومنجي حزن)

وإن تخلفهم لشكلا يا ولي
هي غبة تصغر يا مسايلي
تجزر بالشلي يا رباني
منها يدور البر بالإيقان
ويستقيم عليك زلويلول
وهي جزيرة يا اخي تنعزل
عن برها وبحرها شعبان
فيهم مراسي كل ريح كان

وبعدها غبه على قلمان
من شكة فاحذر وكن يقظان
وبعدها راس كلومه مرسى
كوس ومربا جنوبي أنحسا
ولا هنا في البر فرد مجرى
غباء وروسا بالنظر أنت ترى
إن كنت عنهم مرتفع في العقرب
ثم الحمارين فسر وجرب
وبعدها اولاً ترى ملندي
وقيل راسه طويلا يبدي
أمّا البلاد فوقها الهوادي
فاحذر منه لا تكن مداني
والفرقدان هناك خُذْ من وَصْفِي
هُمْ إصْبَعَانِ كَمُلاً بنصف
ترى هناك اول جبال كلفي
منجي حزن تتلوهم فاعرف

(وصف السحابة الجنوبية)

وكل هذا من بلد بتاء
مسير يومين بلا مراء
في مغرب العقرب والسهيل
فاعرف واجر مغرزاً بالليل
والجوش في السحابة البيضاء
واجر في الليل على السوداء
والبيض يا خي هم سحابتين
وواحده بينة بالعين
وواحده طمسا فأما البينة
بين سهيل والتير هي معينة
لكنها تبعد عن سهيل
عشر أصابع فاستمع من قيلي
سهماً وعن ذا التير هي سهمين
في نسق تراهم بالعين
سحايب السوداء في المربع
في آخر الليل تراها فاسمع
في موسم يسافر السواحلي
بالتيرما يدخل فيها الداخل

(المجاري من ملندي ومنجي حزن الى منبسة)

وخور منوافه من بعدهم
ومنبسه تأتي جنوبيهم
فراقد اصبعين ما فيها مرا
لها قياسات شهود حصرا
وهي جزيرة يا أخي وخورها
شامي مطوافة افهم شرحها
اذا بقيت فوق ذا المكان
ترى ثلاث قطع يا رباني

صغار آكام على منسبه
انظر لذا في البحر ثم احرسه
لتدخل البندر بالتوكيد
بغير شك داخل التأييد
فادخل هنيت بمسرات السفر
لمنبسه فيها المبيع والظفر

(المجاري من براوه الى واسيني)

وإن تكن تعبره من الذرعان
ذرعان براوه افهم العنوان
غرب الحمارين من الأزوام
عشرون زاماً جمة اتمام
ورد في التير مع الجوزاء
ترى جبل كلفي بالسواء
ترى مع منجي جزر في البعد
ومن هناك اجر ولا تعد
عن مغرب السهيل نعم المجري
لحد واسيني وذاك المعبر

(المجاري من منبسه الى واسيني)

من منبسه تجري الى واسيني
زاماً ونصفاً فاجر باليقين
وردة في المحنث المشهور
الى الصباح لا تخالف شوري
جربته مساهراً محرراً
فاجر على هذي المجاري تظفرا
وجار للخضرا من المغارب
لأن شرقها وسخ يا صاحبي
في راسها الجاهي فكن محاذرا
لا ترقد الليل هنا وساهرا
كذاك واسيني عليها وسخ
متصل الى الجنوب يا اخ
وقالت الزنوج إنه منها
لكنه في القطب فاحفظنها
وذاك عندي خطاء يا صاح
اسمع لوصفي تلتق الصلاح

(الملاحة على ساحل بر الزنج والأخوار)

(قياس الفرقدين والنعش ـ ارتفاع بعض النجوم)

(المجاري)

(المجاري من واسيني الى زنجبار)

فإن طلقت يا أخي واسيني
فالزم المجرى على اليقين
في القطب والمحنث يا همامي
حتى ترى راس الحمام السامي
من زنجبار ولها كن داري
راس بشرقها اسمه منشار
مقابلين جنوبي الخضراء
في الشرق والغرب على السواء
وبينهم طريق للمسافر
للقمر او سعده والجزاير
في مطلع الإكليل بالتحقيق
هي حاية القلعين يا صديقي
إياك ان تقبل على الخضراء
يحويك منشار بلا مراء
وبين منشار وذاك الراس
راس الحمام يحذروه الناس
من الوسخ هناك وصول خافية
فمل على اليمين تلق العافية
فإن تفل راس الحمام جار
لزنجبار وهي في اليسار
فأينما امسيت أرسيت بها
في ماء سبعه او يكن تقربها
وجارها حتى ترى البيوتا
على النظر وبابها المنعوتا
ترى الجزاير كلها يا جاري
فخل ثنتين على اليسار
والكل في اليمين والمغارب
واطرح على ماشيتها يا صاحبي
ماشية بيضاء بندر أزيب
والكوس جل الخالق المرتب
ترى بها سهيل والعيوقا
مرتفعات بالسوا تحقيقا
مع الربابين لها ايضاً حساب
قد قستهم هناك بالإسطرلاب
كانوا بها هناك تسعاً زايده
على الثلاثين درجه بالقاعده
وكل هذي جزر كبار
أعني لك الخضرا وزنجبار
من ظهرهم نظاف ما فيهم نكد
والفرقدان بينهما اصبع بالعدد
وجاهي الخضرا اصبع مع نصف
قابل واسيني فهاك وصفي
أما برور الملل من واسيني
الى هنا يقوم باليقين
في القطب والمحنث وهو شعبان
موسخة فلا تكن مداني
وبعضهم يجعلها يساري
أعني بواسيني ولا تمار
ما عنده مخرج الى الباب
في قرب زنجبار خذ حسابي

وحول زنجبار جملة جزر
قريب ست عشرة اعلم وادر
وهن في الجنوب والمغارب
عن زنجبار بوسخ يا صاحبي

(وصف جزيرة زنجبار)

وزنجبار جزيرة عظيمة
بأربعين خطبة قديمة
تجري عليها فرد يوم بالصور
فذاك في العرض فخذ مني الخبر
لكنها تعرف بالتدوير
بغلظها في حسبة المسير
ليس لها ديره تكون ديره
كريهة المسك فكن خبيره
شاميها راس الحمام يسمى
معاً ومنشار فخذ علما
وراسها يا خي من الجنوب
سما كمند يسمى ايا حبيبي
أما الى الجنوب والمغارب
راس وسينا عن ذوي التجارب
واستخف منها ثم جار برها
فانظر بعينيك فيا نعم لها
وانظر الى ماجة في اليسار
هو راس في ساحل زنجبار

(المجاري من زنجبار الى جزيرة المشوي)

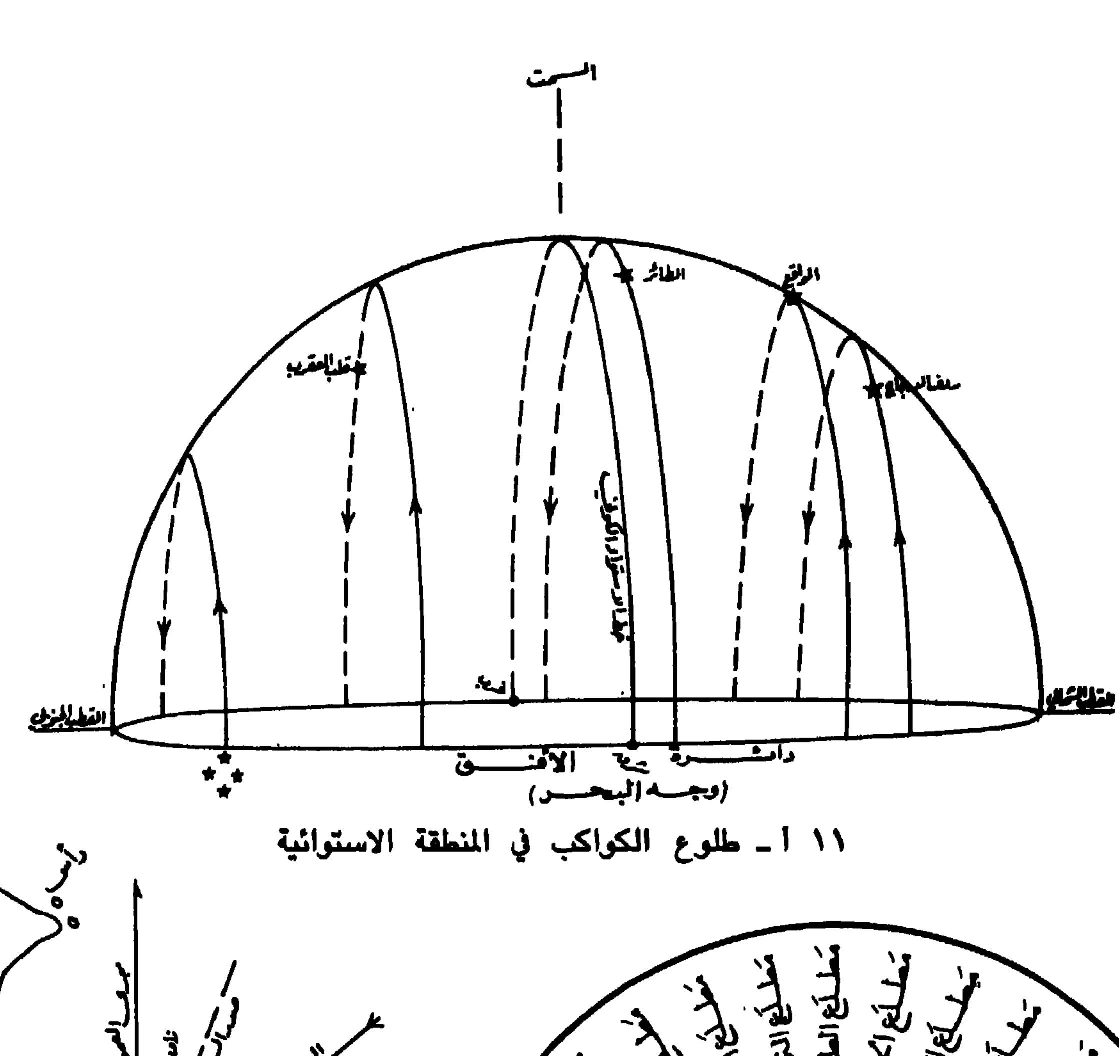
تسير منها زام الى الجزيرة
جزيرة المشوي وهي صغيرة
تنظرها من زنجبار ظاهره
وبينهم جزر على الميسارة
الكل منهم دعهم يسار
واطرح اذا امسيت يا ذا الجاري
وهي بها فرش من المغارب
إن جزت بالليل هناك هارب
إتك اذ قابلتها قليلاً
حتى تجيء التير والإكليلا
ثم لها من جانب الشمال
ظهره بشعب ظاهر موالي
مرسى الى الكوس معاً والعقربي
إن شيت أن تطرح هناك فاقرب
تجري بها في مطلع السهيل
من زنجبار افهم لتأويلي
إن شيت اطرح او فسر بالأزيب
إن كان ما لك عندها من أرب

(المجاري من جزيرة المشوي الى جزر سندا)

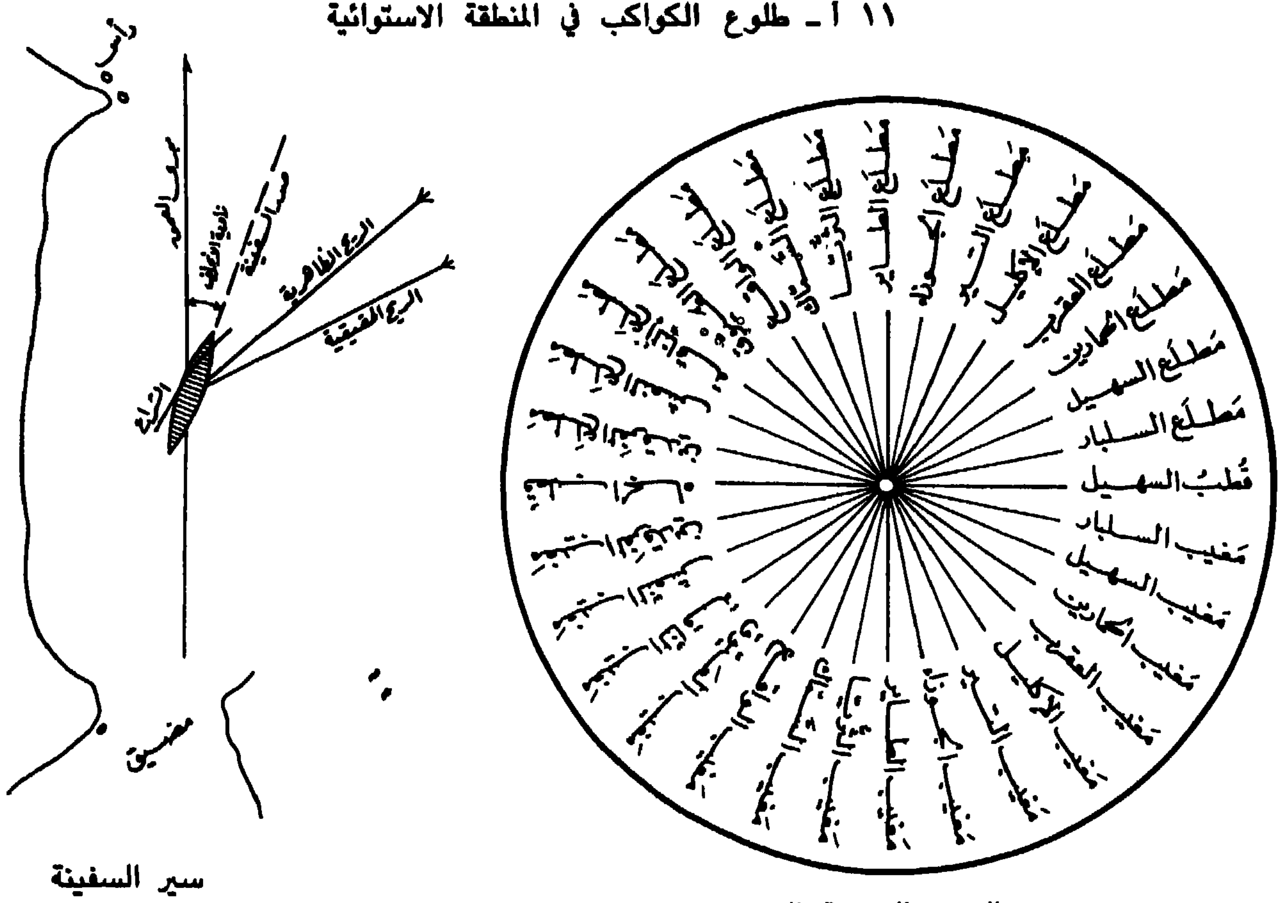
واطلق كذا في مطلع السهيل
جزيرة الكافر ولو بالليل
زامين بالمولم، طريق ظاهر
من الوسخ يمين والمياسر
بالصحو تنظرها زنجبار
من الدُّقل فالزم المجاري
إنْ شيت نهج البحر بالسواء
خذ الحماريين لذا المجراء
زامين بالمولم لراس الفيل
من عند هذي الجزر بالدليل
واسمهم سندا وهم خمس
وفي الجنوب منهم ترسو
واسمهم سندا فبالزنجيه
إن شيتهم خذن للوصيه
من شعب تاتيهم جنوبيهم
جزيرة الكافر تسمى منهم
إن لم تردها في المراح خلها
أما المجي لا بد ان تدخلها
واسمها عند العرب موصوفه
جزيرة الكافر وهي معروفه
فيها السنابق مديم دايم
يأتوا من الملِ لها كن عالم
لأنها على قريب الملِ
والأصل هي من دونهم يا خلي
منها لراس الفيل في الحمار
وراس ذاك الفيل يا سفاري
صخر على السيف يا ولي المطرد
من الشمال حط فيه وارقد

(المجاري من جزر سندا الى جزيرة الشرقاء)

وإن تكن تطلق من سنداء
في مطلع السهيل بالسواء
حتى تغيب عنك ذي الجزيرة
فرد في القطب على بصيره
تأتي لراس الفيل ثم الشعب
هو شعب الباب فقس وجرب
البعض تتركه على اليمين
ما تنتخ لمنفيه يقين
فإن ترد تجعله يسارك
تسير في المطرف باختيارك
أين اردت اطرح الأناجر
وقبله يأتيك بالأشاير
أشراك سبيعة عليها الناس
في قريتين هناك عند الراس



١١ أ ـ طلوع الكواكب في المنطقة الاستوائية



سير السفينة

الديرة النجمية العربية

راس له غب كبير يدخلا
للخشب الصغار نعم المكلا
بالأزيب الغامز تدخل داخل
للقريتين وهم بالساحل
أما الكبار تلقى فيها
مثل الصغار بندراً يوفيها
وهم قريب الباب بالإشارة
ذكرتهم لأنهم امارة
اسم الشمالية شالي ذكرت
أما الجنوبية ملالي شهرت
منهن تنظر شعب ذاك الباب
فادخل له بالأمن والطياب
والماء فيه خمسة او ستة
اعني الموسط استمع لنعته
أما على أطرافه رقيق
بالشعب ثم الملل يا رفيق
من قبله به هنا جزيرة
قبل كوالة تنتج صغيره
وإن تقابلها هناك فاحذرا
لأن تحت الما هناك حجرا
احذر منه قبله الماء
يقلع مبيضا ولا خفاء
وبعده ياخي كواله تاتي
والكل في اليسار خذ وصاتي
وبعدها جزيرة الشرقاء
هي عنهم في القطب بالسواء
واسمها الزنجي أيكوه جونده
هذا كلام لخبير اسنده
من راس ذا المطرد لذي الجزيرة
مسير زام كن به خبيرا

(المجاري من الشرقاء الى منفيه)

واجر منها يا أخي لمنفيه
مطلع حمارين وطريق ثانيه
تأتي على العقرب في الأصل
فاعمل بهذا او بذا يا خلي
لأن في أوساط ذي الطريق
أرقاق تعرفها على التحقيق
ومنا جرى في التير والجوزاء
اطلق من جزيرة الشرقاء
يضرب جزر البحر خذ من قيلي
اسمهم قيل مشنجوابلي
مع واملول وهي الشمالية
أما الجنوبية بعيد فاميه
تسمى فلولوا، شجر عيول
وبينهم طريق فيها سولي
بنادر بكل ريح طوى
يراهم من منفيه من جربا
جزيرة الشرقاء بريها ترى
منفية فاعلم بذا وحررا
كمثل ما قيس وهندرابي
وهم على بر كذا يا صاحبي
إن كنت في البحر الكبير بارزاً
واسجى عليك الليل كن مجاوزا
عند فوات منفيه اطرح فيهم
واتك يا صاح هنا عليهم
واجر في السهيل منهن الى
منفيه وقيت اشرار البلا
أما هنا ديرة بر الملل
في القطب والمحنث يا خلي
لكنها أوساخها كثيرة
فمل على السهيل يا خبيرا
قبل وصولك منفيه تلقى بها
ظهره بشعب وهي لا تسبها
فميل عنها يمنة او يسرة
منا الى الماشية القطب المجرى
لمنفيه نعم بها جزيرة
مختصرة مثلثة معمورة

(قياس الفرقدين وقياس النعش في منفيه)

يغيب فيها الفرقدان حقا
فالنعش إثنا عشر فيها صدقا
قد كذب الزنوج فيما قالوا
بأنه ازيد وذا محال
والفرقد الكبير أصبعين
ونصف قد جربته بالعين
أما الصغير يا أخي ثلاثة
ونصف من لا قاسه قد فاته
ما حاجة اوصف هذا المستقل
ما غير هذا في الفراقد محتمل
اذا استقلين الحماران على
قطب الجنوب قسمها يا رجلا
فإن رماك الله يا رباني
في ' الشرق للبحر آخر الزمان
وأنت من بر الهنود طالق
وجرك الماء ولم يوافق
خذ القياسات المصححات
وقس على ما قلت في وصاتي

(المجاري من منفيه الى جزيرة الحنش)

وإن أردت كلوة الملوك
من منفيه فعندك السلوك
في القطب والمحنث فتلقى الشعب
وظهرة صغيرة بالقرب
واسمها عند الزنوج مانجي
وشعبها الى السهيل ملتجي
حتّى تصير مقارب الجزيرة
أعني بكلوة يا فتى مشهورة
أما جنوبي كلوة هسواندو
الكل عنك في اليسار يبدو
بينهم طريق للمسافر
وإن تخلفهم تر الجزاير
أولى وقوله ولها شاميها
شعب طويل منجذب اليها
فيه الظهار أيها الربان
يشابه المطرد يا انسان
وهي جزيرة يا اخي مدورة
فيها الشجر أدغال بالعين انظره
ساحلها ابيض يرون منها
منفية فخذ وصاتي عنها
وقبل تاتيها ترى جزيرة
فيها الشجر عالية كبيرة
غالقة لشعب ذي الأولى
فالكل دعه في اليسار واعزله
واسم الجنوبية كلوة توني
والمل هناك ليس بالمامون
في الغلق يجرون لذي الجزاير
من منفيه ان بها المعابر
لشنج شنجوة وهي يمينا
اسمع لشرحي وافهم التقمينا
وبعد يجرون بظهر الشعب
جري السنابيق بريح الجنب
وكل هذا مطردك يسارك
فاطرح اذا شيت باختيارك
فيه مفارض تلتقي الأمواج
بها وبعض وأنت فيها لاج
كمثل هذا المطرد الذي انقضى
بحيز الشرقا شماليك مضى
واعلم اذا خلفت شنج شنجوة
على يمينك فاعترض لتنجو
واقرب لتطرح في جزيرة الحنش
إن شيت بالسحر اسر منها او غلس

لأنها آخر ذي الجزاير
من الجنوب كن بها خابر
وقبل شنج شنجوة تلفي
الى هنا امرية لم نعرف
أقلها يأتي عليه الماء
ثلاثة أبواع بلا مراء
ولم يكن تعدم هناك الأمرية
حتى ترى جبال كلوة صافية
وشنج شنجو فوقها عروق
إحذر منها وهي في الطريق
جزيرة الحنشان في جنوبها
شعب بظهره مال في غربها
واحذر حواليهن في الظلام
وجود المجرى وكن همام

(المجاري من جزيرة الحنش الى كلوة الملوك)

فاطلق للكلوة من الجزيرة
جزيرة هي بالحنش شهيرة
في القطب والمحنث بلا محال
حتى تقابل جبل الشمال
ترى بعينيك شمال الشعب
هو شعب كلوة لنك بالتقريب
فجاره حتى تفسول عنه
وادخل بنهج البحر تسلم منه
ومن هناك جزيرة الحنشان
زامان في المحنث يا ربان
فإن تجار الشعب في اليمين
حتى يدور كن به فطين
فاقبل هناك في مغيب التير لا
تدخل غربي كلوة مجهلا
حتى تفول بناحية وهي تجي
على يسارك وتفز بالفرج
وتنشر الأعلام بالسلام
وكلوة الملوك من امام
فمن هناك من البيوت كلها
بيوت كلوة الملوك خلها
بصدر مركبك وانت تنظر
والناس ينظرون حول البندر
هنيت منها ذاك خير السفر
وبالمنى قبل النضار الاحمر

(قياس الفرقدين والنعش والحمارين في كلوة الملوك ومنفيه)

أمّا القياس فعليها الفرقد
هو اصبعان قيس علم واكد

والأعرج هناك ذاك الحينا
ثمانية فكن بها فطينا
والنعش أحد عشر ونصف وافي
إن جيت للباحة فذاك كافي
أمّا على منفيه بالفرقد
على الصغير فبقولي اهتد
عند اعتدال الحمارين يرى
أربعة ونصف قد تحررا
أمّا قياس النعش اثنا عشرا
يزيد فيها نفس فخبرا

(الملاحة الشاطئية والملاحة في الباحة مقابل سفالة)
(قياس النعش، المجاري، مواسم السفر، نهاية الأرض)
(البلدان المجاورة لسفالة)
(ديرة البر من كلوة الملوك الى وميزي وملبيوني وسفالة)

وإن ترد من كلوة سفاله
فديرة البر بلا محاله
نعش احد عشر وهي وميزي
في قطب سهيل يا عزيزي
وهي جزيرة أهلها إسلام
بمطلع السهيل تجري الأنام
كذا الى سبعة في سهيل
أعني لشنجاجي بالدليل
وأهلها إسلام تحت الكفري
وفوقها شعب طويل ينذري
منها على القطب ملبيوني يري
لمعدن اللجين ثم العنبر
فيها النعوش ثمانية صحيحا
أوضحته لك يا فتى توضيحا
لكن قياسها نفيس زايد
افهم عني هذه القواعد
منها سفالة مغيب العقرب
يميل الى الإكليل كن مهذب

(المجاري من وميزي الى خليج كوامة وسفالة)

لكن اذا اطلقت ذي الجزيرة
أغزر عن البر وعن ذي الديرة
مقدار يوم أربعة أزوام
في القطب والسهيل خذ كلامي
ثم اقصد العقرب والإكليل
ترق بالليل بذا الدليل
يومين أو ثلثة بالمعتد
في المركب الماشي الذي يعدي
وتلتقي في ذي الطريق الماء
ينقص قرب البر بلا مراء
وعندما تنتخ ذاك البر
على كوامة شعب هاك الخبر
دعه يميناً ينقضي بحاله
وجار للبر وخذ سواله
حتى تجي يا صاح سولنات
وذاك شعب فوق سوفلات
وكلهم رمال يا ربان
ما فيهم طين ولا .شعبان
دعه يميناً ينقضي يا صاح
واعمد لذاك الباب بالأفراح
وادخل الى البلاد قرب الباب
تنظرها بالعين بالصواب
والماء يبيض هنا بالبلد
لحد شرق البر خذ من رشدي
إن شيت في البر تطرح فاطرح
والأرض عينا حط فيها وافرح
لكن تخاف الموج في الظهور
فإنها مكشوفة خذ شوري
ترميك في كوامة الكفار
لأجل هذا فاعرف الأسفار
وإن تكن ضرورة حط بها
الى الصباح ثم كن منتبها
لأن اكثر ريحها جنوبي
والما يشاهر فيه يا حبيبي
أما بقرب البر يا ربانا
يسقي ويكبر افهم البيانا
وسقيها يرميك في الجنوب
الى المغيب عند ذي التجريب
وماؤها يشبه ما كمبايه
فافهم الدخول بذي الحكاية
فادخلها عند امتلا الماء
مايه كمباية بالسواء
واحسن المنتخ نعش خمسه
ونصف خوف العقربي الوحشة
وإن تكن تنتخ نعوش سبعة
لحد تسعة افهم لوصفه
علامة الشعب على كوامة
فالبر يا خي يرتفع قدامه
أما بقرب سفاله هو هابط
فاجر لها ولا تكون غالط
الى سفالة والإشارات بها
ولم تكن بغيرها في قربها
يجيك نارجيل بالإمارة
وفوقها اكداف بالإشارة

ترى هناك الباب عند العرية
عليه باعان بغير مرية
تدخلها عند امتلا الماء
ماية كمباية بالسواء
هنا اشارات من الأخشاب
للخور ممن يطلب الثواب

(ديرة المريكب من كلوة الى خليج كوامة وسفالة بموازاة الشاطىء)

وأنت من كلوة لذا المكان
إن شيت جار البر يا رباني
إن كنت في مريكب صغير
تذلل الأخوار بالتدبير
لأجل خوف هذه الطريق
من اختلاف الريح يا رفيقي
ترتفع للبحر يا رباني
وبعدهم تنتخ على كلواني
من حد كلواني الى كوامة
نعوش سبعه متتخ الكرامة
ومن ملبيوني الى مناتخ
بالصحو تلقى فيه طوداً شامخ
ولا ترى في هذه الطريق
جبل لها يعرف بالتحقيق
الا بجراك مغيب العقرب
فإن دركت الخور بالليل اقرب
وحط للصباح تلق الباب
وحولها أشاير أخشاب
يأتيك سماكون ذي الطرف
تدخل سفالة بذا فاعترف
تلقى هناك الأعرجين فيها
ثلاثة منعدلة عليها
وانجم الهيراب حقا ستة
عند قياس الأصل خذ نعته

(مواسم السفر من كلوة الى سفالة)

وخير ما تطلق يا خي السفر
من كلوة لها اسمع الخبر
من اول النيروز للخمسينا
وغيرها في موسم العشرينا

(مواسم السفر من سفالة الى كلوة)

أما اذا خرجت من سفاله
ماية وسبعين بلا محاله
وقبلها وبعدها كن عالم
يكون هذا أحسن المواسم
من قبلها يمنيك فتور الكوس
وبعدها يصلب بتلك الروس

وترتفع لهم من المطالع
يرميهم بر ظلوم طامع
في قرب مايتين يا رباني
ويكثر الموج بذي الأزمان
بل إن في السبعين بعد المايه
هو موسم واحد خذ الهدايه
تجري على السماك والثريا
مرتفعاً في البحر يا خيا
مثل عدن لخوريا ديماني
إعرف لشرط البحر يا رباني
حتى اذا ما جاوزوا ثمانيه
ونصف شيعوا لبر العافيه
انتخ ملبيوني وما يليها
ولا هناك مركب يعديها
وقبل تكشفها ترى جبلين
أحمر وأبيض تره بالعين
يهدي بهذين على المناخ
منتخ ملبيوني بعلم باذخ
ويهتدي الى مسنبيجي هنا
بها، اليهم راحة من العنا
مقدار شهر زاد أو قصرا
صار سفرهم شعوباً وورى
كمثل قلهات الى البواطن
للخور الى جرون كن فاطن
وليس يغلق من هناك البحر
لنحو كلوة افهمن الشعر
وهي عليها نعشنا ينقاس
سبعه ونصفاً عند كل الناس

(الملاحة في الباحة الكبرى من كلوة الى سفالة)

وإن ترد من كلوة الطريق
في الباحة الكبرى على التحقيق
اجر على المغيب والسهيل
أعني المطالع افهم الدليل
الى ملبيوني بعيداً مغزراً
ورد في العقرب فهو المجرى
الى سفالة وهناك سته
بها النعوش افهمن نعتة
حذرك ان تضيق القياس
تخطي وتنساك جميع الناس
عن خمسة ونصف أقصى المنتخ
خوفاً من الريح الجنوبي يا أخي

(كفرة خور كومة وملكهم)

أما ملبيوني فقد قابلها
في الدير خور مومة وأهلها

إسلام، أما سبعة فكفره
خور كوامة قلت ذا بمخبره
وذاك خور قاصي وأهله
من ارض نيل مصر هاك فصله
فأهل ما بين السفالة وما
بين كجلوة كافرون ظلما

تسمى منى باسم وهو منى بتور
ملك عظيم يا له من كافر
وعنده معدن كالسفالي
لأنه من شرقه يوالي
تاليهم كبيرهم، منه ترى
مملكة الكفار له تعزى

يملك من الأخوار لزنجبار
في البر والبحر باختيار
وعنده معادن النضار
لأنها في بلد الكفار
مع هؤلاء المكلين السفالى
ومعدن النوبة لهم يوالى

يتصل بعضهم ببعض
وبينهم بحر وحد ارض
راخي على البحر من المغارب
خبرني عنهم ذوو التجارب
مسير يا خي سبعة أيام
يجون بالشاشات يا همامي

وينظرون لبلوغ الكفرة
في بحر الغرب فذا بمخبره
يأتون قال يحفرون النحاس
تقاوماً لفضة ذي الأنجاس
من طرف الإفرنج والمغارب
افهم كلامي واعتبر يا صاحبي
أما شماليهم جزر لبر
هي بالمغارب يا هماماً شهر

أما سفالة لمنى مناوي
ورسم تخت ملك زنباوي
مسير شهر عن سفالة مغرب
يميل للشمال عن مجرب
يحكمها لآخر الدنياء
ما في الجنوب غيرهم أكفاء
إلّا المسج او جزر خراب
جنوبي الواحات في الحساب
ما في سودانك والمغاربة
انقل ذا عن خابر قد جربه

(الديرة من خور كوامة الى جزيرة وازه)

وارجع لوصف ذاك الأول
لنعش سبعة في كوامة أعقل
عاليها شعب لنحو المشرق
فاحذر من نتخته وحقق
لكنه رمل بمجرى التير
حتى تراه ظاهراً خذ خبري
وهو مقابل يا فتى ستاوه
أمهاج كفره افهم التلاوة
ستة سفالة وخمس تسمى
جزاير ستوه فخذ علما
أما نعوش اربعة منارة
ومنهم للقمر هي مقاره
ونصف ما فيه وسخ وجزر
عينت لك جميع ذا بخبر
أما سفالة بندر النضار
يحكمها الكلوي فلا تمار
أعني لك الساحل يا سايلي
لمعدن النضار خذ دلايلي

وفوقهم يا خي لذاك المعدن
طريق شهر زايد فأتقن
على جنوبي يا أخي سفالة
مسير يومين بلا محالا
بندر بكل ريح فيها يلتقي
والنعش عن خمسة ونصف ضيق
وبعدها تلقى على الجنوب
نعوش خمسة عن ذوي التجريب
بلاد مليبوني تسمى بعدها
بعد ملبيوني فهاك عدها

وبعدها تاتيك ملا بتي وهي
قد قيل برمول فلم يشتبه
فيها النعوش أربعة نفاس
هذا الذي قد ذكروه الناس
وبعدها على الجنوب تأتي
جزر سدبوه وهم ثلاث
إحداهم يا صاحبي وشيكا
والعاج والعنبر فيها يدركا
بها قياس الجون والعناق
أعني قياس النعش يا رفاقي
ثلاثة مجربه محرره
عمن رآها من أهيل الخبره
ما بعدهم سوى جزيرة وازه
ولا جنوبيها احد قد جازا

أرقاق أوساخ مع جبال
يعلمها ربي ذو الجلال
بها النعوش يا أخي بلا غلط
هن اصبعان من بعدها اذا سقط

(البلدان والشعوب بجوار سفالة)

هذا الذي نعرفه يا صاحبي
والبر هنا يدور في المغارب
حتّى تصل لساحل الواحات
غربي التكازة هناك يأتي
أعني لواحات ذوي السودان
وغيرها في ذلك المكان
وبينه ومعدن السفال
مفازة قيل بها اوحال
مدخلها للبحر من المغارب
قد صح هذا عن ذوي التجارب
أقوامها محمرة الألوان
من شدة البرد هنا يا اخواني
الى جبال نيل مصر فيهم
يميل للشرق فخذ وصفهم
لأن ما هم ينقسم أقسام
فالنيل منها جاذب للشام
فيه انقطاعات ولم يحصها
إلا اله خالق باريها
والثاني الغربي على الكفار
أهماج في سفالة البراري
ما بينهم يا اخي سودان
الخالي الموحل يا ربان
والثالث الشرقي على كوامه
يميل للسهيل بالعلامه
فهذه معادن النضار
ما بين ذي سفالة الأنهار
لأن سكان برها اواحد
وبينهم خبث شديد كايد
كثيرة الأهماج والسباع
والفيل الف وبغير راعي
هي ثلثا الدنيا وكل الخلق
شمالها والغرب ثم الشرق
بأن يقال الخلق ثلث واحد
وقس بهذا البعض والزوايد
وليس فيها جادة لمن سلك
الا شجر مختلط ومشتبك
أما على الساحل يجري الجاري
والغرب والشمال والبراري

لم ينقطع سايرها المقارب
وصح عنهم انهم يا صاحب
يأتون بالزنجفر والنحاس
لكفرة سفالة النخاس
لمن يواليهم من النضار
أيضاً من الفضة خذ اختباري
ولا كذا معدن في الدير
إلا من المغرب وكل يدري
ولا جنوبيهم سوى جزاير
في البحر مجهولة بلا أشاير
يسكنها الرخ لأن فيها
أشتات أفيال وهو يرقبها
يطير بالفيل الى الجزاير
من بر ذاك المل خذ أشايري
وهن يسمين بعلم واكد
جزر السعادات خذ القواعد
من شاطىء الجنوب هم قرابى
والخالدات افهم الصوابا
يعرفهم كل خبير ماهر
هم أول الأطواح خذ الأشاير
عن أهل تلك الجزر يا رباني
كفى بهذا العلم في زماني
بقربهم للشام خذ من خبري
قوم قصار كذراع المصري
والبعض منهم يا همام ياوي
حقا الى ملك منى مناوي
ومعدن التبر خذ النميرا
فوق سفالة اسمه وديجرا
وعندها يا صاحبي تنتخا
وآخر المدن تبسمى سيخا
وهي من المعدن سيراً شهرا
للغرب والشمال فيها الفرا
أهماج عريانون في البرور
لا يعرفون لغة التكرور
وبينهم ماء غليظ موحل
يرونهم بالعين رؤيا تنجلي
وينطروا المراكب بالساحل
قلوعهم في بحرهم دواخل
وينظرون النار والدخانا
حاشى الذي قد عاين المكانا
وبين ذاك الوحل ماء حال
من نيل مصر افهم المقال
يخالط البحر من المغارب
هذا الذي حكى ذوو التجارب

لم اعتبر الا بعلم واكد
يسنده الطالب للمعاود

(الملاحة بين ساحل افريقية الشرقية وبين القمر والجزر)

(قياس النعش، مواسم السفر، المجاري)

(موقع القمر والجزاير)

أما من السفال للسواحل
فليس شرقيهم بخاف واغل
في البحر إلا القمر والجزاير
ما بينه والمول بالأشاير
أشهرهم أنجزيجا يا صاح
في غرب كل الجزر بالإيضاح
بها النعوش أحد عشر وربع
جزيرة عظيمة فاستمع
منها الى القمر على المشارق
لأي صوب شيت خذ من صادق
قبلتهم والقمر في الفراقد
ومغرب النعوش خذ بالواكد
وآخر القمر من الجنوب
قبلته القطب بلا تكذيب
مع السفالة ومن الأخوار
ومغرب الفرقد باختبار
الى حدود الجب وأرض المقدش
ومن هنا يميل لغرب النعش

(قياس النعش في القمر وجزره)

وخذ قياسات على الجزاير
ما كان عند الناس منها ظاهر
ثم مطالقها على السواحل
ما أنا من يخفي العلوم يا خلي
فخذ قياس دموني احد عشرا
عشرين زاماً عن وميزي غزرا
ومن كتاوه في سهيل المجرى
الى دموني وتنال الجزرا
وفيهم المنى وبيع وشرا
أما دموني عن ديبوى بحرا
وفي دموني عشرة ونصف
اسمع كلامي لا تمل وصفي
وقس بسعده عشرة بالعادة
هي شرقي الكل خذ الإفادة
لأنها من جزر بر القمر
يرونها منها فخذ من خبري
وقس على النعش في لنجاني
تسعة وهي مغزره يا اخواني
عن ساحل الأخوار من الأزوام
نيف وثلثين فخذ كلامي

هذه خمس جزاير قد شهرت
فيها المبيع والشرا قد عمرت
أما الخراب فيهم خراب
ما حاجة اطول الكتاب
حتى يغيب النعش يا سايلي
ينقطع القمر فخذ دلايلي
وآخر القمر من السهيل
صح اسمه فقسه يا خليلي
وقس شماليه نعوش اثني عشرا
عشرين زاماً من جزيرة منورة
لكنها في الشرق يا رباني
أبحر من تيري رجا يا اخواني

. .

(المجاري من الجزر الى بر الملل)

ومطلق الجزر لبر الملل
ثلاثة أيام في الأقل
فثي منها يقرب للساحل
بحاية القلعين يجري الداخل
وثي بريح الكوس لم تمسكها
إلا من الأخوار قد تملكها
لكنها المعبر بالشوار
مثل سقطره كن بهذا داري
فمن كتاوة هي لراس الملح
في التير يا ربان هاك نصحي
وإن تكن تطلق الى دموني
من منبسه فاعرف بذي النعوت
مطلع حمارين. فزنجبار
منها الى دموني المجاري
في مطلع القلب فأما الكلوى
يجري لها في التير خذ وارو
أما السفالي هو والأخواري
قليل يأتون فلا تمار
إن سافروا فللجنوبيات
والبعض منهم في السنين يأتي
وشرقي القمر هنا جزاير
قد قال لي عنها حكيم خابر
لان هذي الجزر تنجر الى
نحو السماك وهو في الشرق الى
براوة والجب مع كتاوة
ومنبسة فافهم التلاوة
ويحسبون يا فتى زرينا
من هذه الجزر فكن فطينا
فإنني ممن يصدق ذا الخبر
لأنني في الزنج لم الق اثر

لموجة الصليب يا حميدا
والواجب أن هاهنا تزيدا
وكونهم عن بعضهم ببعض
متفرقات افهمن وعظي
يراهم السفري اذا ما اغزرا
خوفاً من الكوس يريد الخضرا
ونادر السنين في الأسفار
وبعضهم ينتخ زنجبار
من ظهرها لا جانب المغارب
فكن بشرحي عاملاً او جارب
شرحته يا صاحبي والعهدة
على الذي رواه لي وعده

(مواسم السفر بين السواحل والجزر)

وموسم السواحل للقمر
وجزره ثم السفال فادر
من اول النيروز للسبعينا
وأهل كلوة موسم التسعينا
أما لها عشرون في النيروز
ذكرته من قبل يا عزيزي
ولا لسوفالة إلا موسم
واحد، لا غير، فحكم واحكم
أما الى الأخوار ثم القمر
موسم نفيس عن اهيل الخبر
في العام مرتين او ثلاث
إن كان قصدك انجزيجا يأتي
أحسنهم ماية في النيروز
للجاي والغادي يا عزيزي
لكن بالشوار لا بالغامز
فاعبر اليها كي تكون فايز
والموسم الزايد في الديماني
تأتي ولا تروح يا رباني
فخروج اهل القمر للسواحل
بموسمين اعترف يا سايلي
ذكرت ما خليت منها مجرى
إن جزت في عمرك هذا البحرا
تلقى بها قولي وصحه فعلي
لأنه علم كبير عقلي

(الخاتمة)

(علم السفالية)

ثم تأمله بذي السفالية
تهديك في الجنوب خذ مقاليا
لا غيرها في هذه الطريق
اعم منها علم بالتحقيق

(عدد أبيات السفالية)

هي سبع مايه، بيت يزيد عنها
عن أحمد السعدي احفظنها
وادع لي في الموت والحياة
من الإله غافر الزلات
عرفتها حتى بقي ربانها
يسألني عنها وعن شعبانها
لا شك أن من يرى بالعين
تركن اليه الناس باليقين
قد ركنوا لي والنبي الهادي
واتركوا من عاين البلاد
كفى بذا في جودة السوال
تصورت في الجلسة بالكمال
شعبانها والبر والقياسا
والريح والموسم ثم الناسا
ثم المطارح ودخول الجزر
حققت بالتدقيق اسمع شوري
واعبر لها بالحزم والصلاة
على النبي واتخذ وصاتي
صلى الإله في صباح وسحر
على النبي المصطفى خير البشر
ما دارت النعوش بالأقطاب
واهتدت الزنوج بالسحاب

الأرجوزة الثالثة: السبعية:

هذه الأرجوزة المسماة السبعية لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والإشارات، المستحسنة. قايلها المعلم الشهير، حاج الحرمين الشريفين، شهاب الدين، احمد بن ماجد بن محمد بن عمر السعدي. غفر الله له وللمسلمين أجمعين آمين.

السبعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(مطلع الأرجوزة)

تبارك الرب الذي هدانا
في بحره المسجور وأنجانا
سبحانه مقسم الأرزاق
بين الورى في ساير الآفاق
فالبعض منهم رزقه في البر
والبعض في البحر لرزقه يجري
فإن تكن يا أيها المسافر
تركبه فكن به محاذر
منه ومن أموره كل الحذر
ولا تلام إن يصادفك القدر

(وصية ابن ماجد بشأن الشحنة والموسم)

فأولاً أوصيك خذ وصاتي
تسلم من الضيعة والآفات
لا تشحن المركب إلا العادة
وجود الموسم، خذ الإفادة

أولاً ـ (السفر من بر الهند الى الحجاز أي الى بندر جده)

(موسم السفر من بر الهند)

وخير ما تطلق بر الهند
في ماية النيروز لا تعد
خصوص من ارض مليبارات
لأنها كثيرة الزلات
فكل من يركب في السفينة
يعرف ما ذكرته في حينه
لكنه يعجز عن تأويله
والعبد قد حكم في دليله

(المرحلة الأولى: السفر من ارض كالكوت الى جزيرة كفيني من جزر الفال)

وإن طلقت ارض كالكوت
وقصدك الحجاز بثبوت
إجر على اسم الله في الجوزاء
إثني عشر زاماً بلا مراء
حتى ترى في صدرها كفيني
فخلها عنك على اليمين
واحرص على مجراك بالصواب
وليه[1] وانشر علمك في الباب
قد فلت في الجواش فشت كوري
وإن يكن شواؤ مل للتير
من نحو كفيني لأن الماء
يجر تحت النعش بالسواء

(وصف جزيرة كفيني من الفال)

فمن صفاتها أنها جزيرة
منقسمه في البحر وكبيره
يكسر عليها الموج، من بعيد
تنظرها بالعين يا سعيدي
وقيل إن .نصفها الجاهي
يسمى بأميني فكن زاهي
واتصلت يا صاح في ذا العصر
وبينهم خور يجي بالصدر
ونخبها والناس والبنادر
على جنوبيها فكن بالخابر
وعنهم في الجاه يا خليلي
نحو سهيل عوان نارجيل
كان كثيراً اول الزمان
وقل في ذا العصر يا رباني

(جزر أميني وكورديب وسهيلي من الفال: قياس الجاه والفرقدين فيها)

وقيل يا ربان أميني على
جانب كورديب وقيت البلا
أمّا سهيلي فهي عن كفيني
في الغرب ست أزوام باليقين
هذا الأصح عن نواخيذ البلد
ووصفها فخذه عني بالسند
والجاه فيهم يا أخي ثلاثة
نسيم لم تلق به علاثه
والفرقدان عشرة ونصف
محتكياً لا بد تلقى وصفي

(جزيرة توري خراب وفشتها البحري من الفال: قياس الجاه وفرد الشرطين والعناق فيها)

والجاه هكذا في توري
وفشتها البحري فكن خبيري
تلقى بها الفرد من الشرطين
خمساً ونصفاً صح باليقين
ومثله سادس نجوم النعش
يسمى العناق نعم قيد مفشي
يعملن في توري وفي كفيني
فانتخ لها فأنت ذو تمكين
إن ينقص الجاه اصبعاً فالناطح
ينقص اصبع ثم نصفاً واضح
أما العناق لم يزل مقيدا
خمساً ونصفاً لم يخالف ابدا

(الباري بين توري خراب وملكي من الفال: قياس شامي الشامي والكاسر، والنعش والشرطين فيه)

أما اذا كنت في ذا الباري
ما بينها وملكي كن داري
خمساً ونصفاً قس لشامي الشامي
مع كاسر في الشرق يا همامي
او كان في الشرطين قيدك فاسمع
فالنعش عندي اصبع بإصبع
او قستهم في حسبة كن معتلم
في كل راس نصف بل فيه النسم

(المرجلة الثانية: السفر من جزيرة كفيني من جزر الفال الى رأس جردفون وآخر البنادر)

وإن يكن فالك ترى الأماكنا
فكن الى مجرى الثريا راكنا
حتى ترى السهيل ثم المعقلا
خمساً وربعاً يا خليلي فاعقلا

[1] وليه: اتبعه، فعل الامر ولي يلي: تبع من غير فصل.

ثم ترى الظليم والسهيلا
أربع وفيهم نفس، قليلا
والجاه لا شك يصير اربُعه
نفيس، خذ مجرى المغيب واتبعه
لجردفون، وآخر البنادر
في الجاه والنعش فلا تحاذر

(المرحلة الثالثة: السفر من جردفون والبنادر الى عدن):

(الطريق الأولى: الذهاب الى مقابل هجرة وميط ثم العبور الى عدن)

واجر من هناك في الثريا
لفيلك يا أيه الكميا
مقدار زامين واحذر قبلها
من رقة الماء فلا تركن لها
فربما يرمي عليها المد
خصوص بالليل فافهمن القصد
ثم اجر في التير ونسر الطاير
والكحل في اليسار بالأماير
مقدار اثني عشر بالأزوام
بطيب ريح كامل تمام
حتى تقابل من بعيد هجره
وميط هي انقطاعة مشتهره
ورد صدر الفلك نحو النجم
عشرين زاماً لعدن خذ نظمي
وربما لم تحمل العشرينا
في الصحو والأزيب يا فطينا

(الطريق الثانية: الذهاب الى فيلك ثم العبور الى عدن)

وإن تكن في اول الزمان
أعني بفيلك، لك الأمان
على مغيب الأصل احذر وانثني
ترى عدن في الصدر يا مسكني
تجري ثلاثين من الأزوام
تنظرها بالصحو من قدام
وهذه الأزوام بالوراب
ما لمسافر لها أسباب
فإن رماك المد كن عليها
قياسك السهيل والظليما
وكل هذا الشرح إحترازي
يفعله من في الأمور حازي

(المرحلة الرابعة: السفر من ازاء عدن الى جدة)

(المجرى من حيال شمسان الى باب المندب)

وإن ترى شمسان نحو الحجبه
أقرب وخذ حواشك المجربه
حتى توافي قرب راس العاره
وتنظر المسجد والمناره

وقبلها احذر من المعالم
طحلة بقرب البر كن بالعالم
وابعد عن الراس وعن طحلته
حتى تكون تسلم من زلته
واجر على المغيب والثريا
فهكذا جريت يا اخيا
فإن توافي الباب بالنهار
واز الزبانين وظل جازي

(المجرى من الباب الى الزقر، فكمران، فالأبعلة، فسيبان)

وإن تكن بالليل يا معلما
احزم وافعل ما يليق واعزما
واجر على العيوق زاماً واسر
في مغرب النعش لنحو الزقر
أيضاً الى كمران شط البحر
خصوص في الألحاق فاسهر واجر
واحسب حساب الليل والبرور
والمركب الصغير والكبير
ومنه للجزر الى سيبان
ثمانية في البار بالعيان

(قياس الجاه في جزر الزقر والأباعل وسيبان وفرسان)

والجاه ربع ناقص عن سته
في الزقر، اما الجزر خذ نعته
يزيد عن ست بنصف إصبع
فهكذا جربت وسيبان معي
سبعة الا ربع يا اخوان
قياس عادة ما به نقصان
أما على فرسان سبع زادا
نصفاً، وقد ضاق عن العادة

(المجرى والقياس من سيبان ففرسان الى جدة)

فإن أتيت يا فتى ذا المجرى
رتب قياسك في المربع واحذرا
من فوق سيبان وخذ مجراها
ثم القياسات معاً واسر لها
في مغرب الناقة أزواماً عدد
عشرون مع أربعة لها مدد
واتك بالشمال في المطلع
أربعة أزوام ثم طالع
فأنت لا شك ترى الجبال
جبال جده شرعاً عوال
شاهدك المربع المشهور
اربع وربع خذه من خبير

(تأثير الرياح الفاسدة وريح الأزيب في ملاحة بحر القلزم)

وإن تكون في رياح فاسدة
قالب ولا تخرج عن ذى القاعدة

لأن هذا البحر لم يجملا
فاعرف أين الميل وقيت البلا
أما مناخك بريح الأزيب
من جاه تسع مل وفي النعش اقرب
واجر في الفرقد ثم القطب
حذار: جر الماء لئلا يصبي
ومل على اليمين مثل الناس
ورتب الأوقات والقياس

ثانياً ـ (قياسات الكواكب في بحر القلزم من سيبان الى جدة)

(قياس المربع التحتاني والمربعين الأوسطين والحمارين في سيبان)

أما المربع فهو في سيبان
ثمان إلا ربع بالعيان
أعني لك النجم القريب الماء
في مستقل زاوية العواء
والأوسطان قياسهن تسعة
عند السماك بعد ذا خذ نفعه
أما الحماران فثلثا ينقصان
عن تسعة، في الطير يختصان

(قياس المربع التحتاني والجاه فوق هديفة وباقل)

وينقص اصبع يا فتى بإصبع
في كل بر يا فتى فاستمع
واعلم، يفي المربع التحتاني
والجاه يكفي، يتساويان
بجاه سبع ثم ربع زايد
كلاهما في خشبة تواعد
فوق هديفه يا أخي وباقل
بيس المكان ذاك عند العاقل
هناك عدة من الجزاير
بما يلي الباحة بالأشاير
ما للمجاوز بينهم طريق
كم مركب غار بذا المضيق

(قياس المربع التحتاني والمربعين الأوسطين والحمارين في جزر فرسان)

ورحمة الله على فرسان
ما قط فيها خطر مكان
عند الذي يعرفها او زارها
وخاض فيها واستقى من مائها
الجاه فيها سبعة ونصف
نجم المربع سبعة خذ وصفي
اما المربعان فالأوسطان
ثمانية ونصف بالتمكين
قس الحمارين بها ثمانيه
نفيسه، تلقاهما بالعافيه
فخذ بهذا، الكل بالتدريج
ما اجة لكثرة التأريج

(قياس المربع التحتاني في الخبت، كدمل، الفصيليات، ذوريش، الصبايا، شيكا، ذو شجيج، جزر الدانق، الأربع الظهار، خريق سمار، ذوحريف، خميس)

والخبت إن قابلت فالمربع
أنقصه عن سبعة ربع اصبع
على كدمل والفصيليات
ست ونصف فاتخذ وصاتي
فهو على ذوريش والصبايا
ست وربع افهم الوصايا
وفوق شيكا ثم ذو شجيج
ترى المربع سته صحيح
وفوق جزر الدانق المشهور
ستة إلا ثلث بالتحرير
وتلقه ا في الأربع الظهار
خمساً ونصفاً، وخريق سمار
خمس وربع فاتك بالشمال
للبر لم تلق سوى الجبال
وذو الحريف مقابل لعيريا
شرقاً وغرباً يا فتى مجريا
أما خميس، فترى مربعي
خمساً بحكم افهم النظم وع
والجاه في خميس دون العشرة
بثمن إصبع يا بني محررة

(قياس المربع التحتاني في الرحل والعوالي في بحر الحجاز)

إن قياسات الحجاز جمعها
ضيقة ولا يليق شرحها
فإن رأيت عندك المربعا
ينقص عن خمسة ربعاً فاسرعا
واجعل الجوش على اليمين
إن كان بالأزيب يا فطيني
وإن تكن ريحك ريحا مشمله
إتك على البر بها لا تهمله
قد صرت بالرحل والعوالي
في غاية الأمان والآمال

(قياس المربع التحتاني مقابل البكار في بحر الحجاز)

قس المربع أربعا ونصفا
مقابل البكار غير مخفى
حذار، لا تنقصه بالأزيب
عن ذا، فتخطي بندرك وتتعب

(قياس المربع التحتاني مقابل جدة في بحر الحجاز)

وإن يكن اربعة وربعا
أنت على جده فهاك نفعا
هذا مخور ندخة الشمال
فاندخ على جده ولا تبال

إن كان في صحو وفي غبار
لم تخطها قط فخذ أشواري
تحط يا ربان بالسلامة
وتدخل المركب في أعلامه

(قياس المربع التحتاني في شعب البوم في بحر الحجاز)

فإن أتى معك المربع أربعه
دمن شعب البوم فاحذر مقطعه
جود قياسك فترى شاهدا
زاوية العوا ولا تحدا
عن مستفيد يهتدي بنظمي
إني قد نظمته بعلمي
من بعد تجريبي على البرين
الهند مع ذا البر يا فطيني

(قياسات الحمارين ونجوم المربع أفضل القياسات المدرجة)

خير القياسات المدرجات
على الحمارين والمربعات
لأنها تقوم فوق القطب
وليس فيها خلل وكذب
وعيبها إهمال ضبط الأصل
وعد من يجهل قدر الكل
ولا تجد في هذه الطريق
من حد سيبان على التحقيق
أجود من هذي القياسات يرى
إن عابها في الناس شخص فشرا
وليس في ذا فطنة ومعرفه
تنقلها أجداده عن سلفه
ما هو إلا صنم ملقن
لم يفتك إلا قليلاً أوجن
هذي القياسات على المقابلة
تزيد في التكية فدع عنك البله
ربع اصبع او نصف بالشوار
في كشفك البرّ فخذ أشواري

ثالثاً ـ (أخطار الملاحة بين جزر الفال وبر الهند)

(الانحراف عن المجرى بين جزر الفال وبر الهند)

وغير ذا في هذه الطريق
خط حكماً جاءت على التحقيق
اذا قلعك الريح بين الفال
وبين بر الهند خذ مقالي
ولا تخالف رأي من جربها
معاود بالحزم قد هذبها
أقبل تحت الجاه والفراقد
والبار ايضاً لا تكون راقد
لا تكثر الميل على سهيل
خاير وعجل بيس ذاك الميل

ودم على صبرك والمطالبة
لأن هذا موضع المقابلة
إذ ليس فيها موجة تخشاها
لأن بر الجزر قد علاها

(الاعتياد على الجاه لتحاشي ثلاثة أخطار)

لا تسقط الجاه ببطن الفال
عن ثلاثة لتبلغ الآمال
لأنها ضيقة المسالك
وربما تدعو الى المهالك
لو لم يكن إلا اذا الفلك سقط
ورد لكاتكوري فقط
والثانيه تكثر عليك الجزر
في سافل عند الفوال فادر
وربما صادفتها بالليل
وراكب البحر ضعيف الحيل
والثالثة، إن صلبت أرياح
بعد الفوال فاتك الصلاح
وغيب الجاه ووافاك المطر
والزحن والأتلاف من طول السفر
وغلق الموسم وأنت مغزر
وقام ريح الغرب ثم أدبر
ودارت الأمواج بالدبور
وصار كل بندر عسير
وأنت في وهم من القياس
او مغزر بريح أكواس

(الاعتياد على قياسات ابن ماجد المجربة)

فخذ قياساتي التي هذبتها
بالسعي والتكرار قد جربتها
إن كان ذا في الغلق أو في الموسم
فاسمع إشاراتي وقسها واغنم
وإن تكن من زنج او سومال
أو هند او هرموز خذ مقالي
من جاه إصبع لجاه خمس
فكلها جربتها بنفسي
وفارس البحار في ذي الصنعه
يقيس لجاه إثني عشر معه

رابعاً ـ (الاغزار والارقاق في بحر العرب (حوضة المحيط الهندي الغربية)

(شروط المغزر والمرق)

فاسمع شروط المغزر المرق
هي كيميا المعالمة بالصدق
نسيم عاده محتكم موضيق
خذ هذه الشروط حتى ترتقي

لأنها اصبع رأي العين
لم تحمل الأوهام يا فطيني
ولا نفس معلق في خشبه
فلا يصح عند من جربه
لأن سير الشعريين، سريع
أسرع من ذا الواقع اللموع
قد كنت أفعله قديماً في الصبا
وكثرة التجريب يشي عجبا
بل قيد الذراع دوماً أربعه
في غربه والنسر وافى مطلعه

(الإغزار ثلاثين زاماً عن السيف في السومال في عرض «جاه اصبع»، بدلالة قياس الشعرى والنسر الواقع والفرقدين)

وإن ترى الشعرى بجاه اصبع
أربعة والنسر خمساً كن وعي
والفرقدين في انتصاب السنبلة
تزيد عن ثمانية فاعقله
يكون ما بينك وبين السيف
إلى ثلاثين اعرف التصنيف
وإن تكن في الماية والتسعين
فالكوس والأمطار في تمكين
أمّا على الخمسين في الصحيح
تكثر تصانيفك بكل ريح
وقد تكون الصبا حايات
والعقربي يأتي ولا يأتي

(الإغزار عشرين زاماً عن رأس الهر في السومال في عرض «جاه إصبعين» بدلالة قياس الشعرى والنسر الكفيت)

وإن يكن في الجاه إصبعين
فالشعري أربعة مبين
تقيد في غربها الجهال
قياس عاده ما به زوال
ترى هناك نسرك الكفيتا
خمساً تزيد النصف تثبيتا
فاعلم بأنك مغزر عشرينا
بينك وبين الهر قس يقينا
وربما ترى هناك القرعا
في طيرها كالمنجي تسعى
تأتيك قبل المنجي كن خابر
وتكثر القروش والأشاير
أما العيان والموارز لم تزل
ما بين ذي البرين من طول الأزل
وينقطع في آخر الزمان
هنا المطر في غالب الأحيان
عند المرقين فأما المغزر
لجاه سبع، دايم في المطر

وإن يكن قد زاد عن سبع فما
عندك إلا الهند حتماً لازما

(الاغزار خمسة عشر زاماً عن حافوني في عرض «جاه إصبعين ونصف» بدلالة قياس الغميصا والواقع)

وإن تقيس الجاه إصبعين
ونصف إصبع يرى بالعين
ترى الغميصا أربعاً مقيده
والنسر ينقص ربع عن ست بدا
فخمسة عشر أنت مغزر
والمنجي لا شك فيه تبصر
خصوص بالشوار يا سايلي
إن لم يكن كثراً فبالقلايل
وإن رأيت البعض باليقين
فأنت بالكوس ترى حافوني

(الاغزار عشرة أزوام عن هالوله في السومال، في عرض «جاه ثلاث أصابع»، بدلالة قياس النسر الواقع والذراع، وكثرة المنجي وقلته)

وإن تكن في الجاه يا سايلا
ثلاثة في المركب مقابلا
والنسر ست والذراع أربعه
مقيده في الغرب عنك فدعه
عشره من الأزوام أنت مغزر
والمنجي مثل التراب مشتهر
ويولم الريح اذا جا ليلها
فاحذر لهالوله وذا دليلها

(فوات بر جردفون بدلالة قلة المنجي)

إن لم تر المنجي بذا المكان
يعادل الكسلان يا رباني
فبر جردفون لم يبق معك
وليس ريح الكوس يبقى ينفعك

(مسك جزر سمحه ودرزه وسقطره)

فإن تر القليل بالشوار
والجاه ثلث استمع تكراري
أقبل بجهدك لترى الصلاحا
وتسلم الأموال والأرواحا
عسى تعلق بذي الجزاير
سمحه ودرزه وسقطره ظاهر
خصوص في الماية والسبعينا
جوش اليسار إفهم التعيينا
أمّا بجوش يمين ما تبالي
أما لأرياح الصبا الأوالي

(أهمية دلالة المنجي)

والمنجي قيدي لذي الطرق
جربته محققاً بحق

أصح عندي من قياس العرض
يهديك في النتخ بهذي الأرض
أجدادنا قد عاينت أجداده
في ذا المكان وبه ملاذه
يصح يقصد لطلوع الشمس
وغربها اذا النهار يمسي
إشارة صحيحة لا تختلف
تخص هذا البر يا خي فاعترف
أمّا الكريك قد يرى أحياناً
إلا على الساحل يا ربانا

(الإغزار خمسة أزوام عن حافوني في السومال في عرض «جاه ثلاث أصابع ونصف»، بدلالة قياس الكاسر والمرزم والظليم)

وإن يكون الجاه في القياس
نصفاً مع ثلاثة نفاس
أنت بحافوني وتلقى الكاسرا
ستا وربع نفيس يا مسافرا
والمرزم المشهور والظليما
في حسبة ستا فكن عليما
بأن مركبك بقي في البحر
خمسة أزوام فخذ من خبري
وتكثر الطيور والأسماك
والقد والقروش يا فتاك
ويصلب الكوس ويولم في السفر
وليس يخفى ذا على صاحب سفر
إن كنت أيام وسط الموسم
فاحذر هالولة يا معلمي
تدخل وما يبقى تفل حافوني
عند الصبا والجوش باليمين

(الإرقاق قرب بنه وجردفون في عرض «جاه أربع أصابع» بدلالة قياس الذراع والكاسر والعيوق والمرزم وسهيل والظليم)

(الإرقاق بين بنه وراس جردفون)

وإن رأيت الجاه في القياس
أربعة فقد خلفت الراس
ومثله الذراع أما الكاسر
نصف، على الست خذ المآثر
فأنت من بنه على البصيرة
لجردفون في أعالي. الديرة
ما بين حافوني وراس الشعب
راس سقطرة الجنوبي الغربي

(الإرقاق في بطن بنه)

وإن تر الواقع سبعاً محتكم
فأنت على البر على شرع العلم
ودارت الموجة والبحر سكن
في بطن بنه للشمال فاعلمن

وخذ حذرك أول الزمان
لا تحتشر أصلاً بذا المكان
وتلتقي العيوق في غروبه
ثلاثة ونصف خذ تجريبه
وستة ونصف نجم المرزم
خمس ونصف للظليم فاعلم
وكل هذه بجاه أربعه
شهود نتخ خذ كلامي واسمعه

(نتخة جردفون في عرض «جاه أربع أصابع وربع)

وإن ترد نتخة جردفون
جاه اربع وربع بالتمكين
فقس على السهيل ايضاً والظليم
اربعة ضيقه وكن عليم
إن قستهم أربعة وربعا
قسهن ضيقاً والجدي رفعا
أو كان جاهك والذراع أربعه
والنسر ستا ثم نصفاً يتبعه
ولم ترى أم الصناني ولا
ترى هنا المنجي وقيت البلا
فأنت هرموزي أو مكراني
بالكوس فافهم واعرف المكان

(الإرقاق قرب جزر سمحة ودرزه وسقطره في عرض «جاه أربع أصابع ونصف» بدلالة قياس الواقع)

وإن يكن أربعة ونصفا
الجاه، والواقع سبعاً فارفا
بالليل لا شك الى الجزاير
ما حاجة أذكرها للخابر
اذا رأيت المنجي يا خلي
ولو يكون واحداً بالكل
ومن يكن أسمي للرياسة
لا بد في البحر له سياسه

(الإرقاق قرب راس مامي سقطره في عرض «جاه خمس أصابع» بدلالة قياس النسر الواقع والشعرى الغميصا)

وإن تقيس الجاه خمساً عاده
والنسر سبعاً فوقها زياده
ثمن، فأما الشعرى الغميصا
لا فيه تزييد ولا تنقيصا
وعندك الكريك والطيور
والريح والحاية اسمع الشور
كبر وهلل وانشر الأعلام
تهنيك رؤياك لراس مامي

(الإغزار عن راس مامي سقطره باتجاه هرموز وما يليها بدلالة الواقع والجاه والذراع)

إن شيت هرموزاً وما يليها
أو كنت عطشان فأرس فيها
وإن تكن مكي أو يماني
حدك الى نيروزك السلطاني
وإن ترى للواقع سبعه
فالجاه والذراع أربعه
إن كان ريح الكوس عطفاً طفلاً
فأنت عن بر العرب لا تخلا
وربما كنت بجاه ست
ما بين ذي الريحين خذ من نعتي
خصوص إن عاينت بعض المنجي
أبشر فأنت ظافر بالفرج
وإن رأيت الكوس صار مسعرا
نتختك راس الحد او شعره
او راس جاش استمع إرشادي
على قدر ما تقبل بالجواد

(الإغزار عن راس مامي سقطره باتجاه الديو وجوزرات بدلالة الكاسر)

وإن يكون الكاسر المنير
سبعة إلّا ربع بالتحرير
ولم تر المنجي ولا الأشاير
فلا يغرنك قياس الكاسر
في جاه خمس في أخير الوقت
قم في الركايب واستمع نعتي
إن كان مركبك خفيفاً بادر
واقصد الى الديو أكبر البنادر
وادخل الخور ان تكن خابرا
وعتد الحبال والأناجرا
لأن في التغليق جوزرات
أمطارها ثقيلة الماءات

(الإغزار عن راس مامي سقطره باتجاه بنادر بر الهند بدلالة الواقع والشعري والعبور)

وإن تكن اغزرت بالكثير
قيدت لك قيداً على التحرير
في جاه خمس يهتدى المسافر
أو عاجز ضرت به الضراير
إن كان بين ذينك البرين
بر العرب والهند بالتعيين
ترى هناك الشعري العبورا
ومثلها الواقع كن خبيرا
ذاك اصبعان وربع، ذي مثله
يكفيك هذا في الخضم كله
أو كنت دابولي او كنبايتي
او من منيبار استمع هدايتي
اذا رأيت في القياس جزرا
فأنت في امطار دندرسفورا
إن له دلايل كثيره
قنديل من على شيول شهيره
لو كنت ما رأيته في العمر
فأنت في الترتيب فيه تجري
لأنه خور كبير مهناع
واسمه بين البرايا قد شاع
وغيره دابول او سنجيشر
أدخلهم في الغلق ثم واجر
وغبر هذا خور ساجوان
وليس يحتاج الى ربان
ما بين سنجيشر وسندابور
طوطته بيمنة نعم الخور
ما بعدهم سافل يا فطينا
إلا أزاديوا وقندرينا
لكن امطار منيبارات
تأتيك سكباً دايم الأوقات

(الاغزار عن مامي سقطره باتجاه مكرانْ وبر جاش)

أو كان امطار بجاه ست
تحويك مكران فخذ كلمتي
وإن تكن تلي لجاه خمس
فرب تاتي جاش بر الأنس
والمرفىء عسكره والمركب
وخيره وشره مرتب
وفي المواسم من جميع البحر
إن كان فحلاً بكلامي يجري

خامساً - (تقويم الأرجوزة السبعية)

(الإطراء على الأرجوزة وعلى المعلم الماهر)

أرجوزتي موزونة بالذهب
ما قد حوت في الغلق أيام التعب
أذكرني واذكر أياماً مضت
ضيعت موسمها بهند وانقضت
اذا رمى سالك هذا البحر
سلاحه لم يدر أين يجري
وصار في الخلق بلا جناح
يرشده في جملة النواجي
إن كان ربانا سديداً رأيا
مسترشداً في ساير البرايا
قياسه مرتب والمجرى
ذا فطنة بارك يوم السرى

أما الذي يسترخص النواخذه
فليس له معلم بالقاعدة
لا بد ما في سالفات الدهر
يرون عاماً في جميع العمر
تناهم الصرفة في الترحال
تتلف أرواحاً على أموال
إن رقاد العالم المدقق
أجمل من ساع ولم يحقق
أما الخبير فيعرف زلاته
ويكث الجاهل في سقطاته
من لم يحكم في أمور البحر
فغلطه والله ليس يدري
من ذا الذي لقي في ميدانه
أي قرين يصرع أقرانه

(نصائح أحمد بن ماجد)

واعلم بأني شرحت واقعي
مع الذراع فاستمع منافعي
إلا بجري الكوس بالوراب
وقيد نجم الميخ في الحساب
لأنني قد قسته يا هذا
غرباً وشرقاً ما نقص وزادا
ونفعه لي جاهي سهيلي
اصبع بنصف اصبع يا خليلي
وإن نشرت علم الفالات
واعتدلت ريحك والحايات
اقسم بر الفال والسومال
في جاه ثلث ونصف خذ مقالي
وأنت في مجرى رياح الكوس
من نحو حافوني وتلك الروس
خذ ذا من الشهاب لك نصايحا
تذكره في سره وصايحا
يصنع مثلي هذه الأرجوزة
لأنها غريبة عزيزه
سهرت في بحارها ليالي
وقدرها يعرفه أمثالي
لو خبر الناس جميع الكتب
ونظمهم ونثرهم يا صاحبي
لم ينظروا أعم نفعاً منها
فذر لقول الحاسدين عنها
ولم يرد تصنيفها سوائي
لو كان من يكون في الدنياء
لم يستطع. إني عليها بالرصد
منذ سنين فوق عشرين عدد

والآن قد كملتها بجهدي
على قدر معرفتي وكدي
سهلتها لعرفة الناس
في ضيقة وشدة وباس
إن كان في ألفاظها والقافيه
ضعفاً ترى فيها المعاني وافية
رقت ولكن رقة معناها
تعطي نفوس العلما مناها
يهدي بها الغادون عند الغلق
ثبتها لرشد كل الخلق
وإن في الواقع ثم النسر
ناسخ ومنسوخا فاقبل عذري

(اسم الأرجوزة وتاريخ نظمها)

سميتها سبعية يا قومي
لأن فيها سبعة علوم
عام ثمانين وثماني مايه
وفوقها ثمانية وفاية

(الخاتمة)

بالواحد المعبود يا خليلي
اذا ركبت الغلق، فادعو لي
مصلياً على النبي التهامي
وآله وصحبه الكرام
ما قاس نجم النسر والذراع
حول المجرة ندي ذراعي
وما دعا بالشعريين داعي
وأقبل الحجاج للوداع

الأرجوزة الخامسة: الملعقية

هذه الأرجوزة المسماة بالملعقية، من بر الهند الى بر سيلان، وناك باري، وشمطره، وبر السيام، وملعقة وجاوة، وما كان في طريقهم من الجزر والشعبان، ومناخهن وصفتهن، والبلد فيهن، وقفاصي وغيرها، وجميع ما يتعلق به في المشارق والجنوب، والغور والصين، الى حدود الحرات الشارفة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف. وهي نظم رابع الثلاثة، أحمد بن ماجد. رضي الله عنه، وأرضاه والمسلمين. آمين.

المعلقية[1]

(المطلع)

عزمت والعزم حميد في السفر
لا سيما من بلدة فيها ضرر
اطلب تحت الريح بالإذعان
في مركب يطير كالعقبان

---

(١) المعلقية في حين ورد اسم البلد ملعقة في السطر الثاني.

أولاً - (السفر من أرض كاليكوت الى جزيرة سيلان)

(موسم السفر من كاليكوت الى سيلان ومجاريه وأزوامه وقياس نجومه)

من أرض كاليكوت بالعنايه
بأول الستين قبل المايه
أول ما جريت يا إخواني
من بعد أن قد فرغ الديماني
في مغرب المحنث سلكت عشرة
أزوام جه صافية محررة
وبعد، ما يليه في القطب
ومطلع المحنث كذا يا صحبي
وهكذا سهيل والحمار
بالكل إجر بالسوا كن داري
ومل على مطلع قلب العقرب
كمثلهم ثلاثة لتقرب
ومطلع الإكليل اجر فيه
ثلاثة، والتير كن نبيه
سبعة أخنان لهن جمله
أحد وعشرون كفيت الغفلة
عن القياس فهناك المعقل
مع سهيل ثمانيه فاعقل
وربع هذا قيد ذي الطريق
ما فيه من شك ولا تعويق
وقس هنا السهيل والظليم
سبعاً ولكن فيهم التحكيم

(التحقق من الوصول الى سيلان بالبرق والقياس)

إن كان في هذي النجوم نفس
شرق وأشمل لا تكون أخرس
وإن رأيت فيهم تنقيصا
إجر على الجنوب يا حريصا
لتسلمن من أذى السيلان
وأرصد البرق بذي المكان
تنظره يقوم كالسيوف
فإنه بقربها معروف
وإن تكن يا خي بعيداً عنها
يومض فوق الماء فادن منها
وإن وصلت والقياس قد كمل
ثمانيه وربع ما فيه خلل
والفرقدان سبعة مع نصف
اسمع كلامي واستفد من وصفي

ثانيا - (السفر من جزيرة سيلان الى جزيرة ناك باري من جزر الباري)

(المجاري والأزوام وقياس النجوم)

ورده على اليسار واجر
في مطلع الطاير يا خي عشر
أزوام حتى تخلف السيلان
وترتفع من وادي الطوفان
ورده يومين في السماك
تدور بالسيلان يا زواكي
يقل عنك الموج والسحايب
ويرجع البرق على المغارب
وإن ترد شهود ذي المكان
سهيل والظليم يا إخواني
هم ستة وربع فيهن النفس
قسهن إن كان مبيناً أو غلس
إن زدن في القياس زد في المجرى
أعني السماك الرامح المشتهرا
وإن نقص رده في الجوزا
والتير إن شيت هنا تفوزا
حتى تراهم ستة وربعا
سهيل والمعقل خذ ما وضعا
هم سبعة ونصف في ذا الوصف
والفرقدان ثمانيه مع نصف
وفيهم الضيق فكن بالعالم
حتى تكون للطريق لازم

(التحقق من الوصول الى جزيرة ناك باري بعدد الأزوام والأيام والليالي)

واجر في الطاير أربعينا
ثم احترز فكن لذا فطينا
تندخ بذا القياس ناك باري
وانظر ترى جبالها يساري
من بعد أربعين اصطلاحا
أزوام جه كملاً صحاحا
من فولة لبك عن السيلان
من المشارق دايم الأزمان
في مركب يشابه المسعودا
أما الثقال فاولهم مزيدا
من ها هنا منتصف الطريق
من ظهر سيلان على التحقيق
وعد أزوامك من يوم السفر
بناك باري كي تفوز بالظفر
عشرين في المحنث والحيران
ومثلهم في السبعة الأخنان
يزيد زاماً، واحسب السماكا
ستة عشر جملة يا فتاكا
سبعة وخمسون واربعونا
لناك باري سبع مع تسعينا
فنصفها السيلان من شرقها
بل إن دورتك تزيد فضلها

أزوامك المذكورة المجربة
لأجل دورتك تكن منتخبة
أما الليالي معك والأيام
عدتهم سوا بذا الإفهام
وإن تكنن ريحك من المصالب
قصر بها قلعك ثم قالب
إن قالبت يسر أو يمين
فلا تزيد الجوش عن زامين
خوفاً من التهوس والضنيق
والماء مياد بذي الطريق
من قرب سيلان وما يليها
كم مركب تاه وتوه فيها

(وصف جزيرة ناك باري وقياس سهيل والظليم والمعقل في شمالها وجنوبها)

وناك باري يا أخي جزيره
مخضرة عالية كبيره
ديرتها سهيل يا إخوان
وتنقسم وبينها خيران
في رأسها الجاهي ترى قطعات
إن جيتها يرون مغزولات
جاهيهم جزيرة فيها شجر
والنارجيل كثير خذ مني الخبر
ترى عليها يا أخي الفراقد
تسعة بالتحقيق غير زايد
في رأسها الجاهي فكن بالحاذق
مر سهيليها على الحقايق
سهيل والظليم في جاهيها
ستة إلا ثلث يا فقيها
أما سهيلي الجزيرة قسها
وهي على اليسار ثم اعرفها
بأنهم ست وربع محتكم
أقرب تهنا النقط وانشر العلم
أما سهيل سبعة والمعقل
ونصف يأتي من القياس فاعقل
قياس عاده لا يكن فيه نفس
يعلمن من فوق القياس كالقبس
إن لم تكن تنتخه رجالي
لا رحم الرحمان عظمي البالي
وإن نتخت النتخة المؤيده
إقرأ لنا الفاتحة مشدده
أما سهيليها عليه المعقل
مع سهيل خذه مني واعقل
سبعاً ونصف تراهما شمالا
بميل للمشرق لا محالا

واعلم بأن الجزر مغزرات
جبالهن خضر عاليات
والكل يا خي اسمهم بالباري
عشر جزاير كن بهن داري

ثالثاً ـ (السفر من جزيرة سيلان ومن كاليكوت الى جزيرة سرجل اهم جزر الباري، ومن جزيرة سرجل الى جزيرة سمطرة)

(السفر من جزيرة سيلان ومن كاليكوت الى جزيرة سرجل)

وفيهم الجزيرة المشهورة
واسمها سرجل كن خبيره
وهي سهيلي الكل شق الغرب
طويلة مخضرة يا صحبي
والمغزرات في الشمال والوسط
وفي المشارق لا تكون ذا غلط
اغلظ من سقطرة وأكبر
وادناهم زايدة كما تروا
قياس منتخها من السيلان
سهيل والظليم يا إخواني
ست وربع منتخ الثقات
ولا علينا من ذوي الآفات
من بعد خمسين اصطلاحيات
أزوام من سيلان خذ وصاتي
أما الحسابيات هم ستونا
وأربع من بعدهم يأتونا
ولا عجب فهذه الأزوام
من ارض كاليكوت يا همام
إن تبلغ المايه أو تزيدا
جود لها التقمين يا رشيدا
شهودها عندك في القياس
جعلت لك أزوامها اساسي
خوفاً من السحايب الداماني
مع عدم القياس يا رباني
يهدي بذي الأزوام فالداماني
له القياسات على السيلان
بجاه اصبع تلتقي العناقا
ومقدم النعوش إتفاقا
اربعة ونصف احذر منها
نقصهم حتى تفول عنها
واجعل الشرطين في المغارب
مع العناق أربعاً يا صاحبي
تدور عن سيلان لم تحويكا
هذا قياس صادق ينجيكا
وهن يا خي فوق ناك باري
خمسة الا ربع باختباري

لكن أزواماً لكم أساسي

جعلتها خيراً من القياس

فإن أزواماً لك المذكورة

قريب مايه زام هي مشهورة

من صبوب كاليكوت لناك باري

ثلاثة عشر يوم في المجاري

(السفر من جزيرة سرجل الى جزيرة جامس فلة فجزيرة شمطرة)

وكن جرياً قبلها واحزم

ولطف القلع بليل مظلم

فإن نتخت جار للجزيره

من غربها يا خي على بصيرة

في مطلع العقرب والحمار

زامين بالمولم في المجاري

نضيفة ديرتها سهيلي

واعمل بعقلك والغزر والميل

ورده في مطلع الإكليل

خمسة أزوام تزد قليل

ومل على مجراك نحو العقرب

تنتخ الجامس فله فأقرب

لها ولا تقرب لها بالمرة

وسر على الجوزا الى شمطره

رابعاً ـ (السفر من جزيرة شمطرة الى جزر دنج دنج مروراً بفلو فيرك وفلو فينج)

(المجرى في الباحة الى فلو فيرك وفلو تنبورك أو مجاراة البر من فلو فينج الى دنج دنج)

وإن تكن ريحك زحناً فاسدة

اطرح ببريا من معك الفايدة

إن هناك البلد فيه يبرا

لكن غزيراً إن أردت فاسرا

مقالباً وطالباً للمل

وليس يخفى ذا على ذي عقل

يأتي بذا المجرى فلو تنبورك

وفي شمالها فلو فيرك

والمل يأتي لفلوفينج

إن كان قالع أو لدنج دنج

(الاستقاء من جزر دنج دنج)

أرس بها إن شيت أخذ الماء

والماء تحت القطعة الكبراء

تخبرك يا ربان فيها عنه

أهل السنابيق فأدن منه

إجعلها وخرابها يمينا

والبعض في اليسار يا فطينا

والماء عشرون ولا فيه كدر

والأرض فيها من تراب ومدر

(رؤية القلعي وامتدادها من فلو فينج الى دنج دنج فملعقة)

أما جبال المل عاليات

مسير يومين في البرور ياتوا

هن جبال القلعي متسقة

مقطعات لقريب ملعقة

فيهم جبل عالي دنج دنج

الى جزيرات فلوفينج

لأنه يبين من بعيد

بل هو أعلى منه بالتأكيد

يشوف من قرب فلوفيرك

لا بد أن تلقاه في مسيرك

(موقع فلو فيرك على اربعة أزوام من مل شمطرة، ما حولها من الجزر، رؤية جبال سيام منها وراء فلوفينج)

أما فلوفيرك هي جزيرة

ما بين برين وهي صغيرة

تميل يا أخي بحريز المل

بأربعة أزوام خذ يا خلّي

تشبهها جزيرة الفيران

عالي • عنه لم يا ربان

لكن ذي يا صاحبي فيها شجر

والبلد خمسون فقف أو اغزر

تنظرها تشوف من راس الدقّل

جبال من بر السيام عن كمل

فإن رأيت هذه الجبالا

على فلوفينج خذ مقالا

يشبهن سيبان على التأكيد

إذا نتختهن من بعيد

تحسبهن جزراً مفردات

أطرافهن الكل مسلوبات

(موقع جزيرة فلوفينج قرب الساحل، ما حولها من الجزر، صغر فلو فيرك وكبر فلو فينج)

(موقع فلو فينج وما حولها من الجزر)

أما فلوفينج فهي جزيرة

وحولها جزاير كثيرة

بقربها من جانب السهيل

ثلاث بل أربع يا خليلي

في ظهرها من جانب الدبور

قطعه وفيها شجر كثير

صغيرة قاية مثل الهدف

مسودة من المطر فلا تخف

طرح هناك عندما تراها

في ماء عشرين فخذ نباها

وبينها والبر للنّوات

طريق واضح ما به شبهات

(وصف جزيرة فلو فيرك والسفر منها الى باقي الجزر)

هي منتخ القالع والمقالبة
أما فلو فيرك فهي مغربة
عنها بقدر أربعة أزوام
بريح طيب أيا همامي
لم تشتبه قط بها جزيرة
في برهم لأنها صغيرة
وجنبها راخي وجنب عالي
لا بالكثير إفهمن مقالي
معترضة هناك للمسافر
عند المراح والمجي كن خابر
عالية قريبة التدوير
وحيدة وماؤها غزير
فحولها مناقع والما ترى
خمسين حولها بلا مرا
والتير منها نحو دنج دنج
ومطلع المرزم فلو فيننج
ومطلع العقرب فلو تنبورك
قرب تفاصي إقترب مسيرك

(وصف جزيرة فلو فيننج والسفر منها الى باقي الجزر)

أمّا فلوفيننج قرب الساحل
جزيرة كبيرة يا سايلي
أكبر من الأولى وأعلى منها
وجزرها ليست بعيده عنها
مسلوبة الأطراف اذا تراها
في البعد إقصدها ولا تعداها
الاّ بريح واكدة محققة
واطرح الأنجر عليها يا ثقه
في ماء عشرين وما قاربها
لا تدخلن فيها ولا تقربها
أعني الجزيرة بطنها الجنوبي
هنا فضاء هايل عجيب
منها الى شمطرة في التير
مغربه حققه في المسير
ومغرب النجم طريق الراجع
ومل على غرب السماك كن وعي
احذر جر الماء تحت الجاه
لا تترك الأشياء في اشتباه

(الرق بعد فلو فيننج ثم جزر دنلج دنج)

أما اذا ما جيت ذي الجزيره
أعني فلوفيننج كن خبيره
فاجر زاماً في السهيل منها
ومل يمنياً يا همام عنها
ترى هناك الرق في اليسار
أيضاً به الما ابيض كن داري
فانظر واحذر ثم للجزاير
هم دنج دنج ولهم أشاير
إنهم جزاير كبار
بينهم طريق والصغار
كأنهم نويات مكبوبات
طوال نحو التير بينات
منهم في النجم وفي المغيب
الى شمطرة إجر يا حبيبي
واعلم أن من فلو فيننج
أربعة أزوام لدنج دنج
خمسة عشر باع أو عشرينا
أو لثلاثين فكن فطينا
ما تلتقي هناك الا العافيه
طريق واضح عمار صافيه
وفوقهن جبل معروف
له سنام وبه موصوف

خامساً ـ (السفر من جزر دنج دنج الى جزر فلوسنبيلن ملاقة وجزيرة قفاصي وجبل فلفاسلار)

(عدد جزر فلوسنبيلن ملاقة ووصفها)

ثم ترى قدامك الجزاير
فلوسنبيلن تسع بالأشاير
قدمت ذكراهم فاعمل شورك
ومنهم ترى فلو تنبورك
مغزولة في البحر يا خليل
قدرها المهيمن الجليل
واعلم اذا غابت فلوفيننج
فلوسنبيلن ملاقه تخرج
فلوسنبيلن ملاقه تسعه
هم فاقصد الجزر سريعاً واسع
لهم وحط الأنجر الصينية
لأنها أشبر خذ الوصية
واستق منها الما وإن شيت اطرح
في ماء عشرين وبت وأفلح
خل الطويلة عنك في اليمين
وحولها جزر على اليقين
واجعل جزيرتين يا رباني
يسراك والناس بذا المكان
حذرك قبل توصل الشنتين
صيل جزيره ترها بالعين
قليلة أشجارها كالصيل
إن كان بالليل بها لا تجهل

مايلة للبر والشمال
دون الجميع إفهمن مقالي
لا ترقدن الليل فالأرياح
تضرب هنا من ساير النواح
كثير من يغفل عن مركبه
والماء عشرون هنا خبر به
بين الجزاير ويجر أنجره
ولا له يا خي بهذا مخبره
يشغله الأنجر عن السرايه
والقلع مبلول وجر المايه
وهن بالقرب فاحسب هذا
ولا تكون غافلاً رقادا
في ظهر يا خي هذه الجزاير
لأنها مغزرة الأشاير
بحريها ترى فلوتنبورك
منها ترى البرين هذا شورك
وقيل لي بر شمطرة لا يرى
من الجزيرة يا همام خبرا
إلّا اذا ما كنت ما بينهما
خذ مني العلم ولا تتوهما

(المجرى من جزر فلوسنبيلن ملاقة الى جزيرة قفاصي فجبل فلفاسلا)

(الدخول الى جزيرة قفاصي)

إجر من الجزاير التسع على
قطبك والمحنث وقيت البلا
مطلعه أعني ولا المغارب
زامين أو ثلاثة يا صاحبي
حتى تغيب هذه الجزاير
فرتب الحبال والأناجر
والبلد والسنبوق والأسباب
فخذ مقالاً من ذوي الألباب
فإن رأيت الجزر غابوا عنك مل
لم يبق منهن سوى قرن جبل
على دنج دنج، حديث واكد
في الجاه بل في مطلع الفراقد
تنظر ذا الحين جبل قفاصي
اسمه فلفاسلار عند الناس
عنك يكن في مطلع الحمار
كن عارفاً وصفي مع أشواري

(ابيضاض الماء دليل الاقتراب من قفاصي أحيانا)

وربما تنظر ماء أبيضا
لحد تسعة في الطريق فاحفظا
فإن أتيت تسعة أبواع
لحد ما ابيض لا ترتاع
فلوفاسلار وهو في الحقه
على الحمارين بلا مشقه
يميل ايضاً لطلوع العقرب
فاعلم بأنك يا فتى مقترب
فخذ لماء تسعة وعشرة
والماء ابيض يسارك تنظره
والماء أخضر تنظره يمينا
عينت لك جميع ذا تعيينا
مجراك في المحنث أو في القطب
أخرج من السطر هنا يا صحبي
فاجر على ما تسعة حتى تجي
لماء سبعه جيت نحو الفرج
وابيض كل الماء، ترى قفاصي
فخفف القلع وكن ذا باس
والماء يسقي داخلاً كن عارف
مدك او اطرح ولا تخالف

(الرق وجزر الأجشار والقطعات قبل قفاصي وفلفاسلار)

يصير عنك الرق في اليمين
فغير المجرى بذاك الحين
واجر هنا في مطلع الحمار
والبلد سبعه ما بها أسرار
إن ملت لليمين رق الماء
والغزر صوب البر لا مراء
هذا وسبوقك في الدامان
لا تجعله في الجوش يا رباني
لأن في الدامان معك الشب
والجوش بالياهوم فيه الطب
بالبلد والترتيب والتسديد
فإن ذا من رأيك السديد
تراك تنظر عالقه بالبر
جزراً من الأشجار حقاً فادر
جزايراً بخلف كل واحده
منهن قطعة افهمن الفايدة
فكم كمنا خلفهم طاوينا
عنهن للشمال خذ تقمينا

(اشارات الوصول الى جزيرة قفاصي وفلفاسلار)

إن صارت الجاهية القريبة
في مطلع الجوزا فخذ تجريبه
فأنت في اول قفاصي ساير
على الحمارين فخذ أشاير
تسير فيه أزوام بالتحرير
حتى يجي عنك الجبل في التير
يخضر معك الماء إذاً أو يغزر
خلصت من كل البلاء والخطر

فذاك هو فلفاسلار يذكر
تراه وترى فلوسبتا اخبر
من الدقل يرون أو بالصحو
لأنها في ذي الطريق تحوي
وحذرك من قبلها الما سبعه
قبل قفاصي فاعرفن وقعه
لأن في سبعة رق البحر
ولا به الجاهل هناك يدري
حتى يكُنْ مجراك في الحمار
والماء سبعه داخل وجاري
إن ملت للعقرب زاد الماء
أو ملت للسهيل يا خاء
رقٌ لك البلد فاعلم أنه
هذا هو المفرض فاقطعنه
وربما ينقص او يزيد
يمناك او يسراك يا رشيد
فلا تخاف إن فيه الطرق
كثيرة وليس فيه رقه
سليمة ما هي غصص إن زادا
زاد ذراعاً ونقص كهذا
يهلك الإقبال والإنساع
وفي الطريق لا تكن مرتاع
بل فيه أمكنه وفيه الركب
يرميك عنها المد وقيت التعب
وليس فيه حجر مع جسر
الكل يا خي في مكان مدر
فيه المطارح ليس فيه موج
مطرح سليم هين الولوج
وإن أتاك الليل فيه فاطرحا
إن كان ريحك قالعاً فالحا
لكنه ما هو إلا زاما
تقطعه بالزحن بالما
إن السقي مديم هو زامين
يرميك في الجنوب باليقين
خصوص إن وافق بعض الريح
أقل من زام واستريح

(الطريق السابقة تجاري البر وتعتمد على الأشاير)

هذي طريق البر بالتحقيق
واضحة ما مثلها طريق
حلفت بالله يمينٌ بره
إن جزت فيه غير هذي المرة
لن أرمي البلد على قفاصي
لأنه مضبوط في قياسي
بالبر والجبال والشجران
والبلد والمجرى أو النيشان
والعرض والطول وليس تختلف
في مثل ذا معرفتي وتحترف
تجاري البر وروس الشجر
والمل يا بني خذ من خبري

سادساً: (طريق ثانية للسفر من فلوسنبيلن ملاقة الى جزيرة قفاصي وسلار)

(وصف الطريق من فلوسنبيلن الى قفاصي وجبل قفاصي)

أخبرك يا ربان خبراً ثاني
لا تتعب النفس بذي المكان
... تجاري من الجزاير
فلوسنبلن وأنت ساير
في ماء تسعه ويكون عشره
وأنت في مجراك كن ذا خبره
حتى تراه قد نقص عن عادته
والبلد لم يبلغ في زيادته
أكثر من سبعة أبواع على
مجرى الحمارين بلغت الأملا
وكانت الجزاير الصغار
في التير والجوزاء يا سفار
فذاك هو قفاصي المشهور
تقطعه في زام بذي المسير
فإن خلصت اخضر معك الماء
فالرأي في البر بلا مراء
والبر مخضر على اليسار
تنظر الساحل وأنت جاري
على سهيل، والذي يليه
وأنت في مرساته تتيه
حتى ترى عنك جبل قفاصي
في مطلع العيوق لا تقاص

(التحذير من وجود عرق ومراء مقابل جبل قفاصي أي فلفاسلار)

إحذر هناك العرق في الطريق
خذ عنه ما عشرين بالتحقيق
وربما تنظر مراء مغزرا
ولا عليك ضرر من ذا المرا
فإنني جاوزته والماء
عليه إثنا عشر بالسواء
احذر على قربك يا خي منه
فخذ حذرك يا خليلي منه
وإن تزد أربع على عشرينا
في البلد لم يحوك يا فطينا
هذا اذا ما جزته بالليل
أما النهار ابيض فخيل

فيه سواد كعروق الثور
على المخا فكن هنا حذور
حتى اذا صار جبل قفاصي
في مطلع النعش وقيت الباس
خلفت ذاك الرق والمراء
في العجز ثم اخضر معك الماء

سابعاً ـ السفر من جبل قفاصي (فلفاسلار) الى بندر ملاقة

(المجرى من جبل فلفاسلار (جبل قفاصي) الى راس مدور وفلوافي)

ومنه زامان لراس مدور
سمي بلفظ الهند خذ من خبري
مطلعه جزيرة فيها شجر
منه ترى شمطرة رؤيا النظر
أشجارها في قرب بر عاروه
وخلف ذا بطن فلا تماريه
وخلف ذا البطن هو فلوافي
مقدار زام في المسير وافي
فتلك هي بندر على ملاقه
من المغارب صح يا رفاقه
بريها جزيرة صغيره
أشجارها طوال مستديرة
تعلى المراكب ثم في بريها
لا بد في الخالف أن تجيها
فلفاسلار أنت إن تراهم
يغيب في الغبار خذ نباهم

(استمرار في السير الى فلوسينا وعشر جزر اخرى)

فإن يغب عنك ولم تراه
تنظر فلوسينا فخذ نباه
لأنها جنوب والمشارق
عن هذه قد صح بالحقايق
وحولها عشر من الجزاير
مراسي الصيني فلا تكابر
تراهم من قرب راس مدور
ومن قفاصي لملاقه تحصر
لأنها خمسة أزوام على
مسير قاطع بريح عجلا
والمركب الكبير فيها إن خطر
يسير ليله ثم يوماً بالصور

(الدخول الى بندر ملاقة)

أما ملاقة بطنها شرحنا
بين فلوافي وبين سينا
فادخل اليها ظافراً بالبندر
هنيت بالحصول ثم السفر
في ماء خمسه ويكون أربعه
وثبت الأنجر فيها واشفعه
تأتي لك الناس فبيس الناس
لم يعترف قط لهم أساس

الخاتمة

(أخلاق أهل ملاقة)

يزوج الكافر مسلمات
ويأخذ المسلم كافرات
إن قلت كفاراً فيا هم كفره
أو .قلت إسلاماً فغير مخبره
عندهم السرقة قد سنوها
ما بينهم فليس ينكرونها
ويأكل لحم الكلاب المسلم
ما بينهم فليس فيهم محرم
ويشربون الخمر في الأسواق
ولا يصلون على الإطلاق
وينقضون العهد والهدية
يسعوا لها بالرجل والأذية
صنعتهم الكذب مع المطال
في المشترى والبيع والأشغال
فاحتذر منهم كل الحذر
لا تضربن جوهراً على حجر

الميرزا أحمد الابن الاول للميرزا محمد شفيع وصال الشيرازي:

لقب بوقار يعدُّ من كبار فناني وشعراء العهد القاجاري:

درس مقدمات العلوم والفقه والاصول والحكمة الالهية وفنون الادب، ثم اشتغل في الخط، وكان ماهراً في خط الثلث والرقعة والستعليق، وبرع بوجه خاص في خط النسخ، حيث كان يعتبر استاذاً مطلقاً في هذا النوع من الخط، اذا كان يتبع طريقة الاستاذ احمد النيريزي وقد كتب عشر نسخ من القرآن ومائة فقرة من الادعية المتفرقة بخط نسخ جميل.

بعد وفاة ابيه سافر الى الهند عام ١٢٦٦هـ استجابة لدعوة كبار الادباء في الهند، وخلال اقامته في بومبي كتب مثنوي المولوي بخط النسخ في كتاب من القطع الصغير واضاف اليه حواشي مفيدة، وطبع هناك. وبعد فترة عاد الى شيراز واشتغل في التأليف والتدريس حتى توفي اخوه الحكيم فسافر مع اثنين من اخوانه هما توحيد وفرهنك الى طهران عام ١٢٧٤هـ، واثر ابرازه للفضل والادب وحسن الخط ومتانة الحديث اصبح موضعاً لاحترام اولياء الامور ومرجعاً للعلماء، حتى اخذ اخوه الآخر (داوري) يشكو من موت بعض اخوانه وسفر الآخرين من شيراز في رسائل واشعار كان يبعثها الى وقار، وتفصح عن مدى حزنه واساه. وكان لهذه الرسائل والاشعار وقعاً قوياً مؤثراً في نفس وقار، فعاد الى شيراز واقام فيها رغم عزمه السابق على الاقامة في طهران. وهناك اشتغل بالتأليف والتدريس والخط، حتى فارق الحياة عام ١٢٩٨هـ وله من العمر ٦٦ سنة فدفن في مقبرة شاه جراغ. له ابنان هما: حسين الملقب بعلاء الدين والمعروف في اشعاره بهمت،

والميرزا محمد شفيع وهو ابنه الاصغر ترك وقار العديد من المؤلفات هي:

(اطواق الذهب) وهو خليط من النثر والشعر ـ (انجمن دانش) في الآداب والاخلاق، وهو على غرار گلستان سعدي، وقد طبع في زمنه ـ تاريخ المعصومين ـ ترجمة لمائة كلمة للامام علي (ع) ـ ترجمة منظومة الحكمة للسبزواري الى اللغة الفارسية ـ ترجمة وصايا الامام علي (ع) لمالك الاشتر اسماها رموز الامارة ـ تفسير آية ليغفر الله ما تقدم من ذنبك ـ قصة النبي موسى (ع) والخضر وهي خمسة الآف بيت مثنوي على وزن مثنوي المولوي ـ شرح رباعيات المحتشم الكاشاني ـ العشرة الكاملة وهي تقسيم لمقتل الامام الحسين (ع) في عشر مجالس[1].

فخر الدين احمد خان بن محسن:

توفي سنة ١٢٣٠ في لكهنو (الهند)

كان متمكنا في العلوم الرياضية والنجوم، اديبا بالعربية والفارسية، فقيهاً أصولياً. له من المؤلفات: حاشية تحرير اقليدس، حاشية المجسطي، الرسالة الآصفية.

الشيخ احمد القمي:

تقع مدينة آيوتايا في شمال بانكوك (تايلند) وهي من اهم المدن التاريخية والسياحية يرجع تاريخها الى القرن الخامس الميلادي حين أخذ يأتي اليها جماعات من (التاي) وكانت محكومة من (الخمر) و(المون). ولما كثرت اعداد التاي في المدينة اشتدت الحروب بينهم وبين الخمر والمون وبعد سبعة قرون استطاع التاي احكام سيطرتهم على كل البلاد واعلنوا مدينة آيوتايا عاصمة لهم.

ومنطقة آيوتايا استراتيجية، ولها مزايا كثيرة جغرافياً واقتصادياً، ويمكن لمن يسيطر عليها التحكم في جميع البلاد حيث انها تقع وسط ثلاثة من الانهار المهمة التي تلتقي ببعضها وهي شبه جزيرة محاطة بالانهار من ثلاث جهات وهي: جائوفرايا، باساك، ولوب يوري. كما انها تقرب من البحر وتتوسط بلاد التاي (تايلاند).

وفي اواسط القرن السادس عشر وبعد حرب ضروس بدأ الغزو البورمي لآيوتايا وسيطرت قواتهم عليها ولكن اهالي آيوتايا بقيادة رجل يسمى نراسوئن شنوا حرب عصابات مريرة الى ان تغلبوا على الجيش البورمي في آيوتايا واخرجوهم من البلاد، وحكم ناراسوئن المدينة حتى عام ١٥٩٠م. وبدأ النشاط التجاري والاقتصادي فيها. وبعد عشر سنين من حكم نار اسوئن جاءت باخرة عبر خليج سيام وأبحرت في نهر جائوفرايا الى ان انتهت الى سواحل آيوتايا، وكانت بقيادة رجل عمره لا يتجاوز الخمسين عاماً وركابها يسمونه بـ الشيخ احمد وكان الشيخ احمد هذا رجلاً ذكياً نشطاً، يتكلم بعدة لغات، ومن بين المسافرين ايضاً اخ له يسمى محمد سعيد. وقد عزموا على البقاء في المدينة والشروع في اعمال تجارية كبيرة، واستقروا في منطقة تسمى دائي كو (Dai Koo) في غرب آيوتايا. وكان اكثر سكان الناحية من التجار الاجانب.

ولد الشيخ احمد القمي بمنطقة بائين شهر في مدينة قم (ايران) سنة ١٥٤٣م. وبدأ يدرس الدروس الاسلامية واشتهر بلقب (الشيخ). وكان يعمل في التجارة ايضاً. وعندما سيطرت الدولة الصفوية على البلاد ازداد نشاط ايران التجاري والثقافي مع بقية بلدان العالم، وكانت تدعو العلماء والمفكرين الى ايران او ترسل بعض العلماء الى بلدان اخرى للتباحث مع اصحاب الأديان والمذاهب. ويقول المؤرخون ان كثرة التجارة بين آيوتايا والعالم الخارجي وتسامح الحكومة التايلندية آنذاك تجاه التبادل الثقافي والديني، كانا سببين هامين في تمكين الشيخ من مزاولة العمل التجاري والديني بحرية كاملة وبعد عشر سنوات بدأ الشيخ بتشكيل جماعة تسمى جائوسن (Chaosen) تحت اشرافه هدفها العمل على نشر الاسلام والتعريف بمذهب اهل البيت بالاضافة الى تعميق الروابط التجارية مع كافة الحكومات، وبدأ يشتهر عند الاوساط الحكومية والتجارية والشعبية، والكثير منهم يفتخر بمجرد زيارته او التبادل التجاري معه.

تزوج الشيخ بامرأة تسمى اب جواي (Obchuay) وكانت من الأسر المعروفة المحترمة في آيوتايا، ورزق منها بولدين وبنت.

مكانته التجارية

وشخصيته:

اصبح الشيخ احمد القمي عنصراً هاماً في المجتمع بحيث عيّن من قبل التجار رئيساً لجماعتهم ومكنه هذا التعيين من الالتقاء بالملك بين حين وآخر للتباحث في الامور الاقتصادية التي تهم البلاد، توفي نارسوئن الكبير وخلفه اخوه اكاتوت ساروت على البلاد وكان اهتمامه الكبير منصباً على الامور الاقتصادية والتجارية مع دول العالم.

وبسبب علاقة الشيخ مع افراد البلاط بدأ ارتباطه مع القصر يزداد وثوقاً وكان على اطلاع واسع بأحوال البلاد لكثرة تردده على القصر.

وفي هذه المرحلة بدأ المستعمرون والتجار الهولنديون والبريطانيون يدخلون المنطقة من اجل السيطرة على شؤونها الاقتصادية والسياسية. وابتعد الشيخ عن مزاولة الامور التجارية وتفرغ لنشر الاسلام في البلاد وفي الفترة من عام ١٦٠٥ الى ١٦١٥ وقعت البلاد في ازمة سياسية نتيجة لتدخل بعض الغربيين في شؤون الحكم والادارة حيث عين الملك سونك هام (Songeham) وزيراً للداخلية ووزيراً للتجارة للحدّ من تدخل الاجانب في شؤون البلاد وكان الوزير من اصدقاء الشيخ حيث عينه مديراً ومسؤولاً عن شؤون الاجانب في البلاد.

ومما لا شك فيه ان الدور الثقافي التجاري الذي قام به الشيخ احمد، تساعده في ذلك مكانته البارزة في اوساط الحكومة كان له الاثر في تعيينه وزيراً ومستشاراً فيما بعد لدائرة الجمارك والموانيء في تايلاند، كما اصبح الشخص الثاني في وزارة التجارة الخارجية حتى منحه الملك والبلاط وسام Thya Sheikh Ahmad Rajsethi وهو أعلى وسام من البلاط لشخص اجنبي. ومن الجدير بالذكر ان هذا الوسام اعطي فيما بعد الى احفاد الشيخ ايضاً حتى النسل الثامن.

احتفظ الشيخ احمد بروابط جيدة مع التجار الهولنديين والبريطانيين كما احتفظ بمكانة في اوساط التجار المسلمين في البلاد مما ادّى الى ان تعترف الدولة رسمياً بالمذهب الشيعي في البلاد. ونال الشيخ لقب

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(شيخ الاسلام) وهـو اعلى منصب في الجـالية الاسـلامية التـايلندية في ذلك الوقت وفي هذه الاثناء بدأ تحرك اليابانيين المقيمين لـزعزعة البلاد والسيطرة عليها بتشجيع من حكومتهم وعندما علم الشيخ بالتحرك الياباني، وبوصفه المسؤول عن احوال الاجانب في البلاد استشعر الخطر على مستقبل المسلمين فجمع الاجانب وطلب منهم العمل الجـاد لمواجهة المؤامرة اليابانية، وبدأت الحركة اليابانية تنشط وتسيطر على البلاد شيئاً فشيئاً إلا ان سياسة الشيخ وحنكته وعمله الدؤوب مكّن البلاط من التغلب على الوضع. وسيطر الملك مرة اخرى وانهى التغلغل الياباني على مختلف انحاء البلاد تماماً. وقد زاد ذلك من الاحترام والنفوذ للشيخ في الحكم وعمل مع البلاط لمدة خمس وعشرين سنة (١٦٥٤ - ١٦٣٠) الى ان انتقل الحكم الى الملك(Somdag Phra Maharg) واعطى الشيخ بعد تقدمه في السن بعض مناصبه الى ابنه وكان هذا يعمل وزيراً ومستشاراً في البلاط. وتوفي الشيخ احمد عن عمر يناهز ٨٥ سنة ودفن في مدينة آيوتايا، قرب المسجد الذي بناه للمسلمين ويعتبر الشيخ أباً روحياً للمسلمين وقديساً محترماً عند البوذيين. ونال احترام جميع سكان البلاد.

حول المدينة

مدينة آيوتايا جميلة وبها معالم سياحية عديدة. وفيها المعابد الكبيرة والقصور القديمة حيث كانت في العاصمة التايلندية القديمة، والكثير من معابدها وبعض القصور محروقة بسبب هجوم البورميين على البلاد سنة ١٧٦٧ ميلادية كما حرق المسجد الذي بناه الشيخ في آيوتايا. الا ان آثار المسجد لا زالت موجودة وقبره الآن في وسط احد اكبر الكليات في تايلند وهي كلية التربية. وبُني قبره على الطريقة الاسلامية بوضع قبة على قبرة وكتب على حجر على القبر (الشيخ احمد رئيس الوزراء في آيوتايا ولد في محلة پائين شهر في قم سنة ١٥٤٣، شيعي اثنى عشري، هاجر الى آيوتايا في زمن السلطان ناراسوئن الكبير) والقبر مبني من مرمر أبيض ويذهب كثير من السائحين والاجانب حتى من غير المسلمين من التايلنديين لزيارة مقام الشيخ ويضعون اكاليل من الزهور عليه تعظيماً واحتراماً لمقامه. وفي الواقع ان مكانة الشيخ معروفة من قبل جميع التايلنديين، حتى اذا ذهبت الى القرى والمدن الصغيرة رأيتهم يعرفون الشيخ ويجلّونه. واحتفظ احفاد الشيخ بلقب شيخ الاسلام الى اربعة عشر نسلا والمؤرخون يقولون ان آخر شخص من احفاده كان يحمل هذا اللقب هو (سورن احمد چولا) الذي توفي سنة ١٩٣٢، ومن بعده استلم رئاسة المسلمين في البلاد ولده حاجي كياساً چولارات (Haji Kiasa Chularate) وبقي على هذا اللقب الى سنة ١٩٧٣ وعين في هذه السنة اميراً للحجاج وذهب مع جماعة كبيرة الى الحج.

ويلاحظ ان اسماء احفاد الشيخ تايلندية وذلك طبيعي لأن المسلمين في تايلند يحملون اسمين، اسم اسلامي عربي واسم تايي الـذي يستعملونه للرسائل الرسمية والدوائر الحكومية[١].

وقد كان انقطاع تلك البلاد عن العالم الاسلامي وما نالها من الاستعمار الغربي، اضعف الاسلام فيها، حتى لقد تحول المسلمون في بعض البقاع مع الزمن الى بوذيين.

ولا تزال بعض الاسر البوذية تحس بأصلها الاسلامي وتفاخر به، فمن ذلك مثلاً أن أحد أبرز الشخصيات من احفاد الشيخ احمد قد تحولت بعض سلالاته الى البوذية. وفي احدى السنين الأخيرة ألقى مندوب ملك تايلند في احتفال اقامه مسلمو تايلند للمولد النبوي، فقال في خطابه انه يشعر بالغبطة والسعادة والفخر والعزة لانه يشارك في ذكرى المولد النبوي الذي طالما ذكرت له والدته ان جدها الكبير الشيخ احمد كان من المؤمنين به وبرسالته.

ومن الطريف ان المفكر التايلندي المعاصر (كيكريت) ينتسب الى الشيخ احمد من احدى جداته. كما ان شقيقه الأكبر هو رئيس الحزب الديمقراطي، أكبر أحزاب تايلند.

الملا احمد بن الملا محمد مهدي النراقي الملقب بـ«الصفائي النراقي الكاشاني»

احد مشاهير العلماء والعارفين والشعراء في العهد القاجاري. ولد عام ١١٨٥هـ في نراق التابعة لكاشان. ودرس في البداية لدى ابيه الذي يعد من كبار العلماء في اواخر القرن الثاني عشر للهجرة، ثم انتقل الى العراق فدرس فيه الفقه والاصول والرياضيات والنجوم على عدد من علماء العراق. ولكن رقيه الفكري كان قبل كل شيء وليد جهده ومطالعاته وسعيه الخاص وتفتح قريحته الفطرية، بحيث احاط باكثر علوم زمانه، وبلغ شأواً بعيداً في الكمالات المعنوية، واصبح مرجعاً لافاضل عصره، واضحى درسه في كاشان قبلة لعشاق العلم والادب. واستمر فيضه دون انقطاع حتى اصيب بمرض الطاعون وفارق الحياة عام ١٢٤٥هـ وهو في الستين من عمره.

من آثاره الشعرية المهمة، منظومة المثنوي المعروفة بـ(طاقديس) وهي بيان للوقائع والحقائق الحياتية اليومية التي يمر بها الايرانيون، بأسلوب قصصي ممتع. طبع هذا الكتاب مرتين، وصدرت آخر طبعة له عام ١٩٨٦م باهتمام حسن النراقي، وهي مشتملة بالاضافة للمنظومة على مختارات من غزلياته غير المعروفة، وجاءت في ٤٧٠ صفحة.

كتب الرضا قلي خان هدايت الكاتب المعروف في العهد القاجاري عن الملا احمد الصفائي النراقي: «... وهو كهف الفضلاء والمعاصرين الملا احمد بن الملا مهدي النراقي، والملا مهدي والد مولانا احمد مجتهد كبير من مجتهدي الامامية، وله العديد من المصنفات في الفقه والاصول. والملا احمد ايضاً من اهل الاجتهاد، وسالك لمسلك الصلاح والسداد، وهو صاحب كمالات معنوية ومكانة رفيعة في الزهد والورع، ومعروف بسلامة ذوقه ورقة طبعه وصلاح سريرته».

ومن المعروف ان الملا احمد الصفائي النراقي كان يرتبط بعلاقة طيبة مع الشاعر المعروف يغما الجندقي، وكان بينهما مجالس انس في كاشان ومناظرات شعرية[٢].

اسد الله خان الطهراني الملقب بغالب الطهراني او غالب الآذربايجاني ابن رمضان خان المشهور بطرلان خان الآذربايجاني:

احد شعراء العصر القاجاري. ولد في طهران عام ١٢٥٥هـ وبعد

(١) السيد محمد سعيد الخلخالي.

(٢) عبد الرفيع حقيقت.

تجاوزه لبعض المراتب المعنوية ذهب الى تبريز واشتغل فيها بخدمة ولي العهد مظفر الدين ميرزا، ثم رجع الي طهران واشتغل اميناً لمكتبة مدرسة دار الفنون. كان هذا الشاعر الطهراني المتصوف يرتبط بعلاقة صداقة مع رضا قلي خان هدايت الذي يعتبر من مشاهير المحققين والمؤلفين في العصر القاجاري. وفي تلك الاثناء طبع ديوان اشعاره مع كتاب «عشق نامه» الذي انتهى من نظمه بوزن مثنوي المولوي عام ١٢٧٨هـ.

الدكتور أسعد الحكيم بن أحمد.

ولد في دمشق سنة ١٣٠٤ وتوفي فيها سنة ١٣٩٩، هو من أسرة دمشقية عريقة. امتهن القسم الأعظم من رجالها، بيع المواد الصيدليّة، اضافة الى تطبيب المرضى ولذلك لُقّب (الحكيم).

كان من أبرز أطباء سوريا، تميّز بأنه جمع إلى التفوق في الطب، التفوق في الأدب، اذ كان كاتباً من أبلغ كتاب العرب.

أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في دمشق.

وفي عام ١٩٠٦ م غادر دمشق الى بيروت وانتسب الى كلية الطب الفرنسية التي كانت تابعة لجامعة ليون في فرنسا.

وفي عام ١٩١١ م تخرج طبيباً.

وفي عام ١٩١٢ تعهدت احدى الشركات مد خط (صامسون ــ سيواس) الحديد على ساحل البحر الأسود وعينت الدكتور أسعد طبيباً لها، سافر واستقر في صامون حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ حيث دعي الى الخدمة العسكرية في الجيش العثماني وعين طبيباً برتبة نقيب (يوزباشي).

إن الفرقة التي انتسب اليها سيقت إلى القفقاس، وبعد مدة قليلة من وصولها أصيب الدكتور بمرض الحمى، فأعيد الى دمشق للإستشفاء والراحة ولما تماثل الى الشفاء أعيد الى الخدمة وألحق بالجيش العثماني المرابط في المدينة المنورة بالحجاز:

وبعد إقامة مدة، قاربت السنة، في حامية مدينة (العلا) التحق بالجيش العثماني المرابط في المدينة المنورة (فخري باشا) وبقي فيها حتى سقوطها بيد جيش الثورة العربية ووقوع فخري باشا وجيشه في الأسر.

اقتيد الدكتور، مع أسرى الجيش العثماني الى القاهرة، ولم يفرج عن العرب منهم ويسمح لهم بالعودة الى بلادهم إلّا بعد انتهاء الحرب عام ١٩١٨.

وقد تولى في دمشق عدة وظائف صحية إلى أن اختير رئيساً للإدارة الصحية عام ١٩٤٠. ثم أستاذاً في المعهد الصحي ورئيساً لمستشفى ابن سينا عام ١٩٤٣ م ثم مديراً للشؤون الصحية القائم بالأمانة العامة لوزارة الصحة عام ١٩٤٩. وقد مثّل الحكومة السورية في بعض المؤتمرات الصحية الدولية والعربية.

وكلف بتدريس مادة (الطب عند العرب) وبالقاء المحاضرات في كلية الطب في الجامعة السورية لسنوات كثيرة.

في عام ١٩٢٣ اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فساهم زهاء نيف وخمسين سنة، في أعمال المجمع العلمية، كما شارك في ادارته عضواً في اللجنة الإدارية حتّى عام ١٩٦٤ واشترك في المؤتمرات اللغوية والمهرجانات الأدبية التي أقامها وفي إلقاء المحاضرات العامة في بهوه كما شارك في تحرير مجلته.

وفي سنة ١٩٦٩ انتخبه المجمع العلمي العراقي في بغداد عضواً مؤازراً فيه.

مؤلفاته:

١ ــ كتاب الأمراض النفسية: كتاب باللغة الفرنسية، ألفه بالاشتراك مع الجنرال جود، رئيس الشؤون الصحية في الجيش الفرنسي في سورية، المنتدب لتدريس الأمراض النفسية في كلية الطب في دمشق.

٢ ــ الموجز في الأمراض النفسية: وهو مجموع المحاضرات التي ألقاها على طلبة كلية الطب في دمشق (مخطوط).

٣ ــ ملخص محاضرات في الأمراض النفسية: سفر يضم القسم الأكبر من التعابير والألفاظ والمصطلحات العلمية في الأمراض النفسية، لم يسبقه أحد من قبل اليه (مخطوط).

٤ ــ تاريخ الطب عند العرب:

٥ ــ الأخلاق والمبادىء العامة في تطور الأمم وتكوينها: محاضرة، ألقى القسم الأول منها في ردهة المجمع في ١٤ تشرين أول ١٩٢٤ والقسم الثاني بتاريخ ٣١ تشرين الثاني ١٩٢٤. نشرت المحاضرتان في الجزء الثالث من مجموعة محاضرات المجمع.

٦ ــ لمحة عن تاريخ الطب في الشام: محاضرة ألقيت في ردهة المجمع العلمي رنشرت في مجلة العرفان ــ صيدا المجلد ١٧.

٧ ــ ماهية الجنون وتاريخه: محاضرة ألقى القسم الأول منها في ردهة المجمع بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٨ والقسم الثاني في الردهة نفسها. ونشرت المحاضرتان في المجلد ١٣ من مجلة المجمع.

٨ ــ المسكرات الكحولية ومضارها الصحية: ألقى القسم الأول من هذه المحاضرة في ردهة المجمع في ١٥ تشرين أول ١٩٣٩ وألقي القسم الثاني، بعد عدة أسابيع، في الردهة نفسها. نشرت المحاضرتان في المجلد العاشر من مجلة المجمع.

٦ ــ الكوكايين: محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤١ ونشرت في المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع. وبالإضافة إلى ما ذكر فقد حفلت مجلة المجمع العلمي العربي بتعليقاته على بعض ما قرأه من الكتب تعريفاً بها أو نقداً لها.

وقد مارس الأدب المسرحي فكتب عدة مسرحيات مثلت على مسارح دمشق ويوم وفاته نعاه الدكتور عدنان الخطيب باسم المجمع العلمي بهذه الكلمة:

«نعى مجمع دمشق صباح يوم الخميس في السادس والعشرين من صفر سنة ١٣٩٩ الموافق للخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٧٩ للميلاد، الدكتور أسعد الحكيم، عميد أعضائه العاملين، وبقية الرعيل الأول من رجاله العظام، أولئك الذين هبوا، يوم جلاء الأتراك عن بلاد الشام، متكاتفين متناصرين، ينشرون الفصحى في

المحافل والمجتمعات، ويرفعون لواء العربية في مختلف الدوائر الحكومية والمؤسسات، كانوا اخوان صدق، صدقوا في ما عاهدوا الله عليه، وظلوا على العهد، حتى استوفوا آجالهم واحداً أثر واحد».

الدكتور أسعد الحكيم

رئيس أطباء مستشفى ابن سينا للأمراض العقلية

خبرته في المستشفى زهاء ربع قرن قلبت مفاهيم مرض الجنون

لم يكن في دمشق، في آخر عهد الدولة العثمانية، أي مستشفى خاص بالأمراض العقلية، كما أن الإختصاص بتلك الأمراض لم يكن موجوداً.

كان المصابون بها، يتجولون في الشوارع على غير هدى، وهم عالة على ذويهم. كانت تلتقطهم الشرطة وتسوقهم الى مأوى خاص، لا شفقة عليهم أو سعياً وراء معالجتهم، بل خوفاً من أذاهم وضررهم، إذ كانوا في أغلب الأحيان، يعتدون على المارة ويشبعونهم ضرباً وشتماً. وكان المأوى المذكور يعرف باسم (المارستان) ولا يزال موجوداً حتّى وقتنا الحاضر عام ١٩٩٢ غير انه أصبح متحفاً لمشاهير العرب في علم الطب وهو كائن في طريق المارستان الممتد من سوق الحميدية حتى ساحة الحريقة.

كان المرضى في هذا المأوى يعاملون كالحيوانات الضارية، كانت أيديهم وأرجلهم مقيّدة بسلاسل من حديد، والطعام يلقى إليهم عبر نافذة صغيرة. وغني عن البيان بأن معاملتهم على هذا النمط كان من شأنها أن تزيدهم مرضاً. أما السوريون المنعمون فكانوا يرسلون مرضاهم إلى (مستشفى العصفورية) الكائن بالقرب من بيروت والمستشفى المذكور كان مؤسسة أجنبية يقصده مرضى العقول من لبنانيين وسوريين وعراقيين وأردنيين وايرانيين وسعوديين. وكان أغلب أطبائه من الأخصائيين الأجانب، وبقي ردحاً من الزمن الملاذ الوحيد لمرضى منطقة الشرق الأوسط.

ثم أسست حكومة دمشق مستشفى للأمراض العقلية في قرية المزة لقد توجت مديرية الصحة العامة عملها الإنساني الجديد بأن عهدت الى الدكتور أسعد الحكيم، بادارة المستشفى وهو الطبيب الذي حباه الله صفات جعلت منه أباً وأخاً وقيماً على المصابين بأمراض عقلية أو نفسية. وسنرى آثار الأعمال الجبارة التي قام بها، خلال نيف وربع قرن تمكن خلالها من تحويل بعض مرضاه إلى أناس عاديين يكسبون قوتهم بكد أيديهم، وعرق جبينهم بعد خروجهم من المستشفى، بحيث يصبحون عمّالاً زراعيين أو أصحاب مهن، بعد أن كانوا تحت سيطرة السوط يعاملون كالأغنام أو بقسوة أشد.

بذل جهوداً كبيرة لتهيئة ممرضين وممرضات باعطائهم دروساً نظرية وعملية تمكنهم من فهم مرضاهم، والتحكم بهم عند الحاجة.

تقديراً لخدماته ولجهوده المتواصلة أوفدته مديرية الصحة العامة للتخصص بالأمراض العقلية والنفسية في جامعة باريس ومستشفياتها.

فتابع الدروس النظرية في كلية الطب، ولازم أشهر أساتذة الأمراض العقلية في التشخيص والاستقصاء لمعرفة أسباب المرض وتعلم لغة التخاطب مع المرضى فاقدي العقل والإدراك.

بقي مع أساتذته، في مستشفى شارنتون للأمراض العقلية، يعاين المرضى ويتابع حركاتهم وفهم لغتهم.

وقد دامت اقامته في باريس أكثر من سنة، وبعد عودته إلى دمشق وضعت مصلحة أملاك الدولة، المبنى القديم الذي تملكه في مركز (القصير) من أعمال قضاء دوما، مع الأرض التابعة له والبالغة مساحتها خمسون ألف متر مربع تقريباً تحت تصرف مديرية الصحة العامة لإتخاذه مقراً لمستشفى الأمراض العقلية.

تسّلمت دائرة الصحة البناء المذكور، وبعد أن قامت بترميمه وادخال الإصلاحات الضرورية عليه دشنت افتتاحه بحفلة رسمية تحت اسم: «مستشفى ابن سينا للأمراض العقلية».

انتقل المرضى من المزة إلى المقر الجديد. وعين لإدارته موظف خصص له ولعائلته جناح خاص ليكون على الدوام بالقرب من المرضى، في الليل والنهار كما خصص، ضمن جناح النساء مشغلاً خاصاً لتعليم الخياطة والتطريز وشغل الابرة وكوي الألبسة، مع قاعة واسعة لعرض منتوجات المشغل وبيعها. أما المرضى من الرجال فقد خصهم الدكتور الحكيم بأعمال زراعية ومهنية كالتجارة والدهان وتقشيش المقاعد، وبعض أعمال المطبخ... الخ.

وللوصول الى غايته لجأ الدكتور الى أيدي مهرة لتعليم المرضى وتدريبهم على الأعمال الزراعية والمهنية تحت إشرافه وسمعه وبصره. فعينهم تحت اسم (ممرضين وممرضات) لفترة محدودة. وقد أبلى هؤلاء بلاءً حسناً في تنفيذ المخطط الذي وضعه وكانوا خير مدرسة لهؤلاء المرضى الذين أصبحوا، بين عشية وضحاها من المنتجين المثمرين بعد أن كانوا عالة على المجتمع.

من هنا كانت تظهر كفاءة هذا الطبيب النفساني الذي سجل في هذا المضمار نتائج قيّمة من جرّاء صبره وتجلّده وتفهّمه نفسية كل مريض والأسباب التي آلت إلى فقدان عقله. وكان يردد على الدوام (ان معرفة السبب تسهل الشفاء) وان المبدأ القائل «داوني بالتي كانت هي الداء» له الأثر الفعال في هذا المجال.

لقد اتبع الدكتور الأسلوب التالي في تفهم مرضاه ومعالجتهم:

في الأسبوع الأول من دخول المريض الى المستشفى ينتدب الدكتور ممرضاً لملازمة المريض وتسجيل حركاته وسكناته والتحدث معه، كصديق في مواضيع مختلفة، ويقدم بذلك تقريراً مفصلاً إلى الدكتور مع التنويه إلى الإشارة أو الفكرة أو الكلمة التي كان المريض يرددها، في أثناء حديثه أكثر من غيرها كان يكرر مثلاً فكرة الطلاق، الزواج، الإرث، خيانة الزوجة، الإنتقام.. الخ يحضر الممرض مع تقريره إلى مكتب الدكتور وهنا تبدأ الأسئلة والأجوبة، عن الحب، الطلاق، الإرث، الربح، الحزن... الخ وفي كل جواب كان الدكتور يقرأ أسرار مريضه من ملامح وجهه ويقدر درجة انفعالاته وعندما يشعر بأن مريضه أعطى انتباهاً خاصاً لإحدى هذه الأسئلة كالزواج مثلاً يعود ويستأنف الحديث عن الزواج بصورة أوسع كأن يقول لمريضه، جميلة، بشعة، هل تريد أن تتزوجها؟ أبوها موافق؟ هل تحب غيرها؟ لماذا لا تسرع وتخطبها قبل أن يطلبها ابن عمها؟... كانت تلك الجلسات

تتعاقب وتدوم عدة ساعات. وعندما يشعر بعقم هذه المحادثات الشفهية يقول لمريضه:

لماذا لا تكتب لخطيبتك؟ أكتب لها ما تريد وسأرسله بالبريد وسأعطيك الجواب لدى وروده. وإذا كنت لا تعرف الكتابة فقد نساعدك.

يأخذ الدكتور المكتوب ويجاوب عليه من روح ما ورد فيه. وبعد بضعة أيام ينادي المريض ويقول له: خذ، فقد أتاك الجواب.

وهنا يبتدىء الحديث مجدداً بينهما على ضوء ما ورد في الكتاب وجوابه وكثيراً ما كان الدكتور يستدعي أهل المريض ويطلعهم على الأسئلة والأجوبة ليوافوه بمعلومات جيدة قد تنير أمامه الطريق إلى معرفة سبب المرض.

إن هذه الخطة مع ما يتبعها من مختلف العلاجات قد أعطت أحسن النتائج ومهدت السبيل لشفاء تام لكثير من المرضى الذين غادروا المستشفى وهم يتمتعون بعقل سليم، كغيرهم من ذوي العقول.

بعد سنتين من تدريب النسوة على الأعمال اليدوية والرجال على الأعمال الزراعية أنهى الدكتور خدمة من كانوا عينوا مؤقتاً من أجل التعليم والتدريب بحيث أصبح في مقدور المرضى القيام لوحدهم بجميع الأعمال. فكان منهم العامل والمراقب ورئيس الورشة والفلّاح والبنّاء والدهّان والنجّار والخيّاطة والمطرّزة والطبّاخة.

كانت منتوجات النساء تعرض للبيع في قاعة خاصة مفتوحة للناس في أيام معينة، وكانت حصيلة المبيعات تقيد في حساب خاص يصرف منه على شراء ما يلزم من مواد أولية أو ماكينات للخياطة والتطريز. وعلى مدار الأيام أصبح مشغل النساء مربحاً، وكانت أرباحه تستعمل لشراء ألبسة داخلية وخارجية للمريضات اللواتي يمزقن ألبستهن أو يحرقنها في بعض الأحيان.

أما المرضى من الرجال الذين تمرنوا على أعمال زراعية ونجحوا فيها، فقد استصلحوا الأرض التابعة للمستشفى وحرثوها وزرعوها، وشقوا فيها الأقنية وأمنوا سقايتها، وطعموا أشجارها، وقطفوا ثمارها، وكل ذلك كان بعرق جبينهم وكد يمينهم، دون أن تتحمل خزانة الدولة أي قرش في هذا السبيل. وبفضل تلك السواعد كان المرضى، من رجال ونساء، يأكلون الفاكهة والخضرة، ويرسلون ما يزيد عن استهلاكهم، بواسطة ادارة المستشفى، إلى بعض المستشفيات في دمشق كهدية منهم وبدون أي ثمن.

وهكذا نرى أن المريض الذي كان يعامل كذئب كاسر أصبح الآن، بفضل العلم وبفضل الجهود الجبارة التي بذلها الدكتور أسعد الحكيم، من ذوي العقول، وعضواً منتجاً في الهيئة الإجتماعية، يزرع الأرض، ويقطف ثمار أشجارها، ويمارس مهنة يعيش منها، ينام في السرير، ويأكل في غرفة الطعام، وأصبح واعياً مدركاً، لا خوف عليه ولا خوف منه، يذهب في إجازة لوحده، ثم يعود كغيره من أولى الألباب، وكثيراً ما كان يتحدث أحد زوار المستشفى مع مريض ما ساعات دون أن يشعر بأن المتحدث معه كان مريضاً ومن نزلاء المستشفى.

اسماعيل الاشتياني:

ولد سنة ١٨٩٢م في طهران وتوفي سنة ١٩٧٠ في طهران.

رسام وشاعر ايراني من اسرة دينية، وكان ابوه الشيخ مرتضى وجده الميرزا حسن ممن اشتهروا بالجد في حركة مقاطعة التنباك.

تخرج من مدرسة الاسلام ودار الفنون، وكان قد بدا نبوغه في الرسم منذ طفولته، فدخل (مدرسة صنائع مستظرفة) التي كانت اسست سنة ١٩١١م. ثم اصبح نائباً لمدير هذه المدرسة ثم مديراً لها. وكان نبوغه في الرسم قد بدا واضحاً. ثم سافر سنة ١٩٣٠ الى اوربا حيث كلفته شركة (اوفا) السينمائية في المانيا رسم صور عدد من مشاهير الممثلين الالمان. واقترح عليه البقاء في المانيا موظفاً في تلك الشركة فرفض وعاد الى ايران وتولى التدريس في (دار الفنون) وكلية الآداب ودار المعلمين العالية بطهران.

وفي العام ١٩٤٦ منحه المجلس الاعلى للثقافة شهادة الدكتوراه الفخرية ووسام الفن من الدرجة الاولى. وفي سنة ١٩٤٧ عين استاذاً في كلية التقنية. والعام ١٩٤٩ طلب احالته على التقاعد وهو لم يزل في السابعة والخمسين من العمر، ولكنه ظل مستمراً في الانتاج الفني، كما انه بقي عضواً في المجلس الاعلى للثقافة والفنون الجميلة والجمعية الادبية للمجمع العلمي.

كان ينزع الى المذهب الطبيعي في الرسم ويستمد اكثر آثاره من الطبيعة مباشرة. وكان الى ذلك شاعراً يتخلص في شعره بـ(شعلة) وقد طبع له ديوان شعر. ومن مؤلفاته سفرنامه اوروبا (رحلة اوروبا) ومناظر ومرايا (علم المناظر) وأدعية القرآن ونمازدر اسلام (الصلاة في الاسلام) ومختارات من رباعيات الخيام وترانه هاي بابا طاهر وصائب وحافظ وشرح حال وتاريخ حياة كمال الملك.

الميرزا اسماعيل الملقب بـ(هند) ابن الميرزا ابو الحسن يغما الجندقي احد شعراء العصر القاجاري:

كان مريداً للحاج محمد كريم خان الكرماني رئيس الفرقة الشيخية في كرمان، وقد بقي على قيد الحياة حتى عا ١٢٨٨ يوجد ديوانه في مكتبة المجلس ضمن الدواوين الخطية تحت رقم ١٠٨٥ وقد طبعت هذه النسخة في طهران عام ١٣٦٦هـ في ٤٥٧ صفحة من القطع الوزيري باهتمام السيد علي آل داود. وهي مكتوبة بخط الشاعر والظاهر انه بدأ بها عام ١٢٦٨هـ، وليس فيها تاريخ يعود الى ما بعد عام ١٢٨٨هـ. وقد ورد في ترجمته انه درس مقدمات العلوم ثم رحل الى النجف الاشرف لاكمال الدراسة، فنال درجة الاجتهاد. وبالاضافة الى نظم الشعر باللغة الفارسية كان ينظم الشعر ايضاً باللغة العربية.

من آثاره المنظومة قصة حب جاءت على شكل رباعيات متصلة، وهي محفوظة لدى عائلته. ومن اعماله المهمة اكمال المعجم الذي بدأه يغما الجندقي ولم يوفق لاكماله. ومن نماذج آثاره المنثورة مقدمته لديوان يغما، وبعض الرسائل والمكاتبات التي يحتفظ بها الاستاذ حبيب اليغمائي مدير مجلة يغما.

السيد اشرف الدين الحسيني بن احمد القزويني:

من كبار شعراء ومؤلفي اواخر العصر القاجاري وحركة المشروطة في

ايران. ولد في قزوين عام ١٢٨٧هـ، وتيتم وهو في الشهر السادس من عمره، ثم غصب بيته وملكه وماله، فاشتدت وطأة الفقر عليه، سافر الى العتبات المقدسة في شبابه ومكث في كربلاء والنجف خمس سنوات، ثم دفعه الشوق والحنين الى العودة الى ايران. وورد في ترجمته المنظومة لحياته انه ذهب الى قزوين بعد عودته من العراق ثم رحل الى تبريز في الثانية والعشرين من عمره، والتقى في سفرته تلك بصوفي انار قلبه وعلمه الاسرار الحقة.

درس السيد اشرف الحسيني مقدمات العلوم في تبريز وتعلم الهيئة والجغرافيا والصرف والنحو والمنطق والهندسة وبعضاً آخر من العلوم التي كانت متداولة في عصره، وطالع خلال ذلك آثار الميرزا فتح علي الآخوندزاده وتأثر بها ثم رحل الى گيلان واقام في رشت، وكان يؤمن قوت عائلته (زوجته وابنه) من خلال الكتابة، ورأى من اهل رشت غاية اللطف والمحبة، وأنشد اول اشعاره ـ خلال ذلك ـ في حركة المشروطة. وقام بتأسيس صحيفة (نسيم الشمال) المعروفة في رشت عام ١٣٢٤هـ بعد ان تحققت المشروطة (الحكم الدستوري). وكانت تصدر اسبوعياً ولكن دون ترتيب. ومع استقرار المشروطة قدم السيد اشرف الحسيني الى طهران برفقة القائد فتح الله خان الرشتي، واستأنف اصدار صحيفته (ورد بالتفصيل الحديث عن تأسيس صحيفة (نسيم الشمال).

كانت صحيفة نسيم الشمال من الصحف المعروفة في ايران، ويعود لها الفضل في شهرة السيد اشرف الدين الحسيني، بحيث اصبح محلاً لاحترام واهتمام عامة الشعب الايراني، بل انه اصبح احب واشهر شاعر وطني لحركة المشروطة في ايران، فقد كان مؤيداً ومناصراً لها بكل معنى الكلمة، ولم يكن يعبأ باحد من ابناء الطبقات المترفة، ولم يحد عن طريقه هذا الى آخر عمره. ولكنه في النهاية تعرض لما يتعرض له عادة امثاله من المخلصين، حيث اشيع عام ١٣٤٥هـ اصابته بالجنون، واخذ بعدها الى مستشفى الامراض العقلية، وامضى سنيه الاخيرة في فقر وضيق ومرض حتى فارق الحياة في ذي الحجة عام ١٣٥٢هـ.

تحدث المرحوم يحيى ارين پور عن اشعار السيد اشرف الحسيني فقال: «اذا كانت اشعار السيد اشرف لا تصل الى مستوى الشعراء الكلاسيكيين، فانها فاقت اكثر الاشعار الفكاهية والسياسية لعصره من حيث تركيب العبارات وقوة البيان. وقد كانت اكبر اهدافه وغاية طموحاته الفنية الدفاع عن استقلال ايران ومعاداة المعتدين الاجانب وقد جاء كل ذلك باسلوب شعري ساخن وطريقة ساخرة تعلمها من صابر (الميرزا علي اكبر طاهر زاده). وكان خلال اشعاره التي تميزت بسخريتها القوية والبعيدة عن الطعن والجرح يهاجم الذين باعوا وطنهم، وخانوا شعبهم ووقفوا ضد الحريات، ويهاجم ايضاً الدبلوماسيين الازدواجيين، وجميع الاشخاص الذين لم يفكروا بشعبهم ووطنهم.

تجاوزت اشعار السيد اشرف عشرين الف بيت، وقد طبع بعضها باسم (باغ بهشت) وبعضها الآخر باسم آخر. وطبع في طهران في السنوات الاخيرة جميع آثاره الشعرية التي شملت الآثار الفكاهية والاجتماعية والنقدية. وطبع له في طهران ايضاً اثر آخر هو (عزيز وغزال) الذي جاء نظماً ونثراً[١].

الأمير الشيخ أويس الأيلگاني بن الأمير الشيخ حسن بن الأمير الشيخ حسين (زوج بنت أرغون خان) بن آق بوقا بن ايلگانويان. وبعضهم ذكره ايلگان:

وقعت غلطة في ترجمته في الصفحة ٥١٢ من المجلد الثالث من (الأعيان)، ثم تكررت في ترجمة سميه أويس بن شاه ولد بن شاه زاده بن أويس في الصفحة ٥١٦ من المجلد نفسه. وكان سبق أن وقعت في ترجمة الأمير الشيخ حسن بن الأمير حسين، كما حصل تخالط في سلسلة نسبه، ما سنوضحه هنا.

أما الغلطة البسيطة في تركيبها، الكبيرة فيما يترتب عليها، فهي ابدال كلمة (الايلگاني) لكلمة (الايلخاني). فالأويسان وكذلك الشيخ حسن هم ايلگانيون لا ايلخانيون. والفرق بين النسبتين فرق كبير.

والشيخ حسين والد المترجم هو كما ذكر في النسب أعلاه وينتهي هذا النسب إلى ايلگانويان أو ايلگان، وإلى ايلگان هذا تنسب الأسرة كلها لا إلى ايلخان.

وقد تشتبه هذه النسبة بالنسبة إلى الحكومة الايلخانية ــ كما حدث هنا ــ والفرق واضح في أن الايلخانية يطلق على هولاكو وأخلافه لأن لقب ايلخان أعطاه منكوقاآن لأخيه هولاكوخان حينما سيره لاكتساح البلاد الاسلامية، ولذلك سميت حكومته بالايلخانية، بخلاف هذه فانها تمت إلى ايلگانويان جدها الأعلى. وايلگانيون هذا كان مع هولاكو وله مكانة عنده.

والحكومة الايلگانية اشتهرت باسم: الحكومة الجلايرية، وهي حكومة شيعية ولحكامها مقابر خاصة بهم في النجف الأشرف كما ذكر ذلك مفصلاً في ترجمة الشيخ حسن في الصفحة ٤٨ من المجلد الخامس من (الأعيان).

وجلاير قبيلة كبرى من قبائل المغول. وكانت جموعها (كورن) كثيرة[٢] وتفرعت الى فروع عديدة وأوشكوا أن يبيدوا في حروبهم مع الختاي فلم يبق منهم سوى طائفة واحدة يقال لها (جابولفان)، وهؤلاء كان بينهم وبين فبيات حرب أدت إلى أسر قسم كبير منهم، ولما تسلط جنكيز اتصل باقي الجلايرية به. وأصلهم من المغول من أولاد (فكون) من قبيلة (دورلكين)، ولم يكن جلاير الجد الأقرب كما توهم صاحب (كلشن خلفا)، وقد غلط صاحب الشذرات في عده ايلگانويان ابن هلاكو، لأن قبيلة الجلاير لا تتصل بآل جنكيز اتصالاً قريباً، وان كان الكل من المغول.

وايلگانويان هذا هو رأس الفخذ الأقرب من هذه الطائفة أو الجد الأعلى، وكان قد جاء مع هولاكو في حملته وافتتح بغداد معه.

وهذه القبيلة عارضت جنكيز خان في بادىء الأمر ثم صارت له عضداً مهماً وناصراً قوياً. كما أنها كانت ساعداً عظيماً لحكومة هولاكو

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) الجمع يقال له: كورن، وهو ألف بيت

وأولاده وأحفـاده. وذلك أن آق بـوقـا كـان أمـير الأمـراء في زمن كيخاتوخان سلطان المغول، وفي فتنته بايـدوخان قتـل. أما ابنـه الأمير حسين فقد تـزوج بنت أرغون خـان وفي أيام أبي سعيـد كان أمـير قبيلة (ألوس).

وابنه الأمير الشيخ حسن حكم الروم زمن السلطان أبي سعيـد وقد جرى عليه ما جرى من تطليق زوجته بغداد خاتون وتزوج السلطان أبي سعيد بها بعـد نكبة الجوبان وأولاده، وبعـد وفاة السلطان أبي سعيـد ظهـر التغلب وقامت الفتن فـورد العراق عـدة دفعات واقتحم مهـالك عظمى ومخاطر كبرى في حـروبه فـاجتاز العقبـات إلى أن تملك العراق، وهـو الذي يطلق عليه اسم (الشيـخ حسن الكبير) كـما انه يقـال لابن الأمير جوبان (حسن الصغير). ولما انقرضت دولة أبي سعيد ولم يكن لـه ولد صفا الأمر لعلي باشا الأويـرات أثر قتله السلطان اربـاخان فتجـاوز (الأويـرات)[1] حدودهم وقسـوا في تعديهم، ومن ثم نفـر منهم جماعـة مثل الحاج طغاي والحاج طوغا بك فمالوا عنهم وركنوا إلى الشيخ حسن الكبير وندبوه لدفع شرور هذه الطائفة، فـانفذ الشيـخ حسن رسولاً إلى صـورغان شـير بن الأمير جـوبان وكـان في كرجستـان فطلبـه وكلّفه أن يصحب معه عساكر من الكرج فأتى اليه بعسكر عظيم. فعنـدها تـوجه الشيـخ حسن بالعسـاكر الجمـة الى محاربـة علي بـاشا وقمـع شره فوقـع الحـرب بينهما نهار السبت ١٧ ذي الحجـة سنـة ٧٣٦ هـ (١٣٣٦ م) فخذل علي باشا واستظهر الشيـخ حسن وقتل عـلي باشـا وخلص الأمر للشيخ حسن سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) وتم له الأمر في بغداد وتمكن من الحكم فيها بلا مزاحم تقريباً، وتزوج دلشاد، وكانت من قبل لدى علي باشا الأويـرات تدعى الحمـل من أبي سعيد، وكـانت من أحب النساء للسلطان أبي سعيد وهي بنت الأمير دمشق ابن الأمير جويـان تزوج بهـا فتمكن من أخذ حيفه منه بالتزوج بها بعد مماتـه، فقد كـان أكرهـه على تطليق زوجته بغداد خاتـون. وقال الغيـاثي: «ومن الغرائب أن الأمير حسيناً والد الشيخ حسن كان قد تزوج بغداد خاتون بنت الأمير جوبان عمة دلشاد خاتون فبلغ أبا سعيد حسنها فانتزعها منـه، فشاء الله تعـالى أن جلس ولده موضع أبي سعيد وتزوج امرأته دلشاد خاتون». ا هـ.

والصحيـح أن الشيخ حسن هـو الذي انـتزعت زوجته وأرغم عـلى تطليقها، فكان أن قدر تزوجه بزوجة أبي سعيد دلشاد خاتون[2].

الأمير برندق بن الامير نصرت شاه الخجندي:

يعد من اساتذة الشعر في اواخر القرن الثامن واوائل القـرن التاسـع للهجرة، كان ملازماً لبلاطات تيمور وبعض ابنائـه واحفاده. وبـالرغم من مكانته الرفيعة في الشعر وتفوقه على اغلب شعراء العهد التيموري، الا اننا لا نجد حديثاً جديراً بـالانتباه او شرحـاً مهماً لاحواله في الكتب القريبة من عهـده، مثل: تـذكرة الشعـراء لدولتشـاه ومجالس النفـائس للامير علي شير النوائي ولطائف الـطوائف لصفي الدين عـلي وغيرهـا. واذا كانت هذه الكتب واخرى غيرها قد ذكرناها مصادر لـترجمته، فـانما كان ذلك لاننا اردنا ان لا يبقى القارىء غافلاً عنها[3] ومن بـين هذه المصـادر جاءت (خـلاصة الاشعـار) لتقي الدين الحـاوي مشتملاً عـلى معلومات جيدة بشأنه. والـظاهر ان السبب الـذي دعا دولتشـاه والامير علي شير وبعض اصحاب التراجم الـذين ماشوها الى عـدم منح سـيرة برندق اهتماماً كافياً هو كون هذا الشاعـر من ناظمي القصـائد عـلى نمط شعراء القرن السادس ولا سيما الخاقاني وقد برع في هذا المجال، وعدم سلوكه مسلك شعراء اواخر القرن التاسع في نظم الغزليـات. والحقيقة ان برندق كان من اساتذة القرن الثـامن في نظم القصـائد والاقتـداء في ذلك باسـاتذة هـذا الفن القدمـاء. ولولا انـه حجم نفسه بتيمـور وبنيه لكـان حقـه ان يـدرج اسمـه في آخـر فهـرست شعـراء القـرن الثـامن الهجري.

على اية حال كان جهـل اصحاب الـتراجم بحياة الشـاعر (بـرندق) سببـاً لتسميـة البعض لـه بـالبخـاري، والحـال انـه خجنـدي وسكن سمرقند، وكذلك الى اكتفاء البعض بوصفه بالنديم دون ذكر الحـوادث الطويلة في حياته، ونسبة بـذاءة اللسان والهـزل له، ومن ثم قـالوا بـان بذاءة اللسان هذه كانت تدعو بعض الشعراء المعاصرين له الى التحرج من ذكر اسمه فكـانوا يكتفـون بتسميته بـالاستاذ وذكـر بعض اللطائف المقتضبة عنه، فكان هذا الامر يوحي بان برندق كان مقتصراً في حياتـه على الهزل واللطائف وحتى اذا اشار البعض الى قدرتـه في الهجاء، فـان فنه في الحقيقة كان ارفع شأنا من ذلك، حيث شمل جميع انواع الشعـر وخصوصاً المدح والغزل، بل انه يعد في هذه الامـور بمصاف اسـاتذتـه المتقدمين.

واما علة اكتفاء معاصريه بتسميته بالاستاذ فليست بذاءة لسانه انما هي كثرة وتنوع معلوماته العلمية والادبية، وكذلك مهـارته وبـراعته في نظم الشعر وايراد الكلام.

ومن خـلال مجموع الاشعـار التي نقلت عنه وكـذلـك مـا نقله تقي الدين بشأنه نرى بين ايدينا معلومات قيمـة حول حيـاته وآثـاره، ولعل العثور على ديوانه الكامل سيدلنا على معلومات اكثر قيمة بشأنه.

وحين ذكرنا في مطلع حديثنا عنه ان اسمه برندق واسم ابيـه نصرت فـانما ورد ذلـك مراراً في شعـره، حيث كان يتخلص في شعـره بـاسمـه (برندق) تارة وتارة اخرى بـ(ابن نصرت) واحياناً بكليهما. وكان تخلصه بـابن نصرت اقتداء منـه بالمتقـدمين عليـه من شعراء القـرنين السـابـع والثامن، مثل: ابن همگر وابن يمين وابن معين وابن نصوح وابن عـماد وغيرهم. واما اسم برندق فهـو اسم شائـع في القرنـين الثامن والتـاسع للهجرة في بلاد ما وراء النهر، ومن الاشخاص الذين حملوا هـذا الاسم وورد اسمهم في التاريخ الأمـير برنـدق بن جهانشـاه البرلاسي وهـو من

---

[1] في كلشن خلفاً؛ علي باشا أو علي شاه، كما أنه جاء في غيره: عـلي بادشـاه، وفي الـدرر الكامنـة: علي بـاشة، وفي الشـذرات علي بـاش. والأويرات قبيلة من قبائل المغول ظهرت للوجود في عهد ارپاخان وكان علي بـاشا والي بغـداد فقام بدوره فانقرضت على يده حكومة المغول، فكانت يدهـا آلة فتـح في أول الأمر وآلة تخريب في الآخر. . .

[2] تاريخ العراق بين احتلالين.

[3] اوردت عن هذا الشاعـر معلومات قليلة وغـير وافية في المصـادر التاليـة: تذكـرة الشعـراء لـدولتشـاه ص ٤١٧ ـ ٤١٩ ـ آتشكـده آذر طبـع بـومبي ص ٢١٩ ـ لـطائف الطوائف ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ مجـالس النفائس ص ١٩ ـ هفت اقليم ج ٣ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ تاريخ نظم ونثر درايران ص ٢٩٧.

امراء وقادة البرلاسيين وكان معاصراً لتيمور وبقي حياً بعده ومؤثراً في امور الدولة.

ذكر الشاعر عام ولادته في بعض قصائده، فكان على وجه التحديد عام ٧٥٧هـ. وكان والده الامير نصرت شاه «في بداية عهد سلطنة الامير الكبير تيمور گورگان انار الله برهانه حاكم تلك الولاية (اي خجند) وعرف بكرم ذاته وسخائه وكان عديم النظير بين عظماء وامراء تلك الولاية[1]. وكان برندق يشير مراراً في شعره الى رفعة مقامه وشرف نسبه، ويقول ان اصل عائلته من اهل خجند، والى جانب ذلك كان يشير في هذه الاشعار الى رحلاته التي قام بها الى خوارزم وما وراء النهر وخراسان والعراقين وآذربايجان وبلاد السند والهند.

ولما كان الشاعر برندق قد عاش فترة شبابه في النصف الثاني من القرن الثامن اي في الوقت الذي كان اساتذة الشعر يحاولون الاحاطة بفنون الادب ومقدمات العلوم ويلمون بالثقافة الايرانية الاسلامية، فانه حذا حذوهم وسعى لدراسة الآداب والعلوم وتعلم كثيراً منها. ويمكن ادراك هذا الامر من خلال الكلام المتين والمعاني العالية التي كان يستعملها في شعره. وقد اشار عدة مرات الى كثرة معلوماته في مختلف الفنون، بل انه ادعى ذات مرة انه صاحب اطلاع في الطب وكذلك ادعى بانه يقرأ الزبور بالخط العبراني، ويجيد قراءة الانجيل باللغة السريانية.

وتزامنت فترة دراسة وتعلم برندق ونشوئه الشعري مع ثورات الوس جغتاي وسقوط تلك المناطق بيد البرلاسيين، والنزاعات بين الامير عبد الله بن الامير قزغن مع الحاج برلاس والامير بيان سلدوز وحملة تيمور على بلاد ما وراء النهر وتعيينه لابنه الياس خواجة حاكماً على تلك البلاد، وخروج الامير حسين حفيد الامير قزغن عليه وسيطرته على الوس جغتاي، ثم اتحاد الامير حسين مع تيمور وقتل الاول فيما بعد عام ٧٧١هـ بخيانة من تيمور، وثورة الامير حسين الصوفي في خوارزم وانفصال تلك المنطقة عن الوس جغتاي حتى وفاته بعد اندحاره بوجه تيمور عام ٧٧٣هـ.

وكان برندق في جميع هذه الاحداث حائراً في بلاد ما وراء النهر وخراسان، ومدح خلال ذلك الامير حسين وهو اما حسين القزغني او حسين الصوفي، والأول أرجح لاستقراره في سمرقند، واقامة الشاعر فيها. ثم تنقطع اخباره حتى عام ٧٨٧هـ حين نظم قصيدة (محيط المعاني) في سمرقند. وهو يذكر ذلك العام (٧٨٧هـ) في قصيدة، والى جانب هذا التاريخ اورد تاريخاً آخر هو عام (٧٨٨هـ) في قصيدته التي مدح بها شيخ الاسلام في سمرقند عماد الدين عبد الملك العصامي السمرقندي. وشيخ الاسلام هذا كان من مشاهير شعراء وعلماء عصره، وهو استاذ الشاعر البساطي السمرقندي. وكما نعلم فان عام ٧٨٨هـ هو العام الذي بدأ به تيمور هجومه على ايران الذي استمر ثلاث سنوات (٧٨٨ - ٧٩٠هـ).

وكان برندق خلال تلك السنين يكثر من مدح جلال الدين اميران شاه بن تيمور، ويبدو من خلال قصائده التي يمدح بها هذا الامير انه كان ملازماً لبلاطه، ومرافقاً له في اسفاره الى عدة مدن، مثل: اندكان وبلغ. ولما كان اميران شاه معيناً من قبل ابيه حاكماً على آذربايجان والعراق والجزيرة ومستقراً في تبريز، فقد كان برندق مرافقاً له في هذه الولاية، وقد اشار عدة مرات الى غربته ضمن القصائد التي كان يمدح بها اميره. وحين كان الشاعر مع الامير في بلخ حبس بامر من الاخير في عام ٧٨١هـ، فنظم قصيدة يمدح فيها الامير ويمجد بمقامه ومكانته في الشعر.

على اية حال كانت ملازمة برندق لبلاط اميران شاه سبباً لحب الاخير له وتقريبه اياه، مما كان يثير حسد اقرانه، فكان الشاعر يشكو للامير ما يعانيه من حسد الحاسدين.

والمعروف ان جلال الدين اميران شاه اصيب في اواخر عهد ابيه باختلال في حواسه نتيجة سقوطه عن ظهر جواده، فعاقب تيمور مرافقيه وحاشيته لاهمالهم في التزام الحيطة والحذر، ولا يستبعد ان يكون برندق بينهم، حيث غادر تبريز بعد هذه الحادثة وتوجه الى خراسان فوصل بلخ (غريباً مفلساً مسكيناً) كما وصف حاله في قصيدة له، والتجأ الى كاتب ومستوف فيها اسمه السيد على طالباً منه المساعدة.

سافر برندق بعد فترة الى خجند، وتوجه منها الى مكة المكرمة، وبعدها الى الهند، حيث مكث حيناً في دلهي وقنوج، وفي غضون ذلك التقى السلطان غياث الدين تغلق شاه الذي حكم الهند ستة اشهر بين عامي ٧٩٠ و٧٩١هـ فمدحه، ولكن لسوء حظه ان الفترة التي امضاها في الهند كانت متزامنة مع تأزم الامور بالنسبة للسلسلة التغلقية، فرأى بعد حين ان المصلحة تقتضي مغادرة الهند والتوجه الى بلاد ما وراء النهر. وفي تلك الفترة كان السلطان خليل بن اميران شاه بن تيمور حاكماً على سمرقند (من عام ٨٠٧ ـــ ٨١٢ هـ) بعد وفاة جده. وهكذا سافر ابن نصرت (برندق) من دلهي الى ملتان ومنها الى سمرقند حيث حضر في خدمة السلطان خليل وشرح له قصته في الهند في قصيدة يمدحه فيها. والظاهر انه لم يمكث طويلاً في بلاد ما وراء النهر، بل غادرها بعد حين.

ولعل آخر شعر وصلنا عن برندق هو قصيدته التي قالها عام ٨٠٧هـ مهنئاً فيها احد الاعيان بمناسبة مولوده الجديد.

ومن الامور المهمة التي ينقلها بعض اصحاب التراجم بشأن الشاعر برندق مثل الامير علي شير دولتشاه ومن نقل عنهما، وكذلك صفي الدين علي في لطائف الطوائف انه كان ملازماً للسلطان بايقرا بن الميرزا الشيخ عمر وحسب، وينقلون طرائف عن صلات هذا الامير له وامتناع (البروانچي)[2] عن دفع هذه الصلات كاملة. والامير هذا هو حاكم بعض نواحي العراق والجبال منذ عام ٨١٧هـ ثم تطاول على شيراز فسخط عليه شاهرخ وارسله الى قندهار ثم عاد وارسله عام ٨٢٠ الى سمرقند، وبعدها انقطعت اخباره. واذا لم نر بين اشعار برندق قصيدة في مدح هذا الامير، الا انه لا يستبعد ان يكون قد لازمه فترة في سمرقند لان اواخر عمره تزامنت مع فترة اقامة هذا الامير في سمرقند،

(١) خلاصة الاشعار لتقي الدين ـ النسخة الخطيه.

(٢) البروانچي: هو كاتب فرامين واجازات الشاه.

ولكن لا يمكن القبـول بقول من ذهب الى ان الشـاعر كـان مختصاً بهـذا الامير (السلطان بايقرا)، ويمكن القبول بانه مـدحه وحسب، واذا كـان برندق قد اختص بشخص فالراجح هو قول تقي الدين بملازمة برنـدق لابني تيمور: جلال الدين اميران شـاه (م ٨١٠) كما مـر آنفاً، والشيّخ عمـر الذي كـان في حياة ابيـه حاكماً على فـارس، ثم قتل بـالقرب من بغداد (عام ٧٩٦هـ) في رحلته الى آسيا الصغرى. والحق ان نقول بـان الشاعر برندق لازم في بعض حياته الشعرية الامير أميران شاه وحسب.

امضى ابن نصرت آخـر ايامـه في سمرقنـد والظاهـر انه تـوفي فيها. وكانت وفاتـه حسب (ترجمـة روزروشن) في عام ٨١٥هـ بينـما ذكر تقي الـدين الكاشـاني انها عام (ست وثـمانمائـة«٨٠٦») وفي (صحف ابراهيم عام ٨١٦هـ. واذا لم يكن قول تقي الـدين سهواً فهـو مردود قـطعاً لان عـام ٨٠٧ ورد في بعض شعـره، والـظاهـر عـدم صحـة عـامي ٨١٥ و٨١٦هـ، لان تقي الدين ذكر ان عمر الشاعر كان ثـمانين عـاماً ويمكن تـأييد هـذا القول بـالاحوال والمعلومـات المستقاة من شعـره، والاخبار الواردة عن ملازمته للسلطان بايقرا بن الشيخ عمر، وكذلـك اقامتـه في هـرات عشر سنين وامثـال ذلك، وكـل هذه الامـور تؤكد وصـول عمر برندق الى حدود الثمانين عاماً. فاذا كانت ولادته عام ٧٥٧هـ فان وفاته حينئذ ستكون في عام ٨٣٧هـ، والارجح ان عام (ست وثمانمـائة) جـاء سهواً عن (ست وثلاثين وثمانمائة) أو انها بُدلت خطأً كـما وقع في تـراجم (صحف ابـراهيم) و(روز روشن) حين استبـدلت ٨٣٦ و٨٣٥ بـ٨١٦ و٨١٥هـ. من هنـا ينبغي ان نحـدد عـام ٨٣٥ او٨٣٦ تـاريخاً لـوفـاة الشاعر برندق، والله اعلم.

وفي نهاية المقال وقبل ان نبدأ بمطالعة آثار واسلوب الشاعـر برنـدق، نود ان نطلع القارىء على المصدر الوحيد الذي يجـدر الاهتمام بـه بشأن ترجمة برندق، وهو خلاصة الاشعار لتقي الـدين، ومن ثم نورد مقـطعاً من هذا المصدر:

«ينحدر مولانا بهاء الدين برندق في الاصل من خجنـد، وكان ابـوه الامير نصرت شاه في بداية حكومة الامير الكبير تيمور حاكـما على هـذه الـولاية، ومعـروفاً فيهـا بحسن سـيرتـه وسخـائـه، ويعـد من اعـاظم الامـراء. ولكن برنـدق كان مقيـماً في دار السلطنة سمـرقند بعيـداً عن عمل ابيه ولا يتدخل فيه، وكان الغالب على طبعه الشعر والهزل، فاخذ زمـام المبادرة في هـذا المجال، ولم يكن احـد من شعراء عصره يـطمـح للوصول الى مكانتـه، ونال منـزلة لا تـوصـف لدى اولاد واحفـاد الامير الكبير تيمور، ولا سيما لدى الامير ميران شاه والامير الشيخ عمر، وترك بافكاره الرصينة ونظرته البعيدة قصائد غراء في جـواب الشعراء ومـدح الامراء ويقال انه لازم السلاطـين فترة، ثم سلك طـريق السفر، فـزار كثيـراً من البلدان وتشرف بحـج بيت الله الحـرام، ثم عـاد من سفـره وتوجه الى الهند، فكسب فيها ذهباً كثيراً، وصاحب العديد من مشايخها واخذ يترقى بين سالكي طـريق الله، ويتخلص من القيود والتسـويلات والتخيلات الشيطانية التي كانت مستولية على قلبه بقـوة العقل وسلطان الحـزم. وبعد خمس وعشرين سنـة من السفر عـاد الى وطنه المـألـوف، وحط رحاله في سمـرقند ومكث فيهـا الى آخر ايـام حياتـه صادق النيـة صافي العقيدة، ملازماً للدروايش وارباب التفكر، وكـان يبذل الجهـد دائماً في سبيل مسـاعدة الفقـراء واهل السلوك، وكـان سابقـاً في المكارم بين كرماء تلك الديار. ناهز عمره الثمانين عاماً امضى اكـثرها في خـدمة اهل النظم وارباب العلم، وسكن هرات عشر سنوات ثم غادرها. ولما كان رجلاً فصيحاً ومن نسب رفيع فقـد كان شعـراءُ وفضلاء خـراسان يتعاملون معه باجلال واحـترام ويخاطبـونه بـالاستاذ. وفي زمن سلطنـة اولاد واحفاد الامير الكبير تيمور گـورگان وخصـوصاً بـايقرا بن الشيخ عمر سافر الشاعر من خراسـان الى العراق[1]، واخـذ يتنقل بينـه وبين فارس وآذربايجان ثم توجه الى بلاد ما وراء النهر، حتى استقـر به الامـر في مدينة سمرقند في شهور سنة ست وثمانمائة».

ومن خلال نظرة اجمالية الى مـا كتبه تقي الـدين يمكن الاخذ بـارائه بعد اجراء التعديلات التـاريخية، وحينئـذ يجب ان نذكـر التوضيحـات التالية بشأن قوله:

١ ـ مـا ذكره تقي الـدين بشأن مهـارته بـالهزل كـان تكراراً لما ذكره اصحاب التراجم الآخـرون، وما ذكـره الشاعـر برنـدق نفسه في بعض شعـره. الا ان بروزه لم يكن في مجـال الهزل كـما زعم الامـير عـلي شـير ودولتشاه ومن نحا نحوهم، انما كان في المدح اضافة الى مـا كان ينـظمه في الوعظ والحكمة والتوحيد وذكـر مناقب الـرسول (ص) وعـلي بن ابي طـالب (ع)، فهو شـاعر عـظيم لا يمكن ان يقتصر بشعره عـلى الهجـاء والسخرية.

٢ ـ ما قالـه تقي الدين من ان الشـاعر كـان ينظم قصـائد غـراء في جواب الشعراء هو أمر صحيح وسيأتي الحديث عنه في موضعه.

٣ ـ الـظاهر عـدم صحة مـا ذكره تقي الـدين بشأن استغـراق سفـر برندق وبقائه في الهنـد مدة خمس وعشرين سنـة، اذ يبدو من شعـره انه عاش في الهند فترة أقصر من ذلك وانه كان غير راضٍ عن حياتـه فيها. وتثبت بعض الشواهد انه لم يترك المدح بعد عودته من الهند، فقد رأينـا في شعـره مدحـاً للسلطان خليل، ولكن لا يستبعـد ان حجـه لبيت الله الحرام وتشرفه بزيارة مشايخ الهند اثرا على سلوكه في آخر حياته، فانشأ ينظم قصائد في التوحيد وذكر الفضائل والمناقب والمواعظ.

٤ ـ ليس ثمة دليل بين آثار الشـاعر الموجودة يثبت صحـة ما ذهب تقي الدين اليه من اقامة الشاعر عشر سنوات في هرات، وكـذلك فـان ظـواهر الامـور لا تؤيد ذلـك. ولكن في الوقت ذاتـه ليس لدينـا دليـل يدحض قول تقي الدين بهذا الشأن.

٥ ـ زعم تقي الدين ان سفر برندق الى العـراق وفارس وآذربـايجان كان بعد معرفته بالسلطان بايقـرا، ولكن الاحداث التي أوردنـاها آنفـا تنفي صحة هذا الامر، لا سيما وان معرفة الشاعر بالسلطان بايقرا (على فـرض صحتها) لا بـد ان تكون في اواخـر حياة الشـاعر، بعـد الثانيـة والستين من عمره، ومن الطبيعي ان السياحة ستكون امراً متعذراً عـلى شخص بهذه السن وخصوصاً في تلك العصور.

٦ ـ ما زعمه تقي الدين بشأن كسب الشاعر لمال وافر في الهند، يبدو مخالفاً تماماً لما ورد في شعره، فهو يشكو من افلاسه ويشير الى الحيرة التي كان يعيشها في بلاد الهند في قصيدته التي يمدح بها السلطان خليل.

(١) المقصود هنا عراق العجم، واهم مدنه اصفهان وهمذان وقم وغيرها.

وبعد الدراسة والتتبع في آثار الشاعر الموجودة في بطون الكتب التاريخية لم نحصل على معلومات ذات قيمة الا من خلال مجموعة خلاصة الاشعار القيمة التي بلغت اشعار برندق فيها الفاً وثمانمائة بيت في مختلف انواع الشعر، وقد استقيت اغلب معلوماتي حول برندق من هذه الابيات، وتحدث تقي الدين عن اشعار ابن نصرت (برندق) فقال ان اشعاره التي تميزت بفصاحتها قد ندرت وهجرت في عصره (عصر تقي الدين) وبعض هذه الاشعار مسطور في الاسفار القديمة، واما الاشعار التي نسبها اليه الامير دولتشاه في تذكرته فهي لغيره، ثم يتحدث تقي الدين عن ديوان الشاعر الذي حصل عليه فذكر انه يشتمل على عشرين الف بيت شعر بين قصائد ومثنويات حسنة وغزليات مرغوبة، واكثرها جاء جواباً لاساتذة الشعر وخصوصاً الامير الخاقاني، والبلاغة واضحة في شعره، وكان يتخلص فيه باسمه (برندق) تارة وبـ(ابن نصرت) تارة اخرى.

واما ما ورد في صحف ابراهيم بشأنه فهو خلاصة مقتضبة جداً لما جاء في خلاصة الاشعار، وسيوقعنا ذكره في التكرار، ولكن الامر المهم هنا ان هذا الكتاب يذكر اسم الشاعر على انه (برندق الخجندي) خلافاً لما ذكر جميع اصحاب التراجم الآخرون حين سموه (برندق البخاري)، وقد اشرنا الى ذلك آنفاً، والامر الآخر هو تحديد لوفاة الشاعر في عام ٨١٦هـ، وقد ذكرنا ان بلوغه ثمانين عاماً لا يتناسب مع هذا القول، ورجحنا انه تحريف لعام ٨٣٦هـ.

كان برندق استاذاً في الشعر، ومتمكناً في اقتفاء آثار المتقدمين وكان اقتفاؤه هذا موقوفاً على تتبع آثار واشعار الخاقاني الشرواني، ولا يفهم هذا الامر بوضوح من خلال طريقة شعره وحسب، بل من تصريحاته التي اشار فيها عدة مرات الى انه مريد للخاقاني تارة، وتارة نظير له وتلميذ له تارة اخرى، ويصفه بانه استاذه ذو الرأى العالي. وقد اجاب في عدد من قصائده على القصائد المعروفة للخاقاني، وكان مقتفياً فيها لطريقة (استاذه ذي الرأي العالي) في استعمال الجمل التشبيهية والاستعارية واجاد في ذلك، وكان في بعض الاحيان يجيب على قصائد الانوري وعدد آخر من اساتذة الشعر المتقدمين.

واسوة بهؤلاء الشعراء الذين كانوا بمنزلة المثل والقدوة له كان برندق يكثر من استعمال التركيبات الاستعارية والتشبيهية والاوصاف البديعة في قصائد التشبيب وبعض الصناعات الشعرية الصعبة. ولكن اقتداره في الشعر لم يكن يدع هذه التركيبات والصناعات ان تكون عيباً في شعره، بل كان شعره دائماً سهلاً سلساً وقوياً، فالشاعر كان بحق من المتميزين بين شعراء عصره، بل انه حري ان ينظر اليه كاستاذ لهم، ومن ثم كان محقاً من خاطبه بلقب الاستاذ.

ولعل أغلب مقطعات ابن نصرت جاءت موافقة لاسلوب الانوري وقد ورد بعضها في المدح وبعضها في التمثيل والموعظة، وسلك في غزلياته الجميلة اسلوب شعراء القرنين السادس والسابع، ويمكن القول بصورة عامة ان ابن نصرت كان مجدداً لاسلوب شعراء هذين القرنين في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع، ولم يدع الانحطاط الادبي السائد في عصره ينفذ الى شعره وآثاره. واما من حيث المذهب فكان على الرغم من حياته في وسط حنفي ونشوئه في بيئة راج فيها التسنن كان ككثير من معاصريه يُظهر ميله الى التشيع حين يذكر مناقب الامام علي (ع)[1].

الملا بما نعلي الكرماني:

احد كبار شعراء العهد القاجاري، وكان يعرف في اشعاره بـ(الراجي). كان من زرادشت كرمان ثم اعتنق الاسلام، ونظم حروب الرسول (ص) والامام علي (ع) باسم ظهير الدولة ابراهيم خان ابن عم فتح علي شاه، فنال اعجابه وحظي برعايته. جاءت منظومته هذه المعروفة بـ(الحملة الحيدرية) في عشرين الف بيت شعر، وقد تم طبعها عام ١٢٦٤هـ لاول مرة بسعي الميرزا مظهر الكرماني، ثم اعيد طبعها في عامي ١٢٧٠هـ و١٢٩٨هـ وصدرت بعد ذلك عدة طبعات لها. توفي عام ١٢٤٠هـ[2].

الميرزا جعفر الملقب والمشتهر بآصف خان بن بديع الزمان بن الآغا ملا القزويني:

ولد سنة ١٥٥١م وتوفي سنة ١٦١٢ في برهانپور بالهند.

شاعر هندي ينظم بالفارسية، ومؤرخ، ومن امراء بلاط البابريين في عهد محمد اكبرشاه[3] وجهانگير.

كان ابوه وجده من كبار رجال الحكم في العهد الصفوي بايران. كما كان عمه الميرزا غياث الدين علي آصف خان من امراء بلاط اكبر شاه (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) وقد سافر المترجم من ايران الى الهند في شبابه سنة ١٥٧٤ واتصل بالبلاط البابري عن طريق عمه، وعين في وظيفة فيه لم ترضه فترك البلاط. ثم ارسل من قبل اكبرشاه في مهمة الى البنغال فأدى مهمته العسكرية في فتح (بور سكري) وعاد الى العاصمة لعدم استقرار الاحوال هناك، ملازماً البلاط. وبعد وفاة عمه سنة ١٥٨١م عين وزير خزانة البلاط مضافاً اليه منصب عسكري ولقب بـ(آصف الدولة).

وفي عهد (اكبر) برزت كفاءته العسكرية فيما عهد اليه من مهمات فأعطي ولاية كشمير، ثم منصب (ديوان كل)، وهو منصب الوزارة، ثم عين والياً على (بهار).

ولما تولى جهانگير الملك عهد اليه بالاشراف على تربية الامير (پرويز)، ثم - بصفته مشرفاً عليه - الى الدكن لقمع الفوضى هناك. ولكنهم لم ينجحوا لانغماس الامير في شهواته واختلاف الامراء. ثم توفي المترجم في برهانپور.

كان يتخلص في شعره بـ(جعفر) او (جعفري) وبلغ ما نظمه ثلاثة آلاف بيت فيها مقطوعات غزلية وقصائد ومثنويات. وله مدائح في النبي (ص) وعلي بن ابي طالب (ع)، كما مدح محمد اكبر وجهانگير.

وهو ممن ساهموا في تأليف كتاب تاريخ الفي (التاريخ الألفي) الذي ألف سنة ١٥٨٥م بامر من محمد اكبر في خلول الذكرى الألفية للهجرة النبوية. وكان الذين عهد اليهم بتأليف هذا الكتاب هم: احمد التتوي

---

(١) ذبيح الله صفا.

(٢) نيد الرفيع حقيقت.

(٣) راجع ترجمة محمد اكبر في موضعها من (اعيان الشيعة).

ونقيب خان وعبد القادر البادئوني، ولما توفي التتوي انتدب المترجم ليحل محله فتولى تسجيل الاحداث حتى سنة ١٥٨٩م. وقام عبد القادر البدائوني بمراجعة الجزء الاول والجزء الثاني من الكتاب، وإكمل المترجم الجزء الثالث.

كما كتب كتاباً في تراجم الشعراء بـ(تذكرة آصف خاني).

وللمترجم حفيد اسمه جعفر بن زين العابدين كان من شعراء عصرشاه جهان وكان يتخلص في شعره كجده بـ(جعفر). وله حفيد آخر اسمه ميرزا إيزدبخش كان من شعراء عهد أورنك زيب وفضلائه، وكان يتخلص في شعره بـ(وسا).

جعفر الخامنه اي بن الشيخ علي اكبر الخامنه اي:

من الشعراء والادباء الاحرار في عهد الصحوة واستقرار الحكومة المشروطة في ايران. ولد عام ١٣٠٤هـ في تبريز، وانهى فيها دراسته، وتعلم اللغة الفرنسية سراً دون علم ابيه المتعصب، ودرس ايضاً الادب التركي الحديث.

بدأ بنظم الشعر وينشره بغير توقيعه في البداية باسلوب بعيد عن اسلوب الشعر الفارسي القديم، مع سلوك نظام جديد في القوافي، وقد نقل البروفسور ادوارد براون قطعتين من اشعاره في تاريخ الصحافة والادب في ايران خلال عهد المشروطة. وكانت اشعار جعفر الخامنه اي الحماسية تطبع في صحف (الحبل المتين في كلكتا و(جهره نما) في مصر و(العصر الجديد) و(الشمس) وبعد ذلك في مجلة (دانشكده).

السيد جمال الدين الأصفهاني الواعظ

ولد سنة ١٢٧٩ في همذان وتوفي سنة ١٣٢٦، أبوه السيد عيسى الموسوي العاملي ابن السيد محمد علي بن السيد صدر الدين العاملي. وكان للسيد محمد علي عدداً من الأولاد منهم السيد اسماعيل الصدر في بغداد وهو من أعاظم علماء العراق، والآخر السيد جعفر وكان يسكن اصفهان. وكانت أم السيد جمال همذانية وصار يتيماً في صباه حيث توفي أبوه السيد عيسى وهو رضيع، وبعد أن شب هاجر الى طهران وسكن في بيت خالته وبدأ يعمل صانعاً في محل الحياكة، وحينما كان عمره ١٤ سنة بدأ يدرس العلوم الدينية وكان مجداً في تحصيله وكان يقرأ كثيراً حتى ضعفت عيناه. وفي الثانية والعشرين من عمره هاجر مع أمه إلى أصفهان وتزوج فيها بنت ميرزا حسن باقرخان وكان باقرخان حاكماً لأصفهان في فترة من الفترات، وبعد أن بقي فترة في أصفهان صار من الخطباء المرموقين فيها ولكنه حاول أن يهاجر من أصفهان لأن مسلكه في الدعوة الى الحرية كان لا يستسيغه الكثيرون وخاصة حاكم أصفهان (ظل السلطان) المشهور بقساوته وجبروته، وكان أقرب أصدقائه إليه ميرزا نصر الله بهشتي المشتهر بـ ملك المتكلمين (الذي أعدم بعد ثورة المشروطة على أيدي جلاوزة الشاه القاجاري). وكان السيد يتردد على مدينة شيراز ويمكث بها فترة وكتب فيها كتاب (لباس التقوى) حيث دعا فيه الناس الى نبذ المنسوجات البريطانية واستعمال الأقمشة الوطنية. وكان في شيراز عداء مستحكم بين حاكمها شعاع السلطنة وبين أحد أعيان المدينة المسمى (قوام) وبما أن السيد جمال كانت تربطه علاقات صداقة وودّ مع شعاع السلطنة فقد كان يذم في منابره قوام ويحرّض الناس عليه، مما أثار حفيظة قوام فأمر جلاوزته بقتل السيد ولكنهم أخطأوا في اصابة الهدف فقُتل سيدٌ آخر. وبعد هذه الحادثة لم يذهب الى شيراز بل قام بالتردد على مدينة تبريز وكوّن علاقات حميمة مع زعماء المدينة وأعيانها خاصة مع حاكمها وهو ولي العهد (محمد علي ميرزا القاجاري). وعلاوة على هذا فقد ارتبط السيد جمال في طهران بعلاقات حميمة مع أعيانها وكان يخطب في أيام شهر رمضان في مسجد الشاه بطهران الذي كان امامه السيد أبو القاسم الامامي، وهكذا اشتهر بين الناس حيث كان حديثه عذباً مستساغاً لعامة الناس ولذلك أحبوا منابره وخطبه، وهكذا صار له نفوذ واسع بين عامة الناس واستمر في القاء الخطب في هذا المسجد طوال ثلاث سنوات، وكان حاكم طهران آنذاك علاء الدولة، وحدثت حادثة في طهران في تلك الأيام وبقي ارتفاع أسعار السكر والشاي حيث قام الحاكم بضرب جماعة من أعيان التجار بتهمة احتكار السكر فهاجت الناس وعطّلوا الأسواق واجتمعوا في مسجد الشاه وأيدهم العلماء خاصة زعيمي طهران السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي وحينما خطب السيد جمال بهم وذكر الناس بأن الملك إذا لم يكن مطيعاً للأحكام الإلهية فليس على الناس اطاعته، هاجت الناس وأيّدوه ولكن انزعج امام جمعة طهران (وهو صهر الملك القاجاري) واتهم السيد جمال بأنه بابي وخرج من المسجد وكانت مؤامرة مدبّرة من قبل أعوان الدولة حيث قاموا باطفاء الأضواء وأشاعوا بين الناس أن قوات الجيش سوف تهجم على المسجد وقام بعضهم بالفرار من المسجد لأجل أن يرعب الحاضرين، فهاجت الناس لذلك وتصوروا أن الجند هجموا عليهم وعند ذاك هجم أعوان السلطان الذين كانوا حاضرين في المسجد وبدأوا بضرب الناس ونال السيد عبد الله البهبهاني منهم ما ناله، ولكن السيد جمال تمكن من الهرب واختفى في منزل السيد محمد الطباطبائي ــ وكان رجال الدولة يهابون السيد فلم يتعرضوا لبيته ــ أما السيد محمد فانه ذهب الى مدرسة الصدر وبدأ يتشاور مع زعماء الثورة لأجل حثّهم على مغادرة العاصمة والتوجه الى مقبرة السيد عبد العظيم في مدينة الريّ للاحتجاج على مظالم الدولة وخاصة مظالم علاء الدولة حاكم طهران. فانتقل العلماء الى مدينة الري كما انتقل السيد جمال الى منزل ناظم الإسلام الكرماني وثم الى منزل ميرزا يحيى دولت آبادي ثم عاد الى منزله واختفى فيه وبدأت محاولات الدولة لارجاع العلماء من الريّ وحينما حصل العلماء على وعود برفع المظالم والسعي في تأسيس البرلمان عادوا جميعاً إلى طهران، أما السيد جمال فان العلماء بعثوا اليه ليلتحق بهم في الري فذهب اليهم وتشفّع العلماء عند الحاكم لأجل ارجاع السيد الى طهران فوافق علاء الدولة لكن بعد مداولاتٍ كثيرة، فاستقبل السيد جمال في طهران استقبال الفاتحين وخرج الناس لاستقباله مهللين مكبّرين. وهدأت الأصوات في طهران وبدأ الحاكم يماشي الناس والعلماء ونسي العامة وعود الدولة بتشكيل المجلس النيابي، وحينما قرب شهر محرم طلب حاكم طهران من السيد جمال أن يخرج من طهران ولا يلقي خطبه فيها حتى لا يثير الناس، فخرج السيد متوجهاً إلى مدينة قم مع عائلته وحاول الحاكم أن يرشيه بمبالغ من المال لكنه رفض ذلك، وهي في قم وألقى هناك بعض الخطب وفي يوم ١٢ من المحرم وصلته برقية من الملك القاجاري يطلب منه العودة الى

طهران وذلك بتحريض من بعض زوجاته المتعاطفات مع السيد فعاد السيد الى طهران وزاول نشاطه حيث كان يرتقي المنبر ويلقي خطبه الدينية والسياسية على الناس في مساجد طهران وكانت الجماهير تحب خطاباته. وحينما بدأ الحاكم بالعودة الى أعماله الظالمة بحق التجار وأهالي العاصمة ونفى بعض رؤوس الأحرار الذين كان يسميهم المشاغبين الى مدن بعيدة، حاول جنود الحاكم اعتقال أحد رجال الدين فحصلت معركة بين الجنود والمدافعين عن الشيخ فقتل في المعركة السيد عبد الحميد وأحد الجنود فهاجت الناس وعطلت الأسواق واجتمعوا في المسجد الجامع بطهران وخطب فيهم السيد عبد الله الطباطبائي وقرر العلماء الهجرة من طهران إلى مدينة قم للاعتراض على أعمال الحاكم، كما التجأ جماعة من الناس الى السفارة البريطانية، وحينما ارتفعت الأصوات اضطر الملك مظفر الدين شاه القاجاري أن يعزل الحاكم ووعد الشعب باعطائه الحرية والمجلس النيابي ففرح الناس وعاد العلماء الى طهران وفتحت الأسواق وعاد اليها النشاط وكان السيد جمال في هذه الأثناء دائم النشاط وكان يخطب الخطب السياسية ويطالب بالحرية ومجلس النواب وحينما مات الملك وخلفه محمد علي ألقى السيد جمال خطبة تنصيبه في القصر الملكي، وهكذا علا نجم السيد جمال الدين عند الناس، ثم انه في هذه الفترة كان يسير في خطاه في حث الناس في خطبه ومواعظه في مساجد طهران على المطالبة بالدستور والبرلمان، وقد اضطر الملك محمد علي شاه أن يجتمع به في (قصر قاجار) الذي كان يبعد عن طهران عدة كيلومترات وتباحث معه حول القضايا الهامة وحاول الملك أن يثنيه عن عزمه في حث الناس ولكن أبى الخضوع وحينما رجع من القصر الملكي إلى طهران دبرت له مؤامرة ولكنها باءت بالفشل ونتيجةً للمؤامرة كسر أحد ساقيه وظل يعرج إلى آخر حياته، وكانت هذه الحادثة قد أثارت اعتراضات بين الناس وسببت القطيعة النهائية بين السيد والملك، واستمرت اعتراضات السيد في مساجد طهران إلى أن حدثت قضية هجوم الحرس الملكي على بناية البرلمان وتدميرها بالمدافع حيث وقعت معركة حامية بين الأحرار وقوات الحرس وكانت النهاية لصالح الجنود حيث قتل جماعة وهرب آخرون واعتقل مجموعة من النواب والأحرار. وكان ينوي السيد صبيحة يوم الهجوم أن يخطب في احدى مدارس طهران المشهورة وحينما بدأ يخطب هجم جلاوزة الملك عليه وانهالوا عليه بالضرب فتوجه الى بناية البرلمان القريبة ولكن واجه الهجوم من قوات الحرس فهرب الى احدى البيوت القريبة ليعد نفسه للهرب الى النجف عن طريق همدان.

وقد جمعت مجلة (الجمال) مجموعة تقارير حكومية حول نشاطات السيد جمال الدين كتبها جواسيس الدولة، وقد وقفت على أعداد هذه المجلة وخلاصة ما فيها هي:

في ربيع الثاني من عام ١٣٢٦ هـ اشتد الخلاف بين الثوريين المطالبين بالحرية ومحمد علي شاه القاجاري، فخاف الملك من البقاء في طهران فخرج منها يوم ٩ جمادى الأولى وسكن (باغ شاه) خارج العاصمة ومع خروج الملك اشتد تأزّم الوضع في العاصمة وحصلت معارك بين أنصار الملك والثوار. وازداد الوضع سوءاً إلى أن حسم الملك الوضع فأمر القائد الروسي (لياخوف) قائد قوات الحرس الروسي بتدمير عمارة البرلمان فضرب القائد في ٢٣ شهر جمادى الأولى من عام ١٣٢٦ العمارة بالمدفعية ودمّرها بعد معركةٍ دامية استمرت منذ الصباح حتى الغروب، وقاوم النواب لعدة ساعات في بناية المجلس وحاربوا بشجاعة لكنهم انهزموا أخيراً وهربوا من البوابة الشرقية للعمارة، ومن الفارين السيد جمال الدين وقد كان عاجزاً عن الجري لاصابته في احدى رجليه فمشى قليلاً في الشارع الخلفي لعمارة المسجد وكان بها منزل ميرزا حسن خان تفرشي فالتجأ إليه. وكان ميرزا حسن من المجاهدين والأحرار المثقفين وكان هو نفسه مستهدفاً فخاف على مصير السيد جمال الدين، وكان منزل اسد الله خان (قائد المدفعية) في جوار منزله وكان لهذا الرجل صلة قريبة وعلاقات عائلية مع العائلة المالكة، كما انه كان موالياً للثوار خفيةً، وهكذا تمكن السيد جمال الدين وميرزا حسن خان من الهرب بعد أن عبر إلى منزله، ولكن كانت المشكلة كيفية تهريب السيد جمال الدين إلى مدينة الري للالتجاء إلى زاوية عبد العظيم الحسني حيث كان ينوي السيد أن يمكث فترة في الري ثم يهاجر منها الى همذان عند صديقه حاكم المدينة ثم يهاجر من هناك الى العتبات المقدسة في العراق.

حيث انه بعد الهجوم على البرلمان بدأت القوات الحكومية باعتقال النواب والثوار فكانت الطرق المؤدية الى مدينة الري مقفلة تحرسها قوات الجيش، ولأجل تهريب السيد دبّر أسد الله خان تدبيراً حيث أمر خادمه المخلص الذي كان معروفاً بعدائه للثوار والأحرار بأن يُهيء عربته في منتصف الليل وألبس السيد ثيابه العسكرية وحلق جزءاً من لحيته ووضع على عينيه نظارةً سوداء ليخفي وجهه الحقيقي لأن السيد جمال كان في عينيه حولٌ، فركب السيد بهذه الهيئة والشكل العربة واتجهت به الى مدينة الري، وفي طريقه الى الري اعترضت العربة قوات الدولة ولكن حينما كانوا يشاهدون فيها أحد الجنرالات وقواد الدولة كانوا يفتحون لها الطريق فوصلت العربة الى الري سالمة حاملة معها السيد جمال الدين. وبمجرد أن وصل السيد الى الري ركب العربة التي تنقل البريد منها إلى مدينة قم واتجه بها صوب قم. فوصلت عربة البريد الى همذان ومعها السيد سالماً فاستأجر غرفةً في أحد خانات المدينة ليهيء نفسه استعداداً للقاء حاكم همذان الذي كان صديقه منذ القدم وهو مظفر المُلك، ولكن لسوء حظ السيد فانه كان قد رأى في عربة البريد التي اتجهت به صوب همذان حسين خادم مظفر الملك وكان حسين رأى السيد كثيراً عند مخدومه وكان يعرف حُب مخدومه للسيد، فأفشى السيد جمال الدين سرّ فراره للخادم وحينما وصلا الى همذان زعم الخادم انه يحمل خبراً مفرحاً لمخدومه وحينما دخل على مظفر الملك في مجلسه الذي كانت تحوطه حاشية من أركان الولاية والمناوئين للمشروطة والثوار فحينما أخبرهم حسين بالقضية وان السيد جمال الدين قد وصل الى همذان متخفياً وبهيئةٍ متنكرة وانه يقصد الفرار الى العتبات فنوح الجمع بانهم أخيراً عثروا على ضالّتهم وكلما حاول مظفر الملك أن يثنيهم عن عزمهم لم يتمكن، وكان من الحاضرين في المجلس اختيار الدولة الكاشي رئيس محطة البرق (التلغراف) في همذان فأبرق إلى طهران بالقضية وأحاطهم علماً بوصول السيد، فجاء الجواب لمظفر الملك حيث أمره الملك في برقية باعتقال السيد وأن يقتله كيفما شاء، وبعد وصول البرقية أجبر مظفر المُلك على اعتقال السيد فبعث حسن

خان سرهنك قائد جيش منطقة همذان يرافقه حسين الخادم الى الخان الذي كان السيد قد نزل فيه، فاعتقل السيد وأودع في اصطبل دار الحكومة مسجوناً. وفي منتصف الليل وحينما خلت دار الحكومة من عمال الحكومة زار مظفر الملك يرافقه ولده غلام رضا خان الذي كان يُعدّ من الأحرار وكان قد فرّ من طهران بعد الهجوم على البرلمان حيث كان أحد المدافعين عنه زارا السيد وقدموا له الاعتذار عن اعتقاله ثم أمر بنقل السيد إلى أحد غرف قصره الذي أعدّه للسيد وأوكل ولده غلام رضا بخدمته، وكان غلام رضا يحترم السيد ويكرّمه وكثيراً ما كان يركبه على حصانه ويخرج به الى متنزهات همذان أو يجمعه مع ثوار مدينة همذان وأحرارها في غرفته داخل القصر. وكان يحاول مظفر الملك أن يحصل على حكم براءة السيد لينقذه من الاعدام فاتصل بعلماء همذان المرتبطين مع الملك والبلاط ليحثوا الملك على اصدار عفوٍ عن السيد لكن امتنع بعضهم عن ذلك وخاف الآخرون، وفي نفس الفترة كتب رضا قلي ميرزا ابن مؤيد الدولة الى البلاط وأحاطهم علماً بأحداث همذان وان مظفر الملك يحترم السيد ويكرّمه ويحاول أن ينقذه، وبعد وصول كتاب رضا قلي الى طهران وصلت برقية مستعجلة الى مظفر الملك يأمره باعدام السيد فوراً، فامتنع مظفر الملك عن تنفيذ الاعدام وكتب الى العاصمة بأن الناس في همذان لو علموا باعدام السيد لهجموا على دار الحكومة وحصل شغب وهيجان عظيمان لا تحمد عقباهما وطلب منهم أن ينفذ الحكم حاكم بروجرد ـ المدينة القريبة من همذان ـ وهو أمير أفخم، فأبرقت العاصمة إلى أمير أفخم بأن يستلم السيد ويعدمه وكان أمير أفخم من الحكّام الفاسدين، الظالمين، المتجبّرين وقد جمع أموالاً كثيرة وكان يرتبط مع البلاط الملكي بعلاقات مصاهرة حيث أن ولده احتشام الدولة كان صهر الملك مظفر الدين شاه القاجاري. وبعد أن استلم أمير أفخم البرقية طلب من شير محمد خان وهو أحد زعماء العشائر اللور في المنطقة بأن يصحب معه خمسين فارساً إلى همذان ليستلم السيد من مظفر الملك ويحاول أن يعدمه في الطريق وكان احتشام الملك يمتلك قصراً وحدائق جميلة في قرية شورين القريبة من همذان فيصحب حاكم همذان السيد معه إلى شورين حيث كان شير محمد خان وجنوده ينتظرون وصول السيد ليعتقلوه، فوصل الحاكم وبرفقته السيد قصر احتشام الملك وبعد فترة قصيرة خرج مظفر الملك لحاجةٍ من عند السيد ولم يعد اليه وهكذا قبض الجنود على السيد وأركبوه على حصانٍ وربطوا رجليه ويديه وتحركوا به صوب مدينة بروجرد، فوزع احتشام الملك على شير محمد خان وجنوده الليرات الذهبية وطلب منهم التخلص من السيد عند ابتعادهم عن همذان، وتحركت القافلة صوب بروجرد وفي منتصف الليلة الأولى أمر شير محمد خان أحد جنوده بأن يخنق السيد في منتصف الليل وبدأ الجندي يراقب السيد الذي توجه إلى سجادته وبدأ الصلاة والمناجاة مع الله تعالى، وعند ذاك ندم الجندي وأعلن لشير محمد خان امتناعه عن أن يلوث يديه بدم السيد، وفي الليلة الثانية أمر شير محمد خان ثلاثة من جنوده بأن يستعدوا للانقاض على السيد وقتله ولكنهم شاهدوا من السيد الصلاة وتلاوة القرآن بحيث تراجعوا عن ارتكاب الجريمة كما شاهد شير محمد خان نفسه صلاة السيد وتأثر تأثراً شديداً ودمعت عيناه ووقع على يدي السيد فقبّلها وطلب منه أن يرضى عنه وعرض عليه أن يفرّ به إلى العتبات في العراق، ولكن السيد رفض آملاً أن تتوسط قمر السلطنة بنت مظفر الدين شاه القاجاري وزوجة احتشام الدولة عند الملك، وكانت هذه المرأة معروفة بصلاحها وتقواها، وهكذا اقتيد السيد الى بروجرد وسمعت قمر السلطنة بما جرى على السيد فأبرقت برقيتين الى محمد علي شاه القاجاري طالبة منه العفو للسيد فلم يرد الملك على البرقيتين، بل أمر وزيره مشير السلطنة أن يبرق لحاكم بروجرد ان يسرع في اعدام السيد وحينما وصلت البرقية إلى الحاكم صمم على قتل السيد فتوعدته قمر السلطنة بالويل والثبور في الدنيا والآخرة فوعدها الحاكم كذباً بأن لا يتعرض للسيد بسوء، ثم دبر الحاكم مكيدة ليبعد قمر السلطنة عن بروجرد فطلب الحاكم من الأمير أمنع الجولاني أن يستضيف قمر السلطنة في قصره بجولان الواقعة على بعد أربعة فراسخ من بروجرد، وحينما ذهبت قمر السلطنة برفقة الحاكم الى جولان أمر الحاكم أحد جلاوزته واسمه أسد أن يخنق السيد فاستعان أسد باثنين من الجنود وخنقوا السيد بالحبل ودفنوا جثته قُبيل الفجر[1].

كان عمر السيد حينما مات ٤٨ سنة ومدفنه مدينة بروجرد وعليه بناء أبيض وخلف أربعة أولاد وبنت واحدة. كان مؤلفاً قديراً وخطيباً ماهراً يجذب الناس الى حديثه وأقواله، له مقالات في مجلة (حبل المتين) وجريدة (مظفري) كان كثير المطالعة للكتب القديمة والمؤلفات الحديثة.

لم يسافر خارج ايران الا مرة واحدة حيث سافر الى العراق عن طريق شيراز ثم بوشهر ثم البصرة ثم وصل الى العتبات المقدسة في النجف وكربلا.

ابنه الأكبر (محمد علي جمال زاده) من أشهر الكتّاب الايرانيين الساكنين في أوروبا، وقد هاجر إلى بيروت أولاً وعمره ١٥ سنة درس هناك في مدرسة الآباء اليسوعيين (لازاريست) ثم ذهب الى فرنسا وأخيراً سكن سويسرا وله كتب وقصص كثيرة ترجمت الى اللغات العالمية.

السيد جواد زيني:

ولد سنة ١١٧٥ وتوفي سنة ١٢٤٧.

مرت ترجمته في موضعها من (الاعيان) ونضيف اليها هنا ما يلي مكتوباً بقلم الاستاذ عبد الحميد الراضي:

لعل من يدرس هذا الشاعر يقف طويلاً عند ظاهرة غريبة في شعره تلك هي ظاهرة الهجاء اللاذع المقذع الذي قد ينحط الى درك البذاء والفحش في بعض الاحيان، ولم يكن الهجاء بحد ذاته ظاهرة غريبة وان كان مقذعاً أو بذيئاً، فهو باب من أبواب الشعر وموضوع من موضوعاته، ولون من الوان البيان الفني، تعاطاه الشعراء في مختلف عصور الادب، ولا يكاد يخلو منه ديوان شعر، غير أن لشاعرنا الجواد من ظروف نشأته وطبيعة ثقافته، وسلوكه الشخصي في حياته ما كان كفيلاً أن يسمو به ويحول دون هذا الاندفاع، فهو من اسرة حسنية عريقة عرفت بالتقوى واشتهرت بالعلم والادب، فأبوه السيد محمد زيني من أعلام عصره فقها وأدبا وورعا، وجده لامه السيد أحمد الحسني الشهير بالعطار من أئمة الفقهاء وأكابر الشعراء معروف في

---

(١) اقبال يغمائي.

عصره بالورع حتى نسبت له بعض الكرامات، وقد نشأ الجواد بين رعاية هذا الوالد البر وتوجيه ذلك الجد الورع نشأةً علمية دينية، وكان في سلوكه الشخصي قد نزع الى التصوف وارتدى الملابس السود حتى لقب بـ(سياه بوش) أي لابس السواد ولزمه هذا اللقب الى ما بعد وفاته فلا يكاد يعرف بغيره، ومن هنا كان هذا اللون من الهجاء في شعره ظاهرة غريبة تستوقف الدارس طويلاً.

كان شاعرنا الجواد في غمرة الصراع الذي احتدم بين الاصوليين والاخباريين قد أخذ بالطريقة الاخبارية، وتعصب لها، وخاصم وخوصم من أجلها، فقد تلمذ على شيخ الاخباريين يوم ذاك الميرزا محمد الاخباري الذي قتل في الكاظمية سنة ١٢٣٣هـ، وقرأ عليه كتابه (ذخيرة الاحباب) المعروف بـ(دوائر العلوم) والذي نسخه الشاعر بخطه وصححه على مؤلفه، وأخذ اجازته منه، وبعد أن خضدت شوكة الاخباريين، وظهرت عليهم طريقة الاصوليين التي حمل لواءها الشيخ محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني لقي الجواد ـ كما لقي أمثاله ـ جفاء من رجال الدين، وعنتا من العامة فدفعه ذلك الى شيء من التمرد والجموح في السلوك، وهنا تكمن بواعث هذا الهجاء ودواعيه، فالهجاء سلاح الشاعر وعدته في خصوماته وملاحاته، وقد تصدى الجواد بهذا السلاح لخصومه، ولم يسلم منه حتى الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، يقول المحقق الطهراني: «رأيت مجموعة جمع فيها شعره وشعر بعض معاصريه فيها الطعن على أساطين الشريعة كالشيخ الاكبر وغيره، وفيها هجاء مقذع أعاذنا الله منه وتجاوز الله عنه».

وقصيدته في هجاء بيوتات بغداد المعروفة آنذاك لا يزال صداها يتردد فيما يحفظه الناس من أبياتها، وأكثر ما كان يصدر عنه هذا الهجاء أثر حادث جدال أو مشادة بينه وبين خصومه الاصوليين، من ذلك قصيدته الجيمية التي تمثل هذا اللون من شعره، انما نظمها ـ كما يقول ـ أثر مشاجرة له مع بعض أعلام أهل زمانه قال فيها:

فكم حشري أحمق متشرّع
بشرعة أهل الظن ضلّ كحجّاج
بغى باجتهاد فارتأى بحقوقنا
وأنسج دعوى حقه اي انساج
عمٍ وهو لا يدري ويزعم أنه
عليم، وحاشا ليس كالهالك الناجي
فلا زلت أهجو امة الظن معشراً
أبى الله الا أن أكون لها الهاجي
خوارج فاقوا في عمى فدعوتهم
بأجناد ابليس فهاموا باخراجي

على انه بدأ هذه القصيدة بلون من الفخر عليه طابع التعالي والغلو حيث قال:

انا الحق لا ما يدعيه ابن حلاّج
أنا البحر سار العالمون بأمواجي
أنا العلم والنور القديم أنا النهى
لعرش والكرسي نورا بابهاجي
أنا الآية العظمى أنا العقل والحجى
أنا الفلك الاعلى سموت بأبراجي
أنا ابن رسول الله وابن وصيه
علي أبي السبطين زين بهم ناجي
بلغت الى معراج أسرار حكمة الـ
أعاظم أشياخي ولله معراجي
سريت بعز الله أسمو الى العلا
بتحقيق نهج الحق سيري وادلاجي

وأحسب ان هذا اللون من الفخر من وادي ذلك الهجاء، والبواعث نفسها هي تلك البواعث، ونكتفي هنا بهذه القصيدة مثلاً لأهاجيه الكثيرة، وفخره الموغل في الغلو. ولعل من غلوه في الفخر تلقيبه نفسه بالامير السجاعي، على اني لم أتبين ما السجاعي أهي بالسين المهملة من السجع أم بالشين المعجمة من الشجاعة، والامير هي الاخرى في حاجة الى تبيين، على من كان الرجل أميراً، وفي أي مضمار كانت هذه الامرة. ثم استمع اليه في تقديمه لمقطوعة من شعره بعث بها الى الشيخ عبد الباقي جلبي كاتب العربية في بغداد مهنئاً له بحكومته في الحلة الفيحاء، يقول:

«بايعَ المؤلفَ سنة ١٢٣١هـ ثم نكث البيعة اياماً، ومال الى البرانجة، وارتد، ثم بايع بعدها، والله اعلم بحاله الان...»، وهذه البيعة هي ثالثة الاثافي في الغموض اهي بيعة خلافة ام بيعة اهل التصوف ام ماذا؟ وقد اشار الى مثل هذه البيعة ايضاً في تقديمه لقصيدته النونية في رثاء الشيخ محسن الاعسم، فقد قال عنه: «كان من المحبين المخلصين للناظم (يعني نفسه) مبايعاً لحضرة علاه، ولم يزل في أيام حياته اذا تكلم أحد على المؤلف الناظم من الخوارج مما هم أحرى به دفع وذب عنه حماية لدين خاتم النبيين وأولاده المنتخبين سلام الله عليهم أجمعين».

وفي القصيدة السابقة بعد ذلك لمسة صوفية قوية، وشاعرنا كما قلنا نزاع الى التصوف في تفكيره وسيرته، وما يدرينا لعل هذا المنحى في التفكير والسلوك هو الآخر كان صدى لما لقيه من جفاء معاصريه وخصومة مناوئيه، شاعرنا متصوف بلا ريب فهو لا يذكر أحد الصوفية الا بقوله «اخونا» وقد عارض كافية ابن الفارض المعروفة فقال:

حيِّ منا الحشا بطيب شذاكا
واسكن القلب انه مغناكا
عد على وامق بحبك مضنى
سقمه منك برؤه من لماكا
تهت في الحسن والملاحة دلا
وتركت الورى حيارى هواكا
فاز قبلي ابن فارض وبسبق
فاقني حيث فاز في مرآكا
فامنح القرب واكشف الحجب عنا
وصل الصب وأهمل النساكا
كل عضو مني بحبك حي
نصب عيني انّي أميل أراكا

كـل صـقـع أنـار لي مـن سـنـاكـا
ظـاهـري بـاطـني مـعـاً مـأواكـا

كذلك له تائية مطولة يباري بها تائية ابن الفارض الكبرى، منها:

فـتى فـارض لم يُبقِ في الـقـوس منـزعـا
ولـكـنـه مـا نـال بـعض فـضـيـلتي
نـبـغـت بـعـلم المرسلين ومحـتـدى
لـسـيـدهـم يـنـمـى وبـالـله عـصـمـتي
خـلقـنـا ولا طـين ولا مـاء كـائـن
لآدم في ابـداع سر الهـويـة

ومنها:

مـنـحـتـك عـلماً ان تُـرد كـشـفـه فـردْ
سـبـيـلي واشرع في اتـبـاع شريـعـتي

ويقول في الرد على خصومه الاصوليين:

فـقـل لـبـني الحـسـبـان لا تحـسـدونـنـا
عـلى مـا حـبـانـا ربـنـا بـالـعـطـيـة
خـفـافـيش ادراك الـظـنـون ضـعـيـفـة
لـدى صـنـع نـور الحضرة الاقـدسـيـة
قـضـيـتـم بـسـد الـبـاب والـله رافـع
لـنـا عـلم الاسـلام يـا شر عـصـبـة
فـشـتـان بـين الانـفـتـاح وقـائـل
بـآراء ظـلـتـه لـتـيـهٍ وظـلـمـة

وشعر الجواد في هذه الفنون الثلاثة الهجاء والفخر والتصوف كثير جداً تزخر به مجاميعه الخطية، وهو كثيراً ما يجمع بين هذه الفنون في القصيدة الواحدة كما رأيت وهذا مما حملنا على الاعتقاد بأن بواعثها ودواعيها جميعاً واحدة كما قلنا، وأنها أثر من آثار تلك الخصومة الحادة بينه وبين الاصوليين، ورد فعل لما لقي من جفاء معاصريه، ذلك الجفاء الذي لاحقه حتى بعد موته حيث نستمع الى مثل صاحب الحصون المنيعة يقول فيه: «فهو من الطالحين الذين يفوّض أمرهم الى جده سيد المرسلين بموجب الخبر الصحيح اليقين».

وهذه العقدة التي ولدتها تلك الخصومة مع الاصوليين هي التي حملته أن ينسُب الى بعض أعلامهم التراجع الى طريقة الاخباريين دون سند أو دليل، فقد قال عن جده السيد أحمد العطار بعد أن اطراه وعدد مؤلفاته، قال: «وقد رجع عما كان عليه من طريقة الاصوليين الى طريقة الاخباريين، وقال في كتابه «التحقيق» أصحابنا الاخباريين».

ومدرك الاستنتاج هنا كما ترى في منتهى التهافت والضعف، فكتاب التحقيق منه جزآن في اصول الفقه، وقد نحا المؤلف في منهج بحثه منحى الاصوليين، فاذا عبر في سياق مثل هذا البحث عن الاخباريين بـ«أصحابنا» فأي دلالة في ذلك على عدوله الى طريقتهم.

ومثل هذا ايضاً قال عن الشيخ محسن الأعسم حين رثاه بقصيدته النونية فقد قدم لها يقول: «انه لم يرثه الا بعد أن تبين له رجوعه الى الطريقة الاخبارية».

وقد أشرت في «السبائك» الى طبيعة الهجاء عند هذا الشاعر والعوامل التي أدت اليه فقلت هناك:

وفي سـبـيـل الـسـنّـة الـرشـيـدة
وفي سـبـيـل الـفـكـر والـعـقـيـدة
عـانى مـن الخـصـوم كـل ضر
وهـذه محـنـة كـل حـر
حـتى اذا داعـي المـهـاجـاة دعـا
أقـذع في هـجـائـه مـا أقـذعـا
فـلو سـمـعـت هـجـوه المـريـرا
حـسـبـتـه الاخـطل أو جـريـرا

وعلى الرغم من تمرد الجواد وجموحه وتعصبه لرأيه، وما تبع ذلك من أهاجيه للناس وتعاليه عليهم وجفاء الناس له. . . فقد كان له أصدقاء خلصاء واخلاء أصفياء من أهل العلم والادب الذين كانوا أوسع آفاقاً من أن يضيقوا بمخالف في رأي أو عقيدة، فقد رووا أدبه وعلمه ورفعوه الى المكانة اللائقة، أمثال آل النحوي: الشيخ أحمد وولديه الرضا والهادي، وآل الحسني الشهيرين بآل العطار، وكثير غيرهم ممن جرت بينه وبينهم مطارحات أدبية ومساجلات شعرية تدل على ود عميق وتقدير صادق، وقد حفظ التاريخ شيئاً منها عبر السنين الطوال، ولا بأس من عرض بعض ذلك على سبيل المثال:

ارسل الجواد الى السيد أحمد الحسني العطار رسالة صدرها بأربعة أبيات، فخمّسها السيد وأرسلها اليه ضمن الجواب، وهذه هي الابيات مع التخميس:

نحـن الـيـكـم حـيـث كـنـتـم جـوارحـي
وتـطـوي عـلى جمـر الـفـراق جـوانـحـي
وهـا أنـا مـن بـرح بـكـم غـير بـارح
أحمّـل شـكـوى شـوقـكـم كـل نـازح
وأسأل عن أخباركم كل قادم
سـلوا قـلبـكـم عـن حـال قـلب محـبـكـم
فـذلـكـمُ أدرى بـأحـوال صـبـكـم
أهـيـم اشـتـيـاقـاً كـل يـوم لـقـربـكـم
واسـتـقـبـل الـنـوق الـلواتي بـركـبـكـم
سرين وأهوي لاثماً للمناسم
اعـلل نـفـسي بـالـلوى فـالمحـصـب
وأنـتـم مـنى قـلـبي وغـايـة مـطلبي
ولـولاكـم مـا كـنـت ممـا ألمّ بي
اهش لمـا مـن حمـاك مـقـطـب
وابكي لبرق من جنابك باسم
وارقـب طـرف الـنـجـم فـيـكـم اذا سـجـا
فـازداد مـن فـرط الـغـرام بـكـم شـجـى
ويـوحـشـني الـلـيـل الـبـهـيـم اذا دجـا
ويـؤنـسـني سـجـع الحـمـائـم في الـدجـى
جزى الله خيراً ساجعات الحمائم

ومن ذلك أن الشيخ محمد رضا النحوي انشد قصيدة في مدح السيد عيسى السيد مصطفى الحسني العطار اولها:

أيـا ابـن المـصـطفـى وابـاه يـا مـن
تـقـمص وارتـدى قـمص المـعـالي

الى ان وصل الى قوله:

....

تـقـاعس دونـه حـالي ومـالي

فانبرى الجواد قائلاً: هذا مصراع ركيك في النظم جدا، وكان السيد باقر ابن السيد ابراهيم الشاعر المعروف حاضراً فقال: وما كان يقتضي أن يقول الناظم، فقال الجواد مخاطباً اياه:

امـا وابـيـك انـت رفـيـع قـدر
تـقـاعسُ دونـه هـمـم الـرجـال

فاعجب السيد الباقر بهذا النقد، وارتجل القصيدة التالية في مدح شاعرنا الجواد:

لـعـمـرك أنـت نـادرة الـكـمال
وانـك فـرع اغـصـان المـعـالي
وانـت وحـيـد هـذا الـعصر، لا بـل
فـريـد الـدهـر مـفـقـود المـثـال
وانـت جـواد حـلـبـة كـل فـضـل
بـمـيـدان الـفـصـاحـة والـكـمال
اتـيـت بـدر نـظـم قـد تـسـامـى
بـرقـتـه عـلى الـسـحـر الحـلال
ارق مـن الـصـبـا لـطـفـاً واحـلى
لـدى الـظـمـآن مـن مـاءٍ زلال
وكـيـف .وانـت بـحـر لا يجـارى
وشـأن الـبـحـر يـسـمـح بـاللآلي
وكـم لـك مـن يـد في الـشـعـر طـولى
تـديـن لهـا ذوو الـسـبـع الـطـوال
وكـنـت بهـا لـدى الادبـاء طـراً
حمـيـد الـذكـر محـمـود الخـلال
فـيـا لـله مـن نـظـم بـديـع
بـعـقـد حـلاه جـيـد الـفـضـل حـالي
فـلا عـجـب فـانـك مـن كـرام
بهـم فـخـر الأواخـر والأوالي
ودان لـفـضـلـهـم كـل، وغـالى
بمـدحـهـم المـعـادي والمـوالـيـة
فـلا بـرحـت بـك الايـام تـزهـو
كـزهـو الـبـدر في غـسـق الـلـيـالي

وكان أشد اولئك الادباء الاصفياء صلة بشاعرنا وقربا من قلبه السيد حسن الشاعر الشهير بالاصم، فما جرى بينهما من هذه المطارحات الادبية كثير جداً وهوينم عن ود خالص عميق متبادل بين الشاعرين.

كان السيد الاصم حسن الصوت ينشد الشعر فيضفي عليه روعة، ويزيده تأثيراً وكان الجواد يعجب بانشاده أشد الاعجاب، فمدحه بقصيدة اشار فيها الى هذه الموهبة، وعرّض بالمتزمتين الذين لا يميزون بين انشاد الشعر والترنم به وبين الغناء، وهذا بعض ابيات القصيدة:

يـا صـاح حُسنُ الـصـوت بـالحسن انـتـهـى
والـفـضـل مـنـه تجـاوز المـقـدارا
وكـذا حـسـن الخـلق والاخـلاق والـ(
وصـف الحـمـيـد سـما بـه مـقـدارا
فـاق الـقـماقـم فـاخـراً عـن فـاخـر
وعـلاهـم نـسـبـا وسـاد نـجـارا

والقصيدة زهاء اثنين وأربعين بيتاً، وقد أجابه السيد الاصم على وزن قصيدته ورويها قال:

بـزغـت شـمـوس تخـطف الابـصـارا
لـيـلاً فـصـيرت المـسـاء نهارا
أم ذى بـدور ام صـبـاح قـد بـدا
أم نـور قـدس لـلـعـيـون انـارا
أم ذى نـجـوم في سـماء الـطـرس قـد
سـطـعـت فـحـير وشـيـهـا الافـكـارا

* * *

وهي قرابة خمسة وأربعين بيتاً.

ويخمس السيد الاصم بيتين للقدماء فيباريه الجواد بهذا التخميس، قال السيد الاصم:

اذا مـا رمـاك الـدهـر في حـادث جـلل
تجـلد ومـن مـولاك لا تـقـطـع الأمـل
فـان كـنـت من طـلاب فـضـل ذوي الـدول
سـل الفضـل أهـل الفضـل قـدمـاً ولا تسـل
غلاما ربى بالفقر حتى تموّلا
فـدنـيـاه عـنـد الـشـيـب حنّـت بـبرهـا
عـلـيـه ووشـتـه بـجـلـبـاب زهـرهـا
ومـن تـسـقـه الايـام مـن در فـقـرهـا
فـلو مـلك الـدنـيـا جمـيـعـا بـأسرهـا
تذكّره الأيام ما كان أولا

فقال الجواد:

جـديـد الـغـنى لا يـرتجـى قط في أمـل
فـذره ولا تـسـألـه فـضـلا وان بـذل
فيـا جـاهـلاً ان سـامـك الضـيم والـوجـل
سـل الفضـل أهـل الفضـل قـدمـا ولا تسـل
غلاما ربى بالفقر حتى تموّلا
لـقـد فـتـكـت فـيـه الـلـيـالي بـزجـرهـا
زمـانـاً وأضـنـتـه بـأسـهـم غـدرهـا
فـكـيـف تـرى يـنسى نـوائـب قـهـرهـا
فـلو مـلك الـدنـيـا جمـيـعـاً بـأسرهـا
تذكره الايام ما كان أولا

وقد يدخل في نطاق المطارحات قصيدته النونية التي قرّظ بها قصيدة الشاعر حسن بن عبد الباقي العمريْ الموصلي في مدح الامام الحسين (عليه السلام)، والتي أولها:

قد فرشنا لوطء تلك النياق
ساهرات كليلة الاحداق

قال المقرظ:

الا يا ذوي الافضال والفهم والفطن
ويا مالكي رق الفصاحة واللسن
خذوا للاديب الموصلي قصيدة
بدر المعالي قلدت جيد ذا الزمن
تسير بها الركبان شرقا ومغربا
فتبلغها مصرا وشاما الى عدن
علت في مديح الآل قدراً وقيمة
فأنى لمستام يوفّي لها الثمن

وهي أربعة وعشرون بيتاً جاء في آخرها:

فلا زلت في برد الفصاحة رافلاً
وشانيك يكسى حلة العي واللكن

هذا وقد أطراه مترجموه وأثنوا عليه في أدبه وفضله كالشيخ السماوي في الطليعة، والشيخ النقدي في الروض النضير، والمحقق الطهراني في الكرام البررة، وعصام الدين العمري في الروض النضر، والسيد الامين في أعيان الشيعة، والخاقاني في شعراء الغري، حتى صاحب الحصون المنيعة لم يبخل عليه بكلمة ثناء.

وشعر السيد جواد متوسط الجودة، وقد يسمو بعضه فيروعك ويهزك، وأكثره دون هذا المستوى، واذا راعينا الفترة التي عاش فيها فترة الركود الادبي أعطيناه حقه من الاعجاب والتقدير، وتوجد نسخة من ديوانه في كربلاء عند السيد عيسى البزاز السندي، على ما حكاه المحقق الطهراني في الذريعة.

دوحة الانوار
في ذكر الفريد من الاشعار

هذا السفر من مؤلفات شاعرنا الجواد ضمنه كثيراً من شعره وشعر معاصريه وطرفاً من أشعار القدماء، ويقع في أكثر من جزء واحد، وجدت صاحبه في مجموعاته الاخرى يشير الى الجزء الثالث منه، فقد يذكر أبياتاً من قصيدة ثم يعقب فيقول: «وقد ذكرت جميع أبياتها في الجزء الثالث من دوحة الانوار. . .».

وقد رأيت الجزء الاول من هذا الكتاب بخط المؤلف في مكتبة السيد الحكيم العامة، في النجف الاشرف، وقد جاء في الصفحة الاولى منه:

«هذا المجلد الاول من الكتاب المجموع المسمى بكتاب دوحة الانوار في ذكر الفريد من الاشعار تأليف راقمه محمد الملقب بالجواد بن محمد بن زين الدين الحسني الحسيني الامير سجاعي قد رتبه لبعض اخوان الصفا سنة ١٢٣٥هـ. . . .».

ويشير المؤلف في المقدمة الى انه لم يذكر في كتابه هذا من ردىء النظم شيئاً الا ما كان من نظم والده السيد محمد زيني وجده لامه السيد أحمد الحسني العطار لحبه لهما وانتسابه اليهما فقد ذكر جميع ما نظموه من الغث والسمين ولم ينتخبه كما عمل في شعر غيرهم من الادباء. . .

وتجد وصفا لهذا الكتاب في الجزء الثامن من الذريعة للمحقق الطهراني، وفي الحلقة الاولى «من نوادر مخطوطات مكتبة السيد الحكيم العامة» المطبوع سنة ١٩٦٢م ويلاحظ ان ما جاء في هذه الحلقة من ان الجواد حفيد السيد أحمد الحسني العطار ليس بدقيق لانه سبطه لا حفيده فالسيد أحمد جده لامه وليس جده لابيه.

مجموعة اخرى للجواد

وهذه المجموعة في مكتبة السيد محمد الحسني البغدادي في النجف الاشرف، وهي بخط المؤلف ايضاً، جاء في الصفحة الاولى منها ما نصه: «مجموعة بخط السيد جواد بن السيد محمد الزيني الحسني كتبها لمحمد صالح بك ابن أحمد أغا والي بغداد» وتجد لهذه المجموعة وصفاً مفصلاً في كتاب «مخطوطات مكتبة السيد محمد الحسني البغدادي» للاستاذ محمد هادي الاميني، وقد ضمنها المؤلف كثيراً من شعره وشعر أبيه وجده وبعض معاصريه كما اشتملت على مختارات للشريف الرضي ومهيار وغيرهما من القدماء، ومن هنا جاءت كبيرة الشبه بدوحة الانوار حتى ظن الاستاذ الاميني انها هي الدوحة فقال: «وهذه المجموعة هي التي تعرف بـ«دوحة الافكار» وقد حدثتك عنها على صفحات كتابي (من نوادر مخطوطات مكتبة السيد الحكيم العامة ص ١٠٨، غير ان النسخة هذه بخط المؤلف نفسه». وليس الامر كما قال فكثيراً ما نجد المؤلف في هذه المجموعة يحيل الى الدوحة كأن يذكر أبياتاً من قصيدة ثم يقول: وهذا المختصر لا يتسع لها وقد ذكرتها في جزء كذا من كتابي دوحة الانوار، وشيء آخر ينبغي أن انبه اليه وهو ان قول الاستاذ الاميني: «غير ان النسخة هذه بخط المؤلف نفسه» يوحي بأن النسخة الثانية ليست بخطه، والواقع ان النسختين جميعاً بخط واحد هو خط المؤلف كما يؤيد ذلك ما جاء في مقدمة النسختين. وفي هذه المجموعة كما في الدوحة كثير من الشعر الفارسي، وفيهما شعر معرب عن الفارسية للمؤلف ولوالده السيد محمد.

والسيد الجواد شديد الاعجاب بوالده كما يظهر في هاتين المجموعتين فانه لم يذكره الا واضفى عليه أفخم الالقاب وأعلى الصفات، قال في مقدمة الدوحة:

«وقد جعلتها متوجة بنبذة من شعر سيد علماء الدوران، وفريد هذا العصر والاوان، سؤدد جهابذة العلماء الاكملين ومصقع أساتذة البلغاء والفصحاء المهذبين، وأمام المحدثين السيد السند المسدد الوالد المجد. . .». وفي موضع آخر من الدوحة يذكر تخميس والده لبائية ابن الخياط:

«خذا من صبا نجد أمانا لقلبه».

وبعد ذلك يذكر تخميس الشيخ محمد رضا النحوي لهذه الابيات ويعقب عليها فيقول: حيث أوردنا تخميس الوالد لهذه الابيات وانه في حد الاعجاز والغرابة في النظم أوردنا هنا تخميس الشيخ النحوي ليعرف مقدار ما سمّطه الوالد المبرور لان مقدار النور لا يعرف الا بعد وجود الظلمة فيكون له التجلي والظهور». ويذكر في موضع آخر أبياتاً غزلية لوالده باللغة الفارسية، ويعقب عليها بقوله: «وقد تلي هذا الغزل على المولى لطف علي بك صاحب كتاب تذكرة الشعر بالفارسية المسمى بـ«آتشكده» فلما أخبر انه من نظم عالم سيد من علماء العرب، قال والله وبالله وتالله ان هذا الشاعر الذي كماله بلفظ الفارسية بهذا الحد والنفس العالي، ليس بعربي ولا جالس العرب ولا رآهم. . .».

وتدعو المناسبة هنا أن نذكر قصيدته في رثاء والده وتاريخ عام وفاته، وقد كتبها على قبره، قال:

من بالحياة المهنّى
ومدرك ما تمنّى
والبين رامٍ غشوم
كم قد أصاب وثنّى
ويلاه من جور دهر
أعطى ومنّ فمنّا
كم شنّ غارة غدرٍ
تغادر الجسم شنّا
أودى بطود علوم
قد هدّ في الدين ركنا
أودى بخير البرايا
في حسن خلق وحسنى
مَن فقده اليوم أمسى
في ملة الخلق وهنا
مِن بعده اللفظ أضحى
كاللفظ من غير معنى
أودى الودود أبونا
والحزن قد نال منا
أودى الشفيق فأرخ
«محمد غاب عنا»
١٢١٦

هذا ولا بأس بعرض نماذج اخرى من شعره ختاماً لهذه الكلمة، قال معرباً لابيات فارسية:

بغية صادفت شيخاً فعنفها
قالت له مقولا أبدى مساويه
ان الذي هو معروف ومتضح
من ظاهري، باطني صدقا مساويه

هل أنت يا ذاالعلا ممن سريرته انطوت على ظاهر أضحى يرى فيه.

والابيات الفارسية هذه للخيام، وقد عربها السيد أحمد الصافي النجفي فقال:

قال شيخ لمومس أنت سكرى
كل آن بصاحب لك وجد
فأجابت اني كما قلت لكن
أنت حقا كما لدى الناس تبدو

وللجواد معرباً عن الفارسية ايضاً:

لو أن كل حرام كالمدام به
سكر، لبان صريحاً من هو الصاحي

وقال مخمساً البيت المشهور وهو من شواهد النحاة، وقد نحا فيه نحو التصوف:

لقد أولاني الباري محلا
وبلغني من التوحيد فضلا
مضى عصر الشباب وصرت كهلا
فساغ لي الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص بالماء الفرات

ومما اختاره له جده السيد أحمد العطار في «الرائق» هذه الابيات يذكر فيها آية انشقاق القمر، ورد الشمس، وقد أثنى على الابيات كثيرا.

أعظم ببدرين بصقع الهدى
نورهما أشرق للنيرين
لولاهما ما فلك دار، أو
نجم سماء سار في الخافقين
لم يدرك العقل لمرقاهما
كماً ولا كيفاً ولا قط أين
ماذا يقول ناطق في الثنا
ان رام عد الفضل في فرقدين
البدر والشمس بظليهما
رقّان مملوكان في النشأتين
هما سراجان ببيتيهما
كانا لعمري لهما آيتين
ان شُق فرد منهما مرة
لواحد من ذينك النيرين
فانما الآخر في أوجه
قد رد للاخر في موضعين(1)

الحاج الميرزا حبيب الخراساني بن محمد هاشم

من كبار العارفين والشعراء في العصر القاجاري. ولد في مشهد في يوم الاحد الموافق للتاسع من جمادى الاولى عام ١٢٦٦هـ. وتوفي ابوه عام ١٢٦٩هـ فعاش تحت رعاية عمه الحاج الميرزا حسن المشير الذي تزوج من امه، ودرس مقدمات علم عصره، وينقل عن حدة ذكائه وقوة ذاكرته انه كان يحفظ في سن الخامسة عشرة عدة الآف من الابيات الشعرية باللغتين العربية والفارسية، ويذكر مفردات معجم الفيروزآبادي عن ظهر قلب ويدرس مغني اللبيب وشرح المطول للتفتازاني مستعيناً بذاكرته، وكان يستفيد من دروس زوج اخته المرحوم الحاج الميرزا نصر الله الذي كان من كبار علماء خراسان.

سافر الى العتبات المقدسة في العراق، واستمر بطلب العلم في النجف والكاظمية وبغداد، مستفيداً من المجالس العلمية والمحافل الادبية والحوزات العلمية في تلك المدن، وعاشر العارفين والصوفيين من كل طريقة، واقتطف من ثمارهم جميعاً.

ومن الثمار التي اكتسبها في سفرته تلك تعلمه للغة الفرنسية، مما دعاه الى ترجمة كتاب (تلماك فنلون) من الفرنسية الى الفارسية، وقد شاهد هذه الترجمة الحاج سياح المحلاتي اثناء سفره الى خراسان ويقال ان ترجمته فقدت ضمن الكتب والاوراق التي فقدت من مكتبته.

استفاد الميرزا حبيب الخراساني كثيراً في سامراء من دروس الميرزا

(1) عبد الحميد الراضي.

لحسن الشيرازي، ونال اعجاب رفاقه في تلك الدروس، وبعد اربع سنوات من الدراسة عاد من العراق الى خراسان، حيث استقبل فيها استقبالاً حافلاً واشتغل برئاسة الامور الدينية وامامة الجماعة والتدريس. وبعد زواجه من السيدة عالم ابنة الميرزا طاهر متولي مسجد گوهرشاد غادر مشهد متوجهاً الى حج بيت الله الحرام.

وفي طريق عودته مكث في العراق اربع سنوات اخرى حيث استفاد خلالها من دروس الميرزا حبيب الله الرشتي وفاضل الدربندي، وكان يستفيد في اوقات الصيف من دروس الميرزا حسن الشيرازي في سامراء، ثم عاد بعد ذلك الى مشهد عام ١٢٩٩هـ وبقي فيها حتى آخر حياته، وكان يؤمن معيشته من خلال احيائه لارض كانت ملكاً موروثاً لعائلته تسمى بحر آباد على بعد فرسخ واحد عن المدينة، كانت بوراً قبل ذلك. وخلال الفترة الممتدة من بداية الربيع حتى نهاية الخريف كان يتحين الفرص فيذهب عصراً الى مزرعته، ويعود صباحاً الى المدينة لمتابعة شؤون الناس والبت في امورهم. واستطاع خلال هذه الفرص ان يعمر ارضه ويحدث فيها قناة ومنازل للفلاحين وحماماً ومسجداً، وجنى من اشجارها ثماراً كثيرة وطوال تلك الفترة كان موضع احترام الناس ومرجعاً لهم في البت بامورهم وطلباتهم. حتى التقى ذات يوم في بحرآباد بالعارف المشهور السيد ابو القاسم الدرگزي فأثر بعدها اعتزال الناس، فكان يمضي فصل الشتاء في مشهد وباقي ايام السنة في بحرآباد. واستمرت فترة عزلته عشر سنوات، ومن فضائله منبره في الوعظ والارشاد الذي كان في غاية البلاغة والتأثير والذي اسسه في بداية زعامته الدينية في مشهد ولم يتركه في اثناء عزلته.

توفي في السابع والعشرين من شعبان عام ١٣٢٧هـ. ويقال انه كان مخالفاً لدعاة المشروطة، ومن ثم كان في خطر من قبلهم. وقد طبع ديوان اشعاره في طهران مرتين[1].

الحبيب القاآني بن الميرزا محمد علي گلشن الشيرازي:

من الشعراء المشهورين في العهد القاجاري. ولد في شيراز عام ١٢٢٣هـ، وكان ابوه گلشن (من قبيلة زنگنه) شاعراً متوسطاً، وردت له بعض الابيات الشعرية في مجمع الفصحاء وتذكرة دلگشا و(فارسنامه الناصري) دخل القاآني المدرسة في سن السابعة، وفقد اباه في سن الحادية عشرة فعاش وعائلته حياة فقر وضيق. وجاء في بعض ترجمة الشاعر لنفسه ما يلي: «لم يكن لدي من نعيم الدنيا سوى حصير وقرص من خبز، ودعاني فقري وحاجتي لأن اعتمد على نفسي واسلك طريقي لوحدي، فارتأيت ان اسلك طريق الاسلاف، ومن ثم ذهبت الى مدرسة بابلة احدى مدارس شيراز دون تشجيع او حض من أحد. واتخذت فيها حجرة وطفقت اطالع وادرس، وكان لدي رغبة في الشعر، فنظمت قصيدتين في مدح حاكم فارس (الميرزا حسين علي). فقرر لي مبلغاً زهيداً لا يكاد يسد الرمق، وعكفت بكل جد واجتهاد على دروسي، حتى تفوقت على اقراني في السنة الثانية، بحيث اصبحت موضعاً لاعجاب الجميع، حتى اصبحت في انظارهم جميلاً رغم قبح منظري».

(١) عبد الرفيع حقيقت.

درس القاآني في اصفهان الرياضيات والعلوم الاسلامية ثم عاد الى شيراز واشتغل فيها بتدريس العروض وشرح ديواني الخاقاني والانوري حتى قدم الامير حسن علي ميرزا (الملقب بشجاع السلطنة) بن فتح علي شاه القاجاري الى شيراز عام ١٢٣٩هـ، فاخذ يقربه اليه وينعم عليه حتى عُين هذا الامير في اواخر ذلك العام حاكماً على خراسان بامر من ابيه، فاصطحب القاآني معه. وفي مشهد اشتغل تحت حماية ورعاية الامير بدراسة الرياضيات والحساب، وتلقب برغبة منه بالقاآني بدلاً من لقبه المعروف حتى ذلك الوقت وهو الحبيب[2].

وبعد ان اعتلى محمد شاه العرش عام ١٢٥١هـ قدم القاآني الى طهران، وانضم الى حلقة شعراء البلاط ولقبه الشاه بـ(حسّان العجم). ثم رافق الشاه محمد في رحلته لفتح غوريان وقندهار عام ١٢٥٤هـ، ولكنه مرض حين وصل موكب الشاه الى بسطام، فاستأذن الشاه وعاد الى طهران. حتى اذا عاد الشاه من حربه في افغانستان انشده قصيدة رائعة تحدث فيها عن نصر الايرانيين وشجاعتهم وحسن سيرة الشاه مع الاسرى الافغان، وتحدث فيها عن الاعمال المشينة للسفير البريطاني المستر مكنيل، واحتلال السواحل الجنوبية لايران من قبل السفن الحربية البريطانية والتهديد باعلان الحرب.

عزم القاآني عام ١٢٥٩هـ على الاقامة الدائمة في شيراز، فرحب به اهلها بادئ الامر، ثم اخذت جماعة من ادباء شيراز تؤذيه يوماً بعد آخر، حتى اضطر للعودة الى طهران عام ١٢٦٢هـ (وهو عام وفاة الميرزا شفيع وصال) وبعد فترة تعرف على الاديب العالم الامير علي قلي ميرزا الملقب باعتضاد الدولة الذي كان يشغل منصب وزير العلوم آنذاك، وحظي منه بعطايا وهدايا كثيرة، وتعرف من خلاله على ام ناصر الدين شاه (مهد عليا) ثم على ناصر الدين شاه نفسه الذي كان قد جلس على العرش لتوه، فاصبح منذ ذلك الحين شاعر البلاط واقام بصورة دائمة في طهران، ثم اصيب عام ١٢٧٠هـ بمرض الماليخوليا والهذيان ولازمه هذا المرض حتى اودى بحياته في يوم الاربعاء الموافق للخامس من شعبان من العام ذاته، وهو في السابعة والاربعين من عمره.

طبع ديوانه عدة مرات في طهران وتبريز والهند، وكانت اول طبعة صحيحة وواضحة لهذا الديوان في عام ١٢٧٤هـ اي بعد اربع سنوات من وفاته، وكان المشرف على طباعتها احد الامراء القاجاريين وهو جلال الدولة الملقب بجلال والذي كان يرتبط معه ـ على حد قوله ـ بعلاقة علمية وادبية اقوى من علاقة القرابة والنسب. ودونت هذه النسخة بخط الميرزا محمد رضا كلهر أحد كبار اساتذة الخط في عصره.

يعتبر القاآني من مداحي فتح علي شاه ومحمد شاه وناصر الدين شاه، وجاء ديوانه مليئاً بالقصائد التي يمدح فيها هؤلاء الشاهات الثلاثة والامراء والحكام ورجال البلاط في عصره. واذا كانت اشعاره، لا تخلو من المعاني الجميلة ومن الافكار العرفانية احياناً فان فنه الخاص كان يكمن في تركيبه للالفاظ وتمكنه من استعمال الكلمات الفخمة والعبارات الفضفاضة، ويمكن القول انه كان في قوة طبعه متميزاً عن سائر الشعراء

(٢) اخذ هذا اللقب عن اسم ابن الامير حسن علي ميرزا (اكتا قاآن).

المعاصرين له، بل قلّ ان نرى له نظيراً في ذلك بين المتقدمين.

كانت المضامين التي يستعملها القاآني في غزله وتشبيبه ووصفه للطبيعة هي نفس المضامين التي استعملها مئات من الشعراء الايرانيين قبله وبعده في قصائدهم، ولكنه اختلف عنهم في ابتداعه لتراكيب جديدة في الكلام بحيث يمتلك مشاعر قرائه وينسيهم قصائد المتقدمين والظاهر انه اول من استعمل مثل تلك الاساليب الجميلة والعبارات الجريئة. ولكن الى جانب كل القدرة التي تمتع بها في الوصف والتشبيه بقيت قصائده فقيرة من حيث المحتوى والمضمون.

لم يمتنع القاآني في تشبيبه وغزله او في هزله وهجائه عن استعمال الالفاظ الفَظّة والركيكة في بعض الاحيان، ويصف - دون حياء - الاحداث المخالفة للعفة والاخلاق ومجالس اللهو والمجون، ولا يتردد في الحديث عن الامور الجنسية باسلوب مخالف للفطرة. ولم يكن القاآني يعرف حدوداً، في مدح نفسه او مدح وذم الآخرين، فقد كان ينسب الصفات السامية الى اوضع رجال البلاط وحتى الغلمان والخدم ممن هم بعيدون كل البعد عن تلك الصفات، ولكنه يقول ذلك مبالغة واغراقاً في التملق والتزلف. والى ذلك لم يكن وفياً لممدوحيه والمنعمين عليه، فما يكاد هؤلاء يبتعدون او يبعدون عن مناصبهم حتى ينسى جميع فضائلهم ونعمهم، فمثلاً بعد أن وصف احدهم بقلب العالم وروح العالم والانسان الكامل وخواجة العالمين ومظهر الباري وموصل فيض الخالق الى المخلوق تراه ينقلب رأساً على عقب فيصفه بكل قسوة بالظالم الشقي.

وغلبت الركة والتهتك في بيان المواضيع على كتابه (پريشان) الذي جاء تقليداً ضعيفاً لكتاب سعدي (گلستان)، وكانت هاتين الصفتان سبباً في الحط من قدر الكتاب والتقليل من اهميته. وكان وضعه لكتاب (پريشان) الذي الفه باسم محمد شاه القاجاري استجابة لرغبة احد الاعيان، وفرغ من تأليفه في العشرين من رجب عام ١٢٥٢هـ، وهو يشتمل على ١٢١ حكاية كبيرة وصغيرة في مختلف المواضيع، وعلى حد قول المؤلف: «جاء مزيجاً بين الجد والهزل والشعر والنثر». وهو ينتهي بفصل في نصيحة ابناء الملوك.

والطابع الغالب على كتابه هو الوعظ والنصح، وكان قصد المؤلف من جميع الحكايات الوصول الى نتائج اخلاقية، ولكن اذا ما وضعناها تحت المحك وعرضناها للنقد رأينا ركتها وضعف شأنها، ليس لانها لا تخلص الى نتائج اخلاقية وحسب، بل لأن اغلبها جاء باسلوب متهتك وبعيد عن الاخلاق والادب. واذا ما رأينا بعض الحكايات التي حافظت الى حد ما على الادب، فانها في حقيقتها حكايات مبتذلة، كتبت مراراً قبله باسلوب افصح وعبارات ابلغ.

كان القاآني يجيد الى جانب لغته الام اللغتين العربية والتركية بطلاقة، وهو اول شاعر ايراني يتعلم اللغة الفرنسية، فقد ذكر بعض المؤرخين بهذا الشأن ما يلي: «بعد ان غضب الامير الكبير الميرزا تقي خان على القاآني وقطع راتبه المقرر له كشاعر في البلاط، توسط له اعتضاد السلطنة لدى الامير، وتمنى عليه ان يعيد له راتبه. فقال الامير: ماذا يجيد غير الشعر؟ اجاب اعتضاد السلطنة: يجيد الفرنسية الى حد ما. فدفع له الامير الكبير كتاباً في الزراعة باللغة الفرنسية وطلب منه ترجمته الى الفارسية، فكان القاآني يترجم منه فصلاً في كل اسبوع ويرسله الى الامير بواسطة اعتضاد الدولة ويتقاضى عنه ما يقارب الخمسة تومانات». ويذكر محمد علي الفروغي ان بعض هذه الاجزاء التي ترجمها القاآني بقيت محفوظة حتى فترة قريبة لدى نجم الدولة الميرزا عبد الغفار.

وخلال مدة اقامته في شيراز التي استمرت ثلاث سنوات من عام ١٢٥٩ الى عام ١٢٦٢هـ كان القاآني يستثمر اوقات فراغه، ويتعلم اللغة الانجليزية، واستمر في ذلك لثلاثة او اربعة اشهر كما ذكر هو، وقد احرز بعض التقدم في هذا المجال[1].

الميرزا حبيب الاصفهاني المعروف بـ(دستان):

من اهالي قرية بن من قرى لاربخش التابعة لمدينة شركرد (محافظة جهار محال بختياري) من كبار شعراء ومؤلفي العصر القاجاري. (توفي عام ٥ ١٣'هـ في مدينة بروسه التركية.

الميرزا حسن الاصفهاني المعروف بصفي علي شاه ابن الآقا محمد باقر احد العارفين والشعراء المشهورين في العهد القاجاري:

ولد في اصفهان في الثالث من شعبان عام ١٢٥١. وكان اجداده يشتغلون بالتجارة في اصفهان وتعرف عائلتهم بلقب (الصابري). وقد ذكر السيد احمد الديوان بيگي الشيرازي في كتابه (حديقة الشعراء) ان اباه كان يقوم ضمن اعماله التجارية باسفار عديدة، ويتقصى اخبار العارفين ويحاول الوصول اليهم، ومن هنا سلّم ابنه لاحد العارفين وشجعه على سلوك طريقتهم، وهكذا باشر الميرزا حسن الاصفهاني بدراسة العلوم الاساسية وبعض العلوم المتفرقة، مثل: الاعداد، الطلاسم والحساب على يد الملا ابو طالب في اصفهان. واقتداء بابيه اخذ يبحث عن اهل العرفان، حتى انتقل الى شيراز ودخل في سلك مريدي الحاج زين العابدين الشيرواني الذي كان سائحاً ومحققاً ومؤلفاً وواحداً من المشايخ المعروفين للفرقة النعمة اللهية. ثم انتقل منه الى رحمة علي شاه الميرزا كوجك نائب الصدر الشيرازي الذي كان قطب زمانه، فنال عنايته، ولقبه بـ(صفي علي شاه)، ورحل بعد ذلك الى بومبي باذن منه، وهناك نظم مثنوي (زبدة الاسرار) في مجمل احداث صحراء كربلاء وطبعه، ثم رحل الى مكة وعاد بعدها الى بومبي، وفي غضون ذلك سمع بوفاة رحمة علي شاه فسافر الى شيراز ومكث فيها برفقة الحاج الآقا محمد (منور علي شاه) الذي كان وصياً وقائم مقام لتلك الفرقة، وبعد فترة امر بالتوجه الى يزد ومنها الى طهران. وعكف في طهران على تربية وارشاد مريدي الطريقة، ومازال يزاول هذا الامر حتى فارق الحياة في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣١٦ في طهران، فدفن في الخانقاه الذي بناه قبل وفاته بثمان سنين، والذي يقع بالقرب من ميدان بهارستان.

تبع صفي علي شاه في حياته العديد من المريدين المؤمنين، منهم: ظهير الدين صهر ناصر الدين شاه، ووزير البلاط مظفر الدين شاه الذي خلف صفي علي شاه بعد وفاته.

---

(١) عبد الرفيع حقيقت

بلغ صفي علي شاه شأواً بعيداً في الادب والشعر وخصوصاً في العرفان، ويظهر من آثاره انه كان متمكناً من اللغة العربية. ومن مؤلفاته (عرفان الحق) و(بحر الحقائق) و(ميزان المعرفة) و(زبدة الاسرار المنظومة) و(التفسير المنظوم للقرآن) التي جاءت على وزن المثنوي لجلال الدين محمد المولوي. طبع ديوانه عدة مرات في طهران، وكذلك طبع تفسيره مرتين. وتميزت اشعاره بالوجدانية والعرفان، وجاءت احيان عارية من مراعاة القوافي(١).

ميرزا حسن المتخلص في شعره بـ(آتشي):

شاعر ايراني عاش في القرن الثالث عشر الهجري، له منظومة باسم (جنك نامه) وهي في وصف حروب علي (عليه السلام) ومناقب الأئمة الاثني عشر.

قسم من هذه المنظومة من نوع المثنوي وفي البحر المتقارب، والقسم الآخر قصائد طويلة على كثير من الضعف.

توجد نسخة خطية من هذه المنظومة في مكتبة الامام الرضا (عليه السلام) بمشهد. وقد طبعت طبعة حجرية سنة ١٢٧١.

ميرزا حسن بن الملا محمد صادق، المعروف بآتش الاصفهاني:

ولد سنة ١٢٨٦ وتوفي سنة ١٣٣٩ في اصفهان ودفن في تكية سراب قرب تخت فولاد.

هو من الشعراء الغزليين في اصفهان، وكان يتبع في الشعر اسلوب صائب وكليم، وهو الاسلوب المعروف بالاسلوب الهندي.

ووالده كان من علماء الدين في اصفهان ذو مكانة في الاوساط الشعبية.

وعدا شاعرية المترجم فقد كان فناناً ماهراً في صنع الشرائط المزركشة والتطريز. كما تعاطى التجارة حتى آخر حياته.

كان في اول امره يتخلص في شعره بـ«بينوا»، ومعناها «البائس»، ثم عدل عن هذا التخلص الى تخلص آخر هو «آتش» ومعناها «النار». وهو اللقب الذي عرف به.

ولم يمنعه عمله التجاري من حضور الندوات الادبية التي كانت تعقد آنذاك في اصفهان مثل ندوة محمد باقر الكزي وندوة ملك الشعراء محمد حسين عنقا وندوة شيدا.

على ان متجره كان دائماً ملتقى للادباء والشعراء.

طبع ديوانه سنة ١٩٤٢م بتحقيق السيد علي نور بخش آزاد، وكتب مقدمته جلال الدين همائي.

السيد حسين الطباطبائي الملقب بـ(نياز الجوشقاني):

احد شعراء القرن الثالث عشر الهجري في ايران. ولد في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري في قصبة جوشقان الواقعة بين كاشان واصفهان، ولما كان نشوؤه وترعرعه في اصفهان، فقد نسب اليها. وليس هناك معلومات اكثر عنه.

وقد ذكر بعض المؤرخين انه عاش في زمن فتح علي شاه القاجاري (١٢١٢ ـ ١٢٥٠هـ) وان احد اجداده المدعو ميرشاه تقي الجوشقاني الذي عرف بالخطابة والخط والفضيلة كان يحظى بمكانة رفيعة في بلاط الشاه سليمان الصفوي.

طبع ديوان شعر (نياز الجوشقاني) عام ١٩٨٣ في طهران باهتمام احمد الكرمي وهو في ١٢٠ صفحة من القطع الوزيري.

حسين بن ميرزاجان:

عالم فاضل محدث جامع متبحر في العلوم الرياضية له «انيس السالكين» أتم تأليفه سنة ١٢٩٣(٢).

السيد حسين الطباطبائي الاردستاني بن السيد علي المعروف بـ(المجمر):

كان من مشاهير الشعراء المعاصرين لفتح علي شاه القاجاري. ولد في زواره من بلاد اصفهان اواخر القرن الثاني عشر للهجرة، ودرس شيئاً من العلوم في مسقط رأسه ثم انتقل الى اصفهان لاكمال دراسته، وانضم الى الشعراء الذين نظموا مع نشاط الاصفهاني جمعية ادبية. بقي في اصفهان مدة ثم انتقل مع (نشاط) الى طهران، وحين توجه فتح علي شاه الى آذربايجان لخوض الحرب مع روسيا، ذهب هو مع نشاط في هذه الرحلة وقدم خلالها الى الشاه، فانشده قصائد وغزليات. وبعد عودة الشاه الى العاصمة في رجب عام ١٢١٩هـ، حظي المجمر بنفوذ في شؤون البلاط تحت اشراف معتمد الدولة نشاط، وفي عام ١٢٢٢هـ الذي فارق فيه الحياة المير السيد محمد سحاب، لقب المجمر بمجتهد الشعراء، وكتب الميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة بخطه امر تلقيبه بهذا اللقب.

كان المجمر نديماً لحسن علي ميرزا بن فتح علي شاه لسنوات طويلة، وحظي بصلات كثيرة من الاب والابن. ولكنه فارق الحياة عام ١٢٢٥هـ وهو في عنفوان شبابه، حيث لم يكن يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر. وقال رضا قلي خان عنه: «لو بقي على قيد الحياة لبلغ شأناً كبيراً».

لم نعثر على اشعار المجمر التي نظمها اثناء اقامته في اصفهان، ولكن ذكر بعض من التقاه فيها انه كان ذا شأن كبير وشهرة واسعة. وقد طبع ديوانه الذي كان يشتمل على ما يقارب ثلاثة الاف بيت في طهران عام ١٣١٢هـ(٣).

السيد حسين بن محمد الحسيني:

فقيه متبحر في علوم الحديث والرجال، من اعلام اواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر(٤).

السيد حسين بن مرتضى بن احمد بن الحسين الحسني الحسيني الطباطبائي اليزدي:

مترجم في نقباء البشر ص ٦٥٦ ونقول:

ولد في يزد وسكن كربلا، وسافر بصحبة والده الى زيارة الامام

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) السيد احمد الحسيني.

(٣) عبد الرفيع حقيقت.

(٤) السيد احمد الحسيني.

الرضا (عليه السلام) في سنة ١٢٧٤ .

له «فيروزجات طوسية» في الأدعية والختومات»[١].

الميرزا حسين علي السمناني الملقب بمشتاق السمناني:

من الشعراء الذواقين في اواخر العصر القاجاري . ولد عام ١٢٧١ هـ في سمنان، ودرس مقدمات العلوم في مدارس سمنان، ثم برز بحسن خطه وشق طريقه نحو دار الحكومة في سمنان، فاشتغل فيها كاتباً للديوان لدى الامراء القاجاريين. وكان خلال ذلك ينظم الشعر في مدح الامراء الذين كانوا يعينون في حكومة سمنان ودامغان وشاهرود. واضافة الى الشعر كان مشتاق السمناني عارفاً بعلم الموسيقى ومجيداً لخط النستعليق والنسخ، وكان يكتب اشعاره بخط جميل توفي سنة ١٣٢٦[٢].

الشيخ حسين بن عبد العلي بن عبد المحمود بن امير احمد الطهراني الكرماني:

ولد في كرمان وأقام في يزد، والظاهر انه كان من الخطباء والراثين، وله كتاب فارسي في المقتل أتمه في جمادى الأولى سنة ١٢٢٩»[٣].

السيد حسين الرضوي الملقب بغبار الهمداني ابن رضا:

من الشعراء المتذوقين في العصر القاجاري . كان جده السيد صادق اماماً لجمعة همذان، بينما كان جده الاعلى السيد ابراهيم قد هاجر من قم الى همذان واقام فيها.

في مثل هذه العائلة الدينية ولد السيد حسين عام ١٢٦٥، وسلك مسلك ابائه في دراسة العلوم الدينية، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً حيث توجه الى عالم التصوف وعكف على دراسة العرفان وطرق السير والسلوك وانشأ ينظم الشعر استجابة لذوقه الشعري، ويلقب نفسه في اشعاره بغبار.

توفي غبار في مسقط رأسه همذان عام ١٣٢٢هـ، ونقل جثمانه الى قم فدفن في مرقد السيدة المعصومة. وتم طبع ديوانه في طهران عام ١٩٨٣ باهتمام احمد الكرمي، وجاء في ٢٢٠ صفحة.

الشيخ حسين بن محمد بن عثمان الدَّنْدَن الأحسائي المُبَرَّزي:

ولد حدود سنة ١٢٨٦ في الاحساء وتوفي سنة ١٣٦٢ في مدينة المُبرّز.

آل الدَّنْدَن أسرة علمية معروفة في مدينة (المُبَرّز) بالأحساء، ويمتد تاريخها العلمي الى ما قبل نحو من ثلاثة قرون من الزمن، وأقدم من عرفناه منهم: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد الدَّنْدَن، احد اساتذة الشيخ أحمد ابن زيد الدين الأحسائي، ومنهم اليوم الشيخ جواد بن الشيخ علي بن علي الدَّنْدَن (المولود حدود ١٣٦٩هـ ـ أحد أساتذة «الكفاية» والسطح العالي في الحوزة العلمية في الأحساء.

درس المترجم له اولاً في الاحساء بعض المقدّمات، ثم هاجر الى النجف الأشرف لإكمال دراسته، وحضر هناك جملة من الدروس لدى عدد من الأعلام، وبعد مدّة لم تسمح له ظروفه بالاستمرار في النجف، فاضطُرّ للعودة الى بلاده قبل حصوله على كامل بغيته، وفي الاحساء عاد يواصل دراسته لدى أعلامها آنذاك، وكان ملازماً للسيد ناصر الاحسائي ومستفيداً منه أيّام تواجده في البلاد، وبعد عودة السيد ناصر الأخيرة للأحساء بداية عام ١٣٥٨هـ كان المترجَم له من المقرّبين لديه والمستفيضين من علومه ومكارمه حتى وفاة السيّد ناصر في ٣ شوّال ١٣٥٨هـ.

كان المترجم له من اهل العلم والفضل البارزين، وقضى ردحاً من الزمن إماماً لمحلّة (العيوني) في وطنه المَبرّز وزعيماً مرشداً لهم حتى وفاته، وأصبح في الأواخر ذا جاهٍ ومقام معروفاً بفضله وأدبه وجلالة قدره.

له شعر كثير في مناسبات ومواضيع متعدّدة، لكنّه لم يُجمع ولم يُحتفظ به، ولم اعثر من شعره الاّ على قصائد معدودة وجدتها في الأحساء عند ذويه.

قال في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) من قصيدة:

عج بالغري معزياً من فيه ... بمصابه ببناته وبنيه
قل يا علي المرتضى عز العزا ... عد المصاب عليك لا نحصيه
في من نقول لك العزا ولمن له ... نرثي وأعيننا دماً نبكيه
إن المصائب جمة لم نستطع ... إحصاءها فاسمع لما نوحيه

الى ان يقول:

وتنادبت للذب عنه عصبة ... لبت نفوسهم ندا داعيه
من كل اشوس يرتوي فيض الدما ... وشبا الحسام من الطلا يرويه[٤]
وغدا وحيداً لم يجد من ناصر ... غير السنان وصارم يحميه
فرداً يجاهد عن شريعة جده ... بالمشرفية في رضا باريه
أفديه من ثاو ثلاثاً بالعرا ... يكسوه من ذاري الثرى سافيه
من حوله الخفرات تندب لوعة ... ثكلى يجاوب نعيها ناعيه

الشيخ فخر الدين حمزة بن علي ملك الطوسي الاسفرايني البيهقي المتخلص بـ(الآذري):

احد مشاهير مشايخ وشعراء القرن التاسع للهجرة، امضى شطراً من حياته في الهند والشطر الاكبر منها في ايران. وقد ذكر دولتشاه اسمه بالصورة التي ذكرناها اما لقبه (فخر الدين) فهو مستقى ايضاً من

(١) السيد احمد الحسيني.
(٢) عبد الرفيع حقيقت.
(٣) السيد احمد الحسيني.

(٤) شَبا الحُسام: أي حدُّ السيف، والطُّلا: العُنُق.

دولتشاه حيث ذكر ان لقبه هو (مفخر الملة والدين) وهو نفس ما ذكره الحاج خليفة (في كشف الظنون) واسماعيل باشا (في ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ج ٢ بند ٨٦) وعدد آخر من اصحاب التراجم والفهارس. ومن هنا ندرك بطلان قول جميع الذين ذكروا ان لقبه هو (نور الدين) أو(جمال الدين) لأن هؤلاء جميعاً هم من المتأخرين عن دولتشاه واقل شأناً منه في صحة اقوالهم. واما اسم ابيه المركب (علي ملك) الذي يبدو صحيحاً، فقد نقل الحاج خليفة واسماعيل باشا على انه (علي مالك) وورد في بعض المصادر بصورة اخرى هي (عبد الملك) وورد اسمه احياناً (علي حمزة)[1].

كان ابوه علي ملك واحداً من اعيان ناحية اسفراين ومن رجال السربداريين في بيهق، وينتهي نسبه الى معين صاحب الدعوة احمد بن محمد الزمجي الهاشمي المروزي. اشتهر بالطوسي لاقامته بعض الوقت في مدينة طوس، واما شهرته بالاسفرايني فلولادته عام ٧٨٤هـ في ناحية اسفراين، وذكر هو سبب تسميته بالآذري في جوابه لالغ بيك ميرزا وهو ولادته في شهر آذر[2].

بدأ الشيخ فخر الدين الآذري نظم الشعر في عنفوان شبابه، ونال شهرة في هذا المجال، ومدح الميرزا شاهرخ بقصيدة «بلغ فيها من قوة الشعر شأواً بعيداً، فنهض الخواجة عبد القادر العودي (من رجال عهد شاهرخ التيموري) لمعارضته وامتحنه بعدد من قصائد الخواجة سلمان، فاجاب الشيخ بجواب كان له وقع حسن على اكابر الحاضرين، فبادر شاه الاسلام لمدحه وتعظيمه ووعده بان يجعله ملك الشعراء. ولكن في ذلك الوقت كان نسيم الفقر وعالم التحقيق قد لامس رياض قلبه وسطعت شمس الزهد على كوخ احزانه. . . فخطا في عرصة التصوف وهجر زخارف الدنيا، ولازم شيخ الشيوخ وقدوة العارفين الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي[3] قدس سره العزيز وبعد وفاة الشيخ محيي الدين في حلب، توجه الشيخ الآذري الى السيد نعمة الله (قدس سره) ولازمه فترة من الزمن وحظي منه على اجازة وخرقة التبرك، وبعد الرياضة والمجاهدة والسلوك اشتغل في السياحة واتصل باولياء الله وحج بيت الله الحرام راجلاً مرتين ـ ومكث بجوار البيت الحرام سنة كاملة كتب خلالها (سعي الصفا) وهو كتاب مشتمل على شرح مناسك الحج وتاريخ الكعبة المعظمة شرفها الله تعالى. ثم عاد بعد ذلك الى بلاد الهند وبقي فيها مدة من الزمن[4]».

نقل البعض ان تغير حال الآذري والتحاقه بحلقة الصوفيين كان في سن الكهولة. ومن ثم فهو يشبه في ذلك الشيخ علاء الدولة شريف زاده السمناني، وقد كان حتى ذلك الوقت ملازماً لبلاط الميرزا شاهرخ والرجال والامراء التيموريين ولا بد ان يكون لقاؤه بالغ بيك ميرزا في مشهد والحديث معه حول شهرته بالآذري في تلك الفترة بالذات.

(١) ورد ذلك في (تاريخ نظم ونثر درايران) ص ٢٩٣، وبداية منتخب جواهر الاسرار وفيها جاء اسم ونسب الاذري كما يلي: «علي حمزة بن علي ملك بن حسن الطوسي».

(٢) وهو الشهر التاسع من اشهر السنة الايرانية.

(٣)من اكابر مشايخ القرنين الثامن والتاسع. توفي عام ٨٣٠هـ.

(٤)تذكرة الشعراء (دولتشاه) ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

وكما رأينا في نهاية حديث دولتشاه فان الآذري عاد الى بلاد الهند وبعد حجه الثاني وبقائه فترة في مكة. وفي الهند لازم الشيخ بلاط السلطان احمد شاه البهمني (الذي حكم ما بين ٨٢٥و٨٣٨هـ) وهو من السلاطين البهمنيين في دكن وگلبركه وكان معروفاً بحبه للمشايخ وسالكي طريق الحق. فحظي الشيخ الآذري منه بلقب ملك الشعراء «وانشد عدة قصائد في مدحه ومدح مدينته وعماراته، ونال جوائز لائقة، ثم بدأ بنظم (بهمن نامه) استجابة لامر السلطان، ثم استأذنه في الانصراف الى بلاده»[5]، ولكن يفهم من تاريخ فرشته ايضاً ان السلطان احمد رفض ان يأذن له، فاضطر الآذري الى البقاء في الهند مع طلب احضار ابنائه، ولكن بعد وساطة الامير علاء الدين بن احمد شاه البهمني استطاع الشيخ ان يعود الى خراسان محملاً بانواع، الهدايا، وتعاهد مع احمد شاه ان يواصل في خراسان نظم (بهمن نامه) وبالفعل واصل النظم وكان يبعث سنوياً ما ينظمه الى دكن. وبعد وفاة احمد شاه خلفه ابنه علاء الدين في الحكم (٨٣٨ ـ ٨٦٢هـ) وكان الاخير مريداً للشيخ الآذري ولم تنقطع الصلة بين الاثنين بعد عودة الشيخ الى ايران. بل تواصلت المكاتبات بينهما. وكان الشيخ يرشد مريده السلطان علاء الدين الى اسلوب التعامل مع رعاياه، بل انه الاخير ترك شرب الخمر اثر هذه الارشادات.

ويقول دولتشاه ان الآذري «انصرف بعد عودته من الهند من السياحة في عالم الملك الى السياحة في عالم الملكوت، حيث توجه الى التفكر، وجلس ثلاثين سنة على سجادة الطاعة دون ان يطرق باب احد من ارباب الحكم، بل كان اصحاب الدين والدولة وارباب الملك يطلبون مصاحبته للتبرك» واذا كان الشيخ قد عاش بعد عودته من الهند ثلاثين سنة، فلا بد ان يكون في سفره الى الهند في الثانية والخمسين من العمر وان يكون هذا هو عمره في عودته الى خراسان.

توفي عام ٨٦٦هـ في اسفراين، وكان عمره اثنين وثمانين عاماً، ولا يزال ضريحه مزاراً للناس، وقال الخواجة اوحد المستوفي كلمة (خسرو) في قصيدة له كمادة تاريخية لوفاة الشيخ الاذري، وحروفها تساوي ٨٦٦.

ترك الآذري عدة آثار في النظم والنثر. وديوان اشعاره لا يزال موجوداً وكانت له شهرة كبيرة بين الناس في عصر غياث الدين خواندمير على حد قوله، وهو يشتمل على قصائد وغزل وترجيع وتركيب وقطع ورباعيات ومجموع ابياته لا تتجاوز الخمسة الآلاف بيت.

واضافة الى ديوانه، ترك اثراً منظوماً آخر هو (بهمن نامه) في شرح سلطنة السلاطين البهمنيين في دكن. وكانت سلسلة هؤلاء السلاطين قد بدأت في الهند منذ عام ٧٨٤ حين ثار علاء الدين حسن گانگو الملقب بظفر خان على السلاطين التغلقيين في الهند، واستمرت حتى عام ٩٣٣هـ. وكان الآذري معاصراً ـ كما ذكرنا ـ لاحد سلاطين هذه السلسلة وهو السلطان احمد شاه الاول الذي حكم من عام ٨٢٥ الى عام ٨٣٨هـ ولازمه مدة ثم ترك بلاطه عام ٨٣٦ اي قبل وفاته بثلاثين سنة وتوجه الى خراسان. وكان نظم الآذري لـ(بهمن نامه) استجابة

(٥) إتاريخ فرشته ج ٢ ص ٦٢٧.

لطلب هذا السلطان، حيث نظم تاريخ السلاطين البهمنيين منذ بداية عهدهم وحتى عهد احمد شاه وحين حصل على الاذن في الانصراف الى خراسان «عاهد الشاه على الاستمرار في نظم «بهمن نامه» ما دام على قيد الحياة. ووفى بعهده في خراسان فكان يصرف بعض اوقاته الشريفة في نظمها، ويرسل ما ينظمه سنوياً الى دار الخلافة في دكن. وكان جميع ما ورد في (بهمن نامه) من بدايتها حتى قصة السلطان المعظم البهمني[1] من نظم الشيخ الآذري، ثم تلاه الملا النظيري[2] والملا السامعي وغيرهما من الشعراء فواصلوا النظم حتى انقراض الدولة البهمنية، كل حسب عصره وقدرته والحقوا نظمهم به منظومة الشيخ الآذري، ولكن بعض عديمي الضمير قاموا بتغيير بعض ابيات المنظومة ونسبوها كلها لانفسهم، ولكن تباين درجات الشعر دليل على تعدد الناظمين»[3]. وثمة نسخة موجودة الآن من (بهمن نامه) الآذري، وهي بسبب الامور التي ذكرناها من اختلاطها مع اشعار النظيري والسامعي وربما آخرين من الشعراء جاءت متفاوتة المستوى في ابياتها واشعارها. ونظم (بهمن نامه الآذري) كان بالبحر المتقارب وهي من المنظومات الحماسية التاريخية المتبعة لاسلوب الاستاذ طوس. وهذه المنظومة هي غير منظومة (بهمن نامه) الاخرى التي تتحدث عن قصة بهمن بن اسفنديار التي نظمها الحكيم ايران شاه بن أبي الخير وتعد من المنظومات الوطنية الحماسية، وقد نسبت بعض المصادر نظمها للجمالي المهريگردي.

ومن الآثار المنظومة الاخرى للشيخ الآذري كتاب (عجائب الغرائب) وهو منظومة من تفرعات البحر الخفيف تتحدث عن عجائب البلاد والنواحي من عيون وعمارات وحيوانات وطيور وسوى ذلك، وقد استفاد في نظمها من كتب عجائب المخلوقات وربيع الابرار للزمخشري وكذلك من منظومته الاخرى المسماة بـ(عجائب الدنيا) واشار الى هذه المصادر في المنظومة، وكان نظمها باسلوب سهل ولغة بسيطة.

ومن آثاره الاخرى كتاب (جواهر الاسرار) الذي الفه عام ٨٤٠هـ. وهو كتاب يشتمل على اربعة ابواب، وكل باب ينقسم الى عدة فصول، جعلها الشيخ في ذكر الاسرار العرفانية وشرح القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكلام مشايخ التصوف وابياتهم الشعرية المستعصية. ومن بين الشروح شرح لقصيدة من نظم عطار. طبع منتخب من جواهر الاسرار في طهران عام ١٣٠٣هـ مع كتاب اشعة اللمعات للجامي وعدد من الرسائل الاخرى ومن الآثار الاخرى للشيخ الآذري كتاب (سعي الصفا) في شرح مناسك الحج.

لقد كان الآذري الذي يتخلص احياناً في نهاية شعره باسمه (حمزة) من كبار الشعراء في عصره[4].

---

(١) المقصود هو علاء الدين شاه الذي حكم من عام ٨٦٢ الى ٨٦٥هـ.

(٢) الملا النظيري هو غير النظيري النيسابوري. وهو من المتربين على يد الخواجة عماد الدين محمود گاوان (م ٨٨٦هـ)، وقد حصل في بلاط السلاطين البهمنيين على لقب ملك الشعراء، بدعم من الوزير الفاضل محمود گاوان.

(٣) تاريخ فرشته: الجزء الاول ص ٦٢٨.

(٤) ذبيح الله صفا.

حيدر الصفوي:

يستقي الصفويون اسمهم من جد عائلتهم العارف الكبير في القرن الثامن الهجري صفي الدين الاردبيلي، يرجع نسب صفي الدين الذي كان من مشايخ الصوفية الى الامام موسى الكاظم (ع)

وليس بين ايدينا الا القليل من المعلومات حول الطريقة الصفوية في الوقت الذي كان اتجاهها دينياً بحتاً وبعيداً عن السياسة. ومن ذلك ان رئاسة هذه الطريقة (اي شخص المرشد) كانت تنحصر دائماً من احد افراد الصوفية، وهو عادة ابن المرشد السابق[5].

وكان تعيين الخليفة يتم في الوقت المناسب من قبل المرشد، اي في زمن حياته، ويعتقد الصوفيون ان هذه الخطوة تنقل الولاية من الاب الى الابن. والجدير بالذكر انه ليس من الضروري ابداً ان يكون الابن المنتخب هو اكبر الابناء.

ولا يحصل الخليفة على المقام المعنوي وحسب بل يستولي ايضاً على الميراث الدنيوي كله الذي يشتمل على عائدات الاملاك المحيطة باردبيل (مثل كالخوران، تاجي بيوك، تلخاب، ابراهيم آباد وغيرها). كان هناك وسطاء بين المرشد ومريديه، يسمون بالخلفاء، والظاهر ان وجودهم يتأكد في اوقات معينة، وخصوصاً بالنسبة للمريدين في المناطق البعيدة، ويسعى هؤلاء الخلفاء الى ترويج عقائد وتعاليم الصوفية. ثم اصبح هؤلاء يتبعون فيها بعد رئيساً مشرفاً عليهم يسعى الخليفة الاكبر او خليفة الخلفاء، وكان ذلك لاول مرة في عام ٩١٣هـ حينها عين الشاه اسماعيل الاول شخصاً بعنوان زعيم الصوفيين في الاناضول، والذي حظي بشهرة واسعة ومكانة رفيعة.

وكان خليفة الشيخ صفي الدين هو ابنه صدر الدين (٧٣٤ ـ ٧٩٤) ثم تبعه ابنه الخواجه علي (٧٩٤ ـ ٨٣٢هـ) ثم الشيخ ابراهيم بن الخواجة علي (٨٣٢ ـ ٨٥١هـ) وقد طار صيت زهدهم وورعهم في الافاق حتى بلغ البلاط العثماني الذي اخذ يرسل سنوياً الى اردبيل (مركز الصفويين) انواع الهدايا والتحف والاكياس المليئة بالاموال:

الشيخ جنيد الصفوي

كان انتقال الطريقة الصفوية من الدروشة الى الحكومة الدنيوية على يد الشيخ جنيد بن الشيخ ابراهيم (٨٥١ ـ ٨٦٥هـ)، وكان الشيخ جنيد رجلاً محنكاً ومدبراً، قل نظيره. وبعد ان كان زعيماً ومرشداً قوياً لجماعة من الدراويش المؤمنين وحسب، ادعى لنفسه الحكومة والرئاسة الدنيوية. وكان حشد الصوفيين والمريدين المحيطين بالشيخ جنيد يبعث على القلق وسوء الظن الشديد في نفس جهانشاه حاكم قبيلة القرة قويونلو ونفوس سائر امراء آذربايجان آنذاك ذلك لان هؤلاء الاتباع كانوا يعيشون في جوار مرشدهم في اردبيل مع كامل افراد أسرهم وجميع املاكهم، حتى اضحت اردبيل معسكراً كبيراً. وعلى الرغم من ان اسلحتهم لم تكن مهمة كثيراً، الا ان جهانشاه لم يرَ صلاحاً في شن هجوم عسكري على رجل دين من اتباع المذهب الشيعي خصوصاً وهو

---

(٥) باستثناء الشاه اسماعيل الصفوي، الذي لم ينتخب لهذا المنصب بعد ابيه مباشرة، بل انتخب بعد اخيه الاكبر سلطان علي.

الشيعي المتعصب. من هنا اكتفى بمراسلة الشيخ جعفر عم الشيخ جنيد الذي كان حكيماً مجرباً وفي نفس الوقت طالباً للجاه، ولم يكن راضياً عن انتخاب الشيخ ابراهيم مرشداً للطريقة الصفوية، فطلب اليه الاسراع في طرد ابن اخيه من اردبيل. وقد كان هذا الحاكم التركماني مطلعاً تماماً على الخلافات الموجودة بين الشيخ جنيد وعمه الشيخ جعفر، ذلك لأنه كان قد زوج احدى بناته للسيد قاسم خان ثاني ابناء الشيخ جعفر، ولم يتردد الاخير في تلبية الطلب، خصوصاً وان هذا العمل سيعود عليه بادارة خانقاه الشيخ صفي وبقعته. فاخذ يكثر من تهديد الشيخ جنيد بانه في حالة تلكؤه في الخروج من اردبيل فان قبيلة القرة قويونلو ربما شنت عليه هجوماً مسلحاً. ومن جانب آخر كان جهانشاه يبعث الى اردبيل برسل تترى لاستعجال تنفيذ الامر وحينئذ اضطر الشيخ جنيد الى مغادرة اردبيل في جماعة من اتباعه الاوفياء. واغلب الظن ان هذا الامر كان في عام ٨٥١ او٨٥٢هـ. ولا يمكن الجزم بالطريق التي سلكها الشيخ جنيد بعد طرده من اردبيل، ولكن اقوى اثر استطعنا الحصول عليه يشير الى توجهه صوب آسيا الصغرى الخاضعة للحكم العثماني. ومن المستبعد ان يكون قد سلك في رحلته تلك طريق تبريز التي كانت عاصمة لعدوه اللدود جهانشاه، ومن ثم يمكن القول بانه سلك طريق قره باغ وارمينيا في طريقه الى الاناضول. ولم تكن اقامة الشيخ جنيد في الاناضول وسوريا بين عام ٨٥٣ و٨٦٠هـ عديمة التأثير على اوضاع ذلك العصر، ولا يمكن تجاهل اهميتها من حيث التاريخ الثقافي لها.

خلال اقامته في الاناضول وسوريا، التقى باوزون حسن آق قويونلو حاكم ديار بكر القوي، فمكث في ضيافته ثلاث سنوات. ثم تزوج من اخته (خديجة بيگم)، واستجازه في ارسال خلفاء له الى عدة مناطق لكسب اتباع جدد، فاجازه. وحين استولى اوزون حسن على گرجستان عام ٨٦٣هـ، عاد الشيخ جنيد الى اردبيل. وكان خبر زواجه من اخت زعيم الآق قويونلو قد شاع في الآفاق مما زاد في شأنه وقوة شوكته. واعتبر جهانشاه الشيخ جنيد بعد ارتباطه باوزون حسن منافساً خطيراً، فأخذ يحشد الجند لمواجهته. من هنا اضطر الشيخ جنيد مرة اخرى لمغادرة اردبيل بعد مدة قصيرة، واوكل ادارة بقعة وخانقاه اردبيل لعمه الشيخ جعفر، وبادر الى ارسال الرسل لاستقدام جميع انصاره ومريديه اليه، ومكث هو خارج المدينة في انتظار قدومهم، حتى اذا اجتمع شملهم وتكون عنده جيش مسلح تكوّن من الاف الصوفيين، تحرك في خريف عام ٨٦٤هـ نحو الشمال، قاصداً جهاد الشراكسة. واستطاع اجتياز ارض شيروان دون عقبات حتى وصل (طبرسران) فاغار عليها. ثم انكفأ عن ارض القفقاس، واجتاز شيروان ثم حطّ رحاله في قره باغ لاعتدال مناخها فأمضى شتاءه فيها.

وفي شيروان اصيب حاكمها السلطان خليل بالذعر من حملات الشيخ جنيد، والقي في روعه انه ينوي الهجوم على ولايته، فبادر الى ارسال وفد اليه محملا بالهدايا. واذا كان لدى السلطان خليل ابسط تردد في مهاجمة رجل دين، فان هذا التردد ارتفع بعد وصول رسالة الشيخ جعفر طالب الجاه المحتال. حيث ذكر فيها ان ابن اخيه لا ولاية له، وانما ينبغي الاسراع في القضاء عليه لتمرده وعصيانه. وما ان وصلت الرسالة، حتى طفق ملك شيروان يحشد قواته ليهجم بها في فصل الربيع، وامده احد التابعين له وهو حاكم طبرسران ابو المعصوم خان بقوة، وامده جهانشاه من تبريز بفوج من التركمان وقبل ان تقع الحرب ارسل السلطان خليل احد الامراء الى الشيخ جنيد يطلب منه الرحيل عن شيروان على الفور، وبدلاً من الرد على هذا الطلب قام الشيخ جنيد بشنق الرسول. وعندئذ تحرك السلطان خليل من عاصمته شماخي. فحاول الشيخ الهرب، ولكنه وقع في الشباك في وادي قره سو الواقع غربي سلسلة جبال ألبرز في القفقاس ودارت معركة بين الطرفين، اصاب الشيخ خلالها سهم فاهلكه. ولم يتوان الصوفيون عن المقاومة والتضحية البطولية، ولكنهم حين رأوا سقوط شيخهم ومرشدهم لاذوا بالفرار، وبعد وفاة الشيخ جنيد (في جمادى الاولى عام ٨٦٤هـ) بشهر ولدت زوجته خديج بيگم ولداً سمي حيدراً. فتعهده اوزون حسن برعايته، وترعرع في عاصمة الاق قويونلو، حتى انتصر اوزون حسن في حربه الحاسمة على القره قويونلو، واصبحت تبريز منذ ذلك الوقت عاصمة لحكم اوزون حسن. وكان عمر حيدر آنذاك تسع سنوات فذهب الى اردبيل ليكون فيها خليفة لابيه.

وحضر حيدر بسنيه التسع معارك الاق قويونلو مع (ابو سعيد)، وبعد ان فرغ اوزون حسن من حربه منتصراً، وغادر صحراء مغان في بادية عام ٨٧٤هـ متوجهاً الى اردبيل، رافقه حيدر في رحلته، فدخل البقعة المقدسة لعائلته لاول مرة. وكان استقبال الشيخ جعفر لهما ودياً رغم سوء ظنه بهما ذلك لانه لا يجوز المزاح مع زعيم الاق قويونلو. .

واذا كان اوزون حسن قد غفل عن الشيخ جعفر بعد مناصرته لجهانشاه ثم لابنه حسن علي ولابي سعيد فيما بعد فالظاهر ان السبب في ذلك هو استشفاعه بحاكم شندان القوي - وهو گيلاني - وقبول اوزون حسن شفاعته. وخلال هذه الرحلة نصب اوزون حسن حيدراً شيخاً ومرشداً للطريقة الصفوية في اردبيل، اذ كان يتوسم الجدارة فيه رغم صغر سنه.

وفي ذي الحجة عام ٨٧٤هـ غادر اوزون حسن مدينة اردبيل ليستقر في عاصمته الجديدة تبريز، واوكل امر تربية حيدر الى الشيخ جعفر، ومما لا شك فيه انه لم يكن يكنُّ المودة لهذا الصبي، ففرض عليه القيود الشديدة حتى في اسفاره وتحركاته. ويبدو ان هذه القيمومة القاسية استمرت حتى وفاة الشيخ جعفر التي لا يعرف تاريخها على وجه الدقة.

وكانت الفرقة الصفوية قد اعتراها بعض الخمول والتوقف اثر فشل الشيخ جنيد في توسيع نفوذه والامساك بزمام الحكم، ولكن هذه الفرقة استعادت ازدهارها مع عودة هذا الابن، لا سيما وهو يحظى بدعم وتأييد حاكم ايران القوي اوزون حسن. وكان ابرز مظاهر هذا الازدهار هو الاقبال الشديد على اردبيل من قبل اعداد كبيرة من الزوار. وكان الموطن الاساس لهؤلاء الصفويين هو آسيا الصغرى وخصوصاً مناطقها الجنوبية مثل قره مان، وتكه وحميد والشام (سوريا) وگيلان وطالش. وبعبّارة اخرى المناطق الغربية والجنوبية الغربية لبحر الخزر.

وكان الامر الاهم الذي ساهم في توثيق العلاقة بين الصفوية واوزون حسن اكثر من اي امر آخر وزاد من قوة شوكة الصفويين هو زواج حيدر من كبرى بنات اوزون حسن، وكان ثمرة هذا الزواج من

الاميرة دسپيناخـاتـون التي كـان الـتركـهان يسمـونها حليمـة بگي آغـا ويلقبونها بعالمشاه بيگم ثلاثة اولادهم السلطان علي واسماعيل وابـراهيم وكان اسماعيل (المولود عام ٨٩٢هـ) الشخص الذي استطاع ايجـاد اول حكومة وطنية قادرة على توحيـد ايران الكـبرى، بعد مضي تسعـة قرون من تسلط الاجانب مع وجود فواصل قصيرة وعابرة في هذا التسلط.

وكان الشيخ حيـدر في سعي دائم لتحقيق الاهداف التي عجـز عنها ابـوه الشيخ جنيـد، وكان يـطمح قبـل كـل شيء الى الانتقـام من ملك شيروان ثأراً لابيه. من هنا جعل جُلّ همه تسليح اتباعه، حتى انه حول البقعة كلها وحتى الحجر السكنية الى مستودعات للاسلحة، بحيث ورد في تاريخ (عالم آراى اميني) انه كانت السيوف في ذلـك الوقت اكـثر من اقلام القصب. وكان حيدر صانعاً ماهراً للاسلحـة، اذ يقول صـاحب تـاريخ (عـالم آراي اميني): «سمعت انه صنـع بنفسه الاف الـرمـاح، والدروع والسيوف دون ان يستعين في ذلك باحد».

ولم يكن يوقف تصنيع الاسلحة الا للتمرين على الرمـاية واستخـدام السيف والقـوس، او حين يقـوم بتعليم اتباعـه. وكان حينئـذ يـرتـدي ملابسه الدينية العـادية التي هي عبـارة عن عباءة الـدراويش والقلنسوة الصوفية. ومن خلال الاخبار التي وردت بشأن الشيخ حيـدر ووصفت شجاعته وحنكته وحسن تدبيره واحاطته بفنون الحـرب يمكن الاستنتاج بـانه كـان اقدر من ابيـه على تسليح اتباعـه وخلق جيش محـارب منهم وبالتالي الوصول الى اهدافه التي كانت عبارة عن تحصيـل الجاه والنفـوذ السياسي. وبابتداعه اللباس الموحد لاتباع طريقته اثبت انه على مستوى كبير من القدرة على خلق التنظيمات. وقد اخذ اتباع الـطريقة الصفـوية يضعون على رؤوسهم تاجاً صفوياً يسمونه تاج حيدر منذ عهد حيـدر، وهـو يشبه المخـروط الناقص، ويحتـوي عـلى اثني عشر خـرقـاً. بسعـة الاصبع لكل خرق، ولون التاج احمر، وذلك اشارة الى آل علي والائمة الاثني عشر (عليهم السلام)، وقد نقشت اسـماءهم على الخـروق. وقد نشـأت تسميـة القـزلبـاش من اللون الاحمـر لهـذه التيجـان، اذ اطلق العثمـانيون هـذه التسمية بـادىء الامـر استهـزاءً ثم مـا لبثت ان شـاع استعمالها. والغزلباش تعني الرأس الاحمر اذ تعني القزل في التركية اللون الاحمر وتعني لفظة (باش) الرأس.

وقد ادى انتشار (تاج حيدر) الى تلاحم صفوف مـريدي الصفـويين ذلـك لأنه لم يقـدم على تبـديل القلنسـوة التركـمانية بتـاج حيـدر الا من ترسخت العقيدة الصفوية في نفسه. وقد اقترنت هذه التيجان بالتـاريخ الصفوي اقترانا واضحاً. وازداد رواجها بعد وفاة حيدر عـام ٨٩٤هـ، ثم تأكد استعمالها وزاد انتشارها اكـثر في زمن الشاه اسـماعيل، حتى بلغ الامر بتجار البندقية ان كانوا يقدمون في بـداية القـرن العاشر الهجـري (القـرن السادس عشر الميـلادي) في قوافـل محملة بـالاقمشـة الحمـراء سالكين طريق حلب، لبيعها الى الشاه اسماعيـل. ولكن استعمال هـذه التيجان اخذ ينحصر بـالتدريـج في زمن الشاه طهماسب حتى اقتصر في القـرن الحادي عشر عـلى الصوفيـين الـذين يكنـون للعـائلة الصفـويـة اخلاصاً خاصاً.

وقـد تمتع القـزلبـاش ذوو الاصـل التركي بنفـوذ واسع في عهـد قـوة الملوك الايرانيين خلال القرن العاشر الهجري وذلك باعتبـارهم اشراف الجيش ومؤسسيه. حتى حد الشـاه عباس الاول في القـرن الحادي عشر الهجـري من نفوذهم بخلق التـوازن في البـلاد من خـلال اطـلاقـه يـد الايرانيين الحقيقيـين (الطاجيـك) والغلمان الگرجيـين، مما كـان له دور كبير في تحسين الاوضاع الايرانية آنذاك.

وكـانت الثمرة الاولى لجهـود حيدر التسليحيـة، ونشاطـه في حشـد المحـاربـين ذوي اللبـاس الموحـد في عـام ٨٨٨هـ حـين قـام بعمليتـه العسكـرية الاولى ضـد الشركس ولـه من العمـر ٢٢سنة[1]. وكـانت قـدوته في اعـماله الحـربية ابـوه. ويمكن القول ان هـدفه الاسـاس كان الحصول على الغنائم ليزيد من عدد اتبـاعه ويفـرق بينهم الهدايـا، والا فـانه لم يكن يقصـد فتح البلدان. وكـان وصولـه الى داغستان يـتطلب الحصـول على اذن من حـاكم تلك النواحي وهـو ملك شـيروان، وقـد اجازه الاخير رغماً عنه، اذ كـان حيدر يحمـل امراً من الشـاه يعقوب في هذا الشأن وحين سمعت قبائـل الشركس بتحرك حيـدر نحوهـا، بادر بعضها الى الانسحاب، وآثـر بعضها الآخـر الدفـاع. فوقعت الحـرب وانتهت بـانتصار حيـدر انتصاراً كـاسحاً. وقـد دعاه هـذا الانتصار الى التفكير في الهجوم على ملك شيروان للثأر لابيه منـه، ولكن الصوفيـين اعتذروا بحاجتهم الى الاستراحة، وكذلك بحاجة مثل هذه الحـرب الى استعداد اكثر. فوافقهم الشيخ حيدر على رأيهم وعاد اردبيل فدخلها في خريف عام ٨٨٨هـ

وخـلال عودتـه من حملته العسكـرية الاولى عـلى شـيروان، استغـل الشيخ حيدر الفرصة فاقر ذرية الشيخ زاهد الگيلاني الذي كان استـاذاً لجـده صفي الدين الاردبيـلي على الاراضي التي ورثـوها. وقـد كتب في ذلك سنداً عام ٨٨٨هـ، ويمكن الاستنتاج منـه انه كـان يصدر الاوامـر الى الشخصيات الحكومية وجباة الضرائب. ويستنتج منه ايضاً انه كـان في عام ٨٨٨هـ يحكم جنوب شـيروان او على الاقـل يدعي ذلـك. وقد بادر في اردبيل الى تقسيم الغنائم بين الاهـالي، وكان من بينهـا الجواري الشركسيات، وقد امر القزلباش بانفـاق جميع حصصهم من الغنـائم في اعـدام الاسلحـة والآت الحـرب. كـما بعث ببعض الغنـائم الى الشـاه يعقـوب بن اوزون حسن زعيم الاق قـويـونلو رعـايـة منـه للمصلحـة وحفظاً للعلاقة الودية بينهما.

وفي ربيـع عـام ٨٩٢هـ عـاود الشيـخ حيـدر الكـرة، وسلك نفس الطريق في حملته، وكانت النتيجة موفقة كما في المرة الاولى. وقـد ساهم نجاحه هذا وكثرة عطاياه (من قبيـل تنازلـه عن حقوق الارض في جميع القرى التابعة له) في رفعة شأنه وازدياد نفوذه، فاخذ الاتباع يتقـاطرون من كل حدب وصوب للانضواء تحت رايته.

الا ان الحكم في تبريز اخذ ينظر الى ازديـاد قوة الحكـومة الـدينية في اردبيل بعين الشك والريبة. وفي اجتماع لـرجال بـلاط السلطان يعقوب طرحت هذه المسألة عـلى بساط البحث، فـاستقر الـرأي على استـدعاء حيدر الى تبريز فوراً.

فدخلها الشيخ حيدر في خرقة بالية وتاج قذر، ومعـه عدد قليـل من

(١) ورد آنفاً ان ولادته كـانت عام ٨٦٤هـ فيكـون عمره في عـام ٨٨٨هـ ٢٤ سنة وليس ٢٢ سنة كما ورد في المتن.

اصحابه، واقام في زاوية كان الشاه حسين جلاير قد ابقاها، وكان دخول الشيخ للعاصمة في عام ٨٩٢هـ. واخذ وجهاء وامراء الآق قويونلو يتوافدون عليه التماساً لدعائه، ثم قدم اليه السلطان بنفسه. وفي اليوم التالي استقبل السلطان الشيخ في بلاطه ودار بينهما بحث جدي، وكانت رغبة رجال البلاط ان ينصرف الشيخ حيدر نهائياً عن حملاته العسكرية، وينفى من اردبيل، والأهم من ذلك كله قطع العلاقات مع خلفائه الذين يمثلون زعماء التجمعات الصفوية في آسيا الصغرى، وفي غير ذلك يتوقعون حدوث ثورة كبرى. ولكن السلطان يعقوب لم يكن يرغب باخذ قريبه بمثل هذه الشدة، فرضي ان يقر له حيدر بالطاعة المطلقة، واجبره على القسم على وفائه، حيث اتي بقرآن واشرف رجل الدين وقاضي القضاة صفي الدين عيسى على تنفيذ مراسم القسم. وبعد فراغه من هذه المراسم استجاز السلطان في الانصراف وعاد الى اردبيل مطمئناً.

وبعد فترة قصيرة وضعت الاميرة مارتا ابنها الثاني، وهو اسماعيل الذي اسس فيما بعد الدولة الصفوية.

وفي اوائل عام ٨٩٣هـ توجهت الاميرة خديجة بيكم عمة السلطان يعقوب من اردبيل الى قم، التي تعد مزاراً للشيعة، وهناك ذهبت الى حرم السلطان يعقوب الذي لجأ الى هذه المدينة هرباً من تفشي الطاعون، فاستأذنته في حملة جديدة يقوم بها ابنها حيدر لجهاد الشراكسة. وكان السلطان مطمئنا لقسم ابن عمته، فكتب الى فرخ يسار ملك شيروان وهو والد زوجة السلطان ان يساعد حيدراً في جهاده هذا. وما ان دخلت اخت اوزون حسن اردبيل بهذا الحكم، حتى بادر الشيخ حيدر الى تحريك جهازه الخبري الذي ورثه عن اجداده، وكان هذا الجهاز قادراً على تجاوز الصعاب والعقبات، وايجاد الارتباط بين مئات الفراسخ دون اشكال وصعوبة تذكر. من هنا اخذ الخلفاء يتوافدون عليه باتباعهم يوماً بعد آخر من مناطق طالش الواقعة في ساحل الخزر، ومن قره باغ في القفقاس. فاجتاز الشيخ حيدر بقواته نهر كسر، ثم عرج على محمود آباد في سهل (دشت مغان)، فقاوم اهلها غارات القزلباش، فاسال حيدر من دمائهم نهراً. وفي نفس الوقت بعث رسوله الى ملك شيروان يعلمه بقدومه لقتال الشراكسة، ويتمنى عليه ان يبقي طريق (دربند) مفتوحاً استجابة لامر السلطان يعقوب. وكان الشيخ حيدر يبغي من ارساله رسولاً خاصاً الاطلاع على اوضاع شيروان بصورة عامة وقوتها العسكرية بشكل خاص. وحين دخل رسول حيدر شماخي عاصمة شيروان، كان حاكمها منشغلاً بحفل لزواج عدد من ابنائه، فاستقبل الرسول بحفاوة بالغة وخلع عليه، وقدم له جواداً وسلاحاً، ثم اعاده الى الشيخ برفقة احد اهالي شيروان. وادرك الشيخ حيدر مما بلغه ان قوات فرخ يسار متفرقة بسبب الهدوء والسلام، وليس في البلاط سوى نفر قليل من الامراء ورجال البلاط، وهكذا يكون الامر مهيئاً لشن الهجوم على شيروان. فعامل ممثل فرخ يسار بشدة وتحقير، وامره بابلاغ اسياده ان الشيخ حيدر قدم اليهم للثأر لدم ابيه، بل انه حدد التاريخ الدقيق الذي من المقرر ان يصل شماخي فيه. ولما كان رسول شيروان قد عاد راجلاً فانه لم يصل العاصمة الا قبل ايام قليلة من الموعد المقرر، ومن ثم كانت رسالة الشيخ مدعاة لاثارة الرعب والهلع في نفوس الشيروانيين، واذ كانت القوات مسرّحة من الخدمة، فان جرأه الشيخ دفعت الكثيرين للتفكير في الهرب. ولم ير فرخ يسار بدأ من حمل امواله وعياله الى قلعة گلستان المحكمة التي تقع بالقرب من العاصمة وبقي هو بمن معه من جنود معدودين للدفاع عن اسوار المدينة. وفي اليوم التالي امتلأت السهول المحيطة بشماخي بالصوفيين الصفويين الذين كانوا يرتدون الدروع فوق خرقهم الزرقاء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوات ذات لون أحمر وابيض. وحاول فرخ يسار قطع طريق قلعة گلستان، ولكن دون جدوى، اذ اضطره الشيخ حيدر للانكفاء الى داخل هذه القلعة. وفي ذات الوقت دخل القزلباش شماخي فاحرقوها واعملوا السيف في اهلها وارتكبوا بحقهم جرائم مفجعة. ثم توجه الشيخ حيدر لمحاصرة قلعة گلستان واستخدم في محاصرتها المدافع والمجانيق وجميع الوسائل الحربية الاخرى، وفي مثل هذه الحال بعث شاه شيروان (فرخ يسار) رسوله الى السلطان يعقوب يستمده العون فتسلم السلطان الرسالة في گزل دره بالقرب من قم، وقرر دخول الحرب ضد ابن عمته الشيخ حيدر، فبعث طلائع جنده على الفور بقيادة ولي آقا ايشيك آقاسي، الذي توجه بها الى اردبيل سالكاً في ذلك طريق السلطانية، ثم تبعه السلطان بنفسه على رأس قواته لقتال الشيخ، والتقت الجموع المحاربة في حدود طبرسران بالقرب من قرية درتنت على سفوح جبل البرز (عام ٨٩٣هـ) ودارت رحى المعركة، فابدى القزلباش شجاعة منقطعة النظير، وقتلوا عدداً كبيراً من الشيروانيين والتركمان، وبادر الشيخ حيدر الى ضرب سليمان بيك قائد قوات السلطان يعقوب برمحه فاقتلعه عن سرج جواده دون ان يقتله، وهو الذي كان معروفاً حتى في زمن اوزون حسن بأنه حرب شجاع لا سيما بعد فتحه بدليس في كردستان.

وفي خضم المعركة اصاب الشيخ حيدر سهم طائش فارداه صريعاً عن صهوة جواده، فاحاط الصوفيون به في حلقة محكمة، وحاولوا نقله الى مكان آمن ولكن مقدمة جيش الاق قويونلو كسرت الطوق المضروب حوله، وهكذا سقط الشيخ حيدر في ايدي اعدائه، فبادر بوّاب السلطان يعقوب الى قطع رأسه وحمله الى الامراء التركمان. ولم يتوقف القزلباش عن القتال رغم مقتل زعيمهم ومرشدهم، ولكن قتالهم لم يعد قادراً على تغيير اتجاه المعركة. وبعث الامراء المنتصرون الى سلطانهم يعلمونه خبرهم، وارسلوا له رأس الشيخ حيدر، فوصله الرأس في شعبان عام ٨٩٣هـ. ثم عادت القوات الى العاصمة تبريز.

امر السلطان يعقوب في رمضان من ذلك العام بحمل رأس الشيخ حيدر والطواف به في ازقة تبريز، ثم علق بصورة مهينة. ولكن شخصاً خطفه على حين غرة واخفاه، حتى كان عام ٩٠٧ حين دخل الشاه اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية مدينة تبريز فاتحاً، بعد الحاقه الهزيمة بالاق قويونلو، فاخرج هذا الشخص الرأس وسلمه للشاه اسماعيل، فاجزل الاخير له في العطاء. وقام القزلباش بتغسيل جسد الشيخ حيدر وتكفينه ثم دفنوه في قرية الفنديار من نواحي دهكندي الواقعة في ولاية طبرسران، وحين شن الشاه اسماعيل حملته الثانية على شيروان بعد ذلك بحوالي اثنين وعشرين سنة، امر بنبش القبر، وحمل بقايا الجسد الى اردبيل، حيث دفن هناك في مقبرة شامخة لا تزال قائمة الى الآن.

وبعد انتصاره مباشرة ارسل السلطان يعقوب قسماً من التركمان الى

اردبيل، وكان الصوفيون قد انتخبوا فيها السلطان علي خليفة لابيه الشيخ حيدر. وفي خريف عام ٨٩٣هـ حمل اولاد الشيخ حيدر الثلاثة، وهم السلطان علي واسماعيل، وابراهيم وامهم مارتا (عالمشاه بيگم الى ولاية فارس، فاستلمهم حاكمها منصور بيك برناك وحبسهم في قلعة داخل مدينة اصطخر الساسانية القديمة وبعد مضي سنتين على حبسهم، اي في اواخر عام ٨٩٥هـ توفي السلطان يعقوب ولم يبلغ من العمر ثلاثين عاماً. وفي عام ٨٩٨ دخل السلطان علي مع اخويه اسماعيل وابراهيم وامه مارتا الى تبريز بصورة رسمية، فاستقبلهم فيها زعيم الاق قويونلو رستم استقبال الملوك. وقام السلطان علي ومعه مريدوه الذين احتشدوا حوله بسرعة بالقضاء على بايسنقر بن يعقوب الذي كان منافساً لرستم، وقد تسنى له ذلك بعد حملتين، وقام ايضاً باخماد تمرد حاكم اصفهان، ثم توجه الى اردبيل ليكون فيها خليفة لابيه حيدر، وليحمل على عاتقه مهمة الهداية في هذه المدينة الدينية. وهكذا عادت بقعة صفي الدين الاردبيلي مرة اخرى مركزاً للاحداث الدينية والسياسية.

واخذ الاتباع والمريدون يتوافدون على اردبيل جماعات ووحدانا، ويبدو ان ذلك كان يقلق رستم، فبعث وراء الشيخ في اواخر خريف عام ٨٩٩هـ يستدعيه الى تبريز، وكان الشيخ فيها موضعاً للحفاوة والاحترام في الظاهر، ولكن الحقيقة ان شبكة من الجواسيس كانت تحيط به لمنعه من اللقاء بالصوفيين المؤيدين له. وكان البلاط ينتقل شتاء الى خوي. فكان اتباع السلطان علي يبعثون بالمال والحاجيات خلسة الى هناك، ولم يكن ذلك يخفى على رستم، ومما زاد في قلقه كثرة السعاية والاخبار السرية التي تصله تترى، فعزم في طريقه من خوي الى معسكره الصيفي على التخلص من الصوفيين باي طريقة ممكنة. فقام احد التركمان المؤيدين للسلطان علي باخباره بما عزم رستم عليه، فاستشار السلطان علي المقربين اليه بالامر ثم هرب الى اردبيل في نفس الليلة. وفي صبيحة اليوم التالي عرف رستم بالامر، فامر ابنه سلطان وابن عمه حسين بيك عاليخاني بتعقب الشيخ باقصى سرعة ممكنة، وقال لهما: «اذا وضع السلطان علي قدمه في اردبيل - وهو ما لا ينبغي ان يحدث - فان عشرة الاف مقاتل من التركمان لن يجدوا نفعاً حينها». وتذكر الروايات انه عندما وصل الصوفيون الهاربون الى قرية شماسي بالقرب من اردبيل، احس الشيخ السلطان علي بدنو أجله، ولذلك استدعى اخاه اسماعيل والبسه تاج حيدر، وعيّنه خليفة له، وفي نفس الوقت اطلعه على اسرار اجداده، وبعد ذلك اختار سبعة من الصوفيين ممن يثق بهم فسلمهم اخويه اسماعيل وابراهيم ليوصلوهما بأمن وسلام الى اردبيل وليتسنى له مواجهة المتعقبين، وكان من بين الصوفيين السبعة حسين بيك لالا، قره پيري بيك القاجاري، ابدال بيك ودده بيك الطالشي وهم جميعاً ممن شغلوا مناصب مهمة في حكومة الشاه اسماعيل الاول.

وحين اصطدم الطرفان كانت الغلبة في البداية للسلطان علي، ولكنه حين تعقب العدو، انشغل انصاره بالغنائم، فبقي في نفر قليل من اصحابه حتى وصلوا نهراً، ولسوء الحظ اقتحم جواده النهر وكانت رجله عالقة بالركاب فاختنق.

امرت الاميرة مارتا (عالمشاه بيگم) والحزن العميق يخيم عليها بحمل جسد ابنها الاكبر الى اردبيل، حيث دفن في اوائل صيف عام ٨٩٩هـ الى جوار اجداده[١].

الشيخ داود بن محمد الكربلائي:

من أعلام القرن الثاني عشر له «ترجمة البلد الأمين» أتمه سنة ١١٣٥ [٢].

ميرزا داود الخراساني:

داود الخراساني عالم جليل وفاضل أديب، له منشآت ومقامات جيدة، شاعر بالفارسية والعربية، من شعره العربي قوله:

فمن تقرب بالسلطان منزلة
تبدو اساءته في الناس احسانا
ومن جفاه جفاه الأقربون وان
كانوا له من قديم الدهر اخوانا[٣]

دبيس بن صدقة المزيدي

مرت ترجمته في المجلد السادس من (الأعيان) ومرت كلمة عنه في المجلد الأول من المستدركات، وننشر عنه هنا ما يلي:

قال محمد بن خليفة السنبسي شاعر بني مزيد يمدحه بقصيدة أولها:

قالوا هجرت بلاد النيل وانقطعت
حبالُ وصلك عنها بعد اعلاق
فقلت اني وقد أقوت منازلها
بعد ابن مزيد من وفد وطراق
فمن يكن نائياً يهوى زيارتها
على البعاد فاني غير مشتاق
وكيف أشتاق أرضاً لا صديق بها
إلا رسوم عظام تحت اطباق

والنيل هنا: كما يقول ياقوت في معجم البلدان: بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلخ من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر.

واياه عني مرجان بن نباه بقوله:

قصدتكم أرجو نوال أكفكم
فعدت وكفي من نوالكم صفر
فلما أتيت النيل أيقنت بالغنى
ونيل المنى منكم فلاحقني الفقر (انتهى)

والنيل اليوم: قرية عامرة قرب بابل على بعد حوالي خمسة أميال من مدينة الحلة، واليها ينسب الشاعر الحسين بن الحجاج.

وما أسماه ياقوت (خليج كبير) هو نهر يتفرّع من الفرات شقه الحجاج.

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.
(٢) السيد احمد الحسيني.
(٣) السيد احمد الحسيني.

الميرزا رحيم بن الحاج ابراهيم قلي المعروف بابو الحسن يغما الجندقي:

من الشعراء المعروفين في العهد القاجاري. ولد عام ١١٩٦هـ في قرية (خور بيابانك جندق) في الصحراء المركزية الايرانية التي كانت تابعة آنذاك لمدينة سمنان. اشتغل في صباه برعي الابل فكان يؤمن معيشة عائلته عن هذا الطريق.

ويقال ان الامير اسماعيل خان العربي العامري الذي كان من كبار الاعيان والملاكين في تلك المنطقة مرّ ذات يوم بيغما، فدعاه اليه وطرح عليه بعض الاسئلة، فاجاب يغما على الاسئلة جواباً حسناً، فاعجب به الامير واحضره معه الى داره واشرف على تربيته.

تعلم يغما القراءة والكتابة في بضع سنين وتعلم الى جانب ذلك الفنون المتداولة عصرئذ من فروسية ورماية واجاد الخط حتى لفت انتباه الامير بخطه، فعينه كاتباً خاصاً له. وفي تلك الاثناء تلقب لاول مرة بالمجنون وانشأ ينظم الشعر. وفي عام ١٢١٦هـ ساءت العلاقات بين اسماعيل خان والدولة، فبعثت العاصمة قوة لمهاجمته، ودارت معركة بين الجانبين، هزم اسماعيل خان فيها، وهرب الى خراسان ووقعت جميع املاكه بايدي الفاتحين.

ذهب يغما الى سمنان للالتحاق بالخدمة العسكرية، فدخل في زمرة جنود حاكم سمنان ودامغان القائد ذو الفقار خان السمناني، واستطاع بقدرته الادبية ان يصبح كاتباً في ديوان رسائل ذو الفقار خان. وفي غضون ذلك كتب «كتاب السرداريه» واستعمل في اشعاره مراراً كلمة قبيحة كان ذو الفقار يكثر من استعمالها في كلامه، فغضب ذو الفقار منه، وكما هو متعارف عليه عصرئذ أمر بجلده بالفلقة ومصادرة املاكه وامواله.

ولهذه المناسبة لقب ابو الحسن نفسه بـ(يغما) (أي النهب والمصادرة) ورحل الى طهران لتقديم شكواه الى البلاط، ومن البديهي انه لم يفلح في نيل حقه مقابل قائد قوي مثل ذو الفقار خان. فارتدى لباس الدراويش وساح في الارض يتنقل من بلد الى بلد ومن مكان الى آخر فزار خلال ذلك كربلاء وبغداد، حتى أخذ القائد ذو الفقار يصفح عنه ويقربه يوماً بعد آخر فعاد يغما الى مسقط رأسه. ولكنه لم يمكث فيه طويلاً، بل سافر بعد ستة اشهر الى طهران عن طريق يزد، والتقى صدفة بالصدر الاعظم القوي الحاج الميرزا الاقاسي، ورغم علاقة هذا بالدنيا كان يحب التصوف ويعتبر نفسه متصوفاً خالص العقيدة، فما لبث ان احب يغما وقربه اليه، فاخذ نجم الشاعر يرتفع يوماً بعد آخر، حتى نال في بلاط محمد شاه مكانة رفيعة وشهرة كبيرة بسبب سلطة ونفوذ الميرزا الاقاسي. ولكن يغما لم يكسب من مكانته في البلاط شيئاً سوى وزارة حكومة كاشان.

وخلال اقامته في كاشان وقعت حادثة مشينة، فنظم يغما فيها قصيدة اسماها (خلاصة الافتضاح) اظهر فيها قدرته في الهجاء، الذي كان محوره احدى الاسر. فعزمت هذه الاسرة على الثأر لنفسها منه بأي وسيلة، واخذت تتهمه لدى امام جمعة كاشان بشتى التهم، فاتهمه الاخير بدوره علنا بشرب الخمر وعدم رعاية الاحكام الشرعية، ووصفه في صلاة الجماعة بالارتداد واللادينية. ولكن يغما لم يبق وحده في قفص الاتهام، بل نهضت جماعة للدفاع عنه، ومنهم العالم المشهور الحاج الملا احمد النراقي الذي كانت لديه محكمة شرعية، حيث لم يأل جهداً في مساعدته. واضطر يغما الى اعلان توبته والتظاهر بالزهد، والظاهر انه فعل ذلك دفعاً للاتهام.

وفي مثل هذه الظروف الفى يغما نفسه غير قادر على البقاء في كاشان، فترك داره واملاكه وساح في الارض، واقام فترة في هرات، وفي اواخر حياته عاد الى مسقط رأسه وله من العمر ثمانون سنة، فبقي فيه حتى فارق الحياة في يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثاني عام ١٢٧٦هـ في قرية خور، ودفن فيها بجوار مقبرة السيد داود.

ترك يغما بعض الاثار الادبية منها ديوان اشعاره الذي طبع في طهران عدة مرات ومنها عدد من الكتب التي دونها بخط يده وتحتفظ بها أسرته. وجاء ديوانه مشتملاً على المثنوي والغزليات والمراثي وغيرها، وكان في غزلياته يتميز على شعراء عصره بكونه اكثر رقة وادق معنى، وحظيت بعض اشعاره، بشهرة واسعة، حتى اصبحت متداولة على لسان الخاصة والعامة. وابدع في المراثي بما لم يفعله الآخرون. وعرف يغما بحبه للغة الفارسية وثقافتها، بحيث كان يكتب اغلب رسائله بلغة فارسية سليمة خالية من المفردات العربية، واثبت مهارة كبيرة في هذا المجال.

ومن فضائله، حسن خطه والظاهر انه خط بيده كثيراً من الدواوين الشعرية للشعراء المتقدمين، وتوجد هذه الدواوين الآن لدى أسرته مع جميع الملحقات والاضافات. ومن الامور التي تميز بها هذا الشاعر الجريء انه لم يمدح شاهاً ولا اميراً رغم رواج سوق المدح في زمن القاجاريين[1].

رضا قلي:

«رضا قلي خان» ابن «الامير كونه خان كرد زعفرانلو» حاكم «قوشان» و«شيروان» وغيرهما. كان من كبار أمراء خراسان ومن أقوى خاناتها وأقدرهم.

وفي أيام تولي «محمد ولي ميرزا» ابن «فتح علي شاه» القاجاري حكومة خراسان اشتد «رضا قلي خان» هذا في مخالفته في كل مدة حكمه. وحاربه اكثر من مرة. وفي سنة (١٢٣١هـ) خلف «محمد ولي ميرزا» أخوه «حسن علي ميرزا شجاع السلطنة» على حكومة خراسان فاستطاع ان يدخل كل خانات خراسان وأمرائها، ومنهم «رضا قلي خان»، في طاعته، ووفدوا عليه، بعد أن كانوا يتحاشون الوفود على «محمد ولي ميرزا» ويخشونه خشية شديدة.

ثم فعل «رضا قلي» في سنة (١٢٤٥هـ) بالسردار حسين خان، وهو حاكم خراسان يومئذ، ما فعله بمحمد ولي ميرزا، فقد خالفه ونصب له العداوة حتى تمكن من حمل المسؤولين على عزله وتعيين «احمد علي ميرزا» الابن الثاني عشر لفتح علي شاه في مكانه.

وفي سنة (١٢٣٣هـ) حين سار «فتح خان» الوزير المقدام المدبر

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

للملك محمود الافغاني بثلاثين ألف فارس من «هرات» قاصداً احتلال مدينة مشهد، حركت مسيرته هذه الشغب والفتنة في كل ناحية من خراسان، اذ كانت الرسل والرسائل قد سبقت منه الى امراء خراسان وخاناتها فواطؤوه على هذا الأمر.

ومع أن «شجاع السلطنة» وقواده العسكريين قد قضوا على غائلة «فتح خان» هذه قضاء تاماً، فإن «فتح علي شاه» سار في تلك السنة الى خراسان بنفسه. فلما بلغ «بام صفي آباد» توقف عندها لإخضاع «سعادت قلي خان» البغايري حاكم «سبزوار» وأخيه «مرتضى قلي خان» إذ كانا قد شقا عصا الطاعة. فحاصر قلعة «بام» ثم احتلها وأخضعهما.

وانصرف بعد ذلك الى اخضاع «رضا قلي خان كرد زعفران لو». فغادر هذا «قوشان» الى «شيروان»، متشفعاً بالصدر الأعظم «الميرزا محمد شفيع». فذهب هذا الى «شيروان» مع ثلاثة من كبار رجال الدولة لاسترضائه وتطمينه، ولكنه ظل حذراً لا يطمئن ورفض الذهاب الى «فتح علي شاه». فعاد الصدر الأعظم ومرافقوه خائبين. وغضب «فتح علي شاه» من عمله وتمرده فأمر بالإغارة على مساكنه وحصونه ونهب أمواله ومواشيه، وأوقع به خسائر جسيمة. فاضطر الى توسيط جماعة يتشفعون به وبذل مالاً عظيماً حتى حصل على العفو ولكنه امتنع عن الحضور الى الشاه.

واستمر «حسن علي ميرزا شجاع السلطنة» حاكماً على خراسان الى سنة (١٢٤٣هـ) إذ استدعي الى العاصمة وأناب «فتح علي شاه» عنه السردار «حسين خان» وأرسل معه أخاه «حسن خان». وبقي حاكماً عليها الى سنة (١٢٤٥هـ). وفي هذه السنة عاد «رضا قلي» الى تمرده فخالف «حسين خان» ونصب له العداوة واستولى على «نيسابور» و«شناران» و«رادكان». فاضطر «حسين خان» الى محاربته وأرسل اليه جيشاً من ستة آلاف جندي الى «نيسابور». ولكنه لم يصنع شيئاً وعجز عن إخضاعه، بل زاده تمرداً.

وكتب «رضا قلي خان» رسالة الى «فتح علي شاه» قال فيها إن جميع أمراء خراسان وخاناتها يدخلون في طاعته إن هو ارسل احد ابنائه حاكماً على خراسان بدلاً من السردار «حسين خان». فأجابه «فتح علي شاه» الى طلبه وارسل ابنه الثاني عشر «احمد علي ميرزا» حاكماً على خراسان واستدعى «حسين خان» وأخاه «حسن خان» الى أصفهان.

ووفى «رضا قلي» وسائر خانات خراسان بوعدهم فدخلوا في طاعة الامير الحاكم ووفدوا عليه.

من جملة الاعمال التي قام بها «رضا قلي خان» شراء «مهدي قلي خان جلال الدولة» ابن «سعادت قلي خان» أحد رؤساء خراسان وخاناتها من التركمان. وذلك أن «جلال الدولة» سار في سنة(١٢٤٦هـ) الى مشهد لزيارة الامام الرضا (ع). فاعترضه في الطريق جماعة من التركمان، بتحريض من «إله قلي خان» الخوارزمي «خان خوارزم» فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروا جماعة. وكان «جلال الدولة» في جملة الأسرى. فلما بلغ خبر الواقعة إلى أولياء الامور، ارسل الشاه الى «رضا قلي خان» أمراً بافتداء «جلال الدولة» من التركمان بأي نحو كان. فقام بمفاوضتهم واشتراه منهم بعشرة آلاف تومان.

وفي سنة (١٢٤٧هـ) خرج «عباس ميرزا» نائب السلطنة بجيشه من «سبزوار» قاصداً «نيسابور» وكان «رضا قلي خان» يحتلها. فترك ما كان بيده من قلاع وتراجع عنها الى «قوشان» مقر حكومته. واحتل جيش الدولة تلك القلاع، ودخل نائب السلطنة الى مشهد فبادر اكثر خانات خراسان وامرائها الى الوفود عليه من مختلف نواحيها. إلا ان «رضا قلي خان» وقلة آخرين تخلفوا عن الحضور اليه. فتتبعه نائب السلطنة بجيشه الى «قوشان». فلما وصل الى حدودها توسل «رضا قلي خان» بالقائمقام «الميرزا أبو القاسم» وجعله شفيعه الى نائب السلطنة. الا ان هذا لم ينصرف عن تتبعه، وأخذ يحتل قلاعه واحدة بعد أخرى، حتى اضطره الى التسليم فاعتقله ونصب في مكانه ابنه «سام خان» رئيساً على جماعته.

ثم حمله مخفوراً من «قوشان» الى مشهد وسجنه في القلعة الخاصة بسكنى الحاكم. ثم تمكن من اعتقال «محمد خان قرائي» بعده فسجنه معه. وكانت بين هذين الخانين منافسة ويعدان اكبر امراء خراسان المتمردين.

وقد راعى نائب السلطنة جانب «رضا قلي خان» فرفق به ولم يضيق عليه، نظراً لما كان له من أهمية بين أمراء خراسان وخاناتها، ولأنه كان يعد الأول فيهم. وبعد ثلاثة ايام من وصوله الى خراسان طلب أن يذهب الى الحمام فأذن له. وكان قد أوعز الى خاصته من خدمه أن يعدوا له فرساً وبندقية وخنجراً يحضرونها اليه عند خروجه من الحمام، ففعلوا. فلما اغتسل وخرج الى الشارع اخذ البندقية والخنجر منهم وامتطى الفرس وفر هارباً. فتبعه ثلاثة من الحراس الموكلين به حتى وصلوا اليه وأمسكوا بلجام الفرس، ولكن «رضا قلي خان» قتل أحدهم برصاصة وآخر بالسيف فأفلت منهم وتابع الفرار.

ثم ترجل عن فرسه ومضى راكضاً يقصد حرم الإمام الرضا (ع) ليستجير به. ولكن بعض الجند عرفوه فأمسكوا به، فقاومهم بيديه مقاومة شديدة، وفي أثناء هذا الاشتباك العنيف نتف الجند لحيته وضربوه على رأسه بالعصي والحجارة ضرباً شديداً ومزقوا ثيابه قطعة قطعة حتى عاد عارياً، وحملوه على هذه الحالة الى نائب السلطنة «عباس ميرزا» فلما رآه هذا نزع ثوبه عن جسمه وألقاه عليه ليستره. ثم أعاده الى سجنه وزاد في حراسته فجعلهم خمسين رجلاً يراقبونه ليل نهار.

وفي الشهر الأول من سنة (١٢٤٩هـ) غادر نائب السلطنة خراسان الى طهران وصحب معه امراء خراسان وخاناتها، وارسل «رضا قلي خان» و«محمد خان قرائي» الى آذربيجان. ووعك «رضا قلي خان» في «ميانج» بسبب ما لقيه من صدمات ومشاق ثم توفي. وبعد مدة قليلة نقل جثمانه الى مشهد فدفن في حرم الإمام الرضا (ع). وأما «محمد خان قرائي» فقد عاش في تبريز عدة سنوات مع ابنه الصغير.

مير زاده عشقي

الشاعر الإيراني المبدع، ومن الأحرار المناضلين في سبيل الحرية والحياة النيابية الدستورية (المشروطة) كان شعره سهام موجهة لصدور أعداء الحرية، وحرارة ودفأ للثوار ديوانه مليء بمثالب المستبدين ومكارم الثوار والأحرار، وكان بذيء اللسان والقلم فلم يراع في هجوه المعايير

الأخلاقية وكان يهجو بعنف وقد كلفه ذلك غاليا حيث أودى بحياته، وقد نظم القصائد والأشعار على جميع الأبحر في الشعر الفارسي، وقد مدح الجميع جرأته وذموا قساوته في الهجاء.

الخواجة سعيد الدين الهروي الملقب بـ(سعيد) والمشهور بـ(سعيد الهروي):

من مشاهير شعراء القرنين السابع والثامن للهجرة. وقد ذكر تقي الدين اسم هذا الشاعر بنفس الصورة التي ذكرناها، بينما اورد دولتشاه والذين اخذوا عنه على انه (سعيد الهروي) وليس سعيد الدين الهروي. وهكذا فعل مؤنس الاحرار الا انه اضاف القاباً، مثل: ملك الحكماء أو ملك الحكماء والشعراء، اما في مجمع الفصحاء فقد ورد اسمه (سعد الدين الهروي) ولعل هذا الاختلاف هو الذي دعا البعض الى تسميته بـ(سعد الدين سعيد الهروي).

عاش اوائل حياته في خراسان ودرس فيها واشتهر بشعره، وعلى حد قول تقي الدين كان مشهوراً في خراسان وما وراء النهر. وقد ذكر اغلب اصحاب التراجم انه من اقران القاضي شمس الدين الطبسي، مع ان شمس الطبسي مات في ريعان شبابه، بينما كان سعيد الهروي على قيد الحياة في عهد السلطان ابي سعيد بهادر (م٧٣٦هـ) ومن خلال ملاحظة عام وفاته فان من الصعب التصديق بانه كان من اقران القاضي شمس الدين الطبسي، لانه لكي يكون كذلك لا بد ان يكون عمره تجاوز المائة وخمسين او المائة وستين عاماً.

والسبب الذي اوقع المؤرخين في هذا الخطأ بشأن سعيد الدين الهروي، هو على حد قول تقي الدين الكاشاني: «ان افاضل العصر واعاظم تلك البلاد (اصفهان) كانوا يرجحون شعره على شعر اقرانه مثل الامامي الهروي والقاضي شمس الدين الطبسي، كما كان يفعل پوربها وهو أحد تلاميذه حين كان يبالغ في ذلك، ويخرج فيه عن الصدق». وسبب هذه المقارنة هو الشبه الموجود بين اسلوب سعيد الدين الهروي وشمس الدين الطبسي وحين قيل عن الاول انه من اقران الامامي وشمس، فانما اريد بذلك تشابه اسلوبهم وليس وحدة زمانهم، وكانت كلمة (اقران) وحدها كافية لأن يقع اصحاب التراجم بهذا الخطأ لضحالة معلوماتهم عن زمن سعيد الدين الهروي.

تزامن ظهور سعيد الدين الهروي في الشعر مع عهد نيابة الخواجة عز الدين طاهر المستوفي الفريومدي في خراسان، حيث مدحه الشاعر بعدة قصائد، ولا يزال بعضها موجوداً الى الآن. وكان الخواجة عز الدين طاهر يشغل منصب نيابة خراسان في عهد حكومة ارغون آقا، اي بعبارة اخرى كان وزيراً لخراسان، والمعروف ان ارغون آقا كان حاكماً لايران من جيحون الى حدود فارس وگرجستان وبلاد الروم في عهد اوكتاي قاآن من عام ٦٤١ الى عام ٦٥٤هـ. وحين قدم هولاكو عام ٦٥٤هـ الى طوس ضمن مهمته في ايران، بادر الامير ارغون ونائبه الخواجة عز الدين طاهر الى استقباله.

وتحدث تقي الدين الكاشي عن علاقة سعيد الهروي مع الجهاز الحكومي لعز الدين طاهر الفريومدي فقال: «اتصف في اوائل نشأته الشعرية بذكائه الوقاد وقدرته الشعرية، فاشتهر اسمه في اطراف ما وراء النهر وخراسان، وكان الخواجة عز الدين طاهر الفريومدي آنذاك وزيراً لخراسان من قبل هولاكو، فاخذ يتعهده برعايته ويمن عليه بانواع الصلات. وينقل عنه انه سافر الى نيسابور ذات مرة في مهمة رسمية لتحصيل العشر الديواني، فافتتن هناك بفتاة كانت في حسنها وجمالها مطمحاً للشباب وفي حسن سيرتها اسوة للصالحين...» ثم يقول ان سعيد ترك خراسان بعد وفاة الخواجة طاهر الفريومدي.

والمعروف ان عز الدين طاهر بقي في منصبه في خراسان طوال عهد هولاكو، وحين خلف اباقاخان هولاكو عام ٦٦٣هـ اقر غز الدين طاهر في منصبه كوزير لخراسان، ومن هنا نعرف ان سعيد بقي في خدمة الخواجة طاهر فترة طويلة، ثم انتقل الى اصفهان فاقام فيها وتزوج واحب المدينة وتعلق بها، ويبدو ذلك واضحاً في اشعاره.

ومن القصائد العديدة التي قالها الشاعر سعيد الهروي في المدح، انتخب تقي الدين قصائد في مدح السلطان محمد خدابنده (٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ) ووزيريه رشيد الدين فضل الله وتاج الدين علي شاه، اضافة الى قصائد في مدح الابن الأكبر للخواجة رشيد الدين فضل الله وهو الخواجة جلال الدين الذي كان يشغل منصب وزارة تيمورتاش بن الأمير چوپان. ومن الأشخاص الآخرين الذين مدحهم الشاعر سعيد: الشيخ علي بن الأمير ايرنجين واخ قتلغ شاه خاتون زوجة أبي سعيد الذي قتل عام ٧١٩ هـ وكذلك نصرة الدين أحمد بن الأتابك يوسف شاه الذي شغل منصب وزارة لرستان من عام ٦٩٥ الى عام ٧٣٠ هـ.

أدرك سعيد الدين الهروي عهد سلطنة أبي سعيد بهادر (٧١٦ ــ ٧٣٦ هـ) بعد وفاة أولجايتو محمد، وفي هذا العهد نظم مرثيته التي يؤرخ بها وفاة أحد الأعيان وهو الخواجة نظام الدين اسحاق عام ٧١٧ هـ ونظم مرثية أخرى مؤثرة بعد ذلك بعام بمناسبة وفاة رشيد الدين فضل الله (الذي قتل عام ٧١٨ هـ) وبناء على هذا يكون سعيد قد بقي حياً حتى هذا التاريخ.

وإذا كان هدايت قد ذكر بأن وفاة سعيد الهروي كانت عام ٦٤٩ هـ، فان قوله هذا خطأ دون شك إذا ما لاحظنا الأمور التي أوردناها آنفاً. بينما ذكر سعيد النفيسي ان وفاة سعيد كانت عام ٧٦٦ ولا نعلم من أين استقى هذه المعلومة، ولكن يبدو على أية حال ان هذا التاريخ بعيد عن الصحة. أما تقي الدين فيرى أن وفاته كانت في ٧٤١ هـ والحقيقة أن هذا التاريخ هو الأقرب الى الصحة، ويجدر أن يعتبر عاماً لوفاة الشاعر سعيد الهروي، ما لم يظهر قول محقق أكثر دقة منه.

كان الشاعر سعيد شيعياً وذكر تقي الدين أن له قصائد في مدح أهل البيت وذكر مناقبهم، وقدر ديوان شعره بعشرة آلاف بيت. وقد وردت أغلب أشعاره في (مؤنس الأحرار) وكذلك في (خلاصة الأشعار). ويمكن أن ندرك من خلال اشعاره هذه قدرته الكبيرة التي كان يتمتع بها في مجال الشعر، ومهارته وقابليته في اقتفاء أثر شعراء أواخر القرن السادس الهجري. فقد جاء لحن شعره قريباً جداً من لحن شعراء خراسان في عصر ما قبل المغول، بل هو في الحقيقة استمرار لطريقتهم. ومن الشعراء الذين ذكر انهم تتلمذوا عليه كما ورد في بعض التراجم (پوربها الجامي) الذي يعد من شعراء القرن السابع المعروفين. ورغم

أن الأخير نسب اليه التتلمذ على ركن الدين القباني، إلا أن الجمع بين الأستاذين أمر ممكن[١].

الشيخ سعيد بن علي بن جعفر أبو المكارم:

ولد في القطيف بقرية العوامية حوالي عام ــ ١٣٥٦ هــ وتلقى علومه الأوّلية في بلده على بعض المشائخ وفي الكتّاب قبل ذلك، ثم رحل في سبيل طلب المزيد من العلوم الدينية واللغوية وعلوم الآلة، ثم عاد الى بلده وتفتحت مواهبه الأدبية ولا سيما في الخطابة والشعر.

من مؤلفاته المطبوعة:

١ ــ أعلام العوامية ــ جزءان ــ العراق عام ١٣٨١ هــ ــ ٣٣٩ صفحة في مجلد واحد، ٢ ــ وحدة الخطيب ــ جزءان.

٣ ــ دعوات الرسول (ص) جزءان.

٤ ــ الفطرة بين التكوين والتشريع.

٥ ــ بين الهيئة والفلسفة.

٦ ــ بين أيدي القرآن.

٧ ــ رباعيات القرن العشرين ــ ديوان شعر ــ جزءان.

٨ ــ ربّات الخلود ــ ديوان شعر.

٩ ــ أبو الحسن العوامي وزواهره العليا وغير ذلك.

شهاب الأصفهاني:

هناك الميرزا نصر الله شهاب الأصفهاني الملقب بتاج الشعراء الذي يعد من مداحي فترة ناصر الدين شاه، وقد ذكر السيد أحمد الديوان بيگي الشيرازي شاعراً آخر يحمل نفس الاسم (شهاب الأصفهاني) وقال عنه: يظهر من ترجمة حسين قلي خان السلطاني انه كان من فحول تلامذة الملا هادي السبزواري. عاش في كرمانشاه وترك عدداً من المؤلفات التي لا زال الصوفيون وطلاب العلم يستفيدون منها[٢].

صادق التفريشي:

فاضل أديب شاعر عارف، رأيت له في بعض المخطوطات أبياتاً هذا بعضها:

معشر العشاق من أهل الجوى
اني آنست ناراً بالطوى
فامكثوا يا أهل ودي علني
آتكم بالخبر مما حلني
أو لعلي آتكم ما تصطلون
وعلى النار سبيلاً تهتدون
اني قد نوديت في السر الخفي
ما لو استقصاه عمري لا يفي
آه اني لو أهبت حاملاً
ان في صدري لعلماً كاملا[٣]

---

(١) ذبيح الله صفا.

(٢) عبد الرفيع حقيقت.

(٣) السيد احمد الحسيني.

طلائع بن رزيك

مرت ترجمته في المجلد التاسع من الأعيان كما مرت كلمة عنه في المجلد الأول من (المستدركات) وننشر هنا هذه الكلمة: قال المقريزي في خططه (ص ٢٩٤): فباشر البلاد أحسن مباشرة واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات فأقام من بعده عبد الله بن محمد ولقبه بالعاضد لدين الله وبايع له وكان صغيراً لم يبلغ الحلم فقويت حرمة طلائع وازداد تمكنه من الدولة فثقل على أهل القصر لكثرة تضييقه عليهم واستبداده بالأمر دونهم، فوقف له رجال بدهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الأرض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة. وكان شجاعاً كريماً جواداً محباً لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله عظيماً في سطوته. وجمع أمولاً عظيمة. وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع. صنف كتاباً سماه (الاعتماد في الرد على أهل الفساد) جمع له الفقهاء وناظرهم عليه، وهو يتضمن إمام علي بن أبي طالب والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك، وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن. فمنه في اعتقاده:

يا أمة سلكت ضلالاً بينا
حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم إلى أن المعاصي لم يكن
الا بتقدير الإله وجودها
لو صح ذا الاله بزعمكم
منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا
ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها الجوهرية في الرد على القدرية. وجدد الجامع الذي بالقرافة الكبرى ووقف ناحية بلقس على أن يكون ثلثاها على الاشراف من بني حسن وبني حسين ابني علي بن أبي طالب (ع) وسبع قراريط منها على اشراف المدينة النبوية وجعل فيها قيراطاً على بني معصوم أمام مشهد علي (ع).

ولما ولي الوزارة مال على المستخدمين بالدولة وعلى الأمراء وأظهر مذهب الإمامية وهو مخالف لمذهب القوم.

إلى أن يقول: ولم يترك أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر. وكان يخرج البعوث في كل سنة مراراً. وكان يحمل في كل عام الى أهل الحرمين مكة والمدينة من الاشراف سائر ما يحتاجون اليه من الكسوة وغيرها حتى يحمل اليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والأقلام والمداد وآلات النساء، ويحمل كل سنة الى العلويين الذين بالمشاهد جملاً كبيرة. وكان أهل العلم يغدون إليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم.

طهماسب الثاني:

الشاه «طهماسب» الصفوّي الثاني ابن الشاه «سلطان حسين» الأكبر وولي عهده. لما حاصر «محمود غليجائي» الأفغاني أصفهان عاصمة

الصفويين سنة ١١٣٤ هـ ذهب «طهماسب» من اصفهان الى قزوين وصحب معه ثمانية فرسان منتخبين من قبيلة «قاجار» ليجمع جيشاً يدفع به الأفاغنة. ومكث في قزوين لم يستطع أن يجمع فيها الجيش المطلوب. وكل ما فعله أنه أقام لنفسه عرساً وانصرف الى اللهو.

وجلس «طهماسب» على العرش في قزوين. وذكر أكثر المؤرخين أن جلوسه كان بعد أن قتل الأفاغنة أباه الشاه «سلطان حسين» في أصفهان سنة ١١٤٠ هـ وقال آخرون أن جلوسه كان سنة ١١٣٥ هـ بعد احتلال الأفاغنة لأصفهان وسجنهم أباه في زاوية من قصره.

فر طهماسب الى قزوين حين محاصرة أصفهان، وأخذ يسعى الى جمع الجند لتقوية الجيش المدافع. فأرسل «محمود غليجائي» جيشاً بقيادة أفغاني اسمه «أمان الله» يتعقبه ليقبض عليه. ولما بلغ هذا الجيش مكاناً يبعد عشرة فراسخ عن قزوين فر «طهماسب» منها ومعه رجاله القلائل الذين كانوا يرافقونه الى آذربيجان. ولما بلغ الأفاغنة قزوين استأمنهم أهلها فأمنوهم وعاهدوهم، وأدخلوهم الى المدينة. ولكن الأفاغنة غدروا بهم وتعدوا عليهم. فثار القزوينيون عليهم وهبوا الى محاربتهم وقتلوا جماعة منهم، وفر من كان من الأفاغنة خارج المدينة يقيمون في بساتينها. فلما بلغ خبر هذه الواقعة الى محمود غليجائي انتقم بأن قتل أربعة عشر ومائة رجل من عسكر قزلباش.

أما «طهماسب» فقد فر من قزوين الى تبريز ومنها الى اردبيل ومنها الى طهران. وحين كان في تبريز أرسل في سنة ١١٣٦ هـ سفيرين من قبله، أحدهما الى السلطان العثماني «أحمد الثالث» والآخر الى القيصر الروسي «بطرس الكبير»، يطلب منهما العون على خصمه. فأما العثمانيون فأهملوه لا يعتنون به. وأما الروس فقد أجاب قيصرهم بأنه حاضر لإخراج الأفاغنة من ايران واجلاس طهماسب على عرشها، بشرط أن يتخلى له الشاه عن ولايات مازندران وجيلان واسترآباد وداغستان ومدينتي دربند وبادكوبه، وتبقى التجارة حرة بين ايران وروسيا، وبهذه الشروط أمضى طهماسب والقيصر معاهدة بينهما.

ولكن القيصر، مع ذلك، لم ينفذ هذه المعاهدة، اذ كان قد استولى على «جيلان» قبل امضاء المعاهدة. وكان احتلال مازندران وجرجان أمراً لا صعوبة فيه.

وفي تلك الأثناء ظهر أمر «نادر شاه أفشار»، وتوفي القيصر (سنة ١٧٢٥ م الموافقة سنة ١١٣٨ هـ). وجلا الروس عن «جيلان»، واكتفوا بإبقاء وكيل لهم في «بندر انزلي» للقيام بالأعمال التجارية.

وقام العثمانيون، وهم ساكتون عن كل مفاوضة وحوار، باحتلال كرمانشاه وكردستان وايروان ونخجوان ومراغة وخوي، وانحدروا في صوب تبريز. ودفع بطهماسب جبنه وضعف نفسه الى مغادرة تبريز والذهاب الى اردبيل. ولكن التبارزة هبوا الى الدفاع، وهم منقطعون عن كل مساعدة من خارج مدينتهم، وقاوموا العدو المغير مقاومة شديدة. واحتل العثمانيون تبريز في سنة ١١٣٧ هـ. ومع ذلك ظل التبارزة على مقاومتهم واغتالوا جماعة كبيرة من جند العثمانيين بعد احتلال مدينتهم.

ولما سار «اشرف» الأفغاني من اصفهان ليحتل كاشان وقم وطهران تجنب الشاه طهماسب محاربته، وذهب الى مازندران. وكانت هذه الولاية وولاية جيلان قد شاع فيهما الوباء والطاعون فمرض كثير من جنده وماتوا ولم يبق معه منهم قدر يعتد به. وأراد أن يستعين بـ «فتح علي خان قاجار» جد السلاطين القاجاريين الأعلى على اخراج خراسان من احتلال «محمود السيستاني». فلما وصل الى «دامغان» بلغت مسامعه شهرة «نادر قلي» (نادر شاه) حاكم «أبيورد» و «نسا» وأخبار شجاعته ورباطة جأشه. فأرسل «طهماسب» اليه «حسين علي» أو «حسين علي بيك البسطامي» ليحضره اليه. فقام هذا بمهمته أحسن قيام وجاء بـ «نادر قلي» الى الشاه «طهماسب».

يقول الأب «بازن» طبيب نادر شاه الخاص إن «نادر قلي» كانت عدة رجاله، يوم قدم الى الشاه «طهماسب»، بين خمسمائة وستمائة لا أكثر. ويقول «بازن» أيضاً: «إن طهماسب ابن سلطان حسين كان يتمسك بحقوقه الموروثة. ويقوم أحياناً ببعض التحركات من أجل الاحتفاظ بهذه الحقوق، ولكنها تحركات ضعيفة. ولم يكن قد بقي معه من رجاله غير قليل ظلوا على وفائهم له. وحتى هؤلاء القلائل ضاقوا ذرعاً بهذه الخدمة المحفوفة بالأخطار والمشقات، وأخذوا يتخلون عنه واحداً بعد آخر، بل كان من الممكن أن يقدموا على خيانته. وفي مثل هذا الظرف سنحت فرصة ظهور «نادر قلي» وقيامه بخدمته وتهيئه، مع رجاله الخمسمائة أو الستمائة، للقيام بكل عمل من أجل إجلاس «طهماسب» على السرير الشاهاني. فبعث هذا المدد غير المنتظر الأمل في قلب الأمير. وبعد حصول «نادر قلي» على بعض الانتصارات نادى بطهماسب شاهاً على ايران. وعينه «طهماسب» قائداً عاماً لجيوشه. وقسم «نادر قلي» العسكر الى قسمين، أحدهما عدته مائة ألف قاده «طهماسب» الى محاربة العثمانيين، والآخر عدته ستون ألفاً قاده «نادر قلي» الى محاربة الأفاغنة في خراسان. وفي سنة ١٧٣١ م (١١٤٣ هـ) أوقع العثمانيون بطهماسب هزيمة منكرة بعثت اليأس في القلوب» ا. هـ.

بعد أن اتصل «نادر قلي» بـ «طهماسب» عينه هذا رئيساً لحرسه الخاص وأنعم عليه بلقب «طهماسب قلي خان». ثم أمره بالسير الى خراسان لإخضاع الملك «محمود السيستاني» الذي نصب نفسه شاهاً على خراسان. فسار اليها بمن معه من عسكر جمعهم من مختلف النواحي. وبعد بضع معارك تغلب على الملك «محمود السيستاني» وقتله. ومن ذلك التاريخ أخذ «طهماسب قلي خان» (نادر قلي) يزداد عظمة وأهمية يوماً فيوماً. أما الشاه «طهماسب» فلم يكن غير آلة مسيرة في يده.

ولما ثارت قبيلة «أبدالي» الأفغانية في «هرات» وسار «طهماسب قلي خان» إليها لإخضاع الثائرين رافقه الشاه «طهماسب» في هذا المسير. وتغلب «طهماسب قلي» على الثائرين واعتقل رئيسهم «الله يارخان» الأبدالي وعين حاكماً على «هرات» من قبله. ثم عادا معاً إلى مشهد.

ورافق الشاه «طهماسب» أيضاً «طهماسب قلي خان» في المعركة التي وقعت بينه وبين «اشرف» الأفغاني في «مهمان دوست» و «دره خوار»

سنة ١١٤٢ هـ. ولكنه، لما سار «طهماسب قلي خان» الى اصفهان لاستخلاصها من يد الأفاغنة، توقف الشاه «طهماسب» في طهران، ووقعت معركة «مورشه خورت» في ربيع الثاني سنة ١١٤٢ هـ بالقرب من اصفهان وهو في طهران. وبعد احتلال اصفهان فرار «اشرف» الأفغاني سارع الشاه اليها. وكان كل من الشاه و«طهماسب قلي خان» شديد الرغبة في الاسراع ما أمكن بالقضاء على «اشرف» واراحة ايران من شر الأفاغنة. فلم يدخر «طهماسب قلي خان» جهداً في هذا السبيل حتى وصل الى مراده.

وفي سنة ١١٤٣ هـ سار «طهماسب قلي خان» من آذربيجان قاصداً خراسان ليقمع ثورة جديدة قامت بها قبيلة «أبدالي» في «هرات». فاغتنم الشاه «طهماسب» فرصة غيابه ليذكر بنفسه وليثبت أن لـه كفاءة وشخصية قوية مستقلة، فسار الى آذربيجان بجيش عدته مائة ألف جندي ليحارب العثمانيين ويخرجهم من أذربيجان. ولكن العثمانيين أوقعوا به هزيمة منكرة وأجبروه على توقيع معاهدة صلح مذلة تقضي بأن تكون كل البلاد الواقعة في الجانب الأيسر من نهر «أرس» للعثمانيين. وكان بضعة آلاف من الايرانيين أسرى عند العثمانيين فسكت «طهماسب» عنهم ولم يطالب باستردادهم، ولا ذكرت المعاهدة عنهم شيئاً. فألحقت هذه المعاهدة خسارات جسيمة بايران، وعاد «طهماسب» إلى اصفهان محتقراً مرذولاً. ولكنه انصرف الى اللهو واللعب مستهتراً بدلاً من أن يسعى الى جبر انكساراته المخزية وتدارك ما أوقعه ببلاده من فساد.

ولما سمع «طهماسب قلي خان» بهذه الواقعة التي حدثت بغير علم ولا مشورة منه وألحقت بايران اهانة عظيمة أسف كثيراً وغضب غضباً شديداً. وبادر الى اصدار بيان عمّمه على جميع حكّام الولايات الايرانية، في موضع انكسار الشاه «طهماسب» وتسليم كثير من مدن ايران الى العثمانيين وعدم استرداد الأسرى. وضمن هذا البيان تصريحاً بأن رجالات ايران ورؤساءها لن يدعنوا لمثل هذه الاساءات ولن يقر لهم قرار حتى يخرج العدو من أرض ايران.

ثم أرسل سفيراً إلى بلاط السلطان العثماني «محمود خان الأول» الذي خلف السلطان «أحمد خان الثالث» ومعه رسالة بأن أحداً من رؤساء ايران وقواد جيشها لن يرضخ لمثل هذه المعاهدة المذلة، ولن يقبلها بوجه من الوجوه. فإما أن تعود الى ايران كل المدن التي غصبها العثمانيون بمقتضى هذه المعاهدة وإما أن يستعد العثمانيون للحرب. وأرسل الى «أحمد شاه» والي بغداد ينبئه بعزمه هذا.

وفي ذلك التاريخ، اذ كان العثمانيون قد احتلوا قسماً كبيراً من الشمال الغربي من ايران ومن غربها كان الروس قد اغتنموا فرصة الفتنة الأفغانية وتشوش الأحوال في ايران فاعتدوا على سواحل بحر مازندران واستولوا على «بادكوبا ــ جيلان» ومازندران. فأرسل «طهماسب قلي خان» اثنين من رؤساء عسكره الى مازندران الى كبار الضباط الروس، ومعهما رسالة مضمونها انذار بأن عليهم الجلاء عن هذه البلاد والعودة الى مملكتهم. فإن أبوا فليتهيأوا للحرب. وقد بادر الروس الى الجلاء عن المدن التي احتلوها فور وصول هذه الرسالة اليهم.

وبعد أن اتخذ «طهماسب قلي خان» هذه التدابير وتهيأ للأحداث المقبلة، سار من مشهد في أواخر سنة ١١٤٤ هـ بتجهيزات عسكرية تامة قاصداً طهران، وأرسل الى الشاه «طهماسب» يلتمس منه ملاقاته في طهران. ولكن الشاه لم يجبه الى التماسه وظل في أصفهان. ووصل «طهماسب قلي خان» الى طهران فتلبث فيها قليلاً ثم سار بجيشه قاصداً أصفهان. فلما وصل الى قم انضم اليه جيش كان قد طلبه من ولاية فارس يقوده «محمد علي قو للرآقاسي» والي فارس و«محمد خان بلوش» حاكم «كوكيلويه».

ودخل «طهماسب قلي خان» أصفهان بهذين الجيشين ونزل في «باغ هزار جريب». ثم دخل على الشاه «طهماسب» في «باغ سعادت آباد». وأراد أن ينفي من نفس الشاه كل سوء ظن به ويجعله مطمئناً اليه، فلاقاه بكل مظاهر التعظيم والتواضع حتى إذا أصبح قريباً منه قبل الأرض ثلاث مرات ولبث واقفاً بين يديه حتى أذن له الشاه بالجلوس. وما زال بالشاه الساذج يتملّقه ويظهر له الخشوع والخضوع واستعداده للتفدية وأنه يقف نفسه على خدمته حتى ملك قلبه وجعله يقتنع بأن «طهماسب قلي خان» هو خادمه المخلص.

ثم قال للشاه: إذ كنت عازماً على القيام بعمل عظيم لخدمة صاحب الجلالة، أريد تحذير أعدائه ودفع المتجاوزين لحدود المملكة، فإن العبد يلتمس أن تتفضل جلالتكم برفع رأسه بأن تقوم غداً باستعراض جيش خراسان، ويكون ذلك باعثاً على تشجيع أمراء العسكر ورؤسائه وتقديرهم وتثبيتهم. فإن تفضلتم بالقبول بلغ العبد غاية الافتخار.

وانقسمت حاشية الشاه الى فريقين مختلفين. فريق كان يخالف «طهماسب قلي خان»، وكان على اطلاع على ما وراء هذه الدعوة، فأفهموا الشاه أن هذه الدعوة شرك ينصبه «طهماسب قلي خان» للشاه ونصحوه بأن لا يستجيب لها. وفريق كان من أنصار «طهماسب قلي خان» المخلصين المقيمين على الاعتراف بجميله عليهم فشوقوا الشاه الى اجابة الدعوة وحرّضوه على قبولها. وانتهى الأمر الى رجحان رأي الفريق الثاني وذهب الشاه الى معسكر «طهماسب قلي خان».

وبالغ هذا في اعداد التشريفات ومظاهر التعظيم للشاه، وخرج الى استقباله قاطعاً مسافة بعيدة، وعاد معه راجلاً يسير في ركابه ويحدثه الى أن بلغا المعسكر. فلما جلس الشاه عرفه بأمراء خراسان واحداً واحداً، فشملهم بالملاطفة والعناية. ثم قدم الى الشاه هدايا لائقة. وكان سرور الشاه عظيماً بما لقيه من حفاوة واحترام وهدايا وتحف.

ثم التمس «طهماسب قلي خان» من الشاه أن يتفضل بالاستجمام بالمبيت في منزله تلك الليلة، فيزداد عبده افتخاراً ورفعة راس بهذا التشريف. فلاقى هذا الالتماس هوى في نفس الشاه، اذ كان ما هيأه «طهماسب قلي خان» في هذه الضيافة من وسائل وأسباب لإدخال السرور والبهجة والتسلية الى نفس الشاه قد أقر عينه، فعدل عن العودة وقرر البقاء

وقضى الشاه تلك الليلة يتمادى في اللهو واللعب والأنس، وأفرط في شرب الخمر حتى عاد لا يعقل، يترنح ويقع هنا وهناك، وتبدو منه حركات صبيانية وتصرفات كتصرفات المجانين. أما «طهماسب قلي خان» فجعل يدعو الأمراء والرؤساء من عسكر خراسان وغيرها الى أن ينظروا بأعينهم خفية الى حركات السكر التي تبدو منه والأعمال القبيحة

التي يقوم بها، ليعلموا منشأ كل هذا الخراب والفساد الذي يعم المملكة ويعرفوا أي شاه هذا الشاه الذي يحكمهم. ولكنه كان يحاذر أن يفطن الشاه إلى انهم يراقبونه ويلاحظونه.

وذكر بعضهم أن السبب في ادمان الشاه «طهماسب» شرب الخمر وانغماسه في اللهو والملذات انه بعد احتلال الأفاغنة اصفهان وسجن أبيه، وكان يومئذ في مطلع شبابه، أصبح دائم الغم والحزن. وأراد أحد الجهلاء من رجاله أن يصرف عنه غمه وحزنه فدله على طريق اللهو والطرب والخمر ليسلو، فلم يلبث أن تمكن ذلك منه حتى أصبح عادة له، وخرج به عن حد الاعتدال الى الإفراط.

فلما أصبح الصباح، وكان الشاه قد صحا قليلاً من سكره، حاصر جنود نادر غرفة الشاه وتعالت ضوضاء. فسأل الشاه عن الخبر، فدخل عليه «طهماسب قلي خان»، وحياه بالتحية المرسومة للتعظيم، وقال له: لا شيء سوى أمراء العسكر يقولون انهم لا يرضون بك سلطاناً ويرضون بابنك.

وجرى حوار قصير بينهما. ثم أحضروا «تختروانا» كانوا قد أعدوه قبلاً فأركبوا الشاه فيه وأرسلوه مخفوراً بجماعة من الحرس الى مشهد من طريق يزد. وكان عجيباً أن سار «طهماسب قلي خان» في ركاب الشاه يشيعه راجلاً مسافة ستة كيلومترات، وهو لا ينفك يعتذر اليه من هذا الفعل السيء وهذا السلوك الفظ الذي قام به أمراء العسكر ورؤساؤه، ويبعث فيه الأمل بوعده له بالسعي الى اقناعهم بالعدول عن رأيهم، فيعود الشاه الى تخت الملك عن قريب.

عزل «طهماسب قلي خان» الشاه «طهماسب» الصفوي في شهر ربيع الأول سنة ١١٤٥ هـ ونادى بابنه «عباس»، وله من العمر أربعة شهور أو خمسة، شاهاً باسم الشاه «عباس الثالث». وأقام «طهماسب» بعد عزله في مشهد من سنة ١١٤٥ هـ إلى سنة ١١٤٦ هـ. وفي هذه السنة، اذ هزم العثمانيون نادر شاه في جبهة بغداد فتراجع الى همدان، أمر بنقل الشاه المخلوع «طهماسب» من مشهد الى مازندران. وكذلك أمر بنقل ابنه عباس، وكان عمره سنتين، من قزوين اليها، وأبقاهما فيها مخفورين مراقبين.

وفي سنة ١١٤٩ هـ، اذ سار نادر شاه (كان قد توج) إلى خرسان الشرقية لاسترداد بعض الأقسام المفقودة كقندهار وكابل وفتح الهند، نقل الشاه «طهماسب» والشاه عباس من مازندران الى «سبزوار» وأقامهما فيها.

وفي أوائل سنة ١١٥٢ هـ، وكان نادر يومئذ في الهند، انتشرت في ايران شائعة كاذبة ان نادراً قتل في الهند. فخشي ابنه وولي عهده ونائبه «رضا قلي ميرزا» من ثورة الإيرانيين عليه انتصاراً للأسرة الصفوية، واعادة الشاه «طهماسب» أو ابنه الشاه عباس الى عرش المملكة. فأمر «محمد حسين خان قاجار دولو»، وكان حاكماً على «استرآباد» من قبل نادر شاه، بقتل الشاه «طهماسب» وابنيه، الشاه عباس الثالث وسليمان ميرزا، والأول عمره سبع سنوات والثاني ست سنوات، فقتلهم.

والمشهور أن «طهماسب» الثاني دفن في مدينة قم في مقبرة أبيه الشاه «سلطان حسين» وجده الشاه سليمان. وقيل دفن في مشهد.

طهماسب قلي خان الكرمانشاهي الملقب بوحدت الكرمانشاهي بن رستم خان من خوانين قبيلة گلهر:

شاعر وعارف عاش في أواخر العصر القاجاري. ولد في كرمانشاه عام ١٢٤١ هـ ودرس المقدمات وعلوم الصرف والنحو والمنطق والكلام والمعاني والبيان في مدرسة الحاج شهبازخان، ثم التحق بالميرزا حسن الكرماني أحد مشايخ التصوف، ودخل في سلك التصوف.

رحل وحدت بعد ذلك الى العتبات المقدسة في العراق، ثم عاد الى كرمانشاه، ولم يبق فيها وقتاً طويلاً حتى انتقل الى همذان حيث دخل في سلك مريدي حسين علي شاه وعكف بضع سنين على تزكية النفس وملازمة التفكر والاذكار. وبعد وفاة الآخوند الملا ولي الله رحل الى طهران، واتخذ لنفسه حجرة في مسجد محمود الكرمانشاهي اشتغل فيها بتربية وتهذيب جماعة من الصالحين والصادقين والراغبين بالتصوف، واستمر في نشاطه هذا ثلاثين سنة حتى فارق الحياة عام ١٣١١ هـ، فدفن في صحن ابن بابويه في الري.

طبع ديوان اشعاره الذي تميز بسحر خاص وجاذبية مميزة في طهران عام ١٩٤٦ م[١]

السيد عابد الحسيني الأردبيلي:

من أعلام العلماء المقيمين بأصبهان في القرن الحادي عشر، قرأ علي السيد محمد علي بن ميرم الحسيني الأردبيلي كتاب «من لا يحضره الفقيه» وصححه وضبطه بحضرته، فأجازه في آخر شهر ذي القعدة سنة ١٠٨٣[٢].

الشيخ عاشور بن محمد التبريزي:

فاضل من أعلام القرن الحادي عشر، من المطلعين بالفلسفة والعلوم العقلية.

له «خلة المؤمنين» ألفه سنة ١٠٦٣ باسم المولى خليل القزويني[١].

الشيخ عامر بن فياض الجزائري، أبو الفتح:

مذكور في «الروضة النضرة» المخطوط، ونقول:

جاء في حاشية نسخة من كتاب «خلاصة الأقوال» للعلّامة الحلي نقلاً من خط المولى محمد تقي القزويني السمناني:

«عامر بن أبو الفتح الجزائري، نزيل المشهد الرضوي، شيخنا ومولانا ثقة عين صدوق صدوق فاضل فقيه كثير الحافظة، أكثر كتب الفقه كمتن الشرائع والإرشاد والقواعد وكنز العرفان في حفظه وأكثر مسائله في ذكره، حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، قرأت عليه قواعد الأحكام خلا كتاب الوقف والفرائض منه وشرح النفلية للشهيد الثاني وتفسير جوامع الجامع الا بعض سور المفصل في مجالس آخرها يوم الأحد الثاني عشر من المحرم عام خمس عشر وألف من الهجرة في مشهد الرضا (عليه السلام)، وسمعت منه أكثر كتب الفقه كالنافع والشرائع والإرشاد وكنز العرفان»[٣].

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.
(٢) السيد احمد الحسيني.
(٣) السيد احمد الحسيني.

عباس بن أبي القاسم بن محمد بن صفي الجعفر آبادي الأرومي:

من علماء مدينة «أرومية» بآذربيجان، وهو اخباري المسلك فاضل له شعر بالفارسية، جيد الخط في النسخ والنستعليق.

قال عنه السيد حسين بن نصر الله العرب باغي في تقريض كتاب «شرائط الإسلام» للمترجم له: «العالم العامل والفاضل الكامل المولى الجليل والنحرير النبيل علم الأعلام وسيف الإسلام ومقتدى الأنام..».

له «لطيات المقربين في مصيبة سيد المظلومين» و«شرائط الإسلام» و«أحكام الشهادات» و«كشف الفرائض»[1].

الشيخ عباس بن أحمد الخونساري:

فاضل محدث، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، ولعله كان من العلماء المقيمين بأصبهان.

له «ترجمة أصول الكافي» فرغ من المجلد الأول سنة ١٢٩٦، و«ترجمة بحار الأنوار» الجزء السابع عشر منه[2].

الدكتور عباس سعيدي رضواني:

ولد عام ١٣٤٨ هـ بمدينة مشهد في أقليم خراسان. وتخرج من مدارسها الابتدائية والثانوية ثم واصل دراسته في فرع الجغرافيا في جامعة طهران وحصل منها على درجة الليسانس ثم واصل دراسته في جامعة ويسكانسين الأميركية وحصل منها على الماجستير عام ١٣٨٢ هـ وواصل دراسته في جامعة السربون الفرنسية وحصل منها على الدكتوراه عام ١٣٩٢ هـ. وكان قد عمل في الفترات ما بين حصوله على الليسانس والماجستير والدكتوراه في المؤسسات الثقافية والتعليمية الايرانية وقد صار فترة مديراً لدار المعلمين في ولاية خراسان كما عمل فترة أستاذاً لعلم الجغرافيا في جامعة خراسان وبعد أن حصل على الدكتوراه ظل أستاذاً في هذه الجامعة.

وبعد انتصار الثورة الاسلامية اختير أميناً لمكتبة (آستان قدس رضوي) التي هي من أقدم مكتبات العالم الإسلامي، واستمر في منصبه أربع سنوات، ثم انتخب رئيساً لمدرسة الطباعة والنشر التابعة لـ (آستان قدس رضوي) التي يعتبر مؤسسها الأول، وهي مؤسسة كبيرة، فقام بجهد كبير في نشر الكتب وترجمتها الى اللغة الفارسية. وقد طبع خلال السنوات التسع التي رئسها فيها مئات الكتب العربية والفارسية والانكليزية.

له عدة مؤلفات في علم الجغرافيا.

توفي بالسكتة القلبية سنة ١٤١٣[3].

السيد عباس بن علي بن اميران الحسني الأصبهاني.

عالم بالنجوم وعلم الفلك.

(١) السيد احمد الحسيني.
(٢) السيد احمد الحسيني.
(٣) الشيخ محمد رضا الانصاري.

لعله المترجم في «الضياء اللامع» ص ٧٥.

له «نجوم ابتدائي» رسالة كتبها سنة ٨٦٩[4].

الشاه عباس الأول الصفوي:

مرت ترجمته أولاً في (الأعيان). ثم نشرنا ترجمة أكثر تفصيلاً في (المستدركات). وننشر عنه هنا ما يلي مكتوباً بقلم نصر الله فلسفي في كتابه «زندگان شاه عباس أول»:

كان الشاه عباس غاية في القسوة والشدة وأحياناً في التجبر والظلم في ادارة شؤون بلاده وسياستها، شأنه في ذلك شأن جميع المتفردين بالحكم ولكنه في نفس الوقت كان يحب العدل والإنصاف ورعاية حقوق الرعية. فإذا كان يأخذ قادة القزلباش ورجال الدولة والحكام والمسؤولين عن شؤون الدولة بالشدة والقسوة، فهو يعامل عامة الناس أو ما يسمى اليوم بالشعب بالعطف والإحسان والرحمة اللهم إلا في بعض الموارد الخاصة. وقد كان يراقب على الدوام الحكام والمسؤولين في تعاملهم مع الشعب بعين الحرص والريبة لئلا يتطاولوا ويجحفوا بحق المظلومين والعاجزين، ويذكر أحد المعاصرين له هذا الجانب من حياته قائلاً:

«... كان الشاه عباس يعتبر الفقراء والمحتاجين أبناء له وهم بدورهم يعدونه أباً لهم، ولكنه كان يسمي الأغنياء وذوي الجاه من الناس بالآباء، ليأخذ منهم أموالاً كثيرة وحينما يموتون يرثهم كابن لهم، وعن هذا الطريق كانت تدخل خزانة الدولة أموال طائلة...».

وفي سبيل الاطلاع على حقيقة أوضاع الناس كان الشاه عباس يعاشر الناس دون واسطة ويستقبل أي شخص دون تكلف أو تصنع، وحينما كان وزراؤه ورجال دولته ينصحونه بعدم الاقتراب من الناس أكثر من الحد اللازم كان يقول لهم:

«لا يدعوكم الى هذه النصيحة إلا سرقاتكم وسوء سياستكم، تريدون مني أن أبقى بعيداً عن الناس لئلا أطلع على سيئاتكم، ومن أراد سياسة الرعية بالعدل فعليه الاطلاع على أعمالهم وأفكارهم». وحين كانوا يقولون له أنك تلقي بنفسك في التهلكة بتصرفك هذا كان يجيبهم قائلاً:

«الله هو حارسي، فان لم يشأ بقائي لن تغني عني حراسة الناس شيئاً».

ويتحدث أحد المعاصرين له عن قساوته وشدته قائلاً:

«كان الشاه عباس محقاً في قساوته الى حد ما، اذ لم يكن ينفع سوى هذا الأسلوب مع الأشخاص الجناة المجرمين المحيطين به، واذا كان يعمد الى أسلوبه المروع في عقوباته فلأن بطانة السوء الملتفة حوله لم تكن تنقاد لأوامره إلا بهذا الأسلوب».

وثمة كاتب آخر كان يعيش في ايران بعد وفاة الشاه عباس، يتحدث عن القوانين الايرانية في العهد الصفوي بقوله: «... إن قوانين ايران غاية في الاستقامة وهي مفيدة للناس كثيراً، ولو توفر ملك عادل يشرف

(٤) السيد احمد الحسيني.

على تطبيق هذه القوانين تطبيقاً صحيحاً، ويمنع الوزراء وعمال الدولة من ارتكاب المظالم، لأمكن القول بأن الامبراطورية الايرانية ستكون حينئذٍ أفضل أقطار الأرض قاطبة، ويبدو ان الوضع كان كذلك في عهد الشاه عباس الكبير. وقد كانت ايران في بداية عهده تعيش استبداد الحكام وطغيانهم بحيث لم يكن يُعترف بحكمه على بعد عشرين فرسخاً من عاصمته، ومن ثم أمضى كل فترة حكمه في الحروب وإخماد الفتن، ولكن ايران أضحت في أواخر عهده غنية وعامرة وهادئة، ومحلاً لنشاطات التجار من مختلف أقطار الأرض، وأصبح الناس يعيشون حياة جيدة في جميع أنحاء ايران فهم يأكلون طعاماً جيداً ويلبسون ملبساً حسناً ويتمتعون بجميع وسائل الحياة، على الرغم من وجود ما يساوي نصف سكان فرنسا عاطلين عن العمل. وأفقر النساء الايرانيات كن يتزيّن بأنواع الحلي الذهبية، وباعتقادي أننا نبتعد عن الانصاف والحقيقة إذا قلنا أن الحكومة الايرانية حكومة مستبدة وبعيدة عن الحضارة...» .

وكان الشاه عباس يحرص دوماً على صيانة أملاك رعاياه وأرواحهم من ظلم حكام وعمال دولته وزعماء الجيش واللصوص وقطاع الطرق.

وقد نشط الشاه عباس منذ أوائل عهده في التصدّي للصوص وقطاع الطرق وتأديب الحكام المستبدين، فاستطاع في فترة قصيرة اقرار الأمن والطمأنينة في جميع أنحاء ايران فأصبحت ايران لا تضاهى في هذا الجانب.

وقد كان الشاه يلقي بمسؤولية الحفاظ على الأمن والتصدّي للصوص وقطاع الطرق في كل مدينة أو ولاية ايرانية على حاكم هذه المدينة أو الولاية، فإذا ما سُرق أحد سكان المدينة عوقب حاكمها وغرم ما سرقه اللصوص. وكذلك كان الأمر مع قطاع الطرق، فإذا ما هاجم قطاع الطرق قافلة ما، أخذت خسائر القافلة من القرى المجاورة لموضع الحادثة.

وقد كان اللصوص وقطاع الطرق يعاقبون بأقسى أنواع العقوبات ليكونوا عبرة للآخرين ومن هذه العقوبات؛ الحرق وقطع الرأس وصب الجص عليه.

وكان الشاه في أسفاره وحملاته ينهى قادة وأفراد قواته التطاول على أملاك ومزارع ومحصولات رعاياه ويحرص دائماً على أن يكون أفراد جيشه رحماء في تعاملهم مع الناس، ويتحدث أحد السائحين الأوروبيين عن هذا الأمر قائلاً:

«... يتميز جنود الشاه بحسن معاملتهم للناس، ولذلك لم يكن الناس يهربون أمامهم أثناء الزحف خلافاً لما هو قائم في أوربا، بل على العكس يرحبون بهم ويقدمون لهم أنواع الهدايا والمأكولات ويدعون لهم بالنصر، لأنهم يعلمون أن جنود الشاه ليسوا ظالمين ولا سارقين وأنهم لا يتطاولون على أحد. وقد رأيت بأم عيني كيف كان الجنود يشترون الفاكهة وبعض الأشياء الأخرى من الناس دون أن يتطاولوا على أموال أحد أو يمسوا شخصاً بأذى حتى في الصحاري والطرق الخالية...»

يتحدث هذا السائح في موضع آخر من كتابه عن معاقبة الشاه لحكام أستراباد الذي عسكر في احدى الحملات في أراض زراعية دون اذن من أهلها، فيقول:

«عسكر بعض أفراد الجيش في احدى المزارع دون أذن من أهلها وأطلقوا خيولهم فيها مرفرين بذلك ثمن العلف، ولجأ أصحاب المزرعة الى الشاه فقدموا اليه شكواهم، فأمر الشاه عدداً من قادة جيشه بالتحقيق في الأمر ثم سجن المقصّرون ومزقت خيمهم وأخذ حاكم استرآباد بجريرة اغتصاب فاكهة دون دفع ثمنها فثقب أنفه بسهم وطيف به في المعسكر على ظهر حصان والدم يقطر من أنفه...».

وقد بالغ الشاه في صيانته لأموال الناس ومنع التطاول على أملاكهم، ويذكر فلكيّه الخاص الملا جلال الدين محمد اليزدي في حديثه عن حملات الشاه على خراسان في عام ١٠١٠ هـ أن الشاه لم يكن يسمح بمس شيء من أموال الناس وأملاكهم مهما كان هذا الشيء تافهاً والعجيب أن آقا محمد الأبهري وميرزا جان بيك جلسا ذات مرة تحت شجرة دون أن يستأذنا من صاحبها، وكان هذان الرجلان يفتخران بقربهما من الشاه، فأخذهما الشاه أخذاً عنيفاً وصلم آذانهما.

وكان الشاه خلال أسفاره الى مختلف أنحاء ايران ومدنها يختلط بالناس ويسألهم عن أسلوب الحكام في معاملتهم، فإذا اشتكى أحدهم أمر باجراء التحقيق على الفور ثم يعاقب المقصر، ولم يكن أحد يجرؤ على منع الناس من طرح شكاواهم على الشاه وإلا تعرض لعقوبة صارمة، فمثلاً يذكر فلكي الشاه الخاص ضمن حديثه عن أحداث عام ١٠٢٠ هـ قائلاً: «... وفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى نزل الشاه في بروجرد، وأراد أحدهم طرح شكواه على الشاه فمنعه رجل كردي من ذلك وانتبه الشاه للأمر فأمر بقطع يد الكردي...».

وكان الشاه غاية في الشدة في معاقبته للحكام ورجال الدولة الجائرين، ولم يكن يسمح لهم مطلقاً باستغلال مناصبهم في الاعتداء على الناس أو الخروج على القانون، ومن ذلك ما حدث لقائد المدفعية، فقد كان هذا القائد سيء الظن بالناس الى حد بعيد وحدث أن قتل بعضهم بحجة اختلاس النظر الى دار حريمه، واشتكاه أهالي المقتولين الى الشاه فنصحه بأن يستر نساءه في غرفهن أو يقيم جداراً حول سطح داره، ولكنه لم يسمع النصيحة ووصل به الأمر ذات مرة أن قتل أحد أركان الدولة حينما كان جالساً على سطح داره، وخرج أهل المقتول الى الشاه واشتكوا اليه أمر قائد المدفعية، وأخبروه بأنه قتل قبل ذلك عشرين شخصاً من جيرانه لنفس السبب، فاستشاط الشاه غضباً وأمر بعض الحاضرين في مجلسه قائلاً: «اذهبوا الى الكلب فاقتلوه واقتلوا معه جميع نسائه وأولاده ومرافقيه ولا تبقوا على أحد منهم!» ونفذ أمر الشاه دون تردد، فقتل قائد المدفعية وجميع ذويه ومرافقيه ودفنوا في حديقة المنزل، وصادر ديوان الدولة المنزل وحين اشتكى بعض أهالي رستمدار، احدى نواحي مازندران من ظلم حاكمهم اغورلو سلطان چيني وكان الشاه آنذاك في تبريز استدعاه الى بلاطه في شهر شوال عام ١٩١٣ هـ ليدافع عن نفسه، فحضر ولم يستطع اثبات براءته فأمر الشاه باخراجه الى الشارع في يوم شديد البرودة وصب الماء عليه ثم جلده على

هذه الحال. ثم أمر بالتحقيق فيما اغتصبه من أموال الناس ودفعه الى أصحابه.

وذات يوم بلغه أن أحد قضاة أصفهان أخذ الرشوة من كلا الطرفين المتخاصمين ثم أرغمهما على المصالحة، فأمر باركابه مقلوباً على ظهر حمار وإرغامه على أخذ ذيل الحمار بيده، ثم وضع أحشاء خروف على رأسه وكتفيه والطواف به على هذه الحال في ساحة المدينة، وكان أحدهم يتقدم القاضي وينادي: هذا جزاء القاضي المرتشي.

وإذا كان الشاه عباس يعاقب المذنبين بما تمليه عليه العدالة، فإنه كان في بعض الأحيان يحيد عن العدالة استجابة لمتطلبات السياسة أو اظهاراً لقدرته وارعاباً لأعدائه ومن ثم كان يقتل العديد من الناس الأبرياء، وحين كان يشعر بالخطر يهدده أو يهدد دولته فإنه لم يكن يتردد ـ من أجل دفع هذا الخطر ـ في قتل أعز الناس وأقربهم اليه، ومن ذلك قتله لابنه الأكبر الميرزا صفي وسمله لعيون أبنية الآخرين دون تردد أو تلكوء، وإذا تجرأ أحدهم وانتقد تصرفاته أو انتقص من أحد أفراد العائلة المالكة، فإنه كان يعاقبه بأشد العقاب حتى ولو كان محقاً في انتقاده أو في انتقاصه. فقد حدث ذات مرة أن خرج أحد أبناء الشاه ومعه حاكم أصفهان لاستقبال الشاه في عودته الى المدينة، وفي الطريق أخذ الأمير يتحدث عن جمال زوجة الحاكم، مما أثار غضب الأخير فشتمه، وأسرع الأمير الى أبيه فاشتكى له الحاكم، فأمره الشاه ـ دون تردد أو تأني ـ باطلاق سهم على الحاكم فأصابه السهم في فخذه وسقط عن ظهر جواده وخاف الهلاك فأخذ يجر نفسه حتى وقع على رجل الأمير وقبّلها، ورضي الشاه بهذا التملّق فعفى عنه...

وأنشأ الشاه عباس ديواناً للعدالة في السنين الأولى من عهده، ليحول بذلك دون تقديم الناس شكواهم له في الشوارع والأسواق وتعكيرهم صفو جولاته ومتعته، وعين علي قلي خان شاملو رئيساً لهذا الديوان، وكان رئيس ديوان العدالة أو «ديوان بيگي» مشرفاً ورئيساً لجميع محاكم الدولة، وكان سكان الولايات الايرانية يلجأون إليه في شكواهم على حكام ولاياتهم فكان ينظر في شكاواهم ويعرض الأمر على الشاه، وفي بعض الأحيان كان الشاه يحضر في ديوان العدالة ويتابع شكاوى الناس بنفسه.

والى جانب رئيس الديوان كان هناك منصبان دينيان كبيران هما صدر الخاصة وصدر العامة، وفي بعض الأحيان كان المنصبان يناطان بشخص واحد، وكان صدر الخاصة ممثلاً للشرع في الديوان ويأتي بعد اعتماد الدولة أو الوزير الأعظم بصفته صاحب أكبر منصب اداري ويجلس في مجلس الشاه الى جانبه الأيمن.

واضافة الى اشتراكه. في ديوان العدالة، كان صدر الخاصة مسؤولاً عن تعيين حكام الشرع في القسم الأكبر من مدن ايران وولاياتها المركزية والشرقية والشمالية، فكانت الأمور الشرعية في هذه المدن والولايات تدار بيد نواب الصدارة والعمال التابعين له.

وكان صدر العامة بالإضافة الى اشتراكه في ديوان العدالة مسؤولاً عن تعيين حكام الشرع والمشرفين على الأوقاف والمدارس والمساجد والمزارات في سائر مدن وولايات ايران الأخرى مثل آذاربيجان وفارس والعراق وخراسان.

ويأتي بعد هذين المنصبين الدينيين منصب قاضي الشرع، وهو مسؤول عن متابعة الدعاوى الشرعية لعامة الناس في أصفهان ولكنه لا يتدخل في الأمور الشرعية لجهاز الدولة لأن ذلك من شأن صدر الخاصة.

عباس بن علي بن محمد بن الهادي النائيني، صفا مذكور في «سخنورا نائين» ص ٧٤، ونقول:

أديب شاعر جيد الشعر بالفارسية، حسن الخط جداً في النستعليق، عمره مائة وخمس عشرة سنة، وكان مع اشتغاله بالوظائف الحكومية مشتغلاً بالعلوم عارفاً باللغة الفرنسية، وهو من بيت أدب وشعر وفضيلة آباؤه شعراء معروفون. أصله من مدينة نائين وكان يقيم بطهران ويتخلص في شعره بـ «صفا».

له «ديوان شعر» توفي سنة ١٣٥٨[1].

الشيخ عباس القمي بن محمد رضا:

مرت ترجمته في المجلد السابع من (الأعيان) ونزيد على ما هنالك ما يلي:

ولد بمدينة قم. ونشأ وشب فيها وعلى أعلامها قرأ المقدمات العلمية وسطوح الفقه والأصول، ومن جملة أساتذته في هذه الفترة الميرزا محمد الأرباب القمي.

وفي سنة ١٣١٦ هاجر الى النجف الأشرف، فأخذ يحضر حلقات دروس العلماء الأفاضل في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم الدينية، إلا انه اختص بالحاج ميرزا حسين النوري وكان يعينه في بعض مؤلفاته استنساخاً ومقابلة وعرضاً وتصحيحاً.

وفي سنة ١٣١٨ تشرف الى الحج، وبعد قضاء المناسك وزيارة النبي والأئمة (عليهم السلام) بالمدينة المنورة ذهب الى ايران لتجديد العهد بذويه في قم، ثم رجع الى النجف ملازماً لأستاذه النوري.

وفي سنة ١٣٢٢ عاد الى ايران، فهبط قم وبقي يواصل أعماله العلمية، وانصرف الى البحث والتأليف.

وفي سنة ١٣٢٩ تشرف الى الحج مرة ثانية.

وفي سنة ١٣٣١ انتقل الى مشهد الرضا (عليه السلام) واتخذ منه مقراً دائماً له، وانصرف الى طبع بعض مؤلفاته وعكف على تصنيف غيرها. وكان يتردد خلال ذلك لزيارة العتبات المقدسة بالعراق، ووفق في خلال ذلك للحج مرة ثالثة.

وعندما حل الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مدينة قم، كان صاحب الترجمة من أعوانه وأنصاره[2].

الميرزا عباس بن موسى البسطامي:

أحد كبار شعراء العهد القاجاري. ولد عام ١٢١٣ هـ في العتبات المقدسة بالعراق، وما إن بلغ السادسة عشرة من العمر حتى فارق أبوه الحياة، فبقي بعده فقيراً معدماً. وعاد مع أمه إلى ايران حيث مقر

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

أجداده في سمنان ودامغان وبسطام، وفضل السكن في بسطام، ثم رافق عمه (دوست علي البسطامي) بعد فترة الى مازندران حيث أقام في ساري.

لم يكن عباس البسطامي يتمتع بقدرة كافية على القراءة والكتابة، ولكنه أجهد نفسه كثيراً في تعلمها، ثم أمضى أكثر أوقاته في مطالعة دواوين كبار الشعراء مثل سعدي وحافظ الشيرازي، وكانت نتيجة مطالعاته وممارساته أن أخذ ينظم الغزل، وتلقب بالمسكين.

كان عمه دوست علي خان خازن الشاه، فلما عاد من مازندران الى طهران اصطحب معه ابن اخيه وقدمه الى فتح علي شاه، فأنشده شعراً كان قد نظمه بحقه، فأعجب الشاه به وأمره بالسفر الى مشهد للإلتحاق بوالي خراسان شجاع السلطنة. ورحب هذا به وعينه كاتباً له، وبعد فترة غير لقبه من (المسكين) الى الفروغي انتماء الى الامير فروغ الدولة احد ابناء شجاع السلطنة. وفي تلك الأثناء قدم الشاعر القاآني الى خراسان للانضمام الى حاشية شجاع السلطنة، فتعرف على الفروغي. ومكث الاثنان عدة سنوات في مشهد ثم سافرا مع شجاع السلطنة الى كرمان، وحين قدم الأخير الى طهران رافقه الفروغي في سفره ومكث معه. وبقي في طهران حتى آخر سلطنة فتح علي شاه وشطراً من سلطنة محمد شاه الذي حظي منه بصلات عديدة، ثم سافر بعد ذلك الى العتبات المقدسة في العراق، وبعد عودته منها تأثر كثيراً بسيرة وآثار كبار العارفين وخصوصاً أبناء ولايته مثل:

سلطان العارفين بايزيد البسطامي والشيخ أبو الحسن الخرقاني وغيرهما، فتغيرت أحواله تماماً وآثر اعتزال الناس وسلوك حياة الدروشة، وبلغت شهرته في نظم الغزل العرفاني الأصيل مسامع ناصر الدين شاه فطلبه اليه وقربه واكرمه، وازدادت علاقته به وثوقاً حتى كان يطلبه اليه كلما نظم غزلاً فيسمعه اياه، ويبادر الفروغي الى اكماله، وقد ذكر الفروغي نفسه في بعض أشعاره أنه كان يدخل على ناصر الدين شاه مرة في كل أسبوع. وقد وردت في ديوانه بعض قصائد الغزل التي كان الشاه ينظم مطلعها ويكملها هو.

استمر الفروغي في حياته العرفانية، بعيداً عن الناس، ويتردد على الشاه مرة في كل أسبوع فيسمعه ما نظم من غزل حتى فارق الحياة في طهران عام ١٢٧٤هـ، وله من العمر اثنان وستون سنة، بعد مرض عضال ألم به، وقد طبع ديوانه مراراً في طهران، وآخر طبعة لمجموعته الكاملة التي احتوت ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت شعر دونت بخط الاستاذ حسن سخاوت المدرس والعضو في جمعية الخطاطين الإيرانيين، وطبعت بواسطته شركة المؤلفين والمترجمين في ايران.

السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري بن علي رضا:

ولد سنة ١٣٢٨ في مدينة سبزوار بايران وتوفي بالنجف سنة ١٤١٤.

هاجر الى النجف الأشرف بالعراق للدراسة فكان من اساتذته هناك الشيخ محمد حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد ابو الحسن الاصفهاني. ثم استقل بالتدريس في مسجده الذي كان يقيم فيه الجماعة في محلة الحويش فتخرج عليه العديد من الفضلاء.

وبعد وفاة السيد الخوئي رجع اليه الكثيرون في التقليد ولكن لم يطل الأمر فتوفي بعد قليل ترك مؤلفات منها:

١ - إفاضة الباري في نقد ما ألفه الحكيم السبزواري.

٢ - جامع الاحكام الشرعية.

٣ - حاشية على بحار الانوار للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـ.

٤ - حاشية على تفسير الصافي المتوفى سنة ١٠٩١هـ.

٥ - حاشية على العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ.

٦ - حاشية على جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ.

٧ - رفض الفضول عن علم الأصول.

٨ - مواهب الرحمن في تفسير القرآن. وغير ذلك

الحاج الميرزا عبد الباقي ملاباشي الشيرازي ابن السيد محمد باقر:

ولد سنة ١٢٧٨ في شيراز وتوفي فيها سنة ١٣٥٤.

ينتهي نسب اسرته الى (صفي الدين) جد الملوك الصفويين المنتهي نسبهم الى أبي القاسم حمزة بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام).

وآباؤه كلهم علماء اجلاء أصحاب آثار علمية أو اطباء مشهورون بالطب، ولهم بمنطقة فارس شهرة ومكانة مرموقة.

فأبوه السيد محمد باقر ملا باشي سكن مشهد الرضا(عليه السلام)، وكان من الزهاد المعروفين، وتوفي سنة ١٣٢٠.

وجده السيد محمد من العلماء الأجلاء، سكن كربلاء وتوفي بها.

وجد ابيه الحاج ميرزا محمد باقر من العلماء المؤلفين المعروفين، ومن آثاره «أنوار القلوب» المطبوع في ثلاث مجلدات، ولقب بـ«ملاباشي» وبقي اللقب ملازماً للأسرة، وقد توفي سنة ١٢٤٢.

وجده الأعلى السيد ميرزا محمد عالم جليل، وهو اول من انتقل من اصفهان الى شيراز وبها اعقب وأنجب.

وباقي اجداده من أطباء العصر الصفوي، وميرزا سليمان المعروف بـ«حكيم باشي» كان مشهوراً في عصره في الطب ومعالجة المرضى.

وأمه من السادة المعروفين بـ«النسابة» في شيراز، وكانت علوية عابدة تقية توفيت سنة ١٣٥٥.

واليه ينسب بيت «آية اللهي» من البيوتات العلمية بشيراز.

تعلم المترجم القراءة والكتابة وبعض المبادىء العلمية في شيراز ثم نقله والده الميرزا محمد باقر الى كربلاء وهو في الرابعة عشر من عمره، وقرأ كتاب «خلاصة الحساب» على جده الميرزا محمد الذي كان يقيم آنذاك بكربلاء، وفي سفره الى سامراء بقصد الزيارة أمر الميرزا محمد حسن الشيرازي والده ان يترك ولده للتحصيل، فترك السيد ولده في سامراء وذهب هو الى شيراز.

وبعد سنين من دراسته هناك ابتلي برمد شديد اضطر على أثره ان يسافر الى ايران للعلاج، فأقام بشيراز متتلمذاً على الميرزا محمد حسين اليزدي والشيخ عبد الجبار الجهرمي.

وفي نحو سنة ١٣١٢ جاء الى مدينة «لار»، وأقام هناك خمس

سنوات متتلمذاً على حميه السيد عبد الحسين اللاري.

وفي نحو سنة ١٣٢١ ذهب للدراسة إلى النجف الأشرف واقام بها مدة متتلمذاً على أعلام علمائها، وفي مقدمتهم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني، ومن أساتذته أيضاً في هذه الفترة الحاج ميرزا حسين الخليلي الطهراني وشيخ الشريعة الأصبهاني.

وعند نشوب حركة المشروطة وضعف الدراسة في النجف، انتقل الى سامراء، وحضر بها أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي.

ثم عاد الى «لار»، ولكن على اثر فتن المشروطة فر من المدينة الى بعض القرى متوارياً، وبقي متنقلاً من قرية الى قرية في منطقة «فارس» حتى وصل الى شيراز وأقام بها مرجعاً كبيراً. وترك بعض المؤلفات الفقهية[1].

عبد الباقي بن محمد حسين:

عالم فاضل جامع للعلوم العقلية والنقلية، من أعلام القرن الثاني عشر، اسمه «محمد» ولكنه اشتهر بعبد الباقي كما صرح بذلك في مقدمة شرحه على الشافية.

له «القيود الوافية في شرح الكافية والشافية» و«حاشية حاشية الخفري على شرح التجريد» ألفهما ١١٣٠

عبد الباقي السبزواري:

فاضل له اشتغال بالحديث، سمع كتاب «من لا يحضره الفقيه» من المولى محمد بن عبد الفتاح السراب التنكابني فأجازه في اوائل جمادى الأول سنة ١١٠٦ وقال «قد سمع المولى الفاضل الكامل الدّين الصالح مولى عبد الباقي السبزواري مد الله تعالى أيام فضله هذا الكتاب مني سماع تدبر واتقان وتفتيش وإيقان..».

الشيخ عبد الجواد النيشابوري الملقب بـ(الأديب النيشابوري) بن الملا عباس:

من كبار شعراء أواخر العصر القاجاري. ولد في نيسابور عام ١٢٨١هـ. وأصيب بمرض الحصبة في الرابعة من عمره فقد عينه اليمنى وضعفت عينه اليسرى، ولكن ذلك لم يقف عائقاً دون طلب العلم، حيث درس المقدمات في مسقط رأسه حتى بلغ السادسة عشرة، ثم سافر الى مشهد عام ١٢٩٧هـ وأقام في مدرسة خيرات خان ثم مدرسة فاضل خان وبعدها في مدرسة نواب، عاكفاً على المطالعة والتحقيق في الفنون الأدبية والإحاطة باللغة العربية والشعر العربي حتى بلغ مكانة رفيعة في هذه المجالات، وبعدها باشر بتدريس الطلاب في مشهد واستمر في ذلك ثلاثاً وأربعين سنة. وبقي عازباً حتى فارق الحياة في عام ١٣٤٤هـ.

بلغت أشعاره ما يقارب ستة آلاف بيت شعر في القصائد والغزليات والرباعيات، وهي في الغالب على الطريقة الخراسانية. وبالإضافة الى الشعر ألّف العديد من الرسائل في العروض وشرح المعلقات السبع وتلخيص شرح الخطيب والتبريزي وغيرها، وهي الى الآن لم تطبع.

عبد الجواد بن عبد الرحيم باغبادراني الأصبهاني:

فاضل خطيب من أعلام القرن الرابع عشر، له ميل الى كلمات العرفاء والصوفية، وكان ينظم الشعر الفارسي ولكن نظمه ليس بالنمط العالي.

له «نسايم الرحمة».

الشيخ عبد الجواد بن محمد جعفر:

من أعلام اواخر القرن الثالث عشر، وكان معنياً بتفسير القرآن الكريم ومدرساً له، وهو فاضل أديب جامع لأطراف العلوم.

لعله الآباده اي الأصبهاني المذكور في الكرام البررة ص ٧٠٣.

له «تشريح الصلاة» كتبه سنة ١٢٧٩، و«تفسير سورة الفاتحة» كتبه سنة ١٢٨٠[2].

الميرزا عبد الحسين بن ملا أبو الحسن بن كلنظر التبريزي:

هاجر الى النجف الأشرف للتحصيل فدرس على علمائها وأخذ عنهم الفقه والأصول العاليين، والظاهر ان من جملة اساتذته الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، وبعد سنين عاد الى وطنه تبريز واقام بها مشتغلاً بالوظائف الشرعية والتأليف.

له «زبدة الأحكام في شرح شرائع الاسلام» اتم كتاب الصلاة منه في سنة ١٢٧٨.

الميرزا عبد الحسين المعروف بالميرزا آقاخان والملقب بـ(بهار الكرماني):

من الشعراء المشهورين في العهد القاجاري. وقد عرف الى جانب شعره محققاً وكاتباً مثقفاً ومتحرراً، ووطنياً مخلصاً كافح سنين طويلة في سبيل الحرية خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

كتب عنه السيد أحمد الديوان بيگي الشيرازي في تذكرة حديقة الشعراء ما يلي: «اسمه عبدالحسين، وشهرته الميرزا أقاخان، كان يسكن في بروسير من نواحي كرمان، وهو من أحفاد الميرزا محمد تقي مظفر علي شاه. درس العلوم العقلية والنقلية من الرياضيات والطبيعيات والإلهيات، ودرس لفترة اللغة الانجليزية وبعض العلوم التي يصطلح على تسميتها بالكيمياء والفيزياء. التقيته صدفة في مجلس بأصفهان عام ١٣٠٢هـ فرأيته عالماً مؤدباً. وهو مشغول الآن في كتاب تراجم، وخصوصاً تراجم شعراء أصفهان. رجوته أن يسمعني بعض شعره فقال: قليلاً أقول ولا أحسن، فألححت عليه، فكتب لي بعض أشعاره ودفعها لي، وبعضها مثبت هنا» ومن الطبيعي ان لقاء السيد احمد الديوان بيگي الشيرازي مع الميرزا آقاخان الكرماني كان قبل سفر

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

الأخير الى طهران واسطنبول وقيامه بالنشاطات الفكرية والسياسية الوطنية وتأليفه العديد من الآثار الثورية، مثل: «آينيه اسكندري» و«تاريخ نامة باستان» أو«سالارنامة» التي جاءت على نمط الشاهنامة، و«يك مكتوب وصد خطابه» وغيرها من الآثار.

والجدير بالذكر ان النظرة الأدبية للميرزا آقاخان الكرماني تركت بصماتها في المحققين والمؤلفين الإيرانيين الذين جاؤوا من بعده، مثل: الميرزا جهانگير خان صور اسرافيل وبضعة نفر آخرين.

عبد الحسين اليافعي اليزدي:

ولد سنة ١٢٨٨ في نفت التابعة ليزد وتوفي سنة ١٣٧٢ في يزد.

اديب وكاتب وشاعر ايراني. كان والده الشيخ محمد من ائمة الجماعة والوعاظ في يزد. بدأ المترجم دراسته الاولى في بلده ثم تابع الدراسة في يزد، ثم سافر الى العراق للمزيد من الدراسة الدينية. وبعد وفاة والده عاد لبلدته وخلف والده سنة ١٣١١ فمارس الوعظ وامامة الجماعة ونبغ في الادب الفارسي وقرض الشعر وكان يتخلص بـ«ضبابي».

أغواه البهائيون فانتمى اليهم سنة ١٣٢٠ وقضى حوالي ١٨ سنة في السياحة والدعاية لهم وألف كتاب الكواكب الدرية في مآثر البهائية، وبدل تخلصه الشعري من ضبابي الى (آواره) أي: (المشرد). وحل ضيفاً على عبد البهاء في حيفا لمدة ثلاثة اشهر. وبعد وفاة عبد البهاء سنة ١٣٤٠ سافر إلى اوربا وعاد منها كافراً بالبهائية ناقماً عليها كاشفاً احوالها. واقام سنة ١٣٤٨ في طهران مدرساً في المدارس الثانوية الحكومية ومال الى التحقيق الأدبي فاصدر سنة ١٩٢٩م نشرة ادبية انتقادية باسم (نمكوان) استمرت في الصدور بغير انتظام عدة سنين. وكان خلال ذلك يواصل نظم الشعر متخلصاً هذه المرة بـ(آيتي) وفي سنة ١٣٥٨ انتقل الى يزد مدرساً في ثانوياتها حتى وفاته.

ترك عدة مؤلفات منها: تاريخ الفلاسفة، واشعة الحياة (شعر)، والانشاء العالي، وخِرَد نامه (رسالة العقل) (شعر)، ونفحة دل (نفحة القلب) شعر، وفرهنك آيتي (معجم آيتي)، وعدة قصص وغير ذلك.

الشيخ عبد الحسين البغدادي بن الحاج جواد العطار البغدادي:

ولد في بغداد سنة ١٢٨٠ وتوفي فيها سنة ١٣٦٥ ودفن في النجف.

بدأ بتحصيل العلم في الكاظمية، وتدرج بها في المراحل الأولية حتى تهيأ للمراحل العالية فقهاً وأصولاً، وعندها انتقل الى سامراء اواخر ايام الميرزا محمد حسن الشيرازي، فأدرك بحثه مدة قليلة حيث توفي وعاد الشيخ الى الكاظمية.

بقي قليلاً بالكاظمية ثم هاجر الى النجف الأشرف، فحضر على الميرزا حسين الخليلي الطهراني والشيخ محمد طه نجف والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني سنين عديدة.

ثم ذهب الى سامراء للمرة الثانية، وحضر بها أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي، وبقي ملازماً للحضور عليه والاستفادة منه الى حين انتقاله الى كربلاء.

ثم عاد الى بغداد، فكان من أبرز رجال الدين ومراجع الامور فيها. ترك بعض المؤلفات الفقهية[1].

السيد عبد الحسين الطيب:

ولد سنة ١٣١٢ في أصفهان وتوفي فيها سنة ١٤١٢ ودفن في مقابر تخت فولاد بأصفهان.

أحد أعلام اصفهان وأئمتها ودرس المقدمات في العلوم الاسلامية والسطوح وبحث الخارج في حوزة اصفهان العلمية وفي معاهدها على يد خيرة اساتذتها كالسيد مهدي درجة اي والشيخ حسن اليزدي والشيخ عبد الكريم گزي والسيد محمد صادق المدرس وغيرهم.

ثم هاجر الى النجف الأشرف وحضر دروس اساطين الحوزة وأعلامها كالشيخ محمد حسين النائيني والسيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي عاد الى اصفهان فكان فيها اماماً للجماعة، وواعظاً دينياً للشباب ومهذباً لأخلاقهم ومفسراً لهم القرآن، ومرجعاً في الفتوى والمسائل الشرعية ومدرساً للعلوم الدينية. واستمر على ذلك مدة تزيد على ٥٠ سنة.

له من المؤلفات[1]: أطيب البيان في تفسير القرآن في ١٤ مجلداً، امضى في تأليفه ١٨ سنة[2] الكلم الطيب في العقائد ثلاثة مجلدات[3] العمل الصالح في الأخلاق[2].

عبد الحسين بن علي جان السيفي الكابلي المشهدي:

ولد سنة ١٣٠٦، واصله من كابل وسكن مشهد الرضا (عليه السلام)، وهو أديب فاضل شاعر بالفارسية له ولع بنظم التواريخ، والظاهر انه كان من الخطباء الواعظين.

له تاريخچه خراسان»[3].

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محسن بن الشيخ اسماعيل الدزفولي المتخلص في شعره بـ(تجلي):

ولد في دزفول سنة ١٢٧٤ وتوفي فيها سنة ١٣٣٩.

من اكابر علماء عصره اصولي ثائر خطيب متكلم اديب شاعر اخذ المقدمات وفنون الادب على افاضل علماء دزفول وتفقه على والده الشيخ محمد طاهر ثم هاجر الى اصفهان سنة ١٣٠٨ وتخرج في العلوم العقلية والنقلية على علمائها ونبغ في فن الخطابة وكان من اعاظم الخطباء في عصره وفي الانقلاب الدستوري المعروف في ايران بـ(مشروطة) انضم الى صفوف المناضلين وكان من اركان المشروطة في اصفهان ودزفول وألف كتاباً في المشروطة والحكومة الاسلامية. والمترجم له من بيت علم وفضل ورياسة وقد نبغ من اسرته علماء اعلام وائمة في الفقه والاصول منهم جده الشيخ محسن اخ الشيخ اسد الله التستري المتوفى سنة ١٢٣٤ صاحب المقابس والمترجم مفصلا في اعيان الشيعة المجلد الثالث

---

(١) السيد احمد الحسيني.

(٢) السيد احمد الحسيني.

(٣) السيد احمد الحسيني.

صفحة ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ووالده الشيخ محمد طاهر المتوفى سنة ١٣١٥ كان من اكابر العلماء في عصره وهو مترجم ايضاً في إعيان الشيعة المجلد التاسع صفحة ٣٧٦ وخلف المترجم له ولدين الشيخ محمد علي المعزى صاحب كتاب (تجديد الدوارس) والشيخ ميرزا جلال، كما تخرج من هذا البيت الجليل علماء اعلام وشعراء افذاذ يطول بنا المقال بذكرهم.

ترك المترجم له مؤلفات منها ديوان شعر تخلص في أوائل امره بـ(بهار) ثم تخلص في معظم اشعاره بـ(تجلي) كما كان ينظم الشعر بالعربية وهو شاعر مجيد متفن في ضروب الشعر عذب الالفاظ واكثر قصائده في رثاء ومدائح الائمة (عليهم السلام) واورد شعره الشيخ مرتضى المدرس الجهاردهي في تذكرته[١] وله ايضاً كتاب شرح بعض فصول نهج البلاغة (فارسي) وهو شرح لخطبة همام في وصف المتقين، ككتاب شرح تبصرة المتعلمين للعلامة الحلي لم يتم، كتاب ازاحة الشكوك والاوهام ازمشروطيت ودولت اسلام فرغ منه سنة ١٣٢٨ وهو في الدفاع عن الانقلاب الدستوري المعروف بـ مشروطه[٢].

الشيخ عبد الحسين الشيرازي بن الشيخ محمد طاهر:

ولد في كربلاء سنة ١٢٩٧ وتوفي ١٣٧٠ في شيراز.

نشأ وترعرع في كربلاء، وعلى علمائها تتلمذ ثم على علماء النجف. كان فقيهاً أديباً شاعراً.

هاجر الى شيراز واشتغل بالارشاد والهداية وقام بالوظائف الدينية وكان يقيم الجماعة في المسجد المعروف بـ«مسجد سپسهالار» وترك بعض المؤلفات الفقرية[٣].

عبد الحي بن عز الدين بن عبد الحي الحسيني الكبيري الزهدي اللاري، قطب الدين:

فاضل عارف صوفي، من اعلام النصف الاول من القرن الحادي عشر، له اطلاع ومشاركة في العلوم الشرعية، واكثر اشتغاله بالنجوم والفلك والعلوم الغريبة.

لعل «عز الدين» لقب له لا اسم والده واشتبه ذلك على بعض من ذكر آثاره من المفهرسين.

له «حل وعقد» و«حل مسائل» و«سراج السالكين» واتم الاخير في ١٦ شهر رمضان سنة ١٠٣١.

الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي:

مترجم في «الكرام البررة» ص ٧٢٣، ونقول:

أصله من «يزد» وسكن في مشهد الرضا (عليه السلام)، وبلغ سنة ١٢٦٦ الستين من عمره كما صرح بذلك في آخر رسالته «أنفسنا»، فيكون مولده سنة ١٢٠٦، وسافر في السنة المذكورة لزيارة العتبات المقدسة بالعراق وأقام حيناً في مدينة قم وكتب بها بعض رسائله.

كان بالإضافة الى مقامه العلمي أديباً شاعراً بالفارسية وينقل بعض شعره في مؤلفاته.

له من المؤلفات الفارسية غير ما هو مذكور في الذريعة «آداب نكاح» و«أصول دين» و«أنفسنا» و«شرح حديث: ما ترددت في شيء أنا فاعله» و«فضل علم» و«معين الطلاب».

عبد الخالق بن محمد الجيلاني:

فيلسوف متبحر في العلوم العقلية، من أعلام أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر، قابل وصحح نسخة من كتاب «الشفاء» لابن سينا وكتب تملكه في مواضع منها، وكانت المقابلة مع شاه فتح الله الشيرازي، وقد ذكر مقابلته له، أحد تلامذته بتاريخ ٩٨٨ ووصفه بأوصاف دالة على سموه في العلم والتحقيق.

الميرزا عبد الرحمن بن نصر الله الشيرازي المشهدي:

مترجم في «نقباء البشر» ص ١٠٩٧، ووصفه افضل الملك في كتابه «سفر نامة خراسان وكرمان» بما ملخصه:

كان يدرس في الآستانة الرضوية الفقه والأصول والكلام والعلوم الرياضية، وله مكانة عند ولاة خراسان، وفيه صلاح وسداد موثوق به عند أهالي المشهد، جيد الإنشاء حسن الخط جداً.

أقول: توفى بعد سنة ١٣٢٠ التي سافر فيها افضل الملك الى مشهد الرضا والتقى للمرة الثانية بصاحب الترجمة، وقد وصف في بعض المجاميع بـ«الفارسي» نسبة الى فارس منطقة شيراز.

له منشئات ومقامات عربية تدل على تبحره في الأدب العربي، وله شعر عربي .

عبد الرحيم بن ابراهيم الحسني اليزدي:

مترجم في «نقباء البشر» ص/١١٠٠، ونقول:

يميل الى تعاليم الشيخ احمد الاحسائي كما يظهر جلياً من كتابه «كاشف الرموز»، ولكنه شديد الطعن على الحاج كريم خان الكرماني ويعتبره ضالاً مبدعاً.

اديب شاعر بالفارسية له: كاشف الرموز وغير ذلك[٤].

السيد عبد الرحيم الرضوي الحسيني العلوي:

فاضل عارف بالعلوم العقلية، والظاهر انه من اعلام القرن الثاني عشر.

له رسالة «علم الله» و«الحدوث والقدم والسرمد» رسالة فارسية[٥].

الشيخ عبد الرحيم بن كرم علي الپاچناري الأصبهاني:

عالم فاضل جامع لأطراف العلوم الدينية، متتبع أديب شاعر بالفارسية ضعيف الشعر، مائل الى العرفان ويستشهد كثيراً بشعر الصوفية، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر ولعله اوائل القرن الرابع عشر.

---

(١) انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ٩ ص ١٦٧.

(٢) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) السيد أحمد الحسيني.

(٥) السيد أحمد الحسيني.

مؤلفاته التي رأيتها رسائل فارسية صغيرة الا انها تتناول على الاكثر موضوعات غير مبحوث عنها مفرداً.

له «رسالة نخلية» و«رسالة كلبية» و«رسالة رؤيتية» و«رسالة عصمتية» و«رسالة بترائية» وألف الأخيرة في سنة ١٢٩٤(١).

عبد الرحيم بن محمد مهدي الخلخالي الخدجيني:

فقيه عالم متبحر، من اعلام أواخر القرن الثالث عشر ولعله اوائل القرن الرابع عشر، ملك نسخة من كتاب «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» وكتب في هوامشها قيوداً وتعاليق تدل على كمال فضله وجليل موقعه من الفقه وأصوله، أجازه اجتهاداً ورواية الشيخ زين العابدين المازندراني في سنة ١٢٨٦ وقال عنه في الإجازة:

«إن جناب العلامة الفهامة قدوة الفضلاء الفخام ونخبة العلماء العظام وزبدة النجباء الأعلام نور بصري ومهجة قلبي العالم النبيل والمحقق الجليل مصباح المحصلين وزبدة المدققين صاحب المآثر الجليلة الجميلة جامع المفاخر البهية المهذب الصفي النقي التقي العالم الألمعي والفاضل الباذل اليلمعي السند الكامل والزاهد الورع شمس الضحى بدر الدجى كهف العلى طود النهى كهف التقى علم الهدى. . . فحمداً لله ثم حمداً له بتفضله وامتنانه وكرمه بارتقائه الى اعالي درجات الوصول في استخراج الفروع من الأصول وتفضل بالملكة القدسية والدرجات العلية في استنباط المسائل الفقهية من الأصولية وقد وجدت له قابلية في التحقيق بأحسن الطريق وحصل الإطمئنان باجتهاده وديانته ووثاقته وحسن سريرته وصفاء سيرته. . .»(٢).

السيد عبد الرحيم بن نعمة الله الموسوي القزويني:

فاضل أديب شاعر بالفارسية والتركية، من سكنة قزوين وكتب مجموعة في سنة ١٢٢١ فيها رسائل مختلفة وأبيات من شعره، وكان حياً في سنة ١٢٣٦ التي وقف فيها كتبه(٣).

الشيخ عبد الرحيم بن ولي محمد الأردبيلي:

من أعلام القرن الثالث عشر، تتلمذ على السيد كاظم الرشتي وألف على طريقته الخاصة وكان الرشتي يعتمد عليه في ارجاع بعض الامور العلمية اليه، اقام مدة في النجف الأشرف لطلب العلم.

له «أجوبة مسائل بعض الاخوان» كتبها سنة ١٢٤٥(٤).

الشيخ عبد الرزاق بن علي اصغر الخائف القمي:

فاضل اديب شاعر بالفارسية يتخلص في شعره بـ«خائف» كان سنين متمادية يتولى بيان المسائل الشرعية للناس في صحن السيدة المعصومة (عليها السلام) في قم.

توفي بقم سنة ١٣٧٠ وهو في السابعة والثمانين من عمره(٥).

---

(١)(٢)(٣)(٤)(٥) السيد احمد الحسيني

عبد الرزاق بن مير الجيلاني الشيرازي:

مذكور في أعيان الشيعة ٧/٤٧١، ونقول:

أصله من «رانكوه» من بلاد جيلان وولد في شيراز وبها نشأ وعند علمائها درس وأخذ العلم، وهو من أعلام المحدثين في القرن الحادي عشر، يروي عن السيد نسيمي الركني الشيرازي والشيخ عبد علي الحويزي والشيخ صالح البحراني، كما ذكر ذلك في إجازته التي كتبها للمولى محمد ابراهيم بن عبد الله البواناتي المؤرخة ١٤ شهر رجب سنة ١٠٨٤(٦).

الشيخ عبد السلام بن عبد الله السلماسي:

فاضل متوغل في الفلسفة على طريقة الشيخية، وهو من تلامذة الميرزا شفيع التبريزي، ويعظم كثيراً الشيخ احمد الاحسائي ومن على طريقته.

له «جواب مسألة اللّه يارخان»(٧).

الشيخ عبد السميع بن فياض محمد الأسدي الحلي:

مترجم في «رياض العلماء» ٣/١٢١ و«أحياء الداثر» ص/١٢١، ونقول:

متبحر في الفقه جيد التحرير من رجال القرن التاسع.

له «شرح الألفية» و«حاشية قواعد الأحكام»(٨).

الشيخ عبد الصاحب بن محمد جعفر بن عبد الصاحب بن محمد جعفر الخشتي الدواني الفارسي، أبو الحسن):

مترجم في «الكرام البررة» ص ٧٣٥، ونقول:

اخباري معتدل، سافر في سنة ١٢٥٩ الى العراق لزيارة العتبات المقدسة. يقول: انه كان في بداية امره اصولياً ينتقد الاخباريين، فسافر الى ايران والتقى بجماعة من علماء الاخباريين فمال اليهم، وبعد السفر الى الحجاز والشام والعودة الى العراق توغل في الطريقة الاخبارية.

له اجازة الحديث من: الشيخ محمد حسن العصفوري البحراني أجازه في يوم ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٥، الشيخ خلف بن عبد علي العصفوري البحراني أجازه في بوشهر ليلة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٤٥، الشيخ ابو ابراهيم محمد بن احمد العصفوري البحراني أجازه بنفس التاريخ، الحاج ملا محمد الخراساني، الحاج محمد حسن النيسابوري، ميرزا علي النيسابوري الجزائري، السيد محمد تقي الحسيني القزويني أجازه في يوم السبت سابع شوال ١٢٦٣ واول شهر رمضان سنة ١٢٥٢ في كربلاء، ملا حيدر الخالق اليزدي أجازه في جمادى الأولى سنة ١٢٥٩(٩).

عبد الصمد بن الحسين المحلاتي:

فاضل اديب مائل الى العرفان.

---

(٦) (٧) (٨) (٩) السيد احمد الحسيني.

درس في اصبهان على المولى محمد باقر الفشاركي وميرزا يحيى «البيدابادي ظاهر»، وكتب مجموعة فيها منظومات فقهية وأصولية في سنة ١٢٨٧ وكتب فيها بعض الفوائد المستفادة منها.

ونسخ ايضاً مجموعة في سنتي ١٢٨١ ـ ١٢٩٢ فيها رسائل ومنتخبات تدل على فضل فيه وعلم. توفي بعد سنة ١٢٩٥[١].

الشيخ عبد الصمد بن عبد الكريم، شيخ الإسلام:

فاضل متتبع، لعله من أعلام القرن الثاني عشر او الثالث عشر، كتب مع اسمه «شيخ الإسلام» ولا نعلم انه لقب له او منصب.

له «خلاصة الأذكار»[٢].

الشيخ عبد الصمد بن محمد حسين الهمداني:

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر او اوائل القرن الرابع عشر، يجل الشيخ احمد الاحسائي وعلى تعاليمه والذب عنه كتب بعض الرسائل والمؤلفات.

له «علم إلهي»[٣].

الشيخ عبد العال بن محمد مقيم:

أتم مقابلة «الصحيفة السجادية» وحاشية الفيض الكاشاني عليها في تواريخ آخرها سنة ١١٤٦، وكتب بأمره تلميذه نظام الدين الخوانساري ترجمة الصحيفة وكتابة حواش فارسية عليها في سنة ١١١٠، وكتب بأمره تلميذه الآخر محمد رضا الخوانساري ملحقات الصحيفة في عاشر رمضان ١١١٦ ووصفه بقوله «حسب الأمر الأشرف الأقدس الأعلى شيخنا وأستاذنا ومحققنا ومدققنا...»[٤].

الشيخ عبد العزيز اللنكراني:

فاضل فقيه مدرس، اصله من لكنران وكان يقيم بمشهد الرضا (عليه السلام)، استكتب بعض تلامذته كتابه الفقهي سنة ١٢٩١ ودعا له بالدوام ووصفه بقوله «الفقيه المجتهد الذي يقصر عن تحرير مدحه وأوصافه القلم».

له «الفقه»[٥]

الشيخ عبد العظيم بن الحسين الكاشاني البيدكلي:

فاضل جليل مشتغل بالفقه، من اساتذته في الدروس العالية الميرزا ابو القاسم الجيلاني القمي صاحب «القوانين». مولده نحو سنة ١١٨٠ وكان يقيم بكاشان.

له «عائدة العقبى» أتم جزءه الثالث في سنة ١٢٤٩، و«خلاصة العائدة»[٦].

الشيخ عبد علي بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني:

يروي عن جماعة كثيرين، منهم الشيخ عبد الله بن علي البحراني.

وقد قرأ عليه أخوه الشيخ عبد النبي بن احمد كتاب «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» فأجازه في آخر الجزء الأول بتاريخ شوال ١١٤٩، وقال الشيخ عبد الله عن أخيه على الورقة الأولى من الجزء الثاني «الشاب الذكي والحبر التقي والقبس المضي والشهاب الألمعي والجوهر الدري العالم القدسي والعامل الأنسي شيخي وأستاذي ومن عليه في اكثر ما كتبه من العلوم استنادي...».

عبد العلي الحسيني اليزدي:

كتب بخدمته الشيخ علي بن يوسف العاملي في يزد في يوم الأربعاء ١٩ ذي الحجة ٩٩٣ كتاب «شرح مختصر الأصول» للقاضي عضد الدين الأيجي، ووصفه بقوله:

«في خدمة المولى الأجل الأعظم ذي المجلس الرفيع والجناب المنيع قدوة السادة وقطب دائرة السعادة جامع شمل الشريعة الزهراء والسالك لطريقة آبائه الغراء... خلد الله ظلال سيادته ونقابته على العالمين الى يوم الدين».

اقول: يظهر من هذا الكلام ان صاحب الترجمة كان نقيباً للسادة في مدينة يزد[٧].

الملا عبد العلي البيرجندي:

توفي سنة ٩٣٤.

هو نظام الدين الملا عبد العلي البيرجندي بن محمد حسين عالم الرياضيات والمنجم الكبير في أواخر القرن التاسع واوائل القرن العاشر الهجري. وقد بلغت شهرته في اوائل القرن العاشر الهجري شأواً بعيداً، حتى ان غياث الدين خواند مير كتب عنه في حديثه عن حياته قائلاً: «كان جامعاً لأصناف العلوم المحسوسة والمعقولة وحاوياً لأنواع مسائل الفروع والأصول». ويضيف انه «كان عديم النظير في علم النجوم والحكميات» وقد ذكر خواند مير انه درس الحكمة والرياضيات على يد منصور بن معين الدين الكاشاني، وقد كان معين الدين «أبو منصور» تلميذ وابن اخت غياث الدين جمشيد الكاشاني ومساعده في بناء مرصد سمرقند وتنظيم الزيج الگرگاني[٨] الموسوم بالزيج (الألغ بيگي). وقد تتلمذ البيرجندي على عدد آخر من أساتذة هرات في القرن التاسع الهجري، ونهل منهم العلوم العقلية والنقلية، ثم باشر بشرح الكتب الرياضية المشهورة وتأليف عدد من مشاهير الكتب في العلوم الأخرى. وقد ورد بشأنه انه «كان يتصف بالتواضع والتقوى والحلم ومراعاة الدين».

صنف البيرجندي العديد من المصنفات، أهمها: (شرح الفوائد البهائية) في الحساب، والأصل من تأليف عماد الدين عبد الله البغدادي وقد شرحه الملا عبد العلي البيرجندي عام ٨٩١هـ، ووصفه الحاج خليفة بأنه شرح كبير ومفيد جداً.

(شرح التذكرة النصيرية) في الهيئة للخواجة نصير الدين الطوسي، وقد شرح كتاب الطوسي هذا عدة مرات لإيجازه واشتماله على مواضيع

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) السيد احمد الحسيني.

(٧) السيد أحمد الحسيني.

(٨) الزيج: معربة عن كلمة (زيك) الفارسية، وهي بمعنى الجدول الذي كان يستعمله القدماء لرصد النجوم وتعيين حركاتها.

موجزة ومضغوطة في علم الهيئة، وقد ذكر الكاتب الچلبي (الحاج خليفة) هذه الشروح وذكر معها شرح البيرجندي وقال بأنه لم يره. وهذا الشرح مكتوب باللغة العربية، وقد فرغ البيرجندي من تأليفه في ربيع الأول عام ٩١٣هـ، وثمة نسخ موجودة منه في الوقت الحاضر.

(شرح تحرير المجسطي) الذي كتب متنه الخواجه نصير الدين الطوسي ايضاً، وكان فراغ البيرجندي منه في عام ٩٣١هـ.

(شرح الشمسية) في الحساب ومتنه من تأليف حسن بن محمد النيسابوري المتوفي عام ٨٢٨هـ.

(شرح الزيج السلطاني الجديد) (الزيج الگرگاني من تأليف الخواجة نصير الدين الطوسي) فرغ من تأليفه عام ٨٩٣هـ.

كتاب في عشرين باباً في معرفة التقويم والاختيارات، وقد شرحه الملا مضفر الگنابادي.

شرح في اللغة العربية على الملخص في الهيئة من تأليف محمود بن محمد الجغميني الخوارزمي المتوفى عام ٧٤٥هـ.

رسالة في الأبعاد والكتل وموضوعها يتعلق بأبعاد النجوم عن مركز العالم ومقدار كتلها، وكان الفراغ من تأليفها في عام ٩٣٠هـ. وكذلك (رسالة تشريح دوبركار) وكتاب: المسالك والمهالك او عجائب البلاد، والتحفة الحاتمية في الاسطرلاب، ورسالة في التقويم كتبها عام ٨٨٣هـ وألف كتباً سواها.

الشيخ عبد العلي بن محمد حسن بن ملا محمد حسين بن ملا حسن (القاضي) بن محمد باقر المغزي البسطامي:

ولد بقرية مغز (مزج) من توابع مدينة شاهرود، وبها نشأ وقرأ أوليات العلوم الدينية، ثم هاجر الى النجف الأشرف وتتلمذ على شيوخها في الفقه والأصول العاليين، ومنهم الشيخ حبيب الله الرشتي والشيخ عبد الله المازندراني، وكتب متفرقات من تقريرات أبحاث الأخير الأصولية، ثم عاد نحو سنة ١٣٣٤ الى مسقط رأسه «مغز» واشتغل بالارشاد الديني والاعمال الإجتماعية معززاً معظماً عند الأهالي.

أجيز اجتهاداً من المولى محمد كاظم الأخوند الخراساني كما حدثني بذلك حفيده والشيخ محمد بن يوسف بن عبد العلي الرجائي المغزي.

له رسالة «منجزات المريض» ألفها سنة ١٣٣٢ و«مجموعة متفرقات» في الفقه والأصول وفوائد أخرى.

توفي في قرية «مغز» يوم السبت سابع ربيع الثاني سنة ١٣٤٧[1] ودفن في مقبرتها العامة[2].

الميرزا عبد الغفار التويسركاني:

عالم جليل كثير الاطلاع في العلوم الدينية، اديب منشىء شاعر بالفارسية، والظاهر انه غير السيد عبد الغفار الحسيني التويسركاني المترجم في «نقباء البشر» ص ١١٤٧ وسيذكر بعد هذا ايضاً.

له «حقيقة ايمان» ألفه سنة ١٣١٠[3].

---

(١) كذا بخط الشيخ يوسف ابن صاحب الترجمة، وحدثني حفيده الشيخ محمد ان تاريخ الوفاة على لوح قبره (١٣٤٤) وهو خطأ.

(٢) (٣) السيد احمد الحسيني.

عبد الغفار بن علي محمد الأصبهاني:

فاضل له اطلاع في الجغرافيا والعلوم الرياضية، من أعلام القرن الثالث عشر المتخرجين من «دار الفنون» بطهران.

له «أبعاد ما بين البلاد» ألفه سنة ١٢٧٩[4].

السيد عبد الغني بن محمد (معز الدين) الحسيني.

مذكور في «الكواكب المنتثرة» المخطوط، ونقول:

من العلماء الأفاضل؛ كتب نسخة من كتاب «شرائع الإسلام» في سنة ١٠٧٤ وفي آخرها قيود علمية منه تدل على اطلاعه بالفقه والحديث، ثم قرأ ولده السيد عبد العظيم الحسيني نفس النسخة على أبيه، ثم وهبها في سنة ١١١٩[5].

الشيخ عبد الغني بن محمد رضا:

فقيه محقق بارع جيد التحرير نقي الكتابة، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر، اقام بالنجف الأشرف سنين ودرس على أعلامها وكان بها في سنة ١٢٨٩. ويظهر انه كان له مكانة علمية معروفة بحيث يستفتى عنه في المسائل الفقهية ويسأل رأيه فيها فيجيب عليها فتوى واستدلالاً.

ومن رسائله «موقف الرجل والمرأة في الصلاة» و«لبس الحرير والذهب في الصلاة» و«استعمال السعوط» و«البقاء على تقليد الميت» و«نبش القبر» و«تذكية الحيوانات» و«الحبوة»[6]

المولوي عبد الغني بن أبي طالب الكشميري:

فاضل عالم منشىء شاعر بالفارسية، له إلمام بالفقه والأدب والتفسير وغيرها، من أعلام الهند في القرن الثاني عشر، تلميذ المولى محمد صالح الشهير بآقا بزرك الأصبهاني وله منه إجازة الحديث.

له كتابه «الجامع الرضوي» بدأ به سنة ١١٦١[7].

علي بن عبد الفتاح بن محمد الطبسي الكيلكي:

قارىء له عناية بعلوم القرآن الكريم، اصله من مازندران وسكن في مدينة يزد، ولد سنة ١٠٢٠ حيث الف رسالته في التجويد سنة ١٠٨٣ وصرح فيها أنه في الثالث والستين من عمره.

له «تجويد القرآن الكريم»[8].

عبد الكاظم بن عبد العلي الشيرمي الجيلاني الآملي التنكابني:

مذكور في رياض العلماء ١٦١/٣ ونقول:

اصله من مدينة آمل ومولده في تنكابن، وكتب في نسبته «الشيرمي» وقال في تعليقة منه على كتابه «قانون الإدراك»: إن هذه النسبة الى «شيرمة» طائفة من أهل مدينة آمل.

رأيت مجموعة من الرسائل كتب بعضها المترجم له وعلق عليها

---

(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) السيد احمد الحسيني.

بعض التعاليق بتوقيع «عبد الكاظم»، وفي المجموعة «شرح بداية الدراية» للشهيد الثاني وقد قرأه التنكابني عند الشيخ بهاء الدين العاملي فأجازه في آخره بتاريخ ثالث شهر رجب سنة ١٠٠٨ في مشهد الرضا (عليه السلام) وسماه «محمد كاظم» وقال عنه «قرأ علي الأخ الأعز والأفضل الأمجد الذكي الزكي الألمعي اللوذعي سماء الافادة والأخوة والدين . . ».

وقد أجازه ايضاً في نفس المجموعة اجازة اخرى صرح فيها بأن التنكابني قرأ عليه جملة جميلة من العلوم العقلية والنقلية والفنون الأدبية والشرعية وذكر كثيراً من الكتب التي قرأها المترجم له عليه، كتب هذه الإجازة في مشهد الرضا (عليه السلام) اوائل شهر شوال سنة ١٠١٠ وقال عنه فيها «فإن الأخ الأجل الأفضل واسطة عقد الأخوان العظام صدر جريدة الخلان الكرام ذا الذهن الوقاد والطبع النقاد والتدقيقات الفائقة والتحقيقات الرائقة شمساً للإفادة والإفاضة والأخوة والتقوى والدين . . . ».

ومن مؤلفاته كتاب «قانون الإدراك في شرح تشريح الأفلاك»، ورأيت منه نسخة اجازة على الورقة الأولى منها لتلميذه ملك عز الدين بن محمد شرف النويري في البقعة الرضوية سنة ١٠٣٠، وسمى نفسه في مقدمته وخاتمته وفي الإجازة «محمد كاظم»[١].

الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم بن علي (نور الدين) بن احمد بن مفلح الميسي العاملي:

كتب على بعض المخطوطات تاريخ وفاة والده الشيخ ابراهيم الميسي في سنة ٩٧٩[٢].

السيد عبد الكريم الحسيني:

نقل عنه المولى محمد رفيع بن محمد شفيع القزويني في كتابه «محي القلوب» بعض الأحاديث واصفاً له بـ«مجموعة آفاق دانشوري»، والمظنون انه من اعلام القرن الحادي عشر.

له «ضياء العيون»[٣].

السيد عبد الكريم بن جمال الدين الرضوي القزويني:

من علماء قزوين ظاهراً، اوقف كتبه ولده السيد عبد الباقي بعد وفاته في سنة ١٣٠٩ ووصفه بقوله «علامة العلماء وشيخ الفقهاء ورئيس المحدثين وفخر المجتهدين . . »[٤].

عبد الكريم بن سلطان محمد التبريزي:

من أعلام القرن العاشر، اهدى نسخة من كتاب «الوسيلة» لابن حمزة الى الشيخ محمد بن خاتون العاملي ويبدو مما كتبه على النسخة انه كان عالماً ذا فضل وفقه[٥].

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

الميرزا عبد الكريم بن عبد الغني الطبيب الجيلاني:

فاضل أديب حسن الإنشاء في الفارسية، كان يزاول الطب وهو من أعلام اوائل القرن الثالث عشر. له «ترياق أعظم»[٦].

الشيخ عبد الكريم بن محمد رضا الحسيني اللاهجي:

عالم جليل طويل النفس في مباحثه العلمية، من اعلام القرن الثالث عشر. درس عند افاضل أصبهان، ومن اساتذته الشيخ محمد تقي الأصبهاني صاحب «هداية المسترشدين» وذكر في مقدمة كتابه استاذاً آخر قرأ عنده علم اصول الفقه واحترمه كثيراً ولم يسمه الا بأنه «سمي الصادق».

له «الرسالة المشقية في الظنون الاجتهادية»[٧].

عبد الكريم بن المرشد الجيلاني:

فاضل متتبع، من أعلام القرن الثالث عشر وكان يميل الى العرفان والتصوف.

له «التحفة العلوية» ألفه سنة ١٢٣٤[٨].

المولى عبد الكريم بن محمد هادي الشهابي الكريني الطبسي:

مترجم في «الكواكب المنتثرة» المخطوط، ونقول:

فاضل جليل له اهتمام بعلوم الحديث، اديب قال في تاريخ ولادة ابنه محمد حسين المولود سنة ١١٢٤:

لتاريخه العقل أنهاني وبشرني
في مثله كان ابلاغ طه ويس

قرأ نسخة من كتاب «من لا يحضره الفقيه» وعلق عليها حواشي دالة على تبحره في العلوم والآداب، وأجازه رواية الكتاب وغيره بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندي في آخرها[٩].

السيد عبد الله البلادي بن السيد أبي القاسم:

ولد سنة ١٢٩١ في النجف.

مرت ترجمته في المجلد الثامن من (الأعيان) ونزيد على ما هنالك ما يلي:

انحدر من بيت علم وفضيلة وزهد وورع وتقوى، وآباؤه علماء قضوا حياتهم في بث العلوم الإسلامية والإرشاد.

فأبوه السيد أبو القاسم وجده السيد عبد الله وأبو جده السيد علي وجده الأعلى السيد محمد المعروف بالكبير كلهم أعلام معروفون في مناطق الخليج وخوزستان ونواحي بوشهر وشيراز.

وأما جده الأعلى السيد عبد الله البلادي الأول المعروف بالغريفي فقد كان من أعيان علماء عصره يروي عنه اجازة الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق كما ذكره في لؤلؤة البحرين ص ٩٢، والسادة البلاديون في شيراز وبهبهان وبوشهر وطهران وخوزستان والنجف

(٦) (٧) (٨) (٩) السيد احمد الحسيني.

الأشرف والبحرين كلهم من أولاده، وقبره في بهبهان مزار مشهور.

ومن اجلاء هذا البيت السيد اسماعيل البهبهاني والد السيد عبد الله البهبهاني والد السيد محمد البهبهاني، والسيد مهدي البلادي الغريفي النجفي النسابة، والسيد عدنان المتوفى سنة ١٣٤٠ والذي كان في مدينة خرمشهر، وغيرهم.

وقد خلف المترجم له أولاداً ذكوراً من خمسة أزواج هم: أبو المعالي السيد محمد مهدي المتوفى سنة ١٣٨٥، أبو المكرام السيد اسماعيل، ابو المحاسن السيد اسحاق، أبو الفضائل السيد علي، ابو المحامد السيد محمد صادق، السيد أبو القاسم المدفون بشيراز، السيد أبو المناقب المدفون ببوشهر. وأولاده الإناث ثلاث: زهراء، فاطمة، بدر السادات خديجة.

كانت دراسته للمقدمات واكثر كتب السطوح في بوشهر وشيراز، ثم هاجر الى النجف الأشرف في سنة ١٣١٩ وبقي بها الى سنة ١٣٢٦، حيث اكمل السطوح وحضر دروس الفقه والأصول خارجاً على اساطين العلم في عصره.

قرأ النحو والصرف والمنطق والبيان عند السيد اسد الله الأصفهاني والسيد محمد حسن البرازجاني والشيخ اسماعيل شارح دعاء الجوشن والسيد عبد الهادي البهبهاني والشيخ محمد رحيم الكازروني.

وقرأ الطب عند السيد عبد الرضا الطبيب البوشهري.

وقرأ الهيئة القديمة والتقويم عند السيد مرتضى الشيرازي، والهيئة الحديثة والحساب عند الشيخ حبيب الله الأراكي السلطان آبادي.

وقرأ السطوح عند عمه السيد محمد مهدي البلادي المعروف بعلم الهدى والسيد محمد الكاشاني والسيد محمد علي البهبهاني والسيد سليمان الملقب بصدر الإسلام البهبهاني. وقرأ التفسير عند والده السيد أبو القاسم البلادي.

وفي النجف الأشرف اكمل السطوح عند السيد عباس الكربلائي والشيخ يوسف الشفتي والسيد أسد الله الأشكوري والشيخ اسد الله الزنجاني.

وأما خارج الأصول والفقه فقد كان تتلمذ على الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي والسيد محمد بحر العلوم صاحب البلغة والمولى فتح الله شيخ الشريعة الأصبهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والمولى محمد كاظم الأخوند الخراساني.

كان فقيهاً اصولياً محدثاً، عارفاً بالتفسير والكلام والفلسفة، ذا اطلاع على العلوم الرياضية وله المام بالطب.

وكان بالإضافة الى كل ذلك ذا باع واسع في الأدب، يقول الشعر في المناسبات الدينية والإخوانية، وجمع شعره في ديوانين عربي، وفارسي.

بعد أن اكمل دراسته في النجف الأشرف، عاد الى ايران في سنة ١٣٢٦ والقى رحل أقامته في مدينة «بوشهر»، فقام هناك بالوظائف الشرعية من إمامة الجماعة والإرشاد ونشر الأحكام والتأليف والتدريس. وظل في بوشهر حتى وفاته[1].

(١) السيد أحمد الحسيني.

السيد عبد الله الرضوي الجائسي الهندي:

فاضل اديب له شعر بالفارسية، والأردوية رأيت من شعره قصيدة رثائية نظمها في سنة ١٢٧٤ [2].

السيد عبد الله السبزواري بن السيد حسن:

ولد في مدينة سبزوار سنة ١٣٠٤ وتوفى فيها سنة ١٣٨٠.

ربي في احضان والدته العالمة وعندها تعلم القراءة والكتابة، وبدأ دراسة الأوليات العلمية والمقدمات على والده، واستمرت تلمذته عليه الى مقدار من كتاب «المعالم» في الأصول و«رياض المسائل» في الفقه.

ثم تتلمذ على الشيخ ابي القاسم الدامغاني والميرزا اسماعيل الملقب بافتخار.

ثم حاضر خارج الأصول والفقه على الميرزا اسماعيل العلوي.

والعلوم العقلية والفقه على الميرزا حسين السبزواري.

ويبدو من إجازته أنه حضر برهة من الزمان في النجف الأشرف أبحاث السيد أبو الحسن الأصفهاني.

كان اكثر اشتغاله بالخطابة والمنبر الحسيني، فتجول في كثير من مدن خراسان واعظاً مرشداً، كان أديباً شاعراً باللغة العربية والفارسية.

ترك عدة مؤلفات منها: حاشية على الأسفار غير تامة، البداء وهو تقريرات احد اساتذته مع آرائه الخاصة[3].

السيد عبد الله البهبهاني بن السيد إسماعيل.

كان الأب: السيد إسماعيل (السيد نصر الله) في سلك علماء الدين في بهبهان، ولكنه لم يكن بدرجة الإجتهاد، وإنما نال السيد إسماعيل مقام الإجتهاد في النجف، واختار الإقامة في طهران في زمان سلطنة محمد شاه قاجار، وحظي شيئاً فشيئاً بعناية ناصر الدين شاه، وغدا محور اهتمام أهل طهران وصار مجلسه مكاناً لفصل قسم من مرافعات الناس.

كان للسيد إسماعيل أولاد متعددون، أكبرهم السيد عبد الله.

ولد السيد عبد الله حوالي سنة ١٢٦٠، وتلقى أوليات الدروس ومقدمات العلوم الشرعية ثم توجه الى النجف وأدرك فيها مجالس بحث كبار علماء الدين كالشيخ مرتضى الأنصاري والسيد محمد حسن الشيرازي والسيد حسن الكوهكمري، وعاد إلى طهران في حدود سنة ١٢٩٥، ونال مقام والده بعد موته، وأوجد لنفسه موقعاً في حوزة طهران العلمية في (مرو) بما تميّز به من ذكاء فطري وصراحة في البيان.

كان البهبهاني أحياناً يخطو على خلاف ما يجري عليه المجتمع الفقهائي إبرازاً لاستقلال فكره وشخصيته. كما حدث في خضم الجدال الذي دار حول إتفاقية حصر امتياز التنباك التي أوعز فيها الآشتياني[4] — مجتهد طهران النافذ — إلى الناس بالثورة، ونشر في جميع أنحاء إيران فتوى «السيد الشيرازي» المشهورة والتي تتضمن تحريم (التنباك)

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) الميرزا محمد حسن الآشتياني، كان مجتهداً لامعاً، توفي سنة ١٣١٩.

واستعمال أنواع الدخان (سنة ١٣٠٩). ففي المجلس الذي دعت اليه السفارة العثمانية، تناول السيد البهبهاني لفافة تبغ (سيكارة) وأشعلها بحضور علماء الدين والمدعوين من دون أي محاباة لهم، وهتك بذلك حرمة التحريم، وقال في جواب اعتراض بعض العلماء عليه: «أنا مجتهد، وأنا عارف بتكاليفي»، وأفتى صراحة بأن إتفاقية حصر التنباك هي مفيدة، ولا مانع شرعي أيضاً من استعمال التنباك.

كان هذا التاريخ مبدء جلب البهبهاني انتباه واهتمام (الأتابك)[١]، وكان الأتابك يحيل إليه ــ أحياناً ــ دعاوى الدولة، وشيئاً فشيئاً توطدت علاقته بالأتابك، وكانت هذه الصداقة مهمة جداً للبهبهاني في بسط نفوذه وتوسعه المادي، وخلال مدة السنة والنصف التي كان فيها الأتابك عاطلاً عن العمل ومنهمكاً في قم بإعداد الدسائس ضد الدولة، كان البهبهاني يبذل مساعيه لإعادته. وبعد عودة الأتابك، أدّت كثرة القروض والتكاليف الباهظة لرحلات مظفّر الدين شاه، إلى ائتلاف مجموعة من الوطنيين مع مخالفي الأتابك وقاموا بتظاهرات مضادة له، وأشعلوا ألسنة النقد والإعتراض عليه، ولكن الأتابك لجأ إلى إهدار مقادير من الأموال غير المتعوب عليها واستطاع بمساعدة أنصاره ومعاونيه إسكات مخالفيه.

وعلى مدى حوادث الدورة الثالثة لتصدي الأتابك كان البهبهاني في الصف الأول من المدافعين عنه، كما كان يستفيد من علاقته الحميمة به.

أدت القروض المتتالية، بالشروط الصعبة التي كانت جميعها مضرة لإيران، إلى اختلال التوازن في السياسة الخارجية، وأضحت البلاد أسيرة بيد الروس.

لقد دفع النفوذ المتزايد لدولة روسيا وسياسة الجانب الواحد لدولة إيران، إلى ترسيخ عزم مخالفي الأتابك في معارضتهم، وانضم إليهم كل من الشيخ فضل الله نوري والسيد محمد الطباطبائي.

وفي تلك الأوقات، سافر هاردينك الوزير الانكليزي المنتدب، برفقة تشرشل مدير السفارة الإنكليزية الى الخليج الفارسي، بدعوة من اللورد كرزن (نائب الملك في الهند) وأجروا معه مباحثات حول إيران، وتوجهوا معه إلى بغداد والنجف، ثم عادوا إلى طهران، وهناك ضغطوا على مظفر الدين شاه لطرد الأتابك.

كفّر علماء النجف الأتابك[٢]، وكانت النهاية أن اشتدت عليه الضغوط الداخلية والخارجية فانجرت إلى استعفاء الأتابك وخروجه من إيران، وحل مكانه عين الدولة (سلطان عبد المجيد ميرزا) في شهر رجب سنة ١٣٢١.

كان عين الدولة رجلاً قوياً وذكياً، ولكنه كان لا يتمتع بتدبير الأتابك وسياسته وحلمه، ولم يتعلم أيضاً من عاقبة الأتابك، ومال في سياسته الخارجية الى الروس، ولكنه سلك في السياسة الداخلية ممشىً مخالفاً لما سار عليه الأتابك، فعزل جميع أنصار الأتابك من المراكز الحساسة، واستبدل الإقتراض الخارجي بضرائب فرضها على الوزراء والحكام وأصحاب النفوذ في الداخل ليسد عجز الخزينة، كما أخذ من الميرزا نصر الله خان مشير الدولة وزير الخارجية مبلغ مائة ألف تومان، ومن شوكت الملك حاكم قائنات ثلاثين ألف تومان، ومبالغ كبيرة من نصر السلطنة التنكابني وأمير أفخم همداني وأمثالهم بعنوان (الحلو) لأعمالهم.

ومن البديهي أن هذه الأموال لم تكن تخرج من الجيوب المباركة! لأصحاب المقامات، بل كانوا يجنون أضعافها من الأرباح وينفقونها في التجملات وشراء الأملاك والمنتزهات والإدخار والرحلات.

وكما طرد عين الدولة أنصار وأعوان الأتابك، كذلك لم يعتن بالمجتهدين الذين كانوا مقرّبين إليه، بل كان يتصرف تجاههم بغرور وكبرياء. وبما أن البهبهاني كان مقرباً من الأتابك، فلذا نالته سوء معاملة عين الدولة، فقطعت عن محضره مرافعات الدولة، وغدا الشيخ فضل الله نوري ــ الذي كان مخالفاً للأتابك ومتفوّقاً علمياً على أكثر علماء طهران ــ موضع عناية عين الدولة، فكانت الأعمال الأساسية تحول إليه أو إلى السيد علي أكبر تفرشي.

غضب البهبهاني من الوضع الذي آل إليه أمره، واشتد حنقاً عندما ردّ عين الدولة المغرور، عدة مرات، توقيعاته بشدة وأجاب عليها بصراحة، فبدأ يضمر له الخصومة والعداء.

وفي هذه الأيام ــ المصادفة لأوائل ولاية عين الدولة ــ حدث نزاع بين طلاب مدرسة الصدر وطلاب مدرسة المحمدية (لأجل السيطرة على المدرسة الآصفية)، فأُصيب بالجراح عدد من طلاب مدرسة الصدر الذين كانوا يحاولون السيطرة على المدرسة الآصفية، بواسطة المدافعين عنها من طلاب المدرسة المحمدية. فأصدرت حكومة طهران أمراً بملاحقة معتمد الإسلام الرشتي الذي كان المحرّك لطلاب المدرسة المحمدية، فالتجأ إلى منزل البهبهاني واختفى فيه.

ضاق طلاب مدرسة الصدر من البهبهاني، وأثارهم ــ سراً ــ السيد أبو القاسم إمام الجمعة، فقاموا بمهاجمة البهبهاني أثناء عودته في إحدى الليالي من منزل الشيخ فضل الله، ومع أن البهبهاني لم يصب بأذى وفرّ بمهارة من أرض المعركة، إلا أن أنصاره رفعوا شكوى بالحادث إلى حكومة طهران التي بادرت ــ بأمر من عين الدولة ــ إلى إعتقال ثلاثة عشر طالباً من طلّاب مدرسة الصدر، وقيّدتهم بالسلاسل وطافت بهم في عربة تجرّها الدواب في شوارع المدينة، ثم سلّمتهم خارج أبواب المدينة إلى شرطة (أمير بهادر) وأُبعدوا إلى أردبيل (بما أن العدد ثلاثة عشر هو رقم نحس، فلذا أضاف إليهم ضباط أمير بهادر طالباً بريئاً!).

أحدث اعتقال الطلاب بهذه الطريقة المهينة حالة من الهيجان في طهران، فأرسل البهبهاني رسالة الى عين الدولة يصفح فيها عن الإهانة التي وجّهت إليه، طالباً إطلاق سراح الطلاب. ولكن عين الدولة رفض طلبه وردّ بشدة وغلاظة قائلاً: «ليس لك أن تتدخل في شؤون الدولة».

وبهذا الإبعاد المشين للطلّاب، أظهر عين الدولة معارضته لرجال الدين بكل وضوح، وأثار الرأي العام عليه، وكانت هذه إحدى شطحاته السياسية.

---

(١) هو ميرزا علي أصغر خان أتابك.

(٢) إليس لهذا التكفير أي علاقة بسفر هاردينك.

وفي هذه الأثناء التي كان يسعى فيها البهبهاني ليجد مبرراً ليبرز معارضته علناً، نشرت في طهران صورة (للمسيو نوز)[1] مع معاونه البلجيكي وهما بلباس رجال الدين، وأثارت غضب المجتمع الفقهائي. وكانت هذه الصورة قد التقطت في إحدى المجالس وأعطيت للأتابك لمحض الذكرى، فتمكن الميرزا مصطفى الأشتياني من استخراجها من منزل الأتابك.

وفي أيام محرم ١٣٢٣، إعتلى البهبهانى المنبر في منزله، وأظهر صورة (نوز) للناس، وتكلم بلسانه اللبق عن الإهانة الموجّهة إلى لباس رجال الدين وعن الأضرار التي ألحقها نوز بإقتصاد البلاد، وطالب بعزله. وقد حرّك كلام البهبهاني الناس في البازار فتظاهروا ضد (نوز).

كان (نوز) قد استُخدم في زمن أمين الدولة، وأتى إلى إيران سنة ١٣١٦ مع إثنين من معاونيه في الدورة الثالثة لصدارة الأتابك، وكان يقوم بدور رئيسي في ترتيب القروض وحفظ المنافع الروسية لمدة ست سنوات، ورغم ذلك لم يبد البهبهاني والتجّار مدة السنوات الست تلك أي اعتراض على تصرفات نوز، بل كان دفاعهم عن الأتابك وقروضه يحمل ضمناً تأييدهم لأعمال نوز.

أما الآن فقد اختلفت الموازين، لقد صار موضوع نوز حجة لمخالفة الدولة لأجل بلوغ أهداف سياسية أكبر، كما أن السفارة الإنكليزية التي كانت تعتبر نوز أحد أقوى عوامل السيطرة الإقتصادية والسياسية الروسية في إيران، إستفادت من الظرف الراهن وانشغلت بإثارة الناس في معارضة نوز.

فاضطر نوز بعد عدّة أشهر لمغادرة البلاد إلى أوروبا، بعنوان الإجازة.

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٣، بدأ السفر الثالث لمظفر الدين شاه إلى أوروبا، وكان سفراً مليئاً بالأضرار وبلا أية فوائد، ورافق عين الدولة الشاه في هذا السفر. وقدم إلى طهران ولي العهد محمد علي ميرزا ليتصدّى لإدارة البلاد في غياب الشاه.

توجه ولي العهد إلى منزل البهبهاني وأعطاه ــ على ما يقال ــ مبلغاً من المال طالباً منه أن لا يقوم بما يعكر الأججواء ويخرق هدوء العاصمة حتى عودة الشاه، وهكذا حصل. فلم يحدث في غياب الشاه أي حادث مهم سوى اعتصام التجار في مقام (عبد العظيم) ضد نوز، وانتهت هذه الحادثة بجهود ولي العهد.

وفي شهر شعبان عاد الشاه وعين الدولة والمرافقون إلى العاصمة، وابتداء من هذا التاريخ بدأ البهبهاني يعمل بعزيمة راسخة، فدعا بواسطة معتمد الإسلام والميرزا مصطفى الآشتياني عدداً من رجال الدين للتعاون معه في مخالفة الدولة، ولكنه لم يلق استجابة تامة، ووافقه في ذلك السيد محمد الطباطبائي بشرط أن لا يكون هناك أية غايات ومآرب شخصية.

كان الطباطبائي يعتقد بأن عزل علاء الدولة ونوز هو هدف صغير، ويجب أن يكون الهدف أكبر من ذلك. وصار يميل شيئاً فشيئاً إلى إيجاد بيت العدالة (أو محكمة العدل [عدالتخانه]) وأن يرسل ممثلي ونواب الشعب إلى بيت العدالة لمراقبة أعمال الدولة.

وفي ليلة ٢٥ شهر رمضان ١٣٢٣ توجّه البهبهاني إلى منزل الطباطبائي وتحالفا جاعلين هدفهما عزل عين الدولة وتأسيس (بيت العدالة). ومن حينها فصاعداً أضحى انتقاد الدولة علنياً، وبدأ البهبهاني والطباطبائي بدون أية خشية ووجل يوقظون أفكار الشعب، وعلت على المنابر أصوات الوعاظ أمثال (الشيخ الرئيس قاجار) و(سلطان المحققين) و(بهاء الواعظين) و(السيد جمال الدين) و(ملك المتكلمين) طارحة مواضيع: الحرية والعدالة والقانون، ساعين إلى إثارة الرأي العام. وانتفض مخالفو الدولة وأنصار الأتابك وجمع من التجار مؤيّدين البهبهاني والطباطبائي سراً وعلانية، ووصلت اليهما في هذا السبيل مساعدات مادية ومعنوية.

وكانت الدولة الإنكليزية عازمة بعد فراغها من حروب افريقيا على تغيير وضع حكومة إيران، وتحصيل موقع مميز في سياسة هذه الدولة، فاستفادت من هذه الحوادث وبدأت بتحريك المخالفين وتقويتهم. وطلب عدد من العاملين في تلك السفارة اجراء لقاءات مع رؤساء المشروطة (المطالبين بالحكم النيابي الدستوري)، مقدمين الضمانات اللازمة على أن السفارة لن تتوانى في تقديم المساعدات المادية والمعنوية في سبيل تحصيل الحرية وتغيير الحكومة حتى النصر النهائي. وأدت هذه الإتصالات والضمانات الى تشجيع المخالفين، كما قدّمت السفارة العثمانية مساعدات أيضاً، وكانت النتيجة أن تعاظمت قوة تشكيلات مخالفي الدولة بقيادة البهبهاني والطباطبائي.

وفي هذه الأثناء إرتفع سعر السكر في طهران، حيث اتخذ التجار المحتكرون من الحرب الروسية اليابانية ذريعة لرفع «مَنْ» السكر من خمسة ريالات إلى سبعة ريالات، ولكي يقوموا بذلك أخفوا السكر لعدّة أيام، فبدأت قصة تأديب التجار المحتكرين.

وفي الرابع عشر من شهر شوّال أضرب بازار طهران، واجتمع الناس في (مسجد الشاه) وأيّدهم مجموعة من رجال الدين، وطالبوا بعزل علاء الدولة. وأقدم السيد أبو القاسم إمام الجمعة على اتخاذ بعض الإجراءات ليلفت أنظار التجار ويهدىء الوضع، ولكنها لم تفد. وصعّدت دولة عين الدولة المغرور من اجراءاتها اعتقاداً منها أنها تستطيع أن تمنع جميع الحوادث بالقوة. فاضطر البهبهاني والطباطبائي والسيد (جمال افجه ئي) وعدد آخر من المجتهدين ومعهم مجموعة من الطلاب والتجار إلى اختيار الإعتصام في مقام عبد العظيم.

وبدأت جموع الملتجئين إلى المقام تزداد يوماً بعد يوم، وتصاعدت نبرة الخطابات المضادة للدولة ومؤسساتها، وكان مخالفو عين الدولة وأنصار الأتابك وظل السلطان وسالار الدولة يتولون مصاريف اقامة الآلاف المؤلّفة المتحصّنة في المقام، كما أن السفارة الإنكليزية دعمت هذه الإنتفاضة سراً بمقادير من الأموال، وكان التجار أيضاً يدفعون مبالغ من الأموال. ورغم ما اشتهر وأُذيع من أن الحاج محمد تقي والحاج محمد حسن والتجار هم الذين يتولون كافة المصارف، إلا أن الواقع لم يكن كذلك، بل الحقيقة أن الحاج محمد تقي وأخاه كانا

(١) كان نوز كالأتابك، سدّاً محكماً في وجه الإنكليز، وكان يدير السياسة الاقتصادية لايران لصالح الروس، ويمنع نشاطات الانكليز حيثما وطأت أقدامهم حتى في سيستان وبلوجستان.

الدولة) لرئاسة الوزراء، ولكن المجلس خالف وانتخب ناصر الملك (قرا كزلو) في ١٨ شهر رمضان.

كان ناصر الملك (ميرزا أبو القاسم خان همداني قراكزلو) رجلاً مثقفاً ومتجدداً، وتربطه صداقات باللورد كرزن وبعض السياسيين الإنكليز، ولكنه مع ذلك لم يكن مؤمناً بمشروطة إيران (الحياة النيابية الدستورية) ويرى مثل هذه الحكومة لايران سابقة لأوانها أثناء دورة رئاسته حضر الشاه إلى المجلس وألقى كلمة فيه، وشكر السيد عبد الله البهبهاني وأقسم اليمين لصيانة الدستور، كما أقسم النواب اليمين لحفظ حدود وحقوق السلطنة (في ٧ شوال).

في الفترة الوجيزة لحكومة ناصر الملك حدثت عدة تشنجات ووقعت حادثة (ميدان توبخانه)[1]، ولكن كون ناصر الملك رجلاً مدللاً وسريع الخوف والإضطراب، لم يتمكن من الثبات والمواجهة، وقدم استقالته في ١٥ ذي القعدة.

كان من جملة محركي هذه الحادثة (ناصر الملك) نفسه وبعض أعضاء دولته، ولذا أحضروا جميعاً إلى البلاط وأوقفوا. وقد تملك الرعب ناصر الملك الجبان الذي كان يفتعل الحوادث ثم يفرّ منها، فأرسل أحد أقربائه إلى السفير الإنكليزي الذي قام بتهيئة ترتيبات نجاته، فأُحضر تحت حراسة عملاء السفارة، وغادر إيران.

وبعد ذلك حدثت صدامات أخرى في المجلس، فقد كان إحتشام السلطنة يريد أن يمنع تشدد النواب والجرائد، وضاق صدره ذرعاً من طموح السيد عبد الله البهبهاني ومن الأهداف السياسية لتقي زادة، فاتهم في المجلس علانية السيد عبد الله بالإرتشاء والسعي لنيل مناصب عليا، كما اتهم تقي زادة بالخيانة.

ومن هنا كان تقي زادة والمتشددين في المجلس والتنظيمات الوطنية يخالفون احتشام السلطنة، وهدد مراراً بالقتل من قبل منظمة آذربايجان (التي يرأسها تقي زادة) حتى وقعت حادثة الخامس والعشرين من محرم (السابع من شهر إسفند)، حيث كان الشاه يتوجه من (قصر كلستان) إلى (دوشان تبه) بسيارته التي غطيت نوافذها بالستائر السوداء متقدمة الموكب، ويليها عربة تجرها ستة خيول مغطاة النوافذ أيضاً، يحيط بها ٣٤ فارساً مرافقاً. وأثناء مروره بشارع (باغ وحش)، وطبقاً لخطة معدة سابقاً (واطلع عليها عدة من نواب آذربايجان)، قام (حيدر عمو أوغلي) وأنصاره بالقاء ثلاثة قنابل على سيارة الشاه، فجرح عدة أشخاص وقتل شخصان، وأصيب أحد خيول العربة، فأسرع الشاه يحيط به حراسه باللجوء إلى مركز العربات الحكومي، فيما فرّ منفذو الهجوم[2].

وبعد هذه الحادثة، اشتد خلاف الشاه مع المجلس، واستقال نظام السلطنة من رئاسة الوزراء في ١٢ ربيع الثاني، وفي هذه الأثناء كانت تجري مبارزة بين البلاط والمجلس لطرد ستة أشخاص من أنصار الشاه وثمانية أشخاص من الأحرار. واختير (مشير السلطنة) لرئاسة الوزراء خلفاً لنظام السلطنة.

إن سوء النية لدى متشدّدي المجلس، وطموح البهبهاني للسلطة واستبداد الرأي لدى أهل البلاط وقلة التدبير وتبعية الروس لدى الشاه، إن كل ذلك كان مانعاً من حل الخلافات. توجه الشاه يوم ٤ ربيع الأول ١٣٢٦ مع عائلته من آراك إلى (باغ شاه). أحاط الجند ومرتزقة الشاه بالقصر، كما قامت مجموعات منهم بتظاهرات عسكرية في المدينة، وأغاروا على ثلاثين محلاً في البازار، أبرق السيد عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي والتنظيمات الى المدن يدعون الناس إلى التعبئة العامة، فأحدثوا الهيجان والإضطراب في جميع الأنحاء، وانشغل المجلس والمنظمات بأسرع ما يمكن بتشكيل الحرس الوطني وتدريب الشبّان، وانتشر المجاهدون حول المجلس ومسجد سبهسالار ورفعوا المتاريس، وبادروا إلى شراء الأسلحة. وهيئوا أنفسهم لخوض حرب ضد الدولة.

وتشكلت لجنة مؤلفة من نير الدولة وعضوين في الدولة (مشير الدولة ومؤتمن الملك) لرفع الخلاف، وبذلوا جهوداً متضافرة لكن بلا نتيجة واستقر قرار الشاه ومشاوريه الذين كانوا يرون أن نشاطات المجلس مخالفة لأصول المشروطة، على تسليم ثمانية أشخاص من أفراد المجلس، ومنع نشر الفضائح، ومنع الفتن التي تحدثها التنظيمات، وإيقاف شتائم الخطباء ومحرّري الصحف، وجمع السلاح من أيدي الناس، ولو أن المجلس كان قد وافق على هذه المقترحات لزالت الخلافات، كما كانت هناك طرق عقلائية عديدة لصد النوايا السيئة للشاه والمستبدين، ولكن أصحاب القرار في المجلس لم يرضخوا، وهم يتحملون حقاً جزءً من مسؤولية حادثة القصف. لقد غدا قرار قصف المجلس عملياً بإصرار من (أمير بهادر) و(ليا خوف) وموافقة السفارتين.

إن يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٦ بقي عاراً على محمد علي شاه. لقد قاوم المجاهدون والنوّاب خلف متاريس المجلس ومسجد سبهسالار مدافعين لعدة ساعات، واستمرت هذه المعركة من الساعة الخامسة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً:

---

(١) في الخامس من ذي القعدة، قامت مجموعة من الأنصار والجنود وجماعة من الناس بقيادة (صنيع حضرت) و (مقتدر نظام) و (نائب اسماعيل خان) بالتجمع في (ميدان توبخانة) وبدأوا سلسلة تظاهرات ضد دُعاة الحياة النيابية الدستورية (المشروطة)، وقاموا بعربدات وتصرفات مشينة. وشاركهم مجموعة من أصحاب المحلات محاولين اشعال شرارة الفتنة، وقتلوا أحد الشبان المؤيدين للمشروطة في وسط الميدان يوم الثامن من ذي القعدة. وتوجّهت جموع المتظاهرين الى منزل الشيخ فضل الله نوري، وأحضروه الى ميدان توبخانة محرجين له مستعملين ما استطاعوا من الرجاء والدعاء لإقناعه، فألقى في الناس موعظة حول (المشروطة الشرعية)، وكانت موعظته هذه سبباً ليكنّ له أنصار المشروطة البُغض والعداء.

وفي اليوم التاسع من ذي القعدة، توجّهت هذه المجموعات يرافقها مجموعة من اليهود الخائفين على أنفسهم من غضب المتظاهرين ومرددين شعار: نريد دين النبي ـ لا نريد المشروطة، إلى المجلس ومسجد (سبهسالار) وأطلقوا النار على المجلس واندلعت عدة أحداث شغب. وبعد عدة أسابيع اعتقل رؤساء المتظاهرين بأمر من المجلس وبموافقة الشاه، ونفوا الى (كلات).

(٢) في كتاب انقلاب ايران (ثورة ايران) نسب المستشرق المعروف (ادوارد براون) هذه الحادثة الى الرجعيين وأنصار الشاه موهماً أن عملية الهجوم كانت مصطنعة. وسعى في الكتاب المذكور الى كتمان الحقيقة وتبرئة (حيدر عمو أوغلي) من تهمة العمالة.

الحاج ميرزا إبراهيم آقا نائب تبريز ــ الذي كان مسلّحاً وقتل عدة من أنصار الشاه ــ قتل في الطريق إلى (باغ شاه).

ملك المتكلمين، وميرزا جهانكيرخان مدير (صور إسرافيل)، قتلا خنقاً في (باغ شاه).

السيد محمد رضا مساوات، فرّ إلى القفقاس.

السيد جمال واعظ، قتل في همذان، بايعاز من مظفر الملك وأمر من أمير أفخم.

الحاج حسين آقا أمين الضرب، قبّل حذاء الشاه، وظل متضرّعاً متوسلاً حتى أطلق سراحه.

البهبهاني والطباطبائي اعتقلا في (بارك أمين الدولة) وبعد تعذيب شديد بالضرب المبرح، اقتيدا إلى (باغ شاه) وكل منهما بدون عمامة وبثياب ممزقة ولحية مخضبة بالدماء[1].

إستقبل الشاه السيدين في ديوانه، وطلب منهما الإعتذار، فقاما أيضاً بتقبيل الشاه.

فأمرهما الشاه بترك طهران، ولكن لم يجز لهما الخروج من (باغ شاه) حتى أعطى البهبهاني إثني عشر ألف تومان بعنوان مصارف السفر، ووضع بتصرفه عربتين ملوكيتين مجهّزتين بخيمة وماء ولوازم الطبخ. وتحرك الموكب باتجاه العتبات المقدسة في العراق تحت مراقبة خمسين غلاماً من بيت الحراسة (بقيادة ضابطين اسمهما أشجع سلطان وزال خان).

وأثناء مرور موكب البهبهاني في القرى كان القرويون الذين يشاهدون الموكب يرفعون أصواتهم بقولهم: «اللعنة على البابي»، وسبب هذه الإهانة أنه كانت هناك أقليات مذهبية جديدة الظهور ــ وخاصة الأزليون البابيون ــ تنادي ببذل جهود حثيثة لتفعيل المشروطة وتقدمها إلى أهدافها. وفي همدان أراد الشيخ محمد بهاري، المجتهد صاحب النفوذ والمؤيد للمشروطة، أراد أن يهاجم جنود الدولة المرافقين للموكب ويطلق سراح البهبهاني، ولكن البهبهاني منعه من ذلك.

تم تسليم السيد ومرافقيه في كرمانشاه الى جنود (أمير كل). ولقد كان للسيد كمال الدين البهبهاني، أخ السيد، مقام الإجتهاد في كرمانشاه، فخشي (أمير كل) أن يقوم بإثارة الناس لتخليص البهبهاني، ولذا استضاف البهبهاني ومرافقيه مدة ليلتين في (قرية سليمانية) بالقرب من (بيستون)، ثم أرسلهم إلى (قصر) على أن يغادروا إيران من هناك عبر طريق (خانقين)، ولكن حاكم (خانقين) العثماني منعهم من الدخول إلى الأراضي العثمانية.

أعاد (أمير كل) البهبهاني ومرافقيه إلى كرمانشاه، وسلمهم إلى (ظهير الملك) رئيس فوج (زنكنه)، فأرسلهم (ظهير الملك) إلى قرية (بزهرود) التي يملكها والواقعة في ناحية (دينه ور) ووضعهم في الإقامة الجبرية تحت المراقبة لمدة ثمانية أشهر.

وبعد ثمانية أشهر، وبإجازة من الدولة، ورد البهبهاني إلى (كرمانشاه) بين استقبال الناس، ونزل ضيفاً على أخيه السيد كمال الدين لمدة أسبوع ثم استدعاه (أمير أعظم) لعدة أيام إلى قبيلة (كلهر) وبعدها توجه إلى العتبات، واستقبل استقبالاً حافلاً من قبل مجموعة من رجال الدين والناس في كربلاء والنجف. (ربيع الأول ١٣٢٧).

وقد عاد السيد إلى طهران بعد (فتح طهران) في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧، فاستقبله بحفاوة جمع كثير من الناس وعدد من القادة الوطنيين.

وبعد افتتاح المجلس الثاني (الثلاثاء، الثاني من ذي القعدة ١٣٢٧). قعد البهبهاني في بيته وتجمع عنده الناس الذين كانوا يعتقدون أنه هو مؤسس الحياة النيابية الدستورية (المشروطة) وكانت تتواجد في منزله مؤسسة حكومية بلا مسؤولية، ويمتد نفوذها الى المجالس والمحافل السياسية.

كما كان المعتدلون الذين يشكلون أكثرية المجلس يتبعون البهبهاني، ولذا فإن الديموقراطيين الذين كانوا يشكلون جبهة المتشددين والثوريين في المجلس، خالفوا البهبهاني وكانوا يظهرون انه يرى نفوذه أقوى من الدستور (المشروطة) وأنه يسعى لإضعاف المجلس! ولكنهم في باطن

---

[1] (التوضيح الأول):
في حادثة قصف المجلس، تتحمل هيئة الدولة المسؤولية أمام التاريخ وبالخصوص رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الحرب، فإن مسؤوليتهم أعظم وأشد.
وأعضاؤها هم: مشير السلطنة رئيس الوزراء ووزير الداخلية علاء السلطنة وزير الخارجية، أمير بهادر وزير الحرب، قوام الدولة وزير المالية، محتشم السلطنة وزير العدلية، مشير الدولة (حسن) وزير العلوم، مؤتمن الملك وزير الفوائد العامة، مخبر الدولة وزير البريد والبرق، ميرزا حسين خان علاء معين الوزارة (إبن علاء السلطنة ورئيس مكتب وزارة الخارجية) الذي كان في هذه الحادثة يتردد من جانب والده على السفارتين الانكليزية والروسية، وهو يتحمل شطراً من هذه الحوادث لمقامه الذي كان يحتله.

(التوضيح الثاني):
عندما انكسرت مقاومة المجلسين والمجاهدين، أصدر البهبهاني أمراً إلى الجميع بترك الأسلحة، وأن يتحركوا جميعاً خلفه وخلف الطباطبائي، ولكن هذا الأمر لم ينفذ، ولاذ الجميع بالفرار ليحفظوا أنفسهم، وتوجه البهبهاني والطباطبائي وجمع من مريدي الدستور (المشروطة) إلى حديقة أمين الدولة.

(التوضيح الثالث):
أثناء الدفاع عن المجلس ومسجد سبهسالار، قتل ما يقرب من ثلاثمائة من المجاهدين والمدافعين وجرح أكثر من مائتين، وهدم قسم من المجلس والمسجد، ونهبت أموال المجلس. وقتل من قوى الدولة خمسة ضباط وثمانية عشر جندياً، وجرح ستة ضباط وثمانية جنود.

(التوضيح الرابع):
أحضر أيضاً إلى باغ شاه العديد من أنصار البهبهاني والطباطبائي وسائر الأحرار، وجرت معهم تحقيقات في المحكمة، وأطلق سراح الأبرياء، وحكم على البعض الآخر بالتبعيد والحبس. كانت محكمة باغ شاه برئاسة مؤيد الدولة حاكم طهران ويشاركه مؤيد السلطنة وهو من معتمدي أرشد الدولة (من العسكريين)، وتتشكل من الميرزا عبد المطلب اليزدي مدير جريدة آدميت، وصدر الأشراف محقق دائرة الشرطة، وأحمد أشتري من المحكمة القضائية. وقد أظهر أعضاء المحكمة ــ وخصوصاً أشتري وصدر ــ حسن نوايا في حدود إمكانهم.

(التوضيح الخامس):
أصدر الشاه في ٢٦ رجب أمراً بالعفو العام، وأطلق سراح أكثر الموقوفين في باغ شاه، وأصدر أمراً إلى محكمة باغ شاه بمحاكمة الباقين محاكمة عادله والنظر بتجرد في التهم الموجهة اليهم.

المنـورة، كتب نسخـة من كتـاب «تحقيق النصرة بتلخيص معـالم دار الهجـرة» للشيـخ زين الـدين أبي بكـر بن الحسـين العثماني المـراغي الشافعي، وأتمها في تاسع ربيع الأول سنة ٧٦٧ بالمدينـة، ثم قرأه على المؤلف فكتب له اجازة في التاريخ المذكور وعبر عنه بـ«سيـدنا الشريف الحسيب الشيـخ نجـم الـدين عبـد الله بن الشيـخ زيـن الـدين عبد الكافي بن الشيخ نور الـدين علي بن جمـال الدين عبـد الله الحسني الطباطبي..».

الشيخ عبد الله بن كرم الله الحويزي:

مذكور في أعيان الشيعة ٦٨/٨، ونقول:

ذكر في اول رسالته الصلاتية التي الفها سنة ١١٠٧ ثلاثة من شيوخه في الرواية هم الشيخ احمد بن يوسف البحراني والسيـد ماجـد البحراني والمولى محمد باقر المجلسي له «الصلاة»[1].

السيد عبد الله الصادقي بن محسن:

ولـد سنـة ١٢٨٥ في اصفهــان وتـوفي فيهـا سنـة ١٣٨٢ عن ست وتسعين سنة ودفن في المقبرة المعروفة بـ(تخت فولاد).

أسرة الصادقي من اسر اصبهان المعروفة بالعلم والتقوى، بـرز فيها جماعة من العلماء الأفـاضل، وينسبـون الى احد اجـدادهم مـير محمـد صادق بن محمد باقر.

كتب المترجم له عن هـذه الأسرة ـ التي ينتسب اليها كتـابه «إرشـاد المسلمـين الى اولاد امير المؤمنـين»، فذكـر فيـه عمـود نسبهم والبيـوت المتفرعة منها، وقد طبع مراراً.

ومن هذه الأسرة العالم المفسر السيـد عبد الحسـين المشهور بـطيب، صاحب التفسير المطبوع المتداول «أطيب البيان».

وكان ابناء المترجم علماء اجلاء من وجوه اهالي اصبهان، تجد تـرجمة جماعة منهم في كتاب «مكارم الآثار» كلًا في محله.

تعلم الأوليات من القراءة والكتابة في مسقط رأسـه، وقرأ فيـه ايضاً مقـدمات العلوم ـ كـالصرف والنحو والبـلاغة والأصـول وغـيرهـا من العلوم الآلية ـ على لفيف من أهل الفضل من المدرسين.

ثم تـوجه الى العـراق في شهر ربيـع الأول من سنة ١٣٠٤، فـأقـام بـالنجف الأشرف يحضر دروس جماعة من علمائها الأعـلام، واول من حضر عليـه المولى لـطف الله المازنـدراني، وكان مـلازماً ايضـاً لدروس الميرزا محمد علي الرشتي، واستفـاد في العلوم العقلية من محـاضرات ملا احمد الشيرازي.

ثم ذهب الى سـامـراء حيث حضر أبحـاث السيـد محمـد حسن الشيرازي ثم اتجه الى دروس السيد محمد الفشـاركي والميرزا محمـد تقي الشيرازي.

وبعـد مدة عـاد الى النجف مستفيداً من دروس السيـد محمد كـاظم الـطباطبـائي. اليزدي وشيـخ الشريعـة الأصفهـاني والميرزا حبيب الله الرشتي، ثم اختص بالمولى محمد كاظم الأخوند الخراساني فلازم أبحاثه الى حين وفاته ١٣٢٩.

ثم عاد الى اصفهان سنـة ١٣٣٠ بعد أن قضى ستاً وعشرين سنة في العتبـات المقدسـة، واشتغل في اصفهـان بالتـدريس والتأليف والإفـادة والإرشاد.

وبـدأ بتدريس الفقـه والأصول خـارجاً منـذ سنة ١٣٦٤، واستمـر تـدريسه الى سنـة وفاتـه، وتخرج من حـوزته العلميـة كثير من افـاضل الطلبة.

سكن في «محلة نـو» وأقام الجماعة في «مسجـد رحيم خـان»، وكـان يرقى المنبر في اكثر الليالي بعد الصلاة ويعظ الناس.

وقـد أجيز منـه كل من الشيـخ محمد صـادق بن علي اكـبر النـوراني السدهي، والسيد محمد علي الروضاتي، والسيد شهاب الـدين النجفي المرعشي.

له شعر فارسي كثير في مختلف الأغراض الدينية والإجتماعيـة، واكثره في المواعظ والحكم والآداب الإسلامية. وله مقاطع من الشعر العربي.

فمن شعره العربي قوله:

ضـيـعـت عـمـري بـأصـفـهـان وهمـتي عـدم المـقـام بهـا مـع الخسران
واذا الـفـتى بـالـبـؤس ضـيـع عـمـره فـمـن الـكـفـيـل لـه بـعـمـر ثـان

من مؤلفاته: ارشاد المسلمين الى اولاد امير المؤمنين، في سلسلة نسبه وتـراجم آبـائـه واجـداده، فـرغ منـه سنة ١٣٤٥. وأصـول الـدين، للمدارس الحديثة. والتوحيـد. وحاشيـة كتاب الـطهارة لـلأنصاري. والحدود والديات، فارسي وخلاصة الأصول، أتمه سنة ١٣٠٧. وديوان شعـره، بـالفـارسيـة. ولؤلؤ الصـدف في تـاريـخ النجف، طبـع في سنـة ١٣٢٢ وطبـع بـأصفهـان سنـة ١٣٧٩. ومقتصر المقـال في علم الرجال. ونور الايمان في رد بحر العرفان وغير ذلك[2].

الميرزا عبد الله بن محمد البهبهاني:

توفي بعد ١٣٢٥:

فاضل من أعـلام النصف الأول من القرن الـرابع عشر، كـان يميل الى تعاليم الشيخ احمد الأحسائي والسيد كاظم الـرشتي وينقل آراءهمـا في تآليفه، توفي بعد سنة ١٣٢٥.

له «عقائد المؤمنين في اصول الدين» و«شرح دعـاء العديلة» ورسـالـة في «اول مـا خلق الله» و«الـرسـالـة الـطبيبـة» و«شرح خـطبـة لعـلي (عليه السلام)»[3].

المولى عبد الله بن محمد كاظم بن شاه محمد التبريزي:

فقيه جليل وعالم متضلع، له اطلاع وتبحر بالعلوم العقلية والنقلية، وهو من أعلام القرن الثاني عشر وكـان يقيم بالنجف الأشرف في بـداية هذا القرن. كما انه كان يستفيد من والده في بعض المباحث العلميـة كما

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) (٣) السيد احمد الحسيني.

«إن القطعة كلها بما فيها من جراة في التفكير ومغزى تهكمي لاذع لا يمكن أن تكون قد كتبت وانتشرت باسم مؤلفها في دوائر بلاط فارس الساسانية ودينها الرسمي هو المزدكية أو في المجتمع الاسلامي في القرن الثامن الميلادي. ولكن من المحتمل جداً أن عقلاً يسوده الشك والتفكير كما كان عقل ابن المقفع قد أظهر في هذه القصة آراء ناسباً إياها إلى شخص أجنبي ووسط بعيد غريب»

ويضيف جبريللي(٤١):

«أن علينا أن نرفض أن يكون ابن المقفع وهو في سن الرجولة [والنضج] قد تعلق بالمجوسية وآمن بها ايماناً عقلياً ولو انه من الممكن أن يكون ابن المقفع مع ذلك يميل إلى دين الفرس القديم من ناحيتي العاطفة والحضارة».

إن جبريللي يؤكد عقيدة ابن المقفع المانوية، وصحة نسبة (باب برزويه) في كليلة ودمنة اليه وكذلك الكتاب الذي رد عليه القاسم بن ابراهيم. ويقول بأن ابن المقفع رد على مادة القرآن بطريقة فلسفية جدلية وبراهين عقلية أثارت الإمام القاسم أيما اثارة فحملته على الرد بنفس الأسلحة التي صنعتها المعتزلة في تلك الفترة(٤٢). على أن جبريللي يرى أن مقتل ابن المقفع لم يكن بسبب زندقته بل انه كان عملاً انتقامياً بحتاً(٤٣).

ويستغرب المستشرق كويتين من جراة ابن المقفع التي دفعته للكتابة (رسالة في الصحابة) اتي تمثل انتقاداً للأوضاع السائدة في البلاط والادارة العباسيين واعطائه برنامجاً سياسياً بديلاً لما يجب أن يكون عليه الوضع السياسي والاداري. ويرى كويتين في (الرسالة) سبباً لقتل ابن المقفع حيث يقول:

«اننا لا نكون بعيدين جداً عن الحقيقة إذا افترضنا بأن الرسالة مع انها تدل على اهتمام جدي بترسيخ الخلافة [اصلاحها] فانها أثارت شكوك المنصور وأدت إلى مقتل ابن المقفع»(٤٤).

ولم يكن سفيان المهلبي، في اعتقاد كويتين نفسه، ليقوم بقتل ابن المقفع إلا بمعرفة الخليفة المنصور نفسه واقراره بذلك.

ويؤكد البروفسور سورديل(٤٥) في أحدث مقالة له عن ابن المقفع على ما أشار إليه البروفسور كويتين من انه لا يمكن اعتبار الزندقة ولا العلاقة الشخصية العدائية بين ابن المقفع وسفيان المهلبي سبباً لمقتل الأول، بل، أن سفيان المهلبي لم يكن سوى وسيلة بيد الخليفة المنصور الذي كان له الدور الرئيسي في هذه المسرحية. إلا أن سورديل يختلف عن كويتين حين يربط الاغتيال بصورة غير مباشرة (بالأمان) الذي كتبه ابن المقفع لعبد الله بن علي عم الخليفة، وكأن ابن المقفع بكتابته للأمان قد وقف الى جانب العناصر المعادية للخلافة. ويحاول البروفسور سورديل أن يربط بين (الأمان) ورسالة في الصحابة إذ أن كليهما فيما تضمناه من آراء وانتقادات يسيران في نفس الاتجاه المعادي، من وجهة نظر الخليفة، للدولة(٤٦) ولذلك استقر رأي المنصور على التخلص من ابن المقفع بأية وسيلة.

نظرة نقدية للمصادر:

إن قلة النصوص التاريخية الواضحة حول آراء ابن المقفع وأسباب مقتله ربما تضطرنا أحياناً إلى التشبّث بالنص وتحميله أكثر من طاقته لنتوصل إلى نتائج تاريخية حول الموضوع. ولكن هذه النتائج لم يكن بامكاننا التوصل اليها دون تمحيص وتدقيق وقراءة هادئة لما بين السطور.

أ ـ النقد الخارجي: ليس بالامكان، كما فعل جبريللي، الاعتماد كلياً على مصادر متأخرة جداً بالنسبة لتاريخ ابن المقفع حيث استقى معلوماته من ابن خلكان وابن الجوزي والصفدي. وقد لاحظ البروفسور سورديل ذلك واستغل البلاذري والجهشياري المصدرين الرئيسيين اللذين لم يتيسر لجبريللي الاعتماد عليهما. على أننا أضفنا مصادر أخرى ذات قيمة تاريخية لم تكن متيسّرة لدى البروفسور سورديل وهي (مخطوطة الفتوح) لابن أعثم الكوفي (ومخطوطة تاريخ الموصل) لابن زكريا الأزدي (ومخطوطة المقفى الكبير) للمقريزي.

وإذا كانت روايات البلاذري فيما يخص موضوع البحث الذي بين أيدينا تقتصر على الحقائق الجافة ينقلها البلاذري من رواتها بطريقة مبسّطة، فان الجهشياري، وهو مؤرّخ بارع وكاتب في الديوان متمكن يتحلّى بمزايا أدبية جيدة يزودنا بروايات دسمة وواضحة. أما مخطوطة ابن أعثم الكوفي فقد لا تختلف في جوهرها عما ورد في البلاذري إلا أن هناك اختلافات في صيغ العبارات والجمل وفي نص فقرات من كتاب الأمان. ورغم كون الأزدي يكتب في تاريخ الموصل المحلي إلا انه يضيف معلومات لاحداث هامة وقعت في أنحاء مختلفة من الخلافة وهو ينقل نص الأمان بكامله. وقد استغل ابن خلكان البلاذرى والجهشيارى بحيث دمج واختصر ما عندهما عن ابن المقفع حسب ما رآه مناسباً، على أن هذا الدمج شوّه أحياناً ما فيهما من أخبار أو معلومات عن قصد أو دون قصد. ورغم كون المقريزي مؤرخاً متأخراً كذلك الا انه مؤرخ واع وبارع وهو يعتمد فيما يخص هذه الأحداث على البلاذرى وينقل عنه روايات كاملة بصورة حرفية.

ب ـ النقد الداخلي: لا بد من التنويه الى أن الروايات التي تشير إلى زندقة ابن المقفع تأتي غالباً من مصادر متأخرة أو أنها روايات ضعيفة لا سند لها. ومع ذلك فهي لا تتفق على أن زندقة ابن المقفع كانت سبباً في قتله.

---

(٤١) المصدر السابق ص ٤٢.

(٤٢) المصدر السابق ص ٤٦ ـ ٤٨. ـ تجنب جبريللي في عناء تحديد الاضافات التي أضافها ابن المقفع إلى باب برزويه رغم قوله بأن ابن المقفع هو الذي كتب الجزء الخاص بخلو معارفنا الدينية من التعيين وتناقض الأديان فيما بين بعضها البعض. وقد رد عليه كروس فرأى بانه من المحتمل أن يكون ابن المقفع قد أدخل نصوصاً جديدة من عنده في باب برزويه الا انه يعتقد بأن النسخة الأصلية الفهلوية لنفس النص تتضمن أقوالاً شكوكية عن الأديان جعلها ابن المقفع أساساً لما دونه من اضافات.

P. Kraus, Zu Ibn al-Mugaffa., R.S.O., vol. 14, 1933.

(٤٣) المصدر السابق، ص٥٢.

(٤٤) Gaiteim, A Tturning point in the history..., I.C., 1949, P. 122.

(٤٥) D. Sourdel, La Biographie D'Ibn al - Mugaffa..., PP. 317 - 18.

(٤٦) انظر:

E.L.(1) (Zindiq). - Idem, La passion dál Hallag, pp. 176 - 188.

بالخلافة أرسل إليه الخليفة أبا مسلم الخراساني الذي تمكن من دحره إلا انه لم يأسره بل مكّنه من الهرب إلى البصرة حيث أخوه سليمان بن علي والياً عليها منذ سنة ١٣٣ هـ/ ٧٥١ م. ولم يطالب به المنصور بصورة جدية إلا بعد أن تخلص من الأخطار الآنية المحيطة به مثل خطر أبي مسلم الخراساني وخطر العلويين، ولكن سليمان بن علي ماطل في تسليمه وطالب بالأمان لأخيه عبد الله فما كان من المنصور إلا أن يعزل سليمان عن البصرة ويعين بدله سفيان بن معاوية المهلبي في رمضان سنة ١٣٩ هـ/ شباط ٧٥٧ م. أما ابن المقفع فكان في صحبة عيسى بن علي العباسي الذي عاد لتوّه من الجهاد ضد البيزنطيين في تلك السنة[٦٣].

والظاهر أن سفيان المهلبي، رغم الضغوط التي استعملها، لم يستطع اخراج عبد الله بن علي من مأمنه مما اضطر الخليفة إلى الموافقة على فكرة اعطاء أمان لعبد الله الثائر. ولكن المنصور كان يريد من الأمان أن يكون وسيلة لايقاع عبد الله في الفخ وقد خطط لاعطاء أمان ضعيف يمكن نقضه عند الضرورة ولم يكن في نيته اعطاء أمان محكم ومتقن وغير مشروط.

وهنا يأتي دور ابن المقفع... ذلك أن تخاوف سليمان وعيسى على أخيهم عبد الله دفعتهم الى اختيار ابن المقفع كاتب عيسى بن علي لكتابة الأمان واحكامه احكاماً دقيقاً لا فجوة فيه ومما زاد في الأمر ما جاء في رواية الجهشيارى آنفة الذكر من اشتراط كتابة الخليفة المنصور لنص الأمان بيده. وقد وضع ابن المقفع في الأمان شروطاً تجعل من عبد الله بن علي شخصاً خارج سلطة الخليفة الذي يتعهد بألا يطبق عليه أي عقوبة أو اجراء أصولي متبع. ولكن الخليفة اشترط حين رأى (الأمان) قائلاً: «إذا وقعت عيني عليه» كما يقول الجهشيارى أو «نافذ أن رأيت عبد الله» كما يقول البلاذرى[٦٤]. أي أن المنصور لا يعطي أماناً لعبد الله بن علي إلا إذا قابله وبغير هذه الحالة يعتبر الأمان غير نافذ. ولا يذكر الطبري واليعقوبي[٦٥] هذا الشرط بل انهما يؤكدان بأن عبد الله حين وصل الى البلاط كان قد حصل على الأمان. وهذا غير معقول لأنه لو حصل عبد الله على الأمان لم يكن هناك موجب له للذهاب الى البلاط ومقابلة المنصور. هذا من جهة ومن جهة ثانية فليس من المعقول أن يعطي الخليفة أماناً غير مشروط لأن معنى ذلك اعطاء عبد الله حرية العمل دون قيد أو شرط.

إن ما حدث هو أن عبد الله الذي كان قد وقع تحت تأثير اجراءات المنصور والحاحه وتدابير الوالي الجديد لم يجد أمامه سوى التوجه الى الخليفة للحصول على الأمان الذي وعد به اذا ما قابل الخليفة خاصة وانه كان مطمئناً من أحكام شروط الأمان بصورة لا تسمح بالنقض. ولكن عبد الله اقتيد الى السجن حال وصوله البلاط ولم يسمح له بمقابلة المنصور وكان ذلك سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٧ م. وقد لقي اتباعه ومواليه نفس المصير ونفي بعضهم إلى خراسان[٦٦]. وفي سنة ١٤٦ هـ/ ٧٤ م دبر المنصور أمر اغتيال عبد الله بن علي في ظروف غامضة.

من الواضح أن ابن المقفع استطاع باحكامه لشروط الأمان أن يعرقل محاولة الخليفة اعطاء أمان متهافت يمكن نقضه في المستقبل القريب مما اضطر الخليفة أن يستعمل وسائل أخرى أكثر فاعلية وعنف للتخلص من عبد الله بن علي.. إلا أننا نتساءل هل يمكن أن يكون الأمان السبب الوحيد لقتل ابن المقفع؟؟ في اعتقادنا لا بد أن يكون هناك أسباب أخرى أكثر أهمية وهذا ما يؤيده البروفسور سورديل ولكنه يقول: «ومهما يكن من أمر فستبقى حقيقة كره المنصور لابن المقفع مجال حدس وخيال بسبب عدم توضيح المؤرخين الأوائل لها»[٦٧].

وهنا تبرز لنا رسالة ابن المقفع الموسومة (رسالة في الصحابة) التي تعالج موضوعاً حساساً هو أخلاقية الحكام وأصول السياسة والتدبير. وهذه الرسالة تختلف جذرياً عما كتبه أو ترجمه ابن المقفع وقد جاء الكاتب فيها بأمثلة عملية عن المشاكل الرئيسية التي كانت تواجه الخلافة العباسية. وقد أكد البروفسور كويتين، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، أهميتها التاريخية والسياسية خاصة وأن ابن المقفع كتبها باسمه وعنونها إلى الخليفة الأمر الذي أثار حفيظة المنصور وشكوكه.

ويعترف البروفسور سورديل[٦٨] بأهمية (الرسالة) ولكنه يربطها كذلك بموقف ابن المقفع السياسي وولائه لأولاد علي بن عبد الله العباسي (اعمام الخليفة المنصور). ذلك أن من أهم النقاط التي تثيرها الرسالة هي الدفاع عن الارستقراطية العربية ووجوب وضعهم في مركز القيادة في أجهزة الدولة. وسواء كان هذا المبدأ من بناة أفكار ابن المقفع أم أن أعمام المنصور قد أشاروا به عليه[٦٩]، وهو الأرجح، فان هذا الاتفاق بين ارتباطه الوثيق بينهم وبين دعوته لاسهام الاشراف العرب بصورة أوسع في ادارة الدولة والاعتماد عليهم لا يمكن أن يكون عفوياً خاصة وأن أعمام المنصور من بني هاشم كانوا على رأس قائمة الاشراف العرب.

ولعلنا نشير هنا بأن الدولة العباسية في عصرها الأول لم تحرم العرب من السلطة والنفوذ بل على العكس فقد كان العصر العباسي الأول عصر النفوذ العربي وان الخلفاء العباسيين الأوائل شجعوا كل ما هو عربي في الجيش والادارة والثقافة إلا أن ما كان يقصده ابن المقفع هم مجموعة من العرب يعتبرون منافسين للمنصور على الخلافة وهم أعمامه وآخرين معادين للدولة. ولعل خطورة عبد الله بن علي بالنسبة للمنصور تظهر من قول الأخير لأعمامه الذين طلبوا منه الوفاء بعهده:

«لا تكلموني فيه فانه أراد أن يفسد علينا وعليكم أمرنا»[٧٠].

بينما يدافع ابن المقفع عن أعمام الخليفة بجرأة وصراحة حيث

---

(٦٣) الطبري، تاريخ.. طبعة القاهرة جـ ٩ ص ١٧٠ فما بعد. ـ البلاذري، انساب..، ورقة ٧٦٧ أ.

(٦٤) الجهشياري، الوزراء، ص ٧١. ـ البلاذري انساب..، ورقة ٧٦٧ أ

(٦٥) يعتقد هيوارت مستنداً على غموض الطبري واليعقوبي أن شروط الأمان أملاها الخليفة وقدمها لعبد الله بن علي. والواقع فإن الطرف الثاني الطالب للأمان هو الذي يضع شروطه التي يريدها. أنظر ((1) E.I.).

(٦٦) الطبري، تأريخ، طبعة القاهرة جـ ٩ ص ١٧٢.

(٦٧) Sourdel, Op. Cit., P.322 نقول هذا ما أوضحه الأستاذ الموسوي (ح).

(٦٨) Ibid.

(٦٩) يعتقد جبريللي أن رسالة في الصحابة وثيقة كتبها ابن المقفع بطلب من أعمام الخليفة أولاد علي العباسي، (المصدر السابق، pp. 231 - 35).

(٧٠) البلاذري، مخطوطة انساب الأشراف، ورقة ٧٦٧ أ. بل أن المنصور يعتبر عبد الله أكثر خطورة من محمد النفس الزكية الثائر العلوي.

يذكرهم بالاسم فيقول:

«ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتيان أهل بيته وبني أبيه وبنى علي وبنى العباس فان فيهم رجالاً لو متعوا بجسام الأمور والأعمال سدوا وجوهاً وكانوا عدة لأخرى»[٧١].

ويدافع ابن المقفع عن أهل الشام[٧٢] أعداء العباسيين ويحذر المنصور منهم قائلاً «فانهم أشد الناس مؤونة وأخوفهم عداوة وبائقة»، ويحاول أن يبرر موقفهم المعادي للدولة العباسية فيشير بصراحة إلى أنهم ظلموا ولم يؤخذوا بالحق: «فلعمري لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء إلا تكون لهم نزوات ونزقات».

ويهاجم ابن المقفع صحابة الخليفة ويعريهم ويصفهم بالفساد وضعف الرأي فيقول:

«ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهى إلى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في أهل مصره قد غبر عامة دهره صانعاً يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء إلا انه مكنه من الأمر صاغ فانتهى الى حيث أحب فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ويجرى عليه من الرزق الضعف مما يجرى على كثير من بني هاشم وغيرهم من سروات قريش...»[٧٣].

هذا قليل من كثير أشار إليه ابن المقفع في (رسالته في الصحابة) ورغم أهمية ما ذكر ورغم انه بدأ رسالته بالاعتذار للمنصور عما سيقوله وانه انما أراد النصح والاصلاح حيث يقول «وفي الذي عرفنا من طريقة أمير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخبر فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه...»[٧٤] إلا أن ذلك كله لم يشفع له بل أثار حفيظة الخليفة مثلما أثارها حين كتب الأمان لعبد الله بن علي الثائر على الخلافة العباسية.

ولكن هل أن ما دونه ابن المقفع من شروط محكمة في (الامان)، وما عبّر عنه من آراء في (رسالة في الصحابة) كان كافياً لتبرير قتله؟ ولا بد هنا أن نشير الى أن من مظاهر هذه الفترة التي عاش فيها ابن المقفع ظهور جماعات أو حلقات من الكتاب والشعراء والمفكرين المعجبين بالحضارة الفارسية وقيمها، الداعين إلى اتخاذها مثلاً يحتذى به في المجتمع العباسي. وبقدر ما يتعلق الأمر بابن المقفع فإن أغلب كتاباته تظهر لنا صورة شخص معجب بالحضارة الفارسية حيث جعل من نفسه واعظاً يبشّر بقيمها ويعرف بأصولها للمعاصرين له ويدعو الدولة لتقبلها. ولعل الكثير ممن كانوا أصدقاء لابن المقفع ممن ذكرناهم سابقاً من الموالي الفرس يحملون نفس النظرة أو تطرفوا أكثر منه. ان ظاهرة انتعاش الروح الفارسية والتبشير بقيمها الحضارية وأصولها لدى ابن المقفع وحلقته هي التي حملت الناس على الشك في عقيدتهم الدينية واتهامهم بالزندقه حيث يقول الجاحظ: «وكلهم متهم في دينه»[٧٥].

لقد أدرك الخلفاء العباسيون الأوائل خطورة هذه الدعوة إلى امتثال النمط الفارسي في المجتمع والادارة وحاولوا تقييدها وضبطها بحيث لا تؤثر على طابع الدولة العربي وقيمها الاسلامية. ولم يكن دور ابن المقفع المعادي لسياسة الدولة العباسية في هذا المجال بأقل من أدواره السابقة بل أن خطره هنا أكثر نظراً لبلاغة أسلوبه وقوة تأثيره.

الخاتمة:

لقد كان مقتل ابن المقفع نتيجة سياسة مقصودة اتبعها المنصور لحماية الخلافة العباسية ولم يكن سفيان المهلبي إلا واسطة في هذه العملية رغم انه كان متحمساً لتنفيذها بسبب العداوة الشخصية والحقد اللذين يحملها لابن المقفع. ومما يدلل على اقرار المنصور للعملية تهديده غير المباشر لشهود الاثبات الذين جلبهم اعمام الخليفة ليدينوا سفيان المهلبي. يقول البلاذري[٧٦]:

«قالوا وشكا بنو علي بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع الى المنصور فأمر بحمل سفيان اليه فحمل وشخص معه أهل بيته وجاء عيسى بن علي بقوم يشهدون أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه، وبآخرين يثبتون الشهادة انه قتله. فقال المنصور: أرأيتكم ان أخرجت ابن المقفع اليكم ماذا تقولون؟ فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدمه».

وعلى ذلك فان فرضية زندقة ابن المقفع فرضية بعيدة الاحتمال حيث لم يكن المنصور ليهتم بآراء ابن المقفع الدينية ولا بارتباطه بالمانوية قدر اهتمامه باخلاص ابن المقفع للخلافة العباسية نفسها. ولعل موقف المنصور من الراوندية يؤكد ما ذهبنا إليه. فحين أشير عليه أن يحد من فعالية هذه الفرقة المتطرّفة في آرائها قال «دعهم يدخلون النار في طاعتنا على أن يدخلوا الجنة في معصيتنا»[٧٧].

لقد اغتيل ابن المقفع اغتيالاً سياسياً حين عزم المنصور على التخلص منه لأسباب ثلاثة:

أولها: ارتباطه بأعمام الخليفة المنافسين له وذلك بكتابته الأمان للثائر عبد الله بن علي.

ثانيها: دفاعه عن أعداء الدولة وانتقاده سياسة الخلافة بصراحة تظهرها رسالته في الصحابة.

ثالثها: دعوته لتقليد واقتباس النمط الفارسي الحضاري وهي دعوة لم تكن تتفق مع سياسة المنصور.

وللجاحظ في هذا الشأن ملاحظة ذكية وبليغة يعلق فيها على مصير ابن المقفع ولكنها مختصرة جداً لا نستطيع أن نحملها أكثر من طاقتها بل نوردها حيث يقول في (ذم أخلاق الكتاب):

«ثم كتب لبني العباس عبد الله بن المقفع فأغرى بهم عبد الله بن

---

(٧١) رسالة في الصحابة، بيروت ١٩٦٠، ص ٢١٨.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٧٣) المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٧٤) المصدر السابق، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٧٥) أنظر: Daud, Op. Cit., 35 ff.

(٧٦) البلاذري، مخطوطة انساب الاشراف، ورقة ٥٣٥.

(٧٧) الطبري، تاريخ، ليدن، القسم الثالث ص ١٣٢.

علي ففطن له وقتل وهدم البيت على صاحبه»[٧٨]. .

لقد حذر ابن المقفع من التقرب إلى السلطان في عدة مناسبات في كتبه وتراجمه ورأى في هذه الصحبة مسؤولية كبيرة حيث نراه يقول في نصيحة له:

«إن ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس منهما خيار: أما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين وأما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب»[٧٩].

ولعل الكثيرين استفادوا من نصائح ابن المقفع وحكمته إلا هو فلم يستفد منها حيث أدخل نفسه مدخلاً صعباً مع الخليفة المنصور وواليه على البصرة سفيان المهلبي لم يستطع الخروج منه فكان مصيره الموت بتدبير من الخليفة الذي كان يقول «إن الملوك لا تحتمل القدح في الملك»[٨٠] مما يدل على شدته تجاه الأشخاص الذين يعتبرهم أعداء سياسيين للخلافة.

رأي السيد محسن الموسوي

هناك من أرجع مقتله إلى أسباب سياسية، فقد كان ابن المقفع رجلاً سياسياً معارضاً للسلطة العباسية، وعبّر عن معارضته بأشكال غير مباشرة في كتاباته.

يقول يوسف أبو حلقة في مقدمته لكتاب «الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة»:

«وقراءتنا لهذه الكتب توصلنا الى أن ابن المقفع كان ينظر إلى مثل أعلى لم يجده عند الأمويين، كما انه لم يقع عليه عند العباسيين. . ولكنه رآه أغلب الظن عند بعض جماعات لم يتسلموا مقاليد الحكم[١]».

فمن هم يا ترى هؤلاء الذين اتخذهم ابن المقفع مثله الأعلى؟

عند التفحص في كتابه الشهير «الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة» نلاحظ تأثره البالغ بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى إنه اعتاد على نقل نصوص من خطب الامام دون أن يذكر اسم الامام، وما ذلك إلا تخفياً من السلطات العباسية التي كان يعمل موظفاً لديها. وقد أشار إلى ذلك دون أن يُدلي بما هو أكثر، فذكر في الأدب الصغير:

وقد وضعتُ في هذا الكتاب من كلام (الناس) المحفوظ حروفاً[٢].

فمن هم هؤلاء الناس يا ترى؟. يذكر صاحب مقدمة الكتاب يوسف أبو حلقة:

فيرى (أي ابن المقفع) أن البناء الأول في النثر العربي الأدبي الفني كان عند أمير المؤمنين الامام علي في نهج البلاغة[٣].

كما يشير إلى ذلك، محمد كرد علي في ترجمته لحياة ابن المقفع:

وقيل انه تخرج في البلاغة بخطب علي بن أبي طالب[٤].

فهل كان الإمام علي (ع) هو مثله الأعلى في الحكم والسياسة، كما هو في الأدب؟

الأدب الصغير والأدب الكبير
رسالة الصحابة «الدرة اليتيمة»[٥]

يحاول ابن المقفع ومن خلال كتاباته أن يرسم نظرية سياسية. فالاتجاه السياسي هو الغالب على كتاباته، وحتى القسم الذي ترجمه من الفارسية الغالب عليه الجانب السياسي. ومن كتبه الشهيرة الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة التي طبعت في كتاب واحد، وتضمنت مجموعة نثرية جاءت في صياغتها على نسق رسائل الأمام علي عليه السلام الى ولاته، ووصاياه إلى أبنائه. وبالرغم من أنه لم يذكر اسم الإمام في كتابه مطلقاً، إلا انه أخذ من الإمام الكثير من أقواله وخطبه.

وهذه نماذج عما نقله في «الأدب الصغير والأدب الكبير».

يقول في ص ٤٩: ومن نصب نفسه للناس اماماً في الدين فعليه بتعليم نفسه وتقديمها في السيرة والطعمة.

وهي مأخوذة من كلمة الإمام علي عليه السلام، من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه[٦].

ويقول ابن المقفع في ص ٥٢: ثم على الملوك بعد ذلك تعهّد عما لهم وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم احسانُ محسن ولا إساءة مُسيء. . .

وهذا أيضاً مأخوذ من الإمام علي عليه السلام، من رسالته إلى مالك الأشتر: ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة[٧].

ويقول في ص ٥٣: والدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

وهي عبارات نقلها ابن المقفع من أمير المؤمنين عليه السلام: وان الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك[٨].

وجاء في الصفحة ٦٢: العجبُ آفة العقل، واللجاجة معقود الهوى؛ وهو قريب لكلام أمير المؤمنين عليه السلام:

عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله[٩].

---

(٧٨) الجاحظ، رسائل، قاهرة ١٩٦٤ جـ٢ ص ٢٠٢. ـ تحاول بعض الروايات أن تنزع اسم الوزير أبي أيوب الموریاني في عملية الاغتيال وطمس الحقائق حولها فتظهر ابن المقفع وكأنه ينافس الموریاني على منصب الوزارة وان المنصور هدد الموریاني بأن يستبدله بابن المقفع ولذلك فان الموریاني لعب دوراً في مقتل ابن المقفع وانقاذ سفيان المهلبي من العقاب (راجع مخطوطة انساب الاشراف ورقة ٥٣٤ فما بعد) إلا أن هذه الروايات ضعيفة ونصيبها من الصحة ضئيل.

(٧٩) ابن المقفع، الأدب الكبير، بيروت ١٩٦٠، ص ١٢٢.

(٨٠) الطبري، تاريخ، جـ٣ ص ٥٣٨ (الطبعة الأوروبية).

(١) راجع مقدمة «الأدب الصغير. . .» التي كتبها يوسف أبو حلقة، ص ٠.

(٢) ابن المقفع: الأدب الصغير، ص ٣٧.

(٣) أبو حلقة: مقدمة «الأدب الصغير» ص ٦.

(٤) كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ١٠٥.

(٥) ذكرها كل من ترجم لابن المقفع، اعتمدنا الطبعة ٣ من «الأدب الصغير. .» مكتبة البيان، ١٩٦٤ شرح يوسف أبو حلقة، واعتمدنا الدرة اليتيمة تصحيح شكيب ارسلان، طبع بيروت ١٨٩٧، المطبعة الأدبية.

(٦) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٧٢.

(٧) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٠٤.

(٨) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٤٨.

(٩) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٧٠٥.

ويـذكر في الصفحـة ٨٤: الظفـر بالحـزم، والحزم بـاجالـة الرأي، والرأي بتكرار النظر وبتحصين الأسرار.

وهـو كلام منقـول نصاً لـلإمام أمـير المؤمنين عليـه السلام: الـظفـر بالحزم، والحزم باجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار(١).

ويقول ابن المقفع في الصفحـة ٨٩: سمعت العلماء قالـوا: لا عقل كـالتـدبـير، ولا ورع كـالكف، ولا حسب كحسن الخُلق، ولا غنى كالرضى.

وهو أيضاً مستمد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

لا مـال أعـود من العقـل، ولا وحـدة أوحش من العجب ولا عقـل كـالتدبـير، ولا كرم كـالتقـوى، ولا قـرين كحسن الخلق. ولا مـيراث كالأدب، ولا قائد كالتـوفيق، ولا تجارة كـالعمل الصـالح . . إلى آخـر الخطبة(٢).

ويورد على الصفحـة ٤٦ من الأدب الصغير: وعـلى العاقـل ــ ما لم يكن مغلوباً على نفسه ــ أن لا يشغله شغل عن أربع ساعـات: ساعـة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وسـاعة يحـاسب فيها نفسـه، وساعـة يُفضي فيها إلى اخوانه وثقاته الذي يصدقونه عن عيوبه، وينصحونـه في أمره، وساعة يُخلي فيها بين نفسه وبـين لذاتهـا مما يحـلُّ ويجمُلُ. وقـد استوحى هـذه الجمـل من كـلام أمـير المؤمنـين عليـه السـلام؛ للمؤمن ثـلاث ساعات، ساعة يُناجي فيها ربه، وساعة يرُمّ معاشه، وسـاعة يُخـلي بين نفسه وبين لذتها(٣) وجاء في نهاية الأدب الكبير أو «الدرة اليتيمة».

أني مخبرك عن صاحب، كان أعظم النـاس في عيني، وكان رأس مـا أعظمه عندي، صِغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثر إذا وَجَدَ، وكان خارجاً من سلطان فرجـه فلا يدعو اليه مروءَته، ولا يستحقُ رأياً ولا بدناً، وكـان خارجـاً من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقةٍ أو منفعةٍ، وكان أكثر دهره صامتاً فـإذا قال بـذّ القائلين، كـان يرى متضعفـاً مستضعفـاً فـاذا جاء الجـد فهو الليث عـادياً. وكـان لا يدخـل في دعوى ولا يُشرك في رأي، ولا يُـدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهـوداً عدولاً، وكـان لا يلوم أحداً عـلى ما قـد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره. وكان لا يشكو وجعاً إلا مَن يرجو عنده البرء، ولا يصحب الا من يـرجو عنـده النصيحة. وكـان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهىٰ ولا يتشكىٰ ولا ينتقم من الولي، ولا يغفل عن العـدوّ، ولا يخصُّ نفسـه دون اخـوانـه بشيء من اهتـمامـه وحيلتـه وقوته(٤).

وهذا الكلام مستوحى أيضاً بكامله من خطبـة للإمـام أمير المؤمنـين عليـه السلام مـطلعها: كـان لي فيما مضى أخ في الله، وكـان يعظمـه في عيني صغر الدنيـا في عينيه» إلى آخـر الخطبـة(٥) نكتفي بهذا القـدر من هذه الاقتباسات التي قام بها ابن المقفع من خـطب وكلمات الامام أمـير المؤمنين عليه السـلام، وقد لاحـظنا كيف انـه ينقل كـلاماً لـلامام مـع بعض التغيير الطفيف وفي بعض المرات دون أدنى تغيير (انتهى).

هـذا رأي السيد محسن الموسوي، وقد عـرض خلال كـلامه لـرأي يوسف أبو حلقة المؤيد لرأيه.

ونحن ــ كما قلنا فيما تقدم ــ لا نجزم في شيء من هذا، وانما كان علينا أن نعرض للقارىء آراء بعض الباحثين، فنكون بذلك أدينا أمانة القول.

عبد الله بن مهدي اليافعي (النجفي)، كتاب خوان:

منشيء أديب لا يخلو من فضـل علمي، متوغـل في الكيمياء والعلوم الغريبة وقد قرأها على الشيخ احمد ابن زين العابدين، ينظم بالفـارسية والعربية ضعيف الشعر وخاصة العربي منه:

له «سراج الظلمة» في الكيمياء(٦).

عبد الله بن المهدي النجفي الهندي:

هاجر من الهنـد الى العراق وأقـام بالنجف الأشرف مـدة، فاشتغـل بالرياضة وألهم عليه ـ كما يقـول ـ في رياضـاته الهـامات فـأسلم واختار التشيـع مذهبـاً وسمى نفسه بـ«عبـد الله»، ثم ذهب الى زيـارة الإمـام الرضا (عليه السلام)، فالتقى في «كارزان» (الـظاهر انـه يريـد المدائن عند قبر سلمان الفارسي) بمير علي نقي الأوحدي ابن مـير حيدر الحسيني واخذ عنه العرفان والتصوف ولقب نفسه بـ«تابع الحسيني الأوحـدي». ولا تخلو كتاباته في العربية والفارسية من اخطاء وضعف في التركيب.

له «مشاهديه» كتبه سنة ١٢٦١ من إفادات شيخه مير علي نقي(٧).

الشيخ عبد الله بن ناصر الحويزي الهُميلي:

ذكره السيّد عبد الله الجزائري في إجازته الكبيرة فقال:

كان عالماً صالحاً، ورعاً ماهراً في العلوم العربيّة، فقيهاً، محدثاً، قرأ في الحويزة وتستر على صهـره الشيخ يعقـوب وفي اصفهان عـلى الشيخ جعفر القاضي، اجتمعتُ به في الدورق وكان مُدرساً في مدرستها(٨)،

---

(١) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٦٩.

(٢) عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٨٢ ـ ٦٨٣.

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة (الملحق لمعجم ألفاظ نهج البلاغة) ص ٢٢٢.

(٤) ابن المقفع. (الأدب الصغير والأدب الكبير.) ص ١٨٦.

(٥) أورده الشريف الـرضي ص ٢١٢ من (الملحق) وذكـره السيـد عبـد الـزهـراء الحسيني في مصادر نهج البلاغة جـ ٤ ص ٢٢٦ وأورد مصادر هذه الخطبـة قبل الشريف الرضي وبعده.

(٦) السيد أحمد الحسيني.

(٧) السيد أحمد الحسيني.

(٨) (مدرسة الدورق): جاء في بعض مخطوطات القـرنين الحـادي عشر والثاني عشر ذكر لمدارس الـدورق بدون تعيـين اسم لها، كما وردت أسماء بعض مـدرسي تلك المدارس والمشتغلين بطلب العلم فيهـا، ففي (الـرحلة المكيـة) عـبر عن مدرسة في الدورق بمدرسـة الشيخ عبـد اللطيف ابن ابي جامـع العاملي وذكر جماعة ممن قرئوا فيها على الشيخ المذكـور، منهم السيد خلف بن عبـد المطلب المشعشعي وابنـه السيد عـلي خان بن خلف والسيـد راشد بن سـالم المشعشي. وقد عثرت على مخطوطة في (المكتبة المركزيـة لجامعة طهران)، اسمهـا (مختصر نهج البيان في الكشف عن معاني القرآن) للشيباني. قال الكاتب في نهايتها: تم استنسـاخها بيـد حسن بن عبـد الله الجـزائـري يـوم الأثنين ٢٧ ربيـع الثـاني سنـة ١١١٥ في المدرسـة الابراهيميـة في الدورق، وهـذه النسخة مـذكورة في (فهرس مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة طهران ج ١٦ ص ٤٥٨) وفي تـاريخ استنساخ الكتاب دلالة على وجود المدرسة الابراهيميـة في الدورق ابـان القرن الثاني عشر الهجري ولعلها كانت موجودة قبل ذلك التاريخ ايضاً، ولا يستبعد كـونها المدرسـة التي عبر عنهـا السيد الجـزائري في (إجـازته الكبـيرة) بمدرسة الدورق، أما سبب تسميتها بالابراهيمية فلعله نسبة الى من يسمى بهذا الاسم

ثمّ في الحويزة ثمّ في تستر واستفدتُ منه، توفي في تستر سنة ثلاث وأربعين، وحضرت جنازته رحمة الله عليه.

أقول، وصهره الذي قرأ عليه المترجم في الحويزة وتستر هو الشيخ يعقوب بن ابراهيم الحويزي البختياري، أما الهميلي فهي نسبة الى قصبةٍ بهذا الاسم نفسه، وهي مقاطعة زراعيّة تقع على بعد اربعة فراسخ من الشمال الشرقي لمدينة المُحمّرة، مقابلةً لأم التلول، على حافّة نهر ينشق من كارون تجاه الشمال فيتصل بنهر الحنين، ويُعرف هذا النهر بنهر الجديد، كما يطلق عليه اسم الهميلي ايضاً، وكانت تلك الناحية معروفة بهذا الاسم في عصر امارة المشعشعيين تابعة لإمارتهم يفوّضون امرها لمن شاؤوا من رعاياهم، وقد ورد ذكرها في كتاب [الرحلة المكية] في ذكر حوادث ولاية المولى عبد الله بن فرج الله المشعشعي. ويذهب بعض المؤرخين الى أنّ أم التلول هي انقاض مدينة بيان القديمة، وان نهر الهميلي كان يعرف في صدر الإسلام بنهر بيان وهو ذيل نهر تيري الممتد من ناحية الحويزة الى كارون(١). قال مؤلف [تاريخ كعب]: الهميلي اول منزل نزلته عشائر كعب على عصر اميرهم ناصر بن محمد الكعبي لما خرجوا من العراق ودخلوا الحدود الشرقية.

اواخر القرن الحادي عشر، وبعد مدّة قصيرة، رحلوا منه الى الميناو(٢).

عبد اللطيف الكازروني:

فاضل اديب شاعر بالفارسية، لعله من اعلام القرن الحادي عشر والثاني عشر، نظم كثيراً من الفضائل المروية عن النبي (ص) في شأن امير المؤمنين (عليه السلام)(٣).

السيد عبد اللطيف فضل الله بن السيد نجيب:

ولد سنة ١٩٠٤م في بلدة عيناثا (جبل عامل) وتوفى سنة ١٩٩١م.

تلقى على والده في سن مبكرة شيئاً من النحو ثم دخل مدرسة بنت جبيل الحكومية الابتدائية.

وبعد وفاة والده خلال الحرب العالمية الأولى درس على أخيه السيد محمد سعيد، وبعد ان هاجر أخوه الى النجف الأشرف سنة ١٣٣٧هـ عن أخوته وعن شؤون البلدة الدينية، وقد تابع دراسته على الشيخ موسى مغنية، ثم ارتحل الى بلدة (معركة) فدرس على الشيخ عبد الكريم مغنية. ثم عاد الى عيناثا مصمماً على الذهاب الى النجف الأشرف لمتابعة الدراسة ولكن رغبته اصطدمت بإجماع الناس على رجائه البقاء لحاجتهم اليه فاستجاب لذلك.

وقد عكف بعدها على تدريس مجموعات من الطلاب وأعدادهم للذهاب الى النجف الأشرف مع العمل على تسيير امور الناس وحل مشاكلهم، مبتعداً بشكل تام عن الصراعات السياسية المحليّة، عاملاً في نفس الوقت علي بث الوعي بين الناس بروح رسالية متفانية. وقد مكنه ذلك من ان يكون قدوة في محيطه، وعلى أن يحوز على قداسة، ثبّت دعائمها نزعته الى الزهد والإيثار، والابتعاد عن المظاهر، والعمل على خدمة الفقراء، ومشاركتهم آلامهم. وقد عبر عن ذلك في شعره الذي كان صورة صادقة عن حياته في قصيدة طويلة تأتي في مختارات من شعره منها:

تعففت والدنيا لمن هان جنة
فألفيت في الحرمان غاية مطمعي

كان ديوانه في عيناثا مسرحاً لندوات فكرية وأدبية، ومقصداً للعلماء والأدباء من مختلف الاتجاهات وكانت تطلعاته السياسية تبرز في ثنايا شعره، الذي كان يتسرب من خلال هذا الوسط مع انه كان شديد الحرص على عدم اشهار هذا الشعر، الذي كان بعيداً عن الصراعات السياسية المألوفة فهو لم يمدح زعيماً سياسياً قط. وكان ينظر الى الواقع ـ كما تثبت نماذج شعره وسلوكه ـ نظرةً شمولية بعيدة. فهو من القلائل الذين استطاعوا في شعرهم، رصد التوجهات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، واستشراف نزعة السيطرة عند العرب على صعيد تشكلات الرأسمالية أو الإعلام أو القوة العسكرية. وقد حفل شعره بمحاولات ربط الوضع السياسي القائم بهذه التطورات. ولعل هذا ما يفسر نهجه الدائم بالدعوة الى التغيير السياسي، والثورة على الواقع السياسي من جذوره، وبث الوعي الفردي والجماعي من خلال استيعاب الخط الاسلامي الشيعي القائم على رفض الظلم. وقد يكون بهذا المعنى الشاعر الإسلامي الذي عمل على ادخال منظومة القيم الإسلامية الى واقع الحياة وحركتها، في فترة غياب هذا التوجه. وقد يكون بذلك الشاعر الأول في هذه المرحلة الذي كان يستبطن رؤية سياسية عقائدية اسلامية لا يختلف خطابها السياسي، عن المفاصل الأساسية التي قام عليها المد الإسلامي المعاصر الذي ظهر مع تأسيس دولة اسلامية في أواخر عشر السبعين.

ولقد كان اميناً على هذا النهج في سلوكه العملي. فلم يقم اية علاقة مع أي طرف سياسي، ولم يمنح تأييده لأي اتجاه، رغم الإغراءات التي كانت تُبذل له من قبل السياسيين، الذين كانوا يحرصون على زيارته في منزله، والذين كانوا لا يعودون الا بخطابه الواضح معهم، والمليء بالوعظ والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف. والذي كثيراً ما كان يتطور الى مجابهة علنية على موقف أو سلوك اتخذوه، وفيه مخالفة للشرع، او ظلم للناس. وقد كان في هذا المجال غير هيَّاب لأي مقام سياسي مهما علا شأنه حيث تتبدّل صفات الوداعة والمسالمة والتقى عنده الى شيء

من رجال الدورق، فقد كان فيها رجلان من أعلام القرن الثاني عشر أحدهما العالم الأديب السيد ابراهيم بن السيد علي باليل الدورقي المتوفى عشر الخمسين بعد الألف والمائة. والثاني، والي الدورق من قبل الحكومة الصفوية ابراهيم خان بن مرَاد خان الذي عزل عن ولايته سنة ١١١١هـ. والمرجح انها منسوبة للسيد ابراهيم آل باليل الدورقي، فقد كان والده السيد علي مدرساً في الدورق وله تلاميذ منهم ولده المذكور والشيخ عبد الرضا بن أحمد الجزائري وغيرهما، وبعد وفاته، قام ابنه السيد ابراهيم مقام والده في الإفادة والتدريس فيكون أساس تلك المدرسة أو تجديد بنائها، او الاشراف على شؤونها يجري على يده فنسبت اليه. ومن اشهر المدرسين في مدرسة الدورق. الشيخ فتح الدين علوان الكعبي الدورقي المتوفى سنة ١١٣٠، والشيخ شمس الدين بن صقر الجزائري المتوفى سنة ١١٤٠، قرأ عليه السيد عبد الله الجزائري شرح المطالع في المدرسة المذكورة، والشيخ الهميلي المترجم في الأصل.

(١) تاريخ جغرافية خوزستان، تأليف ميريان مطبوع باللغة الفارسية.

(٢) السيد هادي باليل الموسوي.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

من الصلابة والشدة، دفاعاً عن حقوق الناس، وحدود الشريعة.

ولقد اتخذ نفس الموقف من التيارات والتشكلات العقائدية التي بدأت تبرز منذ أواخر عشر الخمسين، معَ استعمال أسلوب الحوار الى اقصى درجاته، في الشؤون الفكرية والعقائدية. ولعل هذا الموقف هو الذي جعله يأخذ احتراماً مميّزاً عند تلك النخب الثقافية. فضلاً عن عامة الناس الذين كانَ يسعى سعياً حثيثاً لسد حاجاتهم، وحل مشاكلهم الشرعية والإجتماعية بمنتهى التفاني مما وجد علاقة خاصة بينه وبين جميع الفئات. حيث كان الى جانبهم في اشد الظروف الخاصة والعامة. ولقد برز هذا الموقف اكثر ما يكون خلال الاجتياح الإسرائيلي في آذار عام ١٩٧٨ عندما عمل الكيان الإسرائيلي على احتلال المنطقة التي اسماها بالشريط الحدودي، ومن ضمنها بلدته عيناثا. فقد كان أول ما عاد الى بلدته، عاملاً على رص صفوف الناس وتقوية معنوياتهم لمواجهة الاحتلال. بعد ان كانوا يعيشون احباطاً شديداً، نتيجة المواقف السياسية والعسكرية حينها، ونتيجة إباحة القرى لعمليات نهب وقتل من قبل اسرائيل والميليشيات المتعاونة معها. وقد بدأ برفع الصوت بالتنديد بهذه الممارسات ورفض استقبال قائد القطاع الغربي لتلك الميليشيات المتعاونة مع اليهود. وقد شكلت هذه المواقف التي أفرزت التفافاً شعبياً، اول خطوات المقاومة في جبل عامل. حيث تطورت هذه المواقف الى نوع من حركة الاحتجاج الشعبي على كثير من الاجراءات، مما كان يؤدي الى الغائها ضمن تحرك عملي وقد تجلى ذلك في كثير من المواقف، أبرزها ذهابه بنفسه مع أهالي بلدته والقيام بإغلاق سجن مركزي لمنطقة الشريط الحدودي، كان قد أقيم في عيناثا.

ومع بدايات الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٨٢ لجبل عامل، ووصوله الى العاصمة بيروت، كان قد بدأ بالعمل على تكثيف النشاط الديني، وانهاء مشروع كبير في البلدة يتضمن مركزاً اسلامياً ومستوصفاً ومكتبة ومدرسة هو من اكبر المراكز في جبل عامل، وقد تم ذلك بتمويل من الناس أنفسهم الذين كانوا بغالبيتهم قد شكلوا نوعاً من العمل الثقافي الإسلامي الشامل كركيزة ضد التطبيع في العلاقات، التي كان اليهود يعملون على ايجاده. مع الدعوة الى عزل القلة التي تعاونت مع الاحتلال.

ومع تنامي المواجهة مع الاحتلال في جبل عامل كله، كان المركز الإسلامي في عيناثا، منطلقاً لعشرات الشباب الملاحقين من قبل الاحتلال الذي كان يصدم اول ما يصطدم بالسيد عبد اللطيف فضل الله مع مجموعات الناس حتي كان يتم العمل على اطلاق سراح هؤلاء بمختلف أنواع الضغط الشعبي. الذي كان يشكل طوقاً حول المسجد ويمنع الاحتلال من أهدافه في التنكيل بالشباب المسلمين.

ومع تزايد حدة المواجهة، والاتجاه الى المجابهة العسكرية. التي ادت الى عمل الاحتلال على ترحيل الشباب، بأساليب مبتكرة من الإرهاب. ومع ازدياد وطأة السن والمرض على السيد عبد اللطيف حيث كان قد تجاوز الثمانين عاماً اضطر الى ترك البلدة مريضاً مهجراً، بعد ان ضرب عرض الحائط تهديدات اسرائيلية خفية بقتل اولاده. وقد ساوى اكثر اهل بلدتهِ بالتهجير في منزل بسيط قُدِّم له في مدينة صور، عاملاً ما استطاع بالقدر الذي تسمح له صحته التي أخذت بالتدهور، على حدمه اهالي المنطقة الحدودية بعد انسحاب اسرائيل تحت ضربات المقاومة الى المنطقة الحدودية التي احتلتها عام ١٩٧٨، مع توسعتها قليلاً من ناحية الشمال الشرقي.

ومع اشتداد وطأة المرض عليه، بقي في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره، يراقب العمل على خدمة الناس، وخصوصاً المنطقة الحدودية، وهي المهمة التي أناطها بأولاده كواجب شرعي لا يتقدم عليه أي امر، خاص أو عام. الى ان توفي في ٢٣ كانون اول عام ١٩٩١ ميلادية في بيروت التي نقل الى احد مستشفياتها من صور. وقد دفن في عيناثا بمظاهر التكريم الشعبي الذي كان يشكل تحدياً للاحتلال الإسرائيلي. وقد كان يوم جنازته من الأيام التي كسر فيها حاجز الاحتلال ووطأته. بما يشكل تحدياً لهذا الاحتلال. وقد توفي عن اربعة اولاد هم نجيب وغالب ومحمد صادق وعلي، وكل واحد منهم يتابع اليوم نهج والده علما وعملاً وسلوكاً وهم مع ابيهم وعميهم السيد محمد سعيد والسيد عبد الرؤوف وبني عميهم اكملوا ويكملون مسيرة جدهم السيد نجيب الذي كان في عصره في جبل عامل من ارفع منارات العلم والصلاح والجهر بالحق وحماية المظلومين وجهاد الظالمين.

شعـــره

قال يتحدث عن نفسه:

لك السعد.. ما دنيا المحب المروع
سوى مهجةٍ حرى ووكاف أدمع
تبادله منها بأكرم.. ما وعى
من الحب والانصاف الأم ما تعي
تواثبت الأحداث من كل وجهةٍ
اليه وخف البين من كل موضع
ولكنها ما انقضت ظهر صابرٍ
ولا اوهنت بالجود عزمة أروع
يُعيرُ الرزايا منه نفساً كريمةً
لما فات لا تأسى ولم تتوجع
اذا ضاق فيها الدهر يوماً برحبه
تلوذ بصبر منه اوفى واوسعِ
طغى فوقها برد التجمل ما ارتدت
بأحسن منه في القلوب وأروع
تحريت فيها النبل.. لا متشعوذاً
ولا تائهاً في حيرة المتسكعِ
ونبئت ان الفجر ليس لماكرٍ
وأن العلى ليست لأجدع اقطع
وهل عابني للناس أني ماجد..
رعىٰ ذمة الإخلاص فيها وما رعي
تعففت والدنيا لمن هان جنةٌ
فألفيت في الحرمان غاية مطمعي
وشاركت أهل البؤس في طعم بؤسهم
وأغليت في آماقهم كل مدمع

وأسديت للأيام شكران منعم
وقد ارهقتني بالبلاء المروع
فلم تطغني الدنيا بزخرف لهوها
ولم يزهني فيها تأله مدع
ولا سكرة فيها أعيش معربداً
ولا اثرة مني.. فتوغر من معي
وما المجد الا ما زكى وتطاولت
دعائمه في ظل عيش مرقع
نبذت أباطيل الحياة لمن بكى...
عليها بكاء الفاقد المتلوع
ويممت وجه القصد وحدي راشداً
على سُنن المعروف أمضي بمهيع
أمد الى الأحياء نظرة واجم
جنائز موتى للقبور مشيع
وجوه على اعتاب كل مذلة
اسف الهوى فيها وقال لها اركعي!
اذا ما بدا برق المطامع اتلعت
اليها بجيد المشرف المتطلع
عباديدُ لو فتشت عنها خباءها
لعاينت منها مصرعاً اثر مصرع
أجاذبها حبل الوداد بشافع
اليها من الأخلاق غير مشفع
ترامت بها أحسابها لابن ضلة
الى الأرض حطته السما غير طيع
من الحمأ المسنون يختال سادراً
على ظهرها في حمأة الغي يرتعي
تحك السماوات العلى في متونها
بغمرة مفتون وطغيان مبدع
وتائهة.. ان تبصر العميُ ابصرت
هداها واما تسمع الصم تسمع
اذا ما تولاها مضيع لأمرها
قضى بعده بالجور فيها لأضيع
على ضلة اما هوت تسابقت
مسابقة الهيم الظماء لمشرع
تخيلت يعقوباً من الشوق حانياً
على يوسف في قلبه المتصدع
وكم ساد باسم العدل ظالم أمة
وحامى على سواءته غير مقلع
أمنتجعاً قسط الحياة يروضها
ويرقب من شمس الهدى خير مطلع
خذ القول عنها في طوية أمرها
لعلك منها قد وعيت كما أعي
دهى الأرض طوفان الهلاك فعمها
ولم يبق منها لرجا قيد اصبع
رويدك ذا طوفان نوح وهذه
سفينته في موجها المتدفع
فما قيل يا ارض ابلعي لجّ مائه
ولا قيل يوماً للسما عنه اقلعي

وقال مراسلاً ابن اخيه في باريس من قصيدة:

نأى من نأى عني وخلف لوعةً
بقلبي، وداء ما شفاه طبيبُ
بلى ان سهماً قد اصاب مقاتلي
رمى فيه عن قوس الفراق قصيبُ
ولكنني اذا اوصد الوصل دربه
عليّ تراءت لي اليه دروبُ
امثل من أهواه حتى كأنه..
لعيني وان شط المزار قريبُ
وتطوي الفضاء الرحب بيني وبينه
رسائل شوق تغتدي وتؤوبُ
يروح بها حادي النسيم وينثني
مجيئاً اذا ما حان منه هبوب
يفوح بأنفاس العبير اذا سرى
فكل مكان مرّ فيه يطيبُ
لعيني اما لاح في الأفق بارقٌ
واسفر صبح او اظل غروبُ
تلفت قلبي نحوهم يستفزه..
لباريس شوق عارم ووجيبُ
وللطرف انسانان حين تناءيا
وذابت نفوس بالأسى وقلوبُ
اذا ما سواد الطرف اخلي منهما
فإن سواد القلب عنه ينوب

وقال في أعقاب الحرب العالمية الثانية من قصيدة:

قست الحياة فضيقت أغلالي
شتان ما حال الطليق وحالي..
لم اقض للإرب الكبار لبانةً
فيها ولم ابلل صدىً اه الي
اسعى فترصدني الخطوب كأنما
حد الأسنة والسيوف نعالي
دنفاً اقلب ناظري فأرى به
صور الحياة، مريعة الأشكال
ضاق الفضاء بها بعين مسهد
أيامه مما يجن ليالي..
يا دهر شرد ما استطعت فلم تهن
نفسي بتشريد ولا بنكال
هي في مراقي العزّ فوقك فاحتكم
ما شئت في عرض التراب البالي
كست الزمان مهابة وتضوعت
فيه اريج لطائم وغوالي

لو كنت شخصاً في الحياة ممثلاً
لعلا مثالك في الفخار مثالي
شالت بهامي عصبة منها التقى
شق الفضائل في السناء العالي
من هاشم سنوا العلى وترفعوا
فيها. عن الأشباه والأمثال
هم حلية الدنيا وخالد مجدهم
فيها سماء رصعت بلآلي

كم أرجفوا بحمى الملوك وأنزلوا
من صيحة فيها ومن زلزال
نازعتني الشرف الرفيع فزدتني
في المجد، أسمى رفعة وكمال
وصقلت نفسي بالأسى فتهذبت
والسيف لا يفري بغير صقال
واذا لقيت الليث ذلك بأسه
كيف اتقاؤك صولة الأشبال

نفذت سهامك في حشاي وطالما
حكمت حد مداك في اوصالي
إن كان لا يرضيك الا مهجتي..
مما حويت من النفيس الغالي
خذها اليك كريمة واجعل لها
ذكرى بجنب مصارع الأبطال
كبرت لها في الأرض غاية همةٍ
فيها حططت، على السماء رحالي

فأخذت في يمناي شمس نهارها
وحويتُ بدرَ تمامها بشمالي
ما للحياة فضيلة ان لم تكن
لمثوبةٍ غرضاً ولا لمعالي
إن الذي خلق الفتى لزواله
انشى مآثره، لغير زوال
تمشي مع الأزمان وهي فتيةٌ
فيها وتصحب دائم الآزال

الحق أكرم نسبة ينمى لها
حسب، الى الأقوال والأفعال
ما زال يعلو في النفوس جلاله
حتى تسنم عرش كل جلال
يكفيه من شرف العلى ان اسمه
علم لذات الواحد المتعالي
والنفس ان تطع الهوى سقطت به
عن برجها الأعلى سقوط هلال
لم تغرني دنيا.. أشاب قرونها
طول التعاقب رثة الأسمال

كم راودتني عن حجاي، فعرتها
عين البصير بسيء الأعمال
وجلت لي الأحلام تعبث بالنهى
وتضيق عنها فسحة الآجال
للعدل فيها والمظالم ثورةٌ
تمشي بفتنتها مع الأجيال
هي مارج النار استطال فلم يزل
يهدي الشواظ لذلك الصلصال

صالت بناب وحوشها ومشت الى
هول تلجلج فيه كل مقال
هول تقوم له الحياة، هزيلةً
ثكلى ويقعد قائم الأهوال
طوفان نار طاف في تياره
بالعالمين.. فسد كل مجال
الناس في انواعها.. حطب له
وكرائم الأموال، والأنفال

همت السماء صواعقاً فأمدها
في الأرض زلزال لها متوالي
وكأنما رهج الغبار سحابة
تسقي الأديم من الدم السيال
والكون بات مسارحاً لقذائفٍ
وملاعباً لقواضبٍ وعوالي
يا أيها الغرب الذي غرب الهدى
عنه ببحر مطامع وضلال

فتح التمدن منك باب جهنمٍ
فينا وشد سلاسل الأغلال
هذا زمانك في خلاعة غيهِ
دفنت محاسن كل عصر خالي
زمن تعيش به النفوس فإن ونت
بالجد فهي فريسة الرئبال
ذاد المروءة عن مناهل ورده
وأحالها فيه لكل محال

والحق ضاع فإن دعاك فقم به
أو نم جريح أسنة ونصال
قوم بصائر.. دينهم وعقولهم
ضاعت بنشوة خمرهم والمال
طغت الجرائم والتقت آلامها
في الدهر أثقالاً على أثقال
فعلى خفوت الليل أنةُ واجد
وعلى هتاف الصبح عبرة جالي
زمر به متشاكسون حداتهم
حادي الهوى لتنافس وقتال

فلربما سقت الجلال لبائس
وجحدت منها عزة الأقيال
الدهر مضمار السباق من الورى
والحادثات به محك رجال
من تغف عنه فيه عين هداية
باتت به ترعاه عين ضلال

وقال من قصيدة:

أوغلت في المرمى البعيد
مستلهماً وحي الخلود
انشي القريض وانتشي
بغنى السما في لحن عودي
فأرى الحياة سلافةً
والكون بيتاً من قصيدي
اوريت روحي استضيء
بنورها سر الوجودِ
وبكيت اذ ضحك الغبي
لبهجة العصر الجديد
هو مأتم الأخلاق ذو
الطغيان حوله لعيد
في أفقه شؤم الحياة
اطل في برج السعودِ
عن حسنه يروي القباحة
والهبوط عن الصعود
كالكلب رجس إهابه
يطوى على اسد الأسودِ
عصرٌ عصارة روحه
من ذوب أدمغة القرودِ
يوري فؤاد الحر أو
يسقيه من ماء صديدِ
هبطت به الأقدار من
مَلَك لشيطان مريدِ
أم الجهالة قارنته
فأمهرت عرش النفودِ
وبكل حيِّ دونها
القى الزمام وقال قودي
فكأنهم بولائها
فيهم من الأصلاب نودي
بسطت على أيامه
سلطان جبار.. عنيدِ..
يشكو الهدى طغيانه
شكوى حسين من يزيد
واطل تحت لثامها
ما زينته من الوعودِ
سجدت لعزتها جوا
رح من دعته الى السجودِ
فتانة ارخت على
صبح الهدى ليل الجعودِ
جمح الزمان وطوقت
أفعى الجهالة كل جيدِ
والخلق من أدرانها
لبسوا الجلود على الجلود
والحق بات فريسة
بين المسوَّد والمسودِ
فاضرع لربك انها
أيام صالح في ثمودِ..
كالنار في هيجانها
كمنت بمنفجر الحديدِ
يا أيها الجد الكريم اليك
من نبأ الحفيد..
ضحى الكرامة والإبا
ما بين صهباءٍ وورودِ
ما الدين منه وما العلى
غير المظاهر والنقودِ
قصر المحارم كم بنى
للذم من قصر مشيدِ
هو جسم إنسان
يعيش بروح حيوان شرودِ
يحمي العدالة ثم يخضب
شخصها بدم الوريدِ
أُذن الجهاد يديرها
قلب من الحجر الصلودِ
دنياه مثقلة الخطى
تمشي بمطلعٍ كؤودِ
حسرى كثاكلة تنوح
على ابنها في يوم عيد

وقال في الحسين (عليه السلام):

يدور كما شاء الزمان المعاند
ويهدم ما يبني ومجدك خالدُ
لقد طاولتك الحادثات فأخفقت
وطال عليها من إبائك ماردُ
أتيت بما لم يسمع الدهر مثله
ولا شهدت عيناه فيما يشاهدُ
طوى كل حي ثم سل جذوره
وأنت على كر الجديدين صامدُ
وسافر في آفاق مجدك فانثنى
حليف عنادٍ لبه فيك شاردُ

ترجل عن عرش العلى لك طائعاً
وأعطاك منها كل ما هو واجدُ

يطوف على أبيات عزك محرماً
ويهوى على أعتابها وهو ساجدُ

لئن زاغ في يوم الطفوف وقاده
عمى كحلت عينيه في المراودُ

فما تبعث الأيام الا زلازلاً
اذا زلزلت للناس فيها العقائدُ

كبرت فلم يحدث لك الحمد عزةً
ولكنها تعتز فيك.. المحامدُ

ببحرك طاف الشعر دهراً فما اهتدى
الى شاطىء فيه تحط القصائدُ

برى الخلق أشباهاً وسواك واحداً
اله لأكوان العوالم واحدُ

وهبت حياة الأرض منك الى السما
تطاعن عن ناموسها وتجالدُ

وثرت وما في الكون الا محارب
تطارده عن غيّه.. ويطاردُ

تصارع هول الموت والموت كالح
وتدفع كيد الكفر.. والكفر حاقدُ

وتسطو على الأبطال حتى كأنما
لك القدر المحتوم كف وساعدُ

ضربت بسيف الله للحق داعياً
وليس لسيف سله الله غامدُ

ولم تعد في الأصنام سيرة احمد
وإن بدلت اشكالها والمواردُ

أصاب بها أحجارها.. وأصبتها
ملوكاً على أبوابها الكفر حاشدُ

خلعت رداء العيش اذ هان والتوى
وأزرت مخازيه به والمفاسدُ

وسرت على درب المنية وارداً
الى العز اذ سدت عليك المواردُ

بمثلك ما جاد الزمان ولا اعتلى
لمجدك مما أنجب الدهر ماجدُ

كأنك بدر في السما.. وكأنما
له من مراجيح العقول مراصدُ

يكاد اليك البين يسعى مسلّماً
وينسل منه الركن اذ انت وافدُ

وما ذاك من شوقٍ الى من يحجه
ولكن الى امثاله الطهر قاصدُ

أقمت وأقعدت الحياة بضجة
يروح بها جيل وجيل يعاودُ

تظل لك الأبصار منها شواخصاً
وتتبعك الأمثال وهي شواردُ

أرأس العلى قم وارفع الرأس عالياً
فأنت لما في الكون راعٍ وقائدُ

ألم تر كيف الفخر شال بهامه
وكيف عليه.. تاجه العز عاقدُ

فقد اقلع الليل الذي كان مظلماً
وأقبل صبح للحقيقة ناقدُ

جهادك في الأيام ما مرَّ مثله
ومثلك فيها لا يمرُّ مجاهدُ

وقفت بوجه الموت تلقى كتائباً
تضيق الربى في جمعها والفدافدُ

وحيداً غريباً حوله الصحب همداً
وأهلوه صرعى لم تلنه الشدائدُ

ولاأخذت من عزمه وثباته
بروق توالت دونه ورواعدُ

تباهي السماء الأرض فيك مدلة
ويحسدها بدر الدجى والفراقدُ

مشى الدهر منكوساً وعادت لمارقٍ
مدارس كانت للهدى ومعابدُ

مآثر قدس من تراث محمد
يصيد بها حوزة الكفر صائدُ

درى المصطفى وهو الذي عاد في الورى
على يده جبارها وهو ساجدُ

بأن بغاث الطير قد عدن أنسراً
تكايده في آلة ما تكايدُ

تصول فتروي غلها من دمائهم
وتحصد فيهم بالسيوف الحواصدُ

مشاهد فيها لو رأى الآل احمد
وهم خائض لج الدماء وخامدُ

وأجسامهم للصافنات مدارج
ومن لحمهم للمرهفات موائدُ

لخر كما قد خر موسى بطوره
لها صعقاً مما يرى ويشاهدُ

دماء على الأيام تجري كأنما
يبيت لها من لجة البحر رافدُ

وعقدة غيظ حين شد رباطها
أرادت لها الا تحل العواقد

أتيت وللدنيا زمام يقودها
به ناكث للجاهلية عائدُ

بها الذكر منبوذ ومهبط وحيها
بمغناه شيطان الضلالة راقدُ

ولم يبق الا سيف خلا مساعداً
يُواسيك فيها حين قل المساعدُ

تخوض به الهيجا ونفسك أنفسٌ
لما أنت عنه شتاتك رائدُ

وتعتنق الأسياف حتى كأنها
أمامك من حور الجنان خرائدُ
الى أن قضت تحت العجاج وافرغت
من السم فيها ما تضم الأساودُ
عظيمة شأن في السموات لم يزل
يسائل عنها خلدها ويناشدُ
وافقر بيت للملائك.. كعبة
لها هابط بالوحي منها وصاعدُ
أشادت يد الرحمن شامخ عزّة
وقامت بها أركانه والقواعدُ
نصحت فبيعت بالكساد رخيصة
لهم حكم مأثورة وفرائدُ
عسى ان يلم الدهر شمل شتاتها
ويوقظ منها النصح من هو هاجدُ
فلم تر عند القوم إلا وقيعةً
ونيران حرب شبها لك وافدُ
تنكرت الدنيا اليك فدربها
مهالك أخطار بها ومصائدُ
وعاد الفضاء الرحب منها فسيحةً
لسجن على أبوابه الحتف راصدُ
وما الدهر للمخذول إلا نوائب
وما أهله الا خصيم وحائدُ
وجنح لليليه على رغباته
ينام به طرف وآخر ساهدُ
احلت بك الأعداء حين تسابقت
لقتلك ما لا تستحل الأوابدُ
جناة على الطغيان شب وليدهم
ونيطت عليه في الحجور القلائدُ
تحاول انساناً لديها فلم تجد
وهيهات يعطي الشيء من هو فاقدُ
اذا النشء كانت للفساد حياته
فلا عاش مولود ولا كان والدُ
سوائم أنعام وحوش كواسر
لها في اكف الظالمين مقاودُ
بذكراك من يشدو فاعواد منبر
له في السماء المشتري وعطاردُ
اذا ما رواها الكون يعبق بالشذا
وتردان آفاق وتزهو معاهدُ
ولو سأل الناس الزمان وما به
وعادت عليهم بالبيان العوائدُ
بمن بُدئت فيه المفاخر وانتهى
اليه طريف من علاها وتالدُ
لدان لك الآتي ومن هو حاضر
ومن سلفت فيه القرون الوائدُ

قضيت عن الإسلام كبش فدائه
وقل بأن تفدي بما الكون و

وقال من قصيدة :

رباه فيك تعلقي ورجائي
ولغير عرشك ما بعثت نداء
أنت الذي أنشأتني متجملاً
مترفعاً عن منة البخلا
إني نظرت فما وجدت بما ارى
غير السراب وأنت عذب الماءِ
الكائنات على تعاظم شأنها
من بحر جودك رشحة الأنداءِ
ضلت بمعناك العقول وهل ترى
يوماً بغير بصائر الصلحاءِ
قد عرفوك بما سواك كمن مضى
يبغي النهار بليلةٍ ليلاءِ
أو مبهم أعيا العوالم سره
راموا ظهور خفائه بخفاءِ
أترى بطرف قد تكحل بالعمى
وبصيرة صدأت بغير جلاءِ
قام الوجود فكان منك صدوره
وعليه ظلك وارف الأفياء
فلك البداية منه غير منازع
واليك يرجع منتهى الأشياء
اثنى عليك وما أنا؟
ما قدر علمي ما يسير ثنائي
ما كنت الا ذا الجناح اذا دنى
فحسى بمنقره من الدأماء
حفلت برحمتك السماء فأغدقت
وتلألأت بمشارق الأضواءِ
والغيث أحيا الأرض بعد مماتها
فبدت بطلعة حسنها الغراء
بسط الربيع بساطه فزهت به
وتبسمت عن روضة غناءِ
نتلو بها صحف الجمال كأنها
صحف السماء بألسن القراءِ
أنّى حللت برحبها بك رحبت
وتهللت فنانة الأنحاء
أبدعتها بيد الكمال وسيمة
وملأتها بسوابغ الآلاء
وبسطتها فيحاء ليس بمنتهٍ
ما امتد من سعةٍ لها وفضاءِ
وحبكت في شُهبِ النجوم سماءها
غُرراً زهت ومراتباً لضياء

أطلعتها زهرَ الوجوه كأنها
سرج تشع بقبة زرقاء
وأنرتها بالنيرين على الورى
صنوين في شرف بها وعلاء
أتضيق مطبقة الجهات على امرئ
وعلى سواه فسيحة الأرجاء
رباه قد مات العزاء وأوهنت
روحي لطول تعاقب الأرزاء
ووقعت في اسر البلاء مكبلاً
أفلا يكون على يديك فدائي
والدهر ارعن بالمصائب ثائراً
صلفاً يحارب عزتي وإبائي

وقال:

طوينا للصبا عهداً حميدا
نطالع كل يوم فيه عيدا
طويناه كما فقد المصلي
طهور الماء والتمس الصعيدا
كأن حياته صبغتَ بلونٍ
من الفردوس وامتلأت سعودا
خلا مَرِحاً يضوع مع الليالي
ملاباً أو يضيء بها فريدا
ومن فقد الخلود وما هواه
سيفقد بعده العيش الرغيدا
بها جمح الزمان بلا قيادٍ
ولا حُرة تحفزان يقودا
فالحمد انسه وأباح منا
ربيع العمر يحصده حصيدا
وكم باللهو متعنا زماناً
واعطانا فاسعدنا جدودا
أصبنا فيه دنيا قد تملت
من الإحسان صافية ركودا
علاها البشر ممرعة النواحي
تروق محاسناً وتفيض جودا
لنا سلست كما نهوىٰ قياداً
وما خانت لذمتنا عهوداً
ولما أن اضاء الشيب عنها
تبدت فيه رعناء شرودا
نضته في مفارقنا سيوفاً
وقد كان السواد لها غمودا
توقى امسها برا رحيما
وجاء اليوم تغمره جحودا
وحوّلها القضاء ظلام سجن
نجر به السلاسل والقيودا
سل الأحداث كيف أذبن قلبا
جلبنَ عليه ما يُبلى الحديدا
وكيف ذوت صبابة مستهامٍ
بها عمر الأباطح والنجودا
وماضٍ بعده الأيام آلت
به وبمثله أن لا تجودا
عدته العين فامتلأت سهادا
كما قد كان يملؤها رقودا
زهونا فيه زهو الأرض اضفى
عليها روضها ثوباً جديدا
اذا جر الغمام بها ذيولاً
جلا منها الأزاهر والورودا
ذكرنا ظلّ نعمته ظليلا
ووجه الدهر بساما ودودا
وعيشا في مجال الحب حلوا
سحبنا للشباب به برودا
خطرنا فيه فضفاضا رداه
فعاش غلالة واخضر عودا
وهمنا تحت جنح من دجاه
نسيم مع الهوى قلبا شريدا
نسبح باسم عزته ونرمي
الى غاياته الغرض البعيدا
ونهشت بالجمال غواة حب
نحاول ان نصاد وان نصيدا
حقائق صبوة كانت لسعدى
وعلوة لم نجد عنها محيدا
يود الشوق فيها.. ما تثنى
من الأرواح مؤتلقاً وحيدا
جلوناها مشعشعة شمولاً
ولكنا شربناها صديدا
تخطت فوق جدتها الليالي
وصارت للبلىٰ فيها وئيدا
ولو فسح الزمان لها مجالا
على أيامه خلدت.. خلودا

وقال في الثورة الجزائرية على الإستعمار الفرنسي:

المجد قطب والفضائل سلم
والعز يخصب حين يسقيه الدم
والبغي آمن بالحسام موحِّداً
واعد رحمته لمن لا يرحم
ومن الجهالة ما يضم ببرده
عقلاً يدار به الوجود وينتظمُ
والجرح في قلب المظالم فرجة
واضر شيء من دواه البلسمُ

من كان مورده الهوان فعيشه
سم يداف وكل ورد علقمُ
للمرء حاضره الجلي وفي غد
ما تحكم الأقدار لا ما يحكمُ
واذا استبدَّ هوى النفوس رأى
العمى بصراً يضيء بناظريه المظلمُ
والجور فاتحة الخصام وربما
أخذ البريء بما جناه المجرمُ
من شذَّ عن أدب الحياة ووعيها
فله الحسام مؤدب ومعلمُ
العمر حلم والحياة حلاوة
في صلبها كمن البلاء الأعظمُ
واذا سألت الدهر أتلع دونه
حق يجيب وباطل... يتلعثمُ
كلب الزمان على بنيه وأمعنت
صيد البغاث به النسور الحومُ
فبكل ناحيةٍ عذاب واقع
في أهله وبكل ربع مأتمُ
لا يعدم الطاغوت نزوة رأسه
إن لم يطأه من العدالة منسمُ
سلم على الجبروت أن عاطيته
بيد السلامة لست منه تسلم
يمشي على الأشلاء فيه مغامرا
طمع لما تبني العدالة يهدمُ
غرثان يأكل من حطام زمانه
ما تأكل النيران فيه وتهضمُ
يا أمة بالشهب من أبنائها
ما انفك شيطان الغواية يرجمُ
أرضعت ثورتك الدما فتحولت
شهداً بكأسك أو رحيقاً يختمُ
ثمل الزمان بها فرنح عطفه
واختال فيها شادياً يترنمُ
نادي رفات الطيبين فربما
لبت نداك من التراب الأعظمُ
حياك حيدر والحسين موسداً
من كربلاء على إباك يسلمُ
قلم القضاء جرى فخط بلوحة
أن الكمال بعربه متجسِّمُ
والأرض أعجز أن ترد كرامة
فيها تجود يد السماء وتكرمُ
أضفى الخلود على جهادك موقف
بين الحياة وبين موتك مقتحمُ
إذ أنت في قلب الحفاظ محجة
للخالدين وعروة لا تفصمُ

أقدمت والإيمان عدة حاسرٍ
والصبر صاحبه الذي لا يحجمُ
وكأن عزمك جذوة مشبوبة
وثبات جأشك يذبل ويلملمُ
في صدره خنقت مطامعه ومن
سَمِّ الخياط.. حياته يتنسمُ
برزت حماتك للجحيم بنخوة
ازرى بحد السيف فيها المعصمُ
برق ورعد يستشيط بأفقها
وقذائف تهمي ونار تضرمُ
لجج من الأهوال في غمراتها
أرخى اعنته القضاء المبرمُ
فيها لسان الحمد هلل داوياً
للفرخ حين سطا عليه القشعمُ
غادرت جبار القرون طغى
حملاً بمأدبة الضياغم يولمُ
وأمته تحت العجامة ميتة
لم يُحييهِ منها المسيح ومريمُ
وطلعت كالبركان يقذف باللظى
والحتف ينتاب الحتوف ويحطمُ
فشردت عن حكم العقول وصدّقت
في ذاتك الأوهام ما تتوهمُ
صب العذاب عليه يوم كالح
كالليل مسود الجوانب مظلمُ
فيه يخال الأرض تهوى تحته
وعليه أفلاك السما تتهدمُ
رام النجاة فكاد يسبق ظله
والرعب عنه معبِّرٌ ومترجمُ
حشد السواد على ربوعك سادراً
فكأنها منه الغراب الأسحمُ
من كل ذئب للفريسة كامنٍ
من وطء نعليه الثرى يتبرمُ
ألوى شكيمته الحفاظ وردَّهُ
خزيان ينهل من دماه المخذمُ
أأقالهم وهم أضاح فوقه
ما اسرجوا للموبقات وألجموا
تلك اللئام وإن تكاثر جمعهم
لم تفد للأحرار ضفراً يقلمُ
جحد الحساب معانداً حتى حكى
يوم القيامة.. يومه المتأزمُ
للسيف فاسد لحمه ودمائه
هذا له شرب.. وذلك مطعمُ
كم رمت اطلاق السراح لفرجةٍ
مما دهاك به الألد الأخصمُ

حتى اذا أعيا البيان وأسرفت
في الجور نقمة غاشم لا يفهم
حاولتها حرية جبارة
حملت رسائلها اللظى والأسهم
ولد الفخار على ثراك ورأسه
بالغار فيك متوجا ومعمم
غمزت إباك الحادثات أليمة
فإذا الإبا في بردتيك مجسمُ
باهي العصور فكل مجد هالة
لسنا علاك وكل مرقىً سلمُ
شرف تواضعت السماء لعزه
وتضاءلت في جانبيه الأنجمُ
والحق أسفر في يمينك عارياً
فيه يكم فم الطغاة ويلجمُ
إن سقت صولته.. لجولة باطلٍ
سرعان منه ما يخور ويهزمُ
فرد الأثيم على أذاك فعدته
للنار.. طعمتها وبئس المطعم
سربما عاف الخلود وطهره
مثوى الخبيث فطهّرته جهنمُ

مراثيه

من قصيدة السيد محمد حسن الأمين:

تلألأت واحتواها بعدك الأبد
روح تشظى على ايقاعها الجسدُ
روح كما الجمر مشدود بها وتر
من الألوهة باسم الحب... يتقدُ
غريبة كالذرى... للريح جبهتها
وللسفوح بقايا الكبر.. والصيدُ
تضيء.. تصفو.. تشف النهر خلت
أم الصبح استوى في المدى الغافي له رادُ
أحببتها.. لم ينم في نبضها قلق
وما استقر لها في شاطىء ميدُ
جناحها من شواظ الشمس مختضب
وهمها بالبعيد الصعب منعقدُ
أعيابها الجسد المكدود تجذبه
حينا.. ويوسعها قرباً فتبتعدُ
حتى اذا اتحدا في لحظة وصفا
ذاك الجبين.. وشفت فوقه العقدُ
خلت الضياء استوى جسما فرحت كما
حرانة في مرايا الصحو تبتردُ

ومن قصيدة الأستاذ محمد فلحة:

ماذا أقول اذا رثيتك موجعا
اولى بقول رثائك المحرابُ
أقوى المصلى لا يزايله الأسى
وبكت عليك مآذن وقبابُ
قدر لعمري ان قضى لا ينثني
حارت به الأفهام والألبابُ
ناء مداك أبا النجيب فما جرت
إلا لشأو في مداك ركابُ
ليست تجارى إن يَجِدَّ بها السُّرى
خيل تحاماها الكماة عرابُ
الا يخطىء المرمى على صهواتها
رام ولا يخشى الردى هيابُ
أنت المجلي والمسابق لاحق
ضاقت عليه في السباق رحابُ
يشتاقك القلم السنين وتنتشي
في راحتيك صحيفة وكتابُ
ماذا عن النادي الحفيل وسامرٍ
هل أقفر النادي وأوصد بابُ
يا حاملاً هم العفاة وواصلاً
رحم الجفاة اذا جفت انسابُ
أقسمت بالقلب الكبير وبالتقى
ما سام قلبك لامة وعتاب
تُغضي على البلوى وتصفح قادراً
فكأنما كل الأنام صحابُ
أعرضت عن عرض الحياة مبرأً
ونأيت لم يعلق بثوبك عابُ

ومن قصيدة الدكتور يحيى شامي:

في العلم أعلمهم في الزهد أزهدهم
وفي العبادة لا خوفاً ولا رغبا
جم الخصال من الأبدال لوّحه
قيامة الليل في أسحاره نصبا
تبارك الله والشعر الذي وثقت
له عراه وفيه قد مضى حقبأ
يا شعره أين منه المذهبات وما
أتى الفحول به من شعرهم عجبا
منذا زهير ومن كعب ونابغة
ما كل ما قيل من شعر وما كتبا
تكلف الشعر أقوام فما سبقوا
وعنده الشعر طبع ليس مكتسبا
مجلل ببديع الحكمة انفتقت
عنه القريحة صدقا منه لا كذبا
اذا تعاطاه جزلا قلت يا عجبا
هذا هو الشعر مختارا ومنتخبا
وإن ارق جرى من رقة نغماً
ما نغم داود سل نايا وسل قصبا

سل عين كبعا وسل بير الزبيب وسل
عينا بإفريز يجري ماؤها صببا
سل عابري عين عيناثا عشيتهم
ومن تروح عند العين او شربا
سل البلابل هل كانت مرددة
إلا صدى شعره إن حنّ او طربا
يا عين جوزة عيناثا ألا ابتذلي
ثوب الحداد وغضي الطرف والهدبا
فإن فارس ساح العين أوهنه
نزف الجراحات والطرف الكريم كبا

الشيخ عبد المحسن الخاقاني بن الحسين:

ولد سنة ١٢٨٩ في احدى قرى لواء الناصرية وتوفي سنة ١٣٧٢.

ينتمي «بنو خاقان» الى عشيرة «حمير»، وهي منتشرة في جنوب العراق وعددها كثير.

ومن أبرز بطونها «آل جويبر» الذين ينتمي اليهم صاحب الترجمة.

وآباء المترجم له المتحدرون من هذه الأسرة، كلهم علماء معروفون لهم آثار علمية كثيرة.

نشأ المترجم تحت رعاية جده الشيخ علي الخاقاني حيث توفي أبوه شاباً وهو طفل صغير لم يتجاوز السنتين من عمره.

وتوفي جده وهو في أواسط العقد الثاني من عمره، فتولى شؤونه عمه الشيخ محمد الخاقاني بوصية من الجد، فقرأ عليه وعلى الشيخ طاهر والشيخ نعمة المبادىء العلمية والدروس الحوزوية الأولى.

ثم هاجر الى مدينة المحمرة (خرمشهر) وهو في الثانية والعشرين من سني عمره، ودخل المدرسة العلمية التي أسسها عمه الشيخ عيسى الخاقاني لطلاب العلوم الدينية. وبعد وفاة عمه قام مقامه ورجع اليه في التقليد جماعات من أهالي خوزستان وجنوب العراق والبحرين والكويت، ترك العديد من المؤلفات الفقهية.

عبد الملك بن محمد ابراهيم بن عبد الله البواناتي:

مذكور في «الكواكب المنتثرة» المخطوط، ونقول:

فاضل مشتغل بالعلوم العقلية، وكان يقيم بشيراز.

من آثاره مجموعة فيها كتب ورسائل من صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي كتبها في المدرسة الرفيعة الإمامية بشيراز سنة ١١٢٨ واتم مقابلتها بعد سنة من هذا التاريخ، ومما كتبه في آخر بعض كتب هذه المجموعة يعرف تضلعه في الأدب والعلوم الآلية[١].

الشيخ عبد المهدي المظفر بن ابراهيم

توفي سنة ١٣٦٣ هو من آل المظفر، الأسرة العلمية الشهيرة التي أنجبت الكثير من العلماء والفضلاء. ولد في النجف ونشأ فيها ودرس على علمائها، منهم الشيخ علي الجواهري والسيد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني. وقد لازم الجواهري وواصل حضور درسه طويلاً.

كان عالماً فاضلاً، نزح الى البصرة فكان له فيها المنزلة الكريمة والمسعى الطيب. ولكنه كان متحجر الذهن جامد الرأي، ما أدى به إلى مناهضة الاصلاح الديني والاجتماعي، ومناصرة الأباطيل الدخيلة على الدين فوقف في وجه الحركة الاصلاحية الكبرى التي عرفت بحركة (التنزيه) وهي الداعية الى ابطال ما لحق باحتفالات ذكرى مقتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من أمور شوهتها وجعلتها أمراً مستنكراً كإدماء الرؤوس ولدم الصدور وتقريح الظهور والتفنن بذكر الأساطير التي لا أصل لها. فجند لمحاربة الاصلاح لسانه وقلمه وألف كتاباً سماه (ارشاد الأمة للتمسك بالأئمة) حشاه بسيىء القول وبذيئه مهاجماً صاحب الدعوة الاصلاحية ومناصريه بأدلة سخيفة وآراء تخلفية وتعابير سوقية.

كانت وفاته في البصرة فنقل جثمانه منها بالقطار الى كربلا ومنها الى النجف حيث دفن فيها.

الشيخ عبد النبي بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني:

مترجم في «مستدركات أعيان الشيعة» ٢/١٦٤، ونقول:

قرأ على أخيه الشيخ عبد علي كتاب «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» وانهى الجزء الاول منه وبدأ بالجزء الثاني في تاسع عشر من شهر شوال سنة ١١٤٩، وعلق على النسخة تعاليق مفيدة تدل على مدى فضله في الفقه والاستنباط والتتبع وأجازه اخوه المذكور بنفس التاريخ في آخر الجزء الاول بإجازة حديثية ضمن انهاء القراءة.

اديب فاضل له تبحر في العلوم الأدبية.

له «بداية النهاية ونهاية البداية» في النحو[٢].

الشيخ عبد النبي الشيرازي القزويني:

فاضل فقيه، كتب له زين العابدين بن الحاج محمد رفيع الاصبهاني مجموعة في يزد سنة ١١٧٥ فيها «حاشية مدارك الأحكام» لميرزا ابراهيم سلطان العلماء القزويني، وقد علق الشيخ المترجم له تعليقة عليها تدل على اشتغاله بالفقه[٣].

عبد الواسع التوني:

أديب حسن الإنشاء بالفارسية، ويبدو انه كان في خدمة الشاه سلطان حسين الصفوي، وهو من اعلام اوائل القرن الثاني عشر.

له: ترجمة الرسالة الذهبية[٤].

السيد عبد الهادي بن الحسين (رفيع الدين) الحسيني الدجلاني.

مذكور في «الروضة النضرة» المخطوط، ونقول:

فقيه متضلع في الفقه والأصول والعلوم النقلية.

كتب نسخة من كتاب «المحاكمات» للقطب الرازي وأتمها في ٢٢ محرم سنة ١٠٣٣ وعلق عليها تعاليق تدل على تبحره في الفلسفة والعلوم العقلية.

توفي بعد سنة ١٠٤١.

---

(١) السيد احمد الحسيني.

(٢) و(٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

له «هادي المضلين ومرشد المصلين»(١).

عبد الوهاب بن محمد اشرف الجنابذي:

كتب حواشي العلامة ميرك موسى لكتاب «عيون اخبار الرضا» على النسخة التي نسخها محمد قاسم الطاقاني في سنة ١٠٨٦، ونظن أنه من تلامذة صاحب الحواشي ومعلوم انه من علام القرن الحادي عشر المشتغلين بعلوم الحديث(٢).

السيد الميرزا عبد الوهاب خان نشاط الأصفهاني الملقب بمعتمد الدولة:

احد كبار الشعراء في زمن فتح علي شاه ورئيس ديوان الرسائل ومن المادحين للشاه. ولد في أصفهان عام ١١٧٥هـ، وكان جده حاكماً لأصفهان فترك لأبنائه ثروة طائلة.

باشر نشاط بطلب العلم في اصفهان وتعلم اللغتين التركية والعربية، وبرع في تعلم الخط. ولما كان يحمل ذوقاً شعرياً فقد درس الشعر والأدب باللغتين الفارسية والعربية. وكانت اصفهان وقتئذ مركزاً لحركة وبعث الشعر والأدب الفارسي، وكان نشاط واحداً من المؤيدين لجمعية (عودة الأدب) ومن ثم كان يشتغل في داره الأدباء والشعراء في يوم محدد من كل اسبوع. وكان هو ورفاقه في هذه الجمعية ينظمون الشعر على طريقة القدماء ويحيون تداول التقاليد القديمة في الآداب الفارسية.

وقد نقل عنه انه في الوقت الذي غضب فتح علي شاه على الأصفهانيين في أوائل عهده قدم الى طهران والقى في البلاط قصيدة يطلب فيها عفو الشاه. واعجب الشاه الذي عرف بذوقه الشعري بقصيدته. وكافأه بخمسة الآف تومان، وعفا عن الأصفهانيين. ثم عينه الشاه (عام ١٢١٨هـ) في منصب رئاسة ديوان الرسائل ولقبه بمعتمد الدولة، وأصبح من مدّاحي البلاط والمؤتمنين على اسراره.

وبعد ان شغل نشاط منصب رئاسة ديوان الرسائل، اصبح يرافق الشاه في سفره وحضره، ويكتب بيده اكثر الأحكام والأوامر الرسمية والرسائل الخاصة للشاه وعقود ووصايا أفراد العائلة المالكة، واستمر في عمله هذا حتى آخر حياته. وسافر ذات مرة الى باريس في وفد ممثل لفتح علي شاه والتقى بنابليون الأول.

وفي عام ١٢٣٣هـ امر بالتوجه لاخماد فتنة (غوريان وباخرز) وتولى في هذه الحرب قيادة القوات، ولكنه وقع اسيراً في يد خصمه، وفي أثناء اسره دفع (بنيادخان) حاكم غوريان وباخرز لإرسال كتاب الى والي خراسان شجاع الدولة يطلب فيه العفو، وهكذا انتهت فتنة بنيادخان، وعاد بعدها الى طهران. وفي عام ١٢٣٧ امر مرة اخرى بالتوجه لاخماد فتنة الأفغان، فأنجز مهمته بنجاح.

ومنذ عام ١٢٣٧ وحتى آخر عمره بقي نشاط في طهران، وكان خلال ذلك يعاشر اهل التصوف والسلوك، حتى فارق الحياة بمرض السل في يوم الاثنين الموافق للخامس من ذي الحجة عام ١٢٤٤هـ (أي قبل وفاة فتح علي شاه بست سنوات) وكان عمره آنذاك ٦٩ سنة.

اشتملت دواوين الشعر الفارسي لنشاط على انواع الشعر، من القصائد والغزل والرباعيات والمثنوي، ولكنه برع بصورة خاصة في الغزل وكان استاذاً في هذا الفن بحيث يمكن القول بأنه يأتي في بعض غزلياته في المرتبة الثانية بعد حافظ.

كانت اغلب رسائل فتح علي شاه الى نابليون وغيره من الملوك والمستندات الشرعية من انشاء نشاط، وقد جمعت آثاره في كتاب تحت عنوان (گنجينة نشاط)، وطبعت عام ١٢٦٦هـ واعيد طبعها عام ١٢٨١هـ في طهران بخط جميل بأمر من ناصر الدين شاه. وقد اشتملت هذه الآثار على المقدمات والخطب وكتب الأوقاف والعقود والمدائح والقصائد التي وضعها والرسائل والأوامر التي صدرت عن فتح علي شاه، والرسائل التي كتبها للشاه نفسه والأمراء مع اشعار ومقطوعات أدبية وأحاديث أخلاقية. وخلافاً لسائر شعراء البلاطات لم تكن قصائد نشاط كثيرة، بل جاء حتى هذا العدد منها مشتملاً على التعاليم العرفانية.

كتبت مقدمة ديوان فتح علي شاه ومقدمة الشاهنشاه نامه بخط نشاط. وكما ذكرنا فإن مسؤوليته في بلاط الشاه كانت تحتم عليه كتابة الرسائل والفرامين والأحكام الشاهية وما يصدر عن البلاط او العائلة المالكة.. كل ذلك بخط يده، وكان استاذاً في فن الخط والانشاء، بحيث كانت كتاباته قدوة لسائر الكتاب الذين كانوا يتناقلونها ويتداولونها بينهم.

الشيخ عزيز الله (عبد العزيز) بن اسماعيل الخرقاني:

أصله من قرية «رودك» من أعمال خرقان وسكن طهران، وهو فاضل له إلمام بالحديث والتفسير والعقائد، والظاهر أنه كان خطيباً واعظاً. اسمه «عبد العزيز» وكان يدعى «عزيز الله»، وهو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له «تذكرة العباد في بيان مسائل المبدأ والمعاد»، اتم نسخ جزئه الأول في سنة ١٢٨٤(٣).

السيد عزيز الله بن امام ويردي الموسوي الفندرسكي الأسترآبادي:

كان أولاً في مشهد الرضا (عليه السلام)، ويبدو أنه تتلمذ على بعض العلماء هناك وأصبح من الأفاضل قبل ذهابه الى النجف الأشرف، فقد الف بمشهد كتابه الكنز في سنة ١٣٢٠.

له «كنز العقول في علم الأصول» و«التذكرة في اصول الفقه» و«المنطق» و«الفقه» و«مشكاة المصابيح في الأحكام» أتم تأليفه في خمس مجلدات سنة ١٣٤٠.

الخواجة فخر الدين عصمة الله بن مسعود البخاري:

من علماء وشعراء اوائل العهد التيموري. يرجع نسبه الى جعفر بن ابي طالب وكان اجداده معروفين في بخارى ولهم منزلة رفيعة لدى ملوك

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

وامراء تلك النواحي. وتحدث عنه تقي الدين آلكاشي في خلاصة الاشعار بقوله: «كان محققاً شريف النسب ومدققاً جليل الحسب ورجلاً عارفاً ومن اهل القلوب، سبق باحسانه صناديد بخارى واشتهر في ما وراء النهر شهرة واسعة باخلاقه الحميدة وخصاله الفاضلة، ورفع راية المفاخرة في فنون العلوم المعقولة والوقوف على العلوم المنقولة، وكان قدوة لفضلاء عصره في هذه العلوم وخصوصاً الرياضيات والتاريخ والانشاء وفن الشعر والعروض والالغاز، واظهر براعة في املاء الرسائل في هذه الفنون والعلوم». وبفضل هذه السجايا والصفات اكتسب شهرة واسعة وحظي بسرعة بمنادمة الامراء التيموريين وامتاز بمرتبته ومقامه الدنيوي بين الاماثل والاقران.

بدأ دراسته في بخارى، وامضى جل حياته من صباه الى آخر حياته في طلب العلم والمطالعة والتحقيق، وكما قيل عنه كان ملمّاً في اغلب علوم عصره، وكان مجلسه في أواخر حياته مرجعاً لخواص اهل بخارى، وقد تمكن الكثير ممن نهلوا من فيضه ان يصلوا الى مراتب عالية من العلم والشهرة. ومنهم سراج الدين البساطي السمرقندي والخيالي البخاري (م ٨٧٠هـ) والخواجة رستم الخورياني (م ٨٣٤هـ) وطاهر الابيوردي الذين اضحوا من مشاهير شعراء عصرهم.

جرت عادة اصحاب التراجم على تسميته بـ(عصمت) من اسمه (عصمة الله) باعتبار هذا الاسم هو ما كان يعرف به في شعره ويتخلص به. والحقيقة انه تخلص بهذا الاسم في بعض شعره، ولكن كان هذا من قبيل التكرار لعادة الكثير من الشعراء المتقدمين عليه او المعاصرين له في استعمال القسم الاول من اسمهم المركب (مثل اثير بدلاً عن اثير الدين ونجيب بدلاً عن نجيب الدين) في اوخر اشعارهم. فقد كان لقب عصمة الله وتخلصه في اشعاره هو (نصيري) الذي استقاه من لقب ممدوحه الاول نصير الدين خليل حفيد تيمور. وقد تصور بعض القدماء والمعاصرين ان هذا الشاعر كان يتخلص من قصائده باسم (نصيري) وفي باقي اشعاره باسم (عصمت). ومن هؤلاء تقي الدين الذي قال: «كان يتخلص في قصائده باسم (نصيري) بسبب منادمته ومصاحبته للأمير نصير الدين سلطان خليل، بينما كان يتخلص في باقي اشعاره باسم (عصمت)» وذهب بعض المعاصرين الى هذا الرأي فقال: «كان يتخلص باسم نصيري قبل تخلصه باسم عصمت» ولكن حقيقة الامر هي ان الشاعر كان يورد اسمه في بعض قصائده تارة ويورد تخلصه (نصيري) في البعض الآخر تارة اخرى. بينما كان يورد في غزلياته اسمه (عصمت) وحسب، كونه اقصر واكثر تناسباً مع الغزل.

والظاهر في بعض شعره ان تخلصه باسم (نصيري) انما كان بفعل نصير الدين سلطان خليل. وقد كان الشاعر (نصيري) ملازماً للأخير منذ توليه السلطة. والمعروف ان تيمور حينما قصد فتح الصين عسكر في اترار، ولكنه توفي فيها عام ٨٠٧هـ بعد ان عين حفيد (پير محمد) خليفة له. الا ان الامراء الحاضرين في المعسكر بادروا الى تنصيب الميرزا خليل بن جلال الدين ميران شاه، واجلسوه على العرش في سمرقند، فاصطدم في بداية امره بمعارضة ابن عمه (پير محمد) وعمه شاهرخ، لكنه خضع، للاخير وارسل له قسماً من خزائن تيمور، فاقره شاهرخ حاكماً على ما وراء النهر وبقي فيها حتى عزله امراؤه وحبسوه عام ٨١٢هـ. والمعروف عن الامير سلطان خليل انه كان شاعراً ومحباً للشعر، وقد تتلمذ على عصمة الله في فنون الادب ولازمه في ذلك. وبعد ان حبس هذا الامير على ايدي امرائه في قلعة (شاهرخيه) التي بناها الامير تيمور في بلاد ما وراء النهر، خشي عصمة الله كيد العدى، فخرج من سمرقند خائفاً يترقب وبقي سنتين في ما وراء النهر حيران متوارياً عن الانظار، حتى سار شاهرخ للقضاء على الامراء المتمردين في ما وراء النهر، واطلق سلطان خليل من حبسه وجعله ملازماً له ثم توجه الى العراق، وحينئذ عاد عصمة الله الى ملازمة اميره وبقي في خدمته حتى وفاة الاخير في الري في شهر رجب عام ٨١٤هـ، ورافق جنازته الى سمرقند ومنها الى بخارى، ثم اعتزل الناس حتى جاء عهد حكومة الغ بيك في سمرقند فطلبه اليه وجعله ضمن ندمائه ومداحيه الى حين ثم استجازه الشاعر في الانصراف الى بخارى، ومكث هناك حتى فارق الحياة.

ذكر دولتشاه ان وفاته كانت عام ٨٢٩هـ، وكرر تقي الدين هذا القول، الا ان خواندمير اورد في (حبيب السير) مادة تاريخية تشير الى عام وفاته يكون مجموع حروفها ٨٤٠، وورد هذا التاريخ في مخزن الغرائب.

وكان الخواجة عصمت ككثير من المعاصرين له شيعياً، ويفهم ذلك من بعض اشعاره، ولعل نسبه الشريف كان دافعاً للاعتقاد بالمذهب الشيعي او الميل له، وقد ورد في بعض شعره ذكر لنسبه الذي يرجع الى جعفر بن أبي طالب. وعلى اية حال نظم الشاعر عصمت قصائد في ذكر مناقب علي وآله (ع)، على غرار الكثير من شعراء عهده.

بلغت اشعار ديوان عصمت سبعة الاف وخمسمائة بيت، ورفعها البعض الى عشرين الف بيت، وتركزت اغلب قصائد الشاعر حول حمد الله تعالى والثناء عليه وذكر مناقب الرسول (ص) والائمة الاطهار (ع)، ومدح خليل سلطان وشاهرخ والغ بيك وعدداً آخر من رجالات العهد التيموري وكان يحذو حذو معاصريه في تقليد قصائد الشعراء المتقدمين المعروفين ولكنه قلما كان يخضع للتصنع والتكلف المعروفين بين شعراء القرنين الثامن والتاسع، والى جانب ذلك لم يكن يمتنع عن استعمال بعض التراكيب الصعبة احياناً، ويعود الفضل في شهرته الى غزلياته الرقيقة، وكتب دولتشاه بهذا الشأن: «حظيت غزليات الخواجة عصمت العاشقة واقواله العرفانية بشهرة عظيمة في عهد السلطان شاهرخ، بحيث نسي الناس مطالعة وملاحظة اقوال الفضلاء المتقدمين». وفي هذا آية على شهرة الشاعر العظيمة في عصره او السنوات القريبة من عهده[1].

علاء الدين بن محمد حسن مشكور:

ولد بمدينة قم سنة ١٢٦٦، خبير بالتاريخ ذو اطلاع واسع، توفي بعد سنة ١٣٨١.

له «تاريخ طهران»[2].

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

السيد علاء الدين حسين (سلطان العلماء):

هو ابن الميرزا رفيع الدين محمد ابن الامير شجاع الدين محمود الحسيني المرعشي الآملي، احد وزراء الشاه عباس الاول والشاه صفي الصفوي. ترعرع في اصفهان وترقى في المقامات العلمية والحكومية فيها، حتى لقب بسلطان العلماء وخليفة السلطان.

كان جد سلطان العلماء الامير شجاع الدين وابوه الميرزا رفيع الدين من مشاهير زمانهم واعلام عصرهم وحينما كان الاب يشغل منصب الصدارة في زمن الشاه عباس الاول، وصل هو الى مقام الوزارة، بحيث كان الاب والابن يجلسان سوياً في بيت واحد، ويشرفان على ادارة امور البلاد، وبلغت مكانة سلطان العلماء لدى الشاه عباس الاول درجة رفيعة، بحيث زوجه من ابنته خان آقابيگم عام ١٠٣٣هـ، وقد رزق منها بعدة اولاد، كان اكثرهم من مشاهير العلماء في العهد الصفوي.

شغل سلطان العلماء منصب الوزارة خمس سنوات في عهد الشاه عباس الاول، وشغل هذا المنصب بعد ذلك في عهد الشاه صفي لسنتين ولكنه عزل فيها بعد بسبب الخطأ أو الاهانة التي صدرت عنه بحق الشاه صفي في احدى الحروب، وسملت عيون بعض ابنائه ونفي الى قم. فاشتغل فيها بالتدريس والتحقيق.

وبعد فترة استدعاه الشاه صفي الى اصفهان، فبقي فيها الى حين ثم ذهب الى مكة المكرمة، وخلال رحلته توفي الشاه صفي وآلت الامور الى الشاه عباس الثاني، الذي استقبله عام ١٠٥٢هـ استقبالاً حافلاً وقربه اليه، ثم سلمه مقام الوزارة، فبقي في هذا المنصب ثماني سنوات وبضعة اشهر. وقد امضى الفترة الأخيرة من عمره في مازندران. حتى فارق الحياة فيها عام ١٠٦٤هـ بعد عودته من فتح قندهار، فحمل جسده من مازندان الى النجف الاشرف ودفن فيها.

درس سلطان العلماء على ابيه الميرزا رفيع الدين فمحمد والملا الحاج محمود القزويني، وكان رفيقاً للملا خليل القزويني في دروس الشيخ البهائي وسائر علماء زمانه. ترك آثاراً عديدة في العلوم الاسلامية، نورد فيما يلي فهرستاً لها حسب رواية صاحب «ريحانة الادب»: آداب الحج ـ انموذج العلوم ـ توضيح الاخلاق (وهو تلخيص لكتاب الخواجة نصير الطوسي «اخلاق ناصري»). ـ حاشية على تفسير البيضاوي ـ حاشية لحاشية الخضري على شريح التجريد للقوشجي ـ حاشية لشرح اللمعة ـ حاشية لشرح مختصر الاصول للعضدي ـ حاشية المعالم في الاصول ـ حاشية على المختلف للعلامة ـ حاشية على من لا يحضره الفقيه. وقد ورد عن البعض انه وضع اكثر آثاره هذه بعد ان فقد بصره.

علاء الملك بن نور الله الشوشتري:

ولد سنة ١٠٠٠ وتوفي سنة ١٠٥٠.

كان من افاضل علماء عصره وقد درس في الهند على والده وانتقل الى شيراز لمتابعة الدراسة ثم رجع الى الهند واشتغل بالدرس والتدريس.

له من المؤلفات: تهذيب المنطق، وتذكرة محفل فردوس، وانوار الهدى.

الأمير علاء الملك المرعشي (ق ١٠ ـ بعد ٩٨٦):

الامير علاء الملك بن عبد القادر بن شكر الله بن عبد القادر بن منصور بن فغفور بن محمد بن المرتضى بن ابي القاسم احمد بن عبد الله بن محمد (ورد انشاه) بن عبد الله بن ابي الهيجاء سراهنك بن دارا بن ابي طالب سراهنك بن ابي الهيجاء الحسين بن ابي طالب عزيز بن ابي طالب زيد بن الحسن بن علي (المرعش) بن عبد الله بن محمد الاكبر بن الحسن الدكة بن الحسن الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام)، الحسيني المرعشي.

مترجم في رياض العلماء ٣/٣١٣ واحياء الداثر ص ١٤٢، ونقول:

رأيت نسخة من «الرجال» للنجاشي نسخها صاحب الترجمة بقزوين في سنة ٩٦٧ وقابلها وحقق فيها بكل دقة وتثبت وكتب في آخرها نسبه كما ذكرناه، وعمله فيها يدل على سعة اطلاعه في الموضوع ومنتهى دقته.

وكتب مجموعة فيها «خلاصة الاقوال» و«ايضاح الاشتباه» و«رجال الكشي» في سنة ٩٦٤ وصححها بدقة وقابلها على نسخ ممتازة وكتب عليها حواش برمز «عش» ويبدو أنه كتبها في طريق زيارته للامام الرضا (عليه السلام) في هذه السنة، فقد كتب بعض فوائدها في قرية «مزينان» من قرى سبزوار حالة التوجه الى المشهد الرضوي في يوم الثلاثاء ١٦ رمضان من نفس السنة.

وكتب أيضاً نسخة من «تهذيب الأحكام» في سنة ٩٧٤ وقابلها مع نسخة الشيخ حسين بن عبد الصمد الحائري العاملي بقزوين سنة ٩٨٦.

كان يعرف بـ«فاضل خان»[(1)].

السيد علي بن ابراهيم الحسيني الساوجي:

من أعلام القرن الثالث عشر، انتخب وترجم مسائل فتوائية في أحكام الطهارة والصلاة في رسالة عملية من كتاب «نجاة العباد» للشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، وتم الانتخاب في حياة الشيخ، ولعل الساوجي كان من تلامذته.

له «ترجمة نجاة العباد»[(2)].

الميرزا علي بن أبي القاسم (نجم الدين) بن عبد الله بن محمد النراقي:

مجد الدين فاضل فقيه ذو إطلاع في العلوم الإسلامية، من احفاد المولى مهدي بن أبي ذر النراقي، درس في كاشان على المولى محمد النراقي وفي النجف الأشرف على السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني وغيرهما، وكان بها في العشر الرابع من القرن الرابع عشر، ينقل عن بعض أساتذته في الفقه فوائد سمعها عند حضوره لديه في سنة ١٣٣٧.

اديب شاعر متوسط ألشعر في الفارسية والعربية، وكان يلقب بـ«مجد الدين» ويتخلص في شعره بـ«مجد» له: (آمال المجتهدين في

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

شرح تبصرة المتعلمين) و(شرح العوامل المائة) و(عوائص العلوم) في عدة أجزاء[١].

السيد علي اكبر بن ابو القاسم الموسوي البيدهندي:

من كبار علماء خونسار، تتلمذ في العراق على الميرزا محمد حسن الشيرازي وكتب تقريرات درسه، ثم عاد الى خونساري وأقام بها مشتغلاً بالتدريس وإمامة الجماعة والإرشاد، وكان موضع حفاوة وتجليل وقد رأيت استفتاءات منه استفتي فأجاب عليها. . .

تتلمذ لديه اكثر علماء خونسار ومنهم السيد احمد الخونساري وكان البيدهندي زوج أخته، والسيد احمد الصفائي وغيرهما من الأعلام.

توفي سنة ١٣٤٣ أو ١٣٤٤ بخونسار مقارباً للتسعين من عمره[٢].

الشيخ علي أبو الوردي الشيرازي:

ولد في مدينة شيراز، وبها قضى أيام الصبا وعلى علمائها درس الأوليات العلمية وقطع مراحل المقدمات والسطوح.

ثم هاجر الى النجف الأشرف وحضر دروس أعلامها المدرسين في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم الدينية، ومن أساتذته المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني.

ثم عاد الى مسقط رأسه شيراز، فكان من وجهاء اهل الفضل بها، قائماً بوظائف الشرع وخدمة الشعائر الدينية والسعي في حوائج المؤمنين.

وكان جل اشتغاله في شيراز بالتدريس وتربية الناشئين من طلاب العلوم الدينية. وكتب كتابات كثيرة لم تنظم، أما ما نظم منها فهو: حاشية فرائد الأصول، وحاشية كفاية الأصول[٣].

السيد علي بن أحمد الحسني الحسيني الطباطبائي الأصبهاني:

فاضل أديب شاعر، من أعلام اوائل القرن الثاني عشر وكان يقيم بأصبهان: كتب نسخة من «التحفة القوامية» للسيد قوام الدين السيفي الحلي بأصبهان، وأتمها في سابع جمادى الثانية سنة ١١٢٨ وقال في تقريظها:

يا أيها المولى الذي ... هو في معارفه علم
لله تحفتك التي ... من ليس يقبلها ظلم
هيهات ينكر فضلها ... وهو السراج على علم
أبياتها بمدادها ... تحكي الكواكب في الظلم
لم يحو طرس مثلها ... كلا ولا رقم القلم
مني السلام عليك ما ... غنى الحمام بذي سلم

لشيخ علي بن احمد بن صالح العاملي:

من أعلام اوائل القرن الحادي عشر، قرأ عليه الشيخ محمد بن يعقوب القطراني الجزائري كتاب «الإثنا عشرية» والقسم الفقهي من «معالم الدين» وكلاهما للشيخ حسن العاملي، فأجازه روايتها في اول شهر محرم سنة ١٠١٠.

ويبدو من أجازاته انه كان من تلامذة الشيخ حسن العاملي المذكور[٤].

علي بن اسماعيل بن ابراهيم بن احمد القزويني:

من أعلام القرن الثالث عشر الأفاضل، تتلمذ في المعقول أولاً على مشايخ أصبهان، ثم انتقل الى العتبات المقدسة، فاشتغل في المنقول على الشيخ احمد الاحسائي بكربلاء.

يبدو انه كان يناظر استاذه الاحسائي كثيراً في مجالس درسه، وقد كتب اعتراضاً عليه في مسألة المشيأة وقدمه له فما أجاب عنه بحجة رعشة اليد وعدم القدرة على الكتابة - على ما نقله ابن القزويني الشيخ محمد حسين في مجموعة فلسفية كتبها سنة ١٢٨٢، ويظهر من دعائه لوالده أنه توفي قبل هذا التاريخ[٥].

السيد علي الحائري ابن السيد ابو القاسم:

ولد سنة ١٢٨٨ في لاهور (الباكستان) وتوفي فيها سنة ١٣٦٠ كان من اجلاء علماء الشيعة في لاهور واقام فيها المؤسسات العلمية والثقافية.

كان والده في لكهنو وجاء الى لاهور تلبية لطلب قزلباش بيك فاشتغل فيها بالشؤون العلمية فتربى ولده المترجم في رعايته ودرس دروسه الاولى في لاهور، ثم سافر إلى العراق لمتابعة الدراسة وذلك على عهد السيد محمد حسن الشيرازي الشهير، فدرس عليه وعلى الميرزا حبيب الله الرشتي والسيد كاظم الطباطبائي وغيرهم.

وبعد اتمام تحصيله عاد الى وطنه منشغلاً في التدريس والمطالعة والتبليغ. وقد شارك والده في تفسير لوامع التنزيل وبعد وفاة والده تابع العمل فيه الى ثلاثة عشر جزءاً.

وقام خلال اقامته في لاهور بجولات في بومبي وكلكته ولكهنو ودهلي وبشاور وحيدر آباد الدكن.

كانت لديه مكتبة كبيرة تضم بعض نوادر الكتب وبعض المخطوطات وتعتبر من اكبر مكتبات الباكستان، ولكنها تفرقت بعد وفاته واحتفظ اولاده بقسم منها في بيوتهم. واقام مسجداً كبيراً بالقرب من منزله.

من مؤلفاته: الفتاوى الحائرية في ثمانية مجلدات. وفلسفة الاسلام وغير ذلك.

(١) (٢) (٣) السيد احمد الحسيني

(٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

الميرزا علي اكبر طاهر زاده (صابر الآذربايجاني):

شاعر وطني كبير من أبناء آذربايجان الشمالية (القفقاس) ويعتبر من شعراء ومؤلفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري - وأواخر العصر القاجاري ولد عام ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) في شماخي وهي مدينة تجارية قديمة في شيروان. وكان أبوه رجلاً بقالاً ومؤمناً ورعاً تقياً، فتربى الابن في هذه الأجواء، ودخل في الثامنة من عمره، ولكنه كان يتلقى الكثير من الزجر والضرب في (الكتاب) على يد الشيخ وفي البيت على يد أبيه وأمه. وفي سن الثانية عشرة دخل المدرسة التي أسستها جمعية باكو. وكان الشاعر السيد عظيم الشيرواني (١٨٣٥ - ١٨٨٨م) يشتغل آنذاك في المدرسة معلماً للغات الفارسية والأذربايجانية والعربية. ولم يكن صابر يقتصر في نشاطه على دروس المدرسة، بل كان يطالع أشعار نظامي وفضولي وغيرهما من الشعراء الإيرانيين، ويحاول نظم الشعر ويترجم الشعر الفارسي، ثم يعرض ما قام به على السيد عظيم الشيرواني فيسدده هذا ويقوم له ما يجب تقويمه، ويدله على مواضع الخلل، وهكذا نمت قدرة صابر الشعرية وازدادت رغبته في نظم الشعر. وبعد سنة او سنتين من تعلمه للقراءة والكتابة باللغتين الفارسية والتركية، منعه أبوه من الذهاب الى المدرسة، وطلب منه العمل في دكانه، فكان تقبل هذا الامر في غاية العسر بالنسبة لصابر، وهو عاشق الدرس وتعلم الأدب، فنشأ خلاف بين الأب وابنه، مما دفع الأب الى تمزيق دفتر أشعاره. وحتى الثانية والعشرين من عمره لم يذهب صابر الى العمل وانما كان عاكفاً في كل أوقاته على الشعر والمطالعة.

وفي عام ١٨٨٤م (١٣٠١هـ) قام برحلة زار خلالها طهران وسمنان وبسطام وسبزوار ونيسابور ومشهد وسمرقند وبخارى وعدة مدن أخرى، ثم سافر الى كربلاء. وبعد عودته اقترن بفتاة من أقاربه. الا انه ابتلي بكثرة العيال، فاضطر الى فتح دكان لصناعة الصابون، وعلى حد قوله: «لما لم يكن بمقدوره تطهير بواطن الناس، لجأ الى صناعة الصابون لعله يستطيع ان يطهر ظواهرهم». ولم يستطع الشاعر التخلص من آثار دراسته في (الكتاتيب) وماضيه المقترن بالخرافات والتعصب، فكان ذلك مانعاً لتفتح قريحته والتخلص من الطرق الكلاسيكية للشعر لفترة طويلة. وقد بقي ينظم القصائد والغزليات وفق الأسلوب القديم حتى اوائل القرن العشرين، ورغم ذلك جاءت أشعاره مقترنة بالمرح والهزل وانتقاد الأوضاع.

وفي عام ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) أسس الميرزا جليل محمد قلي زاده اول صحيفة فكاهية باسم (ملا نصر الدين)، فجمع مثقفي آذربايجان الشمالية حوله، وانضم صابر الى هذه الجماعة الأدبية، فنشرت أشعاره في العدد السادس (٢٦ مايس عام ١٩٠٦م) من الصحيفة. وهكذا وصلت آهاته الحزينة المنبعثة من وراء جبال القفقاس الشاهقة الى جميع بلدان الشرق، وهدرت في الأسواق والأزقة وأكواخ القرى وقصر الشاه - وإذ كانت فكاهيات صابر تصدر باسم مستعار او دون اسم احياناً، فقد كان الناس يشعرون ان تلك الأشعار لا يمكن ان تكون الا من نظمه. من هنا أخذت اللعنات والعداوات تنهال على رأسه من كل حدب وصوب، ممن تطالهم لذعاته الشعرية - وما اكثرهم - وإذ كانت حياته قاسية منذ البداية فإنها ازدادت قساوة بعد ذلك، حتى عبر عنها بقوله «كنت كسجين محكوم عليه بالأشغال الشاقة». ولم يكن يغفل لحظة واحدة عن خدمة الناس، فكان كما عبر عنه صديقه عباس صحت بقوله: «كان حتى يوم وفاته يتقاضى اجر خدماته من ضميره الحي».

افتتح صابر عام ١٩٠٨م مدرسة في شماخي، ولكنها لم تستمر اكثر من عام واحد، فعاد مرة اخرى الى احضان الفقر والعوز. وكانت الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٨ الى ١٩١٠م (١٣٢٦ - ١٣٢٨) قمة نتاجات صابر الأدبية. يجدر التذكر بأن تيقظ الشعور السياسي في الشرق وظهور الحركات الشعبية للمظلومين في ايران وتركيا وكفاحهم المرير من اجل نيل الحرية كلها امور تحظى بوقع طيب في نفوس أهالي آذربايجان الشمالية (القفقاس) التي اقتطعها الروس من ايران. ولكن بالإضافة الى العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية العميقة بين آذربايجان الشمالية (القفقاس) وآذربايجان الجنوبية التي ظلت ايرانية، فإن أغلب مثقفي القفقاس هم ممن تربو في المراكز المهمة في الشرق ومن الذين يرتبطون مع الشعب الإيراني ارتباطاً عرقياً وتاريخياً ومصيرياً واحداً. ولا يرون أنفسهم في معزل عن ايران وشعبها. ومن هنا لم يكونوا يهتمون بمصير ايران وحسب بل كان اهم طموحاتهم وأهدافهم السياسية الكفاح ضد الرجعية والاستبداد ومساعدة الشعب الإيراني في نهضته وصحوته. ومثال ذلك الميرزا فتح علي الآخوند زاده الذي كان قدوة لأحرار ايران في السبعينات وأوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر. وقد ذكر بعض المؤرخين أنه في الأعوام الأولى من القرن العشرين (١٣١٩ - ١٣٢٧هـ) التي تزامنت مع أوج الكفاح من اجل الحرية وإقرار حكومة المشروطة في ايران «كان عشق التقاليد الإيرانية القديمة قد بلغ في القفقاس حداً بعيداً، بحيث قام أحد عمال القيصر بمنع أهالي آذربايجان من قراءة الشاهنامة خشية الاقتداء بأبطالها: رستم وسهراب وگيو وگودرز».

على أية حال نظم الشاعر الآذربايجاني المتحرر الميرزا علي اكبر طاهر زاده الملقب بـ(صابر) ما يقارب ثلث أشعاره في تلك الفترة، وكانت اغلب هذه الأشعار تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في ايران والبلاد العثمانية. هاجر الى باكو للحصول على عمل في اوائل عام ١٩١٠م ((١٣٢٨هـ) بعد اخماد روح الثورة في ايران، وهناك كان يعمل صباحاً بالتدريس في بعض مدارس المناطق النفطية، ويتعامل مع الصحف ويبعث لها بالمقالات والشعر ويشتغل في المطابع. وهكذا امضى عمره الثمين بين مخالب الفقر والعوز حتى أصيب بمرض السل في خريف عام ١٩١٠م ثم فارق الحياة في عام١٩١١م.

جمعت اشعار صابر الآذربايجاني التي توزعت في صحيفة نصر الدين وغيرها من صحف القفقاس باسم (هوپ هوپ نامة) أي (رسالة الهدهد) والتي يتحدث فيها عن طبيعة الحكومة المطلقة والظلم والفساد الاجتماعي والسياسة-الداخلية والخارجية للحكومة ويذكر المستبدين والمتظاهرين بالدين مثل: محمد علي الميرزا، ظل السلطان، سپهدار، المير هاشم وغيرهم، وطبعت هذه المجموعة عدة مرات في آذربايجان الشمالية (القفقاس) وآذربايجان الجنوبية وترجمت الى اللغة الروسية وعدد من لغات الجمهوريات التي كان يتألف منها الاتحاد السوفياتي.

وكتب عن صابر الأذربايجاني وفنه الشعري شروح وتفاسير كثيرة[١].

علي بن جعفر بن لطف الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن علي بن عبد العالي بن احمد بن مفلح الميسي العاملي الجعفري الخاتمي:

كتب سنة ١٠٤٤ باصبهان في داره المتصلة بالمسجد الشاهي العباسي في مجموعة فقهية مختارات من الحديث والفقه وغيرهما دالة على مكانته العلمية وفضله، وقد وصف نفسه في بعض تواقيعه بـ«المفتي»[٢].

الشيخ علي شريعتمدار الطهراني بن جعفر:

توفي في طهران سنة ١٣١٨، احد مشاهير المجتهدين في العهد القاجاري. درس العلوم الدينية على ابيه، ثم اشتغل بالتدريس والتأليف. وكانت له عدة مصنفات هي:

آينه جهان نما در تاريخ كره ارض واحوال آن، انيس الغرباء، ايضاح التحرير، بحر الدرر، البرد اليماني في الفاظ المعاني، بروج العروج في الهيئة، بروز الرموز، الجامع الناصري في الفقه العملي، وقد الفه لناصر الدين شاه القاجاري، وكان من المقرر ان يتخذ منه قانوناً رسمياً للبلاد، الا انه وُجه بالمعارضة، وله كتب اخرى ورد ذكرها في المجلد الثالث من كتاب ريحانة الأدب، تأليف محمد علي المدرس في الصفحة ٢١٠.

كتب ناظم الاسلام الكرماني عن المترجم قائلاً: «بلغ في حدة الذهن والذكاء درجة كبيرة بحيث صنف بعض الكتب باللغة العربية، ولم يكن يتجاوز سن الثانية عشرة. وحين بلغ العشرين من عمره توفي ابوه، وكان قبل ذلك يؤكد ان الشيخ علي مجتهد أو مراهق للاجتهاد. وبعد وفاة ابيه كانت اسباب الرئاسة والزعامة مهيئة له، كما هو متعارف عليه اليوم بين اولاد العلماء، اذ كان له خادم ومحرر واوقاف كثيرة اضافة الى دار ابيه التي كانت مرجعاً وملجأً للدولة والشعب، فما اكثر ما كان محمد شاه يأتي الى دار الحاج الملا محمد جعفر وهو مشغول بالمطالعة، فيجلس الشاه في الخارج منتظراً خروجه اليه. ولكن مثل هذه المكانة الرفيعة لم تغير الشيخ علي، اذ اعرض عنها وتوجه الى العتبات المقدسة، حيث دروس صاحب الجواهر، فدرس عليه حتى تخرج وحصل منه ومن عدد آخر من العلماء على اجازة مبسوطة، وبعد وفاة صاحب الجواهر (جواهر الكلام) حضر درس الشيخ مرتضى حتى اجيز منه عام ١٢٧٢، فعاد الى طهران فانشغل فيها بالتأليف والتصنيف حتى كتب ما يقارب الثمانين مصنفاً، ولذلك لم يكن يخالط الناس الا نادراً ولا يتردد على شخصيات الدولة واركان السلطنة، وكان امر الرئاسة ويسر المعاش منحصراً في ذلك العهد بمخالطة الناس ومجاملة الدولة، من هنا كان يعيش في غاية العسر والعزلة وسوى مبلغ قليل كان يصله من الديوان لم يكن يحصل على شيء.

وحين ثقلت وطأة العيال عليه لجأ الى صنع بندقية وساعة اسماها ساعة (شب كوك) فاذا كان الشخص يعرف اسمها مَرّ بامان والا وقع في كمينها، وكانت صناعته لهذه الساعة في قرية دزاشيب في شميران وشاهدها جميع رجال الدولة. وحين قدم البندقية الى الشاه ناصر الدين لم يلتفت اليها، فاخذها الشيخ علي وفتحها فحشاها باطلاقة ثم افرغها، فقام الشاه من مجلسه فرحاً، وقال: لقد فاق هذا الشيخ ابن سينا» فاخذ ناصر الدين شاه البندقية وارسلها الى الخارج، فارسلوا له بندقيتين على نفس الطراز بعد مرور عام، فقدم الشاه بدوره احداهما الى الشيخ علي، وقد بقيت لدى ابنه الشيخ محمد رضا شريعتمدار، وحين وقع نظر الشيخ عليها ادلهمت الدنيا في عينيه وضرب يداً على يد وبكى حسرة وأسى قائلاً: لقد كنت اريد خدمة الاسلام، فاذا بي اخدم العدو. وادرك ناصر الدين شاه خطأه فاعتذر للشيخ. ثم قال الشيخ للشاه: استطيع ان اصنع عربة (كالسكا) تقطع فرسخاً عن طريق الشحن (التكويك) ثم تتوقف لبضع دقائق فتفتح ابوابها من جهاتها الاربع لتخلي بعض القذائف المدفعية، ثم تغلق ابوابها وتعود ادراجها. ولكني لن اصنعها حتى يهيىء الشاه قواته ويعزم على قتال احدى دول العدو، عساه على الاقل ان يرجع المدن الايرانية[٣]. فقال ناصر الدين شاه: لم تبق لدينا حروب الا مع رعيتنا، ولدينا ما يكفيها من المدافع[٤]. فتأثر الشيخ علي كثيراً لهذا الرد، فسافر الى مازندران واشتغل فيها بالزراعة وتربية المواشي وعزم على اختراع بعض الآلات الزراعية. ولكنه لم يستمر طويلاً في اقامته بمازندران. حيث قرر وزير خارجية الشاه آنذاك الميرزا سعيد خان ايجاد قانون مدون للبلاد، وتقدم في ذلك الى شخص الشاه، قائلاً: لقد ازدهر الملوك الصفويون لمسايستهم شعبهم، فلو طلب الشاه من العلماء وضع قانون للبلاد، فان الناس - حينئذ - لن يتجاوزوا هذا القانون، وستبلغ الدولة غايتها من الرقي والازدهار. وما زال يحسن هذا الامر للشاه حتى تحمس له وطلب الاستعجال بتكليف احد العلماء الحاذقين بوضع قانون اسلامي لتطبيقه في جميع انحاء البلاد. فقال الوزير: ان هذا الشخص الذي تريده جلالتكم هو الشيخ علي الذي رحل الى مازندران وعزم على الاقامة فيها، فأصر الشاه على استقدامه الى طهران ثانية، وبالفعل اسكن في دار مجاورة لدار الوزير وهيأت له اسباب الحياة الكريمة. فباشر بتأليفه كتاب في القانون الاسلامي من العبادات والسياسة والعادات والمعاملات، حتى واجبات ووظائف جميع الطبقات الاجتماعية، من خدم وجند ورؤساء وسلاطين وحكام وغيرهم، وفي تلك الاثناء توفي الميرزا سعيد خان، فطلب الشاه الكتاب، واطلع عليه ثم امر بطبعه وتنفيذ ما فيه وكلف ابن الوزير بذلك. وكان هذا القانون يحد من سلطة الشاه والحكومة وتسلطها ويضع الامور بيد الشعب، ولم يترك للشاه حرية التصرف في الامور، الا القيام بالصيد، واخذ مرتب محدد. وإذاً فان السلطنة القاهرة التي هي وديعة الهية وهبة ربانية وثمرة جهود الاجداد، ستنتهي وتزول، من هنا خشي ناصر الدين شاه عاقبة الامر، فامر بحفظ الكتاب في المكتبة الحكومية، وهو موجود الى الآن. وبعد فترة ارسل الشاه الى الشيخ مرة اخرى يطلب منه اكمال الكتاب حتى النهاية، فقال الشيخ علي: لقد كان الوزير هو مؤسس هذا الكتاب، وقد توفي، والى جانب ذلك لم تعد لدي القدرة على هذا العمل[٥].

(١) (٢) السيد احمد الحسيني.

(٣) لا شك انه يقصد المدن القفقازية السبع عشرة التي استولى عليها الروس.

(٤) يقصد قمعه المستمر للناس.

(٥) تاريخ الحركات الفكرية في ايران.

علي بن جعفر الخوئي:

أديب فاضل له منشئات ورسائل فارسية أدبية جيدة، أصله ومسكنه مدينة «خوي» المدينة المعروفة بآذربيجان، وبعض منشآته بتاريخ ١٢٤٢.

لعله هو ميرزا علي الخوئي الشاعر المتخلص في شعره بـ«مهجور» وناظم منظومة «فراقنامه».

له «منشئات» بالفارسية(١).

الشيخ علي بن جعفر بن محمد أبو المكارم:

ولد بالعوامية - احدى قرى القطيف سنة ١٣١٣ وتوفي سنة ١٣٦٤هـ، درس على ابيه - النحو والصرف والمنطق والبيان وقرأ الفقه والأصول ثم رحل للعراق للدراسة فدرس على ثلة من العلماء الأعلام فقرأ الفقه والأصول والحكمة والكلام والعلوم الرياضية كالهيئة والحساب والجغرافيا وقد هاجر الى البحرين حيث مكث هناك ست سنوات، ثم عاد الى القطيف حيث توفي فيها ودفن في سبهات.

من مؤلفاته:

١ - اللؤلؤ المنظوم.. في تاريخ الحسين.
٢ - الكبير - جامع في الفقه بالاستدلال.
٣ - المحمدية والجعفرية - في ترجمتي أبيه وجده.
٤ - المستدرك على الفوائد في مسرح الصمدية. وغير ذلك.

الملا علي النوري المازندراني بن الملا جمشيد:

هو واحداً من مشاهير حكماء أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (العهد القاجاري). درس مقدمات علوم عصره في مازندران، ثم رحل الى قزوين اول الامر لاكمال دراسته، وانتقل بعدها الى اصفهان درس فيها على محمد البيد آبادي والميرزا ابو القاسم المدرس الاصفهاني وعدد آخر من كبار رجال العلم في عصره. وقد تحدث عنه الاديب والمحقق المعاصر له رضا قلي خان هدايت فقال: «بلغ بمرور الزمن اعلى المراتب في فن الحكمة الالهية - وانفرد في الاشراق في عصره، سراح يقبل عليه القاصي والداني، ويتتلمذون على يده، وتخرج منهم اصحاب فضل وشأن».

كان درس الملا علي في اصفهان محفلاً لعشاق الحكمة والعرفان في ايران بعد وفاة استاذه محمد البيد آبادي، وكان يحضر درسه اكثر من اربعمائة طالب. وقد ورد ذلك في حديث ابنه علي المدرس في ترجمته لابيه، حيث قال: «بعد ان اكمل المرحوم الحاج محمد حسين خان المروي بناء المدرسة المروية في طهران، تمنى على الشاه ان يستقدم الملا علي النوري الى مدرسته، وحين وصل الاخير الامر اجاب: يوجد في اصفهان ما يقارب الفي طالب، يحضر درسي منهم اربعمائة طالب، فاذا ما قدمت الى طهران كان ذلك مدعاة لشتتهم واضطراب امرهم. فاعاد المرحوم المروي الكرة متمنياً على المرحوم النوري في هذه المرة ان يبادر الى ارسال احد تلامذته اللائقين الى العاصمة» واستجاب المرحوم النوري لهذا الطلب فارسل الملا عبد الله الزنوزي.

(١) السيد احمد الحسيني.

وفي معرض حديثه عن الملا علي النوري يقول السيد جلال الدين الاشتياني: «كان الملا علي النوري اكبر استاذ بعد الملا صدرا وابرز حكيم جامع في الحكمة العالية على طريقة الملا صدرا، وكان هو الشخص الذي لفت انظار افاضل عصره الى اهمية الحكمة العالية، وامضى سبعين سنة في تدريس آثار الملا صدرا مثل: الاسفار والشواهد والمبدأ والمعاد واسرار الآيات والتفسير الكبير، وقد تخرج على يده العديد من الطلاب، ودرّس عدة دورات لكتب الملا صدرا، فكان يتخرج على يده في كل دورة عدد من كبار الافاضل.

ترك آثار قيمة، جديرة بان تطبع مع ترجمة مفصلة له. لقد كانت كلماته محكمة وعميقة ومتميزة تماماً عن جميع آثار معاصريه والفضلاء الذين جاؤوا بعده، وقد كانت بعض حواشيه المختصرة على آثار الملا صدرا كقطع ساطعة من الالماس، واضافة الى عمقها ودقتها كانت تتصف بذوق رفيع»(٢).

اشتهر عدد من تلاميذ الملا علي النوري، كان ابرزهم: الملا حكيم القزويني - الحاج محمد جعفر اللنگرودي وابنه الميرزا حسن - السيد رضي المازندراني - السيد محمد حسين التنكابني - الملا اسماعيل واحد العين الاصفهاني - الميرزا سليمان التنكابني - الملا عبد الله الزنوزي - الميرزا ابو القاسم قطب السلسلة الصوفية الذهبية، اضافة الى الحاج الملا هادي السبزواري الذي كان اشهرهم على الاطلاق.

عرف الملا علي النوري بتأييده ونشره لفلسفة الملا صدرا. وقد ذكر السيد جلال الدين الآشتياني اسماء اساتذته في الفلسفة، فقال: «درس النوري على البيد آبادي (محمد)، ودرس البيد آبادي على الملا اسماعيل (الخاجوئي)، ودرس الخاجوئي على الملا محمد صادق الاردستاني الذي تتلمذ على الملا رجب علي التبريزي والمحقق اللاهيجي والشيخ حسين التنكابني والفيض...».

وكتب مؤلف (ريحانة الادب) قائلاً: «كانت علاقة الصداقة وثيقة بين الملا علي النوري والميرزا القمي، وكان بينهما مراسلات ومكاتبات كثيرة، جاءت عين عباراتها النثرية والنظمية في اواخر كتاب جامع الشتات للميرزا».

توفي الملا علي النوري في اصفهان عام ١٢٤٦هـ ونقل جثمانه الى النجف فدفن فيها. وقد ترك العديد من المؤلفات اهمها:

١ - تفسير سورة التوحيد، نظمها في ثلاثة الاف بيت.
٢ - حاشية على اسفار الملا صدرا، وقد طبعت مع الاسفار عام ١٣٧٨هـ.
٣ - حاشية على شرح الفوائد للشيخ احمد الاحسائي.
٤ - حاشية على (الشواهد الربوبية) للملا صدرا وقد طبعت معه.
٥ - حاشية على مشاعر الملا صدرا.
٦ - شرح كافي الملا صدرا.
٧ - مجموعة اجوبة باللغة الفارسية.

وقد تميز هذا الحكيم المعروف ببراعته بين اهل زمانه في الخط

(٢) مقدمة (الانوار الجلية) للملا علي الزنوزي، بقلم السيد جلال الدين الآشتياني ص٢.

الفارسي وكان في ذلك تلميذاً لاستاذ الخط الفارسي الشهير عبد المجيد الطالقاني ويوجد الآن بعض آثار خطه في المكتبة الروضاتية في اصفهان، واضافة الى قدرته في الخط كان متمكناً في نظم الشعر[١].

علي باشا صالح بن ميرزا حسن خان مبصر الممالك الكاشاني:

ولد في كاشان سنة ١٣٢٢ وتوفي في طهران سنة ١٤١١.

انهى دراسته الابتدائية في كاشان، والمتوسطة والثانوية في المدرسة الامريكية في طهران.

درّس في مدرستي التجارة والنظام، ثم اختير فترة رئيساً لدار الترجمة بوزارة المالية، ثم صار مديراً عاماً لدائرة المطبوعات في وزارة المعارف. ولما تأسست جامعة طهران تولى تدريس الحقوق والنصوص القانونية باللغة الانكليزية فيها، كما تولى تدريس الخطابة في كلية الالهيات.

قام بترجمة نص الدستور الايراني في اللغة الانكليزية وهو النص المعتمد. وكان يعد من المترجمين البارعين والادباء القادرين في ايران، عاش حياة علمية هادئة متواضعة، وكان مكباً على الدرس والتأليف والتحقيق، مولعاً بتتبع ما يكتبه الاوربيون عن ايران، وقد أسس مكتبة كبيرة جعل منها منتدى ادبياً يلتقي فيه ليالي الجمع مجموعة كبيرة من المثقفين والادباء فيتناقشون في شتى القضايا، وقد ظل هذا المنتدى عامراً طيلة خمسين سنة.

له عدة مؤلفات، واهم اعماله ترجمته الى الفارسية كتاب تاريخ الادب الفارسي (الجزء الأول والجزء الثاني) الذي الفه (ادوار براون) في اربعة مجلدات، وتعتبر ترجمته هذه من الاعمال الادبية الكبيرة في ايران[٢].

السيد علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن شدقم بن ضامن بن محمد الحسيني المدني مترجم في رياض العلماء ٣/٤٠٠ وغيره، ونقول:

كانت له صلات علمية بأعلام علماء عصره من الشيعة والسنة، وله معهم مطارحات وأسئلة في الفقه والتفسير والعقائد، وأسئلته على الاكثر تتجاوز عن حدود السؤال وتصل الى حد البحث والأخذ والرد، مما ينبيء عن اطلاعه الواسع في العلوم والآداب وتعمقه في تفهم المسائل، مع الاجتناب عن الفتوى وابداء الرأي القاطع.

قال فيه الشيخ عبد النبي بن سعد الجزائري في رسالته المعمولة في الاشهاد في الطلاق:

«حتى وردت رسالة جليلة وفوائد جميلة صادرة عن سيد جليل وفاضل نبيل.. تنبى عن غزارة الفضل والافضال وتعطي حود (؟) القريحة في الايراد والسؤال..».

وقال الشيخ محمد العاملي حفيد الشهيد الثاني: «اني تشرفت بمكة المشرفة بالاجتماع بالمولى الأمجد الأوحد علامة الزمان وجوهرة الفخر لتاج الأوان..».

وقال في تقريظ رسالة الأوزان الشرعية لصاحب الترجمة: «اني وقعت على هذه الرسالة الجليلة المشتملة على التحقيق البالغ أسنى المراتب والتدقيق الذي عجز عن الوصول اليه كل ذي فكر ثاقب، وكيف له وهو من قد حاز سهام الفضائل بهمة تقصر دونها جميع الهمم ورقى من المعاني الى درجة أضحى بها اشهر من نار على علم، وهو سيدنا الأجل الأفضل زبدة المتبحرين وخلاصة المتأخرين السيد فضل الله علي..».

وقال فيه السيد غضنفر بن جعفر المغلي الحسيني الحنفي:

يا سيد السادات يابن المصطفى
يا آل بيت طاب منه العنصر[٣]

علي بن حسن بن احمد بن مظاهر الحلي، زين الدين مترجم في رياض العلماء ٣/٣٩٣، ونقول:

نقل في بعض حواشي نسخة من «قواعد الأحكام» بعد ايراد مسألة منقولة مشافهة عن فخر الدين ابن العلامة الحلي هذه الاجازة لصاحب الترجمة الناقل تلك الحواشي:

«وقد أجزت ذلك لمولانا وشيخنا الامام العلامة زين الدين علي بن مظاهر ان يروي هذه المسائل عني، فانه قرأها علي حرفاً حرفاً وأجزت له جميع ما قرأه علي ونقله عني في هذه القواعد وغيرها ومما صنفته وألفته وجميع ما حققه والدي قدس الله سره، فليرو ذلك لمن أراد وأحب، وأجزت له جميع ما أمليته عليه من الحواشي والأوراق في هذا الكتاب، فليرو ذلك عني. وكتب محمد بن الحسن بن مطهر في خامس وعشرين ذي الحجة من شهور سنة أربع وخمسين وسبعمائة»[٤].

الشيخ علي اكبر النهاوندي بن الشيخ حسين:

ولد سنة ١٢٧٨ في نهاوند وتوفي سنة ١٣٦٩ في مشهد الرضا وقرأ الأوليات العلمية في نهاوند على الشيخ جعفر البروجردي والحاج ملا محمد السره بندي.

ثم انتقل الى بروجرد فتتلمذ بها على الشيخ آقاحسين شيخ الاسلام، وبقي مدة في مشهد متتلمذاً على الشيخ عبد الرحيم البروجردي، ثم في اصبهان قرأ على بعض العلماء، وفي طهران تتلمذ على الميرزا عبد الرحيم النهاوندي والميرزا حسن الآشتياني وفي الفلسفة على الميرزا محمد رضا القمشه اى والميرزا ابي الحسن المعروف بجلوه وحيدر خان النهاوندي.

ثم هاجر الى العتبات المقدسة في العراق مع سميه المولى علي اكبر النهاوندي، فهبط سامراء ولازم درس الميرزا محمد حسن الشيرازي مدة.

وفي سنة ١٣٠٨ انتقل الى النجف الأشرف، فتتلمذ على السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني والشيخ محمد طه نجف والميرزا حبيب الله الرشتي وشيخ الشريعة الاصبهاني والشيخ محمد حسن المامقاني والمولى لطف الله المازندراني.

واستفاد في علوم الحديث من الميرزا حسين النوري صاحب المستدرك.

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.
(٢) الشيخ محمد رضا الانصاري.
(٣) السيد أحمد الحسيني.
(٤) السيد أحمد الحسيني.

ثم عاد الى ايران سنة ١٣١٧ متنقلاً بين تبريز ونهاوند وطهران ثم سكن مشهد الرضا فكان بها من مراجعه الكبرى.

ترك العديد من المؤلفات.

الشيخ الميرزا علي رضا بن كمال الدين حسين الاردكاني الشيرازي المتخلص والمشهور بالتجلي:

توفي في شيراز سنة ١٠٨٥ ترجم في اعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٤٠ ونضيف الى ما هنالك ما يلي:

حكيم متأله متكلم من مشاهير الشعراء اخذ المقدمات وفنون الادب، من اعلام موطنه اردكان ثم انتقل الى شيراز وقرأ الفقه والاصول في مدارسها ومنها هاجر الى اصفهان وتخرج في العلوم العقلية على الآغا حسين الخوانساري (١٠١٦ ـ ١٠٩٨ هجرية) وغيره ومنها هاجر الى الهند وعظّمه السلطان اورنكزيب من سلاطين المغول في الهند (جلوس ١٠٦٨ ـ متوفى ١١١٨هجرية) والتف حوله الامراء والزعماء متأثرين بعلمه وشعره، وطلب منه الامير علي مراد خان احد امراء البلاط تعليم اولاده حتى سنة ١٠٧٢ ثم عاد الى اصفهان وتصدر للتدريس والفتوى والرئاسة وكان يدرس في مدرسة الوالدة واشتهر امره وطار صيته والتف حوله جمع غفير من طلاب العلوم الدينية وكان نافذ الكلمة مطاع الامر في الاكابر والاصاغر ويعظمه السلطان وقد اهداه السلطان الشاه عباس الثاني (المتوج ١٠٥٢ ـ المتوفى ١٠٧٧هجرية) قرية في مسقط رأسه اردكان وفي عام ١٠٨٠ قصد زيارة بيت الله الحرام حاجاً وزار العتبات المقدسة في العراق وعند رجوعه من الحج سكن شيراز وتصدر للتدريس والفتوى.

ذكره الميرزا عبد الله افندي الاصفهاني المتوفى سنة ١١٣٠ المعاصر له قال: (... فاضل شاعر معاصر وكان جيد الشعر بالفارسية ويتخلص بالتجلي، وهو في اوائل حاله قد قرأ على الاستاذ المحقق ثم سافر الى ديار الهند ثم رجع الى بلاد ايروان واعتلى امره في اصفهان حتى صار في اوائل دولة سلطان زماننا معظما عنده الى ان صار مدرساً بمدرسة الوالدة، ثم استعفى من ذلك وانعزل وسافر الى الحج لاسباب يطول ذكرها مما لا طائل تحته، ورجع الى شيراز واقام بها قليلاً من الزمان ومات هناك سنة خمس وثمانين والف .قصصه وحكاياته الغريبة الطويلة، غفر الله تعالى لنا وله ولسائر المؤمنين... ولما كان هذا الرجل من مشاهير العصر في بلاد الهند وبلاد ايران ذكرت ترجمته في هذا الكتاب والا فلم يكن له رتبة العلماء والانجاب، والاولى بحاله تعداده في درجة الشعراء اذ الانصاف انه ملك الشعراء بل اسهم ورئيسهم فان شعره الفارسي من الطف الاشعار وارقها واعدلها).

يقول عبد الحسين الصالحي ان المترجم له من اعاظم علمائنا الاعلام كان حكيما فيلسوفا له مؤلفات في الفقه والتفسير والكلام قل نظيرها لكن براعته في الشعر وشهرته الادبية سترت سائر فضائله ما حدا بالميرزا عبدالله ان يقول: (... والا فلم يكن له رتبة العلماء والانجاب والاولى بحاله تعداده في درجة الشعراء...) كما كان المترجم له من الثائرين على الاخبارية وشن عليهم حرباً شعواء وكان من رواد المدرسة الفلسفية المعارضة للاخبارية وكانت للاخبارية آنذاك صولات وجولات في المراكز العلمية الشيعية لذا يقول الميرزا عبد الله الافندي (... وله قصصه وحكاياته الغريبة الطويلة غفر الله تعالى لنا وله...)

كان المترجم له من اشعر شعراء عصره عذب الالفاظ لطيف السبك طويل النفس سابقاً فحولهم ومن آثاره الخالدة ديوان شعر يحتوي على مجموعة من قصائده ورباعياته وغزله ومن مؤلفاته العلمية ١ ـ تفسير القرآن فارسي، ٢ ـ منظومة معراج الخيال وهي غرامي عرافني طبع في بمبئى عام ١٣١٣ ٣ ـ سفينة النجاة في الامامة رتبه على مقامات ثلاث في معرفة الله والنبوة والامامة وبسط الكلام في الامامة في اثني عشر اصلا حيث انها الغرض العمدة من الكتاب وخاتمة في المعاد موجزة كتبه ايام اقامته بالهند وفرغ منه يوم الثلاثاء ٢ ربيع الثاني سنة ١٠٦٧ طبع في بمبئى سنة ١٣٠٦ طبعة حجرية، ٤ ـ صراط النجاة طبع في بمبئى سنة ١٣٠٦، ٥ ـ حاشية على حاشية ملا عبد الله اليزدي في المنطق من كتب وغيرها من المؤلفات والرسائل.

علي قلي بن الحسين النطنزي:

فاضل عارف بالعلوم الدينية، له مناظرات مع علماء الأديان، من اعلام اوائل القرن الثاني عشر.

له «أصول الدين» ألفه سنة ١١٠٣.

السيد علي بن الحسين العاملي:

فاضل أديب شاعر، من أعلام القرن الثالث عشر، من شعره قوله من ابيات في تقريظ كتاب «جامع المعارف» للسيد عبد الله شبر ـ ولعله كان من تلامذته:

من شاكر عنا الهمام الذي
أبدى لنا في العلم نهج الدليل
فسل عن العلم تصانيفه
تنبئك عن بحر عريض طويل
وهاك من تياره منهلاً
يروى الظما منه ويشفى الغليل
لا زال يهدي نوره للهدى
ونهتدي فيه لقصد السبيل

السيد علي بن السيد الحسين بن السيد يونس الموسوي اللاريجاني الأصل الحائري المولد والمنشأ الطهراني المسكن:

ولد كربلاء سنة ١٢٧٠ وتوفي في طهران سنة ١٣٥٣ ودفن في مدينة الري في روضة امام زاده عبد الله.

من ارباب الفتوى واساتذة الحكمة الالهية والتفسير والكلام شديد الورع والتقوى اخذ المقدمات وفنون الادب على والده واكمل السطوح

على افاضل علماء الحائر الشريف ثم تفقه على مدرس الطف الشيخ الميرزا علي نقي البرغاني الحائري آل الصالحي وتخرج في العقليات على الشيخ الميرزا علامة البرغاني الحائري آل الصالحي وفي حدود سنة ١٣٠٩ هاجر الى سامراء والتحق بحوزة السيد محمد حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢ وقبل وفاة استاذه الشيرازي أمره بالتوجه الى طهران فهاجر من سامراء الى طهران وانتهت اليه الامامة والتدريس والوعظ والارشاد وكان يقيم الجماعة في المسجد الجامع بطهران ذكره شيخنا الاستاذ في طبقات اعلام الشيعة قائلاً (. . . وقرأ على علماء كربلا والنجف الاشرف مدة طويلة وقرن العلم بالعمل وفاز منها بالحظ الاوفى، وهبط سامراء فحضر بها على المجدد الشيرازي مدة وهبط طهران باذن منه في سنة ١٣١٢ وقبل وفاته بفترة وجيزة ولم يتصدر للزعامة مع انه كان اهلا لها لشدة تقواه وورعه وزهده في حطام الدنيا فقد كان على جانب عظيم من الصلاح والعبادة انزوى عن الخلق وترك المعاشرة وعكف على التأليف . . . واستمر على التدريس والافادة فكان لا يضيع الوقت فيما لا ينفع بل فيما لا يقرب من الله ويجلب رضاه وكانت لنا معه صحبة . . .)[١].

يصف لنا ايام اقامته في طهران خانبا بامشار الطهراني بما هذا تعريبه (. . . عالم فاضل اديب لغوي محدث فقيه مفسر ولد في كربلاء ونشأ بها ثم هاجر الى طهران وكان من اعلام علمائها البارزين ولم يكن له نظير في الورع والزهد والتقوى وكان له حلقة تفسير لاكثر من اثنين وعشرين سنة متوالية يلقي محاضراته في تفسير القرآن في مسجد جامع طهران في اوائل الليل وبعد صلاة المغرب والعشاء ما عدا شهر رمضان والنصف الاول من محرم الحرام وكانت داره في احدى فروع زقاق سوق الحدادين القريبة من المسجد الجامع ولم يسلك طول اقامته في طهران غير الطريق المؤدي بين داره والمسجد الجامع، كما كان يفتح ابواب داره بعد ظهر كل يوم من ايام الجمعة والاعياد الدينية لجميع طبقات الناس حتى توفى في طهران ونقل جثمانه الشريف الى إمام زاده عبد الله في مدينة الري ودفن بها . . .)[٢] .

يقول عبد الحسين الصالحي : ان جده السيد يونس الموسوي اول من هاجر من لاريجان وسكن الحائر الشريف في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة وداره معروفة في كربلاء قرب طاق النقيب الذي يعرف اليوم بـ سوق (النعل چيه) شرق الروضة الحسينية، وله مكتبة صغيرة تحتوي على مجموعة من المخطوطات ويسكنها نجل المترجم له السيد مهدي شمس الفقهاء واولاده اليوم وكان المترجم له من علماء الحائر الشريف شغل كرسي التدريس والفتوى ولا تزال ذريته تقطن في كربلاء.

ترك المترجم له مؤلفات في الفقه والتفسير منها كتاب مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر في اثني عشر مجلداً طبع المجلد الاول في طهران سنة ١٣٣٧ هجرية شمسية وانتهى المجلد الثاني عشر من الطبع في سنة ١٣٤١ هجرية شمسية من منشورات مكتبة دار الكتب الاسلامية

(١) الشيخ اغا بزرك الطهراني: نقباء البشرج ٤ ص ١٤٢٢ نجف الطبعة الاولى.
(٢) خانبا بامشار: مؤلفين كتب چاپي ج ٤ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ طهران عام ١٣٤٢ هجرية شمسية.

وهو تفسير عربي اعتمد على الروايات والاحاديث المروية عن الائمة الاطهار ذكره شيخنا الاستاذ الشيخ اغابزرك الطهراني في الذريعة ج ٢٢ ص ٣٥٥ وقال سهواً انه تفسير فارسي وهو تفسير عربي كما اثبتناه وله تفسير ثاني فارسي وهي مجموعة محاضراته في تفسير القرآن التي كان يلقيها في مسجد جامع طهران ولا يزال مخطوطاً لم يطبع، وله كتاب في الفقه، وتقريرات في الأصول وبعض الرسائل كما حدثني بعض احفاده[٣] .

علي بن الحسين المسعودي :

مرت ترجمته في موضعها من (الاعيان) وننشر عنه هنا هذه الكلمة :

ولد العام ٢٨٧هـ/٩٠٠م في بغداد في أواخر حكم الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩هـ ـ ٢٩٠هـ) وبعده حكم ابنه المكتفي (٢٩٠هـ ـ ٢٩٥هـ) ثم بويع المقتدر (٢٩٥هـ ـ ٣٢٠هـ) وهو ابن ثلاثة عشر عاماً، فاختل نظام الملك بسبب صغر سنه، وعين احد ابناء عمومته المرتضى الذي لم يمكث سوى يوم وليلة .

عاصر المسعودي هؤلاء الخلفاء وما رافق حكمهم من فوضى واضطرابات بعد تدخل العناصر الاجنبية خصوصاً الاتراك في الشؤون الداخلية للبلاد ولا سيما ايام المقتدر التي ظهر خلالها الفاطميون في شمال افريقيا، وعبد الرحمن الثالث الاموي في اسبانيا .

لكن هذه الاحوال المتردية لم تؤثر في نشاط بغداد التي اشتهرت بمكانتها الثقافية والعلمية، فنشأ المسعودي في هذه الاجواء واهتمت اسرته بتثقيفه، فألمّ بالتاريخ والجغرافية، ودرس العلوم اللغوية والادبية، وتعلم اللغات الفارسية والهندية واليونانية والسريانية، كما عاصر كثيراً من المشاهير كالبلاذري وابن قتيبة واليعقوبي والطبري والبحتري وابن حنبل والجنيد . . . وعاشر في صباه الشاعر ابن الرومي . وفي سنة ٣٠٩هـ، فيما بغداد مشتعلة بنيران الصراعات الداخلية والهجومات البيزنطية الخارجية، غادر المسعودي المدينة صوب الاطراف الشرقية من الدولة، فطاف ببلاد فارس وكرمان حتى استقر في اصطخر. وفي العام التالي قصد الهند ثم سيلان، ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وجاب البحر الهندي وجزائره خصوصاً زنجبار ومدغشقر، عاد بعدها الى عمان لينتقل العام ٣١٤هـ مرة اخرى الى ما وراء اذربيجان ثم الى بلاد الشام .

وفي سنة ٣٢٠ هـ ولي الحكم الخليفة القاهر وكان سفاكاً للدم، وبعده حكم الراضي العام ٣٢٢ هـ، وفي ايامه تقطعت اوصال الدولة: بلاد فارس مع بني بويه، ومصر والشام مع الاخشيديين، بينما المغرب وافريقية بيد المهدي الفاطمي، اما الاندلس فتحت حكم بغداد. ولم يعد بيد الخليفة سوى بغداد. واعمالها، قبل دخول البويهيين بغداد. وهذه كانت حال الحكم العباسي التي عاشها المسعودي ولو عن بعد. ومع ذلك لم ينثن عن متابعة ترحاله، فوصل العام ٣٣٢هـ الى انطاكية والثغور الشامية واستقر فترة في دمشق، ومن ثم مضى الى مصر الهادئة فاستقر في مدينة الفسطاط العام ٣٤٥هـ وهي تحت حكم كافور الاخشيدي. وفي العام ٣٤٦هـ توفي بعيداً عن موطنه .

(٣) الشيخ عبد الحسين الصالحي .

وضع المسعودي ثقافته الشخصية وخبرته التي اكتسبها في اجتيازه المدن وتقصي أخبارها في مجلدات ضخمة، تضمنت اقتباسات من كتب كثيرة سابقة له، فكان مصنفاً للتواريخ ولاخبار الملوك كما كان اخبارياً صاحب غرائب وملح ونوادر حسب ابن شاكر في «وفاة الوفيات».

واكثر مؤلفاته لم يصلنا، بل اقتصرت معرفتنا بها على ما ذكره هو في كتابيه «مروج الذهب» و«التنبيه والاشراف» ومن تلك الكتب: كتاب ذخائر العلوم، فنون المعارف، نظم الجواهر في تدبير المهالك والعساكر، الاخبار المسعوديات، تقلب الدول، المبادىء والتراكيب، طب النفوس، الرؤوس السبعة، القضايا والتجارب، كتاب مقاتل فرسان العجم، الزاهي... اما ما اشتهر من مؤلفاته فثلاثة:

١ - «اخبار الزمان»: يقع في ثلاثين جزءاً لم يصلنا سوى الجزء الاول، وفيه ذكر الارض ومدنها وجبالها ومعادنها، وتناول اخبار الملوك حتى العام ٣٣٢هـ.

٢ - «التنبيه والاشراف»: جمع فيه اصنافاً متعددة من الثقافات والعلوم، وتحدث عن الفلاسفة، كما ضمنه صوراً تاريخية وجغرافية ووصفاً لكثير من الاقاليم، وكلاماً عن النجوم وفصول السنة والرياح ومصاب الانهار، إضافة إلى سيرة النبي وعدد غزواته، وسير الخلفاء من بعده والملوك واخلاقهم وكتّابهم حتى العام ٣٤٥هـ.

٣ - «مروج الذهب ومعادن الجوهر»: بدأ بتأليفه سنة ٣٣٢هـ، وانتهى منه العام ٣٣٦هـ. ويعد من اشهر كتب المسعودي على الاطلاق، وهو عبارة عن دراسة تاريخية فريدة تضمنت اخبار البشر وما مضى من الزمان من اخبار الانبياء والملوك والامم ومساكنها، مع تعريف بها ودراسة لجغرافيتها. والكتاب ليس تاريخاً متعدد الحلقات، بل مجموعة من الاحداث والاخبار رتّبها بشكل موضوعي. ويمكن تقسيمه الى جزئين كبيرين. الاول: ويبدأ به بالكلام عن دوافعه لوضع هذا المؤلف والمصادر التي اعتمدها، خصوصاً ما ورد في «اخبار الزمان» و«الكتاب الاوسط». ثم ينتقل الى باب هو بمثابة فهرست مفصل لمواضيع الكتاب (١٣٢باباً). ويختم هذا الباب بالقول «... فهذا ما حوى الكتاب من الابواب على انه قد يأتي من كل باب مما ذكرناه من انواع العلوم وفنون الاخبار والآثار ما لم تأت عليه تراجم الابواب وهو مرتب على حسب ما قدمنا من ابوابه نفردها على سيرهم، مما كان في عصورهم واخبار وزارئهم وما جرى من انواع العلوم في مجالسهم ملوحين بذلك الى ما سلف من تصنيفنا وتقدم من تأليفنا من هذه المعاني والفنون».

اما في الجزء الثاني، فكلام عن خلافة علي بن ابي طالب فالخلفاء الامويين والعباسيين مع ذكر حروبهم واخبارهم حتى يصل الى ايام الخليفة المطيع وما حدث فيها من اخبار وغزوات.

وعلاوة على هذه المؤلفات الثلاثة وضع المسعودي «الكتاب الاوسط في الاخبار على التاريخ» في الفترة بين «اخبار الزمان» و«التنبيه والاشراف»، ولم يصلنا شيء من هذا الكتاب وتجدر الاشارة هنا الى ان المسعودي كان ينوي اصدار كتاب يضم فنوناً من الاخبار والآثار اختار له اسم «وصل المجالس»، لكن لم يتمكن من تأليفه بسبب وفاته.

ومن خلال كتاب «مروج الذهب» يمكن التعرف جيداً الى شخصية المسعودي ومنهجه العلمي، وثقافته الموسوعية واسلوبه. ولعل سبب استقراره في الفسطاط يكمن في استمرار اضطراب الحالة الداخلية في بغداد من جهة، والهدوء والاستقرار اللذين عرفتهما مصر في تلك الفترة من جهة اخرى. الا ان ترحال المسعودي المستمر لم ينسه وطنه الاصلي العراق، فها هو يعبر عن حنينه وشوقه لرؤيته: «واوسط الاقاليم الاقليم الذي ولدنا به، وان كانت الايام انأت بيننا وبينه، وولدت في قلوبنا الحنين اليه، اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل».

كان المسعودي متأثراً بالمحيط الذي عاش فيه، فاضطراب الامور دفعه الى مغادرة موطنه في وقت كانت اعداد المسافرين والرحالة في ازدياد طلباً للعلم وللتجارة بعد اتساع اراضي الخلافة. واستمرت اسفاره خمسة وعشرين عاماً جاب خلالها البلاد وتعرف على احوال الامم وعاداتها. وكان ـ حسب ما يذكر هو نفسه ـ موضوعياً لا يتملق الملك او يخاف من امير ولم يتوان عن نقد بعض الخلفاء العباسيين ووصف نقاط ضعفهم وكيف افلتت زمام الامور من ايديهم.

انشأ المسعودي مدرسة جديدة في التاريخ لم يتبع فيها طريقة السرد القديمة، بل اهتم بالتحليل التاريخي والبحث عن الدوافع. وكان الذين قبله يعتمدون الرواية عن طريق السند «حدثنا فلان عن فلان...». الا ان المسعودي تفرد بذكر الاخبار والحوادث من غير سند مكتفياً بتعداد من اعتمد عليهم من الرواة والمصادر، مسجلاً لنفسه السبق في وضع نظرية النقد المقارن. وهو في هذا المجال اشاد ببعض من اخذ عنهم وانتقد الآخر.

اما المسعودي الرحالة والجغرافي، فيظهر وصفه الدقيق للبحار والانهار ومنابعها ومصابها، وكذلك في كلامه عن الاطوال والاعراض، وعن تقسيم الارض من خلال رحلاته التي بلغت الصين ومدغشقر. وهو حين يتناول الرحلات يتبع طريقة موضوعية اقليمية، فيقسم الدراسات الى مواضيع مستقلة من دون ان يهتم بتتابع اخبار رحلاته والربط بينها.

وصلت الثقة بالمسعودي الى حد التصدي وتصحيح المعلومات الجغرافية، فانتقد الجاحظ الذي زعم ان نهر «مران» الذي هو نهر السند من النيل، واستدل بوجود التماسيح فيه، فرد عليه: ان الجاحظ لم يسلك البحار، ولا اكثر من الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار، انما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين، ويتابع مصححاً: ان هذا النهر يخرج من اعالي بلاد السند ثم ينتهي الى بلاد المنصورة ويصب في بحر الهند.

ولم يكن ترحال المسعودي الذي استمر ربع قرن الا لمشاهدة احوال البلاد ومعالمها، وساعده في هذا معرفته باللغات المتعددة. واضافة الى المعلومات الهائلة في «مروج الذهب»، فقد نوّع المؤلف فيه واتى بأخبار علمية وعادات غريبة دلت على سعة ثقافته وفضوله. وفي تناوله بعض الاخبار المميزة، يشير الى العلامات الدالة على وجود الماء عبر رؤية منابت القصب واللين من الحشيش في المواضع التي يُشتبه بوجود الماء فيها. كما يشير الى طريقة ثانية «من اراد علم ذلك، فلينظر الى النمل، فان وجدها غلاظاً سوداء ثقيلة المشي، فعلى قدر مشيهن الماء قريب، واذا وجد النمل سريع المشي، فالماء على اربعين ذراعاً».

علي رضا بن خدا دوست العلياني :

قرأ تفسير علي بن ابراهيم القمي على شيخه ملا ابراهيم المازندراني، وكتب في آخره انهاءً بتاريخ ١٠٦٢ صرح فيه بقراءته عليه في قرية «كردكلا» من قرى «گيل خواران» بمازندران[١] .

السيد علي بن خلف بن عبد المطلب بن حيدر الموسوي المشعشعي الحويزي :

مترجم في رياض العلماء ٤/٧٧ وأعيان الشيعة ٨/٢٣٥ وذكر في مقدمة كتابه «النور المبين» معلومات عن نفسه ملخصها :

سافر أواخر سنة ١٠٤٩ الى بلاد العجم ولازم الشاه صفي الصفوي قريباً من اربع سنوات، وبعد وفاته لازم ابنه الشاه عباس الصفوي شهوراً حيث رجع باذن الشاه المذكور الى اهله .

وبعد بقاءه سنة تقريباً في بلاده ثار خليل خان البختياري مع الالوار (البختيارية) على الشاه المذكور فوجهه الشاه الى دفعهم مع عساكره، وبعد دحرهم عاد الى «رامهرز» وبقي بها سنين .

وفي سنة ١٠٦١ اعطي حكومة الحويزة .

يروي عن والده السيد خلف المشعشعي والشيخ علي حفيد الشهيد الثاني، واجازه الاخير في اصبهان سنة ١٠٧٦[٢] .

علي رضا الخونساري :

فاضل اديب منشىء خطاط جميل الخط في النسخ والنستعليق، كتب نسخاً من مؤلفات السيد محمد باقر حجة الاسلام الشفتي الاصبهاني بين سنتي ١٢٤٠ ـ ١٢٥٠ وكتب عليها من منشآته في الثناء على المؤلف، ولعله كان من تلامذته[٣] .

الميرزا علي اكبر بن داود (وقايع نگار) بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، مشكاة السلطان التبريزي :

فاضل أديب شاعر بالفارسية جيد الخط والانشاء، اخذ بعض العلوم الأدبية عن أخيه ميرزا علي رضا خان تبيان الملك رضائي .

له «ياقوت أحمر» في ترجمة أراجيز شهداء كربلا نظماً أتمه في ربيع الأول سنة ١٣٤٦ .

توفي بعد سنة ١٣٤٨[٤] .

الميرزا علي رضا بن داود «وقايع نگار» بن محمد جعفر بن محمد صادق بن محمد باقر المروزي، تبيان الملك الرضائي التبريزي :

مذكور في «نقباء البشر» ص ١٦١٣ ، ونقول :

وصفه أخوه الميرزا علي اكبر مشكاة السلطنة في مقدمة كتاب «المقالات التبيانية» بما حاصله : أنه متبحر في العربية والآداب وحصل مقداراً وافياً من الفقه والأصول والعلوم العقلية ويكتب خط النسخ والنستعليق بجودة وله في النثر والنظم يد طولى وتبحر .

له «المقالات التبيانية في المقامات السياقية» . وغير ذلك .

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني .

علي داور :

توفي سنة ١٣٥٢ في لكهنو (الهند) كان عالماً فاضلاً خطيباً مؤلفاً اصدر مجلة شهرية باسم (المبلغ) . وهو من اسرة علمية شهيرة .

الشيخ الميرزا علي بن رستم التبريزي المعروف بـ پيش خدمت :

كان حيا سنة ١٢٨٠ .

من اعلام المحققين في العصر القاجاري عالم فاضل مفسر اديب متضلع حكيم متكلم، كان اصله من تبريز، اخذ المقدمات وفنون الادب عن اعلامها وتخرج في الفقه والأصول على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ وشقيقه الشهيد الثالث واخذ الحكمة والفلسفة عن الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغاني القزويني المتوفى سنة ١٢٩٤ وعندما استوزر الميرزا محمد تقي خان الامير الكبير المتوفى سنة ٢٦٨ هاجر الى طهران وكانت بينهم صلات وعلاقات مودة كان من خطباء المنبر الحسيني في البلاط القاجاري ترك مؤلفات وآثار نافعة . من مؤلفاته المطبوعة ١ ـ كتاب آيات الفضائل في تفسير الآيات النازلة في فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) والائمة من اهل البيت (عليهم السلام) طبع في طهران سنة ١٢٧٣ طبعة حجرية ألفه باسم السلطان ناصر الدين شاه ٢ ـ كتاب جنة الملوك في السير والسلوك طبعه في تبريز سنة ١٢٧١ طبع حجرية ينقل عنه صاحب نفائس اللباب والشيخ حسين بن غلام رضا الفيروز آبادي الحائري وغيرهما ٣ ـ رسالة جمعها من فتاوى الشيخ مرتضى الانصاري في اصول الدين وفروعه وغيرها من المؤلفات المخطوطة[٥] .

علي السلطانيوي :

فاضل أديب حسن الانشاء والتعبير جيد الخط، مشتغل بمدارسة جم غفير من طالبي العلوم الدينية والمعارف اليقينية، ويبدو انه كان يعيش في منتهى الفقر والحاجة .

كتب بخطه النسخ الجيد النسخة الثالثة من كتاب «عدة الداعي» وأتمها في ليلة الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى سنة ٩٧٩، وكتب في آخرها عبارات تنم عن تبحره في الأدب العربي وقوته في التعبير[٦] ،

علي سيف الدولة الحمداني :

مرت ترجمته في موضعها من (الاعيان) وكما مرت عنه دراسات في (المستدركات) . وننشر عنه هنا هذه الدراسة المكتوبة بقلم قصي الحسين :

في كتاب عن الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم، يذكر الدكتور ابراهيم العدوي ان يوحنا تزمسكيس كان اول من فكر في مشروع الحرب الصليبية منذ زمن مبكر يعود الى اواسط القرن الرابع للهجرة ـ العاشر للميلاد، وذلك حين فكّر في استرجاع بيت المقدس اثناء زحفه الى بلاد الشام العام ٣٦٤هـ ـ ٩٧٤م، وهو بذلك يكون سبق الى فكرة الحرب الصليبية بوقت طويل .

(٥) الشيخ عبد الحسين الصالحي .

(٦) السيد أحمد الحسيني .

واذا كان نصيب هذا الاستنتاج من الصحة يجوز على درجة كبيرة من التقدير، غير انه من الضروري التنبه الى ما كان يسبق تلك المرحلة التاريخية، إذ كانت بلاد الشام تتعرض للعديد من الهجمات التي كان يقوم بها البيزنطيون بقيادة قائدهم المعروف نقفور فوكاس وذلك قبل تزمسكيس ببضعة عشر عاماً، وهي شكلت فيما نعتقد البدايات القديمة للحروب الصليبية على المشرق العربي.

يبدو نقفور فوكاس الذي كان الندّ الحقيقي للامير سيف الدولة وكأنه اول من تبنى الحرب الصليبية ونفذها، بحيث سطرت كما نرى على كل غزوة شنّها على العرب الحمدانيين، وعلى الامير سيف الدولة منشىء الدولة العربية الفتية على مقربة من حدود الروم. وتظهر لنا المراجع التاريخية ان هذا القائد البيزنطي كان يمهد لفكرته الصليبية هذه في القسطنطينية نفسها، حين كان يظهر في اعياد الفصح مرتدياً ملابس غريبة مذهبة، منتعلاً نعلاً مذهباً، تشبهاً بالسيد المسيح كما يقول شبنغلر. وكان هذا القائد، اذا خرج لحرب الحمدانيين، حشد في مقدمة جيشه البطاركة والقساوسة وحمل الجنود الصلبان الكبيرة، حتى يعطي الحرب صبغة مقدّسة.

كان نقفور فوكاس ذاته يفصح في كثير من الاحيان عن الهدف الاساسي لتلك الحروب التي كان يشنها على بلاد الشام مستهدفاً أولاً بأول تلك المملكة العربية التي كان على رأسها سيف الدولة في حلب، وذلك للنيل منها وتحطيمها، لأنه كان يرى فيها عقبة كأداء تحول بينه وبين الوصول الى الديار المقدسة.

واشار كتاب الدكتور مصطفى الشكعة «سيف الدولة الحمداني او مملكة السيف ودولة القلم» ايضاً الى فكرة الحروب الصليبية في جميع الاعمال العسكرية التي كان يشنها على وجه الخصوص نقفور فوكاس على الدولة العربية في زمن سيف الدولة. فهو يرى مثلاً ان فكرة الحروب الصليبية كانت الرائد الجوهري لحملات نقفور، وان ظروف تجميع جيوشه واحتوائها على تلك الاجناس المختلفة وافصاحه عن غايته من تلك الحروب باسترداد بين المقدس، كل ذلك كان دافعاً للمسلمين ان ينتبهوا الى هذا الخطر الذي يهدد ديارهم.

كانت الرؤية واضحة تماماً من جانبهم، فنحن نلاحظ كيف بدأت النجدات والامدادات من مال ورجال تتواكب على حلب من الامصار العربية والاسلامية، وبخاصة من خراسان التي كانت هي وغيرها في حكم البويهيين اذ سمعوا حتماً بما كانت توقعه جيوش الصليبية التي كانت تعد في بيزنطية باخوانهم في طرطوس والمصيصة، وما كانت تعمله فيهم من قتل وتعذيب، حتى انها لم تتورّع عن اخراجهم من دينهم وتحويلهم الى النصرانية، والمباشرة بنهب المساجد وحرق منابرها وامتهانها بجعلها حظائر للخيل كما ذكر مسكويه في كتابه «تجارب الامم». وكان من جراء ذلك ان تنبه المسلمون الى الاخطار الجديدة، فتوافدت الآلاف من الجنود المسلمين من شرق الدولة الاسلامية مجهزين بسلاحهم، وانضموا الى جانب جيش سيف الدولة دفاعاً عن ارضهم الاسلامية ودفعاً للاطماع البيزنطية الصليبية البيّنة المعالم والحدود.

يقول الدكتور مصطفى الشكعة في تعليقه على اعمال سيف الدولة العسكرية وشدة بأسه في حروبه مع الروم: «ليس من شك انه ما من قائد اتعب الامبراطورية البيزنطية وسقاها كؤوس المر مترعة، كما فعل سيف الدولة خلال سنوات طويلة من النصف الاول من القرن الرابع للهجرة». ويشير الى انه بدأ حروبه معهم قبل توليه مملكة حلب، وذلك منذ العام ٣٢٦هـ، ويضيف بعد ذلك قائلاً «على اننا اذا ما حولنا تتبع سيف الدولة في كل غزوة من غزواته اراضي الروم، فقد يكون ذلك من الامور المملّة التي ليس مكانها هذه الصفحات، وانما يمكن الرجوع اليها في تاريخ ابن الاثير او زبدة الحلب او تجارب الامم لمسكويه، او غيرها من كتب التاريخ التي تهتم بالجزئيات، ذلك ان سيف الدولة قد قام بحوالي اربعين غزوة ضد البيزنطيين».

ونحن اذ نضيف الى هذه الصورة التي قدمها لنا الشكعة عن القائد العربي سيف الدولة، ما كتبه شبنغلر عن ذلك الامير العربي الذي لم يتهاون في حروبه مع الصليبية البيزنطية عصر ذاك، فلكي نكون محايدين ومنصفين في وقت واحد معاً في الوقوف على الحقيقة من دون زيادة او نقصان. يقول هذا المؤرخ الغربي مثلاً في كتابه عن نقفور فوكاس مشيراً الى سيف الدولة: «والمتصفح لمقتطفات التاريخ البيزنطي في منتصف القرن العاشر ولاكثر من عشرين عاماً من ٩٤٥ الى ٩٦٧م (٣٣٤ - ٣٥٦هـ)، يجد اسماً وحيداً - واكرر ذلك - يطفو على كل صفحة من صفحات ذلك التاريخ كانسان شجاع لا يملّ ولا يكلّ ولا يتعب، وكان عدواً لدوداً للامبراطورية البيزنطية، ذلك هو امير حلب سيف الدولة ابن حمدان الذي كان قاسياً طموحاً لا يعبأ بأي الوسائل في سبيل الحصول على المال للانفاق على جيوشه، وكان يتمتع بشجاعة لا يعرف الخور اليها سبيلاً».

ويحدّثنا بعض المؤرخين انه حين كان سيف الدولة مشغولاً بحرب الاخشيديين لاستخلاص حلب مملكة يلي امرها، حام البيزنطيون (٣٣٣هـ - ٩٤٤م) وانتهزوها سانحة، واغاروا على الثغور ظناً منهم بأن الامير العربي، كان غير قادر - كما يظنون - على الحرب في جبهتين في وقت واحد معاً. ومن المفاجىء للبيزنطيين ان سيف الدولة استطاع ان يقدّر عواقب الامور بسرعة وان يحزم امره. ويقرر وقف معاركه مع الاخشيديين، ليسارع الى ملاقاة البيزنطيين العدوّ الرئيسي، خصوصاً انه كان يرى مهمته تنحصر في حماية الثغور وتأمينها قبل انشاء الملك. ولهذا تراه يسارع فيجهز وينزل الى ارض المعركة في بفراس ومرعش ويكمن لجيش العدوّ في بعض المضايق والشعاب وينزل بهم هزيمة منكرة، ثم يعود ليثبت ركائز ملكه في حلب.

وبعد ثلاثة اعوام نرى الروم يقومون من جديد بغارة على حصن برزويه ويتمكنون منه ويملكونه. وكان هذا الحصن واحداً من الحصون المهمة في الثغور، ولهذا ينهض سيف الدولة الى الحصن ويستمر في حصاره مضيّقاً على الصليبيين فيه، حتى يتمكّن من استرداده ويثبت قوة للجيش العربي داخل موقعه. ومما يذكر في هذا المجال انه انصرف من هذا الحصن الى ميافارقين، ومن هناك عاد الى حلب ماراً بانطاكية حيث التقى الشاعر العربي الكبير ابي الطيب المتنبي في حضور ابي العشائر الحمداني للمرة الاولى، وكان ذلك العام ٣٣٧هـ، عندما انشده قصيدته المشهورة التي تعتبر من عيون شعره ومطلعها:

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه
بان تسعدا، والدمع اشفاه ساجمه

ولم يتأخر الزمن كثيراً بالامير سيف الدولة حتى كانت معاركه الشهيرة مع الروم في العام ٣٣٩هـ - ٩٥٠م. ويذكر المؤرخون ان الامير العربي عزم على تلقين الصليبيين البيزنطيين دروساً لن ينسوها بسهولة، اذ نجده يستعدّ للتقدم منذ ذلك العام في الاراضي البيزنطية فاتحاً مكتسحاً، سيما وانه اخذته نشوة النصر، فظل يضرب في اكناف الارض، والحصون تتساقط امامه وتحت سنابك خيله: حصناً بعد آخر. وتمكّن من اسر عدد كثير من جنود الروم وفتح سمندو وخرشنة وظلّ يتقدم حتى وصل الى صارخة التي تقع على مقربة من القسطنطينية، ففزع البيزنطيون من ذلك النصر الكاسح الذي سجله الجيش العربي في اراضيهم وسيطر الهلع على نفوسهم. وسجّل لنا شعر المتنبي ذلك في قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكره بانتصاره بصارخة فيقول:

تُحلى له المرجُ منصوباً بصارخة
له المنابر مشهوداً بها الجُمعُ

ويذكر احد الباحثين ان المحاربين العرب انتشوا بخمر النصر في ظل قيادة سيف الدولة، واستهانوا بالجيش البيزنطي وكان يرأسه الدمستق نفسه، وصور لنا المتنبي كل ذلك، خصوصاً وانه كان حاضراً تلك المعارك، حيث يقول:

رضينا والدمستق غير راض
بما حكم القواضب والوشيج
فإن يُقدم فقد زرنا سمندو
وان يحجم فموعدنا الخليج

ولعل في هذه الابيات من الإشارات والدلالات ما يسمح لنا بالاستنتاج بأن جيش سيف الدولة كان عازماً الوصول الى الخليج أي البوسفور وذلك من اجل الإطباق على القسطنطينية.

وللأسف فإن مثل هذا التقدم الجريء داخل الحدود البيزنطية كان محفوفاً بالمكاره والمخاطر، اذ ان الامير سيف الدولة، وقد اخذته نشوة النصر، نسي مخاطر العودة التي سيقطع فيها مسافات طويلة في ارض الاعداء، من دون ان يحسب حساباً لمكائد الأعداء الذين سرعان ما حاولوا التربص به وبجيشه في الطريق وسدوا عليه المنافذ - وهم الاعلم بطبيعة بلادهم - فاتصلت المعارك بين الجيشين، واضطر سيف الدولة ان يخفف من احماله التي كانت قد اتعبت خيله وابله، كما احس بخطر الأسرى الكثيرين من قوّاد اعدائه، وخشي انقلابهم عليه. كل ذلك جعل جيشه يفقد توازنه، فتختلل عليه الأمور فلا يعرف اذا كان يجب ان يواجه الاعداء ويصمد امامهم وهم قد تكاثروا عليه، ام عليه ان يفرّ من حوزتهم ناجياً بنفسه معرضاً جيشه للهلاك.

ويقال ان سيف الدولة خاطر بنفسه في تلك المعركة مخاطرة جسيمة، حتى ان من رآه يتجشم الأهوال ظن انه يحاول الانتحار. غير ان الصبح انجلى عن نجاته مع فريق كبير من جيشه، على رغم الخسائر الكبيرة التي خسرها، مما دعا المؤرخين الى وصف تلك المعركة بأنها معركة عجيبة الشأن، لأنها جمعت بين طرفي النقيضين: النصر المؤزر، والهزيمة التي كادت تذهب بالأمير. ووصف لنا المتنبي هذه المعارك بوجهيها، فقال مصوراً انتصار الأمير في معاركه الأولى:

حتى اقام على ارض «خرشنة»
تشقى بها الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
يطمّع الطير فيهم طول اكلهم
حتى تكاد على احيائهم تقع

خروج القبائل على سيف الدولة

لا نستطيع حتى اليوم ان نجزم في ان تحرّك بعض القبائل التي اجتمعت في سلمية وتقدمت الى قنسرين لتقتل والي سيف الدولة عليها العام ٣٤٣هـ - ٩٥٤م، كان بوازع خارجي حرضها بعض القوى العدوة عليه، تلك القوى التي كانت تحسب الف حساب لقيام دولة عربية قوية في حلب الشهباء، وحكم عربي قوي قادر على الإمساك بزمام الدولة واعادة القرار العربي الى ما كان عليه من القوة والمهابة. فالجزم في مثل هذه الامور لا يخلو من الاستهتار في كثير من الأحيان. ولكننا مع ذلك نرجّح حصول هذا الامر وان لم نتوصل الى اثباتات علمية قاطعة، معتمدين فقط على حسّنا السياسي الذي جعلنا نرى في خروج القبائل على امتداد العصور جميعاً امراً لافتاً، له انعكاساته الخطيرة على سلطة الدولة وبنيتها بزعزعة كيانها وقرارها معاً.

وفي مطلق الأحوال، اذا كانت القبائل التي خرجت عن طاعة سيف الدولة وعصت امره وحرّضت على تقويض حكمه، لم تصل الى مبتغاها، غير انها اطمعت الطامعين في الدولة العربية الفتية، كما انها اعاقت تلك الدولة في تقدمها السياسي والعسكري معاً. انها خدمة مقصودة او غير مقصودة قدمتها القبائل العربية العاصية للأعداء الألداء ممثلين بالصليبية البيزنطية.

في روايات المؤرخين عن حرب القبائل مع سيف الدولة ان قبائل عامر بن صعصعة عقيل وقيشر والعجلان وأولاد كعب بن ابي ربيعة بن عامر وكلاب بن ربيعة، كانت اتفقت على ان تخرج على سيف الدولة، حينما آنست في نفسها شيئاً من القوة، وبدأت تعيث الفساد في ارض المملكة. وحين اجتمعت في سلمية وتقدمت الى قنسرين وقتلت والي سيف الدولة عام ٣٤٣هـ، خرج اليهم هذا الاخير مع ابن عمه ابي فراس الحمداني، وظل يطاردهم ويوقع بهم في القوير ثم في تدمر وبادية السماوة حتى استأصل شأفتهم. وتضيف المصادر التاريخية ان سيف الدولة بوحي من شمائله الطيبة وشيمته الكريمة، عفا عن حريمهم واكرم كثيراً من الأسرى الذين وقعوا في حوزته. وخلّد ابو فراس انتصارات سيف الدولة على هذه القبائل في شعره حيث انشد:

ألم ترنا اعز الناس جاراً
وامنعهم وأمرعهم جنابا
لنا الجبل المطلّ على نزار
حللنا النجد منه والهضابا
وقد علمت ربيعة بل نزار
بأنا الرأس والناس الذنابي

كما ان ابا الطيب المتنبي سارع ايضاً الى تخليدها في قصيدته الجميلة الذائعة:

طلبتهم على الأمواه حتى
تخوّف ان تفتشه السحاب
يهز الجيش حولك جانبيه
كما نفضت جناحيها العقاب

ومن حروبه مع القبائل الى الحروب التي خاضها لمواجهة بعض عمّاله الخارجين عليه، سيما ونحن نعلم ما كان يحيط بالسياسة العربية عصر ذاك من حملات تشكيك، ودعوات للإنشقاق والتفسخ. فقد طمع مروان العقيلي مثلاً في ملك سيف الدولة وخرج الى حلب يريد احتلالها، فكان ان تصدى له سيف الدولة واحبط محاولته واعاد الى العرب ثقتهم بأميرهم العربي وقائدهم المظفر. كذلك فعل كل من رشيق النسيمي ودزبر الديلمي وغيرهما.

نظام الفدائيين

ومما يذكره المؤرخون عن جيش سيف الدولة ويتندرون به انه كان نظم فيالق من خيرة جنوده، ودربهم تدريباً خاصاً فيه جرأة ومغامرة وفداء، واقبال على الأعداء ومباغتتهم من حيث لا يتوقعون. وعرفت هذا الفرق باسم حملات القفز وذلك لأنها، كما وصفها احدهم، كانت تعمد في سبيل الوصول الى الأعداء، الى القفز من قمة الى قمة وبكل سهولة ويسر، يقفزون بين هاويتين سحيقتين... واضاف قائلاً: «ثم ينزلون على العدو فيوقعون به شر الوقائع وينزلون الرعب في صفوفه، وينشرون الفزع في معسكراته، ويتركون الكثير من القتلى». وكان الجنود البيزنطيون حين يروون قصص الفدائيين العرب يروونها في كثير من الفزع والرعب.

وجيش الأمير العربي الذي يحمي الثغور ويقف سداً منيعاً في وجه الأعداء، كان له قواده المدربون الذين تتلمذوا على يد الامير وخاضوا المعارك معه، ورسموا خطط الحرب وكابدوها. بالإضافة الى ذلك فقد كانت تجمعهم مع الامير ايضاً اواصر الدم والقربى، فهذا هو ابو فراس الحمداني ابن عمه الشاعر والفارس يخوض كثيراً من المعارك في صحبته، كم كان ينوب عنه في قيادة الجيش اثناء بعض المغازي التي يقوم بها في الثغور، او اثناء بعض المعارك التي ينهض لها لترويض القبائل الثائرة. اما ابن عمه ابو تغلب وائل بن داود بن حمدان، فكان يلي امر حمص ويساند الامير في حروبه مع الروم. وهناك ايضاً ابو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان الذي خاض معارك عدة الى جانب سيف الدولة ومنها معركته في حصن صفصاف الذي فتحه واوغل بعد ذلك في بلاد الأعداء، الى ان لقي مصرعه. ولا ننسى ايضاً ابا العشائر الحمداني الذي كان والياً للأمير على انطاكية، وقد اسر في موقعة عرندس سنة ٣٤٥هـ ـ ٩٥٦م حيث حمل الى القسطنطينية ومات فيها قبل ان يتم افتداؤه. كما علينا الا ننسى هبة الله ومحمد ابنا اخيه ناصر الدولة، وقد ولاهما اكثر من مرة على رأس بعض الجيوش لخوض بعض المعارك.

ان الحمدانيين الذين قال عنهم الثعالبي انهم اسرة من ملوك العرب «وجوههم للصباحة والسنتهم للفصاحة، لعبوا دوراً بارزاً على صعيد السياسة القومية، اذ كانوا يشكلون بحق نواة الدولة العربية في حلب الشهباء، تلك الدولة التي اسست على قاعدتين اساسيتين: قاعدة توحيد العرب والثانية العمل على الوقوف سداً منيعاً في وجه جميع الحملات الصليبية البيزنطية التي كانت تستهدف استرداد البلاد التي خرجوا منها عقب الفتح العربي الإسلامي.

وحقاً، كان بإمكان هذه الدولة التي استقطبت انظار العالم عصر ذاك، وشدت قلوب الناطقين بالضاد اليها، ان تعمل على التوحيد والتحرير، غير ان مؤامرة الاعداء نالت منها وهي في تطور تكوينها وتأسيسها، فانتهى الحلم بموت الحالم فزالت بزوال الحاكم.

الميرزا علي اكبر بن شير محمد بن گل محمد بن محمد طاهر الهمداني، صدر الاسلام، دبير الدين مترجم في «نقباء البشر» ص ١٦٠١، ونقول:

من أساتذته الذين درس عندهم في النجف الأشرف السيد الهندي النجفي ويعبر عنه في مؤلفاته بـ«السيد الاستاذ».

له اجازة الحديث من السيد محمد الهندي بتاريخ يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة ١٣٢٣ وميرزا حسين الخليلي الطهراني بتاريخ ٢٦ رجب من نفس السنة.

وكان بالإضافة الى مقامه العلمي ذا اطلاع واسع بالأدب الفارسي وله منشآت جيدة تدل على تضلعه في البلاغة وتمكنه من الانشاء. ملك نسخة من كتاب «أنوار البلاغة» لآقا محمد هادي المترجم المازندراني وقابلها وكتب عليها حواش قليلة تدل على مبلغ فضله وتبحره[1].

علي بن الصاعد الدمشقي:

أديب شاعر فاضل واعظ، نقل عنه صدر الدين الثاني محمد بن منصور الدشتكي الشيرازي في كتابه «شافع احشر» هذه الأبيات التي قالها المترجم له عند انقراض دولة سعد الدولة:

محمد من دار باسمه الفلك
هذي اليهود القرود قد هلكوا
وقارن النحس سعد دولتهم
وافتضحوا في البلاد وانتهكوا
وشتت الله شمل ملكهم
وبالحسام الصقيل قد فتكوا
ففي العذاب المذاب قد منحوا
وفي الحديد المديد قد سلكوا
فأنتم شر امة سلفت
وأنتم شر أمة تركوا
عبدتم العجل دون خالقكم
فضل ذلك الآيات والنسك
فانظروا صحة العذاب لهم
فعن قليل تراهم هلكوا

وبما أن كتاب «شافع حشر» المذكور قد الف سنة ٩٥٩ فالشاعر من أعلام القرن العاشر أو ما قبله.

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

الحكيم علي الصوفي الاصبهاني:

فاضل اديب شاعر بالفارسية جيد الشعر، كان يشتغل بالطب وهو من أعلام القرن الحادي عشر له شعر نظمه سنة ١٠٤٣(١).

له «خرقه على» كشكول ظاهراً .

الشيخ علي بن طاهر الصوري:

نقل عنه احمد بن الحسين بن العودي رسالة مختصرة جداً في الاصول الاعتقادية في المجموعة التي كتبها سنة ٧٤٠ - ٧٤٢، فالصوري مقدم على القرن الثامن ولا نعلم تاريخه بالضبط.

أقول: الظاهر أنه هو ابو علي الحسن بن طاهر الصوري المذكور في الثقات العيون ص ٥٩ واختلط النسب والكنية على ابن العودي كاتب النسخة(٢).

شاه علي بن عبد الجواد الحسيني المرعشي القزويني:

واعظ، كتب نسخة من كتاب «كشف الغمة» وأتمّها في يوم الأحد ثاني عشر شهر رمضان سنة ١٠٨٣، ويظهر مما كتبه آخر الجزء الأول والثاني انه كان يتعاطى الأدب والشعر(٣).

الشيخ علي اكبر بن عبد الكريم اليزدي:

فاضل أديب، تتلمذ في كربلا على الحاج الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري، والظاهر انه كان يقيم في يزد.

له «حاشية البهجة المرضية» و«تقريرات أستاذه المازندراني» كتبها سنة ١٢٧٥(٤).

الشيخ علي الدامغاني بن عبد الله:

ولد سنة ١٢٨٦ في (الحجّاجي) من قرى دامغان وتوفي سنة ١٣٦٢ في همذان ودفن في جنب مقبرة الآخوند عبد الله البروجردي لأنه كان يرى عدم جواز نقل الجنائز. وقد اسست في اطراف مقبرته مدرسة دينية علمية بسعي ولده الشيخ محمد علي سميت مدرسة الدامغاني، لا تزال من اشهر مدارس همذان حتى الآن.

نشأ في القرية في كنف والده الشيخ علي الدامغاني الذي كان من الوعاظ.

وعني به عناية خاصة عمه الشيخ ابو القاسم الدامغاني الذي كان من وجوه علماء دامغان وأحد تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري، فقد كان عمه هذا يحبه حباً شديداً ويشجعه على تحصيل العلم ويسعى في تعليمه وتربيته.

وبعد دراسة المقدمات ومقدار من السطوح في دامغان، هاجر الى مشهد الرضا(عليه السلام) فأقام به ثلاث سنين متتلمذاً على أعلام مدرسيه، ثم عاد الى دامغان وأقام بها مدة قليلة.

ثم ذهب الى النجف الاشرف لتكميل المراحل الدراسية، فتتلمذ على شيخ الشريعة الاصفهاني والحاج ميرزا حسين الخليلي الطهراني وغيرهما، وكان اكثر استفاداته العلمية من الطهراني وله به اختصاص.

وبعد تخرجه من النجف ذهب الى همذان نحو سنة ١٣٢٠ فأقام فيها للهداية والارشاد(٥).

الدكتور علي اكبر فياض بن السيد عبد المجيد:

ولد سنة ١٣١٧ وتوفي سنة ١٣٩٢ في مدينة مشهد نشأ في اسرة دينية وبدأ دراسته في المدارس الدينية فدرس الفقه والاصول على السيد ابو القاسم أزغندي، والنحو والصرف والادب العربي على الاديب النيسابوري. ثم دخل سلك التعليم عام ١٣٤٧ في مدينة مشهد وقام فيها بتأسيس عدة مدارس ابتدائية وثانوية، وهو أحد مؤسسي كلية الآداب في جامعة خراسان.

تابع دراسته في جامعة طهران ونال شهادة الدكتوراه، وعاد الى مشهد استاذاً من اساتذة كلية الآداب في جامعتها، ثم عميداً لتلك الكلية.

انتدب لالقاء محاضرات في جامعة الاسكندرية سنة ١٣٦٧ عن الادب الفارسي، وقد جمعت تلك المحاضرات في كتاب مستقل مطبوع هو من انفس ما كتب في هذا الموضوع.

وقد اغرته السياسة فانغمر فيها وانتخب نائبا في المجلس النيابي الايراني لعدة دورات. وكان يجيد عدة لغات، منها: العربية والروسيه والفرنسية والانكليزية(٦).

السيد علي محمد شاه عظيم آبادي بن السيد عباس ميرزا بن تفضل علي خان بارهوي:

ولد سنة ١٢٦٢ في عظيم آباد تبنه (الهند) وتوفي في علي گره سنة ١٣٤٥ ونقلت جنازته الى تبنه فدفنت فيها.

كان من الوجهاء الرؤساء ولكنه كان له ميل الى العلم فدرس علوم اللغة العربية على فرحت حسين والشيخ آغا جان، والفقه على السيد مهدي شاه والفلسفة على السيد عبد الله شاه كشميري وغيره.

وكان شاعراً نظم باللغة العربية بعض القصائد التعليمية في الصرف والنحو العربيين.

معظم مؤلفاته باللغة الاردوية وله بعض المؤلفات باللغة العربية واللغة الفارسية. من ذلك ١ - مردم ريده. وهو في تراجم العلم العالميين ٢ - ترجمة الاسلاف (باللغة الفارسية) في عشرة اجزاء ٣ - ذخيرة الأدب، وهو في الشعر والبيان والعروض والقوافي الاردوية، وهو كتاب ضخم ٤ - الامثلة الاردوية ٥ - كتاب في تاريخ محافظة بهار ٦ - كليات غزل، وهو قصائد ورباعيات ومقطوعات شعرية ٧ - تذكرة الادباء. وغير ذلك

---

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

(٥) السيد احمد الحسيني.

(٦) الشيخ محمد رضا الانصاري.

الميرزا علي اكبر بن علي بن محمد اسماعيل بن محمد مهدي النواب الشيرازي:

فقيه اصولي فيلسوف اديب شاعر حسن الانشاء بالفارسية، من أعلام القرن الثالث عشر، تتلمذ على الميرزا حسن الطبيب في الفلسفة، له خبرة واسعة في الرياضيات والعلوم المتداولة.

كان مدرساً يحضر لديه جماعة من افاضل الطلبة والمشتغلين، ويبدو من تواريخ بعض مؤلفاته انه كان سريع التأليف مع الاجادة فيه.

له «بحر اللآلي» في أربعة عشر مجلداً، و«التنبيهات» في الأصول ألفه سنة ١٢٥٧، و«شرح مبحث الوقت والقبلة» من شرح اللمعة أتمه في ربيع الأول سنة ١٢٥٥[1].

الميرزا علي اكبر بن علي بن ابي القاسم بن عيسى الحسيني القائم مقامي الفراهاني:

فاضل جامع متتبع، أديب شاعر بالعربية والفارسية.

ويبدو مما كتبه بعض على بعض كتب صاحب الترجمة انه كان يملك مكتبة كبيرة قدرها هذا الكاتب بثلاثين الف كتاب بيعت بعده وتفرقت.

له «بهارستان» كتب بعض فوائده في سنة ١٢٧٥[2].

شرف الدين علي بن شمس الدين علي اليزدي الملقب والمعروف بـ(مخدوم) والمتخلص بـ(شرف):

من مشاهير شعراء وكتاب ومؤرخي وعلماء النصف الثاني من القرن الثامن والنصف الاول من القرن التاسع الهجري. ينتسب الى عائلة معروفة في يزد، وكان يتمتع بين اهل يزد باحترام كبير وعزة ورفعة بسبب مقامه المعنوي، وكانت مقاماته المعنوية والدنيوية معروفة في تلك النواحي.

شهد شرف الدين عهد آل المظفر وعهد التيموريين، وحظي بحرمة واحترام في بلاطات العهدين وعزة وتكريم بين اوساط ملوك وامراء ورجالات هذين العهدين. وكان ابوه شمس الدين علي من كبار رجالات بلاط آل المظفر وهو عالم وشاعر وله قصيدة في مدح الملك يحيى المظفري، وكما يظهر من قول محمد المستوفي البافقي ان شمس الدين علي هذا هو باني المسجد الجامع في محلة (مير چقماق) في يزد، ثم بنى شرف الدين المدرسة (الشرفية) بجوار هذا المسجد، ودفن فيها. وكان شرف الدين يكثر من الفخر لانتسابه لمثل هذا الاب الجليل الشأن ذي المقام الرفيع.

كان شرف الدين يتخلص في اشعاره باسم (شرف) كما يبدو ذلك واضحاً في شعره، وفي الوقت ذاته كان مشهوراً وملقباً بـ(مخدوم) وقد جاءه هذا اللقب - على ما هو مشهور - من مخاطبة شاهرخ له بـ(جناب مخدومي) والظاهر من بعض شعره ان نسبه يرجع الى آل البيت (ع)، ويشاهد في شعره احياناً ميله للتشيع وحتى اعتقاده بهذا المذهب.

امضى الشاعر فترة شبابه في طلب العلم، ويظهر هذا الامر بجلاء من خلال المعلومات الادبية الواسعة وتنوع مؤلفاته في المسائل العلمية والادبية. سطع نجمه في عالم الشعر والادب في عهد حكومة الملك يحيى المظفري (٧٦٠ - ٧٩٥هـ) حين مدح هذا الملك وذكره بخدمة ابيه في بلاطه وربما في بلاط ابيه (الامير مبارز الدين). وحين آلت الامور الى تيمور باسطا نفوذه على جميع انحاء ايران، ومستاصلاً وجود دولة آل المظفر، دخل شرف الدين في خدمة دولة التيموريين، واضحى من خاصة ندماء حاكم فارس مغيث الدين ابو الفتوح الميرزا ابراهيم السلطان بن شاهرخ ومن المقربين جداً اليه. وقد امضى عدة سنين معه في مقر حكومته في شيراز، والف في غضون ذلك (في عام ٨٢٨هـ) كتاب (ظفرنامه) بامر من هذا الامير، وبقي ملازماً للامير ابراهيم السلطان حتى وفاة الاخير عام(٨٣٨هـ) فلازم ابنه الميرزا السلطان عبد الله، او كما ذكر بعض المؤرخين انتقل الى يزد واعتزل في خانقاه (تفت) تفت او لازم بلاط قطب الدين ميرزا السلطان محمد بن بايسنقر الذي عينه شاهرخ حاكماً على العراق عام ٨٤٦هـ.

وفي حديثه الذي خلط فيه بين بعض مراحل حياة الشاعر شرف، ذكر مفيد المستوفي انه كان في بداية امره نديماً للسلطان شاهرخ حيث قال «كان لمدة طويلة ينعم بموقعه الخاص كانيس ونديم مقرب من الخاقان ذي اللواء المظفر معين السلطنة الميرزا شاهرخ، الذي انعم عليه بلقب (جناب مخدومي)» ثم يشير المستوفي بعد ذلك مباشرة الى حادثة تمرد الميرزا السلطان محمد بن الميرزا بايسنقر التي وقعت في ٨٤٩ و٨٥٠هـ ويذكر ان شرف كان آنذاك في ركاب الامير المذكور. من هنا يمكن الاستنباط بان المستوفي حسب ان شرف الدين بدأ حياته في خدمة شاهرخ ثم انتقل مباشرة الى ركاب الميرزا السلطان محمد، دون ان يمر خلال ذلك بملازمة الميرزا السلطان ابراهيم. الا ان ما تجمع عليه التواريخ المتعلقة بيزد هو ان شرف امضى فترة من حياته في يزد مشتغلاً بالافادات المعنوية، بل قيل انه اعتزل فترة في خانقاه تفت وقام بتربية المريدين وبقاؤه لعدة سنوات في يزد وربما في تفت لا بد ان يكون بعد خروجه من بلاط حكومة الامير الصغير الميرزا عبد الله بن الميرزا سلطان ابراهيم، ثم لازم بعد ذلك الامير الميرزا السلطان محمد بن الميرزا بايسنقر بن شاهرخ بناء على دعوته.

وكان قطب الدين الميرزا سلطان محمد بن الميرزا بايسنقر بن شاهرخ قد عين عام ٨٤٦هـ حاكماً على العراق ودخلت ولاية سلطانية وقزوين وقم في حكومته، ثم الحق ولاية همذان بهذه المناطق. وطمع عام ٨٤٩هـ بالاستيلاء على اصفهان وشيراز فتوجه على رأس قواته الى تلك المناطق مما دفع الميرزا السلطان عبد الله الى التحصن في شيراز حتى توجه شاهرخ عام ٨٥٠هـ الى العراق وفارس وهو في غاية الشيخوخة ووصل منتصف طريق شيراز، وحين رأى الميرزا السلطان محمد ان الامر يتجه في غير صالحه رفع الحصار عن شيراز وهرب الى لهستان بحرمه وحاشيته وعبيده.

وكان شرف الدين اليزدي في غضون تلك الاحداث ملازماً للميرزا السلطان محمد وأحد مستشاريه الى جانب عدد آخر من الفضلاء والشعراء الذين كانوا ملازمين لهذا الامير. وبادر شاهرخ بعد فرار الامير المتمرد الى قتل العديد من الاشخاص الذين شجعوه او دفعوه الى

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

التمرد، ولكنه عفا عن شرف الدين علي تقديراً لخدماته السابقة وبسبب شهرته وشعبيته.

وفي مطلع السعدين اورد كمال الدين عبد الرزاق السمرقندي تفصيلاً لما لقيه شرف من شاهرخ بعد تلك الحادثة، وخلاصة قوله ما يلي:

كان شرف الدين قد عُرِّض في مدحه للميرزا سلطان محمد قائلاً ان من الافضل ان يتنازل شاهرخ عن الحكومة لكبر سنه لشاب مثل السلطان محمد، وكان ايضاً يشجعه ويدفعه للعصيان بحجة ان شاهرخ لن يتعقبه الى داخل العراق، وحين حضر شرف الدين بين يدي شاهرخ انكر كل ما نسب اليه وقال انه لم يكن يتصور ان سلطاناً شاباً وبرعماً يافعاً في حديقة السلطنة مثل السلطان محمد يخطر بباله التمرد والعصيان. وكان السلطان شاهرخ في غاية الغضب فبادر الميرزا عبد اللطيف بن الغ بيك بن شاهرخ الذي كان حاضراً في المجلس في محاولة منه لانقاذ الشاعر من الانتقام الى توجيه اهانة قاسية الى الشاعر بحضور السلطان ثم طلبه من جدّه ان ينتقم منه بنفسه، فدفعه السلطان اليه، واستطاع الامير انقاذ الشاعر بهذا الاسلوب وتركه ليغادر نحو هرات.

ويزعم مفيد المستوفي ان الميرزا عبد اللطيف ارسل شرف بعد انقاذه الى سمرقند، وبقي الشاعر ملازماً للميرزا الغ بيك هناك، حتى توفي شاهرخ عام ٨٥٠هـ، واستولى الميرزا السلطان محمد على فارس والعراق مرة اخرى، فاستأذن في الانصراف «وتقرر لمعاشه سنوياً مبلغ خمسة عشر الف دينار من اموال يزد».

وذكر مفيد المستوفي ان عودة شرف الدين الى يزد كانت في عام ٨٥٣هـ، وقال انه بعد شهر من دخوله يزد «ذهب الى قرية تفت وأقام في حديقة مخدوم التي بنيت بهمته، وباشر بالتدريس استجابة لرغبة العلماء...» وبقي هناك حتى فارق الحياة عام ٨٥٨هـ ودفن في (مزار شرفيه) بجوار المسجد الجامع لمحلة مير چقماق في مدينة يزد الذي كان قد بني على يد ابيه شمس الدين علي. وفي تاريخ حبيب السير ذكر المؤلف ان وفاة الشاعر شرف كانت في عام ٨٣٤هـ، وهو تاريخ سقيم لعله كان من عمل النساخ او الاغلاط المطبعية، وعلى اية حال فهو تاريخ مخالف لجميع ما لدينا عن الشاعر واما عام ٨٥٨هـ فقد تكرر ذكره عاماً لوفاته في تاريخ مفيد المستوي وتاريخ احمد بن حسين بن علي الكاتب وفي خلاصة الاشعار لتقي الدين الكاشي.

وذكر البعض ان شرف الدين امضى فترة من عمره في السير والرياضة والتهذيب مع صاين الدين علي (أو محمد) تركه الاصفهاني. شارح فصوص الحكم ومؤلف الكتب والرسالات المعروفة. ولا يستبعد ان يكون هذا الامر صحيحاً اذا ما لاحظنا اقبال جميع العلماء والادباء في ذلك الوقت على التصوف والرياضة الروحية، ولكن في الوقت ذاته لا يمكن ان نأخذ مشاغل الشاعر في البلاطات واعماله العلمية والتعليمية دليلاً على صحة الخبر، لا سيما وان الحياة الصوفية الزاهدة لا بد ان يرافقها الاعتزال والانقطاع عن العلاقات الدنيوية.

واذا كان شرف الدين ضعيف البنية ضئيل الجسم بحيث يسبب له ذلك متاعب في بعض الاحيان، الا انه كان في الوقت ذاته قوي الهمة رفيع المقام غزير الفضل.

ترك شرف الدين العديد من الآثار المنثورة، من اهمها منشآته وكتابه (ظفر نامه)، واذا كان شرف الدين يذكر عادة ضمن كتاب ومؤرخي القرن التاسع الهجري، فانه كان في عهده معروفاً بين معاصريه بالشعر اضافة الى النثر. وجاء الحديث عن شعره في آثاره المنثورة وفي العديد من كتب المؤرخين واصحاب التراجم. ففي تاريخ يزد مثلاً اورد جعفر بن محمد الجعفري مقداراً كبيراً من اشعاره وهي جديرة بالملاحظة الى حد ما. واضافة الى ذلك وضع الشاعر منظومة بالبحر المتقارب في ذكر فتوحات تيمور، وضمن كتابه (ظفرنامه) العديد من ابياتها. وديوان شعره موجود الآن وفي ايران وتركيا نسخ منه، وكان تقي الدين الكاشي قد اورد في كتابه عدداً من قصائد الشاعر وغزلياته ومقطعاته الواردة في الديوان.

سلك شرف الدين في قصائده مسلك كبار اساتذة الشعر في القرنين السادس والسابع الهجريين مثله في ذلك مثل ناظمي القصائد في القرن الثامن، وكان موفقاً وناجحاً في هذا المجال، وسلك في غزلياته مسلك المتقدمين وخصوصاً اصحاب الغزل في القرن الثامن، ولم نلاحظ لحد الآن في غزلياته اي اثر لخيالات ومضامين اصحاب الغزل في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة، وجاءت آثاره خالية من اخطائهم اللفظية والمعنوية. وكان شعره منتخباً ومرتباً.. ولعل ذلك هو السبب الذي جعله يعتقد بسمو مكانته في الشعر[1].

السيد علي محمد بن علي الحسيني:

فاضل جليل من اعلام القرن الثالث عشر، له عناية بالكتب الفقهية وقد تملك واستكتب كثيراً منها، وكتبت له في العقد الخامس والسادس من هذا القرن كتب ومجاميع كبيرة رأيت عديداً منها بختمه البيضوي «علي محمد بن علي الحسيني»[2].

كتب له الميرزا عبد الله الخوانساري نسخة من كتب «مسالك الافهام» في سنة ١٢٥٠، ووصفه فيها بقوله «ممتثلاً أمر العالم الفاضل الكامل النبيل السيد السند الجليل المحقق المدقق الحري بالاعظام والتبجيل زبدة العلماء والمحققين وعمدة الفضلاء والمدققين سلالة السادة وقادة القادة وصاحب الافادات الجميلة والافاضات الجليلة»[3].

السيد علي الكوهكمري بن علي نقي:

توفي سنة ١٣٦٠ في تبريز ودفن في قم.

كان اكثر دراسته في النجف الأشرف، حيث تتلمذ فقهاً وأصولاً على الميرزا حبيب الله الرشتي والمولى محمد الفاضل الايرواني والمولى محمد الفاضل الشرابياني وغيرهم.

وعاد السيد بعد اكمال دروسه في النجف، الى تبريز مشتغلاً

---

(١) ذبيح الله صفا.

(٢) كتب على بعض المجاميع ان هذا هو صاحب «رياض المسائل»، وهو كلام غير صحيح، فان صاحبَ الرياض اسمه السيد علي بن محمد علي وتوفي سنة ١٢٣١، اي قبل كتابة هذه المجاميع.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

بالوظائف الشرعية من الهداية والارشاد واقامة الجماعة وغيرها من الواجبات الدينية.

ترك حواشي على بعض كتب الفقه والاصول(١).

علي اكبر بن غلام علي الكرماني الخراساني، مروج الاسلام:

عالم جليل ذو اطلاع جيد بالعلوم الدينية، فقيه محدث اديب شاعر بالفارسية. يتخلص في شعره بـ«شفيق»، من أعلام القرن الرابع عشر.

له «هدية المحدثين» ألفه سنة ١٣٤٨(٢).

علي بن القاسم المسكناني:

فاضل-فقيه متبحر في الفقه، من أعلام النصف الثاني من القرن الثاني عشر ولعله عاش الى اوائل القرن الثالث عشر.

له «منتخب الصنائع في شرح مفاتيح الشرائع» أتم تأليف بعضه سنة ١١٨٤ ـ ١١٨٦(٣).

الشيخ علي القزويني الحائري:

فقيه جليل، من علماء كربلا في اوائل القرن الرابع عشر.

له «كشف المرام عن اسرار رياض الأحكام» تم كتاب الطهارة منه سنة ١٣٠٤(٤).

الشيخ علي قلي خان بن الامير قرچغاي خان التركماني الاصفهاني القزويني:

ولد سنة ١٠٢٠ هجرية كما صرح في كتابه احياء الحكمة وكان حيا في رمضان سنة ١٠٨٣ من اكابر الفلاسفة الالهيين والعرفاء الربانيين مؤلف مكثر محقق خبير جامع العلوم والفنون الاسلامية. ترجم في اعيان الشيعة المجلد الثامن الصفحة ٣٠٢ ونضيف إلى ما هنالك ما يلي:

لم اقف على تاريخ وفاته الا أنه قد شرع في تأليف كتابه خزائن جواهر القرآن في رمضان سنة ١٠٨٣هـ كما صرح بذلك في مقدمته وقد فرغ من تأليف كتابه احياء الحكمة في سنة ١٠٧٦ وعمره ست وخمسون سنة فيظهر انه ولد سنة ١٠٢٠.

اخذ العلوم الاسلامية وفنون الادب على افاضل علماء اصفهان وتخرج في الفلسفة والعرفان من مدرسة العلمين الاغا حسين الخوانساري والفيلسوف ملا شمسا الگيلاني واخذ الفقه والحديث من المجلسي الاول الشيخ محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠ حتى نال قسطاً وافراً من العلوم العقلية والنقلية واحرز كرسي تدريس الفلسفة العالية من كلٍ من اصفهان وقم وكان من المقربين في البلاط الصفوي وهو اول من هاجر من هذا البيت الجليل الى قم مع فرمان من الملوك الصفويين بتعيينه سادناً للروضة. ومتولياً لموقوفاتها وحاكماً على قم وضواحيها وانتهت اليه الرئاسة التامة وزعامة العامة وكان والده قرچغاي خان التركماني من امراء الشاه عباس الصفوي (جلوس ٩٩٦ ـ المتوفى ١٠٣٨) وحاكم خراسان وكان له ثلاث اولاد اكبرهم الشيخ منوچهرخان من اكابر علماء عصره وحاكم خراسان بعد ابيه الآتي ذكره وثانيهم المترجم له وثالثهم الشيخ محمد علي خان التركماني والد الشيخ محمد كاظم التركماني ومن اعلام هذه الاسرة العريقين في علم الفلسفة نجل المترجم له الشيخ مهدي قلي خان صاحب مدرسة مهدي قلي خان في قم المشهورة حتى اليوم باسمه. وهو الآتي ذكره.

لقد ترك المترجم له مؤلفات هامة وتحقيقات رصينة في العلوم المختلفة لا سيما الفلسفة والعرفان والتفسير نذكر اشهرها واهمها: تفسير خزائن جواهر القرآن في اربعة مجلدات جاء في مقدمته انه لما رأى تفسير آيات الاحكام للمقدس الاردبيلي وقصص الانبياء للقطب الراوندي تضرع الى الله بأن يوفقه لجمع جميع ما في القرآن الكريم من آيات التوحيد وآيات الايمان وآيات الاحكام والقصص وآيات المواعظ والحكم وآيات خلق السموات والارض وآيات احوال الرجعة والبرزخ وآيات الحشر والنشر وآيات الجنة والنار وايراد تفاسيرها المروية وتحقيق كلمات الروايات المفسرة جملة جملة فوفقه الله وشرع في التأليف في (رمضان سنة ١٠٨٣ (هجرية) وبدأ في المجلد الاول منه بآيات التوحيد وختم المجلد الرابع منه بآيات الجنة والنار ويحتوي كل مجلد على خزائن وفي كل خزينة عدة فصول فانهيت الخزائن في الكتاب الى ثلاث وعشرين خزينة فيها ستون فصلا وسبعة ابواب. ويعبر فيه عن السيد المير الداماد بسيد الحكماء المتأخرين، وعن المولى صدر المتألهين الشيرازي بالفاضل العارف الشيرازي، وعن المفسر الشهير الفيض الكاشاني بالفقيه القاشاني والنسخة بخط المؤلف وقد وقفها ولده الشيخ مهدي قلي خان وقفا خاصا لساكني مدرسته التي بناها في سنة ١١٢٣ في قم وتعرف حتى اليوم بمدرسة خان.

٢ ـ كتاب فرقان الرأيين وبنيان الحكمتين: في الفرق بين حكمة القدماء مثل ارسطاطاليس وافلاطون والمتأخرين مثل الفارابي والشيخ الرئيس ابن سيناء والمير باقر الداماد ذكر فيه اربعاً وعشرين مسألة مما اختلف فيه القدماء والمتأخرون وفي اواخره اختار الحدوث الدهري الذي اختاره السيد المير محمد باقر الداماد كما صرح به ارسطو ثم احال الى كتابه احياء الحكمة وعندنا نسخة خط المؤلف من مخطوطات مكتبتنا بكربلاء ٣ ـ احياء حكمت: (إحياء الحكمة) مشتمل على كل مباحث المنطق وجميع فنون الحكمة المتعالية في اكثر من ثلاثين الف بيت ٤ ـ كتاب شرح اثولوجيا: في تمهيدات في الحكمة خاصة، في خمسة عشر الف بيت ٥ ـ كتاب المنطق المشهور بمنطق علي قلي خان: فارسي في المنطق نسخه مخطوطة منها في مكتبة الروضة الرضوية في مشهد برقم ١١٢٠ مسجلة في المكتبة ٦ ـ زبور عارفين، فارسي في العرفان رتبه على مقدمة وثلاثة ابواب في حقيقة النفس والترغيب في العالم العقلي والتزهيد في العالم الحسي وتعليم مراتب السلوك ٧ ـ كتاب مزامير العاشقين في زبدة زبور العارفين: في العرفان معرب كتابه زبور العارفين وبراق العاشقين مع بعض الالحاقات والاضافات رتّبه على مقدمة في حقيقة النفس وثلاثة ابواب: ١ ـ في التشويق الى العالم الشريف العقلي الالهي ٢ ـ في التزهيد بالعالم الحسي الطبيعي ٣ ـ في

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

تعليم مراتب السلوك من اولها الى آخرها الذي هو مقام الفناء وفصول في الاوراد والمناجاة ودفع بعض الشبهات ومنه نسخة مخطوطة تحت رقم٦٥٦٧ في مكتبة سپهسالار بطهران ٨ ـ كتاب التعليقات في الفلسفة ٩ ـ كتاب التمهيدات في الفلسفة ١٠ ـ كتاب التنقيحات ١١ ـ كتاب الايمان الكامل في الحكمة المتعالية ١٢ ـ كتاب سبعة سماوية، فارسي في الحكمة المتعالية[1].

جلال الدين ابو الفضل علي القزويني المتخلص بـ(عنقا):

ولد في قزوين سنة ١٢٦٦ وتوفي فيها سنة ١٣٣٣.

عارف متصوف اديب شاعر حكيم متأله مشارك في الفلسفة والحساب اخذ المقدمات وفنون الادب على افاضل علماء قزوين والسطوح على السيد علي علاقه بند والسيد رضي القزويني ثم تفقه على الشيخ محمد صادق ابن الشهيد الثالث وتخرج في العرفان والفلسفة على الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغاني آل الصالحي وكان من أقطاب الطريقة الأويسية وهو ابن اخت السيد حسين بن السيد قريش القزويني والمجاز منه ومن الاغا عبد القادر الجهرمي.

ترك مؤلفات نثراً ونظماً في العرفان وغيره ومن مؤلفاته ١ ـ منظومة في العرفان ٢ ـ منظومة في اصول الدين ٣ ـ كتاب حقايق المناقب ٤ ـ كتاب الاشارات الحسينية ٥ ـ غزليات شوقية واردات ذوقية ٦ ـ آئينه جهانياني ٧ ـ ديوان شعر[2].

الشيخ علي القزويني الحائري:

فقيه جليل، من علماء كربلا في اوائل القرن الرابع عشر.

له «كشف المرام عن أسرار رياض الأحكام» تم كتاب الطهارة منه سنة ١٣٠٤[3].

علي محمد تاج العلماء:

ولد سنة ١٢٦٢ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣١٢ كان عالماً فاضلاً درس على والده وعلى علماء لكهنو، ثم سافر الى النجف لاكمال دراسته ايام الشيخ زين العابدين المازندراني والسيد حسين الشهرستاني والملا حسين الاردكاني والسيد علي الطباطبائي.

وفي سنة ١٢٨٥ استجازهم وعاد الى الهند، فكان له في حيدر آباد الدكن خدمات علمية دينية جلي. وتخرج عليه الكثيرون من فضلاء الهند وله عدة مؤلفات منها: ترجمة القرآن، تفسير بعض السور القرآنية، حاشية زبدة الاصول، رسالة في العروض والقوافي وغير ذلك.

الميرزا علي محمد الملقب بـ(حكيم):

كان اديباً شاعراً في أواخر العصر القاجاري. اشتغل بتدريس العلوم المتداولة في عصره في مدرسة الحاج ابو الحسن في طهران (بالقرب من مرقد السيد يحيى). ونقل عنه انه بلغ في تدريسه مكانة رفيعة، واخذ عدد كبير من الطلاب يحضر درسه ويستفيضون من علمه. واثر اصرار بعض محبيه اشتغل بالتدريس في مدرسة العلوم السياسية التي كان يرأسها آنذاك الميرزا حسن خان بن الميرزا نصر الله المستوفي، وبقي في وظيفته هذه حتى اواخر حياته، وتخرج من درسه عدد كبير من الشخصيات المعاصرة.

كانت وفاته عام ١٣٤٣هـ في مدرسة الصدر في طهران التي كان يسكن فيها في واخر حياته.

الشيخ علي اصغر بن محمد حسين البفروني اليزدي:

فاضل متبحر في الفقه وأصوله طويل النفس في أبحاثه، أصله من يزد ويسكن كربلاء وكان من أعلامها في القرن الثالث عشر.

كان من تلامذة شريف العلماء كما وجدته مكتوباً كذلك على نسخة من كتابه.

له «المناهج الحائرية» في ثلاث مجلدات كبيرة أتمها سنة ١٢٥٠[4].

علي بن محمد علي القراجه داغي التبريزي:

فقيه فاضل جليل، من أعلام القرن الثالث عشر وكان يقيم في تبرير ظاهراً.

له «شرح ارشاد الأذهان»[5].

علي نقي بن محمد رضا الهمداني:

أديب فاضل اشتغل بالطب ومعالجة المرضى، من أعلام اواخر القرن الثالث عشر.

له «حفظ الصحة» ألفه سنة ١٢٧٩[6].

الشيخ علي اكبر بن محمد امين اللاري:

فاضل خبير عارف بالحديث والعقائد مع ميل الى العرفان والتصوف، من أعلام القرن الثالث عشر وكان في سنة ١٢٨٤ بالنجف الاشرف وتجول في بعض البلدان الاسلامية.

له «شرح حديث يا ثار الله وابن ثاره» ورسالة في «علم الامام» و«تنبيه الغافلين وتذكرة الجاهلين» و«عقائد الحقة في الاصول الدينية»[7].

الشيخ علي بن محمد الهندوكلائي المازندراني المعروف بسليم:

أصله من قرية «هندوكلا» من توابع «آمل» بمازندران، وكان يقيم بمدينة آمل ويعرف بـ«سليم المازندراني».

ولد سنة ١٢١٤، وبعد نشأته الأولى بمسقط راسه ذهب الى اصبهان للتحصيل وأقام بها سبع سنوات متتلمذاً على علمائها، وسافر في سنة ١٢٧٢ الى مشهد الرضا(عليه السلام) للزيارة وكان أيام اقامته فيه مشتغلاً بالتدريس لجماعة من الطلاب، ثم زار أئمة العراق (عليهم السلام) وبعدها ذهب الى الحج.

وهو فاضل جامع لأطراف العلوم والمعارف، أديب شاعر بالفارسية.

---

(١) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٢) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) (٥) (٦) (٧) السيد احمد الحسيني.

توفي بعد سنة ١٢٨٨.

لـه «مقاليد البيان وجامع التبيان» و«بيت الأحزان» و«وسيلة الفيوضات»(١).

السيد علي بن محمد قطب الدين الحسيني النيريزي الشيرازي الملقب بدعاء:

صوفي نشأ بفارس وانتقل في العشرين من عمره الى النجف الأشرف، واكثر استفاداته العرفانية والعلمية من والده الذي حضر مجلس افاداته خمس عشرة سنة خمس منها في فارس وعشر منها في النجف. وكان فاضلاً أديباً حسن الانشاء له شعر فارسي ليس من النمط العالي.

كان في الطريقة من اتباع السلسلة الذهبية الكبروية، وقد أخذها من والده.

له «جامع الكليات» أتمه سنة ١١٨٣ في كربلاء(٢).

السيد علي بن محمد رحيم بن محمد الموسوي:

فاضل مؤرخ اديب شاعر بالفارسية والعربية حسن الانشاء له ميل الى العرفان، من أعلام اوائل القرن الرابع عشر وكان يقيم بمشهد الرضا (عليه السلام).

له «بكاء العين» أتم تأليفه سنة ١٣٠٣(٣).

الشيخ علي محمد بن كريم الرشتي:

فقيه أصولي محقق طويل النفس فيما يكتب، وهو من أعلام اواخر القرن الثالث عشر.

له «ذرائع الأصول» كتب بعض مباحثه في سنة ١٢٨٤(٤).

الشيخ علي اكبر بن محمد باقر القزويني:

فقيه أصولي محقق، من أعلام النصف الثاني من القرن الثالث عشر ولعله عاش الى اوائل القرن الرابع عشر.

له «الأحكام الوضعية»(٥).

علي نقي بن محمد تقي:

فاضل له اطلاع بالتفسير والحديث وغيرهما، من علماء الشيخية ويعظم في كتاباته الشيخ احمد الاحسائي غاية التعظيم وينسج على منواله.

له «بشارة المهتدين في تفسير الحمد لله رب العالمين»(٦).

المولى علي رضا بن محمد (آقاجاني):

من أعلام اوائل القرن الحادي عشر، قرأ على الميرزا محمد الاسترآبادي جملة من المجاميع الأربعة الحديثية، وأقام مدة بمكة المكرمة وتملك بها نسخة من كتاب «تهذيب الأحكام» في سنة ١٠٠٩ واختار في هوامشها تعاليق تدل على فضل فيه واطلاع بعلوم الحديث.

أجازه الاسترآبادي المذكور في آخر تلك النسخة في مكة بتاريخ أواخر ذي الحجة سنة ١٠١٦، وقال فيها: «فقد ذاكرني المولى الفاضل الورع خلاصة الأفاضل والمتورعين مولانا علي رضا.. اكثر كتاب تهذيب الأحكام وبحث بحث تفتيش وتحقيق وامعان في مدة من الزمان وكذلك جملة من بقية الكتب الأربعة المشهورة في هذا الزمان فلما لم يساعده على اتمامها حوادث الأيام أجزت له روايتها بطرقي المقررة...»(٧).

السيد علي أصغر بن محمد شفيع الموسوي:

فقيه جليل وعالم متبحر، كان يرجع اليه بعض المقلدين في الفتوى، وهو من أعلام اوائل القرن الرابع عشر ظاهراً.

له «كتاب الحج» و«الفصول في ترتيب مباحث الاصول» و«المناسك الغروية»(٨).

السيد علي اليثربي الكاشاني بن السيد محمد رضا:

ولد سنة ١٣١١ في كربلا وتوفي سنة ١٣٧٩ في كاشان.

أسرة اليثربي من الأسر المعروفة في كاشان بالعلم والجاه والتقى، خرج منها رجال علماء كان لهم دورهم الديني والعلمي.

ومن أعلام هذه الأسرة السيد محمد تقي بشت مشهدي (نسبة الى احدى محلات كاشان) المتوفى سنة ١٢٥٨ وله مزار معروف، وكان من أعاظم علماء كاشان.

وجد المترجم، السيد اسماعيل من تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري في النجف، وله آثار وتآليف في الفقه والاصول توجد عند أولاده.

ووالده السيد محمد رضا من تلامذة الميرزا محمد حسن الشيرازي، ومن أعاظم علماء كاشان توفي سنة ١٣٥٠.

وأخوه السيد حسن اليثربي، كان من وجوه العلماء القاطنين بطهران وتوفي سنة ١٣٨٦.

ولا يزال في هذا البيت رجال علماء لهم مكانتهم في مدينة كاشان.

مولده ونشأته:

استصحبه والده معه من كربلا الى كاشان سنة ١٣١٦، فنشأ محاطاً برعايته وقرأ عليه وعلى غيره من العلماء المقدمات والسطوح.

ثم انتقل الى النجف الأشرف بتشجيع من والده سنة ١٣٣١، وحضر على أعلام مدرسيها، كالسيد ابي الحسن الاصبهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي وشيخ الشريعة الاصفهاني والميرزا حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي، ولازم الأخير واختص به.

وفي سنة ١٣٣٩ أحضره والده الى كاشان وفي سنة ١٣٤١ طلب منه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي الاقامة في قم، فأجاب وذهب اليها واشتغل بالتدريس سبع سنوات وتخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفاضل.

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) السيد احمد الحسيني.

(٧) السيد أحمد الحسيني.

(٨) السيد أحمد الحسيني.

وفي سنة ١٣٤٧ توفي أبوه، فاضطر للعودة الى كاشان، فقام مقام أبيه في الامامة وادارة الشؤون التي كان يتولاها أبوه، واشتغل بالتدريس والافادة وتربية الناشئين من رجال العلم[١].

الشيخ علي كاشف الغطاء بن محمد رضا:

ولد سنة ١٢٦٧ في النجف وتوفي فيها سنة ١٣٥٠ مرت ترجمته في مكانها من (الاعيان) ونعيدها هنا اكثر تفصيلا:

تنحدر هذه الأسرة العلمية (آل كاشف الغطاء) من «بني مالك» القبيلة العربية الكبيرة القاطنة في ضواحي الفرات حوالي الكوفة من أقدم العصور، وكان لها شأن واعتبار في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ولهج الشعراء بمدح رؤسائها وشيوخها. وهي قبيلة مشهورة ذات فروع وأغصان كثيرة منتشرة على ضفاف الفرات وغيره من القرى والأرياف العراقية.

وأول من هاجر الى النجف الأشرف من هذه الأسرة، هو الشيخ خضر بن يحيى المنتهي اليه نسب «آل الخضري» و«آل كاشف الغطاء» و«آل راضي» و«آل عليوي»، هاجر من قرية «جناجية» (قناقية) من قرى الحلة الى النجف في اوائل القرن الثاني عشر، وكان عالماً مشاراً اليه في عصره في الفقه والزهد والتقوى، وأنجب اولاداً أربعة كل واحد منهم ابو اسرة علمية معروفة في العراق كما ذكرنا، وهم: الشيخ حسين، الشيخ محسن، الشيخ محمد، الشيخ جعفر.

و«آل كاشف الغطاء» من أولاد الشيخ جعفر المعروف بكتابه الفقهي «كشف الغطاء» الذي أصبح من حين تأليفه من عيون كتب الفقه التي لم يستغن عنها كل فقيه يمارس الاستنباط.

وهذه الأسرة كثر فيها العلماء نافذو الكلمة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ولهم مكانة عظيمة في الأوساط العلمية والاجتماعية، وكانت لهم الزعامة الدينية والرئاسة الاجتماعية في العراق، وجرت على ايديهم حوادث تأريخية هامة وحفظت بواسطتها كثير من الدماء والأعراض والأموال، تناقلتها الألسن وسُجل بعضها في صفحات التاريخ.

نشأ المترجم برعاية والده وفي بيت الفقه والشرف والدين وتعلم المقدمات وقرأ السطوح على فضلاء بيته وغيرهم من أعلام النجف، وولع بالأدب فانقطع اليه حتى برع في النظم والنثر، ونظم الشعر مبكراً وطارح شعراء عصره في العراق وغيرها.

زار عديداً من البلدان الاسلامية والأقطار العربية، قضى فيها شطراً وافراً من عمره فكانت حصيلة أسفاره مكتبته العامرة بالمطبوعات والمخطوطات النادرة ومؤلفه الكبير «الحصون المنيعة» في طبقات الشيعة في عشرة اجزاء.

كانت رحلته الى ايران في سنة ١٢٩٥، أقام باصبهان مدة وقضى بينها وبين طهران وشيراز وخراسان سبع سنين حيث عاد الى العراق سنة ١٣٠٢،

وسافر الى الآستانة ثم الحجاز وسوريا ومصر وبعض بلاد الهند، وطال سفره هذا أربع سنين كان اكثرها في تركيا.

وقد كتب في أسفاره عدة مجاميع موجودة بخطه في مكتبته، استفاد من موادها بعد ان عاد الى النجف واستقر الى آخر أيام حياته.

وكان له شغف بجمع الكتب واقتنائها، فابتاع في أسفاره الى ايران وتركيا وغيرهما أعلاقاً نفيسة من الكتب المطبوعة والمخطوطة التي قلما توجد في مكتبات العراق، ونسخ بخطه كثيراً من المخطوطات النادرة.

وتجاوز مجموع ما استنسخه بخطه مئة كتاب، ولم يفتر عن الكتابة والتأليف حتى بعد ان كبرت سنه وأصابت الرعشة يده[٢].

السيد علي الجزائري بن السيد مير محمد علي:

ولد في النجف سنة ١٢٦٥ وتوفي سنة ١٢٥٤ في طهران ودفن في قم نشأ بطهران، وقرأ على والده وميرزا محمد حسن الاشتياني وغيره من العلماء الأعلام.

وهاجر الى النجف الأشرف لتحصيل العلوم فبقي بها سنين متتلمذاً على الميرزا حبيب الله الرشتي والحاج ميرزا حسين الخليلي الطهراني.

ثم عاد الى طهران حيث أقام بها الى حين وفاته[٣].

الشهيد الشيخ علي الرمضان بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسن ابن الشيخ عليّ بن الشيخ عبد النبيّ آل الشيخ رمضان الخزاعي الأحسائيّ:

توفي حدود سنة ١٢٧٠.

وآل رمضان من الأسرة العلمية الجليلة في الأحساء، وقد برز منهم عدد من رجال العلم والأدب ممّن كان لهم الشأن الرفيع والمقام الشامخ، أصلهم البعيد من العراق ومن العراق - في حدود القرن التاسع الهجري - هاجر جدّهم الأعلى الشيخ رمضان بن سلمان بن عبّاس الخزاعيّ - المعروفين بالانتساب اليه - واستوطن البحرين حتى توفّي، وفيها ذريّته وأحفاده الى اليوم، وفي مطلع القرن الحادي عشر الهجري هاجر بعض الأحفاد من البحرين الى الاحساء واستوطنوها، وآل رمضان اليوم اسرة كبيرة معروفة في الأحساء.

ومن أبرز علمائهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الرمضان - والد صاحب الترجمة - المتوفّى سنة ١٢٤٠هـ، وصاحب القصيدة النونية الغرّاء المعروفة بـ(خير الوصيّة).

ولد المترجم بمدينة (الهفوف) عاصمة الأحساء في أواخر القرن الثاني عشر الهجري - ولم يحدّد تاريخ دقيق لولادته - وفيها نشأ وترعرع تحت رعاية والده كما تلقّى في (الأحساء) أوليّات العلوم على يد والده وغيره من الأعلام.

وبعد دراسته المقدّمات في الأحساء هاجر الى ايران لتحصيل العلوم الدينية، وكان جلّ إقامته في مدينة شيراز، حيث كان بها عدد من علماء الأحساء والبحرين، وأقام هناك ردحاً من الزمن مستفيداً من كبار الأساتذة العلماء، وهذه أسماء أهمّ أساتذته كما ذكرهم هو في ديوانه المخطوط:

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

١ ـ السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحراني، صاحب تفسير «البرهان».

٢ ـ السيد صدر الدين العاملي، ولعلّه السيد صدر الدين بن السيد صالح بن محمد بن ابراهيم شرف الدين العاملي، المتوفّى سنة ١٢٦٣هـ.

٣ ـ الميرزا سليمان الحسيني الطباطبائي النائيني.

٤ ـ الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك اللويمي الأحسائي، المتوفّى سنة ١٢٤٥هـ، وكان جلّ تلمذه عليه.

شيء من سيرته:

عاش بداية شبابه في بلده (الأحساء) وشبَّ فيها بين أهله وذويه مستفيداً من والده الجليل وناهلاً من علمه الجمّ، ثم هاجر من الأحساء سائحاً في بلاد الله العريضة مستثمراً أسفاره لصالح دينه ودنياه، فزار كلاً من البحرين وشيراز ويزد وكرمان وسعيد آباد وأكثر مدن ايران الكبيرة، كما تشرّف بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام)، وفي ديوانه المخطوط أشعار كثيرة في وصف تلك المدن ومدح أعيانها وعلمائها.

ويظهر انّه قضى معظم حياته في السياحة والأسفار متجوّلاً في بلدان عديدة، كما يصف حاله في ديوانه حيث يقول:

وذقتُ مِنَ الشدائدِ كلَّ طعمٍ ... وجبت من الفدافدِ كلَّ واديْ
وعمتَ مِنَ السرى والليلُ داجٍ ... بسفنِ العيسِ في لجج السوادِ
يبيتُ على حدائجها فراشيْ ... ويصبحُ فوقَ أرجلها مهاديْ
الى انْ أبلتِ الأسفارُ جسميْ ... وأخفانيْ النحولُ عنِ العبادِ
وصرتُ كأنني سرٌّ خفيٌّ ... بأفئدةِ الروابيْ والوهادِ

واستقرّت به الدار أخيراً في مدينة شيراز وأطرافها، حيث قضى هناك معظم أيّام غربته الطويلة.

وكان وهو في دار الغربة كثيراً ما يحنّ الى وطنه ومسقط رأسه ويتذكّر أهله واحبّته، وفي ذلك يقول:

وبـ(الأحساءِ) وهي منايَ قومٌ ... بعادهمُ نفى عنيْ رقاديْ
لهمْ جفنيْ القريحُ يفيضُ ريّاً ... بفيضِ دموعهِ والقلبُ صاديْ
هياميْ فيهمُ شغليْ ودأبيْ ... ووجدِي منهمُ شربيْ وزادِي
أحبُّ لأجلهمْ خفقانَ قلبي ... وأهوَى في محبتهم سُهادي
وهمْ حصني المنيعُ وهمْ سنادي ... وهم ركني الوثيقُ وهم عمادي

سقى (الأحساءَ) ساريها غيثٌ ... يمدّ الخصبَ مِنْ صوبِ العهادِ
فـ(لـلأحساءِ) ما دامتْ ودادي ... وفيْ أرجاءِ ساحتها مرادِي

ويقول أيضاً:

أستودعُ الرحمنَ بـ(الهفوفِ) منْ ... (هجرٍ) أهيلَ مودةٍ ووفاءِ
قومٌ هجرتُ لهمْ وسادي والكرى ... ووصلتُ فيهمْ لوعتي وبكائي
يا جيرةَ الأحساءِ هل منْ زورةٍ ... أحيا بها يا جيرةَ الأحساء
يا جيرةَ الأحساءِ هل من زورةٍ ... تمحو ظلامَ البينِ بالأضواءِ
أنا فيكمْ صادِي الحشاشةِ فاسمحُوا ... لي من وصالكمُ بعذبِ الماءِ
أنتم منايَ منَ الزمانِ وبعدكمْ ... كدرِي وقربكم الشهيُّ صفائيْ

وكانت (الأحساء) وعموم البلدان العربية في الخليج في ذلك الحين تعيش اضطرابات وفتن طائفية شديدة، وقاسى شيعة المنطقة حينها أبشع الوان الظلم والاضطهاد، ممّا ادّى الى هجرة العديد من العلماء والأعيان من منطقة الخليج وتفرّقهم في بلدان مختلفة.

والمترجم ـ رغم الظروف الصعبة ـ عاد في أواخر عمره الى وطنه الأحساء، واستقرّ بها، وكان يقوم فيها بواجباته الدينية من التدريس والوعظ والإرشاد، ومن ابرز تلاميذه في تلك الفترة الشيخ احمد بن محمد مال الله الصفّار، المتوفّى بعد سنة ١٢٧٠هـ، وفي الأحساء كتب بعض مؤلّفاته، كما جمع ديوان شعره الكائن في مجلّدين.

وفي سنة ١٢٤٠هـ توفّي في قرية (سلما باد) بالبحرين والد المترجم له الشيخ محمد الرمضان، وكان بصحبته نجله صاحب الترجمة، فأثّر فيه ذلك الحدث أثره البالغ، وشعر بعد والده بالحزن العميق والمصاب الفادح، وفي ذلك كتب رسالة حزينة بليغة الى أستاذه في ايران السيد حسين بن السيد عيسى البحراني، وممّا جاء في الرسالة:

«أمّا بعد، فإنّ أخاك قد اصيب بفقد الشيبة الطاهرة، والنعمة الظاهرة، والدي الأسعد، وسيّدي الأمجد، فأصبحت بفقده مجذوذ الأصل، مقطوع الوصل، مكسور الصلب، موتور القلب ـ إلى ان قال: ـ فلم يكن بأسرع من أن دعاه ربّه الى جواره، ليريحه من الدهر وأكداره، فأجاب غريباً سعيداً كريماً شهيداً[1]، فانقلبت عند ذلك القرية بأهلها على فقد إمامها، واضطربت بنسائها ورجالها على انجذاذ سنامها...

(١) جاء في الذريعة ٢٨٦/٧: أنّ الشيخ محمد بن عبد الله الرمضان ـ صاحب «خير الوصيّة» ـ قتل شهيداً في البحرين بسبب الضرب الموجع من قبل الوهّابيّين، ويبدو ان الأب كالابن قتل على ايدي الوهّابيين، ولم يسلم من ظلمهم رغم فراره بجلده الى خارج وطنه.

مـصـابٌ لم يـدَعْ قـلبـاً ضـنـينـاً
بـغـلـتِـهِ ولا عـيـنـاً جـادا

«فإنّا لله وإنا اليه راجعون. . .»[١].

ويظهر أنّ المترجم كان يعيش بعد سنة ١٢٤٠هـ بين البحرين والأحساء إلى أن قتل شهيداً في الأحساء حدود سنة ١٢٧٠هـ.

زملاؤه ومعاصروه:

كانت للمترجم صداقات وعلاقات واسعة مع كثير من علماء وشعراء عصره البارزين، وجرت بينه وبينهم مراسلات شعرية ونثرية، سجّل هو الكثير منها في ديوانه المخطوط.

وفيما يلي أهمّ من ذكرهم في ديوانه من قرنائه ومعاصريه:

١ ـ أستاذه الشيخ عبد المحسن بن الشيخ محمد اللويمي الأحسائي، المتوفى ١٢٤٥هـ، وابنه الشيخ علي اللويمي، وكانت له بهما علاقة خاصة وصداقة حميمة مدّة إقامته في ايران، حيث كان هذان العلمان يقيمان في شيراز وأطرافها، وفيهما يقول:

ولـولا مـلاذي بـالـديـارِ الـتي بـهـا
إمـامـيَ (عـبـدُ المـحـسـنِ) الـعـالمُ الحـبرُ

وفـيـهـا ابـنـهُ ذخـريْ (عـليٌّ) أخـو الـعـلا
وَطُـوبى لإنـسـان (عـليٌّ) لَـهُ ذُخـرُ

لأصـبـحـتُ ممـا قـد لـقـيـتُ مـن الـبـلا
رمـيـاً وشـخـصيْ في المـلا مـا لـهُ ذكـرُ

فـلا أب عـنـدِي مـثـلُ شـيـخـيَ وابـنـهِ
اذا عـدَّ زيـدٌ في المـكـارمِ او عـمـرُو

فـأبـقـاهـا الـرحمـنُ لـلجـودِ كـعـبـةً
تـطوفُ بهـا الـوفـادُ مـا طـلعَ الـبـدرُ

٢ ـ أستاذه السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحراني.

٣ ـ الشيخ أحمد بن محمد بن مال الله الصفّار الأحسائي، المتوفّى بعد ١٢٧٠هـ، وهو ممّن استفاد من المترجم وتتلمذ على يديه، وممّا كتب اليه المترجم في احدى رسائله:

الى حـبـيـبي دونَ كـلِ المـلاَ
سـلامَ صـبٍّ بـالـنـوىٰ مـبـتـلَى

يـغـشـاكَ مـا يـشـتـاقُ قـلـبي الى
مـرآكَ او اولاكَ محـضَ الـولاَ

٤ ـ الشيخ حسن بن محمد بن خلف بن ضيف الدمستاني البحراني، المتوفّى سنة ١٢٨١هـ.

٥ ـ الشيخ سليمان بن الشيخ احمد آل عبد الجبّار البحراني القطيفي، المتوفّى سنة ١٢٦٦هـ.

٦ ـ الشيخ عبد علي بن الشيخ خلف العصفور البحراني، المتوفّى ١٣٠٣ هجري.

٧ ـ الشيخ احمد بن الشيخ عبد الله آل دندن الأحسائي.

٨ ـ الشيخ محمد بن علي البغلي الأحسائي، المتوفّى بعد ١٢٤٥هـ، وهو من شعراء الأحساء وأجلاّئها اللامعين وتربطه بالمترجم علاقة وديّة وأدبيّة متميزة، وممّا قاله المترجم في رسالة بعث بها اليه:

سـلامٌ جـلا محضَ الـودادِ واغـربـا
وبـينَ صـدقَ الاتحـادِ واعـرَبـا

وفـاحَ بـسـاحـاتِ الـصـداقـةِ عـنـبـراً
ولاحَ بـآفـاقِ الـعـلاقـةِ كـوكـبـا

يخصُّ بـهِ مـني حـبـيـبٌ مـهـذبٌ
الا بـأبي ذاكَ الحـبـيـبَ المـهـذَّبـا

(محـمـدٌ الـبـغـليٌّ) مـنْ شـاعَ ذكـرُهُ
بـأقـطـارِ أرضِ الله شرقـاً ومـغـربـا

وقال في شأنه ايضاً:

يـا مـن أتى مـن شـعـرِه بـعـزائـمٍ
سـجـدَتْ لهـنَّ مـفـالـقُ الـشـعـراءِ

وتـيـقـنُـوا أنْ لا سـواكَ فـوحـدُوا
لـكَ مخـلـصـينَ بـغـيرِ شـوبِ ريـاءِ

قـسـماً بـنـظـمـكَ ذلـكَ الـنـظمِ الـذي
ضـاعـتْ لـديـهِ كـواكـبُ الجـوزاءِ

مـا اخـتـارَ شـعـرَ سـواكَ في إنـشـادِهِ
إلاّ قـريـنُ بـصـيرةٍ عـمـيـاءِ

شهادته:

كان عمره حين استشهاده اكثر من ثمانين عاماً، وبدأت قصّة استشهاده ـ بنقل أحفاده ـ كما يلي:

اطّلع أحد علماء الوهّابية المتعصّبين ـ وهو قاضي الأحساء الرسمي ذلك الحين ـ على بعض الكتب العقائدية من تأليف صاحب الترجمة فأثارت غضبه وحنقه لمخالفتها لعقائد الوهّابية، كما حصلت بينه وبين المترجم مناظرات في مجالس مختلفة أدّت الى هزيمة العالم الوهّابي وعجزه عن الردّ العلمي، عندها وشى الشيخ الوهّابي بالمترجم الى السلطة الحاكمة آنذاك وحرضها على النيل منه، فما كان من السلطة إلاّ ان اودعته السجن، حيث لاقى فيه ـ على شيخوخته ـ ألوان العذاب والإهانة.

وبعد مدّة أطلق سراح المترجم وسمح له بالعودة الى منزله، وقبل وصوله الى دار سكناه علم القاضي الوهّابي بالإفراج عنه فاستشاط غضباً وحقداً، وأصدر حكماً ظالماً بقتل الشيخ المترجم أينما وجد، وأمر مناديه أن ينادي في السوق: «من أراد قصراً في الجنّة فليضرب شيخ الرافضة علي بن رمضان»!!

وكان المترجم له في طريقه من سجنه الى منزله مارّاً بسوق البلدة، فانهال عليه الأوباش وسفلة السوق والقصّابون من أتباع الوهّابية، ورشقوه بالحجارة وضربوه بالحديد والأخشاب والسكاكين حتى سقط الى الأرض مضرّجاً بدمائه، وبينما هو يجود بنفسه اذ قصده أحد القصّابين ـ واسمه علي أبو مجداد ـ وبيده عظم فخذ بعير، فضرب شيخنا الشهيد على رأسه وفلق هامته، ففاضت روحه الطاهرة ومضى الى ربّه مظلوماً شهيداً صابراً محتسباً.

---

(٢) ديوان الشيخ علي الشهيد الرمضان، مخطوط.

وكانت شهادته في مدينة (الهفوف) بالأحساء حدود سنة ١٢٧٠هـ[٤]، وقد رثاه تلميذه الشيخ احمد بن محمد بن مال الله الصفّار الأحسائي بقصيدة رائعة، وصف فيها الحادث المؤلم وما جرى لأستاذه من المظالم والقتل بصورة وحشية، فقال:

أصابنا حادثُ الاقدارِ بالخطبِ
وشبَّ نارَ لظى الأحزانِ في اللببِ
من حين أخبرنا الناعي المشومُ ضحىً
عن مقتلِ الماجدِ الموصوفِ بالأدبِ
العالمُ الفاضلُ الشيخُ المهذبُ ذو
الفضلِ الجليِّ عليٌّ عالي الرتبِ
العابدُ الساجدُ الباكيْ بجنحِ دجىً
كهفُ الأنامِ وغوثُ اللهِ في الكربِ
لهفيْ على ذلكَ المقتولِ يومَ قضى
بينَ العداة بلا جرمٍ ولا سببِ
هذا بأمرٍ من الطاغوتِ يجبسهُ
وذاك يشتمهُ ظلماً بلا ادب
وذاك يجذبهُ قهراً بلحيتهِ
وذاك يسحبهُ جهراً على التربَ
وذاكَ من حقدِهِ أخزاهِ خالقنا
يوجي ضلوعَ تقيّ طاهرٍ أربِ
وجسمهِ بعدَ حسنِ اللحفُ يلحفه
قتامُ ضربِ من الأحجارِ والخشبِ
والرأسُ منكشفٌ قد شجَّ مفرقهُ
وشيبهُ قد علاهُ عثيرُ الكثبِ
والدمُ يجري على وجهٍ به اثرٌ
من السجودِ كجري الغيثِ في الهضبِ
وطالما في ظلامِ الليلِ عفرهُ
حالَ السجودِ لربِ الخلقِ في التربِ
لله شيخٌ عزيزٌ في عشيرتِه
يساقُ في سوقهمْ بالذلّ والنكبِ
فيا شهيداً قضى في الله محتسباً
وفي الجنانِ حباهُ عالي الرتبِ
ويا هلالاً أحالَ الخسفُ مطلعهُ
فغابَ في جدثٍ عنا ولم يأبِ
وكهفَ عزّ لأيتامٍ تطوفُ بهِ
رماهُ صرفُ القضا بالهدمِ والعطبِ
ويا أنيساً أتانا ثم أوحشنا
وبحرَ علمٍ وجودٍ غابَ في التربِ
تنعاكَ كتبكَ، والمحرابُ يندبُ إذْ
فيهِ تقومُ تناجيْ الله في رهبِ

(١) في شهداء الفضيلة، ص ٣٦١: أنّ المترجم استشهد في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وهو خطأ حتماً، والصحيح ما ذكرناه.

يا قلبُ فاحزنْ على ذاك الفقيدِ ويا
عيني جودا بدمعٍ هاملٍ سكبِ

هذا، وقد خلّف المترجم ثلاثة أولاد هم: حسين ومحمد واحمد، ومنهم ذرّيته، ومن أحفاده المعاصرين الأديب الحاجّ محمد بن حسين الرمضان بن محمد بن حسين ابن المترجّم له، وأخوه الأديب البحّاثة الحاجّ جواد بن حسين الرمضان، وكلاهما من رجال الأحساء البارزين.

علمه وفضله:

كان عالماً فاضلاً جليل القدر، له بين أقرانه المقام الشامخ والمكانة السامية، وعرف عنه شدّة تورّعه وتقواه وكثرة عبادته وتهجّده لله تعالى، وقد مرّ في القصيدة السابقة ما يشير الى بعض صفاته ومزاياه.

وقال في شأنه ايضاً صاحب «أنوار البدرين»: «ومن أدبائها وعلمائها (الأحساء) ابنه ـ أي ابن الشيخ محمد الرمضان المتقدّم ذكره في الكتاب ـ الشيخ علي من العلماء العاملين والعبّاد المعروفين، وله يد قويّة في الشعر، قُتل شهيداً في الأحساء في ملك الوهّابية ظلماً وعدواناً، كما قتلت ساداته خير الخلق فضلاً وشأناً»[٢].

وقال في «شهداء الفضيلة»: «العالم البارع الشيخ علي بن عبد الله[٣] بن رمضان الأحسائي، احد الاعلام المبرّزين في العلم، ضمَّ الى علمه الجمّ ورعه الموصوف، وله من الأدب العربي قسطه الأوفى، وفي صياغة الشعر له يد قوّية، قُتل شهيداً في (أحساء) على ملك الوهّابية ظلماً»[٤].

أمّا أستاذه السيد حسين بن السيد عيسى بن السيد هاشم البحراني ـ صاحب كتاب «البرهان» ـ فقد قال بشأنه هذه الأبيات:

أسنى سلامٍ وثناءٍ ودعا
من مخلصٍ ما ودهُ بمدعى
لمنْ علا وجلَّ قدراً وسما
وداسَ بالكعبِ على هامِ السما
ومنْ لهُ ابدى النهى وفاقا
حتّى سما بني النهى وفاقا
ورقّ لطفاً وصفا وراقا
حتّى غدا يطرزُ الأورقا
ذو أدبٍ اصبحَ كلُّ ذيْ أدبْ
لنحوهِ يقصدُ من كلّ حدبْ
مفحمُ كل ناظمٍ وناثرِ
في وصفِ ما حواهُ من مآثرِ
أعني علياً ذا العلا والسؤددِ
نجلَ سميّ المصطفى محمدِ[٥].

(٢) أنوار البدرين: ٤١٦ ـ ٤١٧.

(٣) الصحيح ان اسمه: علي بن محمد بن عبد الله... وهذا واضح وثابت عند أحفاده ومثبت في مؤلفات المترجم الخطية.

(٤) شهداء الفضيلة: ٣٦١.

(٥) ديوان المترجم المخطوط.

من آثاره:

قال حفيده الأديب محمد حسين الرمضان ـ في كتابه الخطّي «التعريف بآل رمضان» ـ : «له عدّة مؤلفات» لكن لم نطّلع ـ مع الأسف ـ على شيء من مؤلّفاته، ولم يبق منها سوى كتابين هما:

١ ـ ديوان شعر، كبير في مجلّدين، فُقد منه المجلّد الأول، والمجلّد الثاني يضم نحو الفي بيت.

٢ ـ الكشكول، في مجلّدين ايضاً.

وكلاهما موجودان عند احفاد المترجم في الأحساء.

شعره:

له شعر كثير في أهل البيت (عليهم السلام) ومدحهم ورثائهم، وكان يعدّ في عصره من الشعراء والأدباء البارزين، ويضمّ ما بقي من ديوانه نحو ألفي بيت فيه الغزل والفكاهة والمديح والرثاء ومواضيع أخرى، وهذه نماذج من شعره:

قال في رثاء سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام):

طلعَ المشيبُ عليك بالإنذارِ
وأراك منصرفاً عن التذكارِ
جذلانَ بالعصيانِ مسروراً به
متهاوناً أبداً بسخطِ الباري
حتى كأنَّ الشيبَ جاء مبشراً
لك بالخلودِ فأنت في استبشارِ
يا راكضاً ركض الجوادِ بلهوهِ
متحملاً بالذنب والإصرارِ
حتى مَ أنتَ ببحرِ غيِّكَ راكسٌ
أأمنتَ ويحكَ سطوةَ الجبارِ؟!
مهلاً ألمْ تعلمُ بأنكَ ميتٌ
ومخلّدٌ في جنةٍ او نارِ؟!
أتغركَ الدنيا وأنتَ خبرتها
علماً بما فيها من الأكدارِ؟!
دارٌ حوتْ كلَّ المصائبِ والبلا
والشرِّ والآفاتِ والأخطارِ
الله ما فعلتْ وهل تدري بما
فعلتْ بعترةِ أحمدَ المختارِ
سلبتهمُ ميراثهمْ ونفوسهُم
ظلماً بأيدي معشرٍ فجارِ
وأجلُّ كلّ مصيبةٍ نزلتْ بهم
رزءُ الحسينِ ورهطهِ الأبرارِ
تلكَ الرزيةُ ما لها من مشبهٍ
عمرَ الزمانِ ومدةَ الأعصارِ
تالله لا أنساهُ يقدمُ فتيةً
كالأسدِ يقدمها الهزبرُ الضاري
حتى أتى ارض الطفوفِ فلم يسرْ
عنها لمحتومٍ من الأقدارِ
فعدتْ عليهِ من العراقِ عصابةٌ
من كلِ رجسٍ فاجرٍ غدار
منعوا عليهِ الماءَ حتّى كضهُ
وقبيلهُ حرُّ الأوامِ الواريْ
فأجابهمْ وهو ابنُ بنتِ محمدٍ
(الموتُ اولى من ركوبِ العارِ)
تأبى ركوبَ الذلِّ منا أنفسٌ
طهرتْ ونلناها من الأطهارِ

الى ان يقول:

وبقي ابنُ خيرِ المرسلينَ مجاهداً
فرداً بذاك العسكرِ الجرارِ
ويقولُ للأختِ الحزينةِ زينبٍ
ودموعهُ كالوابلِ المدرارِ
اوصيكِ بالأيتام لميْ شعثهُم
وتلطفي لكبارهم وصغارِ
واذا رأيتي جثتي فوقَ الثرى
تذري عليها للرياحِ ذواري
فتجلّدي لا تشمتي أعداءنا
وتمسكي بسكينةٍ ووقار
وثنى العنانَ الى الطغاةِ تراهُ في
ليلِ الوغى كالكوكبِ السيارِ
ويكرُّ فيهم تارةً فتراهمُ
قطعاً بحدِ الصارمُ البتارِ
ابدى لهم وهو ابنُ حيدرَ في الوغى
حملاتِ والدهِ الفتى الكرارِ
حتى اذا اروى الصوارمَ والقنا
منهم والحقهُم بدارِ بوارِ
وافاهُ سهمٌ خرَّ منه على الثرى
كسجودِه لله في الأسحارِ

ثم يقول:

ودعتهُ زينبُ وهي تندبهُ: ألا
يا بدرَ ديجوري وشمسَ نهاري
يا ظامياً وردَ الحتوفَ ولم يذقْ
بردَ الشرابِ سوى النجيعِ الجاري
يا ميتاً ما نال من غسلٍ ولا
كفنٍ ليسترَ جسمهُ ويواري
يا خير ضيفٍ نازلاً في قفرةٍ
غيرُ الأسنةِ ما له من قاري
أأخي من ذا بعد فقدِكَ يُرتجى
للنائباتِ ويحرها الموارِ
أأخي من ذا بعدَ فقدكَ يرتجى
للصومِ والصلواتِ والأذكارِ

أأخيَّ من ذا بعدَ فقدكَ يرتجى
لقراءِ ضيفٍ او حمايةِ جارِ
ثم انثنت تدعو الرسولَ محمداً
تنعى لهُ السبطَ القتيلَ العاري
وتقولُ يا جداهُ هذا السبطُ قدْ
قتلوهِ عطشاناً غريبَ ديارِ
هذا حبيبكَ بالطفوفِ مجدلٌ
تجري عليهِ الخيلُ بريَّ مغارِ
هذي نساؤكَ يا رسولَ الله في
كربِ الخطوبِ شواخصَ الأبصارِ

وفي آخرها يقول:

يا آلَ بيتِ محمدٍ إنّي لكم
عبدٌ وما في ذاكَ من انكارِ
منّي لكم محضُ المودةِ والولاَ
والنصحِ في الإعلانِ والإسرار
إذ حبكم في الذكرِ مفروضٌ وفي
ما جاءَ من متواترِ الأخبارِ
ولكمْ بيومِ البعثِ من ربِّ الملا
أمرُ الشفاعةِ في ذويْ الأوزارِ
فلي اشفعُوا ولوالديَّ واسرتي
والسامعينَ مصابكمْ والقاري
واليكمُ الجاني (عليٌّ) زفها
عذراء قد خُلقت من الأفكارِ
البستُها - وبكم تعالى قدرُها -
من ذكركم حللاً من الأنوارِ
فتقبلوها جاعلينَ صداقها
أن تسكنوني منكمُ بجوارِ
وعليكمُ صلى المهيمنُ ما ابتغى
لكمُ بسيلِ المكرماتِ مجاري

وله ايضاً مادحاً أهل البيت (عليهم السلام):

ما لي أراكَ بسكرةِ الإغماءِ
أذكرت جيراناً لدى (الأحساءِ)
ما شامَ طرفكَ بارقاً من نحوهم
إلا انثنى كعوارضِ الأنواءِ[1]
لولا نواحك ما اهتدى لكَ مدركٌ
كلّا ولمْ تحسبْ من الأحياءِ
لم تتركِ الأشواقُ منكَ لعلةٍ
مأوىً تحلُّ بهِ ولا لشفاءِ
يا عاذلي أتعبتَ نفسكَ ناصحاً
لمتيمٍ لم يصغِ للنصحاءِ
ما لي وللعذالِ لا سقياً لهمْ
أنا قدْ رضيتُ بعبرتيْ وبداتي
استودعُ الرحمنَ بـ(الهفوفِ) منْ
(هجر) اهيلَ مودةٍ ووفاءِ
قومٌ هجرتُ لهم وسادِي والكرى
ووصلتُ فيهم لوعتي وبكائي
يا جيرةَ (الأحساءِ) هل من زورةٍ
أحيا بها يا جيرة (الأحساءِ)
يا جيرة (الأحساءِ) هل من زورةٍ
تمحو ظلامَ البينِ بالأضواءِ
أنا فيكمُ صادِي الحشاشةِ فاسمحُوا
لي من وصالكمُ بعذبِ الماءِ
أنتمْ منايَ من الزمانِ وبعدكمْ
كدريْ وقربكمُ الشهي صفائي
لا شيء احلى في فمي من ذكركم
إلاّ مديحُ السادةِ النجباءِ
أهلُ الجلالِ اولو الكمالِ وخيرةُ الـ
ـمُتعالِ من ارضٍ لهُ وسماءِ
آلُ النبيِّ الطهر زينة يثربٍ
وجمالِ من قدْ حلَّ بالبطحاءِ
غوثُ الأنامِ وغيثهمْ وعمادهمْ
وملاذهم في شدةٍ ورخاءِ
نزلَ الكتابُ بدورهمْ في فضلهم
والأنبياءُ حكتهُ في الأنبياءِ
خزانُ علمِ الله موضعُ سرهِ
أمناؤهُ في الجهرِ والإخفاءِ
سل عن مناقبهم عدوهمُ تجد
ما تبتغي منها لدى الأعداءِ
واسمعْ منَ الصلواتِ ما يتلى بها
من فضلهم واسمع من الخطباءِ
أبداهمُ الرحمنُ نورَ هدايةٍ
إذ جاشَ ليلُ الكفرِ بالظلماءِ
وقضى محبتهُم وطاعتهم على
الثقلين من داني المحلِّ ونائي
يا ليتَ شعري كيف يقدرُ قدرهُم
قولي ولو بالغتُ في الإطراءِ
ماذا أقولُ وما عسىَ أنا بالغٌ
من وصفهمْ في مدحتي وثنائي
تلكَ المناقبُ ما لها عدوٌّ ولو
كانت مداداً لجةُ الدأماءِ[2]
يا سادتي يا ال طه انتمُ
أملي وذخري في غدٍ ورجائي
أعددتُ حبكمُ لنيلِ سعادتي
في النشأتين معاً ومحو شقائي

(١) شام: اي نظر، والعوارض: جمع عارض وهو السحاب، والأنواء: المطر.

(٢) الدأماء: هو البحر.

فتشفعوا في عبدِ عبدكمُ وفي
آبائِهِ طراً معَ الأبناءِ
وعليكمُ صلَّى وسلّمَ خالقٌ
أنتمْ لديهِ اكرمُ الشفعاءِ

وله أيضاً في مدح الإمام عليّ (عليه السلام):

تفرقتْ في الأنبياءِ البررهْ
فضائلٌ تجمعت في حَيْدَرَهْ
ومحكمُ الذكرِ بهذا شاهدٌ
ينقلهُ والسنةُ المطهرهْ
قد استوى الوليُّ والعدوُّ في
أوصافهِ فجلَّ مولىً صوره
أنظر الى الدين تجدْ لواءَهُ
هو الذي من طيّهِ قد نشرَه
وانظر الى الكفرْ تجد عمودهُ
هو الذي بذِي الفقار بترَه
سلْ عنهُ عمراً من برىٰ وريدَهُ
ومرحباً منْ بالتراب عفرَهْ
واستخبرِ الجيش غداةَ خيبرٍ
من الذي الى اليهودِ عبرهْ
أثابَهُ الله بهِ لصدقهِ
والصدقُ لا بد لهُ من ثمرَه
وكم لهُ من آيةٍ بينةٍ
في الدينِ أضحتْ في الملا منتشرهْ
وقد ارادَ الله ان يُظهرهُ
فهل يطيقُ احدٌ أنْ يسترَهْ؟!
فاستمسكنْ بحيدرٍ فإنهُ
للعروة الوثقى ومولَى البررة
وابشر بجامٍ مترعٍ بهِ[1]
من كفهِ اذا وردتَ كوثرَه

وله مخمساً والأصل لغيره:

بني المختارِ فضلكمُ جليلٌ
وفي تفصيلهِ ضاقَ السبيلُ
ولكني بمجملهِ أقولُ
اليكمْ كل مكرمةٍ تؤولُ
إذا ما قيلَ جدكمُ الرسولُ
لكمْ في مغنمَ المجدِ الصفايا
وفصلُ الحكمِ في كلّ القضايَا
وأصلكمُ زكا بين البرايا
أبوكمْ خيرُ من ركبَ المطايَا
وأمكمُ المطهرةُ البتولُ

وله ايضاً مشطراً البيتين المذكورين:

(إليكم كلُّ مكرمةٍ تؤولُ)
فهل عنكم لذِي عقلٍ عدولُ
تهيمُ بكم ذوو الألبابِ وِدّاً
(إذا ما قيلَ جدكمُ الرسولُ)
(أبوكمْ خيرُ من ركبَ المطايا)
وذلك مفخرٌ لكمُ جليلُ
وأي فضيلةٍ لم تحرزوها
(وأمكمُ المطهرةُ البتول)

في الغزل:

هوايَ رضاكمْ إن تفرقتِ الأهوا
ودائِي جفاكم إن تنوعتِ الأدوا
ووصلكمُ يا سادتي إن عطفتمُ
على الوالهِ العاني هو الغايةُ القصوى
تحكمَ في قلبي كما شاءَ حبكُم
فحملني ما لا أطيقُ ولا أقوى
وعندِي شهودٌ من سهادِي ومدمعِي
وسقمِي وأشجاني على هذهِ الدعوى
وفي الحيّ ظبيٌ لا تزالُ لحاظهُ
تشنُّ على عشاقهِ غارةً شعوا
لهُ من دموعي موردٌ غيرُ ناضبٍ
ومن ربعَ قلبِي ما حَييتُ لهُ مأوى
يقولونَ بدرُ التمّ كفوُ جمالهِ
وهيهاتَ ليسَ البدرُ يوماً لهُ كفوا
زهى في محياهُ منَ الحسنِ روضةٌ
عليها جفوني تسكبُ الغيثَ كالأنوا
عرتهِ من الخمرِ الشبابي نشوةٌ
فراحَ مدى الأيامِ لا يعرفُ الصحوا
يجزُّ بقلبي وهوَ يلعبُ لاهياً
ألا بأبي من صاحبَ اللعبَ واللهوا
فلو نظرتْ عيناكَ حالي وحالهُ
لشاهدتَ ناراً عندها جنةُ المأوى
شكوتُ لهُ وهو القضيبُ صبابةً
فما مالَ لي عطفاً ولا رقَّ للشكوى
فيا متلفي رفقاً بحالِ متيمٍ
يذوبُ بأدنى ما تحملهِ رضوى
كسرتَ فؤادِي وهو ماضٍ بحبهِ
فديتُك لم لاَ في الهوى تحسنُ النحوا
وأفتيتَ يا قاضي الغرامِ بقتلِ من
تملكتهِ رقاً وقد جرتَ في الفتوى

وله ايضاً متغزلاً:

تحملتُ الهوى وبهِ فسادِي
وأهملتُ الحجى وبه رشادِي
وقادني الغرامُ اليه حتى
أتيتُ بكفهِ سهل القيادِ

---

(١) جام: الكاس، ومترع: اي ممتلىء.

(عليهم السلام):

سما في المعالي كهلنا ووليدنا
وسدنا فأهلُ الأرضِ طراً عبيدُنا
ولما حوى در المفاخرِ جيدُنا
غنينا بنا عن كلّ من لا يريدُنا
وإن كثرت أوصافُهُ ونعوتُه
ملكنا نواصي المجدِ والفضلِ والعلاَ
وفقنا بتني الدُنيا أخيراً وأولاً
ألا إنّ من والىٰ فمنّا له الولاَ
ومن صدَّ عنا حسبُهُ الصدُّ والقلا
ومن فاتنا يكفيهِ أنّا نفوتُهُ

له مشطراً البيتين المذكورين:

(غنينا بنا عن كل من
وإنْ سارَ ما بينَ البريةِ صيتهُ
علونا فلم نحفلْ بمن شطَّ ودنا
(ولو كثرتْ أوصافُهِ ونعوتُه)
(ومن صدَّ عنّا حسبُهُ الصدُّ والقلاَ)
يسومانهِ في الدهرِ خسفاً يميتهُ
ومنْ جاءنا بالودِّ فازَ بودنا
(ومن فاتنا يكفيهِ أنّا نفوتُه)(١)

علي اكبر بن محمد علي:

فاضل عالم بالتجويد وعلم القراءات، تعلم القراءة عند الآقا محمد رضا؟، من أعلام القرن الثالث عشر.

له «تجويد القرآن الكريم»(٢).

الشيخ علي اصغر بن الشيخ محمد الشكرنابي القزويني المعروف والمتخلص بـ وحدتي:

ولد في قرية شكر ناب من قرى شرق قزوين بسنة ١٢٨٥ وتوفى بقزوين سنة ١٣٥٦ ودفن في الجانب الشرقي من صحن شاه زاده حسين بن الامام الرضا(ع).

من نوابغ علماء الكيمياء والرياضيات، فلكي متضلع وشاعر اديب.

أخذ اوليات العلوم في قرية شكرناب ثم هاجر الى قزوين واخذ المقدمات والعلوم العربية وفنون الادب على جملة من اساتذة المدرسة الصالحية واولع بالفلسفة والكيمياء والرياضيات فأخذها بجد واتقان وحضر على السيد احمد الطالقاني ثم هاجر الى العراق قاصداً الحوزة العلمية الكبرى وسكن كربلاء وتخرج في الحكمة والفلسفة على الشيخ الميرزا علامة البرغاني آل الصالحي واخذ الفقه والاصول على مدرس الطف الشيخ الميرزا علي نقى البرغاني الحائري آل الصالحي ثم رجع الى ايران سنة ١٣٢٣ هجرية واستقر في طهران وتعرف هناك على السيد موسى الزرابادي القزويني المتوفى سنة ١٣٥٣ وحضر عليه سنين واختص به ولازمه ورجع معه الى قزوين. واشتهر المترجم له في قزوين، فكان من اكابر مدرسي الرياضيات في قزوين.

ترك مؤلفات هامة في علوم الكيمياء والرياضيات وغيرها. وديوان شعر، ومنظومة في العلوم الغريبة، ومنظومة في الكيمياء.

وله رسائل صغيرة ومنظومات كثيرة يطول علينا شرحها(٣).

الميرزا علي محمد بن محمد علي الشريف الشريفي الاصبهاني:

من أفاضل اوائل القرن الرابع عشر، أديب شاعر بالفارسية يتخلص في شعره بـ«شريفي»(٤).

علي المسكناني الاصبهاني:

فقيه اصولي متبحر، والظاهر أنه من علماء اصبهان في القرن الثالث عشر.

له «حاشية معالم الاصول»(٥)

السيد علي خان المدني الشيرازي الشهير بابن معصوم(٦)

ولد في المدينة المنورة سنة ١٠٥٢ وتوفي في شيراز سنة ١١١٨ ودفن في حرم السيد احمد بن الامام الكاظم (ع) المعروف بشاه جراغ بجوار السيد ماجد البحراني.

(المدني): نسبة الى مسقط رأسه المدينة المنورة وهذا اللقب هو من اشهر ألقابه واحبها اليه فيلقب نفسه دائما به كما في مقدمته لكتابه رياض السالكين.

و(الشيرازي): حيث كان ستة عشر جدا من اجداده يستوطنون شيراز وقد اشتهر بهذا اللقب بعد لقب المدني في الأوساط الدينية والعلمية في ايران.

و(ابن معصوم): نسبة لجده الاول محمد معصوم صدر الدين وقد كنى نفسه في مقدمة رياض السالكين به.

وفي الاوساط العلمية في ايران يعرف بالسيد علي خان الكبير - والكبير هنا من الاكبار والاجلال، ويعرف بالسيد علي شارح الصحيفة.

واسرته أسرة علمية عريقة مشهورة في التاريخ الاسلامي. برز منهم علماء في الفلسفة والادب والفقه...

انتشرت في اماكن عدة كالحجاز والعراق وايران والهند..

ووالده هو نظام الدين احمد المولود في الطائف بالحجاز سنة ١٠٢٧ وعاش مع والده (جد السيد علي خان) وتلقى علومه الاولية في مكة حتى دعاه سلطان حيدر آباد السلطان عبد الله قطب شاه الى الهند سنة ١٠٥٥ وعمره ٢٨ سنة فلبى الدعوة وبعد وصوله اسند السلطان

---

(١) السيد هاشم الشخص.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٤) السيد أحمد الحسيني.

(٥) السيد أحمد الحسيني.

(٦) من الترجمات التي توفي مؤلف (الاعيان) قبل ان يكملها، وعند طبع المسودات التي تركها المؤلف نشرنا ما وجدناه من ترجمته، ثم استدركنا على ذلك شيئاً من الشعر في المجلد الاول من المستدركات. وننشر هنا هذه الترجمة الكاملة المكتوبة بقلم الاستاذ محمد العوامي (ح).

عليه تدبير امور المملكة القطب شاهية القائمة في حيدر آباد ورشح ليكون وليا للعهد بعد زواجه من ابنة الملك قطب شاه.

وبعد وفاة الملك المذكور تغلب صهره الميرزا ابو الحسن على الحكم فحكم، واودع السيد نظام الدين احمد وابنه السيد علي خان السجن الى ان توفي السيد نظام الدين محجوزا في ١٧ صفر ١٠٨٥.

وارخ وفاته ابنه السيد علي خان فقال:

حزنت لموتك طيبة ومنى وزمزم والحطيم
فلذا اتى ببديهة تاريخه حزن عظيم[1]

له ديوان شعر وقصائد كما في سلوة الغريب واسوة الاريب، وله رسالة في التوحيد ورسالة في المعاد الجسماني والنبوة.

ووالدته هي كريمة الشيخ احمد بن محمد المنوفي المصري امام الشافعية في الحجاز والمتوفى بدمشق سنة ١٠٤٤هـ. كان صاحب ثروة. توفيت عنه والدته وهو في المهد فتولت عمته تربيته.

عقبه:

يقول شاكر هادي شكر: لم يذكر احد من مترجميه عن عقبه شيئا، غير انني وجدت جماعة من العلويين في العراق يعرفون بآل السيد علي خان ينتمون اليه، وهم يقطنون في الوقت الحاضر في النجف الأشرف، وفي طويريج وقال لي احدهم ان من اخوتهم من يسكنون في اماكن متعددة من محافظات القادسية وواسط وديالي، ومنهم في بعقوبا السيد عبد الكريم السيد علي خان[2]، وذكر معاصره صاحب رياض العلماء ان للسيد المدني اولاداً بشيراز[3].

والصحيح هو ما ذكره صاحب فارسنامه ناصري ان للسيد علي خان ابن يسمى مجد الدين محمد. ولد سنة ١١٠٥هـ في حيدر آباد وانتقل مع والده الى مكة سنة ١١١٣هـ ثم الى شيراز سنة ١١١٧هـ وتوفي ودفن فيها سنة ١١٨١هـ ولمحمد هذا سبعة اولاد معروفون[4] اشتغل بعضهم بالعلم (كالميرزا محمد حسين والد الميرزا ابراهيم صاحب فصل الخطاب).

والميرزا حسن المولود بشيراز سنة ١١٨٠هـ والمتوفي فيها سنة ١٢٣٧ ولميرزا حسن هذا احفاد منهم ميرزا حسن صاحب كتاب فارسنامه الشهير بالفارسية ولميرزا حسن هذا اربعة اولاد منهم ميرزا سيد علي المولود سنة ١٢٧٠ والميرزا سيد جواد المولود سنة ١٢٧٣ واللذان انتقلا لفترة زمنية الى العراق لطلب العلم ولكنهما عادا الى شيراز[5].

ويذكر الدكتور محمد هادي الامين اربعة من احفاد السيد علي خان وذلك في كتابه مع رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام فيذكر منهم:

(١) مقدمة ديوان ابن معصوم ص ٢٤.
(٢) رياض العلماء ج ٣، ص ٣٦٥.
(٣) فارسنامه ناصري الجزء الثاني ص ٧٧.
(٤) الكواكب المنشرة في القرن الثاني بعد العشرة مخطوط.
(٥) فارسنامه ناصري الجزء الثاني ص ٩٠.

ـ احمد بن السيد... بن السيد علي خان المدني امام الادب في القرن الحادي عشر وصاحب المؤلفات العتيدة ـ المتوفى... كان عالماً فاضلاً عبقرياً شاعرا ذا مكانة سامية في الاوساط الادبية والعلمية، له: ديوان شعر.

ـ عبد الحسن بن السيد علي آل السيد علي خان ١٣٠١هـ ـ ١٣٧٦هـ كان من العلماء الاتقياء سكن ـ غماس ـ له مؤلفات في الفقه والاصول والاخبار وكتاب في الادعية وكلها مخطوطة عند ولده السيد الاجل الفاضل السيد عبد الرسول.

ـ عبد الحسين بن السيد علي السيد علي خان ولد ١٣١٢هـ/١٨٩٥م عالم فاضل مجتهد جليل مثال الفضيلة والتقوى والاخلاق السامية غادر النجف سنة ١٣٧٠هـ وسكن ناحية ـ بلد ـ للقيام بامامة الجماعة والوعظ والتوجيه والارشاد له مؤلفات في الفقه والاصول.

ـ عبد الكريم بن السيد علي ولد ١٣١٩هـ/١٩٠١م مجتهد جليل عليم فذ اصولي متتبع من ائمة التقليد والجماعة له اجازة اجتهاد مصدقة من قبل اصحاب السماحة الشيخ آل يسين والسيد الشيرازي والسيد الحكيم والسيد الحمامي زاهد ورع تقي جامع المعقول والمنقول ابي النفس عفيف الضمير الى منتهى حدود الشيم والعفة والاباء يسكن ـ بعقوبة ـ له: الحدائق، التبصرة، النظرات حاشية على الكفاية، شرح العروة الوثقى[6].

والاقرب ان السادة عبد الحسن وعبد الحسين وعبد الكريم المذكورين هم ابناء السيد علي بن السيد حسن صاحب فارسنامة ناصري والله اعلم.

اساتذته وتلاميذه:

اشتغل خلال فترة صباه بطلب العلم في مكة المكرمة الى ان هاجر الى حيدر آباد وعمره ١٤ سنة ولكن لم يذكر مترجموه احداً ممن تلقى علومه عليهم في تلك الفترة الا عدداً محدوداً.

وهو يروي عن والده السيد احمد نظام الدين وعن استاذه الشيخ جعفر البحراني الذي يقول السيد المدني فيه: شيخي الافضل، واستاذي الاكمل، مجمع الفضائل والآداب، ومرجع الافاضل في كل باب[7] وصل الهند سنة ١٠٦٩ وحضر مجلس والد السيد علي خان. توفي سنة ١٠٨٨هـ في حيدر آباد بالهند.

وحضر الدرس لدى استاذه الشيخ محمد بن علي بن محمود الشامي المتوفي سنة نيف وتسعين والفا[8] فاخذ منه علم النحو والبيان وبعض ابواب الفقه والحساب[9] ويظهر ان لاستاذه هذا الفضل الاكبر في تثقيفه وتعليمه لكثرة ما قاله السيد المدني في المدح والثناء عليه ولعله درس عنده بعض فنون الادب والشعر وقد انشده السيد المدني يوما فقال:

(٦) مع رجال الفكر والادب في النجف ـ في الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
(٧) رحلة ابن معصوم ص ٦٦.
(٨) انوار الربيع ج ١، ص ٥٠.
(٩) رحلة ابن معصوم ص ٢٠٦.

مـا نـفـثـة الـسـحـر الا شـعـرك الـسـامـي
يـا مـن عـلا كـل نـثـار ونـظـام
لانـت افـصـح مـن لاقـيـت مـن يمـن
الا رأيـت الـغـنى خـلـفـي وقـدامـي[١]

ويروي عن الشيخ علي بن فخر الدين محمد بن الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني المتوفي سنة ١١٠٤هـ[٢].

ويروي عنه السيد الامير محمد حسين بن الامير محمد صالح الخاتون ابادي المتوفي سنة ١١٥١هـ والشيخ باقر بن المولى محمد حسين المكي كما في الاجازة الكبيرة للسيد الجزائري[٣].

تراثه:

اشتهر في الوسط الديني والحوزات العلمية بكتابه شرح الصحيفة السجادية وكتاب الحدائق الندية.

واشتهر في الوسط الادبي بديوانه وكتابه سلوة الغريب وسلافة العصر.

كما لا غنى لمن يبحث في التاريخ والتراجم عن بعض كتبه كالدرجات الرفيعة وكذا الحال في اللغة والطرافة وغيرها

واحد وعشرون مؤلفاً ذكرها مؤرخوه من تصانيفه لا يزال بعضها مخطوطاً والبعض الآخر مفقوداً او ناقصاً كما طبع كثير منها في اماكن كثيرة كمصر ولبنان وايران والعراق واليك اهمها:

١ - رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للامام علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام).

وقد اشتهر هذا الشرح في الاوساط الدينية حتى عرف السيد المدني بشارح الصحيفة.

٢ - الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة:

والنسخ المتداولة من هذا الكتاب تحوي فقط على الطبقة الاولى وشيء من الطبقة الرابعة والحادية عشر وهي الاجزاء التي عثر عليها دون بقية الطبقات التي اشار المؤلف في مقدمته اليها.

وتوجد من الكتاب نسخة في برلين واخرى في مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف الاشرف وقد طبع في المطبعة الحيدرية بالنجف الاشرف سنة ١٣٨٢هـ - ١٩١٢م في ٥٩٠ صفحة. وطبعته مكتبة بصيرتي في قم سنة ١٣٩٧هـ.

واعادت مؤسسة الوفاء في بيروت طبعه سنة ١٤٠٣هـ. ١٩٨٢م.

٣ - الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية. والفوائد الصمدية في النحو للشيخ البهائي وهو شرحه الكبير لها.

طبع الكتاب سنة ١٢٩٧هـ طبعة حجرية واخرى جديدة حجرية ايضاً طبعتها مؤسسة دار الهجرة في قم المقدسة بايران.

٤ - شرحان - متوسط وصغير على الصمدية والظاهر انهما مفقودان[٤].

(١) رحلة ابن معصوم ص ٢١٠.
(٢) الغدير ج ١١، ص ٣٤٩.
(٣) الغدير ج ١١، ص ٣٤٩.
(٤) مقدمة ديوان ابن معصوم.

٥ - ديوان شعره: في ١٨٣ صفحة متوسطة توجد منه عدة نسخ في العراق. واكثره مراسلات ومدائح في ابيه وفيه عرسيات كثيرة[٥].

وله شعر كثير لا يوجد في ديوانه منه تخميسه ميمية شرف الدين البوصيري الشهيرة بالبردة اولها مخمسا..

يـا سـاهـر الـلـيـل يـرعى النجم في الـظلم
ونـاحـل الجـسـم مـن وجـد ومـن الم
مـا بـال جـفـنـك يـذر والـدمـع كـالـغـيم
امـن تـذكـر جـيران بـذي سـلم
مزجت دمعا جرى من مقله بدم[٦]

وقد حقق شاكر هادي الديوان وطبع في بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦ - سلوة الغريب واسوة الاريب.. المعروف برحلة ابن معصوم.

وهو وصف لما شاهده في رحلته من مكة الى حيدر آباد سنة ١٠٦٦. وهو لم يزل حدث السن.

انتهى من تأليفه في جمادى الثانية سنة ١٠٧٥هـ وتوجد منه نسخة في برلين بالمانيا واخرى في مكتبة السيد محمد باقر الحجة بكربلاء وثالثة في طهران لدى السيد محمد باقر بحر العلوم، الكتاب من اشهر كتب المؤلف في الوسط الادبي وتردد ذكره كمصدر ادبي.

يصف السيد المدني في كتابه هذا المدن والقرى والسكان والمناخ والماء والهواء والجبال والاشجار والثمار والحيوان والمساجد ومراقد العلماء وترجم بعضهم، ووصف البحار وما فيها من حيوان واحجار كريمة وغرائب. فنمق كل ذلك ووشاه بما عرف عنه من القدرة على الاستطراد الادبي والاستدراك العلمي المفيد واورد الكثير من الشواهد المختارة المفيدة نظما ونثرا.. والحكايات والفوائد الطريفة المسلية.

وقد قال رحمه الله فيه:

رحـلـتي الـمـشـتـهـاة تـزري
بـالـروض عـنـد الـفـتى الاريـب
فـان تـغـربـت فـاصـطحـبـهـا
فـانها سـلـوة الـغـريـب[٧]

طبع سنة ١٣٠٦هـ وطبع مؤخراً في بيروت بتحقيق شاكر هادي شكر.

٧ - انوار الربيع في انواع البديع..

فيه شرح لبديعته (١٤٧ بيتاً) نظمها في اثني عشر ليلة[٨] قارن المؤلف بينها وبين بديعيات جملة من الشعراء الذين تقدموه كالصفي الحلي وابن جابر الاندلسي وعز الدين الموصلي وابن حجة الحموي وعبد القادر الطبري وشرف الدين المقري وغيرهم.

اورد خلال ذلك نخبا من الشواهد الشعرية بلغت اكثر من اثنى

(٥) وفيات الاعيان ج ٨، ص ١٥٣.
(٦) الغدير ج ١١، ص ٣٤٨.
(٧) ديوان ابن معصوم ص ٨٩.
(٨) راجع ديوان ابن معصوم لمحققه شاكر هادي شكر ص ٣٦٥.

عشر الف بيت موردا فيها الحوادث التاريخية والمسائل الفقهية والطرائف الادبية

وقد انتهى من تأليفه سنة ١٠٩٣.

طبع لاول مرة في ايران سنة ١٣٠٤هـ طبعة حجرية والثانية في مطبعة النعمان بالنجف سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م بتحقيق شاكر هادي شكر في سبعة اجزاء خصص الجزء السابع منه للفهارس.

٨ - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر..

وهو مجموعة ادبية قيمة ويشتمل على تراجم ادباء القرن الحادي عشر ومن قاربهم ممن تقدم زمانه قليلاً، وهو ذيل ريحانة الالباء لشهاب الدين الخفاجي.

شرع في تأليفه اواخر سنة ١٠٨١هـ في الهند وانتهى منه في ٧ ربيع الثاني ١٠٨٢هـ جمع فيه اخبار المعاصرين وبعض اقوالهم ومؤلفاتهم واشعارهم وقسمه الى خمسة اقسام..

الاول محاسن اهل الحرمين.

الثاني محاسن اهل الشام ومصر.

الثالث محاسن اهل اليمن.

الرابع محاسن اهل ايران والعراق والبحرين.

الخامس محاسن اهل المغرب.

طبع في مصر بمطبعة الخانجي سنة ١٣٢٨هـ في ٦٠٧ صفحة والطبعة الثانية في ايران سنة ١٣٨٧.

٩ - ملحق السلافة او ذيل السلافة وهو تراجم كثيرة الحقها بالسلافة. منها نسخة في مكتبة السيد المرعشي النجفي في قم انتهى منه (١٠٨٢هـ).

ومن هذا الكتاب وهو في مجلدين نسخة في مكتبة آل كاشف الغطاء.

١١ - نغمة الاغاني في عشرة الاخوان.

١٢ - الكلم الطيب والغيث الصيب في الادعية المأثورة ولم يتمه وهو مطبوع عدة طبعات حجرية.

١٣ - رسالة في المسلسلة بالاباء: شرح فيها الاحاديث الخمسة المسلسلة بآبائه فرغ منها سنة ١١٠٩هـ

١٤ - رسالة نفثة المصدور: نوه عنها في باب الكلام الجامع من كتابه انوار الربيع حيث قال: «وقد عقدت لكل من ذم الزمان وذم ابناءه فصلا في نفثة المصدور وذكرت فيها من النثر والنظم ما يشفي الصدور .

١٥ - كتاب محك القريض.

١٦ - المخلاة في المحاضرات.

١٧ - التذكرة في الفوائد النادرة.

١٨ - رسالة اغلاط الفيروز ابادي في القاموس، نقل عنه السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس.

١٩ - موضح الرشاد في شرح الارشاد: في النحو.

٢٠ - حديقة العلم: طبع في حيدر آباد سنة ١٢٢٦.

٢١ - الزهرة في النحو.

مع الدولة القطب شاهية
في حيدر آباد

استقر السيد المدني في حيدر آباد وقضى فيها ثمانية عشر عاماً (١٠٦٨هـ - ١٠٨٥هـ) وحضر مجلس والده الذي عُين ولياً لعهد السلطان عبد الله قطب شاه المتوفي سنة ١٦٧٢م - ١٠٨٣هـ.

ومن المؤكد ان مجلس والده كان منتدى للعلماء والادباء والاعيان القادمين من مختلف الامصار. وقد ذكر السيد المدني في كتابه بعضهم ومنهم الشيخ محمد بن علي الشامي (الآنف الذكر) والسيد عمار بن بركات ابن ابي نمي[1] والشيخ جعفر البحراني (الآنف الذكر) والشيخ حسين بن شهاب الشامي[2] والشيخ عبد الله بن الحسين بن شاجل الثقفي[3].

وتولى السيد المدني مناصب في الدولة القطب شاهية.

بعد وفاة السلطان عبد الله قطب شاه(١٠٨٣هـ) تغلب صهره الميرزا ابو الحسن المعروف بتاناشاه وكان ضعيفا وآخر ملوك القطب شاهية حيث هزمه الحاكم المغولي محمد اورنك زيب شاه[4] فاودعه السجن وانهى دولة القطب شاهية سنة ١٦٨٧م.

وقبل ان تهزم الدولة في عهد ابو الحسن قطب شاه فرضت الاقامة الجبرية على السيد علي خان وابيه الذي توفي محجوزاً سنة ١٠٨٥هـ.

فاخذ السيد المدني يكابد ويستغيث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طالباً الفرج فمدح النبي الاكرم واستجار به واشعر يقول:

طال بي الأسرُ وطال الأسى ... وما على ذلك لي مُسعدُ
قد نفد الصبرُ لما نالني ... وكيف لا يفنى ولا ينفدُ
فالغارة الغارة يا سيدي ... فانك الملجأ والمقصِدُ
حسبك ذخري يوم لا والد ... يغني ولا والدةٌ تسعد
وانت في الدارين لي موئلٌ ... اذا جفا الأقربُ والأبعدُ
فاكشف بلائي سيدي عاجلاً ... علّ حرارات الأسى تبردُ
وادنني منك جواراً فقد ... ضاق بي المضجع والمرقدُ

---

(١) ترجمته في سلافة العصر ص وهو سيد جليل القدر اديب شاعر توفي سنة ١٠٦٩هـ.

(٢) ترجمته في انوار الربيع ج ١ ص ٥١ توفي سنة ١٠٧٦هـ.

(٣) ترجمته في سلافة العصر ص ٢٣٧ ونفحة الريحانة للمحبي ج ٤ ص ١٤١.

(٤) (محيي الدين، الملقب عالمكير) ١٦١٨م - ١٧٠٧م سادس وآخر اباطرة المغول في الهند حكم - ١٧٠٧م (١٠٦٩هـ - ١١١٨هـ). عرفت امبراطوريته في عهده اقصى اتساعها واسقط الدولتين القطب شاهية والعادل شاهية، كان شديد التعصب والعداء للشيعة وغيرهم.

بعد وفاته خلفه ابنه شاه عالم بهادرشاه وكان خلافاً لابيه معلناً ومجاهراً بالتشيع.

وبوئني طيبةُ موطناً
فانّها لي سابقاً مولدُ
وهي لعمري مقصدي والمنى
لا الأبلقُ الفردُ ولا ثهمدُ(١)

وبعد وفاة والده في الحجز نمي له ان القوم يريدون قتله فهرب من حيدر آباد الى برهان پور التي كان يحكمها في ذلك الوقت السلطان المغولي محمد اورنك زيب شاه فلاحقه القوم وجدوا في طلبه ولكن لم يتمكنوا منه فانشد الشعر قائلاً:

وبثوا الجياد السابحات ليلحقوا
وهل يدرك الكسلان شأوا أخي الجد
فساروا وعادوا خائبين على وجى
كما خاب من قد بات منهم على وعد(٢)

الى الدولة المغولية في برهان بور
وتلقيبه بالسيد علي خان

وصل الى برهان بور بعد ان افلت من اعدائه كما اسلفنا واستقبله مرحبا سلطانها محمد اورنك زيب شاه وقلده قيادة كتيبة من الجيش تعدادها ١٣٠٠ فارس ولقبه بالسيد علي خان وهو لقب تشريفي كبير في الهند يومذاك.

ولما ذهب اورنك زيب شاه الى مدينة احمد نكر شرقي بمبي بالهند اصطحبه معه وجعله حارسا عليها ثم عينه واليا على حكومة لاهور وتوابعها وهي العاصمة القديمة للمسلمين في الهند.

ثم تقلد رئاسة ديوان السلطان في برهان بور حتى تكونت حالة ثقة قوية بينه وبين السلطان المذكور يمكن استشفافها من خلال اهدائه للسلطان نظمه في تخميس قصيدة البردة الشهيرة للبويصري حتى قال في اهدائه:

(ولما انتظم - بحمد الله - عقد ناظمه، واقترن حسن ابتدائه بحسن ختامه، قدمته الى الحضرة التي سما ملكها على الملوك، سمو المالك على المملوك، خليفة الله في ارضه، محيي معالم سنته وفرضه. ظل الله الممدود على الانام سيف الله المسلول على عبدة الاصنام. مؤسس قواعد الدين الحنيف. مشيد عماد الملة المنيف. المؤيد بنصر الله في المحافل والمغازي، ابي الظفر محمد اورنك زيب عالم گير الغازي. لا زالت ألويته بنصره خافقة كقلوب اعدائه، ولافتئت انديته بذكره منشرحة كصدور اوليائه، واني ارغب ان يحل هذا التخميس من القبول محل اصله، وان يجعله من اعظم الوسائل الى نيل نواله وفضله، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل(٣).

امضى السيد المدني في هذه المناصب وغيرها مدة طويلة ثم طلب الاستعفاء من منصبه وكان ذلك عام ١١١٣هـ

(١) ديوان ابن معصوم ص ١٣٧.
(٢) ديوان ابن معصوم ص ٦٠٦.
(٣) تخميس قصيدة البردة للسيد علي خان المدني ص ١٢ طبعة مؤسسة البعثة بطهران ١٤٠٤هـ.

العودة الى الوطن

يظهر انه لم يكن على وفاق تام مع السلطان اورنك زيب شاه في آخر حياته لكبر سنه فنبزه السيد المدني بالظلم والتغطرس، والاصغاء الى اقوال الاعداء، فضاق ذرعاً ولم يعد يتحمل البقاء معه فحاول مراراً التخلص منه والخروج من الهند بالتي هي احسن فطلب من السلطان السماح له بالسفر مع عائلته لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولقد سجل السيد المدني القلق الذي كان يساوره في تلك الفترة بعدة قصائد نبوية طافحة بالآلم ومر الشكوى منها بضعة ابيات من قصيدة نظمها وهو على ظهر السفينة عند خروجه من الهند يقول فيها(٤):

اذا ما امتطيت الفلك مقتحم البحر
وولّيت ظهري الهند منشرح الصدر
فما لمليك الهند إن ضاق صدره
علي يد تقضي بنهي ولا امر
الم يصغ للأعداء سمعاً وقد عدت
عقاربهم نحوي بكيدهم تسري
فأوتر قوس الظلم لي وهو ساخط
وسدد لي سهم التغطرس والكبر
وسد علي الطرق من كل جانب
وهم بما ضاقت به ساحة الصبر
الى ان اراد الله انفاذ امره
على الرغم منه في مشيئته امري
فرد عليه سهمه نحو نحره
وقلد بالنعماء من فضله نحري
فأمسيت من تلك المخاوف آمناً
وعادت أموري بعد عسر الى يسر(٥)

فوصل السيد المدني مع عائلته الى مكة المكرمة وأدى مناسك الحج ثم زار قبر النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور أئمة البقيع (عليهم السلام).

فعمر املاكه التي في الحجاز وهي كثيرة واوقفها وولى عليها أولاده الاكبر فالاكبر كما يذكر حفيده الميرزا حسن صاحب فارسنامه ناصري الذي قال ان لديه اوراق الوقف وذكرها بالتفصيل.

العودة الى شيراز

اراد السيد المدني ان يستقر في مكة والمدينة التي طالما حن اليهما ولكنه وجد الناس غير الناس الذين فارقهم والفهم، فلا اصحاب ولا إلفه وكل شيء غريب. فلم يبقى طويلا وغادر مكة والمدينة وهو غير راغب في مغادرتها حيث كانت امنيته ان يبقى فيهما طوال عمره كما يشير في قصيدة له..

(٤) مقدمة ديوان ابن معصوم لشاكر هادي شكر ص ٧.
(٥) ديوان ابن معصوم ص ١٧١.

فابت الى البيت العتيق مودعا
له نويا عودي اليه مدى العمر
ووجهت وجهي نحو طيبة قاصدا
الى خير مقصود من البر والبحر

فتوجه للعراق وزار البصرة والنجف وكربلاء وبغداد وسامراء وبعد اقامة قصيرة وزيارة العتبات المقدسة لم يطب له المقام فيها فسافر الى خراسان ومن ثم الى اصفهان عاصمة ايران آنذاك بدعوة من شاه ايران الشاه حسين الصفوي فوصل اليها سنة ١١١٧هـ.

وهناك قدم السيد المدني كتابه رياض السالكين الى السلطان الصفوي ولكنه وجد الامور غير طبيعية ومضطربة في العاصمة فقصد مدينة اجداده شيراز ووجدها عامرة بالحركة العلمية فاختارها مقرا مؤقتا لسكناه آملا بالعودة الى الحجاز وانصرف في التدريس والتأليف في المدرسة المنصورية حتى لبى نداء ربه.

ألم الفراق وحنين العودة الى الوطن

انعكس حبه للوطن وألمه للفراق وحنين العودة في مواضع عدة من شعره وتمتاز مكة المكرمة بمكانة خاصة في قلبه فيخاطبها عندما غادرها للهند ملتحقا بوالده:

امعاد هل يفضي اليك معاد
يوما يرغم معاند وعاد
فافوز منك بكل ما املته
دخرا لأخرتي ويوم معاد

ويقول في مكة ايضا:

فارقت مكة والاقدار تقحمني
ولي فؤاد بها ثاو مدى الزمن
فارقتها لا رضى مني وقد شهدت
بذاك املاك ذاك الحجر والدكن
فارقتها وبودي اذ فرقت بها
لو كان قد فارقت روحي بدني

ويذكر نجد مستصغرا ارض الهند امامها فيقول:

يقول الهاشمي غداة حزنا
بحار الهند نقطع كل وهد[1]
اتذكر عن هوى تلعات[2] نجد
واين الهند من تلعات نجد

وفي موضع ثالث يقول عن مكة المكرمة:

خليلي هل عهدي بمكة راجع
فقد قليت بالهند مني المضاجع
وهل شربة من ماء زمزم ترتوي
بها(كبد) قد أظمأتها الوقائع
وهل عامر ربع الهوى بسويقة[3]
فعهدي بذاك الربع للشمل جامع

(١) الوهد: الارض المنخفضة.

(٢) تلعات: جمع تلعة وهي ما علا وما سفل من الارض.

(٣) سويقة: اسم لاكثر من موضع في الحجاز والمقصود هنا بسويقة: حي كان في مكة المكرمة الى الشمال من المسجد الحرام وفيه منزل السيد المدني ولكن دخل مؤخراً هذا الحي في التوسعة للمسجد الحرام.

وهل من صفا من سالف العيش بالصفا
يعود لنا يوما فتصفو المشارع
سقى الله ما بين الحجون الى الصفا
مرابع فيها للظباء مراتع
وجاد بأجياد[4] منازل جيرة
بهن حمام الابطحين سواجع
وحيّا الحيا بالمأزمين[5] معاهدا
فما عهدها عندي مدى الدهر ضائع

ويخاطب اهل مكة قائلاً:

وحياتكم يا ساكنين ام القرى
ما كان حبكم حديثا يفترى
اهوى دياركم التي من حلها
حل الجنان بها وعل الكوثر

الى ان يقول:

لله ايامي بمكة والصبا
تهدي الى فؤادي مسكا اوفر
اشري بكل الدهر منها ساعة
لو انها مما تباع وتشترى

ويتذكر بحرقة ايام اقامته بالحجاز قائلا:

سقى الله ايامنا بالحجاز
ولا جازها الغيدق الهاطل
فما كان ارغد عيشي بها
اذ المنزل القفر بي آهل
لقد طال وجدي وذكري لها
وليس لعصر مضى طائل
فيها لهف نفسي له ماضيا
ترحل والوجد بي نازل
ترى من عزائي به خارج
وداء الاسى في الحشا داخل
درى ان وجدي به لا يزو
ل وصبري من بعده زائل
يقولون لي انه خاذل
وخير الظبا الشادن الخاذل
اتعذلني جاهلا حاله
لك الويل يا ايها العاذل
تجيب الصفاة وليس يجيـ
ـب ودمعي على وجنتي سائل

ويقول في خاتمة قصيدة اخرى:

(٤) اجياد: موضع الى الغرب من جبل الصفا بمكة المكرمة.

(٥) المأزمين (بلفظ التثنية): موضع بين المشعر وعرفة.

ولاح من الحجاز لنا بريق
تلألا يستطير على حراز[١]
سقى الله الحجاز وساكنيه
وحيا معهد الخلود الكناز[٢]
الى اهل الحجاز يحن قلبي
فوا شوقي الى اهل الحجاز

ولا يزال الشاعر يعتبر نجد جزء من بلده فيشعرها بشاعريته واحساسه المرهف فيقول:

سل الديار عن اهيل نجد
إن كان تسآل الديار يجدي
وقف بهاتيك الرسوم ساعة
لعله يطفىء لهيب وجدي
منازلٌ قد حزت فيها أربي
ونلتُ سُؤلي وقضيت وَعْدي
ما عن لي ذكر زمان قد مضى
بظلها إلا وهاج وقدي
اصبو من الهند الى نجد هوى
وأين نجد من ديار الهند
والتقي كل رياح خطرت
أحسبها ليلاً نسيم نجد
آه من البين المشت والنوى
كم قرحا من كبد وخد
فهل ترى ينتظم الشمل الذي
قد نثرته البين نثر العقد
وهل لأيام الصبا من رجعة
أم هل لأيام النوى من بعد
أنوح ما ناح الحمام غدوة
هيهات ما قصد الحمام قصدي
أبكي وتبكي لوعة وطربا
وما بكاء الهزل مثل الجد
ظنت حمامات اللوى عشية
في الحب أن عندها ما عندي
تلهو على غصونها ومهجتي
تصبو الى تلك القدود الملد
شتان ما بين جو وفرح
وبين مخف سره ومبد
ما مشربي صاف وان ساغ ولا
عيشي من بعد النوى برغد
سل ادمعي عما تجن أضلعي
فالقلب يخفي والدموع تبدي

وقال يمدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويخاطبه:

وقد طال البعاد وزاد شوقي
اليك وعاقني دهري واواني
فابدلني ببعد الدار قربا
وبوّئني بتلك الدار سكني

وكانت فرحته كبيرة وهو عائد الى وطنه بعد غربة عنه دامت ٤٧ سنة فانشد قصيدة وصف فيها حاله في مكة بجوار البيت الحرام وفي المدينة بجوار النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول:

اسفت على المرسى بشاطىء جدة
فجددت الأفراح لي طلعة البر
وهب نسيم القرب من نحو مكة
ولاح سنى البيت المحرم والحجر
وسارت ركابي لا تمل من السُرى
الى موطن التقوى منتجع البر
إلى الكعبة البيت الحرام الذي علا
على كل عالٍ من بناءٍ ومن قصر
فطفت به سبعاً وقبلت ركنه
وأقبلت نحو الحجر آوي الى حجر
وقد ساغ لي من ماء زمزم شربة
نقعت بها بعد الصدى غلة الصدر
هنالك الفيت المسرة والهنا
وفزت بما املت من سالف الدهر
وقمت بفرض الحج طوعاً لمن قضى
على الناس حج البيت مغتنم الأجر
وسرت الى تلك المشاعر راجياً
من الله غفران المآثم والوزر
وجئت منى والقلب قد فاز بالمنى
وما راعني بالخيف خوف من النفر
وباكرت رميي للجمار وانما
رميت بها قلب التباعد بالجمر
أقمنا ثلاثاً ليتها الدهر كله
الى ان نفرنا من منى رابع العشر
فأبت الى البيت العتيق مودعاً
له ناوياً عودي اليه مدى العمر
ووجهت وجهي نحو طيبة قاصداً
الى خير مقصود من البر والبحر
الى السيد البر الذي فاض بره
فوافيت من بحر اسير الى بر
الى خيرة الله الذي شهد الورى
له أنّه المختار في عالم الذرّ
فقبلت من مثواه أعتابه التي
أنافت على هام السماكين والنسر
وعفرت وجهي في ثراه لوجهه
وطاب لي التعفير اذ جئت عن عفر

---

(١) حراز (كسحاب): جبل بمكة، قاله صاحب القاموس ولم يذكره الحموي.
(٢) جارية كناز (بالكسر): كثيرة اللحم صلبة.

فـقلت لـقلبي قـد بـرئـت مـن الجـوى
وقـلت لـنفسي قـد نـجـوت مـن الـعسر
وقـلت لـعيـني شـاهـدي نـور حضرة
أضـاءت بـه الأنـوار في عـالم الأمـر
أتـدريـن مـا هـذا المـقـام الـذي سـما
عـلى قـمـم الأفـلاك أم انـت لم تـدري
مـقام النـبي المصـطفى خـير مـن وفى
محـمـد المحـمـود في مـنـزل الـذكـر
رسـول الهـدى بحـر النـدى منبـع الجـدا
مبيـد العـدى مـروي الصـدى كـاشف الضر
هـو المجتـبى المختـار مـن آل هـاشـم
فـيـالـك مـن فـرع زكـي ومـن نـجـر

علاقته بوالده

تربط المترجم علاقة وثيقة وحب شاغف بـابيه يبتـان ذلك في ديـوان شعره الذي حوى على عشرات القصائد ومئات الابيات وفي منـاسبات مختلفة يمدح فيها ابيه وتبتان تلك العلاقة ايضا في الـتزامه بـاوامر والـده حتى لو كان كارها والتي كان اصعبها خروجه من الوطن فهو من جـانب كما اسلفنا يحب وطنه حبا جما ومن جانب يحب ابيـه حبا كبـيرا فيقول في معرض حديثه عن رغبته في البقـاء في وطنه الحجاز قبال اصرار والـده عـلى الخروج منه الى بلاد الهنـد: فلم نرى بـدا من الاجـابـة، كي لا نجيء الخطا من باب الاصابة[1].

وبهذا يلمح الى انه وقع بين حبين حبه لوطنه وحبه لابيه فهو يرى ان من الاصـابـة البقـاء في الـوطن الام ولكن من الخـطأ ان يخـالف رغبـة ابيه. . .

هنا نماذج من شعره التي تعكس العلاقة بينه وبـين ابيه من القصـائد التي امتدح فيها والده وهو في طريقه الى الهنـد حيث لم يدرك والـده بعد وهو في صباه[2] فيقول:

سريـرة شـوق في الهـوى مـن أذاعـهـا
ومـهـجـة صـب بـالـنوى مـن أضـاعـهـا
أفي كـل يـوم لـلبـعـاد مـلـمـة
تـلم بـنـا لا نـسـتـطيـع دفـاعـهـا
فـلله جمـع فـرق الـبـين شـمـلـه
والـفـة صـحـب قـد ابـاد اجـتـماعـهـا
وسـاعـات انس كـان لهـواً حـديـثـهـا
سـقـى الله هـاتـيـك الـليـالي وسـاعـهـا
ولا مـثـل لـيـلى اذ تـبـدت عـشـيـة
مـددت لهـا كـفـي اريـد وداعـهـا
وقـد أقـبـلت تـذري الـدمـوع تـلهـفـاً
اذا هـتـف الـداعـي الى الـبـين راعـهـا
أشـاعـت بـنـا ايـدي الـفـراق فـأصبـحـت
تـؤم بـنـا شـم الـذرى وتـلاعـهـا
نـجـوب قـفـاراً مـا وقـفـنـا بـقـاعـهـا
ونـقـطع بـيـداً مـا حـللنـا بـقـاعـهـا
تميـل بـنـا الأكـوار لـيـلاً كـأنـنـا
نـشـاوى سـلاف قـد أدمنـا ارتـضـاعـهـا
اذا نـفـحـتـنـا نـسـمـة حـاجـريـة
أجـدت وهـاجـت لـلنـفـوس التـيـاعـهـا
فـمـن مـهـجـة لا يـسـتـقـر قـرارهـا
ومـن كـبـد نـخشى عـليـهـا انـصـداعـهـا
تجـاذبـنـا فـضـل الأزمـة ضـمـر
أهـاج نـزاع الـبـين وجـداً نـزاعـهـا
نـقـيس بهـا طـول الـفـلاة وعـرضـهـا
اذا هـي مـدت لـلمـسـير ذراعـهـا

ويقول فيه مادحا:

عـلى بـاب ابـن مـعـصـوم انـخـنـا
فـفـزنـا بـالـنـجـاة وبـالـنـجـاح
هـو ابـن عـطاء[3] المـعـطي كـثـيرا
لـنـا مـن جـوده ابـن ابي ربـاح

وقال موريا:

رأيـت قـومـا مـن بـني هـاشـم
دنـوا مـن الـعـلـيـا ومـا ابـعـدوا
وقـد وصـفـوا بـالحـمـد آبـاءهـم
واظـهـروا في المجـد مـا شـيـدوا
حـتى اذا مـا سـألـوا عـن أبي
قـلـت لهـم ان ابي احمـد

وقال يخاطبه وقد زاره:

امشرفـا قـدري بـسـعـد قـدومـه
تـفـديـك نـفسي مـن شريـف مـاجـد
الـبر حـقـك سـيـدي فـبررتـني
مـتـفـضـلا فـاعـجـب لـبر الـوالـد

ومما قاله في قصيدة يرثي والده بها:

قـد كـنـت بي بـرا وكـنـت مـواصـلا
وجمـيـل بـرك كـافـل لي كـاف
فـالـيـوم مـالـك قـد اطـلت تجـنـبـي
وهـجـرتـني هـجـر الحـبـيـب الجـافي
اجـفـا ومـا وعـدتـني مـنـك الجـفـا
وعـظـيـم حـزني لـيس عـنـك بـخـاف

وقال عبد الفتاح المصري من مقال له:

وألفـاظ النوى والبعـد والفراق ومـا إليه كثيـرة الـورود في شعـر ابن معصوم، وما ذاك إلا لصلتها الوثيقة بحالته النفسية، تلحظ هذه الكثرة

(١) رحلة ابن معصوم ص ٣٧.

(٢) ولـد السيد المـدني ١٠٥٢ وسافـر والده الى الهنـد في ١٠٥٤ فيكون عمـر السيد المدني سنتان حين سفر والده الى الهند وهذه القصيدة قالها في طـريقه الى الهنـد سنة ١٠٦٦ وهو لا يزال في صباه.

(٣) ابن عطاء: واصل بن رباح: اسمه عطاء.

في الأبيات السابقة، وتلحظها أيضاً في هذه الأبيات:

آه يا حبل النوى ما أطولك
قطع الله زماناً وصلك
حكمت بالبعد أسباب النوى
وقضى فينا بما شاء الفلك
هل نرى بعد التنائي والنوى
رجعة يحيا بها من قد هلك

الى جانب هذا وذاك ترى لابن معصوم بعض أبيات في الوصف كقوله:

ألا رب ظبي كالهلال جبينه
رماني بسهم من جفون فواتر
يشير بطرف، وهو يرتاع خيفة
كما ارتاع ظبي خوف كفة جازر
وعيناه مملوءان دمعاً كنرجس
عليه سقيط الطل ليس بقاطر

وقوله في وصف القهوة وهو من أول نظمه:

يا قهوة قشريّة
حكت النضار بلونها
ولكم حباك حبابها
بخلاصها وبجينها
جليت على مصونة بزفافها وبصونها
وكأن كل حبابة ترنو الي بعينها

والى جانب هذا اللون من الشعر كان لابن معصوم في كتابة اشعار قالها في مدح بعض كبار العلماء والأدباء الذين اخذ العلم عنهم او لقيهم في الهند، يقول مثلاً في مدح جعفر البحراني ذي العلم الغزير والفضل الكبير:

هو طود علم لا يبارى رفعة
ومحيط فضل لا يزال مديدا
أحيا رباع المكرمات بفضله
من بعد ان كانت مهامه بيدا
وإليه القى الفضلُ صعب زمامه
ودنا له طوعاً وكان بعيدا
كم حجّة في الخلق شاد عمادها
كرها وأرضى العدل والتوحيدا

ثقة الاسلام الميرزا علي التبريزي بن موسى:

ولد سنة ١٢٧٧ واستشهد سنة ١٣٣٠.

مرت له ترجمة موجزة في المجلد الثالث من (المستدركات) ونزيد هنا على ما هنالك بما يلي:

احد مشاهير العلماء في العهد القجاري. وهذه العائلة في الاصل هي من خراسان ثم هاجرت الى تبريز فأقامت فيها. درس الادب على ادباء العصر في تبريز ودرس العلوم الاسلامية على جده. وسافر في اواخر القرن الثالث عشر الهجري الى العتبات المقدسة فحضر درس الفاضل الاردكاني، والشيخ زين العابدين المازندراني والحاج الشيخ علي اليزدي حتى اكمل دراسته الحوزوية. فعاد الى وطنه تبريز، واضافة الى تضلعه في الفقه والاصول والحكمة والكلام كان بارعاً في التاريخ والجغرافيا والنجوم والادب وعلم الرجال وكان متمكناً من اللغات الفارسية والعربية والتركية والفرنسية، وينظم الشعر ويجيد الخط.

كان ثقة الاسلام التبريزي من دعاة التحرر في صدر المشروطية، ومن هنا نشط في تبريز لسنين طويلة من اجل الحرية واستقرار حكومة المشروطة، حتى ضحّى بنفسه في سبيل ذلك، وقد ورد نشاطه وفعالياته التحررية في كتاب بعنوان (حياة الشهيد ثقة الاسلام التبريزي)[1].

من تأليف نصرت الله فتحي تنظيم في ٧٧٦ صفحة وطبعته في طهران، مؤسسة نورياني الخيرية لقد انتهى امر المترجم باعدامه شنقاً عن عمر ناهز الثالثة والخمسين وتم تنفيذ الحكم به في المعسكر الحكومي في تبريز بعد مقاومة عنيفة منه ومن عدد من المجاهدين الشجعان للروس الذين احتلوا تبريز للقضاء على الحركة الثورية فيها.

وقد كتب احمد كسروي عن نهاية حياة ثقة الاسلام التبريزي في كتابه (آذربايجان في ثماني عشرة سنة او قصة الابطال) فقال: «... ان ما يظهر عظمة هذا الرجل اكثر هو صموده البطولي في القنصلية وغابة الشمال... لقد كان هذا الرجل عاقلا، عالماً، محباً للخير والاحسان...» وقد ورد الحديث عن التحرر الفكري لدى ثقة الاسلام التبريزي في كتاب حياة الشهيد نقلاً عن احد المعاصرين له حيث يقول: «في الوقت الذي كانت النزاعات قائمة في تبريز بين الشيخية والمتشرعة، ذهبت ذات يوم الى ثقة الاسلام وقلت له: جئت استشيرك في اي الفرقتين اتبع، المتشرعة ام الشيخية؟ فضحك وقال: لا تكن شيخياً ولا متشرعاً، بل اذهب وكن انساناً، فأن تكون انساناً امر في غاية العسر» وحين نأخذ بنظر الاعتبار ان والد ثقة الاسلام كان من زعماء الشيخية، نرى حينئذ ان قوله السابق دليل واضح على مدى تحرره الفكري من هنا كتب مؤلف تاريخ المشروطة عنه قائلاً: «سعى هذا الرجل الصالح منذ البداية الى التقليل من توتر العلاقات والعداء بين الشيخية والمتشرعة، واظهر نقاءه وطهارته في ذلك منذ الخطوة الاولى» (انتهى).

ونذكر فيما يلي اسماء مؤلفاته:

(رسالة لالان) وفيها يبحث بعض القضايا السياسية والاجتماعية، ويبين افكاره التحررية، فرغ من تأليفه عام ١٣٢٦هـ وطبع في نفس العام في اسطنبول (مجموعة برقيات، طبعت في تبريز)، ويرجع اكثرها الى فترة المشروطة ترجمة (بحث الشكوى) لابي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي، امتثالا لطلب امير النظام حسن علي الگروسي، حين اصبح محافظاً لولاية آذربايجان، وقد طبعت في تبريز (ايضاح الانباء في تعيين مولد خاتم الانبياء ومقتل سيد الشهداء)، وقد اشتغل في تأليفه في اوج حركة المشروطة وانقلاب الاوضاع في تبريز (عام ١٣٢٩هـ)، وقد طبع في تبريز عام ١٣٥٢ (تاريخ الامكنة الشريفة ومشاهير الرجال)، في ٤٣ صفحة، وقد طبع في تبريز (مرآة

---

(١) زندگينامه شهيد نيكنام ثقة الاسلام التبريزي.

الكتب او أسماء الكتب) في سبعة مجلدات، وهي بيان لتراجم وآثار ومصنفات علماء الشيعة (المراسلات والمنشآت) (كتاب تسهيل الزيج الهندي او تسهيل زيج محمد شاه الهندي) في ٣٨٠ صفحة، وهو مكتوب بخط جميل، ومحفوظ لدى مكتبة مجلس الشورى ـ رسالة (اگرملت) او(آگرما آذربايجانيان) (السياسة الاسلامية) (تاريخ السيد حمزة وطاق شاه علي وغيرهما) (واگون ملت به كجامي رود)[١] (ظلم الوالد لولده) (رسالة السياسة) (المشروطة ام المشروعة) (حواشي وشروح) (علم الرجال) (الحرب الخاصة) كتاب (مجمل الحوادث اليومية للمشروطة) وهي تسجيل لما جرى من هذه الأحداث في تبريز من رجب ١٣٢٤ الى السادس من محرم ١٣٣٠هـ.

واضافة الى النثر ترك اثاراً منظومة باللغتين الفارسية والتركية[٢].

الشيخ علي الميانجي:

فقيه اصولي طويل النفس في كتاباته، من أعلام القرن الثالث عشر وكان يقيم بكربلاء.

له «مشارق الأصول في حل مغارب الفروع» كتب بعض مباحثه في سنة ١٢٦٣[١].

السيد علي الهمذاني ابن السيد شهاب الدين:

ولد سنة ٧١٣ في مدينة همذان وتوفي سنة ٧٨٦.

هو من سلالة امراء طبرستان، وقد أخذ عن خاله علاء الدولة السمناني، ثم التحق بحلقة تلاميذ الشيخ تقي الدين ابو البركات علي دوستي، وقام برحلات الى كشمير وبلتستان وغيرهما.

وفي سنة ٧٨٦ انقطع الى الصوفيين ولكنه لم يطل الامر حتى توفي.

من مؤلفاته: الناسخ والمنسوخ في القرآن، واحكام القرآن، وفرهنك درمفردات، وروضة الفردوسي، والانسان الكامل (في السيرة النبوية) وغير ذلك.

الشيخ علي بن يوسف بن علي بن محمد العاملي:

عاملي المولد والمنشأ نجفي الموطن والمسكن، اديب فاضل شاعر، كتب نسخة من «شرح مختصر الأصول» للقاضي عضد الدين الايجي في يزد بخدمة النقيب شاه عبد العلي الحسيني وأتمه في يوم الأربعاء ١٩ذي الحجة سنة ٩٩٣، وكتب في آخره من نظمه:

يا قارىء الخط بعدي ... إرثى لفقري وجهدي
وابعث الي دعاءاً ... يهبط الي بلحدي
لعل ربي يهب لي ... ما كنت أخفي وأبدي[٣]

(١) عربة الامة.. الى ابن.

(٢) الحركات الفكرية في ايران.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

السيد ياد علي بن ممتاز علي الحسني الواسطي البارة اي البرستابادي الهندي:

زيدي النسب وهندي المولد والمسكن، وهو أخباري المسلك يتحامل على المجتهدين ويعدهم خارجين عن طريقة المذهب.

تتلمذ على ميرزا محمد النيسابوري الأخباري فتأثر بآرائه والتزم طريقته في سب العلماء الذين يخالفونه في الرأي.

له «تحفة الاخوان در رجم شيطان» الملقب بكشف الحال از أهل بدعت وضلال.

وهو من رجال القرن الثالث عشر[٤].

عماد الدين اللاهوري:

ولد في لاهور (الباكستان) وتوفي سنة ١٢٩٧ في مدينة مشهد (ايران) كان فقيها محدثا زاهدا.

درس في (مشهد) ثم في اصفهان ثم في كربلا، وكان استاذه في كربلا السيد ابراهيم القزويني.

له من المؤلفات، المنهل الرائع في شرح الشرائع.

ملا عنايت علي شاه بخاري بن السيد مرتضى شاه:

ولد سنة ١٢٨٧ في البنجاب بالهند وتوفي فيها سنة ١٢٨٨.

كان والده من فضلاء سيالكوت. وقد نشأ هو من صغره مولعاً بالخط فاجاد كتابته، ثم كان من ابرز صحافيي الشيعة في الهند اذ أصدر في (سيالكوت) جريدة (درنجف) اسبوعية وفي سنة ١٩١٧ نقلها الى لاهور وشيّد لها بناية خاصة.

وكان ظفر علي خان يصدر في لاهور جريدة (زميندار) ويفتري فيها على الشيعة، فاصدر المترجم جريدة (جواب زميندار) وكتب كلمة (جواب) بحرف صغير، فاختلط الامر على الناس وصاروا يشترون الجريدتين على انها جريدة واحدة، وبذلك انتشرت جريدته بسرعة وراجت رواجاً كبيراً حمل ظفر علي خان على الكف عن الافتراء على الشيعة. فلما تحقق الغرض اوقف المترجم جريدته وظلت (درنجف) تصدر اسبوعية حتى سنة ١٩٣١ فجعلها يومية وجعل عنوانها (ديلي بنجاب تايمز)

والى هذا كان فاضلاً مناظراً شاعراً مؤلفا. ومن مؤلفاته: (ذو الفقار صفوري).

السيد عناية علي الساماني بن كرم علي:

ولد سنة ١٢٥٤ في الهند وتوفي سنة ١٣٢٤ في تنباله (الهند).

ولد في بيت علم ودين، ودرس دراسته الاولى على بعض اجداده الصالحين حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره فسافر الى النجف لمتابعة دراسته وذلك في عصر الشيخ مرتضى الانصاري الذي عني به واجازه كما اجازه غيره من كبار العلماء. وعاد بعد ذلك الى لكهنو فكان فقيها واعظاً خطيباً مناظراً، شاعراً باللغات الثلاث: العربية والفارسية

(٤) السيد أحمد الحسيني.

والاردوية، ولكنه لم يجمع شيء من شعره في ديوان.

وقد اهتم بانشاء المساجد والحسينيات وتعمير ما تهدم منها. وكان من اخصاء السيد حامد حسين صاحب كتاب (عبقات الانوار) والسيد اعجاز حسين.

ترك ابلغ الاثر في اهل (بتياله) و(سامانه) وبقية مدن البنجاب.

وله من المؤلفات بعض الرسائل.

عوض بن حيدر التستري:

متبحر في العلوم العقلية والنقلية، له ميل الى العرفان وينقل بعض اقوال الصوفية في مؤلفاته توفي بعد سنة ١١١٣ قابل مرتين نسخة من «روضة الكافي»، احداهما مع ابنه محمد محسن حيث تمت المقابلة في ٢٦ شهر شعبان سنة ١٠٩٦، وله عليها حواش تدل على تبحره في علم الحديث. له «گوهر يكدانه» و«الحق اليقين» ألفه سنة ١١٠١[١].

الشيخ عيد بن الحسين بن عبد الله بن القاسم النجفي:

كتب بالنجف الأشرف نسخة من كتاب «من لا يحضره الفقيه» وأتمها في الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ١٠٤٤، وقرأ الكتاب على الشيخ محمد بن علي البناني فكتب له انهاءاً في آخر الجزء الأول بتاريخ عاشر شوال ١٠٤٤ وقال عنه «أنهاه.. الشيخ البارع اللوذعي والمحقق الألمعي صاحب الطبيعة النقادة والقريحة الوقادة الشيخ المجيد عيد..»، وقرأ ايضاً من باب المحصور والمصدود منه على الشيخ عيسى بن محمد النجفي فكتب له بلاغاً في آخر كتاب الحج في شهر رمضان سنة ١٠٤٤[٢].

الشيخ عيسى اللواساني بن الشيخ شكر الله:

ولد سنة ١٢٧٧ في طهران وتوفي فيها سنة ١٣٦٤.

نشأ برعاية والده المولى شكر الله اللواساني المتوفى سنة ١٣١٩ الذي كان من مشاهير علماء طهران الأكابر.

كان جل تلمذه في طهران ـ بعد قطع مراحل المقدمات ـ على الميرزا محمد حسن الأشتياني.

ثم انتقل الى النجف الأشرف وبقي بها عشر سنوات، فتتلمذ في الفقه والاصول وغيرهما على المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني والحاج ميرزا حسين الخليلي وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد اسماعيل الصدر والشيخ محمد طه نجف والسيد محمد بحر العلوم صاحب «بلغة الفقيه»، وكان اكثر استفاداته العلمية من أستاذيه الخليلي وشيخ الشريعة.

ثم عاد الى طهران في سنة ١٣٢٢، واشتغل فيها بالوظائف الشرعية وارشاد الناس وامامة الجماعة في مسجد الأسرة المعروف بـ«مسجد اللواساني».

وكان يدرس في بيته فيحضر لديه الطلاب والمستفيدين من علمه ترك بعض المؤلفات الفقهية[٣].

الشيخ عيسى بن علي الأردبيلي:

قابل «الصحيفة السجادية» من أولها الى آخرها وأتم المقابلة في سنة ١٠٨٢ واختار لها حواشي تدل على فضل فيه ودقة[٤].

الشيخ عيسى بن محمد النجفي:

عالم فقيه محدث اديب شاعر، من أعلام القرن الحادي عشر قرأ عليه الشيخ عيد بن الحسين النجفي مقداراً من كتاب «من لا يحضره الفقيه» فكتب له بلاغاً في آخر كتاب الحج منه في شهر رمضان سنة ١٠٤٤. من شعره قوله من قصيدة في مدح امير يسمى نواب دانشمند خان:

عرني جناحك برهة سرب القطا ... علي أحلّ بربع من ملك العطا

ربعاً لدانشمند خان أربعت ... فيه اليتامى والضعيف تنشطا

مولى تواضع للاله فزاده ... ذاك التواضع رفعة وتسلطا

وقال أيضاً:

هدية العبد على قدره ... يرجو بأن يقبلها السيد

فالعين مع تعظيم مقدارها ... تقبل ما يهدي لها المرود

له «راجحة الميزان في معرفة الاوزان» ألفه سنة ١٠٨١[٥].

الشيخ عيسى بن يوسف بن علي بن عبد الغني الرشتي:

مترجم في «نقباء البشر» ص ١٦٣٥ و«زندگانى وشخصيت شيخ انصاري» ص ٣٤٧، ونقول:

فقيه جليل، كان يكتب اسمه «محمد عيسى».

له «قضاء الفوائت» رسالة كتبها سنة ١٢٨٩ و«مقدمة الواجب» وكتابات فقهية مبعثرة أخرى رأيتها بخطه[٦].

الدكتور غلام حسين مصاحب:

مجلة (كيهان) الشهرية التي تصدر عن دار جريدة (كيهان) اليومية في طهران باللغة الفارسية، هي مجلة ثقافية تعنى بشتى فنون الثقافة من علم وادب وفلسفة وتاريخ، وهي من ارقى المجلات الثقافية وأكثرها نفعاً وأوسعها انتشاراً.

ومن مآثرها انصاف رجال الثقافة بعد موتهم، وإحياء ذكرهم، وتخليد فضلهم. وفي هذا المضمار دعت الى ندوة يتحدث حاضروها عن الدكتور غلام حسين مصاحب، فافاض الحاضرون في الحديث عما عرفوه في الرجل وقد كان من منهجنا في (المستدركات) ان نترجم للدكتور مصاحب، وفيما كنا نفتش عن مصادر ترجمته عثرنا على العدد الذي نشرت فيه تفاصيل الندوة في (كيهان)، فآثرنا أخذ ما فيه

---

(١) (٢) (٣) السيد احمد الحسيني.

(٤) (٥) (٦) السيد احمد الحسيني.

مقتصرين على ذلك فيما نبغيه من ترجمة الدكتور مصاحب.

واذا كان تصرفنا هذا شيئاً غير مألوف في التراجم، فاننا نؤمن ان الأخذ بغير المألوف يكون هو الأفضل عندما يكون الأخذ به هو الأكثر فائدة.

افتتح الندوة مقدمها بما يلي[1]:

كما تعرفون فان مجلة كيهان الثقافية دأبت على تأدية واجبها بشأن تكريم رجال العلم واعضاء العائلة الثقافية في هذه البلاد. وفي هذا المجال تمت دعوة السادة الحاضرين الى هذا الاجتماع في سبيل التعريف بالدرجات العلمية والخدمات القيمة للدكتور غلام حسين مصاحب. ونحن بدورنا بعد تقديم الشكر للسادة الحضور على تلبيتهم دعوتنا نتمنى على الاستاذ احمد آرام ان يبدأ الاجتماع.

احمد آرام: تعرفت الى الدكتور مصاحب منذ زمن بعيد اي ما يقارب ٦٥ سنة حينما كنت ادرس في مدرسة دار الفنون. ومما يسرني اني دعيت في اول اجتماع في داره قبل البدء في تدوين دائرة المعارف. رحمة الله على الاصحاب الذين كانوا معنا ثم فارقوا الحياة. واني لم ار من الدكتور مصاحب الا خيراً، رغم تشدده اذ كان تشدده ضرورياً في هذا المجال، لان كتابة دائرة المعارف ليس بالامر اليسير، بل هو امر في غاية الصعوبة، واذا كان في البلاد الاسلامية بعض من سبقنا في هذا المجال فاننا لم نكن على اطلاع على ذلك، ومن ثم فان عملنا كان يتطلب منا جهوداً مضاعفة، وجلسات متكررة استمرت سنوات طوالاً، كنا نستفيد خلالها من فيضه في نفس هذا المكان حتى فارق الحياة.

محمود مصاحب: ولد الدكتور غلام حسين مصاحب عام ١٢٨٩ وتوفي عام ١٣٥٨[2]. وهو من اسرة اجتماعية وثقافية عريقة يعود تاريخ بروزها الى ثلاثمائة عام، وقد ظهر منها العديد من رجال العلم والادب والفضل، منهم الملا مصاحب الذي كان يعيش في عصر الشاه عباس، وكان شاعراً معروفاً. وكذلك جده لابيه الملا ميرزا محمد، وهو من كبار رجال العلم والدين، ويعد قبره في تخت فولاذ في اصفهان مزاراً. وكذلك الحاج ميرزا غلام علي الخطاط الذي كان معروفاً بخطه ومعلوماته في اللغتين الفارسية والعربية، وله اشعار وقصائد كثيرة باللغة العربية وكذلك كتب رسائل دونها بهذه اللغة وابرزها الالفية التي ضمنها جميع قواعد الصرف والنحو العربي وقد بلغت الف بيت. اضافة الى عبرت مصاحبي النائيني الذي احتل مكاناً بارزاً في الشعر والعرفان.

درس الدكتور مصاحب في ايران وفرنسا وبريطانيا وحاز درجة الدكتوراه في الرياضيات عام ١٣٢٧ من جامعة كمبرج وقد طبعت رسالته في المجلد السادس لمجلة جمعية الفلسفة في كمبرج عام ١٩٥٠م. وقد تميز بذكاء خارق، بحيث كان ينهي صفين كل عام في مرحلتي الابتدائية والمتوسطة، وانهى مرحلة الثانوية في سن ١٦ سنة بمعدل ١٩ من عشرين. وقد القى كلمة حول الاعتماد على النفس في الاحتفال السنوي، فوصفه وزير المعارف آنذاك بانه ليس الطالب الأول في طهران وحسب بل في ايران ايضاً، ومنحه مدالية علمية من الدرجة الأولى. واذا كان اختصاصه في الرياضيات، فان ذلك لم يمنعه من التوسع في العلوم القديمة والحديثة، اذ لم يكن يجارى في سعة افقه، فقد كان يجيد اللغات العربية والفارسية والفرنسية والانجليزية اجادة تامة، وعلى اطلاع جيد باللغة الالمانية، وبرع الى حد كبير في كتب الرياضيات والفيزياء، وتبحر في العلوم العقلية والنقلية وعلوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

اشتغل الدكتور مصاحب عام ١٣٠٦ في وزارة المعارف، بمنصب المدير العام للتعليم العالي، والمدير الفني العام والمعاون الفني للوزارة، ولكنه لم يأخذ هذه المناصب بجدية ولم ينسق وراء المناصب وفي بداية تلك الفترة ادى بعض الخدمات الاجتماعية والسياسية واصدر صحيفة، ولكنه ما لبث ان ترك هذا العمل لينصرف للاعمال والنشاطات العلمية، التي لم يغفل عنها حتى في وظائفه الادارية.

كان الدكتور مصاحب يشار اليه بالبنان بين الفضلاء والمحققين، وقد نعته العلماء واساتذة الجامعات وجمعية المؤلفين والمجلات المعتبرة بالعالم الجامع، وابي الرياضيات الحديثة في ايران وما الى ذلك من اوصاف تليق بقدره.

كان الشخص الاول الذي يدخل المنطق الصوري بمعناه الجديد اي المنطق الرياضي الى ايران. وكانت خدمته في مجال دائرة المعارف الفارسية كبيرة بحق، وله آثار قيمة في بحوث (الأناليزم الرياضية ونظرية الاعداد والمنطق الصوري فهو جامع في تأليفاته سهل في اسلوبه. على أن ما يميز الدكتور مصاحب في بحوثه شيئان: دقته المفرطة في بحوثه، فهو لم يكن يقبل بالظن والحدس والتخمين والتقريب، ومثال ذلك كتاب (حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر) الذي عكس كثرة التجارب، واسلوبه العلمي وروح التحقيق لديه. والشيء الثاني هو الابداع والتحديث، وآية ذلك دائرة المعارف الفارسية فهو يبدي آراء جديدة في مجال رسم الخط الفارسي، وله اسلوب جديد في وضع الكلمات العلمية الجديدة وترجمة الاصطلاحات الاجنبية.

وفيما يتعلق باستعمال الكلمات الحديثة لمقابلة الاصطلاحات الاجنبية التي لا بد من استعمالها، كان يرى رأياً خاصاً، ومن ثم قام بالتنسيق مع عدد من الادباء والفضلاء بعقد ندوة اسبوعية للبحث في مثل هذه الاصطلاحات، وكان ثمرة هذه الندوات كتاباً باسم «قاموس الاصطلاحات الجغرافية» الذي طبع عام ١٣٣٨.

ترك الدكتور مصاحب العديد من المؤلفات، اهمها: مجلة «الرياضيات العالية والمقدماتية»، (جبر ومقابلة خيام) (طهران ١٣١٧) وهي تشتمل على الاصل العربي والترجمة الفارسية لرسالة الخيام في الجبر والتاريخ والرياضيات حتى عهد الخيام. وقد عُرف لاول مرة في ايران مقام الخيام في الرياضيات بصورة مستقلة. رسالة الدكتوراه التي طبعت في المجلد السادس لمجلة جمعية الفلسفة في كمبرج عام ١٩٥٠م. مدخل الى المنطق الصوري، طبعته جامعة طهران عام ١٣٣٤ في ٧٠٠ صفحة. و«حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر» طبع جمعية الآثار الوطنية. و«آناليز رياضي، تئوري مقدماتي اعداد» حيث طبع المجلد الاول عام ١٣٥٣ في ١٣٩٥ صفحة على قسمين، وطبع المجلد الثاني

(١) كل ما نأخذه مترجم عن الفارسية.

(٢) كل ما يمر هنا من تاريخ السنين هو: هجري شمسي. ولمعرفة مطابقة السنة الهجرية الشمسية للسنة الميلادية نضيف الى الهجرية الشمسية (٦٢١).

عام ١٣٥٨ في ١٨٠٢ صفحة وهو يتضمن ثلاثة اقسام وقد تزامنت وفاته مع الفراغ من طبع الكتاب الاخير. وقد تم طبع الاجزاء الثلاثة من المجلد الثاني بمساعي ابنائه واثنين من اصدقائه الاوفياء. وعلى الرغم من انه كان في جهوده تلك يهدف الى خدمة العلم وحسب، الا ان اكثر كتبه ونتاجاته كانت تحظى بالجوائز الاولى كافضل كتاب للعام في ايران. ولكن تبقى دائرة المعارف الفارسية افضل آنتاجاته. وقد ارتبط. اسم الرياضيات الحديثة في ايران باسمه، وكذلك فان اسم دائرة المعارف الفارسية ارتبط باسمه بحيث اصبح ملازماً له.

وقد اوضح بنفسه الخطوط العريضة لارائه واعتقاداته في الامور الثقافية التي كانت حصيلة ٤٠ سنة من التحقيق والتمحيص، حيث ذكر ذلك في الفصل العاشر تحت عنوان الكلمات والاصطلاحات الحديثة. وبصورة عامة يمكن اعتبار المدخل الذي كتبه في دائرة المعارف الفارسية في ٨١ صفحة شاخصاً مهماً يدل على خزانة علمه وفكره ورؤيته الثقافية ويظهر مدى تضلعه في الفكر والعلم. فما نراه في هذا المدخل حول الحروف والأرقام وعلامات الاختصار والالقباء الصوتية وضبط الاعلام وسائر الكلمات، والاصطلاحات والكلمات الحديثة، والاملاء والانشاء، ورسم الخط وعلامات الترقيم والكلمات اللاتينية واليونانية جاء موافقاً للاساليب العلمية الحديثة المتبعة في العالم.

وفيما يتعلق بخصاله الاخلاقية ارى من الانسب ان تتحدث ابنته (ترانه).

ترانه مصاحب: تزوج ابى عام ١٣١٦ من امي وكانت ثمرة هذا الزواج ٥ أولاد ٣ ذكور و٢ اناث وكلهم انهوا الدراسة الجامعية، فاختي وهي اكبر افراد العائلة حصلت على البكلوريوس في اللغة، وانا ثاني افراد العائلة حزت على درجة الماجستير في فرع الادارة، واخي الاول بكالوريوس في الاقتصاد، والاثنان الآخران حائزان على درجة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة كمبرج وجامعة وادينبرو. وفي رأيي ان اهم وابرز خصلة في ابي هي دقته المفرطة ومحافظته على النظام في اعماله. وكل ما عندي من دقة وترتيب انما هو حصيلة الجهود المضنية التي كان يبذلها في سبيل الحفاظ على النظام والترتيب، وكان لهذا النظام الدور البارز في دفعي نحو النجاح في الحياة.

كانت امي تقول له في بعض الاحيان ازح الكتاب عن وجهك لاراك فاني اخشى ان انسى وجهك. وكان يرشدنا في كل شؤون حياتنا ويقول دائماً: لا تخلطوا العلم وطلبه مع المسائل المادية.

وكنا في سني طفولتنا ندرس على يديه اللغة العربية واذكر ان كتاب نظرية الاعداد كان حين وفاته الفجائية تحت الصف (صف الحروف) فاتصل بنا المسؤول عن الصف طالباً بعض الاوراق، وحين اخبرناه بوفاة الوالد أخذ في البكاء واصبحنا في حيرة من امرنا بشأن اكمال مراحل الطباعة والاشراف على التصحيح، ولكني انتبهت حين كنت اقرأ المقدمة الى ذكر احد اصدقائه، حيث ذكر انه شجّعه على كتابة هذا المجلد، من هنا بادرت الى الاتصال به وطرحت الامر بين يديه، فرحب بالامر واخذ على عاتقه اكمال الكتاب.

واننا نرجو من الدكتور زرياب الخوئي ان يحدثنا عن اهتمام الدكتور مصاحب بتراثنا الماضي.

عباس زرياب الخوئي: كان الدكتور مصاحب بارعاً في العلوم الحديثة وخصوصاً الرياضيات، وكذلك في العلوم الانسانية، ولما كنت لا املك اطلاعاً كافياً عن الرياضيات فمن الطبيعي ان ارتباطي به يكون عن طريق العلوم الانسانية، واني اشهد في ذلك على مدى التبحر والتخصص الذي تميز بهما في هذا المجال، حيث كان صاحب اراء ونظريات في جميع هذه العلوم. وقد شهدت بنفسي كيف كان يرفض بعض المقالات التي يكتبها مؤلفون وادباء كبار بسبب الاخطاء الموجودة فيها، وكان يصر على رفضها للمرة الثانية والثالثة كلما وجد فيها خطأ. وكان في بعض الاحيان يطلب منهم ان يعيدوا اعمالهم من البداية.

كان اثناء العمل يطرح مسألة العداوة والصداقة جانباً، بل كان في كثير من الاحيان يغضب من اصدقائه ويطلب اليهم ان يعيدوا كتابة موضوعاتهم. واما الاشخاص الذين عملوا معه في مجال العلوم الحديثة والمنطق المعاصر فقد كانوا على اطلاع كامل على دقته المفرطة في هذه العلوم. ولا بد انهم سيتحدثون عن ذلك في موضعه. وقد كنت اعمل معه في مجال التاريخ والفقه والفلسفة حيث كان يحيل إلي كتابة المقالات في هذه المجالات، فرأيت اي دقة واهتمام كان يبذلها في المطابقة مع المصادر.

كان لقاؤه يذكرني بالعالم المتضلع في مجال علمه، المحيط بجزئيات الامور، فلم يكن يدع شاردة ولا واردة الا واحاط بها، ولا كتاباً او مصدراً يتعلق بمجال اعماله الا وكان لديه اطلاع عنه. ويجدر بالذكر انه الى جانب تشدده في مجال اعماله، كان غاية في اللطف والرأفة والمحبة، فلم يكن يتوانى عن تلبية طلب لنا اذا كان بوسعه تلبيته.

وقد ادركت خلال الفترة التي امضيتها معه انه كان مُلمّاً بكل علوم بلادنا. لقد كان نموذجاً صالحاً لحب العلم والتعلم وعشق البحث عن الحقيقة وما المؤسسة التي أنشأها لدراسة الماجستير في الرياضيات الا دليل على ما ذهبنا اليه، حيث كانت هذه المؤسسة وحيدة في مجالها وغاية في الاهمية والضرورة. وقد كان دقيقاً في انتخاب طلابها، حيث رفض العديد من الطلاب الذين كانوا بارعين في تخصصهم. وكان ينسق في المؤسسة مع العديد من الاساتذة الاجانب، ومن بينهم استاذ نروجي رأيته في مأدبة، فعلمت ما يكنه من احترام لمقامه العلمي الرفيع.

ومما يجب ذكره في حياة الدكتور مصاحب اهتمامه الخاص بتاريخ الرياضيات في العصر الاسلامي، وبحوثه العميقة والهادئة، في هذا المجال التي اظهرت مدى اهتمامه بالتراث الثقافي لذلك العصر. من هنا نرجو من السيد المهندس معصومي الهمداني ان يتحدث عن هذا الامر.

حسين معصومي الهمداني: أود ان اتحدث عن آثار الدكتور مصاحب في الرياضيات مع مقدمة عن شخصه.

كان من ابرز الاشخاص الذين ساهموا في نقل العلوم الحديثة الى ايران، وآثاره خير دليل على هذا الادعاء، وكذلك ما قيل عنه يؤكد ذلك. ونحن لا نزعم انه اتى بنظريات جديدة تماماً او احدث هزة في المحافل العلمية العالمية، انما نقول انه اهتم بالمجال العلمي في ايران، وسعى لنقل بعض العلوم الحديثة والاساليب العلمية المتطورة الى داخل

ايران، ويعد من انجح الاشخاص الذين ساهموا في هذا المجال منذ ما يقارب المائة عام الى الآن. ويأتي نشاطه في الرياضيات في هذا السبيل. وفي الواقع يمكن القول انه استطاع التعريف في ايران بالبعد التاريخي للرياضيات الاسلامية، الذي لم نكن نعيره اهتماماً كبيراً، انما كان الاوربيون اول من نبّه له. فعلى سبيل المثال حينما الف كتابه «جبر ومقابله خيام» عام ١٣١٧ لم يكن لدينا اي مصدر يتحدث عن تاريخ الرياضيات في العصور الاسلامية. وبصورة عامة اذا سئل وقتئذ احد الدارسين في المدارس العصرية عن مثل هذا المصدر، فانه لم يكن يملك جواباً. وكذلك الامر اذا سئل احد الدارسين في الحوزات العلمية، فانه سيدر على افضل الاحتمالات كتاب «خلاصه الحساب» للشيخ البهائي، واذا سئل اي شخص عن الخيام فانه سيقول بانه شاعر، او حكيم، وبعبارة اخرى لم يكن هناك من يدري ان الخيام كان عالماً رياضياً قدم خدمات جليلة في مجال الرياضيات. وفي الحقيقة فان الاوروبيين هم اول من لفت الانتباه الى المنزلة الرياضية لدى الخيام. هذا في الوقت الذي لم يكن الاوربيون على معرفة بالخيام في الوقت الذي باشروا اعمال ترجمة الاثار الاسلامية، حتى انتبهوا اليه في القرن الثامن عشر، فطبعوا له رسالتين مهمتين في الجبر وقد بادر الدكتور مصاحب الى نقل هذه الحقيقة التي اكتشفها الاوربيون الى الناطقين بالفارسية بادق صورة ممكنة، ليظهر بذلك اسلوب التحقيق في تاريخ الرياضيات وبصورة عامة في تاريخ الفكر، وليلفت انتباه المتخصصين الى انه على الرغم من كون هذه الموضوعات ترتبط بنا ارتباطاً وثيقاً، الا ان البحث فيها لن يؤتي ثماره ما لم يكن باسلوب عصري.

اتذكر الآن اني كنت اقرأ في كتابه الثاني «حكيم عمر خيام به عنوان عالم جبر» الذي هو في الواقع متمماً للكتاب الاول، وقد رأيت كيف يهاجم بعض كبار المعاصرين بشأن تسمية القطع المكافىء والقطع الزائد والقطع الناقص. وحجته في ذلك ان الاخرين اذا كانوا يبذلون الجهود المضنية من اجل ايضاح الامور بالاساليب الحديثة، فلماذا لا نستفيد نحن منهم ونكتفي بما ينقل باسلوب كلاسيكي قديم. والى جانب ذلك كان يحذر من الوقوع في شباك نسبة الفضل كله الى الايرانيين او المسلمين، على عكس الذين يتلاعبون ويحرفون الحقائق العلمية كما قال ذلك القائل بان الخيام هو مكتشف الهندسة الغير اقليدسية اذ ربما يمكن اعتبار هذا القول صحيحاً اذا نظرنا اليه من زاوية محدودة، ولكنه اذا لم يوضح فلعله يكون مضراً اكثر من ان يكون مفيداً، ولم يكن الدكتور مصاحب ابداً من هؤلاء الذين يميلون الى هذا النوع من الاستنتاجات التي ليست الا حصيلة المعرفة الخاطئة بتاريخ الرياضيات الاسلامية، وتاريخ الرياضيات بصورة عامة والجانب المهم في الدكتور مصاحب انه لم يكتفِ ببيان الاسلوب الصحيح للتحقيق في تاريخ العلوم الاسلامية. بل قدم نموذجاً مهماً في هذا المجال.

وكما اعلم ليس هناك اي اختلاف بين تاريخ الرياضيات الاسلامية وتاريخ الرياضيات اليونانية او رياضيات القرون الوسطى او تاريخ ما هو متقدم على الرياضيات الحديثة. ولكن هناك فائدتان: الفائدة الاولى تكون عامة وغير ملموسة ولكنها تكون ذات اثر بليغ، كما هو شأن اي تاريخ عندما يتلاقح مع تاريخ آخر فانه يسهم في تقوية الهوية الثقافية والوطنية للمجتمع ويصبح للبلاد ميراث متكامل. والفائدة الثانية ما يستفيده اهل العلم، ويحدث ان تكون بعض الافكار عديمة الاهمية، ولكن يحدث ايضاً ان تزال الغبار عن بعض الافكار وتطرح باسلوب جديد لتكون مفيدة كثيراً، واذا كان هذا نادراً ما يحصل فانه يبقى ممكناً، ويعد من الفوائد المتوقعة لدراسة تاريخ العلوم. والامر الذي لا بد من التأكيد عليه هو ان العلوم القديمة ليست علوماً ابتدائية كما يعتقد البعض، فلو اعتبرنا بعض ما جاء في (خلاصة الحساب) رياضيات ابتدائية، فان ما جاء في رسالة الجبر للخيام يختلف عن ذلك كثيرا ويعد من الرياضيات العالية. ولكن مسألة هل انها لا تزال تمتلك الفائدة العملية ام لا، ذلك شيء آخر. وفي الحقيقة فان بعض العلماء، يمكن التمحيص في تجاربهم وما توصلوا إليه لاكتشاف المزيد، كما حدث في دراسة عالم الرياضيات ارخميدس، حيث اكتشف العلماء العلة التي عدل بسببها ارخميدس عن استعمال بعض الطرق السهلة في حساب السطح الى طرق رياضية شاقة، وفي ذلك فائدة علمية كبيرة، قد لا تحصل الا نادراً، ولكنها مفيدة حين تحصل.

(وهنا طلب الى الدكتور اسرافيليان ان يتحدث عن مؤسسة الرياضيات، والدور الذي قام به الدكتور مصاحب في ادخال الرياضيات الحديثة ونظرية الاعداد الى ايران).

ابراهيم اسرافيليان: في الحقيقة كان من المناسب بمكان لو ان الدكتور مصاحب كان قد تحدث بنفسه، ولكن مع الاسف كان يرفض رفضاً قاطعاً ان يتحدث عن نفسه. بل لم يكن يقبل ان يمتدحه احد. وقد رأيت نموذجاً من ذلك حين اخذ احد طلاب دوراتنا يمتدح الاستاذ، فرجع اليه وقطع عليه كلامه، وخاطبه بشدة قائلاً: اتريد ان تستغفلني، اني ادرك جهلي اكثر من غيري، واعرف كم من الامور لا اعرفها.. اذهب في سبيلك!.

اني اتحدث عنه بصفتي تلميذاً من تلاميذه، اذ كنت من طلاب الدورة الاولى في المؤسسة الرياضية، في عام ١٣٤٥. ولعله كان يدور في خلده ان يرسي دعائم هذه المؤسسة منذ زمن بعيد، ويرسي معها دعائم الرياضيات في البلاد. وقد نشر اعلاناً في الصحف لثلاث مرات يعلن فيه ان من يجتاز امتحان القبول، سيدخل الجامعة (المؤسسة)، وعلى ما أعرف، فقد تقدمت مجموعتان للامتحان دون ان يجتازه أحد. وفي المرة الثالثة خفّض من المستوى المطلوب، فرضي بامثالي. ومع ان المقرر كان عشرين طالباً او خمسة عشر، الا انه قبل سبعة فقط، ثم قبل بثمانية آخرين بعد ثلاثة اشهر. وكان تشدده في الأمر كتشدد الاب مع بنيه، واذا كان الاب يترك بنيه بعض الاحيان فانه لم يكن ليفعل ذلك. واذكر ان احد زملائي كان منزعجاً ببعض الشيء منه، فلما حان وقت الوداع، استقبله الدكتور مصاحب بلطف ومحبة واسلوب ابوي، قائلاً: لم اكن اقصد الحاق الاذى بكم، بل جل همي هو ان تتعلموا شيئا، ولا تخرجون خلاة الوفاض. كان جاداً الى ابعد الحدود، ويساعد في الوقت المناسب، واتذكر انه ذات مرة صدمتني سيارة، فكان اول شخص اراه عند رأسي هو الدكتور مصاحب، وليس ابي او اخي.

ولعل الاخ محقاً في قوله ان الدكتور مصاحب لم يكتب مقالاً هزّ به اوربا، ولكنه في الحقيقة كان يقدم نفسه فداء للعلم والتعليم، وارى لو انه صرف عشر ما كان يصرفه من وقت في الموسوعة او نظرية الاعداد

لكتابة مقال، لكانت افضل المقالات دون شك، ولا احسب ان احداً يستطيع انكار ذلك، اذ كان مستوى الرياضيات في جامعاتنا متدنياً الى ابعد الحدود فقد اكملت دورة الليسانس في العام الدراسي ۳۸/۳۹ ورأيت كيف كانوا يكتفون بالحد الادنى من المعلومات حتى انهم كانوا يكتفون باستخدام المعدلات الرياضية من الدرجة الاولى والثانية، دون التطرق لذكر الرياضيات الحديثة. ولكن بعد مجيء الدكتور مصاحب تغير الوضع تماماً وادخلت معلومات واساليب جديدة استناداً للمقدمات التي طرحها مسبقاً، مثل كتاب «مدخل المنطق الصوري»، وهكذا غيّر البرنامج الدراسي ليطرح برنامجاً معدّاً اعداداً كاملاً، وقام بإلحاق بعض الدروس التي كانت تدرس في دورات الماجستير بدورات البكالوريوس، وعمد الى جميع دروس دورة البكالوريوس فجمعها في المراحل الاولى منها. . وهكذا ارتقى بمستوى الرياضيات الى درجات اعلى، اضافة الى ذلك ما قدّمه من نتاجات وتأليفات في مجال الرياضيات، فكتاب «مدخل الى المنطق الصوري» الذي الفه عام ۳٤ كان كتاباً اساسياً، وخصوصاً في موضوع النظريات القياسية التي تعد اساساً لكل الرياضيات والاستدلال. على الرغم من تخصصه في الأناليز، الا انه كان مقتدراً في المنطق. حيث وضع كتابه في نظرية الاعداد ضمن خمس مجلدات. وكذلك كانت له اليد الطولى في الأناليز، وباعتباري احد تلاميذه استطيع القول انه كان مقتدراً في جميع فروع الأناليز.

وكما ذكر السادة الحاضرون انه لم يكن يتسامح ابداً في تجاهل الحقيقة او مغالطتها. وعلى خلاف الذين كانوا يفتخرون آنذاك بما يسمى بالتطور والتجديد، وينشأون يطعنون بالدين والمعتقدات كان هو يفتخر بثقافته الاسلامية، وعلى ما أعلم كان ملتزماً كثيراً، ويحترم اعتقادات وآراء الآخرين. .

(ثم طلب من الدكتور شفيعي ها ان يتحدث عن التأليفات الرياضية للدكتور مصاحب، لما لديه من خبرة طويلة في مجال تدريس الرياضيات).

محمد هادي شفيعي ها: اعتقد ان كل ما ينبغي ان يقال، تحدث عنه الاساتذة، ولكني اذكر بعض الامور لتأييد ما تحدثوا به وربما لم تكن نظرية الاعداد معروفة في ايران قبل الدكتور مصاحب، او على الاقل ما توضح لنا بعد تأليفاته لم يكن مفهوماً بالنسبة لي ولغيري من اساتذة الرياضيات، ومن ثم فان التعريف بنظرية الاعداد التي هي اساس الرياضيات يعد من خدماته الجليلة. والامر الآخر الذي اود الحديث عنه هو الاسلوب الذي سلكه في تأليف كتبه، حيث يظهر واضحاً من الدقة التي اعتمدها في التأليف، انه لم يدع كتاباً كان موجوداً في وقته الا وطالعه. وهذا امر في غاية الاهمية ان يطلع المؤلف على آخر ما صدر فيما يتعلق بموضوعه ثم يباشر بالكتابة. وهذا ما يفعله الكثير من اساتذة اوربا. وكنت لبعض الوقت في اوربا، حيث كان استاذي في جامعة كامبرج يسألني عن جميع الكتب التي رأيتها اذا كنت قد قرأتها ام لا؟ ثم سألني عن كتاب كانُ قد صدر قبل ستة أشهر إذا كنت قد قرأته أم لا، ثم اوصاني بقراءته لنكمل الحديث بعد الفراغ منه. وهكذا كان الدكتور مصاحب، فهو لا يبدأ بالكتابة حتى يكون قد اطلع على جميع الكتب الصادرة.

(ثم طلب من الدكتور الحسني ان يتحدث عن الدكتور مصاحب نظراً لكونه احد تلامذته، وقد ادرك محاضر درسه).

اكبر الحسني: لي الفخر ان كنت احد تلامذة الدورة الثانية في المؤسسة الرياضية، حيث كنت اذ ذاك تلميذاً للدكتور مصاحب. لقد تأثر الى حد بعيد باساتذته في كمبرج مثل هاردي وراسل ووايتهد في الرياضيات والمنطق. فكان هدفه ان يعد اشخاصاً يمكنهم ارساء دعائم الرياضيات في الجامعات الايرانية، من هنا كان غاية في الشدة، بحيث كان البعض يضطرون الى ترك المؤسسة، وقد كان يكرر القول: «ليس هذا المكان دار الكسالى للشاه عباس، على كل من يأتي هنا ان يعمل كما اعمل، اذ استيقظ في الساعة الخامسة واجلس الليل والنهار في المكتبة، فليس عندنا اي عطلة!».

لم يكن يتسامح في مجال التعليم، وكان يقول: تجدون الغش في الاعمال الادارية والامور التنفيذية، ثم يروي انه ذهب ذات مرة لاصلاح التعليم العالي، فرأى ان احدهم ذهب الى فرنسا او ايطاليا لستة اشهر فعاد بشهادة الدكتوراه، فابى المرحوم ان يعترف له بشهادته فاعترض عليه البعض بان هذا الشخص يرتبط بالوزير الفلاني، فلم يعبأ بالاعتراضات واصر على رأيه، فطُلِب اليه ان يهتم بالاصلاحات المتوسطة ويدع لهم شأن اصلاحات الدراسات العليا، ولذلك ترك الوظائف التنفيذية والادارية.

(ثم قيل للدكتور موحد: نشرتم اخيراً كتاباً في المنطق باللغة الفارسية، فما هو رأيكم في المدخل الى المنطق الصوري؟).

الدكتور ضياء موحد: اتحدث اليكم باختصار. ليس لي شرف التلمذة على الدكتور مصاحب ولا الزمالة له، ولم اره اكثر من مرتين كان السبب فيهما هو كتابتي مقالاً حول كتابه المدخل الى المنطق الصوري، امتدحت الكتاب فيه واثنيت عليه. وقد ترك ذلك اثراً حسناً في نفسه، فابدى استعداده لاستقبالي، ولم يكن احد يجرؤ على الاتصال به ليسهل علي امر الذهاب اليه، بل كان الكل يتطايرون ويقولون ان ليس لديهم الجرأة على ذلك، فتجرأت وذهبت بنفسي وطلبت الى الشخص الذي يحمل الشاي اليه أن يخبره بان عبداً فقيراً الى الله يرغب في لقائه. فاستقبلني ودعاني الى مؤسسة الرياضيات، واهداني بعض المصادر التي استند اليها في تأليف كتابه المدخل الى المنطق الصوري. ولازلت احتفظ بهذه الكتب كذكرى عزيزة.

حينما طبع الكتاب كان عمره ٤٥ سنة، ولست ادري اذا ما كان قد تتلمذ في المنطق على استاذ ام اعتمد على نفسه، ولكن اغلب ظني انه اهتم بدراسة المنطق منذ عودته الى ايران عام ۱۳۲۷ حتى تأليفه الكتاب، وكما ذكر السيد شفيعي ها انه طالع جميع الكتب المتعلقة بالموضوع، وقد تأثر بصورة اساسية بكتاب اصول الرياضيات (Princi-pia Mathematica) لراسل ووايتهد، وكتب روسر (Rosser) وكپي (copi)وغيرهم من الاشخاص الذين مر ذكرهم. وبصورة عامة كان الجو السائد آنذاك هو المسيطر على الكتاب.

اتذكر ان لقائي به كان عام ۱۳۵۲ حيث مضى على تأليفه الكتاب عدة سنوات. ولم يتحدث وقتئذٍ كثيراً عن الكتاب واتذكر انه قال عن كتابه بانه قديم. واظن انه بعد ان اسس المؤسسة واستقدم لها اساتذة

أجانب ادرك ان كتابه يحتاج الى اعادة صياغة. هذا فيما يتعلق بالمحتوى. اما فيما يتعلق بنفس الكتاب فهو يأتي تحت رقم ٢٢٧ من سلسلة نشريات جامعة طهران ـ من هذه الكتب ١٥٠ كتاباً منهجياً، واكثر لا تحمل اسم مؤلفها، واذا كنت اجيد شيئاً من الانجليزية فذلك لكي اهرب من كتب كهذه سطحية، كثيرة الاغلاط، مغلوطة الترجمة وفاقدة للتنظيم. وحين حصلت على كتاب المدخل شعرت به كتحول بالنسبة لي، واذركت اني اواجه شخصاً آخر وشيئاً آخر، وقد احسست باطمئنان لهذا الكتاب والكتب التي تلته، وعرفت صاحبه استاذاً مقتدراً، يمكن السير وراءه حيث يذهب. وكتابه هذا يعتبر آية في التأليف، وفي رأيي انه ليس لهذا الكتاب نظير في الكتب المنهجية.

شفيعي ها: اسمح لي ان اضيف شيئاً، وهو ما قلته بشأن اعتقادك بانه درس المنطق لوحده. وقد سمعت من لسانه بانه كان يتحين الفرص في بريطانيا ليحضر دروس المنطق لراسل، كلما سمح له الوقت بذلك.

زرياب الخوئي: نعم وانا سمعت ذلك منه ايضاً.

الدكتور موحد: اذاً يتأكد هنا أنه كان متأثراً براسل الى حد بعيد، ولم يكن يُعنى بالتفكيك الدقيق للمسائل المنطقية على غرار ما كان يفعل راسل نفسه.

اضافة الى المحتوى، فان هناك خصلتين تميزت بهما مؤلفات الدكتور مصاحب، احداهما الطباعة الثمينة، والاخرى استعمال اللغات المناسبة مقابل الاصطلاحات الاجنبية. نرجو من الاستاذ احمد آرام ان يحدثنا عن وضع الكلمات الجديدة واستعمال علامات جديدة.

آرام: احدى اهم الخدمات التي قام بها الدكتور مصاحب بمساعدة اصحابه واستمرت حتى نهاية عمره، هي صناعة اللغة فقد كان يختلف مع الكثيرين الذين يميليون الى ابقاء الكلمات الاجنبية على حالها، اذ كان يحاول جاهداً ان ينتقي الكلمة الأقرب في المعنى ليقابل بها الكلمة الاجنبية. وقبل مدة ارسل مراسل امريكي تقريراً مفاده ان بلاد ايزلنده لا تقبل اي كلمة اجنبية في لغتها، بل تحاول ترجمة كل الكلمات حتى الراديو والتلفزيون وقد حاولنا جاهدين ان نحول الكلمات الاجنبية الى الكلمات الفارسية، وواجهنا في ذلك صعوبة كبيرة.

ولما كان اسلوب الدكتور مصاحب حاداً، فقد كانت تنشب بعض الخلافات بينه وبين بعض الزملاء القائمين على دائرة المعارف، حتى انتهت بقراره مقاطعة العمل ولم تفد معه الوساطات ومن هنا جاءت المراحل الاخيرة ناقصة وكثيرة الاغلاط، بعد انقطاعه عنها.

مصاحب: ينبغي هنا أن اذكر بان اساس دائرة المعارف الفارسية هو دائرة معارف كلمبيا الصغيرة (columbia desk Encycloedia)وكان من المقرر ان نستعين بكلومبيا الكبيرة الا اننا اصطدمنا ببعض المشاكل والصعوبات.

غلام حسين البنگلوري الحيدر آبادي ابن اشرف حسين:

ولد سنة ١٢٧٠ في حيدر آباد بالهند وتوفي سنة ١٣٥٣.

هو من اسرة السيدية في مدراس وقد انتقل والده الى حيدرآباد فولد هو فيها ونشأ، درس اول امره في حيدرآباد ثم انتقل الى النجف وكربلا فأكمل دراسته فيهما وقد أجيز من كل من الشيخ زين العابدين المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني والسيد ابو القاسم الطباطبائي والشيخ محمد حسين الكاظمي.

كان خطيباً، يحسن العربية والفارسية، مرجعاً لابناء حيدرآباد ومنطقتها.

.من مؤلفاته: شمس الهداية باللغة العربية وهو في علم الكلام.

غلام حسن الكهنوي:

توفي سنة ١٣٣٦ في الهند.

كان من ارشد تلاميذ غفران مآب، وقد مات في حياة استاذه.

له من المؤلفات: الحديقة الهندية، روضة الصالحين (شعر) في الردود والعقائد والفقه.

غلام حسنين كنتوري:

ولد سنة ١٢٤٧ في كنتور بالهند وتوفي في فيض آباد ودفن في كنتور كان من فضلاء العلماء في الهند، يجيد عدة لغات لا سيما العربية والفارسية متمكناً منهما.

درس الاوليات في كنتور ثم قدم الى لكهنو وتابع دراسته فيها وصاهر المفتي محمد قلي على ابنته.

اجيز من كبار العلماء. وقد اصدر جريدة (اخبار الاخبار)، وكان عاملاً على حل مشاكل المجتمع فكريا وعقائديا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، شديد السعي في تضامن المسلمين على اختلاف مذاهبهم فساهم في تأسيس (ندوة العلماء) في لكهنو وسعى لنشر الاسلام في المدن والقرى.

عدا مقالاته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفكرية في الصحف فقد كتب المؤلفات الآتية:

ترجمة قانون ابن سينا الى اللغة الاردوية، كتاب انتصار الاسلام، (ثلاثة مجلدات) حواشي مغني اللبيب، شرح اعجاز خسروي، شواهد اردو، وغير ذلك.

الدكتور غلام حسين صديقي:

ولد سنة ١٣٢٦ في طهران وتوفي فيها سنة ١٤١٢.

هو من اسرة صديق الدولة نوري الشهيرة، وكان من رجال العلم والسياسة في ايران.

درس دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الاليانس الفرنسية في طهران وفي دار الفنون، ثم سافر الى فرنسا فحاز الدبلوم من جامعة (سان كلود) في الآداب. ثم انتمى الى جامعة السوربون فنال منها الدكتوراه. وكان موضوع رسالته: (الحركات الدينية للايرانيين في القرنين الثاني والثالث الهجريين)، وقد طبعت الرسالة في باريس، وهي مرجع مهم في موضوعها.

وقد اكسبته هذه الرسالة شهرة واسعة في الاوساط العلمية. ولما عاد الى ايران عُين مدرساً في كلية الآداب وكلية الالهيات والشريعة في جامعة طهران.

وهو يُعد مؤسس كلية العلوم الاجتماعية ومركز التحقيقات

والدراسات الاجتماعية الملحق بها، وهما من المراكز الهامة في اعداد أُطُر علم الاجتماع في ايران.

وقد اختير مديراً لجامعة طهران وعضواً في جمعية الآثار الوطنية وعضواً في منظمة اليونسكو العالمية.

شارك في العمل السياسي مؤيداً لمنهج الدكتور مصدق، وعندما وصل مصدق الى رئاسة الوزارة اختار صديقي وزيراً للبرق والبريد ثم وزيراً للداخلية وظل في منصبه الى قيام الانقلاب العسكري الذي اطاح بمصدق، فقبض على صديقي وحكم عليه بالسجن.

كان فاضلاً عالماً محباً للعلم والعلماء، قانونيا صارماً، مدافعا عن الحريات، محارباً للظلم والطغيان.

مما كتب عن ابن سينا: ظفر نامه، معراج نامه، قراضه طبيعيات. وله دراسات اخرى ومقالات نشرت في المجلات الايرانية[١].

غلام حسين جونبوري بن فتح محمد:

ولد سنة ١٢٠٥ وتوفي سنة ١٢٧٩ في عظيم آباد بالهند.

كان والده عالماً كبيرا. وتنقل هو بين محافظة (گيا) استجابة لدعوة خان بهادر بيك، وبين بنارس استجابة لدعوة مهراجابنارس، ثم عاد الى مرشد آباد.

له من المؤلفات: شرح تحرير اقليدس، شرح المجسطي، جامع بهادر خاني، الهندسة، الهيئة والاجرام العلوية والبسائط السفلية، احكام الزيج والتقويم، علم الابصار وغير ذلك.

المولوي غلام حسين الدهلوي:

أديب منشىء شاعر بالفارسية عارف بالعلوم العقلية، هاجر من بلده بسبب الفتن الحادثة فيه الى بلدة «چيناپتن» فتتلمذ بها على الحكيم أحمد الله خان الدهلوي.

له «زاد المؤمنين» ألفه سنة ١٢١٣[٢].

الدكتور غلام حسين يوسفي:

ولد سنة ١٣٤٧ في مدينة مشهد بخراسان وتوفي في طهران سنة ١٤١١ كان من اساتذة الادب الفارسي، مختصاً بالدراسات النقدية للشعر مدرّساً لها في جامعة الفردوسي بمشهد، وكانت له شهرة علمية عالمية في مجال البحوث الايرانية، وقد دعي للمشاركة في كثير من المؤتمرات الدولية.

ألّف عشرة كتب وترجم ثمانية كتب عن اللغات العربية والفرنسية والانكليزية، وحقق عشرة كتب[٣].

غلام الحسنين:

توفي سنة ١٣٥٦ في الهند.

هو من سكان باني بت في الهند. كان عالماً فاضلاً متمكنا من اللغة الانكليزية، خطيباً بارعاً. تولى ادارة (حالي مسلم اسكول) ودرّس فيها اللغتين العربية والفارسية.

(١) الشيخ محمد رضا الانصاري.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) الشيخ محمد رضا الأنصاري.

من مؤلفاته: سيرة النبي، معيار الاخلاق، كشف الحقيقة. وغير ذلك

الشيخ غلام رضا القمي:

درس بالنجف الأشرف، ومن اكبر اساتذته الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي، وكان الشيخ حسين بن ابي القاسم النيسابوري يستفيد من بعض ما كتبه القمي من تقريرات ابحاث استاذه المذكور وذكر انه كان من اجل تلامذة الرشتي.

له «تقريرات أبحاث الرشتي»[٤].

الميرزا غلام رضا بن الحسين العبدل آبادي الكرماني:

ولد في «عبدل آباد» وقطع مراحله العلمية في النجف الأشرف وكربلا متتلمذاً على شيوخ العلم بهما ثم سكن بكرمان، وكان فاضلاً اديباً شاعراً بالفارسية من اعلام اوائل القرن الرابع عشر.

اوقف الحاج عبد المحمود الكرماني نسخة من كتاب المترجم له «كفاية الواعظين» في سنة ١٣٠٧ ووصفه في الوقفية بقوله «العلام الفهام جامع المعقول والمنقول حاوي الفروع والأصول النحرير الفاضل الفقيه الكامل صاحب المناقب والفضائل..».

له «كفاية الواعظين» و«دائرة قاصريه» و«صحيفة قاصريه»[٥].

غلام السيدين بن غلام الثقلين:

ولد سنة ١٣٢١ في باني پت في الهند وتوفي سنة ١٣٩٩.

هو من اسرة علمية عريقة، وكان والده من الشخصيات العلمية الرسمية مرموق المكانة في الحكومة الهندية ذا صلات وثيقة بكبار الهنود المسلمين مثل الشاعر اقبال، وابو الكلام آزاد، والدكتور ذاكر حسين الذي صار رئيساً لجمهورية الهند.

ووالدته مشتاق فاطمة ابنة المولوي أخلاق حسين من ابناء الشاعر الهندي الكبير (حالي).

سافر الى بريطانيا سنة ١٩٣٣ للدراسة الجامعية ولما عاد الى وطنه عين من قبل جامعة على گر مسؤولاً في كشجر. ولما تولى ابو الكلام آزاد وزارة المعارف بعد استقلال الهند صار المترجم سكرتيراً في ادارة تعليمات الدولة، وبعد وفاة آزاد تقاعد وانصرف الى الخطابة والتأليف، وكان خطيباً بارعاً، اديباً فاضلاً، جذّاب الحديث.

ألف أكثر كتبه باللغة الاردوية واللغة الانكليزية، فمن مؤلفاته: رجحانات التعليمات العصرية في المغرب، تشكيل السيرة القومية، تحريك التعليم في علي گر، المفهوم الحقيقي للتهذيب، اصول التعليم، التعليم الاسلامي في الهند، رجل درويش (في سيرة والده)، وغير ذلك.

الشيخ غلام علي بن عباس بن صفر علي البارفروشي المازندراني:

فقيه اصولي فاضل متتبع، أقام بالنجف الأشرف سنين للتحصيل، ومن أساتذته بها المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني.

له «مشكاة الهداية في شرح الكفاية» و«المسائل الفقهية» وغيرهما[٦].

(٤) (٥) (٦) السيد احمد الحسيني.

الشيخ غلام علي المرندي:

ولد في «مرند» من مدن آذربايجان، ودرس الاوليات عند علماء تبريز، ثم هاجر الى العراق فتتلمذ في النجف الاشرف على المولى محمد كاظم الاخوند الخراساني والسيد محمد كاظم الطباطبائي. اليزدي والفاضل الشرابياني والشيخ محمد حسن المامقاني، وفي كربلا تتلمذ على السيد محمد حسين الشهرستاني.

كان مثالاً للورع والتقوى وحسن الخلق ولطف المحضر، ومن مشاهير المدرسين خارجاً في الفقه والاصول بكربلا، يقيم الجماعة في الصحن الحسيني الشريف.

توفي بكربلا نحو سنة ١٣٤٥ وهو في حدود الثمانين من عمره.

له «حاشية كفاية الأصول» و«الخيارات» ورسالة في «منجزات المريض»[١].

الشيخ غلام علي بن محمد علي، محمد امين:

اشتهر بمحمد امين وليس اسمه.

كتب نسخة من «الصحيفة السجادية» وأتمها في عاشر ذي الحجة سنة ١٠٧٩ على نسخة الشهيد الأول، وأختار لها تعاليق تدل على فضل فيه وتحقيق[٢].

غياث الدين الكرماني، ابو اسحاق:

فاضل جامع لأطراف العلوم، اديب منشيء شاعر بالفارسية جيد الانشاء والشعر، له اطلاع واسع في الحساب والعلوم الرياضية.

كان كاتب ديوان كرمان بخدمة الوزير مجد الدين عبد الرشيد، وهو من أعلام القرن العاشر.

له «جامع الحساب»[٣]

فاطمة بنت الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد تقي بن الشيخ محمد جعفر بن الشيخ محمد كاظم البرغاني القزويني:

عالمة فاضلة فقيهة توفيت حدود سنة ١٣٠٠ محدثة حافظة للقرآن عالمة بتفسيره اخذت المقدمات وفنون الادب على اخيها الشيخ عبد الحسين وحضرت في الفلسفة العالية على الآخوند الملا اغا الحكمي القزويني واخذت العرفان والفقه والحديث على ابيها المتوفى سنة ١٢٦٩ هجرية والشيخ احمد الاحسائي المتوفى سنة ١٢٤١ هجرية حين اقام في قزوين، كما حضرت في الفقه والاصول على عمها الشيخ محمد صالح البرغاني المتوفى سنة ١٢٧١ والشهيد الثالث المستشهد سنة ١٢٦٣ ولازمت قرة العين سنين عديدة ولما بلغت سن الرشد زفوها للشيخ حسن وهو ابن عمها ورزقت منه العلمين الشيخ الميرزا علامة الحائري[٤] ومدرس الطف الشيخ الميرزا علي نقي الحائري[٥] وسكنت سنين مع زوجها في النجف الأشرف وبعد وفاة زوجها في عام ١٢٨١ استقرت في كربلاء حتى توفيت بها وكانت من فواضل نساء عصرها وربات العقل والرأي الراجح والدين والصلاح كثيرة العبادة والزهد كانت لها مقدرة عظيمة على الخطابة والوعظ وكان يراجعها النساء في المسائل الدينية وألفت مؤلفات ورسائل عديدة في الفقه ولها حواشي على الكتب[٦].

فتح الله بن احمد بن محمود الشهرستاني السبزواري:

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر.

له «تحفة الأئمة العلية في الحكمة العملية».

الملا فتح علي بن گل محمد البرادگاهي اللنكراني:

عالم فاضل يميل الى الأدب والشعر، يشكو سوء حاله فقراً ومصابه من أبناء الزمان.

له «أصول الفقه» و«حاشية رياض المسائل» و«حاشية الفصول» و«حاشية المكاسب للأنصاري» و«القواعد الأصولية» و«القواعد الفقهية والاصولية» و«كتاب الدعاء» و«ذريعة الاجابة» و«مجموعة بياضية».

توفي بعد سنة ١٣٣٩[٧].

الميرزا فتح الله البسطامي المعروف في اشعاره بالذوقي البسطامي:

عرف واحداً من الشعراء المشهورين في العصر القاجاري. وقد امتدح الميرزا طاهر مؤلف كتاب (گنج شايگان) معرفته بعلم الرياضيات والهيئة والحكمة والتاريخ والاخبار ومقدمات اللغة العربية، وقال بانه نظم رسالة في علم الحساب والهيئة. وفي زمن حكومة معز الدولة بهرام ميرزا ونصرت الدولة فيروزا ميرزا كان هو في زمرة الكتاب وعرف خلالها بالشاعر. وقد تحدث عنه رضا قلي خان هدايت في مجمع الفصحاء فقال: «اسمه الشريف الميرزا فتح الله، وهو من الذرية الطيبة لقبيلة بني عامر العربية، التي حكمت تلك النواحي لفترة طويلة. وكان خاله حبيب الله خان يرتبط مع حاكم شيراز الامير حسين علي ميرزا بقرابة من جهة امه فحبذ له القدوم الى شيراز، وفيها التقيت به وتآلفت معه، وبقي هو ملازماً للامراء سنين طوال. وفي زمن سلطنة الشاه محمد القاجاري اضطر للسفر الى طهران والاقامة فيها. ثم سافر الى خراسان ومكث فيها بعض الوقت وعاد بعدها الى العاصمة، وهو الآن فيها (عام ١٢٧١هـ). والحق انه حكيم خبير ومحدث بصير، واستاذ في الخط ومحيط بجميع العلوم المتداولة. ونظمه وخطه جيدان، ويتمتع بخصال حميدة واخلاق فاضلة، ويعد من فحول شعراء عصره المعروفين في ايران. وقد امضينا معاً سنين في شيراز ومدة في طهران، كنا نتبارى خلالها احياناً بقراءة الشعر[٨].

فتح الله الشيرازي:

عالم بالفلسفة والعلوم العقلية، من أعلام أواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر، قابل معه مولانا عبد الخالق بن محمد الجيلاني نسخة من كتاب «الشفاء» لابن سينا، وذكر شخص في نفس النسخة أن المقابلة تمت في شهر شعبان من سنة ٩٨٨، وذكره بصفة

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) انظر مستدركات اعيان الشيعة ج ٣ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٥) نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٦) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٧) السيد أحمد الحسيني.

(٨) عبد الرفيع حقيقت.

«أعلم العلماء وسيد الفضلاء قدوة المتقدمين وقبلة المتأخرين»(١).

ابو النصر فتح الله الشيباني:

كان من مشاهير شعراء العصر القاجاري. وهو من اهل كاشان وينتمي الى اسرة (صبا). ولد عام ١٢٤١هـ وكان معاصراً لناصر الدين شاه القاجاري، وانشد في مدحه قصائد غراء الا ان الشاه لم يكن يلتفت او يميل اليه، ومن ثم خرج الشاعر عن طريقته، فاخذ يشن باشعاره حملات قوية على الاوضاع السياسية في البلاد باسلوب لم يشاهد في دواوين الشعراء المعاصرين له.

من مؤلفات فتح الله الشيباني، كتاب اسمه (درج الدرر) ضمنه ترجمة لنفسه ومدح لشخصه، وذكر فيه باسلوب مختصر انه من الصوفيين ذوي الكرامات.

رافق القوات الايرانية في محاصرة هرات، وشمله القائد الايراني حسام السلطنة برعايته، وجعله واسطة بينه وبين زعماء الافغان. والظاهر ان السبب الاساس في رغبة الشاه ناصر الدين عن الشيباني هو التهمة التي الصقها به بعض السعاة، حين صوروه للشاه بانه جاسوس انجليزي يتنقل بين المدن بهيئة الدراويش، والحال ان اقبال الشيباني على الدروشة انما جاء نتيجة لطرده من البلاط، كما اشار الى هذا الامر في بعض اشعاره.

توسل الشيباني بشخصيات بارزة مثل حسام السلطنة فاتح هرات وظل السلطان واتابك وامثالهم في سبيل الوصول الى بلاط ناصر الدين شاه، فكان ينشد بحقهم قصائد مؤثرة، ولكن بقيت جهوده ومساعيه دون جدوى، اذ بقي الشاه معرضاً عنه.

جاءت اغلب اشعار الشيباني بالاسلوب الخراساني الاصيل مقتدياً في ذلك باساتذة هذا الفن في القرنين الرابع والخامس للهجرة، واذا لم يفلح في الارتقاء الى مستواهم فقد افلح في تقليدهم، وامتاز بذلك على جميع شعراء العصر القاجاري.

ولعل اشعاره التي نظمها في الوعظ والنصح والمفاخرة والتي كانت تفصح عن افراطه في اليأس والتشاؤم، بنظرته الى اوضاع البلاد المتردية كانت يتيمة في ادب القرن الثالث الهجري، ويلاحظ فيها التأثير المباشر للعلاقات مع اوربا.

توفي فتح الله الشيباني في طهران عام ١٣٠٨ ودفن في منزله الكائن في شارع الاميرية. طُبع ديوانه وجمع رضا قلي خان في مجمع الفصحاء مختارات من اشعاره التي نظمها في مدح ملوك ووزراء القاجارية. وللمؤلف مجموعة من الآثار التي كتبها نثراً او نظمها شعراً هي: درج الدرر (گنج گهر) زبدة الآثار - الفتح والظفر - (مسعود نامه) - (تنك شكر) - شرف الملوك اليوسفية - خطاب الفرح - الكامرانية - (مقالات سه گانه) - فواكه السحر - الجواهر المخزونة - اللآلىء المكنونة ونصائح منظومة (٢).

فتح علي خان صبا:

يعتبر فتح علي خان الكاشاني الملقب بـ(صبا) اشهر شاعر في العهد القاجاري، وهو من عائلة عريقة في كاشان، شغل اكثر افرادها مناصب حكومية، وابوه محمد بن الامير فاضل بيك بن الامير شريف بيك بن الامير غياث بيك. كان الجد الاعلى لصبا دنبلياً في الاصل ثم هاجر من آذربايجان الى العراق في اواخر ايام سلطنة كريم خان زند وأقام في كاشان، وفيها ولد فتح علي خان (على وجه التقريب عام ١١٧٩هـ) وترعرع واشتد عوده. اشتهر في شبابه باسم فتح علي، وتتلمذ على الحاج سليمان بيك الصباحي البيدگلي الكاشاني.

عرف فتح علي خان بمدحه للحكام الزنديين وخصه بنا البطل الزندي لطف علي خان الذي نظم بحقه ديواناً، وبعد حادثة مقتل اخيه توارى عن الانظار بسبب ديوانه هذا، وبقي مغضوباً عليه من قبل اولياء الامور فترة طويلة، حتى كان عهد باباخان (فتح علي شاه فيما بعد) الذي لقب بالجهانباني (باني العالم) وعين حاكماً على فارس من قبل محمد خان، فتقرب اليه، وكان باباخان بدوره شاعراً مثقفاً لين الجانب فقرّبه اليه وشمله برعايته. ومن القصائد التي نظمها صبا في لطف علي خان قصيدة طويلة يدعوه فيها (بعد مقتل ابيه وجلوس صيد مراد خان في محله) الى القدوم من بوشهر الى شيراز ليقطع ايدي الاعداء عن ايران.

قدم فتح علي خان صبا الى طهران عام ١٢١١هـ، والقى قصيدة رائعة في حفل جلوس فتح علي شاه على العرش عام(١٢١٢هـ). فاعجب فتح علي شاه بها ولقبه بملك الشعراء، وما زال يعلو شأنه حتى لقب بالخان وفوض اليه منصب (احتساب الممالك)، وعين لبضع سنين حاكماً على قم وكاشان، وتولى فترة من الزمن سدانة حرم قم. ثم اقلع عن الحكم ولازم ركاب فتح علي شاه. وفي اواخر عام ١٢٢٣هـ تفشى القحط والمرض في قم، فقدم صبا الى طهران باذن من الشاه. وكلفه الشاه بالسفر الى آذربايجان ومرة اخرى الى تركستان، وحين توجه فتح علي شاه الى آذربايجان عام ١٢٢٨هـ للاشتراك في حرب ايران وروسيا، رافقه صبا في رحلته. وبعد العودة من هذه الرحلة امره الشاه بنظم ملحمة على وزن (شاهنامة الفردوسي) باسم (الشاهنشاه نامه)، فامضى صبا في نظم هذه الملحمة ثلاث سنوات، وكان عدد ابياتها اربعين الف بيت، فكافأه الشاه باربعين الف مثقال من الذهب.

وفي عام ١٢٣٣هـ اصاب خراسان قحط عظيم، فأمر صبا بالتوجه الى خراسان على رأس هيئة لتوزيع المساعدات على اهلها، فوصلها بعد رحلة قاسية في برد قارس ومصاعب جمة، وبعد تأديته لمهمته عاد الى طهران.

لازم صبا بعد سفرته هذه بلاط فتح علي شاه كنديم خاص للشاه، وملك شعراء البلاط، حتى فارق الحياة في طهران عام ١٢٣٨هـ، في سن التاسعة والخمسين.

تعتبر ملحمة صبا أهم وابرز آثاره، وقد جاءت في اربعين الف بيت على وزن شاهنامة الفردوسي، وهي تشتمل على تفاصيل حياة فتح علي شاه وحروبه وفتوحاته والهزائم التي مني بها ومنادماته ومعاشرته للنساء، وذكر بعض حروب محمد خان وتغلبه على لطف علي خان الزندي.

ذكر الشاعر في ملحمته اسماء اربعين شخصاً من ابناء فتح علي شاه، وذكر ايضاً قادة الشاه ورجال حاشيته واعيان دولته وكتابه، ولم

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) عبد الرفيع-حقيقت.

يغفل حتى عن وصف نسائه ووصف ميدان الصيد والقصور والابنية السلطانية وبين اهتمام الشاه بالآداب والشعائر الدينية.

اكثر معاصروه من مدح ملحمته، وبالغوا في ذلك، الا ان السيد احمد الديوان بيگي مؤلف حديقة الشعراء أخذ عليها ادخال الالفاظ المغلقة التي يستعصي فهمها على غير الخواص واهل العلم والادب واللغة، وكثرة استعمال مثل هذه الألفاظ.».

وعدا عن الشاهنشاه نامه، ترك فتح علي خان صبا آثاراً في المثنوي هي: (عبرت نامه) ـ (گلشن صبا) ـ (خدا وندنامه) ـ (خلاصة الاحكام) ـ (تحفة العراقين) وغيرها. وجاءت خلاصة الاحكام في بيان الشكوك في الصلاة، ومن الطبيعي ان مثل هذا الموضوع لا يمكن ان ينظم شعراً مهما كانت قدرة الناظم ورفعة ذوقه بينما تتحدث (خداوندنامه) عن غزوات الرسول (ص) دون مراعاة الاصول التاريخية لها. اما (عبرت نامه) فقد جاءت في الوعظ والارشاد ولكن الغالب عليها مدح فتح علي شاه وابنائه ورجال بلاطه، ولكنها لا تشتمل على غزل او مقدمة يمكن ان يشار لها واشعاره تفتقد رقة وعذوبة قصائد الشعراء المعاصرين له مثل: القاآني وسُروش ومحمود خان صبا والداوري الشيرازي[١].

الشيخ فتح علي الزنجاني:

أصله من مدينة زنجان وانتقل الى مشهد عبد العظيم الحسني بالري، فقرأ الاوليات العلمية هناك وتتلمذ به على الشيخ مهدي اللاريجاني صهر المولى علي الكني، ثم هاجر الى النجف الاشرف قبل سنة ١٣٠٠ فقرأ على خاله الآخوند قربان علي الزنجاني والسيد حسين الكوهكمري والفاضل الايرواني والميرزا حبيب الله الرشتي،-واختص بالاخير فلازمه سنين، وذهب برهة الى سامراء ولكنه عاد الى النجف قبل وفاة الميرزا حسن الشيرازي.

كان عالماً زاهداً ورعاً تقياً، وقد تزوج في أواخر حياته بعلوية من آل ياسر ليخدمها ويتقرب بذلك الى النبي (ص).

له اجازة الحديث من الميرزا حسين النوري، ويروي عنه شفاهاً السيد شهاب الدين النجفي المرعشي كما حدثني بذلك.

سكن الكوفة من نحو سنة ١٣٢٠ منزوياً مشتغلاً بالتأليف والتصنيف، وتوفي بها سنة ١٣٣٨ وقد تجاوز الثمانين.

له «تفسير القرآن الكريم» و«شرح خلاصة الحساب» و«حاشية فرائد الاصول» ورسائل وكتابات متفرقة[٢].

فتح الله بن محمد رضا بن ابراهيم الخوئي:

فاضل اديب شاعر بالفارسية، من أعلام مدينة «خوي» في اوائل القرن الرابع عشر[٣].

الميرزا فخر الدين الطاهري بن ابي القاسم:

ولد سنة ١٢٨١ في مدينة قم وتوفي.

(١) عبد الرفيع حقيقت.
(٢) السيد أحمد الحسيني.
(٣) السيد أحمد الحسيني.

أسرته من البيوتات العلمية القديمة ومن النازحين الى مدينة قم منذ أمد بعيد جداً.

فجده الميرزا ابو طالب القمي صهر الميرزا ابي القاسم الجيلاني القمي صاحب كتاب «قوانين الاصول»، وهو الذي ينسب اليه «بركة ميرزا ابي طالب».

وابوه السيد ابو القاسم القمي المعروف بالسيدي، وكان من أعلام علماء وقته ويدعى بشيخ الاسلام القمي.

واشتهروا بـ«الطاهري» لأن احدى جداتهم بنت المولى محمد طاهر الشيرازي القمي من مشاهير أعلام القرن الحادي عشر الهجري صاحب المؤلفات والآثار الكثيرة.

والسادات المعروفون بـ«الميرزائي» و«آل امام الجمعة» و«القوا نيني» و«السيدي» كلهم من ذرية الميرزا ابي طالب القمي المذكور وينتهون في نسبهم الى اصل واحد.

نشأ نشأته الأولى في قم وعلى أساتذتها قرأ الأوليات العلمية.

وفي اصفهان قرأ على الحاج آقامنير الدين الاصفهاني.

ثم هاجر الى العتبات المقدسة، فتتلمذ في الفقه والاصول على الميرزا محمد تقي الشيرازي والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والمولى محمد كاظم الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الاصبهاني والحاج ميرزا حبيب الله الرشتي وغيرهم وبعد اكمال دراسته عاد الى قم واقام فيها وجهاً من ابرز وجوهها العلمية حتى وفاته.

كان يملك مكتبة كبيرة فيها كتب ثمينة انتقل اكثرها الى مكتبة حرم السيدة المعصومة (عليها السلام) له تعليقات على كثير من كتب الفقه والاصول وغيرها، وله رسالة في الارث[٤].

الشيخ فخر الدين بن حسن بن زين الدين بن طي العاملي:

مترجم في «احياء الداثر» ص ١٧٨، ونقول:

كتب له حسن بن علي القلعي نسخة من كتاب «ارشاد الأذهان» وأتمها في ٢٧ شهر رجب سنة ٩٦٥ ووصفه في آخرها بقوله «برسم الشيخ العلامة الفهامة خلاصة المدرسين في المعقول والمنقول معتمد اهل الفضل في الأصول وفروع المنقول الشيخ التقي الفاضل فخر الملة والحق والدنيا والدين ابن الشيخ الفاضل الكامل الشيخ حسن ابن الشيخ العالم التقي السعيد المولوي الشيخ زين الدين...»[٥].

السيد فخر الدين بن ميرزا حسين الحسيني الاسترآبادي:

كتب بخطه نسخة من «الصحيفة السجادية» وأتمها في اواسط شهر رمضان ١٠٧٣ لبعض أساتذته الذي وصفه بأوصاف عظيمة ومحي اسمه من النسخة مع الأسف، وقد قابلها بدقة واختار لها هوامش تدل على شدة دقته وفضله العلمي[٦].

السيد فخر الدين امامت الكاشاني:

السيد فخر الدين بن السيد محمد مهدي بن علي بن رضي بن

(٤)، (٥)، (٦) السيد احمد الحسيني.

عبد الغني بن حسن بن عبد الغني بن معز الدين بن شمس الدين بن حسين بن عابدين بن محمد بن علي بن فخر الدين بن سعد الدين بن مرتضى بن فخر الدين بن محمد بن اميرة بن عماد بن معين الدين بن شمس الدين أميره بن شمس الدين بن مرتضى بن علي بن يحيى عز الدين بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد (سلطان محمد شريف) بن علي بن محمد بن حمزة بن احمد بن محمد الأكبر بن اسماعيل بن محمد الأرقط بن عبد الله الباهر بن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام)، الحسين الكاشاني المعروف بامامت.

ولد في مدينة كاشان سنة ١٢٩٢ وتوفي بكاشان سنة ١٣٩٢.

اسرته العلمية

عرفت اسرته في كاشان بالعلم والعمل والفضيلة، برز منهم علماء ومشاهير قديماً وحديثاً ذوو آثار دينية معروفة فأبوه السيد محمد مهدي من أعلام ائمة الجماعة وموضع ثقة العامة من أهالي كاشان وقد توفي سنة ١٣٣٠.

وعمه السيد محمد حسين فقيه مدرس معروف في كاشان، توفي نحو سنة ١٣١١.

وعمه الآخر السيد محمد حسن مجتهد بارز، توفي نحو سنة ١٣٣٠.

وعمه الآخر السيد مير عبد الباقي الكرسوي، متولي المدرسة السلطانية واحد علماء كاشان المعروفين.

وأمه الصالحة «كوچك جان» بنت المؤرخ الشهير ميرزا محمد تقي لسان الملك الملقب بـ«سپهر» صاحب الكتاب المعروف «ناسخ التواريخ».

وأولاده السيد علي امامت والسيد عزيز الله امامت والسيد صدر الدين امامت كلهم علماء مشهورون في كاشان ذو مآثار علمية تأليفاً وتحقيقاً وتدريساً.

لقب بيتهم بـ«الامام» ثم «امامت»، وهم الآن مشهورون باللقب الثاني.

نشأته

قرأ المبادىء عند عميه السيد محمد حسين والسيد محمد حسن، ثم الملا محمد حسين النطنزي والميرزا محمد حسين النراقي، ثم الميرزا فخر الدين النراقي وميرزا ابو القاسم النراقي، وفي الدروس العالية في الفقه والأصول وغيرهما تتلمذ على المولى حبيب الله الشريف الكاشاني وكانت اكثر استفاداته منه ولازمه حتى وفاته سنة ١٣٤٠.

في هذه السنة انتقل الى قم وأقام بها مدة تتلمذ فيها على الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، فكان يعده من عيون تلامذته.

ثم عاد الى مسقط رأسه كاشان، واشتغل بها بالوظائف العلمية والدينية، وزار خلالها العتبات المقدسة بالعراق مرات، كما انه زار الامام الرضا (عليه السلام) عدة مرات.

فوضت اليه امامة الجماعة ونظارة امور الطلاب في المدرسة السلطانية التي هي من مدارس كاشان المهمة وهي من بناء بعض الملوك القجاريين، فلازم التدريس وتولى ادارة شؤون الحوزة وتربية الطلاب بالاضافة الى قضاء حوائج المؤمنين والمشاركة في شؤونهم الدينية والاجتماعية.

كان شاعراً بالفارسية، له قصائد كثيرة في الآداب الاسلامية وفضائل اهل البيت (عليهم السلام) وبعض الأغراض الأخرى، وكان تخلصه في شعره «صهر سالك» لأنه صهر المولى حبيب الله الشريف الكاشاني الذي كان يتخلص بـ«سالك».

شيوخ اجازاته

١ ـ المولى حبيب الله الشريف الكاشاني أجازه اجتهاداً ورواية.
٢ ـ السيد محمد البروجردي العلوي.
٣ ـ الشيخ آقابزرك الطهراني.
٤ ـ الشيخ محمد صالح المازندراني المعروف بالعلامة السمناني.
٥ ـ عمه السيد محمد حسن أجازه غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٦.
٦ ـ عمه الآخر السيد محمد حسين.

الراوون عنه

١ ـ السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، له منه ثلاث اجازات بتواريخ عاشر شعبان ١٣٦٩ وتاسع شوال ١٣٨٠ وتاسع عشر شعبان ١٣٩٠. ٢ ـ الشيخ محمد رضا الطبسي. ٣ ـ السيد عباس الكاشاني. ٤ ـ السيد مهدي اللاجوردي. ٥ ـ الشيخ محمد الرازي، اجازة مبسوطة في شهر صفر سنة ١٣٩٢. ٦ ـ الشيخ محمد الاحمد آبادي المعروف بطبيب زاده الاصبهاني. ٧ ـ السيد محمد العلوي التبريزي المشهدي. ٨ ـ الشيخ حسين المقدس المشهدي. ٩ ـ الشيخ محمد باقر الساعدي المشهدي. ١٠ ـ السيد محمد كاظم الدزفولي. ١١ ـ الشيخ ضياء الدين الفيض المهدوي. ١٢ ـ ميرزا مهدي الولائي المشهدي. ١٣ ـ الشيخ عماد الدين الطبسي. ١٤ ـ الشيخ نجم الدين الطبسي. ١٥ ـ ولده السيد عزيز الله امامت الكاشاني. ١٦ ـ حفيده السيد احمد امامت الكاشاني.

مؤلفاته

أحكام الارث، رسالة فارسية.

١ ـ تنبيهات الغافلين، اسم ثان لـ«راه نجات». ٢ ـ حاشية شرائع الاسلام. ٣ ـ حاشية المكاسب للشيخ الأنصاري. ٤ ـ راه خداشناسى، فارسي في العقائد مطبوع. ٥ ـ راه نجات، منظومات فارسية، طبع. ٦ ـ شرح منية الوصول في علم الأصول. ٧ ـ العقد الفضولي، رسالة. ٨ ـ الكشكول، مجلدات في المواعظ. ٩ ـ مرآة الحقيقة، في حالات الصوفية. ١٠ ـ هداية العوام في مهمات الأحكام، رسالة عملية مطبوعة. وغير ذلك[1].

فدا حسين الشيخ:

ولد سنة ١٢٧٨ في لكهنو بالهند وتوفي سنة ١٣٥٣.

هذا هو الاسم الذي اشتهر به، ولكنه فيما كتبه عن نفسه في كتاب (الاعتذار) يقول ان اسمه محمد الشهير بسراج الدين حسن، وانه عرف بفدا حسين.

نشأ في لكهنو ودرس فيها على ملا حبيب حيدر والمفتي محمد عباس.

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

وكان زميلاً للسير السيد احمد خان، اديبا باللغة العربية مؤلفاً فيها وقد نشر مقالاته في صحف مصر وبيروت، خبيراً باللغتين الفارسية والانكليزية، عضواً في جمعية تاريخ جامعة البنجاب.

من مؤلفاته: الاستشعار فيما سنح لي من السنة الالهية من نوادر الافكار، كتاب الحق المبعثر، كتاب الكشف، عبرات العين، اكمال السنة، الاعتذار عما يتعامل من رسوم العزاء في تلك الامصار، تحفة الدهر، اعلام الورى، نقد الآثار، قصيدة لامية الهند، قصائد عربية، سبيكة اللجين في مناقب مولانا ناصر حسين، رسالة سوز خواني في المراثي الحسينية).

ملا فرج الله الشوشتري:

توفي سنة ١٠٨٥.

من مشاهير علماء حيدر آباد (الهند) وفضلائها وادبائها وشعرائها، وكان ينظم الشعر باللغة العربية واورد له في (سلافة العصر) مدائح في نظام الدين احمد علي.

فرمان علي:

ولد سنة ١٢٢٠ في بلدة (جندن بتي) التابعة لمحافظة (بهار) في الهند وتوفي سنة ١٣٣٤ من علماء بهار، درس الاوليات في بلده ثم انتقل لاكمال الدراسة في لكهنو فدخل المدرسة الناظمية. عمل على ترجمة القرآن وتفسيره تفسيراً مطولاً وتفسيراً موجزاً، وطبعت الترجمة والتفسيران، فلقيا اقبالاً حسناً.

والى جانب دراسته الفقه والاصول والحديث والتفسير درس الطب القديم وصار فيه حاذقاً وتعاطى تطبيب الناس، كما كان خطيباً بارعاً، وعدا ترجمة القرآن وتفسيره فقد ألف كتباً دينية في الاصول والفروع للمدارس، ورسالة في النحو. كما نشر عدة بحوث في الجرائد والمجلات.

الشيخ فضل علي بن الشيخ ولي محمد او ولي الله القزويني المعروف بالمهدوي:

ولد في قزوين سنة ١٢٩٠ وتوفي ١٣٦٧ ودفن في شيخون بقم قريباً من مقبرة الميرزا القمي.

اخذ المقدمات وفنون الادب على افاضل مدرسي المدرسة الصالحية بقزوين واكمل السطوح وشطراً من الخارج على الشيخ محمد علي البرغاني القزويني عميد المدرسة الصالحية ثم توجه الى طهران وتتلمذ في الحكمة والفلسفة على السيد ابو الحسن جلوه المتوفى سنة ١٣١٤ وبعد وفاة استاذه المذكور توجه الى اصفهان واخذ عن اعلامها ومنها قصد العراق وسكن كربلا وتفقه على مدرس الطف الشيخ الميرزا علي نقي البرغاني الحائري آل الصالحي واخذ الفلسفة العالية عن الشيخ الميرزا علامة البرغاني الحائري آل الصالحي ثم هاجر الى النجف الأشرف والتحق به بحوزة درس الاخوند محمد كاظم الخراساني وتخرج عليه في الفقه والاصول ثم عاد الى موطنه قزوين وتصدر للتدريس والفتوى والامامة والتف حوله جمع من افاضل طلاب العلوم الدينية وكان يمتاز بحلاوة التعبير وحسن التفهيم ورشاقة البيان واحاطته بآراء السلف مما جعله من اشهر المدرسين في المدرسة الصالحية وعندما اندلعت نيران الثورة الدستورية في ايران المعروفة بـ(مشروطة) كان في طليعة الثوار مدافعا عن استاذه الاخوند الخراساني وناضل وجاهد من اجلها ثم انتخب عن مدينة قزوين في الدورة الثالثة نائباً في البرلمان ثم اختلف مع البهلوي الاول وتمكن من الخروج من ايران والتجأ الى كربلاء مدة خمس عشرة سنة اشتغل فيها بالتدريس والارشاد والاصلاح وقام بتأدية الوظائف الشرعية وادارة الامور واشتهر اسمه بين الافاضل والاوساط العلمية وكان رئيساً مطاعا عند الخاص والعام ثم عاد ثانية الى موطنه قزوين واصبح في مصاف كبار زعماء الدين وائمة الفتوى حتى توفي في سفره الى قم لزيارة السيدة فاطمة ودفن هناك.

ترك المترجم له مؤلفات ذكر قسما منها شيخنا الاستاذ الشيخ اغابزرك الطهراني في موسوعته (الذريعة الى تصانيف الشيعة) منها ١ ـ مقتل الحسين (ع) في ثلاث مجلدات الجزء الاول في ذكر رجال واصحاب ابي عبد الله السيد الحسين (ع) والجزء الثاني في حياة الامام(عليه السلام) والجزء الثالث في ذكر النساء اللواتي شاركن في واقعة الطف ٢ ـ كتاب مذهب وجعفر او جعفر ومذهب في بيان احوال الامام الصادق (ع) وذكر تراجم رؤساء المذاهب الاربعة ٣ ـ شرح خطبة الزهراء ٤ ـ تاريخ واحوال السيدة فاطمة اخت امام الرضا (ع) ٥ ـ ترجمة حياة فاطمة الزهراء (ع) ونجله الشيخ محمود المهدوي هو اليوم من العلماء الأعلام في قزوين ومن مدرسي الخارج ورجال الفتوى والامامة[1].

فضل علي المعروف بملا فضلي بن اشرف علي خان:

ولد سنة ١١٢٣ في الهند وتوفي سنة ١١٩٠.

هو صاحب كتاب (كربل كتها) اي: قصة كربلا. وهو اول كتاب دون باللغة الاردوية في الهند، اذ كانت هذه اللغة لغة تخاطب لا لغة تدوين، حتى دون بها هذا الكتاب، فابتدأ به عهد تدوينها.

وفي الكتاب خمسة عشر مجلساً: الاول في احوال النبي (ص). والثاني في وفاة الزهراء (ع). والثالث في شهادة امير المؤمنين (ع). والرابع في شهادة الحسن (ع). والخامس في شهادة مسلم بن عقيل. والسادس في شهادة ابناء مسلم بن عقيل. والسابع في احوال صحراء كربلا. والثامن في شهادة القاسم بن الحسن (ع). والتاسع في شهادة العباس (ع) والعاشر في شهادة علي الاكبر(ع). والحادي عشر في شهادة علي الاصغر. والثاني عشر في شهادة الحسين (ع). وهناك خمسة مجالس بعنوان الخاتمة.

فضل الله أنجو الشيرازي:

ولد سنة ٧٥٠ وتوفي سنة ٨٢٢.

هو من سلالة حسن بن ابراهيم الطباطبائي، واسرته (أنجو) من الاسر العريقة في شيراز كما في الهند. وكان المترجم من تلاميذ سعد الدين التفتازاني، وكان مقرباً من السلطان شمس الدين البهمني الذي كان خالاً لفيروز خان واحمد خان، فعندما تولى فيروز خان امور السلطنة جعل المترجم وكيل السلطنة، وكان لهم دور هام حيث واجه اعداء الدولة عسكريا وتغلب عليهم. وهو من معاصري لطف السبزواري والحكيم حسن الكيلاني والسيد محمد كاذرائي وملا اسحق

(١) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

السر هندي والسيد محمد كبود رات.

الميرزا فضل الله المعروف بشيخ الإسلام الزّنجاني:

مرت ترجمته في المجلد الثامن من (الاعيان). ونعيدها بتفاصيل اوسع:

وُلد بزنجان يوم الجمعة ٢٣ شهر شوّال ١٣٠٤ وتوفي سنة ١٣٧٣ العالم الجليل والكاتب المحقق الخبير.

كان والده الميرزا نصر الله شيخ الإسلام من كبار علماء زنجان، من تلامذة السيد علي القزويني (المتوفى ١٢٩٨هـ) صاحب الحاشية على القوانين (الذريعة: ج ٦، ص ١٧٧ رقم ٩٦٦) ابن السيد اسماعيل الموسوي القزويني وعنوان «شيخ الإسلام» كان لقباً لأسرته بزنجان منذ عدّة أجيال، وهي احدى الأسر العلمية العريقة القديمة كان الجد الأعلى للمترجم له، الفقيه المجاهد الملا علي الزنجاني المستشهد سنة ١١٣٦ في الدّفاع عن بلاده حينما هاجمها العثمانيون من الشمال والشمال الغربي في حلف بين العثمانيين والروس عقيب تواطئهم على تقسيم ايران بعد حكم علماء استنبول بكفر الشيعة، ولّما وصلت هجماتهم نواحي زنجان، خرج الملا علي الزنجاني مع جماعة من الأهلين للدّفاع، في قرية «قمچقاي» على سبعة فراسخ من جنوب زنجان، واشتدّ القتال حتى استشهد هذا الزعيم الروحي، ولما وصل نبأ قتله الى استاذه السيد قوام الدين السيفي القزويني (المتوفى ١١٥٠) الشاعر، رثاه بابيات عاطفية رقيقة بالفارسية ارخ بها عام استشهاده.

(طبقات أعلام الشيعة: القرن ١٣ ص ٥٣١، ومنتظم ناصري ج ٢ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١، وشهداء الفضيلة ص ٢٤٨ ـ ٢٥٣)، تعلّم المترجم له الأدب الفارسي والعربي، ثم الفقه والأصول والمنطق ببلدته زنجان، ثم تتلمذ في الفلسفة عند الحكيم الميرزا مجيد الزنجاني من كبار تلامذة الميرزا أبي الحسن جلوه والآقا علي المدرس وفي أصول الفقه على الميرزا عبد الله بن احمد الزنجاني (المتوفى ١٣٢٧) من كبار تلامذة الميرزا حسن الشيرازي (المتوفى ١٣١٢هـ ق) وقد جاء من سامراء لزيارة مشهد الرضا (عليه السلام) وتوقّف مدة بزنجان.

سافر المترجم له سنة ١٣٣١ الى النجف وبقي فيها ثماني سنين، يدرس العلوم العالية الإسلامية على اساتذتها: السيد كاظم اليزدي، والملا فتح الله شيخ الشريعة الاصفهاني والآقا ضياء الدين العراقي، والميرزا محمد تقي الشيرازي في تدريسه الخاص بكربلاء.

وقد نال الميرزا فضل الله إجازة الرواية والاجتهاد من عدة من العلماء ومراجع التقليد كالسيد حسن الصدر العاملي، والسيد محمد الفيروزآبادي اليزدي وشيخ الشريعة الاصفهاني بالنجف وبعض علماء السنة كالسيد محمود شكري الآلوسي.

صرف المترجم له عمره في البحث والتحقيق، وجعل انتاجه العلمي في خدمة العلماء والباحثين، فنرى عباس اقبال الآشتياني المؤرّخ الشهير (١٣١٤ ـ ١٣٧٥هـ ق) في كتابه القيّم «خاندان نوبختي ط طهران ص يه ـ يو من المقدّمة» يؤكد ما استفاد منه ومن أخيه ابي عبد الله الزنجاني (١٣٠٩ ـ ١٣٦٠هـ ق) مؤلف تاريخ القرآن.

اهتم شيخ الإسلام الزنجاني بجمع نفائس المخطوطات القديمة، وانتقل أربع مئة مجلّد منها الى مكتبة مجلس الشورى بطهران.

بدأ شيخ الاسلام بالتأليف والكتابة وعمره ١٦ سنة وأدام ذلك حتى آخر أيام حياته، فألّف في اوان تحصيله في زنجان والنجف عدة رسالات مستقلة في الكلام، وحواشي على بعض كتب العلماء المتقدمين، ثم بعد رجوعه الى موطنه زنجان ألّف مقالات في تاريخ علم الكلام وتاريخ التشيع، ورسائل في احوال هشام بن الحكم والمسعودي وكان يبدو جلياً بعده عن التطرف في الفلسفة الصدرائيّة والمشي على خطّ الأفندي في رياض العلماء (١٠٦٦ ـ ١١٣١هـ ق) كما يظهر من آثاره الآتية:

الف في الفلسفة: ألّف:

١ ـ رسالة في الرد على قاعدة «الواحد لا يصدر عنه إلاّ الواحد».

٢ ـ رسالة في الحكمة وأقسامها.

٣ ـ إثبات الماهيّة والرد على ملا صدر الشيرازي في أصالة الوجود.

٤ ـ التّقريب في شرح التهذيب لسعد الدين التفتازاني (المتوفى ٧٩٣).

٥ ـ الحاشية والرد على الملا صدرا في قوله بالحدوث الذاتي والقدم الزماني.

٦ ـ الحاشية على قسم المنطق من المنظومة للسبزواري.

٧ ـ الحاشية على شوارق الالهام لعبد الرزاق اللاهيجي «فياض» (المتوفى ١٠٧٣هـ ق) صهر الملا صدرا.

٨ ـ الحاشية على منهج المقال وغيرها من الكتب الرجالية.

ب: وفي البحوث التاريخية ألّف:

١ ـ علم الكلام وتاريخه في الإسلام.

٢ ـ التشيّع في التاريخ.

٣ ـ مصنفات الشيعة في العلوم الإسلامية.

٤ ـ تراجم علماء زنجان الى القرن التاسع.

٥ ـ مقدّمة وتعاليق على كتاب «اوائل المقالات في المذاهب والمختارات» طبع بتحقيق وتصحيح الحاج الميرزا عباس قلي الواعظ الچرندابي مرتين بتبريز وطبع طبعة مصوّرة أخيراً بالأوفست في قم ويطبع الآن طبعة أنيقة بتحقيق الأستاذ الدكتور مهدي محقق[1].

الميرزا فضل الله بن محمد الشريف:

من أعلام القرن الثاني عشر ظاهراً، وله عناية بالعلوم الأدبية واللغة.

له «تبصرة الصبيان»[2].

الشيخ فضل الله المازندراني بن محمد حسن:

توفي سنة ١٣٤٤ في كربلا عن سن عالية.

تخرج اولاً على والده المولى محمد حسن المازندراني الحائري الذي كان من علماء عصره الأعلام.

ثم تتلمذ بالنجف الأشرف في الفقه والأصول على الفاضل الايرواني والسيد علي بحر العلوم صاحب البرهان وأخيه السيد حسين بحر

(١) الشيخ ابو ذر بيدار.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

العلوم والسيد حسين الكوهكمري والحاج ميرزا حبيب الله الرشتي المولى لطف الله اللاريجاني والشيخ زين العابدين المازندراني وغيرهم.

وسكن كربلا بعد طي المراحل العلمية بالنجف، وبدأ بالتدريس لجماعة من طلاب الحوزة العلمية فتخرج عليه بعض الأفاضل.

له اولاد كلهم افاضل علماء، ارشدهم الشيخ علي المازندراني الحائري واشهرهم الشيخ محمد صالح كوبي.

ترك من المؤلفات شرح شرائع الاسلام في تسعة مجلدات(١).

السيد قاسم علي البحريني:

توفي سنة ١٣٤٩.

كان من افاضل علماء لكهنو (الهند) خطيبا اديبا شاعراً. ترجم إلى اللغة الاردوية (الصحيفة الكاملة) ومنها ترجمها احمد علي موهاني الى اللغة الانكليزية. كما ترجم الى الاردوية كتاب (معالم الاصول) ولكن هذه الترجمة لم تطبع.

فقير الله اللاهوري:

ولد سنة ١٠٦٤ وتوفي سنة ١١٥٤.

كان من كبار علماء لاهور وفضلائها، وكان يعنى بتدريس علم الكلام والعقائد، كما كان في الوقت نفسه شاعراً مجيداً.

الحاج فياض حسين الولي بن قاسم علي:

ولد سنة ١٢٨٩ في مظفر آباد (الهند) وتوفي سنة ١٣٥١.

هو من حفاظ القرآن ومجودي قراءته. درس التجويد على جعفر علي جارجوي. انتقل سنة ١٣١٢ الى لكهنو ودرس في مدرسة حسينية غفران مآب ثم في المدرسة الناظمية.

في سنة ١٣١٨ ذهب الى حيدر آباد وأقام هناك مجلساً لحفظ القرآن وتلاوته مجوداً. ثم سافر الى العراق والتقى فيه كبار العلماء.

ألّف: نخبة الاحكام، ورسالة القراءة، وتعليم النسوان، وانيس المحدثين ورفيق الواعظين.

الشيخ فياض الدين الزنجاني بن الآخوند ملا محمد السرخه ديزجي:

ولد سنة ١٢٨٥ في قرية (سرخه ديزج) على سبعة فراسخ شرقي مدينة زنجان وتوفي في زنجان سنة ١٣٦٠

وبها نشأ نشأته الأولى في القرية فأخذ المبادىء والسطوح عن علماء أفاضل في القرية وفي مدينة زنجان، ومنهم والده ملا محمد الديزجي الذي كان عالماً فاضلاً مدرساً في كتابي «قوانين الأصول» و«شرح اللمعة».

ثم انتقل الى طهران وتتلمذ على معاريف علمائها، وفي مقدمتهم الحاج ميرزا محمد حسن الآشتياني والميرزا ابي الحسن المعروف بجلوه الاصبهاني.

وبعد ذلك هاجر الى العتبات المقدسة واستقر بالنجف الاشرف، فتتلمذ في الفقه والاصول على علمائها الأعلام، ومنهم الفقيه الشيخ هادي الطهراني، وكان اكثر استفاداته العلمية منه وهو من عيون تلامذته.

ثم عاد الى زنجان نحو سنة ١٣٢٦ وأقام بها الى حين وفاته مشتغلاً بالتدريس وتربية طلاب العلوم الدينية، ومتولياً للشؤون العامة والارشاد.

ورجع اليه في الفتيا والتقليد جماعة من أهالي زنجان ونواحيها، وطبعت له رسالة عملية، كما ترك بعض المؤلفات الفقهية(٢).

قادر حسين مدراسي:

ولد سنة ١٢٥٠ في مدينة مدراس (الهند) وتوفي سنة ١٣٢٠.

درس دراسة اولية في مدراس وبمبي ثم انتقل الى العراق لمتابعة الدراسة في النجف وكربلا فمكث هناك عشر سنين. وفي سنة ١٢٩٠ عاد الى بمبي مرشداً دينيا لاهلها فأدى هناك احسن الخدمات العلمية والاجتماعية واسس مدارس ومساجد. ترك من المؤلفات: جراغ هدايت (مصباح الهداية).

الشيخ قاسم بن ابراهيم الخوئي:

هاجر من بلاده وتوطن في كربلاء واشتغل بالوعظ والارشاد، وكانت وفاته قبل سنة ١٢٨٣ التي كتب فيها ابنه الشيخ قربان علي كتاب أبيه. له «تحفة الذاكرين»(٣).

الامير قرچغاي خان التركماني القزويني:

كان حياً سنة ١٠٦٥.

قائد قوات جيش الشاه عباس الصفوي (جلوس ٩٩٦ ـ ١٠٣٨) لم اقف على تاريخ ولادته ووفاته الا ان نجله الشيخ علي قلي خان المار الذكر ولد في اصفهان سنة ١٠٢٠ وكان ساكنا في قزوين العاصمة انذاك ثم ساهم في ثورة الشاه عباس سنة ١٠٠٢ على الصوفية وذوي الميول الفلسفية واقصائهم عن الجيش حتى بالقيام بمجزرة كما ساهم في نقل العاصمة من قزوين الى اصفهان في سنة ١٠٠٦ وكان من المقربين الى الشاه عباس وعينه الشاه حاكماً على خراسان وسادناً للروضة الرضوية في مشهد ومتولياً لموقوفات الروضة وهو ابو الاسرة آل التركماني في قزوين وأصفهان وخراسان وقم وآل التركماني: من أعرق الاسر العلمية الشيعية التي نبغ منها علماء وفلاسفة ورؤساء وانتهت اليهم الرئاسة في كل من قزوين واصفهان وخراسان وقم وقد بزغ نجمهم في افق قزوين منذ عهد المترجم له في اواخر القرن العاشر وعند انتقال العاصمة من قزوين سنة ١٠٠٦ الى اصفهان هاجر المترجم له مع الشاه عباس الى اصفهان. وقد خلف المترجم له اولاداً ثلاثة اكبرهم الشيخ منوچهرخان التركماني الذي كان من تلاميذ المجلسي الاول الشيخ محمد تقي المتوفى سنة ١٠٧٠(٤) وقد انتهت اليه حكومة خراسان في حياة ابيه وثانيهم الشيخ علي قلي خان كان من اكابر الفلاسفة صاحب مؤلفات

---

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) انظر الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة ص ٥٨٧ بيروت مؤسسة فقه الشيعة الطبعة الاولى عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

هامة منها تفسير خزائن جواهر القرآن ومؤلفات فلسفية[1] الآتي ذكره وثالثهم الشيخ محمد علي خان التركماني والد الشيخ محمد كاظم التركماني. وكان اول من هاجر الى قم الشيخ علي قلي خان ابن المترجم له واشتهر في الاوساط العلمية العالية في اواخر القرن الحادي عشر وهو والد الشيخ مهدي قلي خان الذي اسس مدرسته الدينية سنة ١١٢٣ ولا تزال معروفة حتى اليوم باسمه في قم[2] وسوف نذكر كل منهم في محله ان شاء الله.

ذكره شيخنا الاستاذ الشيخ اغابزرگك الطهراني في الروضة النضرة ص ٤٥٧ قال (قرجغاي خان: من الفضلاء الاعيان الاشراف ومن امراء دولة الشاه عباس الماضي (٩٩٦ - ١٠٣٨) وتوجد من آثاره الباقية مجموعة دونها بخطه موجودة في مكتبة امير المؤمنين (ع) (في النجف الأشرف) فيها (سرمايه ايمان) لعبد الرزاق اللاهيجي فرغ من الكتابة ٤ رجب ١٠٦٥ هجرية ودعا لمصنفها بقوله (وفقه الله لما يرضاه وجعل آخرته خيراً من دنياه. .) وكتب قبله (الفوائد الصمدية) للبهائي مع حواشي منه رحمه الله وفرغ منه ١٧ جمادى الاولى سنة ١٠٦٢ هجرية وكتب (زهر الحديقة) في لغز النحو الذي ارسله البهائي الى تلميذه محمد صادق بن محمد علي القويسر كاني فشرحه التلميذ في حياة استاذه. . . بالجملة يظهر من هذه المجموعة انه كان من اهل الفضل وخطه جيّد في الغاية وهو مع فضله كان اب العلماء الاعلام فاكبر ولده الحاج منوچهر الذي كان مجازا عن المجلسي الاول في ١٠٦٠ هجرية وابنه الثاني علي قلي العلامة المصنف في المعقول والمنقول كشرح اثولوجيا. . . وله ولد ثالث اسمه محمد علي لم اضفر له باثر علمي ولكن له ولد فاضل اسمه محمد كاظم. . . وقد ترك المترجم له بعض الحواشي على الكتب العلمية والكلامية والفقهية وله خط جيل[3].

قليج بيك بن فريدون:

ولد سنة ١٢٧٠ وتوفي سنة ١٣٤٨.

اصل اسرته من سكان مدينة تفليس عاصمة جورجيا (گرجستان) لذلك كانوا يلقبون بـ(گرجى). وبعد أن كانت جورجيا تخضع للسيطرة الروسية هاجمها الايرانيون سنة ١٧٩٧م وكان والد فريدون وجد المترجم من حكام المقاطعة. ونتيجة للمعارك والاضطرابات جاء فريدون الى تبريز واصفهان فدرس هناك العلوم الاسلامية، ثم انتقل الى السند. وعندما هاجم الانكليز السند سنة ١٨٤٣ ودخلوها ارتحل فريدون الى قرية (تندوتهور) من ضواحي حيدر آباد، فولد له هناك ولده المترجم، فدرس في القرية وتعلم العربية والفارسية وبعض العلوم على الآخوند شفيع محمد والقاضي احمد متياروي. ثم دخل المدارس الحكومية فانهى الدراسة المتوسطة والثانوية. وبعد وفاة والده ذهب الى بمبي للدراسة الجامعية، وهناك التقى ميرزا خيرت فتلقى عليه العلوم الاسلامية، ثم عاد الى وطنه فاختير لاحدى الوظائف الحكومية. وفي سنة ١٩٠٩ تقاعد فانصرف الى المطالعة والتأليف.

كان يمتلك مكتبة كبيرة تحتوي على آلاف المجلدات المطبوعة والمخطوطة. وقد ترك من المؤلفات : الافكار (باللغة العربية) هستري اوف هذ (باللغة الانكليزية) في مجلدين زندگاني حضرة علي (باللغة الفارسية). الى الكثير من المؤلفات الاخرى في الادب والتاريخ والاخلاق والعقيدة. ولكن معظم مؤلفاته لم يطبع.

السيد قمر الزمان بن السيد محمد رفيع الرضوي السبزواري:

ولد سنة ١٣٢٥ في بلدة جهولس التابعة لقضاء بلند سهر (الهند) وتوفي سنة ١٣٧٩.

كان فقيها شاعراً اديبا طبيباً في الطب القديم. درس في امروهه ولكهنو. وتعاطى التدريس والتطبيب. وكان يجيد اللغات العربية والفارسية فضلا عن الاردوية وينظم الشعر باللغات الثلاث.

بعد تقسيم الهند جاء الى باكستان واقام في مدينة لاهور وتولى التدريس في معاهدها العالية.

ترك من المؤلفات: الحكمة الطالعة في شرح الشمس البازغة. وترجمة جامع المسائل في الفقه.

قمر الدين اورنك آبادي:

توفي سنة ١١٩٥.

من علماء الدكن (الهند) وفضلائها واتقيائها، وهو من بلدة (كيواره) التابعة لقضاء (اورنك آباد).

وجدت اسماء كتبه في فهرست المكتبة الآصفية في حيدر آباد.

قوّامي الرازي:

قوّامي، هو الاسم الادبي لعدد من الشعراء الناطقين بالفارسية قبل هيمنة المغول، منهم الحكيم موفق بن مظفر قوّامي فريومذي المذكور في «تاريخ بيهق» صفحة ٢٥٨. وكان من مدّاحي قوام الدين ابو القاسم ناصر بن علي درگزيني، وزير سلاجقة العراق المعروف، وكذلك قوّامي مطرّزي كنجيء شقيق الشاعر المعروف نظامي، الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وامير قوّامي خوافي من معاصري عوفي صاحب لباب الالباب، وقوّامي الرازي الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن.

ومن المؤسف انه لم يبق لنا من قوامي الرازي، مقادير ملحوظة من الشعر، اما ديوانه فقد تعرض للتلف، شأنه في ذلك، شأن غالبية شعراء الري القدامى، مثل منصور منطقي وبندار ومسعود وأبو المعالي نحاس وغضائري وشمس وابو المفاخر، ولم يصل الينا من شعر قوامي الرازي سوى قطع شعرية متناثرة في بعض المجاميع الشعرية وكتب المذكرات وهذه ايضاً يصعب تعيين تاريخها الذي لم يذكر معها ابداً.

واللافت ان كتب «التذكرة»[4] وباقي الكتب الفارسية القديمة مثل «جهار مقالة» (المقالات الاربع) و«تذكرة الشعراء» لدولتشاه، ومعجم اسدي وغيرها لم تتطرق الى ذكر قوامي الرازي، بل ان اقدم مطبوع ورد فيه ذكره، مجموعة تاريخية تعود الى القرن العاشر الهجري، حوت

(١) انظر اعيان الشيعة ج ٨ ص ٣٠٢ بيروت دار التعارف عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م وقد استدركنا عليه كثيراً.

(٢) انظر تاريخ مدارس ايران ص ٣٣٨ طهران الطبعة الاولى سنة ١٣٦٤ شمسية.

(٣) الشيخ عبد الحسين الصّالحي.

(١) مصطلح فارسي يطلق على الكتب التي تؤرخ الحياة وأحوال الشعراء والعلماء وأهل العرفان.

الألباب لعوفي ومصادر اخرى عديدة، كما ورد ذكر قوامي الرازي في كتاب «هفت اقليم» (الاقاليم السبعة) لمؤلفه امين احمد الرازي الذي كتبه عام ١٠٠٢ هجري.

في المجموعة الشعرية السالفة الذكر - لم يرد تفصيل لأحوال اي من الشعراء الواردة قصائدهم فيه - ومنهم قوامي الرازي - اما في «هفت اقليم» فقد اقتصر في تعريف قوامي الرازي على السطور التالية - وهي - كما سيلاحظ القارىء - لا تقدم ما يفيد عن حياته:

«اشرف الشعراء، بدر الدين القوامي، شاعر ارتبط اسمه وشعره وفضله بـ«قوام».

كل شعر صدر عن ذلك العندليب. كان يطرب السامعين، ويسلب الباًبهم، ولكثرة معاشرته ومصاحبته لقوام الدين الطغرائي، عرف بـ«قوامي» وقد نظم الكثير من الشعر، لكن شعره الآن اكثر ندرة من الياقوت الاصفر والكبريت الأحمر، وبعد ذلك يدرج صاحب «هفت اقليم» عدة مقطوعات من شعر قوامي الرازي.

اما المعلومات التي يوردها صاحب مجمع الفصحاء حول قوامي. فهي مقتبسة ايضاً من كتاب «هفت اقليم» السالف الذكر.

ان المعلومة الوحيدة التي تستخلص مما ورد بشأن قوامي الرازي هي انه كان يحمل القاباً مثل «اشرف الشعراء» و«بدر الدين»، وانه اكتسب اسمه الادبي «قوام» لكونه من مادحي «قوام الدين الطغرائي».

وفي كتاب قديم ونفيس باسم «بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض» لمؤلفه نصير الدين عبد الجليل القزويني ورد ذكر قوامي الرازي في معرض الحديث عن شرف الدين ابو الفضل محمد بن علي مرتضى رئيس الري عندما قال: لقد كان بيت القصيد في قصيدة طغرائي هو: «حتى يظهر صاحب الزمان ليباشر امور الدين، فإن الشخص الأول هو شرف الدين المرتضى»[٢]، ونفس هذه العبارة يوردها القاضي نور الله الشوشتري في كتاب «مجالس المؤمنين» في فصل «شعراء العجم». هذه الاشارة الموجزة تبين لنا ان قوامي الرازي كان من مدّاحي شرف الدين محمد بن علي مرتضىٰ رئيس الري وذلك حوالي العام ٥٥٦.

اذن - فان قوامي الرازي من شعراء القرن السادس الهجري. اما بالنسبة لشرف الدين محمد بن علي - فهو من ابناء عبد الله الباهر بن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. وقد كان هو وابوه من زعماء العلويين في قم والري الذين كان يحيط بهم دوماً العلماء والشعراء، يؤلفون عنهم الكتب ويقولون فيهم الشعر.

اما قوام الدين الطغرائي الذي يقول صاحب «هفت اقليم» ان قوامي الرازي اكتسب اسمه الأدبي منه - وذكره في احد اشعاره، فلا يمكن ان يكون غير قوام الدين درگزيني ابن قوام الدين ابو القاسم ناصر بن علي درگزيني أبن قوام الدين أبو القاسم ناصر بن علي درگزيني الذي حمل لقب قوام الدين بعد مقتل والده عام ٥٢٨هـ، وفي عهد طغرل الاول (٥٧١ - ٥٩٠هـ) خلف قوام الدين أخاه جلال الدين في منصب الوزارة. وما يعزز هذا الاعتقاد انه لم يُعرف احد باسم قوام الدين بين أعيان دولة السلاجقة في العراق وهمدان في الفترة الفاصلة بين مقتل قوام الدين-دركزيني الاول وعهد طغرل الثالث. وهي الفترة التي عاش فيها قوامي الرازي. اذن فكما ان قوامي فريومذي اكتسب اسمه الادبي من لقب قوام الدين دركزيني الاول وزير سنجر ومسعود، فان قوامي الرازي يبدو انه اكتسب اسمه الادبي ايضاً من لقب ابن قوام الدين الاول الذي اصبح فيما بعد وزيراً لطغرل الثالث.

ومن مقطوعاته الشعرية ما ورد في «هفت اقليم» ما ترجمته النثر العربية.

دع الخضاب فلعله لا يخفي الشيب
وكن كما انت، دون ستار

بياض الشيب كالصبح بنوره، فلماذا تحوّله بالخضاب الى ليل داكن.

السيد كاظم العصار الطهراني:

وقد يقال: محمد كاظم بن محمد بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني.

ولد سنة ١٢٠٥ او سنة ١٣٠٢ في الكاظمية وتوفي في طهران سنة ١٣٩٤.

مولده ونشأته:

نشأ في كنف والده السيد محمد العصار الذي كان من أعلام علماء عصره وله آثار تأليفية كثيرة مطبوعة ومخطوطة.

استصحبه والده الى طهران وهو في السنة الثانية من عمره، وتعلم العلوم الادبية والمقدمات بها على أبيه وغيره، وتخرج في دراساته الحديثة من دار الفنون.

ثم ذهب الى أصفهان سنة ١٣٢٣ وهو في الثامنة عشرة من عمره، وبقي بها ثلاث سنوات يدرس الفلسفة الالهية العالية على الآخوند ملا محمد الكاشي والآخوند بهانگير خان القشقائي.

ثم انتقل الى طهران وبقي بها بعض السنوات متتلمذاً في الفلسفة ايضاً على الميرزا هاشم الاشكوري الرشتي والميرزا حسن الكرمانشاهي ومير شهاب الدين النيريزي الشيرازي وميرزا محمد طاهر التنكابني، وفي العلوم الدينية على والده السيد محمد العصار والشيخ عبد النبي النوري والشيخ محمد باقر النجم آبادي.

وفي هذه الفترة سافر من طريق روسيا الى اوربا وبقي سنة واحدة في باريس اتقن بها الفرنسية وتعلم العلوم الرياضية على الطريقة الحديثة.

ثم ذهب الى العتبات المقدسة في العراق سنة ١٣٣٠، وأقام اولاً في سامراء سنتين متتلمذاً على الميرزا محمد تقي الشيرازي، ولكن كان اكثر اقامته بالنجف الأشرف متتلمذاً في الفقه والأصول العاليين على كبار علمائها، ومن أساتذته فيها

(١) البيت باللغة الفارسية والترجمة نثراً.

شيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي والشيخ ضياء الدين العراقي. وكان معجباً باستاذه الأخير غاية الاعجاب وينقل آراءه العلمية في كل مناسبة، كما ان استاذه هذا كان شديد العطف عليه ويأمل ان يكون في المستقبل من الشخصيات العلمية البارزة بالنجف.

ثم عاد السيد الى طهران سنة ١٣٤٠ وهو في الخامسة والثلاثين من سني عمره، واشتغل فيها بتدريس الفقه والاصول العاليين والفلسفة، وربى جماعة من افاضل العلماء في هذه العلوم، كما انه في نفس الوقت كان يدرّس في دار المعلمين العالية.

اختير استاذاً في جامعة طهران منذ تأسيسها سنة ١٣٣٥، فدرّس في كلية الآداب وكلية العلوم العقلية والنقلية سنين، ومنذ سنة ١٣٦٥ درّس في مدرسة سپهسالار الجديدة حتى وفاته.

كان طيب المحضر في احاديثه ومحافله، يمزج الجد بالهزل فيحس مستمعه بطلاوة في كلامه ويرتاح الى سماعه، له محبة في قلوب تلاميذه وعارفيه، يعظمونه غاية التعظيم ويذكرونه بالاحترام كلما يجري ذكره.

كان متبحراً في العلوم العقلية والنقلية متمكناً منها، وله بعض الاطلاع في العلوم الحديثة وواقفاً على نظريات فلاسفة العصر من الأوربيين، مجداً في العلوم اكتساباً وافادة، لا يمل من طول قراءة وكتابة وتربية الناشئة. مع غاية البساطة في حياته الخاصة وعدم الاعتناء بالمظاهر.

من مؤلفاته:

١ ـ ترجمة ثلاث رسائل، الى الفارسية.

٢ ـ تعليقات على جواهر الكلام.

٣ ـ تفسير سورة الفاتحة، الى آية «مالك يوم الدين»، وهو محاضرات فارسية طبعت في كراريس بطهران سنة ١٩٣٨م.

٤ ـ ثلاث رسائل، في وحدة الوجود والجبر والتفويض والبداء.

٥ ـ الجمع بين الرياضيات القديمة والحديثة.

٦ ـ حاشية على الاسفار، لملا صدرا.

٧ ـ حاشية على شرح العرشية.

٨ ـ حاشية على العروة الوثقى، استدلالية.

٩ ـ حاشية على كفاية الأصول.

١٠ ـ حاشية على المكاسب، غير تامة.

١١ ـ حاشية على منظومة السبزواري.

١٢ ـ حول القرآن الكريم، رد فيه على جماعة من الاوربيين.

١٣ ـ شذرات في الفقه والاصول، تقريرات دروس بعض أساتذته.

١٤ ـ علم الحديث، طبع بطهران سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٧٥م.

١٥ ـ منظومة في الفلسفة الالهية[1].

(١) السيد أحمد الحسيني.

الميرزا كاظم بن محمد التبريزي الملقب بأسرار علي:

ترجمه السيد شهاب الدين المرعشي على نسخة من كتاب «مرآة سير» بما يلي:

مؤرخ فاضل شاعر عارف، من تلامذة الحاج ميرزا حسن صفا والحاج محمد علي الخراساني المعروف بمشتاق، ولد سنة ١٢٦٥ والمظنون أنه توفي سنة ١٣١٢.

أقول: كان من الدراويش النعمة اللهية، ويتخلص في شعره بـ«اسرار».

له «تراجم العرفاء» ثلاث مجلدات و«مرآة سير»[2].

كافي بن محتشم القائني، ابو جعفر:

من أعلام القرن العاشر متبحر في الفلسفة وله تآليف فيها، قرأ عليه الصدر الأمير معز الدين محمد الأصبهاني كما ذكره تلميذ الصدر السيد صفي الدين محمد الحسني في النسخة التي نسخها من «تحرير المجسطي» لنصير الدين الطوسي في سنة ١٠٢٠[3].

السيد كرامت حسين الكنتوري بن السيد سراج حسين:

ولد سنة ١٢٦٩ في بلدة جهانسي (الهند) وتوفي سنة ١٣٣٥ في لكهنو كان يجيد العربية والفارسية ولغات أخرى، تولى التدريس في احدى المدارس، ثم اتيح له السفر الى بريطانيا حيث درس الحقوق هناك، وعند عوده الى الهند تولى تدريس الحقوق في جامعة علي گر، ونشر كثيراً من الدراسات والبحوث في الصحف.

ترك من المؤلفات: فقه اللسان، الحقوق الفرائض، الامور العامة، علم القانون، علم الاخلاق.

الحافظ كفايت حسين بن عبد الله:

ولد سنة ١٣١٦ في بلدة شكاربور من توابع فضاء بلند شهر في الهند. وتوفي سنة ١٣٨٨ في مدينة لاهور بالباكستان.

كان ابوه تاجراً وكان يتردد على مدينة لكهنو مقر مدارس الشيعة وعلمائهم فاستهواه الجو العلمي فرغب ان يدخل ابنه فيه. وكان مولانا محمد عوض تلميذ السيد نجم الحسن قد انشأ مدرسة لتحفيظ القرآن فألحقه والده بهذه المدرسة وعمره ثماني سنوات وكان استاذه فيها الحافظ مهدي حسن فحفظ على يديه عشرة اجزاء من القرآن. ثم تابع حفظ القرآن على يد الحافظ السيد غلام حسين حتى حفظه كله، ومن هنا لحقه لقب (الحافظ).

وفي سنة ١٩١٠م جاء الى لكهنو ودخل المدرسة الناظمية وفي سنة ١٩١٧ تخرج بشهادة اتقان العربية والفارسية من مركز (آله آباد) وبدرجة (ممتاز الافاضل). ثم صار مدرساً للغة الفارسية في احدى مدارس لكهنو. وفي سنة ١٩١٩م انتمى الى مدرسة الواعظين. وفي سنة ١٩٢٠ ارسل الى مدينة (بشاور) للارشاد. وفي سنة ١٩٢٥ جعل قاضياً في مؤسسة (كورم). وتعلم هناك اللغة السائدة لغة (البشتو) وصار يخطب بها ونجح في ارشاده. على انه قوبل بمعارضة بعض

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

العشائر الشرسة حتى حاولوا اغتياله.

وفي سنة ١٩٣٤م تحول من تلك المنطقة، منطقة (باراچنار) بدعوة من السيد نجم الحسن الى البنجاب وعين متوليا للاوقاف هناك. ثم دعاه السيد نجم الحسن الى التدريس في المدرسة الناظمية، فبقي مدرساً فيها عدة سنوات. وفي سنة ١٩٤٦م أسس (مركز تفسير القرآن) بتعضيد من رضا علي خان بيك في (رام.بور) فصار المترجم عضواً في هذا المركز وانتقل الى رام بور. ثم عاد بعد ذلك الى لاهور مبتعداً عن التدريس وعن العلماء لا سيما عن (لكهنو).

وفي سنة ١٩٤٨ اسس (ادارة تحفظ حقوق الشيعة) وبقي يدير هذه المؤسسة مدة طويلة.

وفي سنة ١٩٥٧ عزمت الحكومة الباكستانية على تطبيق التشريعات الاسلامية فاختارت لجنة للاعداد لهذا الأمر كان المترجم من ابرز اعضائها.

واسس المدرسة الامامية لقرّاء القرآن والعناية بالتجويد. وفي سنة ١٩٦٣ عارضه بعض الوجهاء والاثرياء وناوؤه.

وظل في لاهور حتى وفاته.

كان من الوجوه العلمية البارزة في الباكستان خطيباً متقناً للفلسفة الاسلامية على منهج (ملاّ صدرا) مجيداً لعلوم اللغة العربية.

كعب بن زهير بن ابي سُلمى:

مرت كلمة عنه في المجلد التاسع من (الاعيان). وننشر عنه هنا هذه الدراسة مكتوبة بقلم الدكتور مفيد قميحة.

هو الصحابي الجليل والشاعر المخضرم المشهور كعب بن زهير بن ابي سُلمى، واسم ابي سُلمى ربيعة بن رباح بن قرض بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن إد، وقد جاء في اللّسان: وليس في العرب سُلمى بالضمّ غيره وهو شاعر عالي الطبقة من اهل نجد وكانت محلّتهم في بلاد غطفان، فيظنّ الناس انهم من غطفان، أعني زهيراً وبنيه وهو غلط وقد وقع ابن قتيبة في الخطأ عندما قال: إنّ الناس ينسبونه الى مزينة[1] وإنما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه الى مزينة إلّا بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

هم الأصل منّي حيث كنت وإنّني
من المزنيين المصفّين بالكرمْ

ولكنه عاد في ترجمته الثانية لزهير وأصلح ما كان قد ظنّه صنواباً، وأعاد نسبه الى مزينة فقال: إنّه من مزينة مضر»[2].

---

(١) مزينة: هم بنو عمرو بن اد بن طابخة بن الياس، نسبوا إلى امهم مزينة نبت كلب بن وبرة، منهم النعمان بن مقرّن، ومنهم معقل بن سنان بن نبيشة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام، وانما مزينة كلها بنو عثمان واوس بن عمرو بن اد بن طابخة، وفي ذلك يقول كعب بن زهير:

متى ادع في اوس وعثمان تأتني
مساعير قوم كلّهم سادة دعم
هم الأسد عند البأس والحشدّ في القرى
وهم عند عقد الجار يوفون بالذمم

(٢) الشعر والشعراء، ص ٦٩ - ٧١، راجع كذلك ديوان كعب، ص٥٢.
راجع العقد الفريد، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، ج ٣ وديوان كعب، ص ٥٣ - ٥٤.

أمّا والدته، فهي «امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها: كبشة بنت عمّار بن عديّ بن سحيم، وهي أمّ سائر أولاد زهير»[3]، وكان زهير قد تزوجها فوق امرأته الأولى أمّ اوفى التي ذكرها في مطلع معلقته[4]، لأنها ولدت منه اولاداً ماتوا جميعهم وكان زهير يريد لنفسه الولد، فتزوّج كبشة تلك فغارت أم اوفى من ذلك وآذته فطلّقها ثم ندم فقال:

لعمرك والخطوب مغيرات
وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مطعن أم اوفى
ولكن امّ اوفى لا تبالي[5]

أمّا مولده، فلا تذكر المصادر شيئاً عن تاريخه، وكلّ الذي ذكرته انّه عاش مع والده في ديار بني غطفان بعد ان رحل عن مزينة، وأقام في الحاجر من ديار نجد، واستمر «أي زهير» فيه وبنوه بعد الإسلام[6]، والحاجرُ: اسم لموضع وهو في لغة العرب ما يمسك بالماء من شفة الوادي[7]، ويظهر انّه ولد في ديار قوم امّة وتأثر بهم حتى صار واحداً منهم «يشترك في جميع مآتيهم حرباً وسلماً، وقد رثى ربيعة بن مكدم الكناني لصلته بقوم أمّه»[8].

ويبدو أنّ شاعرية كعب قد ظهرت في وقت مبكّر، ولا غرو في ذلك فهو ينتمي الى بيت من بيوتات الشعر التي تألقت في الجاهلية، وخلّفت لنا العديد من الشعراء المشهورين، ويتّفق الرواة بشكل تام على انّ الشعر لم يتصل في ولد احد من فحول الجاهلية اتصاله في زهير وولده، يقول ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة ترثيه:

وما يغني توقّي الموت شيئاً
ولا عقد التميم ولا الغضار[9]
إذا لاقى منيّته فأمسى
يساق به وقد حق الحذار
ولاقاهُ من الأيّام يوم
كما من قبل لم يخلد قدار[10]

---

(٣) الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٧.

(٤) قال زهير في معلقته:

أمن أمّ اوفى دمنة لم تكلّم
بحومانة الدراج فالمتثلم

(٥) راجع شعراء النصرانية للأب لويس شيخو، ج٢، ص٥٦٧، وديوان كعب بن زهير، ص م الدار القومية للطباعة والنشر، كذلك راجع كتابنا المعلّقات، ص١٤٦ - ١٤٧، دار الهلال.

(٧) راجع فهرس الأعلام للزركلي، المجلد ٣، ص ٥٢.

(٨) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٩) أفؤاد افرام البستاني، الروائع ص ٦٩، ايلول ١٩٣٣.

(١٠) الغضار: نوعٌ من الخزف الأخضر، كان اذا خشي المرء في الجاهلية على نفسه يعلّقه في عنقه اتقاء من الموت.

(١١) قدار: هو قدار بن سالف الذي يقال له احمر ثمود عاقر ناقة صالح (عليه السلام) «لسان العرب مادة ص ٨٠»، راجع قول ابن الأعرابي في الأغاني، الجزء التاسع، ص ١٥٨.

وهكذا، فإنّ كعباً قد ورث الشعر من طرفي ابيه وأمه، وورّثه من بعد ابناءه واحفاده، فيقال، ان ابنه المضرب كان شاعراً واسمه عقبة بن كعب، لقّب بالمضرّب لأنه شبّب بامرأة فضربه أخوها بالسيف ضربات كثيرة فلم يمت، وكذلك حفيده العوّام بن عقبة بن كعب كان شاعراً ايضاً[١]. ولكعب ابن آخر، من ولده الحجّاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب، وهو الذي روى عنه التبريزي قصيدة (بانت سعاد) من طريقه سنداً[٢].

ممّا تقدّم نستدل على ان كعباً كان سليل بيت شعريّ اصيل، له قدمٌ وسبق في نظم الشعر وترسيخ قوافيه، واثر قويّ في صناعته وتهذيبه وصقله، ويشير الحطيئة[٣] صراحة الى مزايا ذلك البيت وعراقته في الشعر ونظمه وتنقيحه، فينقل الرواة عنه انّه اتى كعباً وطلب منه ان يذكره في شعره حتى يتحقق له الفضل والشرف على غيره من الشعراء، فعن أبي عبيدة قال: اتى الحطيئة كعب بن زهير وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير فقال له: يا كعب، قد علمت روايتي لكم اهل البيت وانقطاعي اليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك، فإنّ الناس لأشعاركم اروى، واليها اسرع فقال كعب:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها ... إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً ... تنخّل منها مثل ما اتنخّل

يثقفها حتى تلين متونها ... فيقصر عنها كلّ ما يتمثل[٤]

هذه الحادثة تدل على المكانة الشعرية البالغة لذلك البيت، وهي مكانة كما نرى كان بإمكانها ان ترفع وتضع، وان تشهر وتخمل، كما بإمكاننا ايضاً ان نستشف منها مدى التأثير البالغ والشهرة العريضة التي جعلت من ذلك البيت مدرسة تحوك الشعر وتعلّمه، وتكتب لمن تشاء الخلود ولمن لا تشاء النسيان وخمول الذكر.

وقد نشأ كعب في ذلك البيت، وتلقّى علومه الأوّلية فيه، فترعرع على حب الشعر والاستماع اليه، وكان له من والده خير معلّم ومثقف، وتذكر الروايات رعاية والده له، ومراقبة فطرته الشعريّة التي تكفّلها زهير بالعناية حتى استحكمت، وصلب عودها وترسّخ قدمها فسمح لها ان تنظم الشعر، وتنفي عنه كلّ ما يسيء اليه، من هذه الروايات: أنّ كعباً تحرّك وهو يتكلّم بالشعر، فكان زهيرٌ ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيُروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، ففعل ذلك مراراً، يضربه ويزبره، فغلبه، فطال ذلك عليه، فأخذه فحبسه، ثم قال: والذي أحلف به، لا تتكلّم ببيت شعر، ولا يبلغني أنّك تريغ الشعر - أي تطلبه - إلّا ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك، فمكث محبوساً عدّة ايام، ثمّ اخبر بأنه يتكلّم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً، ثم اطلقه وسرّحه في بهمه، وهو غليمٌ صغير فانطلق فرعاها، ثم راح بها عشيّة وهو يرتجز:

كأنّما احدو ببهمي عيرا ... من القرى، موقرةً شعيرا

فخرج زهير اليه وهو غضبان، فدعا بناقته، وكفلها بكسائه، ثمّ قعد عليها حتى انتهى الى ابنه كعب، فأخذه بيده فأردفه خلفه، ثمّ خرج يضرب ناقته وهو يريد ان يتعنّت ابنه كعباً، ويعلم ما عنده ويطّلع على شعره، فقال زهير، حين برز من الحيّ:

إنّي لتعديني على الهم جسرة ... تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعباً وقال: أجز يا لكع، فقال كعب:

كبنيانة القربي موضعُ رحلها ... وآثار نسعيها من الدف أبلقُ

فقال زهير:

على لاحب مثل المجرّة خلته ... اذا ما علا نشزاً من الأرض مهرق

ثم ضرب كعباً وقال: أجز يا لكع، فقال كعب:

منير هداه، ليله كنهاره ... جميع اذا يعلو الحزونة افرقُ

ثم بدأ زهير في نعت النعام، وترك نعت الإبل، فقال زهير يعتسف به عمداً:

وظلّ بوعساء الكثيب كأنه ... خباءٌ على صقبي بوانٍ مروّقُ

فقال كعب:

تراخى به حبّ الضّحاء وقد رأى ... سماوة قشراء الوظيفين عوهقِ

فقال زهير:

تحنّ الى مثل الحبابير جثّم ... لدى منتجٍ، من قيضها المتفلّق

ثم قال: اجز يا لكع فقال كعب:

تحطّم عنها قيضها عن خراطمٍ ... وعن حدقٍ كالنّبخ لم يتفتق

فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال: قد اذنت لك يا بنيّ في الشعر، فلمّا نزل كعب وانتهى الى اهله، وهو صغير يومئذٍ قال:

أبيت فلا أهجو الصّديق ومن يبع ... بعرض أبيه في المعاشر، ينفق

وقال زهير:

ويوم تلافيت الصبا، ان يفوتني ... برحب الفروج، ذي محالٍ موثّقِ[٥]

(١) راجع خزانة الأدب، ج ٤، ص ١١.
(٢) راجع ديوان كعب بن زهير، المقدّمة ص م، الدار القومية.
(٣) هو جرول بن اوس من بني قطيعة بن عبس، ولقّب الحطيئة لقصره وقربه من (الأرض)، ويكنّى ابا مليكة، وكان راوية زهير، وهو احد الشعراء المخضرمين المشهورين، راجع الشعر والشعراء، ص ١٩٩.
(٤) طبقات الشعراء، ص ٣٧، راجع كذلك الأغاني ج ١٥، ص ١٤٧، والشعر والشعراء ص ٨١ - ٨٢ وديوان كعب ص ٤٧، مع اختلاف بسيط في ترتيب الأبيات والفاظها.
(٥) شرح شعر زهير بن أبي زهير بن أبي سُلمى - صنعة ابي العبّاس ثعلب، ص ١٨٢ - ١٨٦، دار الآفاق الجديدة، والأغاني ج ١٥، ١٤٧ - ١٤٨.

وهناك حادثة اخرى ترويها المصادر الأدبية بأساليب متباينة ووقائع مختلفة، فتنسبها حيناً الى النابغة الذبياني، وحيناً الى زهير بن أبي سلمى، ولكنّها في النهاية تدل على شاعرية كعب، وفطرته الأصيلة، وبديهته المتوقّدة، فعن الشعبي قال[1]:

تراك الأرض إمّا متّ خفّاً
وتحيا ما حييت بها ثقيلاً

فقال له النعمان: هذا البيت إن لم تأت بعده ببيت يوضح معناه، وإلّا كان الى الهجاء اقرب، فتعسر على النابغة النظم، فقال له النعمان: قد اجلتك ثلاثاً، فإن قلت فلك مائة من الإبل العصافير، وإلّا فضربة بالسيف بالغة ما بلغت، فخرج النابغة وهو وجل، فلقي زهير بن ابي سلمى فذكر له ذلك فقال: اخرج بنا الى البريّة فتبعهما كعب فردّه زهير، فقال له النابغة: دع ابن اخي يخرج معنا وأردفه، فلم يحضرهما شيء، فقال كعب للنابغة: يا عمّ، ما يمنعك أن تقول:

وذلك ان فللت الغيّ عنها
فتمنع جانبيها ان تميلا

فأعجب النابغة وغدا على النعمان فأنشده، فأعطاه المائة، فوهبها لكعب بن زهير فأبى ان يقبلها[2].

وفي الأغاني ايضاً ان زهيراً قال بيتاً ونصفاً ثم اكدى، فمر به النابغة فقال له: يا أبا امامة اجز، فقال: ما قلت؟ قال: قلت:

تزيد الأرض إما مت خفاً
وتحيا إن حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقر العرض منها.

أجز، فأكدى والله النابغة، وأقبل كعب بن زهير وإنه لغلام، فقال أبوه: اجز يا بني، فقال: وما أجيزه؟ فأنشده فأجاز النصف بيت فقال:

«وتمنع جانبيها أن يزولا»

فضمّه زهير إليه وقال: اشهد انك ابني[3].

وهكذا يبدو من هذه الروايات ان زهيراً قد تكفّل ابنه ورعاه، فنمى موهبته بالرواية والاستماع والنظم، بل وبتعليمه مبادىء القراءة والكتابة حتى يوفّر له كلّ ما هو ضروري لنظم الشعر وإتقانه واحكام ضبطه ومراجعته، فقد ورد في روايات اهل الأخبار «أن عدداً من الشعراء الجاهليين كانوا يكتبون ويقرأون، وكان منهم من إذا نظم الشعر دوّنه، ثم ظل يعمل في اصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه الى ان يرضى عنه، وممن كان يكتب ويقرأ، سويد بن الصامت الأوسي صاحب مجلّة نعمان[4] وكعب بن زهير وكعب بن مالك الأنصاري، والربيع بن زياد العبسي[5]».

وتشهد حياة كعب بن زهير بعد اكتمال عوده منعطفاً اساسيّاً وهامّاً، فقد قدّر لذلك الشاعر ان يشهد بزوغ فجر الإسلام، ويتشرّف بلقاء الرسول (ص) والاستماع اليه والايمان بدعوته المباركة التي نقلت العرب من الجاهلية العمياء الى نور الحق والإيمان والهداية، وتربط بعض المصادر اسلام كعب وبجير أخيه، وورودهما على النبي (ص) برؤيا كان قد رآها والدهما زهير من قبل، ومفادها ان زهيراً قد رأي قبيل مماته «أنّ آتياً أتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسّها بيده، ثم تُرك فهوى الى الأرض، فلما احتضر قصّ رؤياه على ولده كعب، ثم قال: إني لا اشك انه كائن من خبر السماء من بعدي، فان كان فتمسّكوا به وسارعوا اليه»[6].

وسواء عمل كعب واخوه بهذه الوصية التي لا نعرف مقدار صحتها أم لا، فانه كان من الواجب على كعب واخيه بعد انتشار الإسلام وذيوع دعوته بين الناس وبين بني قومهما بالذات، ان يسارعا ليتعرّفا على هذه الدعوة التي امتلكت القلوب وأنارت العقول والأبصار، وتهافت عليها الناس ايماناً بها من كلّ صوب وفجّ عميق، وقلبت موازين الجاهلية الرعناء الى نظام من الحكم الإلهي العادل الذي يساوي بين البشر وينظّم حياتهم على مبادىء من الحق والخير والهداية، إذاً فلا عجب ان يسارع كعب وأخوه الى لقاء الرسول (ص) والإيمان به، بل العجب كل العجب ان لا يفعلا ذلك، وهما مَن هما من الأدب والعقل والاتزان، ولذلك فإننا نرى بعض الروايات تذكر حادثة إسلامهما بأساليب مختلفة، ولكنها جميعاً تؤكد على خروج كعب وبجير من تلقاء نفسيهما للقاء الرسول والاستماع منه الى مبادىء الدعوة، وتقول: خرج كعب وأخوه بجير ابنا زهير الى رسول الله (ص)، فلما بلغا ابرق العزّاف[7] قال بجير لكعب[8] أثبت انت في غنمنا في هذا المكان حتى القى هذا الرجل يعني رسول الله (ص)، فاسمع ما يقول، فثبت كعب وخرج بجير، فجاء رسول الله (ص)، فعرض عليه

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الحميري، ابو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله الى ملك الروم، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً، نسبته الى شعب، وهو بطن من همدان.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، القسم الخامس، ص ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٣) الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٧.

(٤) يحكى ان سويد بن الصامت الأوسيّ، اتى مكة حاجاً او معتمراً، فتصدّى له رسول الله (ص) حين سمع به، فدعاه الى الإسلام فقال له سويد: فلعلّ معك مثل الذي معي، فقال رسول الله (ص): وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، فقال رسول الله (ص): أعرضها عليّ، فعرضها عليه، فقال له: ان هذا لكلام حسن، والذي معي افضل من هذا، قرآنٌ انزله الله تعالى عليّ، وهو هدًى ونور، فتلا عليه رسول الله (ص) القرآن، ودعاه الى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: ان هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث ان قتله الخزرج، فانه كان رجال من قومه ليقولون: إنّا لنراه قد قتل وهو مسلم «تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٠١».

(٥) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١١٠ - ١١١. وعيون الأثر، ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، والكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٨٤ - ٢٧٥، وجمهرة أشعار العرب، ص ١٣ - ١٤، والإصابة، ج ٥ ص ٥٩٤، والاستيعاب، ج ٣ ص ١٣١٣، والأغاني، ج ١٥، ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٦) خزانة الأدب، ص ٣٧٧.

(٧) أبرق العزاب، هو ماء لبني اسد بن خزيمة بن مدركة، مشهور، ذكر في اخبارهم، وهو في طريق القاصد الى المدينة من البصرة، وقالوا: وانما سمي العزّاف لأنهم يسمعون فيه عزيف الجنّ، «راجع معجم البلدان لياقوت، الجزء الاول، ص ٦٧، مادة أبرق».

(٨) بعض الروايات تقول: إن كعباً قال لبجير: الحق الرجل وأنا مقيم ههنا انظر ما يقول لك، «الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٥».

الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فقال(١):

ألا ابلغا عني بجيراً رسالةً
فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمون كأساً رويّةً
فانهلك المأمون منها وعلّكا
وخالفت أسباب الهدى وتبعته
على أيّ شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أباً
عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

قال، وبعث بها الى بجير، فلما اتت بجيراً كره ان يكتمها رسول الله (ص) فأنشده إيّاها، فقال رسول الله (ص) لمّا سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون» ولما سمع «على خلق لم تلف اماً ولا أباً» عليه قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه.

وتذكر الروايات ان كعباً بعد ان غلب الإسلام على قومه مزينه راح يهجوهم هجاءً مراً فعلم بذلك رسول الله (ص) فأهدر دمه(٢) وقيل إنّ سبب اهدار الرسول لدمه هو مناصبته العداء للمسلمين كما فعل بنو غطفان(٣)، وقيل انما امر رسول الله بقتله وقطع لسانه بعد سماعه من بجير تلك الأبيات(٤)، او لأنه كان تشبّب بأمّ هانىء بنت ابي طالب(٥) وخاف بجير على أخيه من القتل فكتب اليه بعد قدوم رسول الله من منصرفه عن الطائف كتاباً ضمّنه الأبيات التالية(٦):

من مبلغ كعباً فهل لك في التي
تلوم عليها باطلاً وهي اضرم
الى الله لا العزّى ولا اللات وحده
فتنجو اذا كان النّجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ
من النار إلاّ طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه
ودين أبي سلمى عليّ محرّم

وقال له: إنّ رسول الله (ص) قتل رجالاً بمكة ممّن كان يهجوه ويؤذيه، وإن من بقي من شعراء قريش: ابن الزعبري، وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر الى رسول الله (ص) فإنّه لا يقتل احداً جاء تائباً، وان لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض، قال ابن اسحاق: فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوّه، فقالوا: هو مقتول، فلمّا لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (ص)، وذكر خوفه وإرجافه الوشاة به من عدوّه، ثم خرج

(١) في المصادر التي تذكر هذه الرواية اختلاف في ترتيب الأبيات والفاظها، ولا مجال الى ذكرها، راجع اسد الغابة، ج ٤ ص ٤٧٥، وتهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢٨٠.
(٢) راجع بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص ١٥٩.
(٣) راجع بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ٩٤.
(٤) راجع اسد الغابة، ج ٤، ص ٤٧٦.
(٥) راجع الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٦.
(٦) راجع عيون الأثر، ص ٢٦٨.

حتى قدم المدينة فنزل الى رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة كما ذكر لي، فغدا به الى رسول الله (ص) حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله (ص)، ثم اشار له الى رسول الله (ص) فقال: هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه، فذكر لي انه قام الى رسول الله (ص) حتى جلس اليه فوضع يده في يده، وكان رسول الله (ص) لا يعرفه، فقال يا رسول الله: إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل انت قابل منه ان أنا جئتك به؟ فقال رسول الله (ص): نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، قال ابن اسحاق؛ فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله دعني وعدوّ الله اضرب عنقه، فقال رسول الله (ص): دعه عنك فإنّه قد جاء تائباً نازعاً عمّا كان عليه، فغضب كعب على هذا الحيّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله (ص)(٧) وقد عرّض كعب فيها بالأنصار لموقفهم منه، ومدح اخوانهم المهاجرين من قريش، فقال له رسول الله (ص): لولا ذكرت الأنصار بخير فانهم لذلك اهل، فقال كعب قصيدة مشهورة في مدحهم(٨) «فكساه النبي (ص) بردةً كانت عليه، فلما كان زمن معاوية ارسل الى كعب ان بعنا بردة رسول الله، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من اولاده بعشرين الف درهم، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن»(٩)، وقيل انها بيعت في «أيام المنصور الخليفة بمبلغ اربعين الف درهم، وبقيت في خزائن بني العباس»(١٠)؟

تلك هي السيرة التاريخية لكعب بن زهير كما استخلصناها من المصادر الأدبية والتاريخية وكتب السيرة، وقد اغفلت جميعها تماماً أيّ تفاصيل اخرى عن حياته، ولم تشر من قريب او بعيد الى احداث حياته بعد اسلامه تلك، حتى ان ديوان شعره يكاد لا يتجاوز فيما تضمّنه من قصائد تلك الفترة رغم ان عمره يمتدّ في بعض الروايات ليبلغ أيّام معاوية، كما لم تشر المصادر الى اوان وفاته الذي يظهر ان الغموض قد لفّه لأسباب نجهلها رغم شهرته العريضة وموقعه المؤثر، ولكنّ بعض الدراسات المعاصرة حاولت ان تحدد تاريخاً لوفاته فذكرت سنة ٢٤هـ(١٢) كما ذكرت سنة ٢٦هـ(١١)، بينما آثر البعض سنة ٤٢هـ مستنداً الى حادثة البردة ورغبة معاوية بن ابي سفيان في شرائها، وهذا الاستناد في رأي الدكتور فؤاد افرام البستاني «لا يفرض صحة ما يروى عن رغبة معاوية في شراء البردة من كعب فحسب، بل يفرض ان معاوية كان خليفة اذ ذاك، وهو امر لم يشر اليه احد من قدماء المؤرخين» وينتهي الدكتور بستاني الى القول: «ومهما يكن من امر، فإن ذكر سنة بعينها لوفاة كعب، لمن الصعوبة بمكان، وأصعب من ذلك تعيين سنة لمولده، ونحن لا نعرف يقيناً إلا سنة اسلامه، وهي السنة التاسعة للهجرة، كما ورد في السيرة وأقرّه البرنس كايتاني»(١٣)

(٧) تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢٨١ - ٢٨٢.
(٨) تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢٨٥.
(٩) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٦.
(١٠) خزانة الأدب، ج ٤، ص ١٣.
(١١) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، ص ١٠٢.
(١٢) فهرس الأعلام للزركلي مجلده، ص ٢٢٦.
(١٣) الروائع، ايلول ١٩٣٣، ص ٦٧ - ٦٨.

أما سيرة كعب الأدبية، فيبدو ان شرف صحبته لرسول الله (ص) قد زاد من هالتها وتألقها، وخاصة بعد إلقائه تلك القصيدة الرائعة بين يديه، فقد ارتبطت سيرة كعب الأدبية بهذه القصيدة التي احتلت مكانها اللائق في عالم الشعر حتى غدت نهجاً سلكه اكثر الشعراء وطريقاً اقتفوا آثاره في مدح النبيّ عليه افضل الصلاة والسلام، وتفنّنوا فيه غاية التفنن، فالمراجع لكتب الأدب يلحظ كيف تحوّلت البردة الى قصيدة فريدة اكتسبت بمرور الزمن جدّة وتألقاً وصارت موضع تبرك واستشفاء وتقرب من الله في المناسبات التي تتطلب تضرّعاً وابتهالاً، كما تحوّلت ايضاً الى نموذج اعلى انبرى الشعراء في كل عصر الى معارضته وتشطيره وتخميسه، وعكف عليه الدارسون شرحاً وبحثاً وتحليلاً ومقارنة، وترجمه المترجمون الى لغات عدّة في الشرق والغرب على السّواء[١].

كما أنّ المراجع ايضاً سوف يلحظ كيف استأثرت هذه القصيدة بالأحكام الأدبية الصادرة عن النقاد قديماً وحديثاً حتى يكاد الدارس لشعر كعب يظنّ ان ليس لكعب من الشعر غيرها، رغم ان ديوانه يزخر بالقصائد الجياد، لكنّها أضحت كالنجوم التي تفقد تألقها حين تسطع الشمس وترسل أنوارها لتضيء الأرض والوجود.

ولقد انصبّت الأحكام على كعب بوحي من تلك القصيدة، بل وبتوجيهٍ منها حتى كادت ان تغفل لكعب كل سيرة غيرها، فالمصادر والمراجع لا تذكر كعباً إلّا مرتبطاً بها، فهذا ابن سلّام في طبقاته يتحدّث عن كعب، ويعدّه في الطبقة الثانية من الشعراء، ولكنّه يخصّص حديثه عنه لحادثة اسلامه والقائه تلك القصيدة في حضرة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام[٢].

أما صاحب العمدة، فإنه يورد كعب مدلّلاً بتلك القصيدة على فضل الشعر وأهميته، وعلى ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينه عن الشعر، ولم يغض من قدره، بل نهى عن الشعر الذي يتعارض مع قيم الدعوة الإسلامية ومبادئها الداعية الى الحق والخير والايمان، فهو اذ يذمّ الشعر انما يذمّ منه ما كان داعياً الى التفرقة والعصبية الجاهلية، وما كان مذكياً بين الناس الأحقاد والشرور والمفاسد، ولذلك نرى الرسول يثيب كعباً ويتجاوز عن سيئاته، ويهب له بردته الشريفة التي آثرها كعب على كلّ عطاء[٣].

ويذكر ابن قتيبة كعباً فيقتصر على القول: إنّه كان فحلاً مجيداً، ثم يشير بإسهاب الى حادثة اسلامه، ويروي بعد ذلك باختصار شديد طلب الحطيئة منه ان يذكره في شعره[٤].

وهكذا، يظهر لنا ان الأحكام التقويمية التي تناولت كعباً وشعره لم تبن على دراسة حقيقية لشعره، وكلّها تقريباً ارتبطت بتلك القصيدة ولم تتجاوزها الى ما عند كعب من شعر، ولذلك كانت تلك الأحكام في اكثرها موجزة بل ومتشابهة ان صحّ التعبير، وهي لم تتعدّ القول: بأن كعباً من الشعراء[٥] المخضرمين ومن فحول الشعراء، او ان كعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه وكذلك ابنه عقبة[٦]. او قولها: كان كعب بن زهير شاعراً مجوّداً كثير الشعر مقدّماً في طبقته هو وأخوه بجير، وكعب اشعرهما وأبوهما فوقهما[٧] او انه كان شاعراً فحلاً مجيداً[٨].

ونذكر في هذا المجال قول خلف الأحمر: لولا قصائد لزهير ما فضّلته على ابنه كعب[٩] او قوله: لولا أبيات لزهير اكبرها الناس لقلت ان كعباً اشعر منه[١٠]. هذا ولم يسلم المحدثون من مؤرخي الأدب ودارسيه من تأثير تلك القصيدة، فنرى بروكلمان يذكر كعباً ويشير الى ملكته الشعرية التي ورثها عن ابيه، ويعرّج على ذكر قصيدة البردة فيقول: «وهي من اشهر أشعار العرب، والبست الشاعر حلّة مجد لا يبلى»[١١] كذلك فان طه حسين يستعرض قصيدة البردة في حديث له، وينتهي الى القول: فما ارى إلّا ان مدحه فيها يعدل مدح زهير كله»[١٢].

تلك هي بعض الأراء التي ذكرت كعباً في سيرته الأدبية نكتفي بهذا القدر منها منتهين الى القول: إنّ تلك القصيدة قد اضفت على كعب حقاً تلك الشهرة العريضة التي هي في رأينا لا تتناسب مع تراثه الشعري الذي خلّفه لنا، اذ ليس في ديوانه لولا هذه القصيدة ما يفسر لنا ذلك، ثمّ ان ما تضمّنه ذلك الديوان من قصائد قليلة ومقطوعات يسيرة لا يتفق ايضاً مع عمره المديد الذي تذكر الروايات انه امتدّ ليشهد خلافة معاوية بن ابي سفيان، وهنا يتبادر الى الذهن سؤال يطرح نفسه، ولا بدّ من الإشارة اليه ومناقشته، وهو يدور حول قلّة شعر كعب بعد الاسلام وتعليل أسباب تلك القلّة، فهل آثر كعب السكوت في أواخر حياته عن نظم الشعر، وتفرّغ الى دينه وقراءة القرآن كما فعل معاصره لبيد بن ربيعة، أم ان شعره ضاع لأسباب تتعلق بمواقف شخصية له؟ ثم ان المراجع لكتب الأدب والسيرة لا يرى ذكراً لكعب بعد حادثة اسلامه، فأين شعره في تلك السنوات الطوال التي رافق انتشار الإسلام وامتداد فتوحاته وعظمة انتصاراته، وهي في نظرنا من أبرز الدوافع التي تحثّ على نظم الشعر وتسطيره وابراز العواطف الدينية والتعبير عنها، للإجابة على تلك التساؤلات، فإنّنا ننتهي الى رأيين اثنين:

اولهما: ان كعباً بعيد اسلامه قد خفّف من نظم الشعر إلّا مقطوعات يسيرة استلهمها من الإسلام وتعاليمه ـ وسوف نشير اليها عند حديثنا عن شعره ـ وتفرّغ الى دينه الذي نعتقد انه قد حسن بدليل ان كتب السيرة لم تنكر عليه موقفاً او قولاً بعد اسلامه، وبدليل آخر نستخلصه من تمسّكه بعطاء رسول الله (ص)، ذلك العطاء الذي قال عندما طلب منه: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً[١٣]. ثم ان ما تضمّنه شعره

(١) أراجع فؤاد افرام البستاني، مجلة المشرق عدد ٣١، السنة ١٩٣٣، ص ٦٩٩، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي الجزء التاسع، ص ٨٦٣ وفهرس الأعلام للزركلي مجلد ٥، ص ٢٢٦.

(٢) راجع طبقات الشعراء، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٣) راجع العمدة في صناعة الشعر، ص ١٧ ـ ١٨.

(٤) راجع الشعر والشعراء، الجزء الأول، ص ٨١ ـ ٨٢.

(٥) الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٧.

(٦) عيون الأثر، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٧) الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣١٥.

(٨) معجم الشعراء للمرزباني، ص ٣٤٢، دار الكتب العلمية.

(٩) خزانة الأدب للبغدادي، ج ٤، ص ١١، والاستيعاب، ج ٣، ص ١٣١٥.

(١٠) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٩، ص ٨٦٢.

(١١) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي، ج ١ ص ١٥٩.

(١٢) حديث الأربعاء، ج اول، ص ١٢٥.

(١٣) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٦.

بعيد اسلامه من معانٍ اسلامية وابتعاد عن اعراف الجاهلية ومنازعها يوحي جميعه بأنّ كعباً تفرغ لدينه، وآثر قراءة القرآن الذي بهر الناس ببلاغته وملك عليهم ألبابهم، فانصرف مقتفياً نهج معاصره لبيد بن ربيعة الذي تذكر الروايات عنه حادثةً توضح ذلك النهج، ومفادها ان عمر بن الخطّاب قد ارسل الى عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة ان استنشد من عندك من شعراء مضر ما قالوه في الإسلام، فأرسل الى لبيد وغيره بذلك، فانطلق لبيد الى بيته فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها فقال: «أبدلني الله هذا في الإسلام مكان الشعر»[١].

وكذلك يشير ابن خلدون، ربّما بوحي من هذه الحادثة، الى تفرّغ المسلمين في بداية الدعوة الى القرآن والجهاد في سبيل الله فيقول: «ثم انصرف العرب عن ذلك «أي عن الشعر» أوّل الإسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من اسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً»[٢].

ثانيهما: إننا لا نستطيع ان نجد تفسيراً لقلّة شعر كعب، وهو من هو من الشعر ونظمه، إلّا بذلك النزوع عنه الى الاسلام وتعاليمه، ولا يمكن ان نرد اسباب تلك النزورة ونعزوها الى اشتهار ذلك البيت - أي بيت زهير وأبنائه وأتباعه - بتنقيح الشعر وتهذيبه، فيروى: أنّ زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقّحها ويهذّبها في سنة، وكانت تسمّى قصائده حوليات زهير[٣].

ويشير الجاحظ الى ذلك البيت فيقول: ومن شعراء العرب من كان يدع القصائد تمكث حولاً كريتاً وزمناً طويلاً يردّد فيها نظره، ويقلّب فيها رأيه، اتهاماً لعقله وتتبّعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، واحرازاً لما خوّله الله من نعمته[٤] فهبْ بأنّنا اخذنا بهذا الرأي، وأعدنا نزورة شعر كعب الى ما أوثر عن ذلك البيت من تهذيب وصقل ومراجعة، فإنّ تراثه الشعري الذي حفظه لنا ديوانه الذي بين أيدينا مع ذلك، لا يتناسب وعمره المديد وسنيّه الطويلة وشهرته العريضة، حتى اننا ايضاً نجد في ديوانه قصائد قد شكّ الدارسون في نسبتها اليه، وان ما صحّ فيه «أي في ديوانه» من شعر، فانه في نظرنا قليل ويستوجب منّا تفسيراً يحملنا على القول: بأن كثيراً من شعر كعب قد ضاع نتيجة لظروف معينة، ولمواقف نجهل تفاصيلها، ولكنّنا نستشف بعضها من خلال قراءة متأنية لشعره تكشف ولاءه السّياسي على ما يبدو متفقاً مع الاتجاه السياسي لأولي الأمر في عصره فأهمل الرواة بسبب ذلك رواية شعره[*] أو من خلال ما ذكره ابن سلّام في طبقاته عن عمر بن الخطاب حين قال: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ اصح منه، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزوا فارس والرّوم ولهيت عن الشعر وروايته»[٥].

فهذا الحديث ايضاً، قد يفسّر لنا بعض ما اردنا تعليله من ضياع شعر كعب وغيره، فلا عجب ان نحن كذلك رددنا نزورة شعر كعب وقلّته التي بين ايدينا الى انشغال العرب وتلهّيهم عن الشعر وروايته بالفتوح ونشر الدعوة الإسلامية والانصراف عنهما الى قراءة القرآن وامعان النظر في آياته المحكمات، وبلاغته التي بهرت العقول والأبصار.

أما سيرته الشخصيّة، فلم تشر اليها المصادر بشيء يوضح بعض تفاصيلها، وكلّ الذي ذكرته من تلك السيرة يوحي الى القول: بأن كعباً كان رجلاً محارفاً مملقاً لا ينمى له مال[٦] وكان يحالفه ابداً اقتار وسوء حال[٧]، وقد انعكس اثر ذلك على شعره، فبتنا نراه في كثير من اشعاره يشكو دهره، ويتأفّف من غيره وأحداثه وتقلباته، ويعزو ما هو فيه من حالٍ سيئةٍ الى شؤم جدّه وطالعه، فترك كل ذلك في نفسه أسىً ومرارة وتبرّماً من الحياة، وسأماً منها نكاد نلمح فيه سأم ابيه، يقول كعب:

لو كنت اعجبُ من شيءٍ لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدر

يسعى الفتى لأمورٍ ليس يدركها ... والنفس واحدةٌ والهم منتشر[٨]

ويقول في موضع آخر مشيراً الى رزقه المجدود، وجدّه المحدود:

لعمرك لولا رحمة الله إنّني ... لأمطو بجد ما يريد ليرفعا

فلو كنت حوتاً ركض الماءُ فوقه ... ولو كنت يربوعاً سرى ثمّ قصعا[٩]

وممّا لا شك فيه ان تضييق الحياة عليه، وقسوتها التي لم ير لها سبباً قد خلّفا في نفسه برماً منها، وأدّى بالتالي الى قسوة فيه نلحظها في فظاظة الطباع عنده وجفوة المعاشرة حتى نكاد نحسّ بأن كعباً كان بدوياً فظاً غليظ القلب نافر الطباع يثور وينتفض لأدنى ملاحظة ربّما لا يكون لها أساس او حقيقة، ولكنه يتوهمّها ويستشعرها نتيجة لذلك الوضع الذي يجد نفسه فيه، وخير دليل على ذلك حادثة أخيه بجير، وارسال زهير بفرس كعب الى زيد الخيل لقاء اكرامه لمثوى ابنه واعتنائه به، وغضب كعب لفقدانه فرسه، وملاحاته لأبيه، وهجائه لزيد، ومحاولته ايقاع الشرّ بين رهط زيد ورهط بني ملقط انسبائه، وذلك من اجل فرس وهبها أبوه لقاء معروفٍ اسدي اليه، حتى رأينا امرأته تقرّعه وتلومه وتقول له: أما استحييت من أبيك لشرفه وسنّه أن تؤيسه في هبته عن أخيك، ولامته، وكان قد نزل بكعب قبل ذلك ضيفان فنحر لهم بكراً كان لامرأته، فقال لها: «ما تلوميني إلّا لمكان بكرك الذي نحرت

---

(١) راجع خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٧٧ والاغاني، ج ١٥، ص ٣٦٩.

(٢) المقدّمة، ص ٣٦٠ - دار الهلال.

(٣) خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٤) البيان والتبيين، ج ٢، ص ٤ - دار الكتب العلمية.

(*) ولماذا لا يكون الامر هو العكس، فان عدم اتفاق ولائه مع الاتجاه السياسي لأولي الامر هو الحامل على اخفاء شعره وتجاهله واضاعته، ولم يتسرب منه الا القليل ومنه ما رواه ابن شهر اشوب في مناقبه، - كما في (الاعيان) (ح).

(٥) طبقات الشعراء ص ٣٤ - دار الكتب العلمية.

(٦) مقدمة ديوان كعب: صنعة أبي سعيد السكري ص. ف.

(٧) الشعر والشعراء، ص ٨٠.

(٨) ديوانه، ص ١٦٧.

(٩) ديوانه، ص ١٦٥.

لضيوفي فلك بكران»[1] ثمّ قال قصيدته التي صبّ بها جام غضبه على زوجته وعلى النّساء بوجه عام، والتي مطلعها[2]:

ألا بكرت عرسي توائم من لحى
وأقرب بأحلام النساء من الردى

ودليل آخر، قول كعب لوالده زهير بعد هجائه الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد الذي كان قد أغار على بني عبد الله بن غطفان ــ وكان زهير يقيم فيهم ــ فغنم واستخفّ إبل زهير وراعيه يسار فهجاه زهير بقصيدة جيدة[3]:

«أوسعتهم سبّاً وأودوا بالإبل»[4]

هاتان الحادثتان في رأينا ترسمان اطاراً شفّافاً لشخصية كعب التي قلنا: إن الظروف جعلتها متضخّمة الإحساس تثور بسرعة، ونكاد نلمح فيها التمرّد، بل وحتى السخرية والهزء من أعراف وتقاليد كان على رجل مثل كعب واجب مراعاتها والقبول بها، ولكنه لم يكن ليقدر على تمالك أعصابه أو حبس ثورته أو السيطرة على منازع نفسه البدوية، تلك المنازع التي استطاع الإسلام فيما بعد أن يهذّبها ويذهب بغلظتها ويحوّلها الى شعر نلمح فيه النقمة على الدّهر مسبوكة بقالب من الحكمة والمثل، ولكنّها خالية على ما نعتقد من الرحمة واللين والتواصل . . .

والمراجع لشعر كعب يلحظ ذلك حتى في شعره الغزلي الذي يستوجب رقّةً في العواطف وليناً في الطبائع، وعذوبةً في الكلمات، فإنه لن يجد فيه إلا حديثاً عن المشاكسة والنفور، وحديثاً عن الوعود التي لا تصدق، والأمانيّ التي لا تتحقق، وعتاباً يتجاوز اللوم الى حدّ القطيعة والهجران[5]، كل ذلك يوحي لنا بشخصية كعب التي يمكن أن يكون للطبيعة القاسية والظروف الحياتية الصعبة أثرهما البالغ في توجيهها وطبعها بطابع الغلظة والجفاف والتمرّد. . .

ذاك هو كعب بن زهير الشاعر المخضرم الذي حاولنا فيم تقدّم أن نرسم له خطوطاً متشعّبة ولكنّها تخرج من مصدر واحد، وحاولنا فيها قدر الإمكان أن نتعرّف على جوانب ثلاثة من سيرته التي أفردت لها كتب الأدب والتاريخ حيزاً ليس بالقليل، وهذا الحيّز يدلّ على أهميّة كعب وعلى مدى تأثيره وشهرته في عصره، حيث كان للكلمة التي كان واحداً من رجالها تأثير لا يقلّ عن تأثير السيف والسّنان، في عصر تضخمت فيه الإحساسات بالذات، وشهد بزوغ فجر جديد أهل بنوره ليمسح كلّ ذلك التضخم، ويُذهب كل تلك المتاهات والظلمات.

أمّا ديوان كعب، فقد آثرنا أن نفرد له حديثاً خاصاً، منفرداً عن تلك الجوانب، ولكنّه ليس بعيداً عنها، وهي في رأينا جوانب مساعدة على اكتشاف مناحيه وأساليبه وخصائصه، وسينصبّ حديثنا على ناحيتين اثنتين هما: شعر كعب قبل مجيء الدعوة، وشعره أثناءها وفيها، محاولين قدر الإمكان أن نرسم له خطوطاً مميّزة تظهر الفوارق إن وجدت، وتلم بأكثر مقوّماته وأسس بنائه. .

(١) ذيل الأمالي لأبي عليّ القالي، ص ٢٥ ـ دار الكتب العلمية.

(٢) راجع ديوانه ص ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) راجع ديوان زهير، صنعة ابي العباس ثعلب ص ١٢٧ .

(٤) نهاية الأدب، ج ٣، ص ١٧ .

(٥) راجع ديوانه، ص ١١٢ ـ ١١٣، وص ٩٥ ـ ٩٦، وص ١٤٢ .

ولا بدّ لنا قبل أن نتطرّق الى هاتين الناحيتين من أن نشير الى النمطيّة والاتباعيّة اللتين أوقعتا الشعر الجاهليّ في التكرار واستهلاك الأحداث والصوّر، ونعزو ذلك الى تمسّك العرب بالأعراف والتقاليد والى عنت في عقولهم ونفور في طبائعهم، والى مفاهيم خاصة جعلت حتى المساس بتلك الأعراف والتقاليد خروجاً على الطاعة وشذوذاً عن السّنن، فقد كانت العصبية والقبلية متحكمتين في الناس الى الحد الذي كان حتى الانتقاد يعتبر تمرّداً على التماسك والوحدة اللتين كانتا ضروريتين في مجتمع بدويّ تسوده شريعة القوة وما يتبعها من قتل ونهب وغارات، ولذلك فقد ترسّخ في أذهان الناس مفهوم الولاء لكلّ تلك الأعراف والتقاليد، وتجاوزهما حتى الى الأدب الذي كان الخروج على أنماطه ضعفاً في شاعرية الشاعر، وقصوراً في خياله وتعبيره، كما كان معيار الفحولة مرتبطاً بالمحافظة على تلك الأنماط، والسير على منوالها الذي يرفع ويضع بقدر الإجادة في الالتزام، وليس بقدر الخروج عنه، ولذا قلنا: إنّ الشعر الجاهلي كان متشابهاً في موضوعاته وكان على الشعراء ومنهم كعب بن زهير الالتزام بذلك السّنن الذي جعلهم ينخرطون فيه موالين له، ومدافعين عنه، حتى أضحوا جميعهم، إلاّ ما ندر، من السالكين والمؤسسين والدائرين في فلكه، ومن ثمّ كان الخروج تمرّداً يستوجب الخلع والإفراد، بل السخرية والاستهزاء.

وإذا ما نحن عدنا الى شعر كعب، وتفحّصنا اغراضه الشعرية، وأساليبه البنائية، فإننا سنجد ذلك الالتزام واضحاً كلّ الوضوح في سائر قصائده، ما عدا مقطوعات صغيرة لا تتجاوز في أطولها أصابع اليد الواحدة، وهي في مجملها تمثّل خواطر أفردها لبث شكوى من دهره أو لإرسال حكمة، أراد لها أن تذهب مثلاً بين الناس، فقد حافظ كعب في قصائده الطوال على السنن التقليدي الذي كان يفرض على الشاعر استهلالاً معيّناً يذكر فيه منازل الأحبة ومظاعنهم ويحمّله أشجان نفسه، وحنينه الدائم الى أوقات الوصل واللقاء ومن ثمّ يعمد الى وصف الطبيعة مبتدئاً بوصف الناقة أو الحصان اللذين يعتبرهما خير وسيلة تحمله الى غاياته، وتحقق له رغباته وأمانيه ويعرّج في حديثه على وصف البيئة الصحراوية وحيواناتها وطرقها، ومكابدته الذاتية في مهامها، وينتهي بعد ذلك الى موضوعه الخاص الذي لا يفرد له في أبياته إلا يسيراً من القول، ولمحاً من النظم، يفيدان الغرض ويدلاّن عليه، لكنهما لا يلمّان به إلا إلماماً ــ غالباً ما يكون سطحياً ــ يمكّن القارىء أو السامع من استحضاره أمام العين من دون أن يعيره الشاعر ذاته، أو يُحمّله ما يجب أن يحمل من رؤى وأبعاد ومن تواصل وتوادّ. .

والحقّ أن كعباً قد وفّق في التزام ذوق أسلافه ومعاصريه، فكان رسّاماً لمشاهد اعتاد الشعراء على رسمها، وأحبّ هو أن يمسك بريشته ويدلي بدلوه، ويتفحّص بعينيه ألوانها ومناظرها، ويتقرّى بيديه أطرها وخطوطها ليرسم لنا صوراً طريفة تحمل أحياناً ذوقه الخاص وظلاله المضافة، إلا أنها في أكثرها تقع في رتابة التفاصيل والأحداث والتحايل على أساليب الصياغة الشعرية التي تزيد خطاً هنا، وظلاً هناك، وتبين بما لا يدعو الى الشك، كما استغرق «الجمل والناقة من الشعر وخيال الشاعر، وكم استغرق وصف الأرض سهلها وحزنها»[6] من وقته

(٦) فجر الإسلام، ص ٤٨ .

وتلاعبه بالألفاظ والعبارات، وظلّ ذلك كلّه في اطار الوصف التقريري الذي يرسم ما تقع عليه العين، وينقله نقلاً أميناً في أكثر جزئياته وتفاصيله معتمداً على الملاحظة الحسية التي «أفرغت في قوالب تحدّرت الى الشعراء من الأجيال القيمة» ولم تفسح «مجالاً واسعاً أمام الشعراء لإظهار شخصياتهم إلا في القليل النادر حيث تكون المفارقة صريحة جداً»[1].

ولنستمع الى كعب في نموذج من قصائده لنتحقق من ذلك الذي رأيناه التزاماً في شعره: يقول كعب[2]:

أمن أمّ شدادٍ رسوم المنازل ... توهّمتها من بعد سافٍ ووابل

وبعد ليالٍ قد خلون وأشهر ... على أثر حولٍ قد تجرّم، كامل

أرى أم شدادٍ بها شبه ظبيةٍ ... تطيف بمكحول المدامع خاذل

أغنّ غضيض الطرف رخصٍ ظلومه ... تروذ بمعتّم من الرمل هائل

وترنو بعيني نعجة ام فرقدٍ ... تظل بوادي روضة وخمائل

وتفترّ عن غرّ الثنايا كأنّها ... أقاحٍ تروي من عروق غلاغل

ليالي نحتل المراض وعيشنا ... غرير ولا نرعى الى عذل عاذل

فأصبحت قد أنكرت منها شمائلا ... فما شئت من بخل ومن منع نائل

وما ذاك عن شيء أكون اجترمته ... سوى أن شيئاً في المفارق شاملي

إذا ما خليل لم يصلك فلا تقم ... بتلعته واعمد لآخر واصل

ومستهلكٍ يهدي الضلول كأنه ... حصير صناعٍ بين أيدي الروامل

متى ما تشأ تسمع إذا ما هبطته ... تراطن سرب مغرب الشمس نازل

روايا فراخ بالفلاة توائم ... تحطّم عنها البيض حمرُ الحواصل

وخرقٍ يخاف الركب أن يدلجوا به ... يعضّون من أهواله بالأنامل

مخوفٍ به الجنّان تعوي ذئابه ... قطعت بفتلاء الذّراعين بازل

صموت السرى خرساء فيها تلفّت ... لنبأة حقّ أو لتشبيه باطل

عذافرة تختال بالرّحل حرّة ... تباري قلاصاً كالنّعام الجوافل

كأنّ جريري ينتحي فيه مسحلٌ ... من القُمر بين الأنعمين فعاقل

يغرد في الأرض الفلاة بعانةٍ ... خماص البطون كالصّعاد الذوابل

ونازحةٍ بالقيظ عنها جحاشها ... وقد خلصت أطباؤها كالمكاحل

وهم بوردٍ بالرسيس مصدّه ... رجالٌ قعود في الدّجى بالمعابل

إذا وردت ماءً بليلٍ تعرّضت ... مخافة نابلٍ أو مخافة حابل

لقد بدأ كعب هذه القصيدة بالغزل، وانتهى الى اعتلاء ناقته والسّير بها في طرق الصحراء واصفاً مشاهداته لها بأسلوب نلمح فيه الدّقة والجزالة ولكنّنا أيضاً نلمح فيه التفاصيل نفسها التي اعتدنا أن نسمعها عند أبيه أو عند غيره من الشعراء[3].

إن كعباً في هذه الأبيات صائغٌ ماهر ورث صنعةً تحدّرت اليه من أبيه ومن أنماط لشعراء سابقين، إلا انه حاول أن يبني لنفسه بيتاً خاصاً به، أو يصنع عقداً اختار حباته بنفسه، ولكنّ الحجارة التي استعملها في بناء ذلك البيت لم تكن إلاّ حبّات عقود سابقة أفردها ومن ثمّ عاد ليشكل منها عقداً آخر يحمل تقاسيم يديه وترتيب خياله المتفرّد، واستطاع الى حدٍ ما أن يبني بيتاً متيناً، ويصوغ عقداً جميلاً، إلا انه لم يستطع أن يخرج في ذلك البناء والترتيب على تقاليد عصره وأذواقهم السائدة، بحيث ظلّ البناء أو العقد عملاً له نظائره، وصنعة لها ما يحاكيها، فهو لم ينطلق الى غايته من بواعث نفسية خاصة، أو مشاعر ذاتية ضاغطة فرضت عليه أن يعبّر عن حاجات اعتملت في النفس، ووجدت في الشعر متنفّساً للإفصاح عنها بأسلوب خاص يحمل كلّ توهّجات الذّات، وهموم الحياة، وآثر كعب أن يسير في أبياته على طريق من تقدّمه، ففقد شعره رونق الجدّة، وعذوبة التفرّد، وحلاوة الإبتكار، وظلّت تنقصه التجربة التي تهز المشاعر، وتبعث الكلم دفاعاً مستلاً من الأعماق، حاملاً معه كلّ عناصر الشعر الأصيل.

وإذا نحن حاولنا أن نتجاوز هذا الموضوع الى غيره من الموضوعات الأخرى في شعر كعب، فإننا سنلمح في ديوانه شعراً متشابهاً في كثير من قصائده، وهذه حقيقة نلمسها في نزوعه الدائم الى وصف الناقة والصحراء وما فيها من طرق وحيوانات ومشاهد تتكرّر هنا وهناك، يقلّبها كعبٌ في صياغات متعددة حصرت خياله أو استولت عليه بيئة لم يستطع التفلت منها فظلّ يرسف في تقريريّة فلمّا تركت الخيال يبتكر ويتفتّق عن معانٍ جديدة وصورٍ ذهنية مبتكرة، حتى في مدحه للنبي عليه الصلاة والسلام؛ فإن روح التقليد يبدو واضحاً وجلياً، وكأنّ الشاعر يمدح سيّداً من سادات قومه وكبيراً من أكابرهم، لا نبياً جاء بأكبر انقلاب ديني عرفته البشرية، وأحدث تغيرات أصيلة في جوهر

(١) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٠.
(٢) ديوان كعب، ص ٦٥ ـ ٧٤.

(٣) راجع ديوان زهير: المعلّقة ص ٧٤ ـ وقصيدته ثمال اليتامى، ص ١٩ ـ دار صادر.

الحياة الانسانية ومعتقداتها بوجهٍ عام، وظل تأثره عرضياً بالدعوة الاسلامية وتعاليمها، قصاراه أنّ محمداً نبي من أنبياء الله، وسيف من سيوفه المسلولة، العفو عنده مأمول، والوعد لديه منجز، والتوبة في حضرته مقبولة، فهو كالأسد قوّةً وهيبةً أصحابه له سامعون، ولأمره منفذون، فلولا قوله:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

أو قوله:

إنّ الرّسول لنورٌ يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وأبيات أخرى، تصف همّه وقلقه وخوفه واستسلامه لحكم الله، لما أمكننا أن نميز معانيه المدحية ونعوته الوصفية، عن شاعر كالنابغة وهو يعتذر الى النعمان ويطلب عفوه وصفحه.

وهكذا نجد كعب في كلّ شعر نظمه قبل الإسلام يسير على السّنن المرسوم دون أي اخلال بنهجه وصُواه، ولكننا لا نريد أن نظلم الرجل أو نبخسه حقّه لأنه لم يستطع أن يحقق لنا تلك الفرادة المستحبة في الشعر، فهو والحقّ يقال: كان في شعره على قدرٍ كبيرٍ من الإجادة والإحاطة التامة بتفاصيل الموصوف الظاهرة التي لم يحاول تبطّنها، واكتفى منها بالرسم الخارجيّ لها مختاراً كل العبارات التي تواثم المعنى، وتساعد على ابراز الموصوف واحضاره أمام مرآة العين في أثواب قشيبة وخطوطٍ جذّابة تصوّر بدقةٍ كلّ مكوّناته المادية المحسوسة، حتى يبدو لك الشاعر في عمله نحاتاً أصيلاً يصنع للموصوف تمثالاً يظهره بكلّ دقائقه كما هو دون أن يمزج فيه مشاعره ويسكب في تلافيفه نغم الحياة وصوتها الشجيّ المتحرّك، ويشير الدكتور بستاني الى تلك الظاهرة فيقول: «إنّما شعره في أكثرها تصوير دقيق يسمو الى درجة عاليةٍ من الصناعة، بل من الفن أحياناً، ولا عجب، فهو ابن زهير وتلميذه، وأحد أفراد ذاك المذهب التصويري المادي الذي بدأ بأوس بن حجر زوج أم زهير، وبلغ أوجه مع زهير والنابغة، وكان من ممثليه شاعرنا كعب والحطيئة كما قدّمنا، وليس من حاجة بهذا المذهب الى كثير من الشعور الرقيق السيّال، وان كان الشعور يمدّه رونقاً وتشخيصاً وحياةً تزيد في قيمته، إنّما حاجته خاصة الى الصبر في تتبع الموصوفات واختيار مواد التشبيهات، والى التعقل في التنسيق والتأليف وتنخّل التعابير، وتثقيف القوافي والى قوة الخيال أيضاً»[١].

وسواء بعد الذي سمعناه، أكان كعب في عداد شعراء المدرسية الأوسيّة، أم كان في غيرها، أو هو تأثّر بأبيه أو بالنابغة أو بغيرهما من الشعراء، فهو في نظرنا شاعرٌ اكتملت مقوّمات الشاعرية عنده رغم انه لم يستطع أن يخرج عن أطار بيئته التي ظلّت تشدّه اليها بحبال قويّة وثابتة، فنظم على منوال ما نظم معاصروه، فكان علماً بارزاً منهم، تأثّر بما تأثروا، وانتهج ما انتهجوا، بل ونراه في بعض الموضوعات كوصف الصحراء وطرقها وحيواناتها قد تفوق على أكثرهم، وكان أكثر دقة وتفصيلاً، وأكثر اختياراً واستيفاء، وحسب كعب في هذا المجال أنه صفى شعره من الشوائب، وتنخّل له أنسب الكلمات، وألمّ بموضوعه كلّ الإلمام الذي يصور المشاهد بريشة فنان متقن، وينقلها نقلاً دقيقاً لا غبار عليه ولا شبهات، فكان تلميذاً بارعاً لأبيه، وشاعراً معتزاً بالسّير على منواله، يقول كعب[٢]:

فإن تسأل الأقوام عنّي فإنني
أنا ابن أبي سُلمى على رغم من رغم
أقول شبيهات بما قال عالماً
بهنّ ومن يشبه أباهُ فما ظلم
وأشبهته من بين من وطىء الحصى
ولم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عم

أمّا شعره الذي نظمه بعيد اسلامه، فإنه وان كان لا يختلف في نهجه فيه عن المسار العام الذي لم يتجاوزه إلا في القليل النادر، مثله في ذلك مثل كل الشعراء المخضرمين الذي لم تستطع التغيرات الجديدة أن تدفعهم عن مسارهم وتخرجهم عن سننهم، ذلك لأن الأحداث الأدبية والتغيرات السياسية التي يشهدها المجتمع «لا تلتقي دائماً وأنّ أزمان حدوثها لا تتلاقى كما يقول الدكتور هدارة[٣] إلاّ اننا بامكاننا أن نلمح في شعره تحوّلاً ليس جذرياً، ولا هو يشكل انقلاباً كلّياً على الذي سميّناه التزاماً من قبل منه، هذا التحوّل يمكن أن ندركه في المعاني الجديدة التي اهتدى اليها بعيد اسلامه، فقد وسّع الإسلام مدارك عقله وآفاق خياله، وطرائق أساليبه، وأمدّه بأشياء كثيرة كان يفتقدها بل ويجهلها، ولم يكن بوسعه معرفتها لولا ذلك الاطّلاع على القرآن الكريم وعلى تعاليم الاسلام ومكوناته السامية، ولذلك صار كعب في شعره بُعيد الإسلام أعمق فكراً وأشمل نظراً وأبعد رؤىً وتطلّعات، فللثقافة أثر كبير على الشعراء، لأن الشاعر الأوسع ثقافة والأشمل معرفة هو الأجود عطاء والأبعد خيالاً والأسمى صوراً وتعابير، وباستطاعتنا أن نلمح بداية ذلك التحوّل عند كعب في قصيدته التي يمدح بها الأنصار، فهي تبدو وكأنها تخرج في مسارها على السّنن التقليدي، إذ يستهلّها استهلالاً مغايراً لاستهلال قصيدته في مدح النبي (ص) والتي قلنا انها كانت جاهليّة بمسارها ونهجها، وان الرجل قد جاء الى الرسول عليه الصلاة والسلام حاملاً معه ارث الجاهلية ونهجها المتبع، ولكنه في مدحه الأنصار نراه يخلع ذلك النهج وكأنه رأى فيه تكراراً مملاً أو ارثاً قديماً لا يتناسب مع طبيعة العقيدة الجديدة التي آمن بها طائعاً مختاراً، بل وتائباً من قديمه الذي ألحق به الضرر وكاد ـ لولا رحمة الله ـ أن يودي به، لذلك نراه فيها يخرج من طبيعته الأولى، ويخاطب الأنصار في شعر جميل يحمل لأول مرة معارفه الجديدة ومكتسباته الايمانية الحديثة العهد، ويكاد يتحلّل فيه الى حد ما من قيوده الماضية، ويخلع عنه رداء التقليد المملّ، لولا ذلك التخلّص اللبق في نهايتها الى موضوع هو من قديمه، ظلّ يشدّه الحنين اليه فحمله بعد اجهاد على وصف الناقة دون اكثار، يقول كعب:

من سرّه كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالحي الأنصار

(١) الروائع، ص ٩٩ - ايلول ١٩٣٣.

(٢) ديوانه ص ٤٩ - ٥٢.

(٣) اتجاهات الشعر العربي، ص ١٨.

الباذلين نفوسهم لنبيّهم
يوم الهياج وسطوة الجبّار
والذائدين الناس عن أديانهم
بالمشرفي وبالقنا الخطّار
يتطهّرون كأنّه نسك لهم
بدماء من علقوا من الكفّار
واليهم استقبلت كل وديقة
شهباء يسفح حرّها كالنّار
وكسوت كاهل حرة منهوكة
بالفجر حاريّاً عديم شوار

وكذلك، فإننا نلمح أثر الإسلام وتعاليمه واضحين في قصيدته التي يدعو فيها قومه الى دخوله فيما دخل، واعتناقهم الهُدى (الذي اعتنقه) وهي قصيدة تظهر تحولاً من نوع آخر، تحولاً يدعو الى نبذ العصبيّة وطرح الخلافات الذاتية والعرقيّة، والمسارعة الى البر والتقوى وعمل الخير، كما يدعو أيضاً وهو الأهمّ في نظرنا إلى التكاتف والوحدة، لأنّ هناك مسؤولية جديدة تقع على عاتق المسلمين، وهي مسؤولية بناء الحياة الإسلامية الجديدة التي أحسّ كعب بعد ايمانه، بأنها ستكون مسؤولية العرب الوحيدة، والتي يجب أن تتضافر على حملها كلّ الجهود البناءة والسواعد المؤمنة حتى ينعم الناس بنور الايمان، وهداية الرحمن، يقول كعب[١]:

رحلت الى قومي لأدعو جلهم
إلى أمر حزم أحكمته الجوامعُ
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا
بخيف منىً والله راءٍ وسامع
سأدعوهم جهدي الى البر والتقي
وأمر العلا ما شايعتني الأصابع
فكونوا جميعاً ما استطعتم فإنّه
سيلبسكم ثوبٌ من الله واسع
وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهم
وكونوا يداً تبني العلا وتدافع

ويستمر كعب في هذا التحول، فإذا الحرب التي كانت في الجاهلية عبثيّة في أكثرها، ولا تستهدف الا الغزو والسلب والغنائم، يتغير مفهومها لديه بفعل الإسلام، وتتحول الى حرب جهادية غايتها رضى الله، وغنائمها أجره وثوابه، أما أولئك المخالفين لرسول الله (ص)، فلن يحصدوا في النهاية إلا الحسرة والندم، فالله وعد رسوله بالنصر واظهار دينه على الناس ولو كره المشركون، كما وعد الكافرين بالخزي وعذاب السّعير، يقول كعب[٢]:

صبحناهُمْ بألف من سليم
وألف من بني عثمان وألف
رميناهم بشبانٍ وشيب
تكفكف كلّ ممتنع العطاف
ورحنا غانمين بما أردنا
وراحوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا
مواثيقاً على حسن التصافي
فجزنا بطن مكة وامتنعنا
بتقوى الله والبيض الخفاف
أردوا اللاّت والعزى إلهاً
كفى بالله دون اللاّت كاف

أمّا شعره الحكمي الذي قلنا: انه مقطوعات صغيرة، فيبدو لمن أثر الإسلام في معانيه أشد وضوحاً وأكثر إبانة، بل نرى فيه كعباً يستفيد من تعاليم دينه، ويستمدّ منه ما يخفّف به عن نفسه غير الدّهر وصروفه الموجعة التي آلمت قلبه ولوحته بنيران الفاقة والهمّ، فإذا شعره يتحوّل الى كلمات زادها الإسلام شمولية ورسوخاً، وإلى نفثاتٍ خالدة ينفثها كلّ من يكابد من دهره ما كابده كعب، ويتوجع من أوصافه مثل ما توجّعه، فهي مستلّة من الذات، ومشبعة بروح الإيمان الداعي الى الصبر على البلاء، تناسب في نغم يحاكي وقع المطر، وخفقان النبع الذي لا يصمت عن الدفقان، يقول كعب[٣]:

لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها
والنفسُ واحدة والهمّ منتشر
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

فالتعاليم الاسلامية في هذا الشعر واضحة كلّ الوضوح، وهي تشعرنا كيف يسلّم كعبٌ بقضاء الله وقدره، كما تشعرنا مدى تغلغل الإسلام في نفسه حيث استطاع كما نرى أن يقضي على ما فيها من نزعاتٍ جاهلية، ويحوّل نقمتها على الحياة الى أمل بعطاء الله وفرج قريب من رحمته الواسعة، وهكذا كان كعبٌ في كل اشعاره الإسلامية يوكل أمره الى الله الذي هو وحده يتكفّل بأمر العباد، ويمنّ عليهم بالرزق والنعمة والأفضال، يقول كعب[٤]:

أعلمُ أني متى ما يأتني قدري
فليس يحبسه شح ولا شفق
بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط
إذا الفتى للمنايا مسلمٌ غلق
والمرء والمال ينمي ثم يذهبه
مرّ الدهور ويفنيه فينسحق
فلا تخافي علينا الفقر وانتظري
فضل الذي بالغنى من عنده نثق
أن يفن ما عندنا فالله يرزقنا
ومن سوانا، ولسنا نحن نرتزق

ويمضي كعب في اشعاره محمّلاً لها ما شاء من تعاليم الإسلام التي

(١) ديوان كعب، ص ٨٢ ـ ٨٣.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.
(٣) ديوانه، ص ١٦٧.
(٤) ديوانه، ص ١٦٦.

تدعو الى التوكل على الله في كل أمر، والسعي الدائم الذي لا يقعد المرء عنه خوفٌ من أذى أو مكروه، لأن كل شيء بأمر الله وقضائه، يقول كعب:

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره
يمين امرىءٍ بر ولا أتحلّلُ
لاستشعرن أعلى دريسي. مسلماً
لوجه الذي يحيي الأنام ويقتلُ
هو الحافظ الوسنان بالليل ميّتاً
على أنه حي من النوم مثقلُ
من الأسود الساري وان كان ثائراً
على حد نابيه السمام المثمّلُ

وهكذا نجد كعباً في شعره الحكمي يتمثل المعاني الإسلامية التي نراها تحدث تغييراً هاماً في نفسيته، كما تحدث تغييراً واضحاً في شعره الذي يميل هنا الى السلاسة واللين، بعد أن رأيناه في قصائد جاهلية شعراً شديداً جافاً تضغطه الصحراء وتقطعه تعابير البداوة.

وهذا التغيير ليس تغييرا في أسلوب كعب الذي ظلّ ملتزماً فيه بالقيم الفنية التي ورثها عن أبيه، تلك القيم التي حولت الشعر الى صنعة تتطلّب الكثير من الخبرة والرويّة والدراية، ولكنها في رأينا صنعة ليست متكلّفة ولا هي بعيدة من الذوق والعفوية والصدق، لأنها كانت تهدف الى تصفية الشعر وتنقيحه وتهذيبه من الشوائب والسقطات[٢]، بقدرما هو تهذيب له وتطوير استطاع فيه استلهام معانٍ جديدة كتب لها الإسلام الخلود والبقاء، فظلّت حيّة بين الناس، وصارت مألوفة يأنسها الذوق في كل عصر، بعكس تلك المعاني التي بقيت أسيرة الصحراء، فغمرتها رمال الزمن، وحرمتها نعمة التطور، وألبستها ثوباً من الغرابة والشدة والفناء..

لقد حفل ديوان كعب بقصائد متنوعة ألمّت بكلّ الأغراض الشعرية في عصره وهي قصائد استطاع كعبٌ فيها أن يكون رساماً أو مصوراً ينقل اليك عبر لغة جزلة متينة، بعيدة من الضعف والركاكة، مشاهد من بيئته الضاغطة التي فرضت عليه منحىً من القول، ومساراً من النظم لا سبيل الى غيره، وحسب كعب في هذا المجال أن يكون شاعراً قد سلك لاحباً في صحرائه، واستطاع أن يصل الى القمة التي وصل اليها سالكوه، بل ويزيده فخراً على من تقدمه انه لم يكن أسير ذلك اللاحب ونهجه المتعرّج وغير المستقيم، بل كان شاعراً انساناً عرف أين يضع قدمه ويثبّت، ولذلك لم يتوانَ قيد لحظة على سلوك لاحب الخير والهداية والايمان، بعد تيقّنه من صوابه وسلامة مسراه.

كلب حسين بن آقا حسن:

ولد سنة ١٣١١ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣٨٣ هو من أسرة علمية عريقة سواء في (نصر آباد) أو (جائس) ووالده كان معدوداً في أساطين علماء لكهنو، وجده لأمه كان من كبار فقهائها. وفي هذا الجو العلمي نشأ المترجم، فبعد أن درس الأوليات دخل مدرسة (سلطان المدارس) وبعد تخرّجه منها ذهب لإكمال الدراسة الى النجف، وبعد ثلاث سنوات رجع الى وطنه منصرفاً إلى مساعدة والده في مهمات أموره.

وفي سنة ١٣٤٨ توفي والده فانتقل زمام الأمر اليه، وتولى امامة مسجد آصف الدولة ونظم أمور الأوقاف. وبعد السيد نجم الحسن السيد ناصر حسين كان هو مرجع الشيعة في الهند. وقد قام بتأسيس عدة مجلات، وهي: الناطق، والبلاغ والسحاب، وانشأ ادارة بيت المال لمعاونة الفقراء والمالكين. كما عمل لأن تدعم الحكومة المدرسة الناظمية والميتم والمجلس الشيعي وجريدة (سرفراز) ومدرسة سلطان المدارس.

عرف من مؤلفاته كتاب (مجالس الشيعة).

كمال الدين موهاني بن السيد نظام الدين حسين الرضوي:

ولد سنة ١٢٢٥ في بلدة موهان (الهند) وتوفي سنة ١٢٩٥ في لكهنو درس في لكهنو. وفي سنة ١٢٤٠ ذهب الى كلكته ليتسلم فيها شؤون الوقف، وهو الوقف الكائن في حي التالي، والذي كان جده لأمه المولوي سراج الدين قد وقفه على قاضي كلكته.

ومن هناك استدعاه واجد علي شاه الى لكهنو، وقد كتب شرح بعض كتبه بتكليف من واجد علي شاه، كما كانت له هناك حلقة تدريس كبيرة، وكذلك كان يطبب على طريقة الطب القديم، ويقال انه كان يحفظ قانون ابن سينا عن ظهر قلب. وكانت له مذكرات علمية مستمرة مع المفتي محمد عباس ومناقشات كانت تصل في كثير من الأحيان الى الحدة الحادة.

من مؤلفاته: حاشية علي المجسطي، حاشية شمس بازغة، حاشية اشارات.

الميرزا لطف علي بن محمد كاظم بن لطف علي بن كاظم خان الشيرواني التبريزي، صدر الأفاضل، دانش:

مترجم في كثير من المصادر ومنها «مكارم الآثار» ص ١٩١١، ونقول:

ولد سنة ١٢٦٨ وتوفي سنة ١٣٥٠.

كان من هواة الكتب جامعاً لها كثير المطالعة فيها، كان يقرؤها بامعان ثم يصفها في أول النسخة التي يمتلكها أو آخرها وصفاً دقيقاً تدل على احاطة وذوق مرهف، ورأيت في مكتبات ايران عدداً وافراً من هذا النمط من المخطوطات وقد عرّفها وعلق عليها بخطه الجميل مما زاد في قيمتها العلمية.

يبدو من بعض كتاباته انه كان من المخالفين لدعاة المشروطة وهو ضد هذه الحركة السياسية وهو بالإضافة إلى مقاماته العلمية الرفيعة منشىء حسن الانشاء جيد التعبير.

في العربية والفارسية، وله شعر كثير في اللغتين يجيد في الفارسية، وشعره مبعثر فيما يكتبه على النسخ[١].

(٢) راجع كتابنا: المعلقات العشر، ص ١٤٤.

(١) السيد أحمد الحسيني.

لطف الله بن محمد رفيع الفارسي الشيرازي:

ولد في شيراز في عصر السلطان محمد شاه القاجار المتوفى سنة ١٢١١، وتعلم الأدب الفارسي على أبيه، وهاجر بصحبته الى اصبهان أيام حكومة معتمد الدولة منوچهر خان حيث أصبح والده من المقربين لديه، واستمر صاحب الترجمة بها في آخذ الآداب والعلوم.

له «حياة النفوس» في أصول الدين[1].

مولانا لطف الله النيسابوري:

من شعراء القرن الثامن وأوائل القرن التاسع للهجرة، وقد عاصر بعمره الطويل نهاية عهد المغول الايلخانيين وعهد التيموريين وآل كرت والسربداريين في خراسان، وخلال سيطرة تيمور على مقاليد الحكم في خراسان قام هو بمدحه ومدح ابنيه اميران شاه وشاهرخ، وبقي حياً شطراً من عهد شاهرخ. من هنا ينبغي أن يُعد من شعراء القرن الثامن الهجري وعهد ما قبل التيموريين، ويبدو هذا الأمر واضحاً في نمط شعره.

ورد اسمه في (مجمل الخوافي) الذي يؤرّخ الحوادث الى ما قبل عام ٨٤٥ هـ في حوادث عام ٨٠٨ هـ، وكانت الاشارة اليه مختصرة. ثم تلاه مؤرخو نهاية القرن الثامن وأوائل القرن العاشر فتحدثوا عنه باختصار حتى انهم ذكروا أن ترجمة حياته لا تفضي الى معلومات وافية ونافعة، وذلك لندرة المعلومات حوله. فمثلاً كان دولتشاه يحسب أن ظهور هذا الشاعر كان في عصر تيمور، والحال انه مدح العديد من الملوك والصدور في خراسان قبل أن يمدح تيمور. وبالرغم من أن ولادة هذا الشاعر ونموه وظهوره كانت متقدمة على غلبة تيمور على خراسان إلا أن مؤلفي أواخر العهد التيموري كانوا يعتبرونه من رجال ذلك العهد ويكتفون بذلك فلا يتحدثون عن حياته التي سبقت ذلك العهد، ولا يتعرضون لذكر أصله ونسبه ولا بداية حياته.

على أية حال ورد ذكر هذا الشاعر في جميع المصادر باسم لطف الله وكان يلقب بمولانا نظراً لمقامه المعنوي. ولم يتحدث أي مؤلف عن تخلصه في اشعاره، ويمكن معرفة ذلك فقط من اشعاره، حيث كان يتخلص باسمه (لطف) ولعله كان يقتدي بهذا الأمر ببعض الشعراء المتقدمين عليه أو المعاصرين له.

ولد في نيسابور، وأشار في شعره الى هذه المدينة اشارات مقتضبة. ونظم رباعية في وصف الهزة الأرضية الشديدة التي وقعت في نيسابور، عام ٨٠٨ هـ. ولم يذكر أحد التاريخ الدقيق لولادة لطف الله، إلا انه كان شاعراً يافعاً في أواخر أيام وزارة الخواجة علاء الدين محمد الفريومدي (وزير خراسان المتوفى عام ٧٤٢ هـ)، ومن ثم تكون ولادته في أواسط النصف الأول من القرن الثامن للهجرة.

ويُفهم من خلال شعر لطف الله انه كان في أوائل حياته يحاول كسب الفضائل وتعلم الفنون في نيسابور، وبعد أن حصل على قدرة نظم الشعر التحق بخدمة الخواجة علاء الدين محمد الفريومدي وهو يذكر أن هذا الخواجة الفاضل شمله بعنايته وعينه كاتباً لديه، فنظم عدة قصائد في مدحه، إلا أن الوزير قتل في يوم الأربعاء الموافق للسابع

(١) السيد أحمد الحسيني.

والعشرين من عام ٧٤٢ هـ بينما كان يحاول الهرب الى استرآباد خوفاً من السربداريين.

ويظهر من بعض شعره انه كان ينتمي الى عائلة مرفهة، حيث لم يكن يشغله شيء عن طلب العلم والمتعة ما دام أبوه على قيد الحياة، وبعد فراغه من طلب العلم والأدب، بدأ ينظم قصائد المدح والغزل، ثم سلك الطريق الى مجلس صاحب الديوان علاء الدين محمد الفريومدي فاستفاد من احسانه وتشجيعه وبقي معه سنتين أو ثلاث، ثم دارت الدوائر على علاء الدين محمد وأغلقت أبوابه، فانعكس ذلك على شاعرنا وبقي مضطرب الحال إلى آخر حياته كما يفهم ذلك من اشارات دولتشاه وسائر أصحاب التراجم الذين كانوا على صلة به أو معرفة به في أواخر حياته.

من الطبيعي أن دخول لطف الله إلى جهاز صدارة علاء الدين محمد الفريومدي كان قبل عام ٧٤٢ هـ، وكما يفهم من بعض قصائده انه كان آنذاك في عنفوان شبابه. ثم بقي في نيسابور وسبزوار وبيهق مع الأمراء السربداريين ومدح بعضهم. ولعل أقدم أمراء السربداريين الذين مدحهم الشاعر كان تاج الدين علي چشمي المعروف بـ «علي شمس الدين» وكان هذا الأمير من ممدوحي ابن يمين أيضاً (م عام ٧٦٩ هـ)، ولكنه قتل في سبزوار عام ٧٥٥ هـ على يد سربداري آخر اسمه حيدر القصاب بعد سنوات من السلطة.

ومن السربداريين الآخرين الذين مدحهم لطف الله السلطان نظام الدين يحيى الكرائي الذي قتل عام ٧٥٩ هـ على يد أخ زوجته. وكان هذا السلطان قد مدح عدة مرات من قبل الشاعر ابن يمين. ومدح لطف الله آخر شاه سربداري وهو الأمير الخواجة نجم الدين علي المؤيد (٧٦٦ ــ ٧٨٨ هـ)[2].

وحين آلت الأمور الى الأمير تيمور گورگان (تيمورلنك) (م ٨٠٧ هـ) نظم لطف الله عدة قصائد في مدحه، وقال في القصيدة الأولى انه كان قبل أن يتشرف بخدمة الأمير تيمور فقيراً معدماً، ولكنه أصبح بعد ذلك مرفهاً بمنه ونعمته. وكان جلال الدين اميران شاه بن تيمور (م ٨١٠ هـ) من جملة ممدوحي لطف الله، وقد ذكر دولتشاه هذا الأمر بقوله: «نظم قصائد غراء في مدح الأمير المحترم اميران شاه بن تيمور گورگان... فشمله الأمير بلطفه وعنايته ومنَّ عليه بصلاته...» وكان لطف الله يقول في بعض قصائده إذا كان شعره يحظى برضى الأمير، فان ذلك سيزيد من قدره ويرفع من شأنه.

ومن الأشخاص الذي مدحهم لطف الله الابن الآخر لتيمور هو الأمير شاهرخ (٨٠٧ ــ ٨٥٠ هـ)، حيث عاصر الشاعر السنوات التسع الأول من عهده ومدحه بشعره. وقد ذكر الشاعر في مدحه لشاهرخ الشكوى من فقره وكساد بضاعته، ومن ثم يكون ما ذكره أصحاب التراجم بحقه من ضيق ذات اليد وملازمة العوز له لا يخلو من الصحة.

حتى الآن فان كل ما ذكرناه حول لطف الله انما استقيناه من خلال

(٢) راجع ترجمة علي بن المؤيد والحديث عن السربداريين في المجلد الثاني من (المستدركات).

شعره. فلنحاول الآن الاستعانة بما ورد في التراجم عن حياته، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بأواخر أيام حياته والمعلومات التي تتحدث عن حياة هذا الشاعر في العهد التيموري، فقد ورد في تذكرة الشعراء لدولتشاه ما يلي: «... كان مولانا قليل الالتفات الى الدنيا، ولذلك كان يقال عنه انه ضعيف الطالع... وكان ظهور مولانا في عهد حكومة الخاقان الكبير... الأمير تيمور گورگان أنار الله برهانه، فنظم قصائد غراء في مدح الأمير المحترم اميران شاه بن تيمور گورگان... فشمله اميران شاه بلطفه وعنايته ومنّ عليه بصلاته، وكان مولانا ينفق المال بفترة قصيرة ثم يخيم عليه الفقر، وفي أواخر عمره وغاية شيخوخته انتقل مولانا من مدينة نيسابور الى قرية اسفريس[1] المشهورة بموقع أثر قدم الامام الرضا عليه التحية والثناء، وكان له هناك بستان فاشتغل فيه ولم يكن يخالط الناس إلا قليلاً. وذات يوم تجمع عدد من الأصدقاء وذهبوا الى زيارة مولانا، فرأوا باب حجرته مغلقاً، فطرقوا الباب وألحوا فلم يجب، فظنوا انه لم يجبهم عن قصد، فصعد أحدهم الى سطح الدار فرأى مولانا في حالة سجود، فنزل وفتح الباب للأصدقاء فدخلوا، ولكن مولانا لم يرفع رأسه، فنهض أحدهم ورفعه عن الأرض فرأى انه قد فارق الحياة، فبكوا عليه بكاءً مراً، ثم أجروا عليه مراسيم الاسلام ودفنوه في موقع قدم الامام المعصوم (ع). وكان ذلك في عام ستة عشر وثمانمائة (٦١٨ هـ) حيث كان مولانا قد بلغ الغاية من الشيخوخة».

وقد أشار تقي الدين الى مقامات لطف الله في السلوك وخلص الى القول: «الأجرم أن الكثير من الناس يعدونه من جملة الأولياء ويعتبره عدد كبير من الخواص والأكابر من خيرة العرفاء. وأوردوا ضمن حديثهم عنه انه لم يلتفت الى الدنيا طوال حياته وكان منشغلاً أغلب الأوقات بالطاعات والعبادات، وإذا كان يشتغل في النظم أحياناً، فلا يشغل باله إلا الحديث عن مناقب خير المرسلين وامام المتقين».

والحقيقة أن جميع اشارات دولتشاه وتقي الدين الى مقامات لطف الله الروحانية العالية وتركه الدنيا واعراضه عن الشعر إلا في الحديث عن مناقب الرسول والأئمة لا نرى لها صحة من خلال استقراء حياة الشاعر وقصائده، اللهم إلا في السنوات الأخيرة من عمره. وأما حديث أصحاب التراجم عن ضعف طالعه وسوء حظه فلربما كان اعتماداً على شكاوى الشاعر من حظه وطالعه، وليس غريباً أن تحاك الأساطير حول شاعر معين اعتماداً على بعض شعره، كما نرى ذلك في القرون الأخيرة.

والأمر الذي يضيفه تقي الدين الى حديث المتقدمين هو قصة العشق التي يرتبط بها مولانا، وهي من قبيل قصص الحب التي تحاك حول الشعراء والعجيب أن تقي الدين يربط هذه القصة بقصة (ضعف الطالع) ويخلطها مع بعضها... ثم يقول بعدها: وصل مولانا لطف الله بعد ذلك الى حالة الانجذاب، فاعرض عن الدنيا اعراضاً تاماً، فكان أحياناً يعيش حافي القدمين حاسر الرأس والأطفال يتعقبونه ويشتمونه...».

ولست أدري إذا كان المرء قد عاش حالة الانجذاب وأعرض عن الدنيا وما فيها كيف يمضي عمره الى ما قبل وفاته بفترة قصيرة في مدح السلاطين وعرض فنه عليهم في سبيل نيل زخارف الدنيا؟ وإذا كان الشخص يمشي في الأزقة حافي القدمين حاسر الرأس ويتحول الى ألعوبة بيد الصبيان فكيف يطلب العزة في البلاطات ويبتغي شرف ملازمة الملوك؟! من هنا نرى أن قول أمين أحمد الرازي أقرب الى الواقع حينما قال: «انقطع (الشاعر لطف الله) في آخر عمره عن الناس، وأقام في اسفريز حتى وفاته».

ذكر دولتشاه وتقي الدين ان وفاته كانت عام ٨١٦ هـ وهو موافق للعام التاسع من حكومة شاهرخ الذي مدحه لطف الله في عهد سلطنته، وحين نعلم أن الشاعر قد اعتزل الناس في أواخر حياته وترك مدح السلاطين فان هذا العام يكون صحيحاً كعام وفاته لكي تكون لديه الفرصة للاعتزال، ولكي يمكن الاعتقاد بصحة اعتزاله.

ويبدو أن ما ورد في مجالس المؤمنين والخزانة العامرة من أن وفاته كانت في عام ٨١٠ هـ هو أمر مستبعد. وأما ما ذكره هدايت من انه توفي عام ٧٨٦ هـ فهو من الخطأ والابتعاد عن الصواب بدرجة لا نرى معها ضرورة لمناقشته وتفنيده.

وأما بخصوص شعره فقد نقل تقي الدين الكاشي في خلاصة الأشعار ما يقرب الثمانمائة بيت للطف الله النيسابوري. وذكر الأستاذ سعيد النفيسي ان ديوانه كان يشتمل على ما يقارب الأربعة آلاف بيت. وإلى الآن لم أر هذا الديوان، إلا أن الشعر الذي نقله تقي الدين يمكن أن يعرفنا بالكثير من الأمور حول حياة وطريقة شعر الشاعر (لطف الله) ويجعل الحكم على شعره أمراً ممكناً.

ركز الشاعر لطف الله على القصائد، فكان مقتدراً في هذا المجال حتى انه يعد خليفة لشعراء القصائد الخراسانيين مع بعض الاختلافات التي تكون نتيجة طبيعية لمرور الأيام والتحول التدريجي في اللغة. ولو قارنا قصائده مع قصائد ابن يمين لرأينا أن الاثنين يقتربان كثيراً من بعضهما، فلطف الله يسير على خطى أستاذه الكبير في سهولة القصائد وسلاسة التعبير، مخالفاً بذلك ناظمي القصائد في القرنين السابع والثامن من اتباع الخاقاني وسلمان الذين يعتمدون التكلف والتصنّع، فلطف الله لم يجهد نفسه في تكلف شعر مصطنع، غريب الوزن، مغلق المعاني، انما سلك طريق فصحاء خراسان في سلاسة التعبير وقوة المعنى.

وحينئذ نستغرب قول دولتشاه ومن نحا منحاه من أصحاب التراجم حين زعموا أن الشاعر لطف الله كان أستاذاً في الشعر الصناعي المتكلف، ولكن ربما اعتمدوا في قولهم هذا على رباعية ضمنها الشاعر صناعات الشعر.

والى جانب القصائد التي نظمها مولانا لطف الله في مدح السلاطين. نظم أيضاً قصائد عديدة في الثناء على الله تعالى وذكر مناقب الرسول (ص) وعلي بن أبي طالب (ع) والأئمة الأطهار ولا سيما علي بن موسى الرضا (ع)، وقصائد في النصح والموعظة، ومن خلال القصائد التي نظمها في ذكر مناقب الأئمة يمكن معرفة تشيعه، بل انه وصف تيمور بانه ملجأ (آل أبي الحسن) أي آل علي. بل أن القاضي نور الله أورد اسمه وترجمته ضمن شعراء الشيعة ويمكن معرفة مكانة

(١) وردت اسفراين في طبعة طهران.

الشاعر وعزة نفسه وعدم تمسكه بحطام الدنيا من خلال شعره ومواعظه ونصائحه الواردة في طيات شعره، والظاهر صحة ما نقل عنه بشأن انفاق وتبديد ما كان يحصل عليه من صلات السلاطين، فقد كان يعيش أحياناً ظروفاً صعبة، وكثيراً ما اشتكى من فنه، وهو محق في هذا الأمر إذ لم يكن في عصره من يقدر شعره ويعرف مكانته[1].

الشيخ لطف الله النيسابوري:

مذكور في «رياض العلماء» ٤ / ٤٢١ ونقول:

توفي بعد سنة ٨٨٠.

كان أديباً منشئاً شاعراً بالاضافة الى تبحره في العلوم العقلية والنقلية، وقد ذكر صاحب الرياض نماذج من شعره الفارسي، ومن شعره العربي قوله:

بالخمسة الأشباح أهل العبا
أفوز في البعث وأهواله
هل بعد ذكر الله والمصطفى
إلا الكرام الغر من آله
في هل أتى فضلهم ظاهر
بحكم الذكر واجلاله

وقوله في مدح علي (عليه السلام):

هو البحر المحيط بكل علم
عليه الخلق كلهم عيال
صفا للواردين وراق حتى
تفجر من جوانبه الزلال
كأن علوم أهل الأرض طراً
إذا قيست الى معناه آل

وله أرجوزة في تاريخ الأئمة (عليهم السلام)[2].

لطيف القزويني:

أديب فاضل حسن الانشاء في الفارسية، كان يزاول الطب القديم، وهو من تلامذة ميرزا محمد حكيم باشي التبريزي المعروف بـ «حكيم قبلي»، وكان من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له «فوائد لطيفية» الفه سنة ١٢٨٤[3].

السيد محسن الأعرجي

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) ونضيف الى ما هنالك هذه الدراسة المكتوبة بقلم الشيخ محمد حسن آل ياسين:

هو السيد الامام المحسن، بن الحسن، بن مرتضى، بن شرف الدين، بن نصر الله، بن زرزور، بن ناصر، بن منصور، بن أبي الفضل النقيب عماد الدين موسى، بن علي، بن أبي الحسن محمد، بن عماد، بن الفضل، بن محمد، بن أحمد البن، بن الأمير محمد

(١) ذبيح الله صفا.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد احمد الحسيني.

الأشتر، بن عبيد الله، بن علي، بن عبيد الله، ابن علي الصالح، بن عبيد الله الأعرج، بن الحسين الأصغر، بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين، بن الإمام سيد الشهداء الحسين، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليهم السلام.

وكان الأعرجيون في أوائل هذا القرن ـــ على ما حدّث السيد جعفر الأعرجي النسابة «ملء الدنيا، ولكن أعيانهم ومشايخهم في العراق، بعضهم ببغداد، وبعضهم في مشهد الكاظم «الكاظمية»، ومنهم في الحائر الشريف «كربلاء»، ومنهم في النجف، ومنهم في بلاد الموصل ونصيبين، ومنهم بواسط، والأهواز، والبصرة، ومنهم في الحلة، ومنهم بسورا، الى غير ذلك».

انتقلت أسرة السيد محسن من النجف الى بغداد في القرن الثاني عشر الهجري، وكان على رأسها يومذاك العلّامة المرتضى جد المترجم له[4]، ويروي السيد جعفر الأعرجي أن هذه الهجرة كانت في سنة ١١٦٥ هـ، ولكن قرائن الأحوال المتوفرة لدينا لا تساعد على ذلك، ولعلها كانت في أوائل القرن المذكور.

ولد السيد المحسن ببغداد سنة ١١٣٠ هـ على قول، وفي عشر الثلاثين على قول آخر، ولما كان السيد حين وفاته قد ذرف على التسعين فان ولادته في أوائل الثلاثينات قطعية، وبذلك يظهر السهو الذي سقط فيه السيد جعفر الأعرجي النسابة عندما يذكر هجرة آل السيد المحسن الى بغداد في سنة ١١٦٥ هـ من أن السيد محسن كان دون البلوغ يومذاك.

نشأ السيد المحسن عاملاً في حقل التجارة، ولكنه لم يهمل خلال ذلك دراسة العلوم الأدبية ومقدمات علوم الشريعة الاسلامية. ثم ترك الكسب والتجارة ـــ وكان في الأربعين أو الحادية والأربعين من العمر ـــ وهاجر الى النجف مع أخويه السيد راضي والسيد محمد[5] للتفرُّغ لدراسة علوم الشريعة والتخصص بها.

وكان أبرز أساتذته في النجف الأشرف هو الأقا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ ويعبر عنه تلميذه في مؤلفاته بـ «الأستاذ»، ثم السيد مهدي الشهير ببحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ ويعبر عنه بـ «الأستاذ الشريف».

وذكر صاحب الروضات ـــ على ما نقل عنه في الكنى والألقاب ـــ أن معظم قراءة السيد المحسن كان على السيد صدر الدين القمي شارح الوافية، ولم نجد في كتبه ما يدل على ذلك، خصوصاً وأن السيد محسن ـــ فيما يرجح ـــ كان قد هاجر إلى النجف في عشر السبعين بعد المائة والألف، أي بعد وفاة السيد القمي المشار اليه.

وكانت له الرواية عن الشيخ سليمان بن معتوق العاملي الكاظمي المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ والشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ.

(٤) توفي السيد مرتضى ببغداد، وحُمل جثمانه الى النجف الأشرف، ودفن في مقابر العلماء في الأيوان الكبير الذي يقابل باب الطوسي من الصحن الشريف.

(٥) كان السيد راضي أسنّ من السيد محسن، واختار البقاء في النجف الى آخر أيام حياته. وكان السيد محمد أصغر من السيد محسن، وقد هاجر إلى بغداد وأقام بها حياته.

تـرك النجف حفـاظاً عـلى حيـاتـه عنـدمـا دهمهـا الـطاعـون سنـة ١١٨٦ هـ، ثم عاد اليها بعد زوال الخطر عنها.

وهـاجر هجرتـه الأخيرة إلى الكـاظميـة، وربمـا كـانت قبـل سنـة ١١٩٦ هـ وهي السنة التي أتم فيها كتـابه «شرح الـوافية»، وأقـام فيها مجامع البحث وحلقـات الدراسـة بشكل لم يمـر مثله على هـذه البلدة، وأصبح بفضل علمـه وأدبه وكفـاءته وعبقـريته ذا مـرجعية دينيـة كبرى ومركز علمي مرموق وشهرة طبقت الارجاء.

وجمعت حـوزته العلميـة في الكاظميـة عدداً بـارزاً من أهل الفضـل والمعرفة، وكان من جملتهم:

١ ـ الشيخ أحمد بن محمد علي البهبهاني، المتوفى سنة ١٢٣٥ هـ.

٢ ـ السيد جواد بن محمد العاملي، المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ.

٣ ـ السيد حسن السيد راضي الأعرجي.

٤ ـ السيـد حسن السيـد محسن الأعـرجي، المتـوفى بعـد سنـة ١٢٢٧ هـ.

٥ ـ السيد صدر الدين الموسوي العاملي، المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ.

٦ ـ الشيخ عبد الحسين الأعسم، المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ.

٧ ـ السيد عبد الله شبر الكاظمي، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ.

٨ ـ السيـد عـلي السيـد محسن الأعرجي، المتـوفى حـوالى سنـة ١٢٠٠ هـ.

٩ ـ السيد كاظم السيد حسين الأنباري الكاظمي، المتوفى ـ ظناً ـ سنة ١٢٤٧ هـ.

١٠ ـ السيد كاظم السيد راضي الأعرجي.

١١ ـ السيد كاظم السيـد محسن الأعرجي المتـوفى، قبل أو في سنـة ١٢٤٧ هـ.

١٢ ـ الشيخ محمد بن أحمد البصري الكاظمي، المتوفى حوالى سنـة ١٢٤٧ هـ.

١٣ ـ السيد محمد السيد راضي الأعرجي.

١٤ ـ السيد محمد السيد محسن الأعرجي.

١٥ ـ الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي، المتوفى سنة ١٢٦١ هـ.

١٦ ـ السيد محمد باقر الموسوي الرشتي، المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ.

١٧ ـ الشيخ محمد علي البلاغي، المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ.

١٨ ـ السيد موسى السيد راضي الأعرجي.

١٩ ـ السيـد هـاشم السيـد راضي الأعـرجي، المتـوفى سنـة ١٢٤٧ هـ.

وفي عام ١٢٢٧ هـ[1] انتقلت روح السيد المحسن الى بارئها بعد أن قدم أسمى الخدمـات لعلوم الشريعة وتـراث الاسلام، وبعـد أن ذرف على التسعين فـ «ماجت البلدان بغداد والكاظمين، وعطلت الأسواق، وجاء أهل بغداد من الجانبـين، وكان يـوماً مشهـوداً، وصلى عليـه ولده الأكبر السيد كاظم وجلس للتعزية، ورثته الشعـراء[2]، وبكته العلماء، وناحته النوائح، على حد تعبير السيد حسن الصدر.

وكـان من جملة تواريـخ سنة وفـاته: «بمـوتك محسن مـات الصلاح» و «نعت المدارس والعلوم لمحسن» و «وزين في الجنات قصر لمحسن».

ودفن في مقبرته الخاصة، خلف مسجـده، عند بـاب مدرستـه. وما زالت معروفة وبـاقية حتى اليـوم خلف الصحن الكاظمي الشريـف من جهته الشمالية.

مؤلفاته

١ ـ المعتصم:

وهو أول مؤلفاته في أصول الفقه.

ذكره مؤلفه في مقدمة تعليقـه على الـوافية فقـال: «ولما منّ الله تعـالى عليّ بالرجوع إلى المدرسة الغروية، على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية، جعلت كلما مررت ببحث من مبـاحث هذا الفن أبـذل الجهد فيه، وأستفرغ الوسع في استخراج دقائقه واظهار خوافيه. فجـاء كتابـاً ضخماً طويل الأذيال بعيد الأطراف».

ويعني برجوعه الى النجف عودته اليها بعد انقضاء الطاعون الفـظيع الذي شمل العراق سنة ١١٨٦ هـ، وتفرق بسببه الناس، وخرج أكـثر علماء النجف منها.

وكـان السيد حسن الصـدر قد رأى مسـودة خط المؤلف عنـد بعض أرحام المؤلف في الكاظمية.

٢ ـ المهذب الصافي:

المسمى بـ «الـوافي»، وهو شرح لكتـاب «الـوافيـة» للمـلا عبـد الله التوني المتوفى سنة ١٠٧١ هـ في أصول الفقه. ذكر مؤلفه سبب تأليفه في مقدمة الكتاب فقال: «ثم راودتني جماعة من الأصحاب على اختصار ما جمعت؛ وتهذيب ما رسمت، فاستخرتُ الله جل شأنـه وشرعت، وكان البحث يومئذ في الوافية، فجعلت أعلق عليهـا كل يـوم ما استـطعت، وبقيت مباحث كثيرة مطوية على غرتها، لم يتعرض لها المصنف، فطوينـا الكشح عنها؛ ان منّ الله عز وجل علـيّ رسمت بحولـه تعالى وقـوته مـا ينظم شتات تلك المسائل، ويجمع شمل هـاتيك العقـائل، ويكـون ان شاء الله قانـوناً في هـذا الباب، ودستـوراً لمن حاول هـذا الفن من أولي الألبـاب، ولا حول ولا قـوة إلا بـالله عليـه تـوكلت وإليـه أنيب وإليـه المصير. وقد سميت هـذا التعليق بالـوافي في شرح الوافيـة». أثنى عليه السيـد حسن الصدر وقـال في جملة ذلك: «لم ينسـج ناسـج على منـواله حتى اليوم. قد حير أفكار الفضـلاء في كنوز عبـاراته الجـامعة، ورمـوز اشاراته اللامعة... حتى كاد أن يكون آية للعالمين. لم يسمح الـزمان بمثله في معنـاه. اتفق لتاريخـه عجب وهـو (تمـامـه شهـر رجب)». اتم المؤلف تـأليفه في أواخـر شهر رجب سنـة ١١٩٦ هـ، كما جـاء في آخـر الجزء الثاني منه.

توجد نسخة منه مكتوبة سنة ١٢١١ هـ في كتب الشيخ عبـد الرزاق

---

(١) وفي ايضاح المكنون وهدية العارفين انه توفي سنة ١٢٤٠ هـ، وهو سهو ووهم.

(٢) ويراجع أعيان الشيعة: في قصيدة السيد ابراهيم بن السيد محمد الحسني العطار البغدادي في رثاء السيد المحسن.

العاملي، ونسخة من الجزء الثاني ــ الأدلة العقلية ــ قد انتهى نسخها يوم الأربعاء ٢٣/ج٢/١٢٣٦ هـ في مكتبة آل الأعرجي العامة، ونسخة من المجلد الأول مكتوبة سنة ١٢٤٠ هـ في جامعة مدينة العلم، وكانت في مكتبة السماوي نسخة من الكتاب مكتوبة سنة ١٢٧٥ هـ. ووهم في ايضاح المكنون فسمى شرح الوافية: المحصول في شرح وافية الأصول.

ويقدر الكتاب كله بخمسين ألف بيت، وجاء في الصفحة الأولى من الجزء الثاني أن هذا الجزء تخميناً عشرون ألف بيت ومائتان وخمسون أو ثلاثمائة.

٣ ــ المحصول في علم الأصول:

أوله بعد البسملة والتحميد: «أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله الغني؛ محسن بن الحسن، الحسيني، الأعرجي، غفر الله ذنوبهما وستر عيوبهما: هذا ما كنت وعدت به جماعة الطلاب من تأليف كتاب محرر في أصول الفقه، ينتظم فيه ما يحتاج اليه، ويقترن بكل أصل ما يدل عليه، موضوعاً على طرف التمام، بحيث يناله المتعاطي بأدنى المام، أرجو من الله جل شأنه أن يكون بحيث يحب الراغب ويهوى الطالب، وسميته بالمحصول في علم الأصول».

توجد نسخة منه تم نسخها في ١٥/ج٢/١٢٢٦ هـ في كتب السيد ضياء شكارة، ونسخة من القرن الثالث عشر الهجري في ٢٨٧ ورقة في جامعة طهران، وقطعة منه تشمل المطلب الأول من الكتاب في (٦٩) ورقة، مقابلة على نسخة الأصل في كتب الشيخ اسماعيل الخالصي، وقطعة منه تشمل المطلب الأول في المبادىء اللغوية والمطلب الثاني في المبادىء الاحكامية والمطلب الثالث في الأوامر والنواهي في ١٢٦ ورقة بمكتبة آل الأعرجي العامة، ونسخة ناقصة الآخر مقابلة على نسخة الأصل في جامعة مدينة العلم.

٤ ــ وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة، في الفقه:

ذكره السيد حسن الصدر فقال: «هو كتاب محرر في الأحكام، قريب التناول، سهل المأخذ، جمع بين الاستدلال وفقه دلمات الفقهاء والتفريع، على أحسن وجه، وأعدل طريقة وأتقن مأخذ. إذا نظر فيه الفقيه المتبحر وجد ما يكفيه كعقد انتظم فتناثرت لثاليه. لم يشذ عنه حل معضلة ولا تنقيح مشكلة، أبهر العلماء حتى كان في الكتب آية. ما كان أعظم منه في نفس سيدنا... الميرزا محمد حسن الشيرازي، كنت أحضر عالي مجلس درسه ثمانية عشر سنة، وما رأيته يذكر أحداً في موافقة أو مخالفة إلا كلام السيد في الوسائل إذا حضره».

وذكره الشيخ محمد حرز الدين فقال: «وهو كتاب متين، وكانت أساتذتنا تقول: هو أحسن ما كتب».

وهذا الكتاب ــ على ما ذكر السيد حسن الصدر ـ لم يتم تأليفه على الولاء والتسلسل، فخرج منه كتاب الطهارة في جزءين: الأول في الطهارة المائية والثاني في الطهارة الحدثية، وكتاب الصلاة في خمسة أجزاء، ثم كتب العقود على الترتيب، ثم كتاب المواريث، ثم كتاب القضاء والشهادات؛ وهو من أنفس ما كتب، ثم كتاب الحدود والديات.

وللمؤلف مختصر الوسائل.

كما ان له: مقدمة الوسائل، وهي على الضد من مقدمة الحدائق؛ تشتمل على طريق تناول الأحكام من أدلتها على طريقة الطائفة.

وقد طبع الوسائل في ايران سنة ١٣٢١ هـ.

وتوجد بمكتبة جامعة مدينة العلم بخط المؤلف القطع التالية منه:

قطعة في صلاة الجمعة وما بعدها من أبواب الصلاة.

قطعة في صلاة القضاء.

قطعة في صلاة المسافر.

قطعة من الصلح إلى الوصايا.

قطعة في النكاح إلى آخر النفقات.

قطعة في النكاح إلى نكاح الاماء.

قطعة في كتاب الفراق.

قطعة في الحدود والتعزيرات.

وفي نفس المكتبة قطع أخرى من الكتاب، وفي كتب الشيخ عبد الرزاق العاملي قطعتان منه، وكانت قطعة منه في كتب الشيخ عبد الحسين الطهراني في كربلاء.

٥ ــ العدة، في علم الرجال:

ذكره السيد حسن الصدر فقال: «اشتمل على فوائد خلت منها كتب الأصحاب من المتقدمين والمتأخرين، وعناوين لم يهتد اليها الناقدون».

ألفه لولده السيد علي وقال في مقدمته: «سألني أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ الولد الموفق علي أيده الله بالعمر المديد والعيش الرغيد ان ارسم...».

وعندما توفي السيد علي والكتاب غير تام انصرف المؤلف عن اتمامه، وفي ذلك يقول: «ولما قضى من شرع هذا الكتاب لأجله وصار إلى ربه، في أفضل الشهور وأشرف الليالي؛ قدس سره، وانقضت الرغبة، وتقاصرت الخطى، وقعدت الهمة، ثنيت عنان القلم...».

وهذا فهرست مطالب الكتاب التي سماها المؤلف فوائد الكتاب:

الفائدة الأولى ــ في ضبط مدد اعمار آل الله وأحبائه وحججه وأمنائه محمد سيد رسله وأنبيائه وأهل بيته صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؛ وذكر أولادهم وشيء من أحوالهم.

الفائدة الثانية ــ في بيان فرق الشيعة.

الفائدة الثالثة ــ في المصنفين من الصدر الأول.

الفائدة الرابعة ــ في توجيه الأخذ بخبر غير العدل مع اتفاق الكلمة على اشتراط العدالة.

الفائدة الخامسة ــ فيما يقع به الجرح والتعديل والمدح والقدح.

الفائدة السادسة ــ فيما يكتفى به في الجرح والتعديل.

الفائدة السابعة ــ في التعارض.

الفائدة الثامنة ــ في ذكر أصحاب الاجماع، ومن شهد لهم الثقات بالوثاقة، وعمل الطائفة باخبارهم، وأصحاب الأصول المعتمدة،

والكتب المعروضة عليهم (ع)، ومن وثقوه وأمروا بالرجوع إليه، ومن عرف فيها بين الأصحاب انه لا يروى إلا عن ثقة حتى عدوا مراسيله في المسانيد.

الفائدة التاسعة ــ في بيان العدة وما يجري مجراها.

الفائدة العاشرة ــ في بيان أسماء رجال يكثر دورها ويشتبه أمرها.

الفائدة الحادية عشرة ــ في بيان ألفاظ تلهج بها ألسنتهم، وربما خفي على بعض الناس ما يراد بها.

الفائدة الثانية عشرة ــ في ذكر الرجل في بابين متناقضين.

وبعد انتهاء هذه الفوائد وفاة من شرع الكتاب لأجله ــ على حد تعبير المؤلف ــ صرف النظر عن الاتمام واكتفى بالحاق ست فوائد ختم بها الكتاب، وهذه هي الفوائد:

الأولى ــ في ذكر كثير من الرواة المنحرفين ومن طعن عليه.

الثانية ــ في ذكر جماعة من مشيخة العصابة طعن عليهم أو توهم ذلك فيهم أو لم يعلم حالهم فعدوا في المجاهيل وهم من الممدوحين بالتوثيق أو نحوه.

الثالثة ــ في ذكر بعض أكابر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وفيها تتمة في ذكر مشاهير الأصحاب والوكلاء المعروفين.

الرابعة ــ تشتمل على أمور مهمة رجالية.

الخامسة ــ في ذكر بعض مشاهير العامة من الرواة والعلماء وتواريخهم.

السادسة ــ في نقل مشيخة الصدوق ومشيخة التهذيبين.

رأيت نسخة تامة مخطوطة في مكتبة آل الأعرجي العامة في (١٣٣) ورقة كانت من كتب السيد حسن السيد محمد مهدي الأعرجي وجاء في هامش الصفحة الأخيرة منها: «بلغ مقابلة وتصحيحاً على النسخة التي كتبت هذه النسخة عليها؛ والمكتوب عليها لم يعلم انها صحيحة على حد يوثق بها، وان كان نقلت من نسخة الأصل على ما نقل صاحبها مخبراً لنا، والله أعلم».

٦ ــ تزييف مقدمات الحدائق، بطريق التعليق:

رد فيه ما ذكر صاحب الحدائق في المقدمتين الأولى والثانية، وقد استقصى النقض عليه وعلى أصحابه بما لا مزيد عليه، وخص الأسترابادي في فوائده بحصة الأسد من هذا التزييف.

وربما سماه بعضهم: «نقض الفوائد»، وقد يسمى «شرح مقدمات الحدائق».

كانت منه نسخة مخطوطة في مكتبة السماوي.

وفي مكتبة جامعة مدينة العلم مخطوطة كتاب للسيد الأعرجي في الرد على الاخباريين خصوصاً على الأسترابادي في الفوائد، والظاهر انه هذا الكتاب.

وكانت في مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني بكربلاء نسخة مكتوبة سنة ٢٢٩ هـ بخط الشيخ أحمد كتان النجفي.

٧ ــ شرح معاملات الكفاية للمحقق السبزواري، بطريق التعليق:

قال عنه السيد حسن الصدر: «هو كتاب نفيس، لم يخرج إلى البياض إلا في هذه الأزمان، أخرجه بعض أفاضل نوافله وهو عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن المحسن وفقه الله تعالى، وقد بيض جملة من مسودّات السيد وأحياها بعد أن أشرفت على الاندراس، وأعانه على ذلك عمه السيد الأمجد أبو المكارم والهمم السيد ابراهيم دام عزّه وتوفيقه».

٨ ــ تلخيص الاستبصار للشيخ الطوسي:

قال عنه السيد حسن الصدر: «يذكر حاصل ما في الباب من الروايات وما ذكره فقهاء الأصحاب، ويختار ما يوافق الصواب. خرج من كتاب الصلاة مسائل صلاة المسافر؛ وأبواب المواقيت، وأبواب الأذان، وأبواب القراءة في الصلاة، لا غير، فليته تم فانه تحرير الاستبصار مع اقامة الدلائل بأحسن تحقيق وبيان. يقرب من خمسة آلاف بيت».

٩ ــ كتاب أجوبة المسائل التي سئل عنها، في الفقه:

يقول السيد حسن الصدر عنه: «رأيتها بخطه الشريف، وقد تعرض في أكثرها للأقوال والدليل، وهي من أحسن الكتب وأنفع المجاميع، قد حوت حلّ معضلات وكشف مشكلات لا يجدها الطالب في المطولات».

١٠ ــ حواشي على الوافية للتوني:

يقول السيد حسن الصدر: «بخط يده، من أولها إلى آخرها، غير ما كتبه في الوافي، أيضاً لم تدون، وكتب في آخرها بقلمه الشريف ما يدل على غاية اتقانه في تصحيح الكتب، وهذا صورة ما كتب: بلغ قبالاً وتصحيحاً بحسب الجهد والطاقة في مجالس عديدة آخرها يوم الأحد سلخ جمادى الأولى سنة ١١٨٨ هـ. وكتب الأقل محسن الحسيني الأعرجي. وبلغ بحمد الله قراءة على الأستاذ الشريف الأمجد والشيخ الأجل الأسعد غرة هذا الشهر جمادى الثاني من هذه السنة حامداً لله مصلياً على رسوله وآله الطيبين صلوات الله عليهم». والنسخة كانت في خزانة السيد حسن الصدر نفسه.

١١ ــ رسالة في مناظرة الشيخ صاحب كشف الغطاء في ثمرة القول بالصحيح:

والأعم والتمسك بأصالة البراءة أو الاشتغال.

١٢ ــ حواشي على كتاب المصباح المنير للفيومي:

كتبها المؤلف على هامش نسخته بخطه. ولم تدون مستقلة.

١٣ ــ حواشي على وافي المحدث الكاشاني:

ذكرها السيد حسن الصدر فقال: «رأيتها بخطه على هوامش الكتاب ورأيت تدوينها بخط بعض أولاده، كراريس مجلدة مع الجزء الأول من الخلاف للشيخ الطوسي عند بعض أهل طهران، وكانت منحصرة بالذي رأيت».

١٤ ــ رسالة في المواسعة والمضايقة:

١٥ ــ سلالة الاجتهاد، في الفقه:

١٦ ــ رسالة في صلاة الجمعة:

نسخة منها بخط السيد ابراهيم بن محمد الأعرجي بجامعه مدينة العلم.

١٧ ـ منظومة في جمع (جميع) الأشباه والنظائر من مسائل الفروع..

على حذو كتاب نزهة الناظر ليحيى بن سعيد الحلي ابن عم المحقق.

١٨ ـ رسالة فيما يلزم المسافر في مثل بغداد والكاظمية أو الكوفة والنجف:

نسخة منها بخط السيد ابراهيم بن محمد الأعرجي في جامعة مدينة العلم.

١٩ ـ منظومة في الفقه:

قد تسمى «الفقهية المستطرفة»، وقد تسمى «الدرر البهية في فقه الامامية»، وسميت في الفوائد الرضوية: «الالفية الفقهية»، وربما كانت ألف بيت.

نسخة منها كتبت سنة ١٢٤١ هـ في جامعة طهران، وفي الجامعة نسختان أخريان أيضاً.

٢٠ ـ غرر الفوائد ودرر القلائد، في الفقه والأصول، وسميت في بعض الكتب:

غرر الدرر في أصول الفقه. يقرب من أربعة عشر ألف بيت.

توجد نسخة المؤلف بخطه في مكتبة جامعة مدينة العلم.

وقد تم تأليف الكتاب في مرض المؤلف الذي توفي فيه، فيكون خاتمة مؤلفاته:

محمد البيدآبادي

محمد بن الملا محمد رفيع أحد مشاهير الحكماء في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة. كان في الأصل گيلانياً ثم اشتهر بالبيدآبادي لاقامته في محلة بيدآباد في أصفهان.

درس الفلسفة والحكمة على عدد من الأساتذة أهمهم: السيد قطب الدين محمد النيريزي الشيرازي (١١٠٠ ـ ١١٧٠ هـ) صاحب (فصل الخطاب). وهو من العارفين والحكماء المعروفين في القرن الثاني عشر ومن أركان السلسلة الذهبية الصوفية. والميرزا تقي الألماسي (المتوفى عام ١١٥٩ هـ) والملا اسماعيل الخاجوئي (الخواجوئي).

يعتبر محمد البيدآبادي من أكبر العلماء والحكماء والعارفين في عصره، وقد اشتغل بالتدريس في أصفهان، وتخرّج على يده عدد من علماء بداية القرن الثالث عشر للهجرة (العهد القاجاري)، ومنهم السيد أبو القاسم الحسيني الأصفهاني المشهور بالمدرس الذي كان يلقي دروسه في مدرسة (جهارباغ) في أصفهان، والملا محراب الگيلاني الذي كان من مشاهير العارفين، والحكيم المشهور الملا علي النوري والحاج الميرزا ابراهيم الكرباسي مؤلف الاشارات والمنهاج.

كان هذا الحكيم العالم العارف معروفاً بتحرّره وعدم اهتمامه بأعيان الدولة ورجالها، ولم يكن مستعداً لاستقبال أو لقاء أحد منهم، ومن ثم كانوا يكنون له غاية الاحترام لخصاله هذه ولما يتوسمونه فيه من كرامات. وكان يعيش من كده واشتغاله في صياغة الذهب. وقدذكر مؤلف (ريحانة الأدب) بأنه كان يعتقد بوحدة الوجود. ووصفه مؤلف روضات الجنات بالقول: «رفع محمد (البيدآبادي) راية الزهد والتقوى عالية في عصره، حتى عجز المؤرّخون عن وصفه».

توفي عام ١١٩٧ هـ في أصفهان ودفن في مقبرة (تخت فولاد) في الجانب الشرقي من تكية حسين الخوانساري.

محسن تتوي بن نور محمد

ولد سنة ١٢١١ في باكستان وتوفي سنة ١١٦٣. من مواليد (تته) وسكانها، وكانت (تته) ضمن الهند وبعد التقسيم صارت ضمن الباكستان، وهي في مقاطعة السند.

كان فاضلاً شاعراً، اشتهر بقصائده في مدح أهل البيت (ع) ونظم في ذلك مجموعات مثل: (عُقد دوازده گوهر) و (طراز دانش ميلاد) وغير ذلك.

وعدا هذا فله مجموعة قصائد في موضوعات أخرى.

محمد جعفر بن ابو الحسن الملقب (ابو صاحب):

ولد سنة ١٢٨٩ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣١٠.
كان شاعراً وترك ديواناً شعرياً.

درس على والده وعلى مولانا حبيب حيدر والشيخ تفضل حسين. وسافر وهو في الثالثة عشرة من عمره الى العراق للدرس، ولكن عوارض مرضية عرضت له فعاد الى وطنه لكهنو فتوفي بعد ثمانية أيام من وصوله اليها.

الشيخ ناصر الدين محمد بن احمد التوني:

من علمائنا المنسيين واكابر فقهائنا في القرن الحادي عشر للهجرة مؤلف مكثر، من ائمة الفتوى.

لم اقف على تاريخ ولادته ووفاته الا ان شيخنا الاستاذ الشيخ اغابزرك الطهراني، ذكره في طبقات أعلام الشيعة ضمن علماء المئة الحادية عشرة، ترك مؤلفات منها:

١ ـ فائدة على كتاب ارشاد الاذهان الى احكام الايمان للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ وفيه خمس عشرة الف مسألة ٢ ـ فوائد على كتاب قواعد الاحكام في مسائل الحلال والحرام ايضاً للعلامة الحلي يحتوي على احدى واربعين الف ومئة مسألة ٣ ـ فوائد على كتاب شرايع الاسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦ يحتوي على اثني عشرة الف مسألة ٤ ـ فائدة حكاها عن تحقيقات الفاضل المقداد في معذورية الجاهل بالحكم وجميعها بخط المؤلف من مخطوطات مكتبة آل خرسان في النجف الاشرف[1].

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني:

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان)، كما مرت دراسات عنه في (المستدركات). وننشر هنا الدراسة التالية مكتوبة بقلم: محمد باقر، ثم نتبعها بدراسة مكتوبة بقلم: محمد صابر خان ثم بدراسة بقلم: هوشنك مير مطهري.

---

(١) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

من كاث إلى الري
والعودة إلى كاث

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد في بيرون قرب مدينة كاث[1] (Kath) في الثالث من ذي الحجة عام ٣٦٢هـ الموافق للرابع من سبتامبر عام ٩٧٣م. ويجدر بالذكر أن مدينة (كاث) اصبحت فيما بعد عاصمة خوارزم (وهي ناحية دلتا آموديا)، التي تتمتع الآن بحكم ذاتي باسم جمهورية كاراكلپاس أو قراقلپاق)[2].

تقع كاراكالپاس في السواحل الجنوبية لبحر آرال في آسيا المركزية، وكانت تابعة لما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي.

أمضى أبو الريحان ٢٥ سنة من عمره في موطنه الأصلي، ودرس على يد بعض الأساتذة مثل منصور بن أيراك الجيراني وهو عالم في الرياضيات. وفي موطنه هذا بدأ أعماله الكتابية الأولية، وبدأ بمراسلة ابن سينا الشاب البخاري الأعجوبة الذي يصغره بسبع سنين[3].

يعتقد بعض المؤلفين المعاصرين وبعض المؤلفين الذين تلوا البيروني بأن «بيرون» مسقط رأس البيروني ومدينة كاث، تقعان في وادي السند، وليس لدينا ما يثبت أو يبطل هذا الاعتقاد، ولكن على أي حال فإن مدينة كاث أو كات كانت مهمة وعامرة لقرون طوال، سواء قبل البيروني أو بعده.

ويكتب الأصطخري (المتوفى عام ٣٤٦ هـ = ٧ــ ٩٥٨ م) في كتابه المسالك والممالك ما مضمونه:

«ومدن خوارزم الأخرى هي: درغان، هزاراسب، خيوه، خشميش، أردخشميش، سافردز، وگرگانج، وتدعى قصبة هذه النواحي «كاث»، وفيها قلعة قديمة. وقد أتى السيل على المدينة، فانتقل أهلها إلى مكان أعلى منها بعد أن بلغ السيل القلعة. وخشي على مسجد (آدينه) الواقع في القلعة وقصر خوارزمشاه المحاذي للمسجد، وعلى السجن المتاخم للقلعة. وثمة نهر صغير يجري وسط المدينة، ويقع على ضفتي هذا النهر سوق طويل ذو سماطين...»[4].

وكما يظهر من كتاب المسالك والممالك، فإن مدن خوارزم الأخرى هي درغان، هزاراسب، خيوه، خشميش، سافردز، وگرگانج وتعرف مدينة كاث عاصمة لهذه المنطقة. وكانت هذه المدينة طوال تاريخها مركزاً للحكومات المتعاقبة. وللمدينة سور وبرج أتى عليهما السيل بمرور الوقت، ولا تزال أطلالهما باقية إلى الآن. وقد استبدل الناس بهذه المدينة ــ بعد انهدام قلعتها وسورها وبرجها موضعاً آخر أعلى منها، بعد أن بلغت السيول القلعة، وخيف عليها وعلى مسجد آدينه ومقر خوارزمشاه وسجن المدينة المجاور للمسجد. وثمة نهر يجري وسط المدينة ترامت الدكاكين على ضفتيه. وتعرضت بعض بوابات المدينة للخراب وأعيد بناء بعضها.

ويتعرض ابن حوقل لذكر موقع مدينة كاث على الخريطة التي رسمها بنفسه في كتابه (صورة الأرض) (الذي يحتمل أن يكون تأليفه في عام ٣٦٧ = ٩٧٧ هـ) فيقول ما يلي:

«تحت مصب النهر الخامس لمدينة ترمذ، إلى الشمال من نهر جيحون، وإلى الأسفل منها هاشم جرد وقربر على ضفة جيحون».

وفي معجم البلدان[5] (٦١٦هـ) يكتب ياقوت:

«معنى الكاث بلغة أهل خوارزم الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء، وهي بلدة كبيرة من نواحي خوارزم إلا أنها من شرقي جيحون دون جميع نواحي خوارزم، وإنما هي من ناحية جيحون الغربية ــ وبين كاث وگرگانج، مدينة خوارزم عشرون فرسخاً.

ويكتب حمد الله المستوفي القزويني في كتابه (نزهة القلوب)[6]، المصنف عام ٧٤٠=١٣٤٠م ما يلي:

«فرغانة؛ هي ولاية من الإقليم الخامس ــ وقد بناها أنوشيروان العادل، ونقل إليها بعض الأهالي من بيوت شتى، ومن ثم فقد سميت «هرخانه»[7](ومعنى هرخانه: كل بيت)، ثم تغير اسمها لكثرة الاستعمال إلى فرغانة، وقد أعيد بناؤها على يد قيدو بن قاشي بن أوگتاي قا آن ودوا بن براق بن يسون بن ماتكان بن جغتاي خان، وكان المشهور في العصور الغابرة: كاث وكاشان واخسيكت»، ففرغانة إذن هي إحدى ولايات الإقليم الخامس، وقد بناها أنوشيروان العادل، وقد سميت «هرخانه» لأن أهلها جمعوا من بيوت ونواحٍ شتى، وبعد استعمال طويل تحول اسمها إلى (فرغانة) (Farghana)، واسمها الحالي هو أنديگان (Andighan). وكانت المدن الكبيرة في العصور الغابرة: فرغانة، كاث، كاشان، اخسيكت.

وظلت كاث في معزل عن الأحداث حتى أواسط القرن الرابع عشر، ومن حملة المغول إلى عام ١٣٣٣ م.

وخلال سفره من أورگنج إلى بخارى، لم يشر السائح العربي، ابن بطوطة إلى وجود مدينة في طريقه إلى كاث، حيث يقول ما مضمونه:

«وعندما عزمت على ترك خوارزم، استأجرت عدداً من الإبل، واشتريت هودجاً لبرودة الجو، وكان الخدم على ظهور خيولهم، بينما رزمنا الفراش والسجاد على ظهر الإبل. وفي سفرنا هذا ما بين خوارزم وبخارى، مررنا بصحراء، قطعناها في ثمانية عشر يوماً، ولم نجد طوال الطريق محلاً لاستقرارنا إلى مدينة كاث الصغيرة التي دخلناها بعد أربعة أيام من حركتنا. وقد نزلنا بالقرب من بركة ماء متجمّدة يلعب عليها الأطفال، تقع بالقرب من هذه المدينة. وقد حضر قاضي المدينة لاستقبالنا، ثم تبعه حاكمها وحاشيته، ودعونا لضيافتهم والإقامة عندهم»[8].

ويشير ابن بطوطة إلى الوقت اللازم لقطع المسافة الفاصلة بين كاث وبخارى، في معرض حديثه عن شرح الأوضاع الطبيعية لهذه المنطقة، وكذلك يبدي رأيه بخصوص أهمية هذه المدينة، التي ولد فيها «البيروني» والذي اضطر لمغادرتها في أوائل شبابه.

---

(١) راجع (ركائه الأدب) تأليف محمد علي مدرس التبريزي ج ٥ ص ٧٦- ٧٨.

(٢) C.F. The Times. Atlas of the world Vol,II. Pl-43 and Encyclo- Paedia of Islam, Vol.I.P. 1236.

(٣) بورسينا سعيد نفيسي ص ١٣١.

(٤) المسالك والممالك ص ٢٣٥ في الترجمة الفارسية، مصدر ١٦٨ في الترجمة العربية.

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي المجلد الثاني ص ٣٢٧.

(٦) نزهة القلوب، لحمد الله المستوفي ص ٢٢٨.

(٧) تعني كلمة (هرخانه كل بيت).

(٨) GF. Gibbi, H, A, R. Ibn Battuta Travels in Asia and Africa, 171 and Barthold, V.V. Four studies on the History of Central Asia Vi, I.P 55.

ويبدو أن تيمور ضرب هـذه المدينـة تقريبـاً في حوالي القـرن الرابـع عشر الميلادي، ولكنها استعادت وجودهـا وأسوارهـا مرة أخـرى، وكما يظهر من حديث علي اليزدي[١] في (ظفرنامه المجلد الأول ص٢٣٧، ٢٩٣، ٤٤٩ لشرف الـدين عـلي اليـزدي) أنها كـانت في وقتـه لا تـزال مدينة مهمة.

وينبغي التذكير بأن خوارزم وعاصمتها كـاث كانتـا في ذلك الـوقت جـزءاً من تـرانسـويـانـا «Transoiana»، وحينـما بلغ البـيروني سن الشباب، كانت هذه المنطقة خاضعة لسلطة السامـانيين، اذ كـان يحكم آنـذاك نـوح الثـاني بن منصـور ٣٦٦ ـــ ٣٨٧ هـ = ٩٧٦ ـــ ٩٩٧ م ومنصـور الثـاني بن نـوح الثـاني ٣٨٧ ـــ ٣٨٩ هـ = ٩٩٧ ـــ ٩٩٩ م، ويبـدو أن البـيروني امتـدح الملك خـلال سنتي حكم السلطان منصـور الثـاني بن نوح الثـاني السامـاني. وفي عـام (٣٨٤ هـ = ٩٩٤م) هـزم الغزنويون السامـانيين في الجـزء الجنوبي لنهـر جيحون، واستـولوا عـلى الأراضي التـابعـة لهم. وفي شـمال نهر جيحـون أوقف أيلك خـان تركستان ـــ زعيم قبائل الترك ما بين فرغـانة وحـدود الصين ـــ جيـوش السامانيين وقضى عليهم وأنهى بذلـك سلسلة السامـانيين بعـد أن نهب ترانسويانا واحتل بخارى عام (٣٨٠ هـــ = ٩٩٠م)[٢].

وبعد سنة من انقراض السلالة السامانية، رحل البيروني إلى جرجان (من الأجزاء الجنوبية لبحر الخزر) لغرض الإقامة الطويلة فيها. ويبـدو أن ذلك كان في عام (٣٣٨ هـ = ٩٩٨ م) أي في الوقت الـذي عاد فيـه السلطان أبو الحسن قابـوس بن وشمگير-شمس المعـالي (الزيـاري) من منفاه.

ويصف ابن حوقل مدينة جرجان بـأنها مدينـة جميلة بنيت من الآجر في نـاحية تقـل رطوبتهـا عن آمل، وبـالتالي فهي أعـذب هـواء منهـا، وكذلك فهي أقل من طبرستان مطراً. وتتألف المدينة من شطرين يفصل بينهـما نهر، ويربط بينهـما جسر عائم، ويـطلق اسم جـرجـان في أغلب الأحيان على القسم الشرقي من المدينة، ويذكر ابن حوقل بـأن مساحـة شطري المدينة والجزء الغربي من ضواحيها يعادل مسـاحة مـدينة الـري القديمة[٣].

وتكـثر الفاكهـة في أطراف المـدينة، ويحضر الحـرير بكميـات كبـيرة ويذكر المقـدسي بأن اسم الشـطر الأصلي لمـدينة جـرجان ـــ أي الشـطر الشرقي ـ هو (شهرستان)[٤]. ويحتوي هـذا الشطر عـلى خمسة مسـاجد وسوق، ويباع فيه الرمان والزيتون والبطيخ والباذنجـان والعنب بأثـمان بخسة، وكل هـذه الفاكهـة والثمار من الأنـواع الجيدة. ويقسم المـدينة نهر، أقيمت عليـه بعض الجسور العـائمة أو من الآجـر. وفيها سـاحـة عامة مقابل قصر الحكـومة، وللمـدينة تسع بوابـات. وعيب جرجـان الوحيد هو ارتفاع حرارتها وكثرة الذباب والحشرات الأخرى التي يسمي الأهالي بعضها بالذئاب (گرگـان) ومن ثم فقد حملت هـذه المدينـة اسم گرگان نتيجة لذلك.

ألف ـــ الطريق من كاث إلى جرجانية (گرگان):

لم يذكر البـيروني جزئيـات سفره من كـاث إلى جرجـان، ولذلـك لم يستطع الباحثون اكتشاف الطريق التي سلكها في سفـره بعد مضي ألف سنة عليه. ومن ثم فنحن مضطرون إلى مراجعة الحوادث التاريخة لابن حـوقـل (بـين ٣٥٠ و٣٦٧ هـ = ٩٦١ ـ ٩٧٧ م) أي مُعـاصرة لـه أو متأخرة عنه قليلاً، لأنها أقرب الحوادث إلى حيـاة البيروني وربما أكثرهـا استدلالاً[٥]. حيث كان البيروني قد سلك نفس الطريق التي سلكها ابن حوقل فيما بعد.

ويظهر من الخريطة أن كاث، عاصمـة خوارزم الشرقيـة، تقع عـلى الضفة الثانية من نهر جيحون، في أعالي النهر الذي يسمى بـ (جاردو)، ويفصل ابن حوقل الحديث عن الطريق التي سلكها في رحلته[٦].

قام أبو الريحان في أواسط عمره ـــ بما يقارب اليقين ـــ بعبور جيحون بزورق ثم وصل أردخشمين التي تقع على الطريق الرئيسية شمال خيوه، ووصل جرجان بعد اجتيازه لعدد من المدن الكبيرة التي لم يبق لها أي أثر في الوقت الحاضر.

ويتحـدث يـاقـوت الحمـوي عن أردخشمـين التي سكنهـا عـام ٦١٦ هــ = ١٢١٩ م، فيقول ما مضمونه:

«هي مدينة كبيرة، ذات أسواق جميلة ومراكز تجـارية، وإلى الجنـوب من جرجان تقع مدينة نوزفـار (Nuzvar)، التي يصفها المقـدسي، بأنها مـدينة صغـيرة قويـة الاستحكامـات، ذات بوابتـين حديـديتين وبـرج وحصن وقلعـة عاليـة، ويحيط بها خنـدق أقيمت عليه جسـور متحركـة لتسهيل الدخول إلى المدينة، وترفع هذه الجسور أثناء الليل وتوضع على قوارب.

ويوجد في ساحة سـوق المدينـة مسجد الجمعـة، وهو ملتقى النـاس ومحل تجمعهم، ويوجد كذلـك حمام جيـد بالقـرب من البوابـة الغربيـة للمدينة[٧].

ويبدو أن هذه المدينة هي نفسها التي أسماهـا يعقوب فيـما بعد بنـوج كاث (أي كاث الجديدة أو الحائط الجديد) والتي دمرها المغول تماماً بعد قليل من عودة يعقوب[٨].

وأما زمخشر فتقع بين نوزفار وگرگان، وكانت هذه المدينـة ـــ في زمن البيروني ـ تربطها بالخارج جسور متحركة أيضاً، وتحتـوي على مسجـد جامع كبير، وسجن كبير محكم ذي بوابات حديدية، ويحيط بها خندق. وقد وصفها ياقوت في القـرن السابـع الهجري (الثـالث عشر الميلادي) بأنها قرية[٩].

وحملت هذه المنطقة اسم زمخشر[١٠]، وهي مسقط رأس أحد كبار مفسري القرآن وهو الزمخشري، إذ ولد فيها عام ٤٦٧ هـ. (١٠٧٥ م)

---

(١) (ظفرنامة) شرف الدين علي يزدي، المجلد الأول ص ٢٣٧، ٢٩٣، ٤٤٩.

(٢) Iane Poole the Mohammadan dynas Ties.137

(٣) صورة الأرض (النسخة العربية) ص ٣٢٤.

(٤) (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم). المقدسي. ص ٢٨٧.

(٥) ريحانة الأدب، المدرس التبريزي ج ٤ ص ٢٠٠.

(٦) من كاث الى جرجانيه ثلاث مراحل، فمن كاث الى اردخشميشن مرحلة ومنها الى نوزقار مرحلة ومن نوزقار الى جرجانيه مرحلة، ويجري نهر جيحون خلال هذه المسافة (ابن حوقل ص ٢٣٣).

(٧) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. المقدسي. ص ٢٨٨.

(٨) معجم البلدان. ياقوت الحموي. المجلد الخامس ص ٣٠٩.

(٩) معجم البلدان. المجلد الثالث ص ١٤٧.

(١٠) نقلاً عن (لغتنامه دهخدا) تحت عنوان زمخشر.

وتوفي فيها عام ٥٣٧ هـ (١١٤٤ م).

ويذكر ابن بطوطة الذي زار هذه المدينة في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) بأنها: «تقع على بعد خمسة أميال عن أورگنج».

(ب): جرجان (گرگان):

لأجل أن نتعرف على الطريق التي سلكها البيروني في سفره من الجرجانية[١] إلى جرجان، يجب علينا دراسة ما كتبه ابن حوقل عن هذه الطريق التي سلكها معاكساً لسفر البيروني، إذ كانت رحلة ابن حوقل من جرجان الى خوارزم.

ويتعرض ابن حوقل لذكر الصحراء التي تفصل خوارزم عن جرجان، فيقول أنها كانت منطلقاً لشن حملات الأتراك الغز[٢]. ويوجد على بعد أربعة منازل من جرجان موقع عسكري يحمل نفس الاسم، وهو عبارة عن قلعة صغيرة، أقيمت لحراسة مدينة آخور التي يتخذها حاكم هذه النواحي مقراً له.

ويذكر المقدسي بأن هذه المدينة (آخور) محاطة بأربع وعشرين قرية عامرة، وتعد من أكثر مناطق جرجان كثافة في السكان[٣]. وتوجد في آخور مغارة أو برج يمكن مشاهدته بكل وضوح من مسافات بعيدة في الصحراء.

وثمة موقع عسكري باسم (پاسدارخانه) في الجزء الشرقي من مدينة آخور، وهو في بداية الصحراء التي تتصل بخوارزم، ويقول المقدسي:

«تحتوي هذه المدينة على ثلاث بوابات، والكثير من أجزائها خرب في الوقت الحاضر، إلا أنه لا يزال يقطنها الكثير من السكان، ويوجد فيها العديد من الأسواق الكبيرة والبيوت الجميلة، وخمسة مساجد، وأقدم هذه المساجد قائم على أعمدة خشبية... وقد بني نصف منه على شكل سرداب»[٤].

ويصف حمد الله المستوفي المسير بين جرجان وخوارزم عن طريق ناحية دهستان، بأنه الحد الفاصل بين المسلمين والأتراك المجوس والأكراد.

وتتصف هذه المنطقة بوفرة مائها وحرارة هوائها، ولكنه على الرغم من وفرة المياه لا تزرع الفاكهة إلّا قليلاً[٥].

وأما «جهار إقليم» فهو جزء من (دهستان)، ويقع على حافة الصحراء، أي على الطريق التي تؤدي إلى خوارزم، وتقع مدينة (فروه) في هذه المنطقة (أي منطقة جهار إقليم)، ويذكر الأصطخري هذه المنطقة على أنها منطلق ومستقر لأتراك الصحراء الغزاة، ولذلك استحدث فيها مقر للجنود من أجل حراستها من اعتداء الأتراك. وأما مزارعها وبساتينها فهي ليست كبيرة. وتضم المدينة في جنباتها ما يقارب الألف البيت[٦].

ويذهب لسترنج إلى الاعتقاد بوجود خطأ في تحديد موقع المدينة، وهو يعتقد بأن مدينة فروه هي نفس مدينة قزيل آروات الجديدة «Modern Kizil»، التي حرفت عن اسم قزيل رباط[٧].

وأما المنازل التي تقع بين جرجان وأورگنج ــ والتي يعتبرها العرب جزء تابعاً للجرجانية ــ فقد وردت أسماؤها بصور مختلفة، ولا تُعرف الآن أسماء هذه المنازل بصورة دقيقة، ولكن لما كانت في أغلبها مواضع لاستقرار الغزاة أو القوافل ــ وهي بذلك عبارة عن قرى ومدن صغيرة ـ فإنها لا تحظى بأهمية كبيرة.

ج: من فروه «قزيل آروات» إلى الجرجانية:

يذكر حمد الله المستوفي فواصل المواضع المختلفة من منازل ومحال استراحة عن بعضها البعض، بدأ من فروه وانتهاء بجرجانية وهي كما يلي:

من فروه إلى (رباط خشت پخته) ثمانية ليكَ[٨] (يعادل الـ(ليك) الواحد ثلاثة أميال)، (وقد تركنا كلمة (ليك) كما هي دون أن نطبق عليها القاعدة النحوية).

من رباط خشت بخته إلى خوش آبدان ــ ٨ ليكَ.

ومنها إلى خاور انگاه ــ ٧ ليكَ.

ومنها إلى سيل باب ــ ٨ ليكَ.

ومنها إلى مشكَ مينا ــ ٧ ليكَ.

ومنها إلى رباط مريم ــ ٩ ليكَ.

ومنها إلى خوارزم نو ــ ٨ ليكَ.

ومنها إلى حلم نو أو خلم نو ــ ٦ ليكَ.

ومنها إلى أورگنج أو (جرجانية) ــ ٤ ليكَ.

ويصبح مجموع هذه المنازل التسعة من فروه إلى الجرجانية ٧٢ ليكَ أي ٢١٦ ميل.

وكذلك سافر البيروني إلى الري في رحلته التي ابتدأها من جرجان ويذكر حمد الله المستوفي المسافات التي تفصل المنازل الواقعة على الطريق بين جرجان والري، عن بعضها البعض كما يلي:

من جرجان إلى بسطام ــ ٢٣ ليكَ ومن ورامين إلى الري ٦ ليكَ.

ومن دامغان الى ورامين ــ ٥٤ ليكَ ومن ورامين إلى الري ٦ ليكَ. فتصبح المسافة بمجموعها ٩٦ ليكَ.

ويذكر ابن حوقل والاصطخري أن هناك ثلاثة منازل بين عاصمة خوارزم(كاث)وجرجانية[٩]، ولكن الاثنين لم يذكرا المسافات التي تفصل بين هذه المنازل، وعلى أي حال يمكن الاستعانة بالخريطة لمعرفة هذه الفاصلة وتقدر بـ ٣٠ ليكَ، فيصبح مجموع ما قطعه البيروني في ذهابه وإيابه وفقاً للمسافات التي سنذكرها فيما يلي، في حدود ٥١٨ ليكَ:

من كاث إلى جرجانيه ثلاثون ليكَ.

---

(١) مدينة؛ كانت مركزاً لخوارزم، ووصفها ياقوت الحموي بانها: «مدينة كبيرة تقع على ساحل جيحون».

(٢) صورة الأرض لابن حوقل ص ١٢٥.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، ص ٢٨٨.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٩.

(٥) دهستان جزء من الاقليم الرابع... وقد بناها قيادين فيروز الساساني وجعلها أحد الثغور لتفصل بين المسلمين والأتراك والاكراد، وتتصف بحرارة هواءها. ويجري ماءها من نهر فيها، وتندر الفاكهة فيها. (نزهة القلوب ص ١٩٠).

(٦) المسالك والممالك؛ للأصطخري (المتن العربي ص ١٥٤).

(٧) Iestrange, G, the lands of the ea-stren, Califate-380.

(٨) يعادل الـ (ليكَ) الواحد ثلاثة أميال.

(٩) صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٤٤ والاصطخري ص ٢٧٢.

من جرجانيه إلى ورامين ٢٢٣ ليكَ[١].
من ورامين إلى الري ٦ ليكَ.

وعلى هذا الأساس يكون مجموع المسافات التي قطعها البيروني في ذهابه ٢٥٩ ومجموعها للذهاب والإياب وفقاً لما ذكره البيروني بنفسه ٥١٨ ليكَ. وكما نعلم فإن الليكَ الواحد يعادل ثلاثة أميال انجليزية[٢] فعلى هذا يكون ما قطعه البيروني في سفره من كاث إلى الري يعادل ٩٦٠ ميلاً (للذهاب فقط) ومجموع المسافة ذهاباً وإياباً ١٩٢٠ ميلاً. ولم يذكر البيروني الوقت الذي استغرقته رحلته تلك، ولكن يمكن تقدير هذا الوقت من خلال الحساب الزمني لقطع ليكَ واحد، حيث يبدو أن المسافة التي يمكن قطعها كحد متوسط هي ستة ليكَ، وعلى هذا الأساس يكون البيروني قد أمضى مدة ثلاثة وأربعين يوماً في الذهاب فقط[٣].

وليس لدينا اطلاع دقيق وصحيح عن وسائل الحمل والنقل في زمن البيروني، ولكن يغلب على الظن أنهم كانوا يستعملون الحيوانات التي لها القابلية على تحمل المشاق، حيث يكتب ابن بطوطة ــ الذي سافر إلى نفس المناطق بعد البيروني، فيما بين عام ١٣٢٥ و ١٣٥٤ م ــ عن ذلك بقوله:

«استأجرت بعيراً بدلاً عن الحصان، لأغراض النقل والحمل، إذ لا يمكن انجاز هذه الأعمال في المناطق الصحراوية إلا بواسطة الإبل بسبب صعوبة الحصول على علف. ويحاول المسافرون قطع هذه الطريق بأقصى ما يمكنهم من سرعة، بسبب قلة الماء والعلف، إذ كثيراً ما تموت بعض الإبل أثناء السفر لنفس هذه الأسباب. والحصول على الماء في المناطق الصحراوية يستلزم الكثير من الجهد والصعوبات، ولذلك ينبغي الاحتياط، والاستعداد لذلك بحفظ الماء بمختلف الطرق، ويستعين المسافرون بالآبار القليلة العمق، المعروفة الأماكن أو بالأحواض الصغيرة التي تتجمع فيها مياه الأمطار في الحصول على الماء»[٤].

بدأ البيروني بأكبر وأول الأعمال في مواضيع: مبدأ التواريخ، بحث التقاويم، الرياضيات، النجوم، الهيئة وغيرها من المواضيع الأخرى، وأسماها «الآثار الباقية عن القرون الخالية ويحتمل أن يكون قد قدم عمله هذا إلى السلطان شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمگير الزياري في عام ٣٩٠ هـ.

وقد مكث البيروني في جرجان في بلاط السلطان قابوس بن وشمگير في السنين التالية: ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) و ٣٧١ هـ (٩٨١ م) و ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م) و ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م).

وبعد عودته من جرجان، التي يحتمل أن تكون بين عامي ١٠٠٣ م و ١٠٠٤ م، استقبل بحرارة في مسقط رأسه من قبل الأمير أبي الحسن علي بن مأمون، وظل سبع سنوات برفقة أخي هذا الأمير، «أبي العباس

(١) نزهة القلوب لحمد الله المستوفي ص ١٩٦.
(٢) Sachau Dr. Adward Albirunis India II 434.
(٣) اذ اعتبرنا أن المسافة المقطوعة في كل يوم هي ٦ ليكَ (١٨ميل)، فحينئذٍ تكون المدة اللازمة لقطع ٩٦٠ ميل هي ٥٣ يوماً.
(٤) Gibb. h.a.r. Abn Battuta Travells in Asia and Africa. p167

مأمون بن مأمون خوارزمشاه»[٥] وأنيطت به عدة مهام سياسية وإدارية.

وقوع البيروني في الأسر:

قام السلطان محمود الغزنوي في ربيع عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) بفتح خوارزم، ثم نصب أحد أمرائه حاكماً للولاية وعاد إلى غزنة بغنائم كثيرة وجيش جرار، وأخذ معه عدداً من أمراء عائلة المأمون المخلوعة، وعدداً من الشخصيات كأسرى حرب، وكان البيروني من بين هؤلاء الأسرى[٦].

ولا نعرف إلى الآن كيفية وصوله إلى غزنة، وكذلك ليس هناك أي دليل على كون البيروني قد اشتغل في خدمة ملوك غزنة أو أنه كان أحد وزراء هذه الولاية.

ونحن لا نعرف أيضاً الطريق التي سلكها السلطان محمود بغنائمه الحربية إلى غزنة، ولكننا نستنبط ذلك من الأحداث المعاصرة لذلك الوقت. ويكون خط المسير الاحتمالي للأسرى والغنائم التي حملها السلطان محمود الغزنوي كالآتي:

من أورگنج إلى مرو:

من أورگنج إلى نزوار ــ ٦ ليكَ ومنها إلى أندرآبيان ٢ ليك ومنها إلى آردا خوش ميشان ــ ٦ ليك ومنها إلى ده أزرق ٧ ليكَ ومنها إلى هزاراسب ٩ ليك ومنها إلى سادور ١٠ ليك ومنها إلى دهان شير ٤ ليكَ ومنها إلى دارقان ٥ ليك ومنها إلى جاكا ربند ٧ ليك ومنها إلى رباط بوزنيه ٩ ليكَ ومنها إلى رباط طهري (طهيرية) ٥ ليك ومنها إلى زاغ آباد ٦ ليك. ومنها إلى نوشاگرو ٧ ليك ومنها إلى جاه هراوان ٧ ليك ومنها إلى جاه صاحبي ٧ ليك ومنها إلى جاه خاك ٧ ليك ومنها إلى رباط سوران ٥ ليك ومنها إلى قرية آبدان گنج ٨ ليك ومنها إلى قرية سقري ٢ ليك ومنها إلى قرية مرو ٥ ليك.

ويصبح مجموع المسافة بين أورگنج ومرو ١٢٤ ليكَ.

وأما الفاصلة بين مرو وهرات فهي كالآتي:

من مرو إلى فاز ٧ ليك ومن فاز إلى مهدي آباد ٦ ليك، ومن مهدي آباد إلى يحيى آباد ٧ ليك ومن يحيى آباد إلى كريميان ٥ ليك ومن كريميان إلى أسد آباد ٧ ليك ومن أسد آباد إلى خوارات ٦ ليك ومن خوارات إلى قصر الأحنف بن قيس ٤ ليك ومن قصر الأحنف بن قيس إلى مرو الرود ٥ ليك ومن مرو الرود إلى لوس رود ٤ ليك ومن لوس الرود إلى باغ شور ٥ ليك ومن باغ شور إلى غزار دره ٨ ليك ومن غزار دره إلى تون ٥ ليك ومن تون إلى بادقيز إلى سكّ آباد ٥ ليك ومن سكّ آباد إلى هرات ٥ ليك.

فيصبح مجموع المسافة ما بين مرو وهرات ٨٤ ليك[٧].

من هرات إلى غزنين:

ليس لدينا إطلاع دقيق عن فواصل المنازل الواقعة في هذه المنطقة إذ لم يتعرض أحد لذكرها سواء من السابقين للبيروني أو المعاصرين له،

(٥) Kennedy E.S. Dectionar of scintife biography p.3.
وكذلك لغتنامه دهخدا تحت عنوان (أبو العباس).
(٦) CF Sachau, L.IX: Ency IS-T, 1 1236 and Iane Poolo 2886.
(٧) تركنا كلمة (ليك) كما هي، دون أن نطبق عليها القاعدة النحوية.

ويكتفي الجميع بذكر يسماء وعدد هذه المنازل. ولكني[١]شاهدت بنفسي (كاتب المقال)، لعدة مرات هذه المنازل التي مر بها الاسكندر المقدوني قبل الميلاد، والبيروني كأسير لدى السلطان محمود، والتي ذكر أسماءها كل من ابن حوقل والاصطخري. ولا تزال الى الآن تحمل نفس الأسماء.

ووفقاً لما حصلت عليه من معلومات بهذا الشأن (عام ١٩٧١ م) فإن المسافات بين هذه الأماكن هي كالآتي:

من هرات إلى جادمن منزلة واحدة.

من جادمن إلى كوه سياه منزلة واحدة.

من كوه سياه إلى قناة سيري منزلة واحدة.

ومن قناة سيري إلى خاشان منزلة واحدة. ومن خاشان إلى كوستان منزلة واحدة ومن كوستان إلى ديزه منزلة واحدة ومن ديزة إلى فرح منزلة واحدة ومن فرح إلى جسر نهر فرح منزلة واحدة ومن هذا الجسر إلى سيرشك (زرنك) منزلة واحدة[٢]. ومن سيرشك الى كانكارا منزلة واحدة[٣]. ومن كانكارا الى بوست منزلة واحدة[٤]، فيكون مجموع المنازل خمس عشرة منزلة.

ومن جسر نهر فرح إلى جوواين منزلة واحدة ومن جوواين إلى بشتر منزلة واحدة ومن بشتر إلى كركويه منزلة واحدة ومن كركويه إلى زرنج منزلة واحدة فيكون المجموع ٦٠ ليك[٥].

ومن زرنج إلى زنتيق منزلة واحدة ومن زنتيق إلى ساروزان منزلة واحدة ومن ساروزان إلى قرية هاروري منزلة واحدة ومن قرية هاروري إلى رباط دي هاك منزلة واحدة ومن رباط دي هاك إلى آب شور منزلة واحدة ومن رباط كاروردين إلى كوهستان منزلة واحدة ومن كوهستان إلى رباط عبد الله منزلة واحدة ومن رباط عبد الله إلى بست منزلة واحدة ومن بست إلى رباط فيروز مند منزلة واحدة ومن رباط فيروز مند إلى رباط ميگون منزلة واحدة ومن رباط ميگون إلى رباط كير منزلة واحدة ومن رباط كير إلى بانج وي (بالقرب من قندهار) منزلة واحدة ومن بانج وي إلى تكين آباد منزلة واحدة ومن تكين آباد إلى خيرسانا منزلة واحدة ومن خيرسانا إلى رباط سرآب منزلة واحدة ومن رباط سرآب إلى اك منزلة واحدة ومن اك إلى رباط جنكل آباد منزلة واحدة ومن رباط جنكل آباد إلى قرية قارم منزلة واحدة ومنها إلى قرية خاست منزلة واحدة ومنها إلى جوما منزلة واحدة ومنها إلى خواب سر منزلة واحدة، ومنها إلى قرية خوش باجر منزلة واحدة ومنها إلى رباط نظر منزلة واحدة ومن رباط نظر إلى غزنة منزلة واحدة، ويكون مجموع هذه المنازل ٢٥ منزلة.

وعلى هذا يكون البيروني قد قطع في مسيرة أسره ٨٠ منزلة (ما يقارب ١٤٣٨ ميلاً) من أورگنج إلى هرات ومن هرات إلى غزنة ويكون معدل ما كان يقطعه في كل يوم ١٨ ميلاً.

(١) كاتب المقال.

(٢) Istakhri, P.199 Omits these stages

(٣) ابن حوقل ص ١٥٨ والمستوفي ص ٨١٩٨

(٤) المقدسي ص ١٥٠ (بسعك Callait).

(٥) المستوفي ص ١٩٨ والاصطخري ص ١٩٩.

وكانت جميع المناطق التي سلكها البيروني في رحلته تلك خاضعة للسلطان محمود، ومن المناطق الهامة التي تقع على طريقهم هي: خيوه، هزار أسب، داقان، طاهرية، آمل، مرو، مروورود، هرات، فرح جوواين، زرنج، وكانت بعض هذه المناطق آنذاك مراكز للحكم ومناطق ذات أهمية كبيرة.

وكان الأصطخري وابن حوقل والمقدسي واليعقوبي والمستوفي قد تعرضوا لذكر الأهمية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهذه المناطق.

وقد اطلع الكاتب (كاتب المقال) خلال سفره بين هرات ولاهور على فقدان مقدار كبير من المفاخر الأثرية بسبب عدم الرعاية والاهتمام ولاحظ الدمار الذي حل بالعديد من البنايات التاريخية الهامة.

في عام ٣٢٨ قبل الميلاد سلك الاسكندر هذه الطريق، وكذلك فعل طاهر ذو اليمينين (٨٢٠ ــ ٨٧٢ م) وهو الذي كان أول ملك مستقل من السلالات الإيرانية، إذ أخضع هذه المناطق لسلطته واهتم بتوسعة وإعمار بلخ وهرات وسيستان، مما كان له الدور الفاعل في إضفاء رونق وجمال على هذه المناطق وظهورها كمدن عامرة، احتلت مركزاً هاماً في حضارة العالم وثقافته وتاريخه.

ويجدر بنا أن نذكر بعض الأحداث المعاصرة للبيروني، فعلى سبيل المثال يذكر البيروني أنه سمع أصواتاً تحدثها بعض التلال الرملية، أثناء عبوره من تلك المناطق، فبالقرب من (كهان) يوجد تل رملي كبير نسبياً في وسط الطريق بين (پل فرح) و (جوواين)، ويعكس هذا التل الأصوات بشكل عجيب بحيث استرعى انتباه البيروني، فهذا التل يحدث صوتاً كصوت جلجلة الحروب المرعبة في حال سقوط ماء أو شيء آخر عليه. وتوجد مثل هذه التلال في الوقت الراهن ــ بين سيستان وكوهستان، وقد حاول الكاتب اختبار ذلك بسيارته ولكنه لم يصل إلى نتيجة.

أبو الريحان البيروني في الهند

ثمة العديد من الروايات الأدبية والتاريخية تتحدث عن إقامة البيروني في الهند. وتتحدث إحدى هذه الروايات عن إقامته في الهند لمدة أربعين عاماً، ولكن لا يمكن أن نصدق هذه الرواية، إذا ما لاحظنا تاريخ مغادرته لخوارزم، حيث أرغمه السلطان محمود الغزنوي على مغادرة خوارزم في عام ١٠١٧ م وقد توفي عام ١٠٥٠، فعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون الفترة التي أمضاها في الهند أربعين عاماً.

وثمة رواية أخرى تشير إلى مرافقته للسلطان محمود في دخوله الهند، اذ كان السلطان محمود قد هاجم الهند اثني عشرة مرة بين عام ١٠٠١ و ١٠٢٤ م. ولا نرى أن لهذه الرواية الكثير من الأهمية، أو يمكن اعتبارها سنداً تاريخياً صحيحاً، وكل ما يمكن أخذه منها، أن البيروني كان يرتبط بعلاقة صداقة مع محمود الغزنوي، والحقيقة أن البيروني سافر إلى الهند أثناء حكم السلطان محمود.

ويشير البيروني في بعض كتاباته إلى المشاكل الحياتية التي واجهها في تلك البلاد، وكيفية حصوله على الكتب السنسكريتية، إذ يقول:

«لقد تحملت المصاعب الجمة، من أجل الحصول على المال وعلى

الكتب السنسكريتية، ولم أتوان عن ذلك لحظة واحدة، فقد كنت عاشقاً لهدفي كل العشق. وأعتقد أني وحيد دهري في هذا المجال، إذ لم أكن أغفل مطلقاً عن جمع المال أو الكتب السنسكريتية، وكلما علمت محلاً يمكن الحصول على بغيتي فيه، أرغمت نفسي على الذهاب اليه، بل وصلت محاولاتي إلى الطرق البعيدة وإلى العلماء الهنود الذين يمكنهم تعليمي ما أريد». وكذلك يضيف بأنه حصل على مهارة في هذه المجالات رغم إمكانياته المحدودة، ثم يكتب ما يلي:

«ينبغي على كل عالم أن يسعى للحصول على فرص مساعدة وطيبة للدراسة كما فعلت أنا، ولربما تشمله رحمة الله وعنايته التي لم تشملني في هذا المجال. وأعتقد أني لم أحصل مطلقاً على ما كنت أحاول الحصول عليه، وبالتالي لم أعش حراً، مستقلاً وغير محتاج لأحد، إذ لم أكن صاحب منصب ولم يكن لدي ما يكفي من القدرة على ترتيب أعمالي وتحسين أموري»(١).

وثمة رواية أخرى، تتحدث عن ذهاب البيروني مباشرة إلى الهند، ورافق السلطان محمود في فتحه لسومنات. ولكن في الحقيقة أن البيروني لم يذهب إلى هناك مطلقاً، ويؤيد ما كتبه البيروني في هذا المجال صحة ما ذهبنا إليه، حيث يكتب:

«شاهدت من قلاع لاهور حتى ٣٤ درجة وعشر دقائق من العرض الجغرافي، وتبلغ المسافة بين لاهور وكشمير ٥٦ ميلاً، ونصف المسافة من المناطق الجبلية ونصفها الآخر من السهول. وأما درجات العرض الجغرافي التي استطعت تعيينها فهي كما يلي:

غزنه ٣٣ درجة و ٣٥ دقيقة.
كابل ٣٣ درجة و ٣٧ دقيقة.
كاندي(٢) [وهو مركز استقرار ولي العهد] ٣٣ درجة و٥٥ درجة.
دنپور(٣) ٣٤ درجة و٢٠ دقيقة.
لامگان ٣٤ درجة و٤٣ دقيقة.
بورشاور ٣٤ درجة و ٤٤ دقيقة.
واى هاند ٣٤ درجة و ٣٠ دقيقة.
جاى لام ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة.
قلعة ناندنا ٣٢ درجة.

وتبلغ السافة بين قلعة ناندنا ومولتان ما يقارب المائتي ميل.

سيال كت ٣٢ درجة و ٥٨ دقيقة. مانداكاكور ٣١ درجة و ٥٠ دقيقة مولتان ٢٩ درجة و٤٠ دقيقة.

ويمكن للقارىء معرفة الأطوال الجغرافية لهذه المناطق من خلال درجات العرض والمسافات الفاصلة بين هذه المناطق.

ولم يتسن لي خلال سفري إلى الهند، المرور بهذه المناطق، ولم أستطع الحصول على درجات عرضها وطولها من الكتب الجغرافية المختصة بالهند. وإذا ما سألنا لا يجيبنا أحد، ولم يبق سوى الله لإعانتنا في الوصول إلى هدفنا.

(١) Sachau. 1.28-9
(٢) تسمى منطقة كاندي برباط الأمير أيضاً، وربما كانت هي نفس منطقة كندمك أو مكاناً قريباً منها.
(٣) ربما كانت دنپور نفس جلال آباد الموجودة الآن.

وعلى أي حال، ينبغي أن نعرف أن أبا الريحان البيروني كان من أكبر علماء اللغة السنسكريتية. ويظهر بجلاء من خلال متابعة سيرته إنه تحمل الكثير من أجل جمع الكتب السنسكريتية التي يحتاج إليها في الوصول إلى أهدافه، وبذل المساعي المضنية في سبيل الاستعانة بعلماء الهند لترجمة هذه الكتب إلى اللغة السنسكريتية، وربما استطاع بعد ذلك بقليل التمكن من اللغة الهندية في ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م). ثم تخصص باللغة السنسكريتية. ولا نعرف إلى الآن اللغة التي كان يتفاهم بها مع علماء الهند في لقاءاته الأولى بهم، وعلى وجه الخصوص في غزنه. وأغلب الظن أنه كان يستخدم في الحديث معهم اللهجة الإيرانية الخوارزمية، إذ كان هندوس أفغانستان يجيدون هذه اللهجة من اللغة الفارسية. وحينما قمت بنفسي بزيارة أفغانستان، شاهدت هندوس وسيخ هذه البلاد يتحدثون باللغة البنجابية.

ويتحدث البيروني بصورة مختصرة عن الطريق التي سلكها من غزنه إلى الهند فيقول:

«ابتدأنا في سفرنا إلى الهند من كابل، وفي الحقيقة لا تنحصر الطرق المؤدية إلى الهند في طريقنا هذا، وإنما يمكن الوصول اليها من مختلف الطرق...».

صنم مولتان يدعى آديتيا:

ومن الأصنام المعروفة عندهم هو صنم مولتان وقد سمي بهذا الاسم (آديتيا) لأنه كان قد أهدي إلى الشمس.

وقد تم صنع هذا الصنم من الخشب وكسي بالجلد ورصعت عيناه بقطعتين من الياقوت الأحمر. ويعتقد البعض أنه صنع في زمن كارتيايوكا الأخير (Kritayuaga). وأغلب الظن أن ذلك كان في أواخر عهد سلالة كارتيايوكا.

(تأسست سلالة كارتيايوكا في عام ٢١٦ وانتهت عام ٤٣٢ م).

وحينما فتح محمود بن الكاظم بن المنابية مدينة مولتان سأل أهلها عن سبب شهرتها وغناها، فأجابوه بأن وجود الصنم فيها هو سبب ذلك، إذ يتوافد الزوار عليه من الأطراف والمناطق المجاورة، ومن ثم فضّل ابن المنابية إبقاء هذا الصنم واكتفى بوضع قطعة من لحم البقر في عنقه، للسخرية.

ثم أقيم مسجد في نفس المكان، وحين احتل كارماتيان مدينة مولتان، عمد جلام بن شيبان إلى تحطيم الصنم، وأقام لنفسه قصر شامخاً على قمة شماء، وجعل هذا القصر على نمط القلاع العسكرية، وبناه من الآجر، ثم هدم المسجد الذي بني على الطراز الأموي، وأقام بالقرب منه مسجداً آخر.

وحين احتل السلطان محمود الغزنوي تلك النواحي، أمر بإعادة بناء المسجد القديم وأسماه مسجد الجمعة. وأما المسجد الآخر فقد تركه الناس شيئاً فشيئاً حتى آل إلى الخراب ولم يعد الآن إلا مستودعاً صحراوياً لجمع العلف(٤).

الأمطار في الهند: تسقط في الهند، أثناء فصل الصيف أمطار حارة،

(٤) Sachau, I, 156-7.

وتسمى بـ (وارشـاكالا Warshakala) وتتصف هـذه الأمطار بغـزارتهـا وقصر فترة هطولها، ويكثر سقوطها في المناطق الشمالية للهند التي تحتوي على سلاسل جبلية أقـل من غيرهـا من المناطق الأخـرى في الهند. وقـد أكد أهالي مولتان للمؤلف بـأن الوارشـاكالا لا تسقط في مـدينتهم وإنما ينحصر هطولها على المناطق الشمالية بالقرب من السلاسل الجبلية.

سولا استار Sula star:

ينقل سي ري بالا Sripla بأن أهالي مـولتان يشـاهدون نجمـة حمراء أثناء الصيف، بالقرب من مدار كانوبـوس Canopous ويسميها هؤلاء بنجمة سولا Sula أو السهم الصليبي، ويعتقد الهنود بـأنها أمارة الشؤم أو الخـطر، ويكـون ذلـك حينـما يقف القمــر في مـوضــع («بـورواب هادراباداء Pur vab hadrapada).

١ ــ الحوض المقدس: يوجد في مولتان حوض، يستخدمه الهندوس ــ إذا لم يَحل بينهم وبين ذلك ــ للاغسال العبادية.

٢ ـ معبـد الصنم: يقوم الهنـدوس في هذه الايـام بزيـارة كشمـير، وكانوا يبدون رغبتهم القوية في ذلك قبل ان تؤول مولتان الى الخراب.

ومن خلال مراجعـة خريـطة المدن البـاكستانيـة التي مر بهـا البيروني والتي حدد درجات العـرض الجغرافي لهـا، نلاحظ اختـلافاً بسيـطاً بين تحديد البيروني، والدرجات المثبتة على الخرائط الحديثة، وفيما يلي نـذكر بعض هذه الفروق.

الدرجات التي حددها البيروني:

بشاور ٣٤ درجة و٤٤ دقيقة
وي هاند (هاند) ٣٤ درجة و٣٠ دقيقة
جلوم ٣٣ درجة و٢٠ دقيقة
ناندانا ٣٢ درجة وصفر دقيقة
سيالكوت ٣٢ درجة و٥٨ دقيقة
لاهور (مانداكور) ٣١ درجة و٥٠ دقيقة
مولتان ٢٩ درجة و٤٠ دقيقة

الدرجات الصحيحة وفقاً للخرائط الحديثة:

بيشاور ٣٤ درجة و٢٥ دقيقة
جلوم ٣٢ درجة و٢٠ دقيقة
ناندانا ٣٢ درجة و٤٣ دقيقة
سيالكوت ٣٢ درجة و٢٠ دقيقة
لاهور (مانداكور) ٣٠ درجة و٣٥ دقيقة
مولتان ٣٠ درجة و١٢ دقيقة.

وقـد كانت آخـر مرة وجـد فيها البـيروني في الهند في عـام (٤٢٠ هـ ١٠٢٩ م) ويحتمـل أن يكون قـد زارها عـدة مرات بـين عام (٤١٠ هـ ١٠١٩ م) وتلك السنة، وعلى هذا الأساس تكـون الفترة التي أمضـاها البيروني في الهند لا تتجاوز العشر السنوات[١].

بعض النقاط الهامة في حياة أبي الريحان البيروني:

١ ــ كـانت ولادته في مـدينة كـاث في ذي الحجة من عـام ٣٦٢ هـ الموافق للرابع من سبتامبر عام ٩٧٣ م.

٢ ــ عاش في مسقط رأسه (كاث) من ٣٦٢ هـ إلى ٣٨٨ هـ أي من (٩٧٣ ــ ٩٩٨ م).

٣ ــ اشتغل في بلاط منصـور الثاني ابن نـوح الثاني في كـاث في عام ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م).

٤ ــ اشتغـل في بـلاط قـابـوس بن وشمگـير بـين عـامي ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) و ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م).

٥ ــ رجع إلى كاث قبل ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م).

٦ ــ اشتغل في خدمة أبي الحسن علي بن المأمون أخي خوارزمشاه في مدينة كاث بين عامي ٤٠٠ و٤٠٨ هـ (١٠١٠ ــ ١٠١٧ م).

٧ ــ اعتقل في غزنه عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م).

٨ ــ أمضى فـترة عشر سـنـين (٤١٠ ــ ٤٢٠ هـ/ ١٠١٩ ــ ١٠٢٩ م) في السياحة في البنجاب.

٩ ــ رجع إلى غزنة عام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م).

١٠ ــ اشتغـل في بلاط السلطان مسعـود الغزنـوي بـين عـام ٤٢١ و٤٣٢ هـ (١٠٣٠ ــ ١٠٤١ م).

١١ ــ اشتغـل في بلاط السلطان مـودود في غزنـة بـين عـامي ٤٣٢ و ٤٤١ هـ (١٠٤١ ــ ١٠٤٩ م).

١٢ ــ تـوفي في غزنـة عام ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) ولا يُعـرف مـوضـع دفنه.

تأثير البيروني على الميتافيزيقيا في الهند

بقلم محمد صابر خان

على الرغم من كون البيروني (ت ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م) عالماً بكـل ما لهذه الكلمة من معنى في وقتنا الحاضر، إلا أنه تعرّض بـالتفصيل لشرح مفاهيم: الله، الروح والجسم في الفلسفة الهندية في كتابه «في تحقيق ما للهند» وقد كانت للبيروني معرفة دقيقـة بالأديـان القديمـة وخصوصـاً ما كان منها في الهنـد. وليس هذا الأمـر بعجيب، إذ كانت دراسـة الأديان ــ التي تشكـل الآن جزءاً مهـماً من الفلسفة ــ إحـدى المؤثرات القـوية للحضارة الإسلامية على التطور الفكري لبني البشر. وقد كتب العديـد من الباحثين والمحقّقين المسلمين بحوثاً فلسفية عن أديان الشعـوب التي لا تدين بالإسلام، وكانت بحوثهم هذه في منتهى الحيادية والموضوعيـة ومن بـين هذه الكتب، مؤلفـات البيروني في مجـال الميتافيـزيقيا في الهنـد والتي كانت من أفضل التحقيقات في هذا المجـال، لأنها اعتمدت عـلى كتب الهندوس المقدسة وليس على روايات الآخرين.

وتعتمـد الميتافيـزيقيا الهـندوسية بصـورة رئيسية عـلى (بهاگـوادگيتا) (وهي متـون سنكهيا كـابيلا ويـوگاشـو تراى پـاتانجـالي). ولم يتعرض البيروني في بحوثـه لتعاليم المـذاهب الفلسفية الأخـرى للهندوس مثـل

(١) يوجد فستيـوال (معبد خـاص) لهندوس مـولتان، يسمى (سـامبابـورا يـاتـدا) Sambapurayatra ويستخدمونه لعباداتهم وتحليلهم للشمس.

نيايا، وايسيكا، ودانتا، ميمانسا وغيرها ولا التعاليم البوذية والجينيسم.

ويختص الفصل الثاني من كتاب (في تحقيق ما للهند) في بحث المفهوم الهندي لله. ويذكر البيروني في البداية درس العقائد التي يحملها عامة الناس واتضح له أن هؤلاء العامة يحملون اعتقادات دينية تختلف من مجموعة إلى أخرى، ثم يضيف بأن طلاب العلم لهم القدرة على فهم العقائد النظرية حول الله، بينما لا يفهم العوام إلا ما يمكنهم الإحساس به وإدراكه. وقد درس البيروني بالتفصيل عقائد الهندوس المتعلمين وعقائد العوام حول الله وأوضح التفاوت فيما بين عقائد الطرفين.

الله:

يعتمد البيروني بصورة رئيسية على (ودا) الذي نزل على برهمن ويقول برهمن في (ودا): «اسمه يثبت وجوده، فحيثما يكون ثمة خبر فلا بد من وجود شيء يتعلق به هذا الخبر. وهو غائب عن الحواس ولا يمكن إدراكه بها، ولكن الروح تدركه وتحيط بصفاته. الراحة ترافق العبادة الخالصة له، ويمكن نيل السعادة بمواصلة هذه العبادة».

ويضيف البيروني قائلاً: «يعتقد الهندوس بوحدانية الله وخلوده وأزليته وأبديته، وأنه قادر، حكيم، حي، محيي، حاكم، حافظ، واحد في ملكوته ومنزّه عن كل شبه واختلاف، وهو لا يشبه أحداً ولا يشبهه أحد».

ويستند البيروني في آرائه إلى الآثار الدينية والفلسفية للهندوس وينقل عن (بهاگوادگيتا) بعضاً من البهاراتا، الفصل العاشر الفقرة الثانية والثالثة:

«لم يبدأ عالمي بالولادة ولا ينتهي بالموت، ولا أقصد الأجر من وراء أعمالي. وليس لي علاقة خاصة بجماعة من الخلق، فالصديق واحد والعدو واحد، وقد أعطيت كل مخلوق قدر حاجته، ولذلك فإن كل من عرف صفتي هذه وسعى إلى الإقتداء بي، ستطلق رجلاه من القيود، ويسهل انعتاقه ونجاته».

وفيما يلي حديث آخر من (دوا) نقلاً عن نفس الكتاب:

«إن الطمع هو الذي يجعل أغلب الناس يلجأون إلى الله في طلب حاجاتهم. ولكن إذا حققت النظر في عملهم، سترى أنهم لا يزالون بعيدين عن المعرفة الدقيقة له، إذ لا يتجلى الله لأحد، ليتسنى له ادراكه بحواسه، وإذن فهم لا يعرفونه. وبعض هؤلاء لا يرتقون عما تدركه حواسهم، وبعضهم أقل شأناً من ذلك، ولكنهم يقفون عند قوانين الطبيعة، ولا يفقهون أن ثمة أحداً، لم يلد ولم يولد، هو فوق كل هذه القوانين، ولا يطال جوهر وجوده علم أحد، ويحيط علمه بكل شيء.

ويتحدث البيروني في بحوثه عن الاختلاف الدقيق لمفاهيم أيشوَر (مصطلح يعني حاكم العالم) ودِوا (مصطلح يعني الآلهة المشعة) وعن استحقاق دِوا للحمد والعبادة ولكنه ليس إلهاً. وينسب البيروني هذا المفهوم إلى أشوَت (شجرة التين المقدسة) التي تتميز بكون جذورها منتصبة إلى الأعلى وأعضائها نحو الأسفل، ويشير هذا الوجود النوراني إلى برهمن. ويعتبر استناد البيروني إلى هذه الشجرة صحيحاً، ويشرح البيروني العقائد الموجودة في بهاگوادگيتا، ١٠، ٢٦، ١٥، ١ و ٢ و(كاتها أو بانيشاد ٢ و ٣١).

«يوضح لردشري بها گوان لأرجُن بانه روح جميع الأشياء ووارث كل شيء وكذلك هو المبدأ والمحور والنهاية، ويمكن تشبيهه بشجرة أشوت التي تتجه جذورها نحو الأعلى وتمتد أغصانها نحو الأسفل.

ونقلاً عن المتعلمين فإن أيشوَر هو: «الغني الرحيم، وهو الذي يعطي ولا يأخذ، وهؤلاء يعتقدون بأن وحدانية الله مطلقة. وبدون وجود الله وجوداً واقعياً، لأن وجود كل شيء يتعلق بوجوده. ويمكن تصور وجوده وعدم وجود الموجودات، ولكن من المستحيل تصور وجودها وعدمه».

ويعتقد البيروني بأن الله هو العلة الأولية، أي غاية جميع العلل، ويضيف بأن اليونانيين القدامى يقتربون في هذا المجال من الهندوس، وكذلك يقترب هذا الرأي من رأي الصوفيين. ويمكن أن يكون (الله) هذا هو نفس واجب الوجود لدى ابن سينا.

وبالإضافة إلى ذلك، يذكر البيروني بأن عوام الهندوس الأميين يعتقدون بتشبه الله بالإنسان، ولكن المتعلمين من الهندوس يرفضون هذا الاعتقاد. ويصف أحد الأميين من عوام الهندوس علم الله، بأنه ذو ألف عين.

ويضيف البيروني قوله: «... وفي أوساط الهندوس، يجتنب المتعلمون هذه الاعتقادات القائلة بتشبه الله بالإنسان، بينما يتمسك بها العوام كثيراً، ويتجاوزون ما ذكرناه إلى ما هو أبعد منه، فهم ينسبون إلى الله الزواج والابن والبنت وسائر الأحوال الجسمانية، ولا يتورّعون عن الخوض في أمور غير مناسبة حينما يتكلمون عن هذه الأمور».

ويشير البيروني إلى نظرية الفعل، فيقول أن الهندوس يختلفون في تعريف الفعل والفاعل. فبعضهم يعتقد بأن الله هو مصدر الأفعال وهو علة الأشياء. «ويعتقد البعض الآخر بصدور الفعل عن أسباب أخرى غير الله، فلكل فعل علة خاصة به، ويرى آخرون بأن اتحاد الفعل والفاعل يتم تحت تأثير الطبيعة، ولا بد لمثل هذا الأمر أن يتعرض لزيادة أو نقصان، كما هو حال جميع الأشياء الأخرى. وثمة أفراد آخرون يعتقدون أن الروح هي مصدر الأفعال، حيث ورد في(ودا): إن كل موجود يستمد وجوده من (بوروش)».

وبعد حديثه عن الاختلاف حول الفعل والفاعل، يذكر البيروني: «وكل هذه الآراء غير صحيحة، فالحقيقة أن الفعل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمادة، لأن المادة هي التي تخلق الروح وتخضعها لظروف شتى ثم تعتقها، وعلى هذا الأساس فإن المادة هي الفاعل وتساهم في انجاز الفعل جميع متعلقات المادة. وأما الروح فهي ليست فاعلاً لأنها عارية عن مختلف القابليات».

ويشير البيروني كذلك إلى اللافعل اللاإرادي (نيسكاما ــ كارما) الذي ذكر في (بهاگوادگيتا) ٣، ٣٠، ٤، ٢١، ٦، ١٠.

ويعتبر الهندوس مسألة الخلق أمراً في غاية الأهمية، على غرار ما هو موجود عند المسلمين والمسيحيين، وقد تعرض البيروني لبحث مسألة الخلق من وجهة نظر الهندوس، وأوضح بأنهم ينظرون إلى جميع الخلق

على أنهم مجموعة واحدة، وتحت عنوان المعقولات يصف الله على أنه العقل الصرف، والأفراد أو الموجودات المنفصلة على أنها (دوا بوروش) العناصر المادية أو الطبيعة على أنها المحسوسات. وهي تشمل أربعة وعشرين جزءاً. فالله هو الخالق، ويعني ذلك أن الطبيعة صادرة عنه، وفي نفس الوقت توجد عدة نظريات متضاربة فيما بينها حول الخلق ونشوء العالم، ولكن البيروني لم يتعرض لذكرها[١].

وتختلف المعتقدات السامية في هذا الشأن عن الاعتقادات الهندية اختلافاً تاماً، إذ تعتقد السامية بالخلق الأول والخلق من العدم، بينما يرى المفكرون الهنود أن لا وجود للخلق الأول وإن الخلق تم من الذرات الأبدية الموجودة مع الله.

ويمكننا أن نعتبر ما كتبه البيروني عن المفهوم الهندوسي لله والذي مر ذكره أعلاه، صحيحاً بصورة عامة، فهو يتعرض بصورة رئيسية لآراء المتعلمين حول الله، بينما لا يتطرق للبحث في الآراء التوحيدية التي فصلت في (أوپانيشادها) وفي (أدَويت وِدانتا).

الـــــروح:

وينقل البيروني عن (سانكهيا) بحثه عن الفعل والفاعل فيما يتعلق بموضوع الروح، حيث يكتب ما يلي:

«ويقول البعض بعدم فعالية الروح وانعدام الحياة في الجسم، وأن الله الذي هو قائم بذاته، يخلق موجوداً يربط بين الروح والجسم ويفصل بينهما، ومن ثم فهو الفاعل، والفعل صادر عنه، وهو سبب حركة الروح والجسم، وبناء على ذلك فإن الحي القوي هو الذي يحرك الميت والضعيف[٢]

والروح أو (آتمان) هي فاعل حي، وتقوم بربط الأفراد بالمادة بسبب فعالية (كارما) وهي دائبة للتحرر من الارتباطات الجسمانية. وتحظى الروح بالهداية لما أودعه الله من عقل فيها. ويمكن أن يعرض الله من خلال معرفة (جنانا) والفعل الصحيح أو الفعل اللاإرادي الذي هو الطريق إلى (موكشا) أو الانعتاق من العبودية الأرضية. وتستمر هجرة الروح هذه حتى يحصل هذا الانعتاق. ويشبه البيروني انتقال الروح من جسد وحلولها في جسد آخر؛ بخلع لباس قديم وارتداء لباس جديد بدلاً عنه[٣].

ويوضح البيروني عملية انتقال الروح بقوله: تسير الهجرة أو التناسخ سيراً صعودياً من الأسفل إلى الأعلى وليس العكس. ويرتبط اختلاف هذه المراحل صعوداً ونزولاً، باختلاف الأفعال، وهو ناشيء عن التنوع الكمي والكيفي للأمزجة والدرجات التركيبية المختلفة، وتظهر هذه الأمزجة والدرجات في اختلاف المراحل»[٤].

وتشتاق الروح باستمرار إلى الإتحاد بالبدن، ومن ثم فهي تتحد مع الأرواح الواسطة، ومن جانب آخر فإن المادة تسعى أيضاً للإتصالات والاتحاد مع الروح. «وتوجد المادة مع الامكانيات المتعلقة بالروح. ويشبه الهندوس المادة أو (براكيتي) بالراقصة التي تجيد فنها وتعلم تأثير كل حالة أو حركة تؤديها»[٥].

ويتعرض البيروني للحديث عن الروح والمادة والعقل بقوله: «يعتقد الناس بشبه الروح بماء المطر الذي ينزل من السماء، فهو دائماً بهذه الصورة وله نفس الماهية. ولكنا إذا ما وضعناه في آنية، كآنية الذهب والفضة والزجاج والطين والتراب فإن شكله الظاهري وطعمه ورائحته ستتغير، وعلى هذا الأساس لا يكون للروح أدنى تأثير على المادة، اللهم إلا منحها الحياة للاتصال القريب الذي يحصل بينهما. ويمكن تشبيه التعاون بين الروح والجسد بمساهمة الزيت الجديد والفتيلة الجافة وشعلة النار في إيجاد النور، والروح في المادة كالحصان مع العربة، فهو يمتلك الحواس ويسير العربة كما يشاء، ولكن الروح تسيّر بدورها من قبل العقل، ويستمد العقل الهامه من الله. وهؤلاء يصفون العقل بأنه الشيء الذي تدرك حقيقة الأشياء به، فهو طريق معرفة الله ويشتمل على الأفعال الحميدة»[٦].

ويعني (موكشا) أو انعتاق النفس؛ التحرر من الوجود الأرضي أو (سامسارا) وإنهاء الارتباط بين النفس والبدن، ويمكن مشاهدة مثل هذا الاعتقاد في التعاليم الصوفية، ولا يعطي مفهوم (موكشا) معنى ارتقاء النفس بصورة دقيقة، على الرغم من اشارة البيروني ــ كما يبدو ــ إلى نظرية انفصال النفس عن البدن. ويتحدث البيروني عن وجود طرق مختلفة للوصول الى (موكشا). وقد ورد هذا المفهوم (موكشا) في الفصل الرابع من بهاگوادگيتا و (يوگاشوتراي باتا نجالي) على أنه المعرفة والعبادة والابتعاد عن النفس.

المادة:

بخصوص المادة، يذكر البيروني بأنها تحدث من ارتباط ثلاثة قوى أولية، وهذه القوى هي مظهر لأمور ثلاثة مختلفة هي ساتوا (جزءاً أو فرع الظهور) وراجاس (فرع القوة) وتاماس (فرع الكتلة)، حيث تؤثر هذه القوى على بعضها في سبيل ايجاد المادة. ويوضح البيروني بأن الطبيعة (براكريتي) هي حالة تعادل بين هذه القوى. وقد نشأت هذه النظرية في العقائد الفكرية لـ (سانكهيا) ولقد أخطأ البيروني حينما سمى هذه الأمور الثلاثة بالقوى، لأنه ليس كل هذه الأمور قوى، بل هي عناصر ثبات المادة.

ويعتقد الهندوس بوجود خمسة عناصر في الكون هي الأثير والهواء والنار والماء والتراب وتسمى - (مهابهوت) أو العناصر الكبيرة. ثم يستمر البيروني في بحثه بتوضيح كل عنصر من هذه العناصر الخمسة ويقول «والهواء هو الواسطة بين الماء والنار النقيضين لبعضهما فهو يرتبط بالنار برقته ويرتبط بالماء بكثافته، وهو بامتلاكه لهاتين الخاصيتين، يعطي لكل من الطرفين القابلية على الاختلاط مع الآخر.

طرق الانعتاق:

وأما بخصوص طرق الانعتاق أو (موكشا)، فيتحدث البيروني عن

---

(١) مثل النظريات التي بحثت في (نيايا) و (ويسسيكا) و (ودانتا) و (ميمانسا) وغيرها، فهذه النظريات تختلف فيما بينهما، بل وتتناقض أحياناً.

(٢) المتن، صفحة ٢٢. الترجمة ص ٨٣٠ وقد زالت (السانكهيا) الأصلية، وأما آثار السانكهيا شوترا الموجودة فهي آثار متأخرة كثيراً عن الأولى.

(٣) المتن، ص ٣٩. الترجمة ص ٥٢.

(٤) المتن، ص ٣٨. الترجمة (الفارسية) ص ٥١.

(٥) الصفحة رقم ٣٥ من المتن، وصفحة ٤٧ من الترجمة الفارسية. وترجمة زاخو غير واضحة دائماً، ولذلك اضطررت الى تغيير بعض الأمور في سبيل التوضيح (مترجم المقالة الأصلية).

(٦) صفحة ٣٧ من المتن وصفحة ٤٩ من الترجمة الفارسية.

وجود ثلاثة طرق كفيلة ببلوغ ذلك وهي العبادة والمعرفة والسلوك أو الفعل. وهي في الاصطلاح الهندوسي بهاكتي، جنانا أو المعرفة عن طريق التعلم وغيره و (كارما) أو (كيرايايوگا) أو السلوك المرافق للأعمال الأخلاقية ومنها (سانياس) أو ترك النفس. ويستند البيروني في تأييد ودعم بحوثه إلى الفصل السابع من بهاگوادگيتا. والإنسان سعيد حينما يكون في طلب المعرفة، والوصول إلى الإنعتاق عن طريق المعرفة لا يمكن إلا بالابتعاد عن الشر الذي يمكن تقسيمه الى ثلاثة أقسام هي الطمع والغضب والجهل. ويشير البيروني إلى طريقة رابعة لتحقيق هذا الهدف وهي التأمل الفكري الذي يسمى (رساين)، ويذكر (باتانجالي) كمصدر له في ذلك. ونحن نشك في صحة هذا الاستناد، اذ لا نجد ذكراً لهذه المسألة في (يوگا شوترای باتا نجالي) الموجود الآن.

المصادر:

وقبل أن نختم مقالتنا هذه يجدر بنا البحث في المصادر التي اعتمدها البيروني في بحثه حول الميتافيزقيا في الهند. فالبيروني كان في الحقيقة عالماً ورجل علم وعمل، وفي نفس الوقت يثمن ويدرك مدى أهمية المصادر المكتوبة. فقد كان كأي مؤرّخ في الوقت الراهن يعتمد المصادر المكتوبة في تأليفاته، وقد استند إلى الكتب المقدسة لدى الهندوس والمكتوبة باللغة السنسكريتية، في بحوثه حول الميتافيزقيا لدى الهندوس.

ومن الطبيعي ألا تتوافر لديه جميع هذه المصادر التي يحتاج إليها. وقد كان على حظ وافر من إجادة اللغة السنسكريتية والقدرة على الاستفادة المباشرة من المصادر الأصلية، وكما ذكرنا آنفاً فقد كان يستند في أغلب بحوثه إلى بهاگوادگيتا ويشنو ــ يوشوران وسانكهيا، ويوگا ــ شوترا، وقام البيروني بترجمة الكتاب الآخر إلى العربية ولا يزال موجوداً في الوقت الحاضر.

وقد أصاب البيروني في بعض ما أخذه من تلك المصادر ــ كما مر ذكره آنفاً ــ ولكنه لم يذكر ــ في البعض الآخر ــ إلا خلاصة لتلك المواضيع وليس الترجمة الكاملة لها. ولا يمكن العثور على بعضها في المتون السنسكريتية. وأما استناده إلى (ودا) فهو ناقص ومبهم، ويبدو أنه كان على معرفة أكبر بـ (أوپانيشاد) الذي يتصف بالجينية الميتافيزيقية أكثر من غيره. ودون شك فهو لم يكن يستند الى الأقوال وإنما يستعين بأفضل المصادر التي يمكنه الوصول اليها.

وتتميز بحوث البيروني بكونها جديدة تماماً ومطابقة للأساليب الحديثة التي يسلكها علماء العصر الحاضر في بحوثهم، وهو يقارب الرؤى الميتافيزيقية للهندوس برؤى اليونانيين من جهة والصوفيين من جهة أخرى، ويستند في مقارنته هذه الى المصادر الأصلية لكلا الطرفين، حيث كان يجيد اللغتين اليونانية والعربية.

استنتـــــــــاج:

وفي ختام مقالتنا، يمكن أن نقول بأن البيروني عرض بإيجاز وبصورة صحيحة نسبياً المفاهيم الأساسية للميتافيزيقية السائدة آنذاك ــ في أوساط المتعلمين والعوام في الهند في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي. وفي الحقيقة كانت هناك مصادر واسعة ومتنوعة لهذا الموضوع، لم يكن البيروني مطلعاً إلا على القليل منها. وعلى هذا الأساس كانت معرفة البيروني ومعلوماته محدودة في هذا المجال.

ولا بد أن يكون البيروني قد واجه مشاكل ومصاعب جمة في دراسته لهذا الموضوع، لكونه مسلماً أجنبياً في بلاد الهند، ويبدو واضحاً أنه استطاع بقوة ارادته وبشغفه في الإحاطة بهذا الموضوع التغلب على بعض هذه المشاكل.

ويبدو أن البيروني لم يكن يعرف شيئاً عن البوذية والجينية، لاحتمال أن تكون هذه الأديان مجهولة تماماً بالنسبة اليه، واضافة إلى ذلك، لم يكن يعرف أي شيء عن النظريات الأساسية لفلسفة الهندوس التي تشكل القاعدة الأساسية للميتافزيقية لديهم.

وعلى الرغم من وجود هذه النواقص، فإنه كتب بالعربية بعضاً من أروع الصفحات في فلسفة وأديان الهند، وهي من أفضل وأدق ما كتبه المحققون والكتّاب المسلمون في هذا المجال.

ويندر أن نجد في القرون الوسطى مثل الرؤية الموضوعية والمحايدة التي كان البيروني يتصف بها، وطول باعه في فهم وتفسير الميتافيزيقية لدى الهندوس بالاستناد الى كتبهم المقدسة.

ويبقى البيروني يحتل موقعاً رفيعاً بين جميع الذين كتبوا عن تاريخ الفكر في الهند.

البيروني والميثولوجيا

بقلم هوشنك مير مطهري

لسنا نقصد هنا أن نكتب عن تاريخ العلم بكثير من الدقة، أو نشير الى جميع أعمال البيروني، وإنما نحاول أن نشير اشارة اجمالية الى ماضي هذا العلم ومنزلة البيروني في توجيهه نحو مساره الواقعي.

وفي المقدمة ينبغي أن نقول بأن الحضارات انتقلت منذ بدء التاريخ من الشرق إلى اليونان ثم انتقلت من جديد من الاسكندرية وأثينا إلى إيران فيما قبل الإسلام، وعادت مرة أُخرى لتنقل من البلدان الإسلامية إلى أوروبا ومن أوروبا إلى بلدان العالم، وكان انتقال العلوم والثقافات الإسلامية إلى أوروبا عن طريق الحروب الصليبية وعن طريق الأندلس.

وقد انتشر في أوروبا نوع جديد من التحقيق الأكاديمي من خلال العلوم الإسلامية المتطورة، ويرتكز هذا النوع الجديد على حضارات للبلدان القديمة ذات الثقافات التاريخية الأصيلة، مثل حضارة الهند وإيران ومصر وسورية وبلاد ما بين النهرين وسومر وأكد وغيرها.

ولو لاحظنا الآثار العلمية القديمة للاحظنا أن علماءنا هم مؤسسو الحضارة القائمة الآن، وكذلك ينبغي أن ندرك أن نفوذ الحضارة الإسلامية في أوروبا وكذلك انتشار طرق التحقيق الحديثة فيها يعود لبعض العلماء من أمثال محمد بن زكريا الرازي والبيروني وابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي وغياث الدين الكاشاني ومسكويه وكثير غيرهم ويظهر مدى التفاوت الكبير بين ما أخذته أوروبا من حضارة إيران والرومان واليونان والهند وسائر الحضارات القديمة وما أخذته من الحضارة الإسلامية.

وقد كتبت السيدة گواشون ــ وهي محققة فرنسية كتبت الكثير عن

مؤلفاته ابن سينا وقارنت أفكاره بأفكار أرسطو ـ في كتابها عن ابن سينا. إن ابن سينا عرف في أوروبا قبل أرسطو بمائة وخمسين سنة ونشرت فيها مؤلفاته.

ومن هذا ندرك أن معرفة أرسطو وأفلاطون وسائر فلاسفة ومحققي البلدان القديمة من سبقوا الإسلام، إنما جاءت من خلال نفوذ الحضارة الإسلامية التي كانت حصيلة جهود جميع علماء الإسلام من كل شعوبه.

وإذا كانت الأسس المنطقية قد حصلت من خلال كشف العلاقة بين الاستقراء والقياس والنسب العقلية لمختلف القضايا، وبلورت هذه الأسس الفكر البشري في شكل خاص لقرون متمادية واستحوذت على العقول البشرية لفترات طويلة وهي بعد ذلك كله من المفاخر الخالدة لليونانيين، فليس ثمة شك أن الميثولوجيا أو علم المنهج أو علم استخدام المنطق في العلوم المختلفة أو معرفة الأسلوب الكفيل بتوظيف العقل لاكتشاف العلاقات الموجودة في الطبيعة وكيان الإنسان وجميع المواضيع التي ترتبط بالحقيقات العلمية التي يمكن أن تساهم في تكامل المعارف البشرية وتؤدي إلى معرفة الإنسان لنفسه ولمحيطه وبيئته وإلى النتائج التالية:

١ ـ زيادة قوة التمييز والتشخيص والتصنيف والتحليل فيما يخص العلاقات بين الظواهر المختلفة.

٢ ـ اتخاذ أسلوب عقلي ونفسي دقيق فيما يتعلق بالظواهر الخاصة التي تخضع للتحقيق.

٣ ـ ايجاد أبعاد جديدة للقدرة البشرية على فك أسرار الخلق. نقول إن الميثولوجيا كانت حصيلة جهود وأتعاب علماء مثل البيروني وابن خلدون ـ على غرار علم الاجتماع ـ قبل أن تكون حصيلة جهود أوگست گنت ومساعي البيروني قبل أن يكون حصيلة جهود المحدثين من العلماء.

ونؤكد بأن تدوين الميثولوجيا يعد من مختصات حضارة الإسلام وخصوصاً أبو الريحان البيروني، قبل أن يكون من الانتاجات الفكرية لكلود برنارد وديكارت.

وإذا قارنا حجم المعارف التي أثرت في أوروبا من حضارات اليونان والهند والاسكندرية، والتي اختلطت مع بعضها في المجتمعات الإسلامية، وأمكن الوصول اليها في عصر ازدهار هذه الحضارة إذا قارنا هذه المعارف مع تلك التي نقلها الأوروبيون من ثقافات اليونان والهند وغيرها، رأينا أن الأوروبيين لم يتصلوا بصورة مباشرة بتلك الحضارات إلا من خلال بعض الأسماء القليلة والكتب المحددة. وإضافة إلى ذلك فإن الكثير من الكتب اليونانية قد ضاعت متونها الأصلية ولم يبق منها إلا الترجمة العربية، ولأجل أن نثبت ذلك بالأدلة القاطعة، يجدر بنا أن نورد بحثاً دقيقاً وتفصيلاً لذكر تلك الكتب وهذا ما لا يتسع له المجال هنا، وإذا كانت ثمة اكتشافات جديدة حصلت على أيدي الأوروبيين، فإنما كان ذلك في مجال الفنون الجميلة والنحت والبناء والفنون المعمارية، وكل ذلك لم يكن المسلمون يعنون كثيراً في بحثه بحثاً علمياً، رغم أن المسلمين أضافوا إلى التراث اليوناني كثيراً فيما يخص العلوم الموسيقية، حيث تخطى الفارابي اليونانيين في هذا المجال وبرز بصورة تثير الإعجاب.

وإذا طالعنا أسس هذا العلم (الميثولوجيا) وقوانينه في البيروني من خلال مجموعة آثاره العلمية، فلا مناص من إنصافه كأحد المؤسسين لهذا العلم، حيث كان يحقق ويحلل بمنتهى الدقة في جميع المجالات التي يتناولها العلم الجديد.

وكان يستند في جميع المجالات إلى أقوى الأدلة، ويعمد إلى النقد والتحليل والمقارنة بين الآراء المتنوعة، وينتهج الحيادية التامة في الإصغاء إلى هذه الآراء، ولا يعني بأي عقيدة مهما كانت لكون حاملها صاحب نفوذ أو صاحب شهرة، وكان اهتمامه ينصب على التجربة والمقارنة بين مختلف النظريات معتمداً في ذلك على تحقيقه الشخصي ودقته الكبيرة، والمراجع المتنوعة، وهو إلى ذلك يدخل في أعماله هذه المحاسبة وعوامل الزمان والمكان والحرارة والبرودة وسائر العوامل الأخرى التي لها ارتباط مباشر في التغييرات، وبلغ البيروني في كل ذلك وفي استعمال القوانين الرياضية في القياسات واكتشاف العلاقات بين الظواهر المختلفة وإعطاء التعريفات للأمور التي تشترك فيها العلوم المختلفة كـ (الواحد) مثلاً وكثير من الأمور الأخرى مثل رصد السماء وملاحظة خواص الفلزات والنباتات والتعمق في خصائص الشعوب وقياس الأطوال والأعراض الجغرافية للبلدان وبحث تقاليد وأعراف الناس والتحقيق في أديان وتقاويم وأعياد ومعتقدات الأمم، أقول قد بلغ البيروني في كل ذلك شأواً بعيداً حتى أصبح ذكره على لسان العامة والخاصة، وأكثر هذه الأمور هي من أصول الميثولوجيا.

ويشاهد في جميع تصانيفه ومحاسباته وقياساته نوع من روح الوحدة والتنسيق، ويتبادر لذهن المرء أن البيروني لم يتخصص في مجال معين، بل نشط في إرساء دعائم الميثولوجيا في جميع العلوم ولم يتوان لحظة في سعيه هذا.

وقد عارض البيروني منطق أرسطو، وأوضح مواطن الضعف والوهن في هندسة إقليدس من خلال تحقيقاته المتواصلة حولها، بالرغم من احترامه لها، وأوجد مقدمات الهندسة غير الإقليديسية التي انتهجها فيما بعد المحقق نصير الدين الطوسي.

وأخضع للتحقيق أساليب الأسلاف مثل الرازي، واستفاد من النواحي الإيجابية منها في ايجاد الطرق الأصولية للعلم، وأجرى تعديلات على النواحي السلبية منها، ويمكن أن نتعرف على مدى قدرته وتمكنه من العلوم والأساليب العلمية في التحقيق واستناده إلى الأصول الدقيقة في ذلك من خلال مباحثاته مع ابن سينا وما كتبه الضخمة التي تعد من أكبر النتاجات البشرية، إلا حصيلة هذه الأساليب العقلائية والعلمائية.

وتظهر أهمية تعريف (الواحد) جلية، إذا عرفنا أن هذا التعريف يدخل في الحسابات التي تعتمدها العلوم المختلفة، من النجوم والكيمياء وجميع الفروع الفيزيائية مثل السينماتيك والميكانيك والكهرباء، وحتى الفيزياء الذرية والنووية، ومن ثم نرى أبا الريحان البيروني يولي هذا التعريف اهتماماً خاصاً في الباب الثاني من (التفهيم).

ويترجم الإنجليي رمزي رايت Ramsy Wright كلمة قضايا الهندسة إلى Proposition وليس: (in view of the ract that geomet-rical proposition)، ويشير أبو الريحان إلى الاختيار في انتخاب «الواحد» وهو ما يتوافق مع المفاهيم الجديدة للواحد في حساب الكمية.

ونكتفي بهذا القدر في هذه المقالة، إذ يتطلب تحليل القدرة العلمية للبيروني ومقارنتها مع رؤى ابن سينا ومهارة الأول في المحاسبات، بحوثاً مستقلة بذاتها، ويستلزم مقارنة تعريفه للواحد مع تعريف أرسطو ونيوتن مقالة أخرى.

ونحاول فيما يلي أن نذكر باختصار بعض أحوال البيروني وبعض آثاره:

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣٦٢ هـ أي في عام ٩٧٣ وتوفي في الثاني من رجب عام ٤٤٠ أو ٤٤٢ هـ أي عام ١٠٤٨ (أو ١٠٥٠ م وهو معاصر لابن سينا (١٠٣٧ ــ ٩٨٠ م) وابن الهيثم (٩٦٥ ــ ١٠٣٩ م) وابن يونس (أبي الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس المتوفي في القاهرة عام ١٠٠٩ م) وعلي بن عيسى (في النصف الثاني من القرن الحادي عشر) والكرخي (أبي بكر محمد بن الحسن الحاسب المتوفى في بغداد عام ١٠١٩ م وابن جبريول أو ابن جبريل.

ولهذا العالم الكبير العديد من التحقيقات في مختلف المجالات مثل الهندسة والمثلثات والنجوم والحساب ودراسة الهند والخرائط وعلم الأديان التطبيقي ورصد الكواكب وكذلك في الطبيعيات والفيزياء والتخمين التقريبي لسرعة النور والأشعة اللامرئية للشمس، والحركة العامة للمادة والكثير من العلوم الأخرى مثل النباتات والأدوية والمجوهرات وغيرها. وكانت أسماء مؤلفاته سطوراً من ذهب في سجل العلوم.

ويضع (سارتن) البيروني ــ في مقدمته لتاريخ العلم: Introduction To History of Science, Copy Right, 1972 Reprinted 1945, 1950, 1953) ــ في عداد طالس (٦٢٥ إلى ٥٤٥ قبل الميلاد) وفيثاغورث وأبرخس (الذي عاش قبل بطليموس) وأفلاطون وأقليدس وبطليموس وجالينوس. وجعله من أصحاب عصور العلوم البشرية، وأفرد له في كتابه عهداً خاصاً.

استدراكات:

١ ــ هناك شك في صحة انتساب الترجمة الفارسية للتفهيم، إلى البيروني.

٢ ــ هناك اختلاف بين العلماء حول عدد آثار البيروني.

٣ ــ من جملة مؤاخذات البيروني للرازي. اكتفاؤه من استخدام الرياضيات في تحقيقاته العلمية بقدر حاجته وعدم ذهابه إلى أبعد من ذلك، ورغم احترامه للرازي، إلا أنه كتب مدافعاً عن الهندسة في كتابه استخراج الأوتار ــ الذي يبدو أنه كتبه لأحد تلامذته ــ حيث يقول إن إعتقاد الرازي بعدم جدوى التحقيقات الهندسية، إنما هو نقص في التحقيقات الفلسفية لديه، ثم يلمح بالقول: «لم يزل الناس أعداء ما جهلوا».

٤ ــ ليس من السهل البحث الدقيق في القيمة الحقيقية لآثار ومؤلفات البيروني، إلا إذا توفرت دراسة شاملة لجميع هذه المؤلفات وكذلك دراسة دوره في العلوم والفلسفة والحكمة العالمية، من خلال تحقيق شامل، وتعاون بين المحققين في برنامج منظم، يشمل ترجمة آثاره إلى لغة عالية من أجل ايجاد تاريخ علمي عالمي دقيق.

٥ ــ من خلال التفحص في النسخة العربية للتفهيم ومطابقتها مع النسخة الفارسية، يظهر جلياً أن عبارة قضايا الهندسة، ينبغي أن تترجم بالانجليزية إلى Geometrical Theoremes وليس Geometric-al Propositions حيث تظهر العبارة الأخيرة غير دقيقة إذا قورنت مع النص العربي.

٦ ــ يقصد بمعارضة البيروني لمنطق أرسطو هو عدم قبوله التام للمنطق الصوري لأرسطو في كشف الحقائق. والذي استعمله مؤيّدوه أكثر مما ينبغي، ومنهم ابن سينا، وفي الحقيقة فإن هذا الأسلوب يوناني بحت يعتمد الفكر المجرّد في الوصول الى الحقائق أكثر من التمعّن في واقعية وحقيقة الأمور. وقد رفض هذا الأسلوب في نفس عرض أرسطو، ثم من قبل بعض أتباع فكر أرسطو مثل توّفر.

٧ ــ لم نقصد في عبارتنا أن البيروني أرسى قواعد أساليب التحقيق في العلوم، أنه أخرج علوم النجوم والكيمياء والأحياء والاجتماع من الدائرة الفلسفية، كما فعل ذلك فيما بعد كل من غاليلو ولاقوازييه وكلود برنارد واوگوست كنت، وإنما قصدنا أنه سلك أسلوباً شاملاً في تلك التحقيقات، وقد اهتم كبار العلماء فيما بعد بهذا الأسلوب حتى امتاز أسلوب التحقيق في العلم عنه في الفلسفة.

٨ ــ على الرغم من كون نالينو يعتقد في بحثه حول علم الفلك أن رأي البيروني هو عبارة عن خليط من آراء شتى وليس تحقيق متكامل، إلا أنه يشير إلى المقام الشامخ الذي احتلّه البيروني حيث قال مرة بصراحة ــ خلال حديثه عن قانون المسعودي ــ إن هذا الكتاب القيم ليس له مثيل (علم الفلك، ص ٤٨، ترجمه إلى الفارسية السيد آرام)، ويقول مرة أخرى ملمحاً: على الرغم من أن المسلمين تبعوا أرسطو في تقسيمه لفروع العلوم، إلا أن أكثر الفلاسفة العرب رفضوا أسلوب أرسطو في تقسيمه هذا. (علم الفلك المترجم.. ص ٢٦ وص ٣٧).

٩ ــ لو فرضنا أن غاليلو ونيوتن لم يغيرا الحدود السابقة لعلم النجوم ولم يبدلا الهندسة الى الرياضيات والفيزياء، فمن الطبيعي أن علم النجوم لم يكن ليبلغ المكانة الشامخة التي بلغها اليوم.

وفي اعتقادنا أن هذه المسألة لفتت انتباه البيروني من قبل، حيث يقول: «لأن قضايا الهندسة تستعمل وخاصة في حساب التنجيم بالحساب» (التفهيم.. النسخة العربية). وينبغي أن نعتبر رأي الكاتب هذا أساس علم النجوم في مؤلفاته، من خلال دراسة ما كتبه في حساب المثلثات والمثلثات الكروية والقسم الذي يرتبط بهذه المواضيع في قانون المسعودي.

١٠ ــ لا يفهم من النقطة السادسة أن ابن سينا كان تابعاً مطلقاً لآراء أرسطو، بل أن الكثير من المحققين يرون خلاف ذلك، ويؤيد

هـذا الرأي الكثير من المحققين الأجانب ومنهم صاحب المقـدمـة التي كتبت الترجمة اللاتينية للشفاء.

١١ ـ لم يكن الاختلاف بين ابن سينا وأبو الريحان البيروني عميقاً، إلا في ما يتعلق بالأمور التجريبية والمحاسبات الفلكية، ويعزى هذا الاختلاف إلى ممارسات البيروني في المحاسبات الفلكية وتعمق الشيخ في الحقائق النظرية للحكمة.

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بن علي:

ولد سنة ١٢٩٤ في النجف وتوفي سنة ١٣٧٣ في كرند (ايران) ودفن في النجف، نشأ في بيت جليل (آل كـاشف الغطاء) الـطافح بـالعلم والعلماء نشأة طيبة، وبـدأ بدراسـة العـربيـة لما بلغ العـاشرة من سني عمره، وأتم دراسة سطوح الفقه والأصول وهو لم يزل في مقتبل شبابه.

وبعد قطع هذه الأشواط، أخذ بالحضـور في حلقات دروس المولى محمد كاظم الآخوند الخراساني ـ إذ حضر أبحاثه في أصول الفقه ست دورات ـ كما حضر الأبحاث الفقهية للسيد محمـد كاظم الـطباطبـائي اليزدي والحاج آقا رضا الهمداني والميرزا محمـد تقي الشيرازي والسيـد محمد الأصبهاني سنين طويلة.

وتتلمـذ في الفلسفة والكـلام على الميرزا محمد بـاقر الاصـطهبانـاتي والشيخ أحمد الشيـرازي والشيخ عـلي محمد النجف آبـادي وغيرهم من فطاحل العلوم العقلية. وكان لـه عند أسـاتذته احترام وتقـدير لغـزارة فضله وكثرة تبحره.

كان عالماً جامعاً لأطراف العلم، أصولياً بارعاً فيه، فقيهاً دقيق النظر في الاستنباط، كاتباً متمكناً من الكتابة، ناقداً لاذع النقد، أديباً مرهف الشعور، شاعراً واسع الخيال.

امتازت أبحاثه بالتنقيب ودقة النظر، كان مدمناً للقراءة، يقـرأ كلما يمر عليه من مطبوع سواء كان قـديم الفكرة أو حـديث الرأي، ومـا أن يفرغ منه حتى تـرى الهوامش قـد ملئت بالتعليقـات، فيهـا مـآخذ عـلى صاحب الكتاب وتقويم ما ينبغي تقويمه من الأخطاء والاشتباهات.

شرع في التدريس وتأليف شرح على «العروة الوثقى» في حياة أستاذه الفقيه السيد محمد كاظم الـطباطبـائي، فكانت لـه آنذاك حـوزة علمية تتألف من الفضلاء يزيد عددهم على المائة، وكـان تدريسـه في المسجد الهنـدي تـارة والصحن العلوي الشريف أو مقـبـرة السيـد الشـيـرازي أخرى. وكان يكتب الشرح المذكور ليلاً ويلقيه على تلامذته نهاراً.

وكان أستاذه الطباطبائي يعول عليه وعلى أخيـه الشيخ أحمـد كاشف الغـطاء في أكثر مهـام مرجعيتـه، وآل أمره إلى أن أوصى اليهـما فتحملا وصيته منذ وفاته سنة ١٣٣٧، ورجع الناس إلى أخيه في التقليد.

تجوّل في الأقطار العربية والاسلامية في أسفار عديدة، بعضها قصيرة المـدة وبعضها استغـرقت سنين، وكـانت جـولاتـه علميـة مثمـرة. من مؤلفاته:

الاتحـاد والاقتصـاد، خـطبة طبعت بـالنجف سنـة ١٣٥٠، بعضـهـا الأرض والـتربة الحسينيـة، طبع عـدة مرات بـالنجف وصيـدا، أصـل الشيعة وأصولها، طبع أكثر من عشرين طبعة في العراق وبيروت وايـران وتـرجم إلى الانجليزيـة والفـارسيـة والأرديـة، تحـريـر المجلة، طبـع بالنجف سنة ١٣٥٩ وايران بالأفست، تعـريب حجة السعـادة في حجة الشهادة، تعريب رحلة نـاصر خسرو، تعريب كتـاب الهيئة الفـارسي، تعليق على أدب الكاتب لابن قتيبـة، تعليق على أمـالي المرتضى، تعليق على الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين، تعليق على نهج البلاغـة، تعليق على «الوجيز في تفسير القرآن العزيـز» للشيخ عـلي محيى الدين، تنقيح الأصول، التوضيح فيما هو الانجيل ومن هو المسيح، طبع ببغداد سنـة ١٣٤٦، الجمع بين الأحكام الظاهرية والـواقعية ومـراتب الحكم، جنة المأوى، طبع بتبريز سنة ١٣٨٠، حاشيـة الأسفار الأربعـة لملا صـدرا، حاشية العرشية ورسالة الوجود لمـلا صدرا، حـاشية فـرائد الأصـول، حـاشية قـوانين الأصـول، حاشيـة كفايـة الأصول، حـاشية المكـاسب للشيخ الأنصاري، الـدين والاسلام، أو «الـدعوة الاسـلامية»، طبـع جزؤه الأول ببغداد سنة ١٣٢٩ وصودر ثم طبع جزآن منه بصيدا وبقي جزآن لم يطبعا بعد، ديوان شعره، كبير جمع أكثر شعره، سدرة المنتهى، السياسية الحسينية، طبع بـالنجف سنة ١٣٦٨ وغيرها، شرح العـروة الوثقى، وهو أول مؤلفاته الفقهية، وهو إلى آخر كتاب الصـلاة في أربع مجلدات، العبقات العنبرية في الطبقـات الجعفريـة، في تراجم أسرتـه، عقود حياتي، ترجمته الضافية، عين الميزان، رسالة في الجـرح والتعديـل طبعت بصيدا سنة ١٣٣٠، مختارات من شعر الأغاني، وهو غـير كتابـه «مغني الغـواني»، مطبـوع المـطالعـات والمـراجعـات، أو «المـراجعـات الـريحانيـة»، وهو نقـود على أمـين الريحـاني والكرمـلي وجـرجي زيـدان وغـيرهم، مغني الغواني عن الأغـاني، مختصر كتاب الأغـاني لأبي الفرج الأصبهـاني في ألف صفحـة، ملخص شرح العـروة الـوثقى، مجلد والأصـل له أيضـاً، نبذة من السياسـة الحسينيـة، طبع بـالنجف سنة، نـزهـة السمـر ونهزة السفـر، رحلتـه إلى سـوريـا والحجـاز ومصر سنـة ١٣٠٩، نقد كتاب ملوك العرب، والنقود والردود.

مـرض في أخريـات أيامـه فذهب الى بغـداد ودخل المستشفى فبقي شهراً، ثم رجح البعض الذهاب الى قرية «كرند» من توابع كـرمانشـاه للاستجمام والاستراحة، فذهب اليها وجاءه الأجل المحتوم بها، ونقـل جثمانه إلى النجف الأشرف، ودفن بمقبرة خاصة أعدّهـا لنفسه في وادي السلام[1].

الشيخ محمد رضا آل ياسين:

ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٧ وتـوفي سنة ١٣٧٠ في الكـوفة ودفن في النجف الأشرف.

آل ياسين أُسرة عريقة في العلم والفضل، نبغ منها رجال كانوا نقطة التحـول في تأريـخ العلم والعلماء وأشهر من نبـغ فيها جـد المترجم لـه الشيخ محمد حسن آل ياسين، فقد ولي الزعامة الـدينية وتـوارث العلم عن أجداد أفذاذ، هم: والـده الشيخ يـاسين بن الشيـخ محمد عـلي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن الكـاظمي، وهؤلاء كانـوا قادة البلد وزعماء الدين في الكاظمية.

وُلد المترجم له في الكاظميـة حيث موطنـه وموطن أُسرتـه الكريمـة، وبدأ يدرس النحو والمقدمـات في عهد جـده الكبير وتـوفي جده وهـو في

(١) السيد أحمد الحسيني.

الحادية عشرة من عمره، وقد درس مقدمات العلوم على الشيخ عبد الحسين البغدادي، في الكاظمية، ثم درس على والده وعلى خاله السيد حسن الصدر في الكاظمية أيضاً. وأخذ علم أصول الفقه على الشيخ حسن الكربلائي المتوفى ١٣٢٢ هـ والسيد علي السيستاني، ثم تابع دراسته على السيد اسماعيل الصدر في الكاظمية وكربلا. ثم جاء النجف سنة ١٣٣٩ فكان من اعلامها الشامخة ومراجعها الكبرى. تخلّف بولده الشيخ محمد حسن الذي هو اليوم من أبرز رجال العلم والأدب والتاريخ والبحث.

ترك مؤلفات لا يزال بعضها مخطوطاً كما طبع بعضها، ولم يُتم البعض الآخر. فمن مؤلفاته:

١ ـ سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد للشيخ صاحب الجواهر.

٢ ـ شرح منظومة السيد بحر العلوم في الفقه وقد شرحها نظماً فأخرج الأصل في أبيات الشرح، وأحياناً يفرق البيت الواحد بتصديره تارة وبتعجيزه أخرى.

٣ ـ شرح التبصرة في الفقه وهو كتاب استدلالي.

٤ ـ شرح مشكلات العروة الوثقى.

٥ ـ منظومة في أحكام السلام.

٦ ـ منظومة في صلاة المسافر.

٧ ـ حواشي العروة الوثقى.

٨ ـ حواشي وسيلة النجاة.

٩ ـ بلغة الراغبين في فقه آل ياسين، رسالة عملية طبعت ست مرات.

وكان له ميل إلى الأدب لم يفارقه حتى في دور شيخوخته، وقرض الشعر، وقد ذهب كثير من شعره لعدم عنايته به فمن شعره قوله:

ساد أهل الفضل علماً وتقى ... وحجى كالشامخات الهضب راس

سار ما بين البرايا صيته ... ضل من ساوى به الغير وقاس

ساق أرباب المعالي بالعصا ... وعلاهم في علاً منه وبأس

ساب ما بين الورى معروفه ... وبنعليه على العيوق داس

ومما قيل في رثائه قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

شيعته أعماله الصالحات ... وبكته الصلات والصلوات

ونعته إلى بني العلم والتقو ... ى جميعاً علومه النيرات

يا رسول الأخلاق فاقت مزا ... ياك فكانت كأنها معجزات

أتعبتك العليا فنم مستريحاً ... بنعيم جنانه خالدات

وأرّخ وفاته الشيخ محمد علي اليعقوبي بقوله:

رزية العلم حلّت في أبي حسن ... فأبنته رجال العلم والدين

أم الكتاب وياسين بكت أسفاً ... أرِّخ لفقد الرضا من آل ياسين

السيد محمد رضا الموسوي الگلبايگاني:

ولد سنة ١٣١٦ في بلدة (گوگد) التابعة لمدينة گلبايگان التي تقع في وسط إيران. وتوفي في مدينة قم سنة ١٤١٤.

عرفت أسرته بالعلم والورع والتقوى، ووالده العالم الورع الزاهد السيد محمد باقر الموسوي من أعلام علماء البلدة وخيارهم.

ولد في سن متأخرة لوالده الذي لم يرزق إلا الإناث إلى أن بلغ الرابعة والستين من عمره فولد له هذا الولد. ولم يمض أكثر من ثلاث سنوات على ولادته حتى توفيت والدته، وبعدما بلغ التاسعة من عمره فقد والده. بيد أن حالة اليتم لم تعقه عن الاتجاه إلى طلب العلم، فقد درس بعض المقدمات على يد بعض أقاربه في مدينة گلبايگان، ثم انتقل إلى مدينة خوانسار وسكن في إحدى مدارسها الدينية للتفرغ إلى طلب العلم.

وعندما بلغ العام السادس عشر من عمره سمع بقدوم الشيخ عبد الكريم الحائري (مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم) إلى مدينة سلطان آباد (أراك) فهاجر اليها لحضور دروس الشيخ الحائري، إلى أن انتقل الشيخ إلى مدينة قم فدعاه إلى الانتقال اليها، فلبى دعوة أستاذه وهاجر إلى (قم) ليواصل حضور دروس أستاذه وأبحاثه حتى صار من أبرز التلامذة وألمعهم. . وكان خلال ذلك يدون أبحاث أستاذه الحائري ومحاضراته والمناقشات التي تدور حولها وقد طبعت تلك التقريرات في كتاب (إفاضة العوائد) وهو كتاب قيّم يكشف عن المستوى العلمي الرفيع للمترجم وذوقه الفقهي ومقدار دأبه الدراسي.

وكان السيد الگلبايگاني إلى جانب حضور دروس الشيخ الحائري يمارس تدريس مرحلة السطوح وهي المرحلة الأخيرة من الدراسة التي تسبق مرحلة حضور البحث الخارجي الذي يمثل المرحلة النهائية في الدراسات الحوزوية المعروفة، فعرف في طليعة الأساتذة البارزين في الحوزة العلمية. ولما توفي الشيخ الحائري تحولت زعامة الحوزة العلمية إلى السيد حسين البروجردي. فكان السيد الگلبايگاني من أعيان الأعلام العلمية المعروفين بالأهلية لدور المرجعية. وقد ازدحم في هذه المرحلة مجلس درسه بحضور عيون الطلبة وكبار أساتذة الحوزة، كما أنه طبع رسالته العملية وصار عدد من المؤمنين يرجعون إليه، وبعد وفاة السيد البروجردي أصبح واحداً من أشهر مراجع التقليد واتّسع نطاق تقليده وتكفل الرواتب الشهرية للطلبة داخل حوزة قم وخارجها، ولمع نجمه في مختلف المجامع والمواقع العلمية داخل إيران وخارجها.

وبعد وفاة السيد الخوئي اتجهت اليه الأنظار في كل مكان، وكان المؤهّل للمرجعية العامة.

مؤلفاته:

١ ـ كتاب القضاء، فقه استدلالي.

٢ ـ كتاب الشهادات، فقه استدلالي.

٣ ــ كتاب الحج، فقه استدلالي.
٤ ــ كتاب الطهارة، فقه استدلالي.
٥ ــ الدر المنضود في أحكام الحدود.
٦ ــ إفاضة العوائد في علم أصول الفقه.
٧ ــ بلاغة الطالب في شرح المكاسب.
٨ ــ مجمع المسائل، مجموعة قيّمة من الأسئلة والأجوبة في مختلف أبواب الفقه.
٩ ــ حاشية على وسيلة النجاة للسيد أبي الحسن الأصفهاني.
١٠ ــ حاشية على العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي.
١١ ــ توضيح المسائل، رسالة عملية باللغة الفارسية.
١٢ ــ رسالة في صلاة الجمعة وصلاة عيد الأضحى وعيد الفطر، فقه استدلالي.
١٣ ــ الهداية إلى من له الولاية، فقه استدلالي.
١٤ ــ رسالة في المحرمات بالنسب، فقه استدلالي.
١٥ ــ رسالة في عدم تحريف القرآن (عقائد).

أساتذته:

١ ــ أبرز أساتذته الشيخ عبد الكريم الحائري، وقد درس عليه في مدينة سلطان آباد وقم أكثر من عشرين عاماً.

٢ ــ السيد محمد حسن الخوانساري المتوفى عام ١٣٣٧، وكان أستاذه في خوانسار.

٣ ــ الميرزا محمد باقر الگلبايگاني، وقد تتلمذ عليه في گلبايگان.

٤ ــ الملا محمد تقي الكوكدي.

٥ ــ الميرزا النائيني في إيران.

٦ ــ الشيخ آغا ضياء العراقي في النجف.

٧ ــ الشيخ محمد رضا مسجد شاهي في إيران.

٨ ــ السيد أبو الحسن الأصفهاني في النجف.

وقد تخرّج عليه عدد كبير من العلماء وأساتذة الحوزة العلمية، بلغ عدد منهم مرتبة الاجتهاد، ولا بد لي هنا من أن أسجل له تعضيده وتشجيعه لفكرة اصدار (دائرة المعارف الاسلامية الشيعية) وتفهمه لأهدافها، فكان ذلك من عوامل مغامرتي في اصدارها والسير بهذه المهمة الشاقة.

السيد محمد صادق بحر العلوم بن السيد حسن بن السيد ابراهيم بن السيد حسين بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي (بحر العلوم) بن مرتضى بن محمد بن عبد الكريم بن مراد بن شاه أسد الله بن جلال الدين الأمير بن الحسن بن مجد الدين بن قوام الدين بن اسماعيل بن عباد بن ابي المكارم بن عباد بن ابي المجد بن عباد بن علي بن حمزة بن طاهر بن علي بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، الطباطبائي الشهير ببحر العلوم النجفي.

ولد بالنجف الأشرف في العشرة الأولى من شهر ذي القعدة سنة ١٣١٥ وتوفي فيها سنة ١٣٩٩.

مرت له ترجمة من (المستدركات) ونعيدها هنا مفصلة:

قرأ المقدمات العلمية من العلوم الأدبية وغيرها على جماعة من فضلاء الحوزة في النجف، ومنهم ابن عم أبيه السيد مهدي بن محسن بحر العلوم حيث قرأ عليه علمي المعاني والبيان، وأخذ الأصول والفقه عن الشيخ شكر البغدادي والسيد محمود الشاهرودي والشيخ محمد علي الكاظمي والشيخ اسماعيل المحلاتي والسيد محسن القزويني والميرزا ابي الحسن المشكيني والميرزا فتاح التبريزي والشيخ محمد حسن المظفر.

وفي هذه الفترة تتلمذ في علمي الدراية والرجال على السيد ابي تراب الخونساري والتفسير على الشيخ محمد جواد البلاغي.

وبعد طي هذه المدارج حضر في أبحاث الأصول والفقه خارجاً على الميرزا محمد حسين النائيني والسيد ابي الحسن الاصبهاني، واكثر استفاداته الفقهية من دروس السيد محسن الطباطبائي الحكيم حيث تتلمذ عليه منذ سنة ١٣٥٤.

ولم تقف همته عند حدود الدروس الحوزوية، بل راح يواصل السير في قراءة كتب الفلسفة والكلام ويتابع مطالعة كتب التاريخ والأنساب واللغة والأدب وغير ذلك من الفنون الاسلامية حتى حاز نصيباً وافراً من كل منها.

لازم سنين طويلة صديقه الشيخ محمد السماوي فاستفاد منه ومن مكتبته العامرة فوائد كبيرة كان لها أثر بالغ في نشأته الأدبية وتقدمه في النثر والشعر.

تنوعت ثقافته حيث تنوعت مطالعاته في مؤلفات القدامى والمعاصرين واستحصل عبر السنين على مجموعة من المعلومات الثقافية الممتازة بما رزق من الجلد على القراءة والفحص والتحقيق، ولم يقنع في سيره العلمي بنوع خاص من العلوم الحوزوية والاسلامية، بل جد في الحصول على المفيد من العلم مهما كان لونه وسمته.

ولع منذ حداثته باقتناء الكتب وخاصة المصادر المهمة من كل فن، فاجتمع لديه اكثر من خمسة آلاف كتاب مطبوع وعشرات النسخ المخطوطة التي اكثرها بخطه الجيد، وكانت بعد الشراء لا تستقر في الرف الا بعد أنْ يستوعبها قراءة.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني:

«له ولع شديد بمطالعة الكتب المتنوعة واقتنائها، وقد أصبحت عنده مكتبة نفيسة».

اتصلت به ادارة «المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية» في النجف ورغبت اليه أن يقوم بنشر وتحقيق ما يراه قيماً ومفيداً من كتب القدماء والمتأخرين، وقد نزل عند رغبتها فقام بتحقيق عدد من الكتب القيمة المهمة وعلق عليها وأضاف الى بعضها فوائد جليلة..»[1].

«وبالجملة فان خدماته الجمة للعلم والأدب وتعاليقه على الكتب القيمة وغيرها وتقييد أنظاره الراقية ونتائج اطلاعه الواسع فيها، كلها مقدرة مشكورة، أبقاها لنفسه مأثرة خالدة».

عُين سنة ١٣٦٨ قاضياً شرعياً في مدينة العمارة فبقى فيها ست

(١) بعض نشاطه في تحقيق الكتب ونشرها تجده في معجم المؤلفين العراقيين ١٨٥/٣ - ١٨٨.

سنوات، ثم نقل الى البصرة فبقي بها قاضياً قرابة سبع سنوات، وترك القضاء سنة ١٣٨٠ على أثر وضع قانون الأحوال الشخصية بمواده الجديدة ثم فرضه على المحاكم الشرعية في عهد عبد الكريم قاسم.

وعندما تم وضع هذا القانون، وجد أن مواده لا تتفق مع الفقه الجعفري بل يخالف كثير منها صريح آراء جميع فقهاء المسلمين فاستقال من القضاء، بالرغم من أنه كان لم يبق الى وقت تقاعده الا سنة واحدة، فاستقال وحرم من راتب التقاعد.

أدبه وشعره

لقد عاشر كثيراً من الأدباء والشعراء العراقيين والسوريين واللبنانيين، وتبودلت بينه وبينهم طرف أدبية ونكات شعرية احتفظ بجلها في مجاميعه التي لا زالت مخطوطة.

وهناك شعره في المناسبات الدينية وفي أهل البيت (عليهم السلام)، وقد كونت بمجموعها ديواناً حافلاً جمعه بخطه.

اجيز منه كل من السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، أجازه يوم الأحد ٢٥ صفر ١٣٥٠.

والسيد محمود المرعشي والسيد محمد رضا الجلالي.

مؤلفاته

له بحوث كثيرة مطبوعة في مجلات عراقية قديمة وغير مطبوعة، ومقدمات علمية هامة على طائفة من الكتب القديمة والمعاصرة. ومن مؤلفاته:

(١) اجازاتي، مجموعة من الاجازات التي كتبت له.
(٢) حاشية فرائد الأصول.
(٣) حاشية كشف الظنون.
(٤) حاشية كفاية الأصول.
(٥) حاشية المكاسب للشيخ الأنصاري.
(٦) الدرر البهية في تراجم علماء الامامية، من القرن الحادي عشر الى الرابع عشر.
(٧) دليل القضاء الشرعي، ستة أجزاء كبار.
(٨) ديوان شعره.
(٩) الرحلة الى سوريا ولبنان، كتبها سنة ١٣٥٣.
(١٠) السلاسل الذهبية، مجموعة فيها تراجم كثيرة.
(١١) سلاسل الروايات وطرق الاجازات، جمع فيها اجازات الحديث وأتمه سنة ١٣٥٣، وسماه بعد ذلك «الاجازات الروائية».
(١٢) الشذور الذهبية، مجموعة شعرية.
(١٣) صكوك الاعلامات والحجج الشرعية.
(١٤) اللآلي المنظومة، كشكول.
(١٥) اللؤلؤ المنظوم في نسب آل بحر العلوم، أرجوزة طبعت بالنجف سنة.
(١٦) المجموع الرائق، فيه تراجم وقصائد كثيرة، ألفه سنة ١٣٥٠[١].

(١) السيد أحمد الحسيني.

السيد محمد باقر بن هاشم الحسيني الجيلاني

عالم جليل متمكن من العلوم العقلية والنقلية، هاجر من مسقط رأسه الى اصبهان وبقي بها مدة متتلمذاً على أعلامها، من جملتهم كما ذكر في هامش أوائل كتابه «مصباح النجاة» ملا ميرزا محمد بن الحسن الشيرواني وآقا حسين المحقق الخوانساري وابنه جمال الدين الخوانساري والمولى باقر المجلسي.

له «مصباح النجاة في التدين والنجاح» أتم تأليفه سنة ١١٠٨[٢].

محمد باقر بيجابوري

ولد في حدود سنة ١٠٥٠ في الهند وتوفي سنة ١١٢٨ في أورنگ آباد (الهند).

كان عالماً فاضلاً درس اللغة العربية على أبيه، والمعقولات والمنقولات على عدة أساتذة.

وهو معاصر لاسكندر عادل شاه وعالمگير. ترك من المؤلفات: تلخيص المرام في علم الكلام، وروضة الأنوار، وزبدة الأفكار.

محمد باقر بن محمد حسين التبريزي

فاضل، من أعلام النصف الأول من القرن الثاني عشر.

له «ترجمة خلاصة الأقوال» الى الفارسية، أتمها سنة ١١٢٩[٣].

محمد جعفر بن آقابزرك (آقاكب)[٤] التستري

مترجم في «الكرام البررة» ص ٢٤٦، ونقول:

أقام سنين في كربلا متتلمذاً على شريف العلماء المازندراني في أصول الفقه.

توفي ضحوة تاسع عشر ربيع الأول سنة ١٢٦١.

له «مناهج الأصول».

محمد مرشد بن عبد علي المليري الأصبهاني

فاضل مشتغل بالحديث وعلومه، أصله من «ماليز» وسكن أصبهان وهو من أعلام أوائل القرن الثاني عشر.

كتب نسخة من كتاب «من لا يحضره الفقيه» وأتم الجزء الأول والثاني منها في سنة ١١٠٤ ـ ١١٠٥، وقرأ النسخة على المولى محمد داود [الأصبهاني] فكتب له انهاءاً وأجازه رواية في آخر الجزء الثاني أواسط ذي القعدة سنة ١١٠٤ وقال في الانهاء «أنهاه الأخ الصالح التقي مولانا مرشد أيده الله تعالى سماعاً وتحقيقاً وضبطاً..»[٥].

محمد المعروف بملا آقا الساوجبلاغي الطهراني

ولد في طهران سنة ١٢٢٥ وسكن في قرية «تنگمان» من قرى «ساوجبلاغ» من توابع طهران، وعاش الى أواخر القرن الثالث عشر.

(٢) (٣) (٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

لـه «مفصل البيـان في علم القرآن» كـان مشغولاً بـه في سنة ١٢٩٤(١).

الشيخ الميرزا محمد باقر الهمذاني بن محمد جعفر

توفي سنة ١٣١٩، من فقهاء الشيخية في همذان. من مؤلفاته: الدرة النجفية، والميزان.

السيد محمد باقر المشهدي

من تلامذة المير داماد محمد باقر الحسيني الاسترابادي، قرأ عليه جملة من مؤلفاته الفقهية وطائفة من كتب الحديث، فأجازه في شهر محرم من سنة ١٠٣٤ ووصفه في الاجازة بـ «السيد الفاضل الكامل المتورّع المتعبّد الذهن الفطن اليلمعي اللوذعي الملِظّ بلزاز الطاعة والفائز بلزام العبادة... قد خالّني برهة من الزمان وصحبني ملاوة من الأوان وقرأ علي في من قرأ وسمع مني في من سمع فالتقط واختطف واجتنى واقتنى..»(٢).

ميرزا محمد باقر بن أحمد بن لطف علي بن محمد صادق التبريزي

امتلك نسخة جيدة من كتاب «كشف الغمة» للأربلي، وكتب تملكه عليها في الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٢٥٧ حين اقامته بالشام حيث صد عن الحج في هذه السنة والتي قبلها، ويظهر من عباراته أنه عالم متمكن من الأدب العربي حسن الإنشاء.

قرأ مع أخويه ميرزا لطف علي وميرزا محمد جعفر على أبيه شطراً من الكتب الأدبية وقسطاً من العلوم الشرعية الأصولية والفروعية. مذكور ضمن ترجمة والده في «الكرام البررة» ص ١٠٣ وقال انه وأخواه ميرزا لطف علي وميرزا رضا مجازون من والدهم باجازة مشتركة مؤرخة [شهر رجب] ١٢٥٣ وقد جعلهم أوصياءه ولكنهم توفوا جميعاً قبله في وباء سنة ١٢٦٢(٣).

السيد محمد أمين بن محمود (شجاع الدين) الرضوي

فاضل له اطلاع في العلوم الدينية، وهو جد السادة المدرسية الرضوية في قم وقبره في ممر المدرسة الفيضية.

له «الحق الجلي» رسالة جيدة في أصول الدين(٤).

الشيخ محمد اسماعيل بن محمد هادي الفدائي الكزازي

مذكور في «الكرام البررة» ص ١٣٠، ونقول:

أصله من «اراك» وأقام سنين في كربلا متتلمذاً على جماعة منهم السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض ثم ابنه السيد محمد المجاهد الطباطبائي، كما بقي مدة في مشهد الرضا عليه السلام مستفيداً من ملا رضا الاسترابادي.

ويقول في بعض كتاباته انه صدق أهليته للاستنباط أستاذاه السيد المجاهد والاسترابادي وميرزا أبو القاسم الجيلاني القمي صاحب القوانين والشيخ موسى كاشف الغطاء النجفي وملا اسماعيل العقدائي اليزدي.

بدأ بالتأليف أوان البلوغ أو قبله بقليل، وله شعر فارسي كثير يتخلص فيه بـ «فدائي»، ووجدت على نسخة من كتابه «قرة العين الناظرة» هذه العبارة نصاً «قد مات مصنف هذا الكتاب المستطاب تغمّده الله بغفرانه وجعل مثواه بحبوحة جنانه في ليلة الخميس سابع شهر ذي القعدة سنة مائتين وستين واثنتان بعد الألف..»(٥).

الميرزا محمد الأخباري بن الميرزا أمان

توفي سنة ١٢٨٩ في لكهنو (الهند).

من مشاهير علماء لكهنو، اشتهر بالوعظ والخطابة، وكان اخباري الاتجاه، ذا علاقة قوية مع المفتي محمد عباس وغيره من العلماء.

سافر الى العراق وايران والتقى بكبار العلماء هناك وأجيز من بعضهم، ثم رجع الى كلكته استجابة لطلب واجد علي شاه.

له من المؤلفات: زهد وتقوى في بحث من وسلوى، وخواتيم الصالحين وغيرهما.

الميرزا السيد محمد بن السيد أحمد الهاتف الأصفهاني

اشتهر بلقب (سحاب)، وكان شاعراً معاصراً لفتح علي شاه القاجاري واحد المادحين له، ألم بالعلوم النظرية الايرانية القديمة والطب والنجوم وحظي باحترام فتح علي شاه. واضافة الى كونه شاعراً، عرف بتضلعه في معرفة الشعر (الفنون الأدبية، وكتب (تذكرة رشحات سحاب) باسم فتح علي شاه، ولكنه لم يكملها، وفارق الحياة عام ١٢٢٢ هـ.

عرفت اشعار سحاب ببساطتها وعذوبتها. وبلغ ديوان اشعاره خمسة آلاف بيت(٦).

الحاج محمد بن أحمد الشريف

من أعلام أوائل القرن الحادي عشر، قابل وصحح مرتين نسخة من كتاب «تهذيب الأحكام» قابل عليها الشيخ رشيد الدين محمد السبهري نسخته في سنة ١٠٣٦ وذكره مع جملة «رحمه الله» (٧).

الشيخ محمد بن أحمد (صاحب آيات الأحكام) بن اسماعيل بن عبد النبي الجزائري النجفي

مترجم في كتاب «ماضي النجف وحاضرها» ٢/٩٢، ونقول:

قرأ عليه الشيخ حسن بن سليمان العاملي الحديث والدراية والفقه، فأجازه رواية في يوم الأحد ٢٩ ربيع الثاني سنة ١١٦٤(٨).

محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

كان في الكوفة فبينما هو في بعض الأيام يمشي في بعض طرق الكوفة

---

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

(٥) (٦) (٧) (٨) السيد احمد الحسيني.

أذ نظر الى عجوز تتبع أحمل الرطب فتلتقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك؟ فقالت اني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشيء فأنا اتتبع هذا من الطريق واتقوته أنا وولدي.

فبكى بكاءً شديد، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجونني غداً حتى يسفك دمي[١].

الميرزا محمد تقي بن آقا صالح بن أسد الله البروجردي

فاضل، من تلامذة السيد ريحان الله الموسوي الكشفي البروجردي ونقل عن شيخه بعض الفوائد العلمية في مجموعة كتبها في جمادى الأولى سنة ١٣٠٣، كما أنه عظم في آخرها جده الميرزا أسد الله البروجردي غاية التعظيم[٢].

محمد حسن علي خير بوري بن مير محمد نصير خان

ولد سنة ١٢٤٠ في حيدر آباد (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣٢٤ ودفن في كربلا. درس على علماء عصره وكان ممن اعتقلهم الانكليز واعتقلوا والده فنالا من تعذيبهم ما نالا حتى مات أبوه خلال الاعتقال.

ترك من المؤلفات: لسان الحق، وهو في جواب ميزان الحق، وأحسن البيان، أجوبة مسائل محمد علي خان، وحملة حيدرية (وهو باللغة السندية) ومختار نامه، وفتح نامه، وترجمة نهج البلاغة نظماً باللغة السندية.

الشيخ محمد حسن بن محمد رحيم اللنجاني الأصبهاني

فاضل متتبع عارف مؤرخ أديب شاعر بالفارسية، من أعلام القرن الثالث عشر فكان يقيم بأصبهان.

له «جنة الأخبار» أتم تأليفه ١٢٦٠[٣].

السيد محمد حسن بن السيد محمد النجفي، المعروف بآغا نجفي القوچاني

ولد سنة ١٢٩٥ في قرية خسروية من توابع قوچان وتوفي سنة ١٣٦٣ في قوچان.

درس أولاً في قريته ثم في توچان وبعد دراسة ثلاث سنوات فيها توجه راجلاً إلى (مشهد) حيث تابع دراسته. وفي سنة ١٣١٣ توجه راجلاً مع رفيق له إلى اصفهان فدرس فيها منظومة السبزواري على الآخوند الكاشي والرسائل على الشيخ عبد الكريم الگزي والفلسفة والكلام على الميرزا جهانگيرخان القشقائي. وكانت حياته في اصفهان شاقة لضيق ذات يده. وبعد أربع سنوات في اصفهان توجه الى النجف راجلاً، فحضر دروس الشيخ محمد كاظم الخراساني واختص به وناصره في الحركة الدستورية. كما درس على غيره. وبعد اقامة عشرين سنة في النجف عاد سنة ١٣٣٨ الى ايران وأقام في قوچان، وقضى فيها خمساً وعشرين سنة في الهداية والارشاد والتدريس والقضاء.

له عدة مؤلفات أهمها: سياحة شرق (سياحة في الشرق) ويكاد يكون هذا الكتاب سيرة ذاتية له.

ومن مؤلفاته سفري كوتاه به آباد يهاي قوچان (رحلة قصيرة الى قرى قوچان) تحدث فيها عن الأوضاع الاجتماعية والاعتقادية للفلاحين. وغير ذلك.

محمد حسن القزويني الشيرازي

يعد واحداً من كبار شعراء العهد القاجاري ومن صوفييه. ولد في شيراز، ودرس مقدمات العلوم على أبيه، وكان يتمتع بميل فطري الى الساحة والرياضة الروحية والتحقيق والتمحيص، وانتهى به الأمر الى العارف المشهور عصرئذ الميرزا أبو القاسم سكوت الشيرازي، فنهل منه ودخل في سلك مريديه، وقد تنقل ردحاً من الزمن من مدينة إلى أخرى حتى استقر به الأمر بعد وفاة مرشده الميرزا أبو القاسم سكوت في مدينة شيراز وأقام فيها حتى توفي عام ١٢٤٩ هـ أو ١٢٥٠ هـ وله من العمر ٥٧ سنة، فدفن في مقبرة الأحمدية بالقرب من قبر مرشده.

ذكر رضا قلي خان هدايت انه: «كان صاحب مكانة في فن الشعر، وله سوى القصائد بضع منظومات في المثنوي، منها: مثنوي الهي نامه، مثنوي شتر نامه ــ مثنوي مهر وماه ــ وامق وعذرا ــ وصف الحال وغيرها[٤].

الشيخ محمد حسن بن محمد علي بن الحسن الاسترابادي الجابري الأنصاري النجفي

عالم عارف أديب شاعر بالفارسية، من أصدقاء الشيخ محمد قاسم الكاظمي المعروف بابن الوندي، كتب في سنة ١٠٩٥ مجموعة من شعره[٥].

السيد محمد حسن بن محمد العسكري الحسني السمناني

عالم فاضل حسن الانشاء بالفارسية مطّلع على العلوم الدينية، من أعلام القرن الثالث عشر.

له «منهاج العارفين ومعراج العابدين» أتم تأليفه سنة ١٢٤٨، و«مقاصد العابدين»[٦].

الشيخ محمد حسن بن محمد ابراهيم بن عبد الغفور اليزدي

مذكور في «الكرام البررة» ص ٣٠٣، ونقول:

أصله من مدينة «يزد» وبها ولد ونشأ، وكان مولده في ليلة الاثنين ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢.

أقام مدة بالنجف الأشرف للتحصيل، وكان له اهتمام بكتب الحديث وما يخص بتراث مسقط رأسه، فكتب واستكتب جملة منها وقابلها وصححها ودقّق فيها، ومن جملة ما كتب بعض أجزاء كتاب «سرور المؤمنين» للسيد أحمد الأردكاني في سنتي ١٢٧٠ ــ ١٢٧١[٧].

---

(١) مقاتل الطالبين.
(٢) السيد أحمد الحسيني.
(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) (٥) (٦) (٧) السيد احمد الحسيني.

السيد الميرزا محمد جعفر الموسوي الشهرستاني

ابن محمد حسين الموسوي الشهرستاني بن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني بن أبي القاسم ..

الفقيه العالم المحقق المولود في كربلا سنة ١٢٠١ والمتوفى في كرمانشاه ليلة عيد الغدير ١٨ ذي الحجة ١٢٦٠ بعد منصرفه من مدينة اصفهان في طريق عودته الى مسقط رأسه كربلا، معه ولده السيد محمد علي الشهير بالسيد ميرزا الذي نقل جنازته من كرمانشاه الى كربلا ودفن جنب والده في مقبرة الشهرستانية في رواق الروضة الحسينية المطهرة. وكان المترجم قد سافر الى اصفهان أواخر سنة ١٢٥٣ لمطالبة مستأجري أوقاف اجداده ولا سيما وقف الوزير الميرزا فضل الله الشهرستاني في أصفهان وسائر مدن ايران ببدلات الايجار لأنه كان المستولي عليها بعد وفاة والده وجده، غير أن السيد محمد باقر الرشتي الأصفهاني قاضي الشرع هناك نقض حكمه الأول بتولية المترجم وولى غيره على التولية مما دعاه الى الإسراع في العودة الى كربلا لكن الأجل لم يمهله حيث انه أثناء مروره بكرمانشاه اشتد عليه المرض ووافته المنية فيها.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في مصنفه (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة) جزؤه الأول عن المترجم:

هو السيد الميرزا محمد جعفر بن السيد محمد حسين بن الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني الحائري من فقهاء كربلا الاعلام في عصره. رأيت في (مكتبة الشيخ عبدالحسين الطهراني) الموقوفة في سنة ١٢٨٨ بعد وفاة صاحبها بعامين عدة من رسائل المترجم في جواز البقاء على تقليد الميت وفي الغيبة وفي العصر وفي نجاسة المرق الواقفة عليه قطرة من الدم حين غليانه ورأيت له في مكتبة السيد ميرزا علي الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٤٤ كتاب أنساب الوحيد البهبهاني وذريته واتصالهم بالسلسلة المجلسية وفيها له أيضاً رسالة في رفع شبهة في موقوفة الميرزا فضل الله الشهرستاني باصفهان فرغ من بعضها في ١٢٥٩). الخ.

أقول: أما رسائل المترجم المشار اليها أعلاه والتي نذكر فيما يلي بالتفصيل فهي خطبة وبخط المترجم، وقد دونت بين دفتي مجموعتين فقط احداهما في مكتبتي وهي المنوه بكونها موجودة في مكتبة السيد ميرزا علي الشهرستاني حيث انها انتقلت لي: والأخرى محفوظة في مكتبة (جامعة طهران) وهي من ضمن الكتب المهداة من السيد محمد مشكاة أستاذ الجامعة في طهران الى تلك المكتبة. وأعتقد أنها هي النسخة التي كانت موجودة في مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهراني. ومجموع الرسائل تسعة وهي:

١ ــ رسالة دفع شبهات السيد محمد باقر حجة الإسلام الرشتي الأصفهاني بشأن موقوفات الميرزا فضل الشهرستاني (وزير اصفهان). وهي باللغتين العربية والفارسية. والظاهر أن المنية لم تفسح له المجال باتمامها.

٢ ــ رسالة فى جواز البقاء على تقليد الميت: انتهى، المترجم من تاليفها وكتابتها في شهر ذي الحجة سنة ١٢٥٣ بمدينة قزوين.

٣ ــ رسالة وجيزة في الغناء: اتمها المؤلف في ٢٥ ربيع الأول ١٢٥٧ باصفهان.

٤ ــ رسالة في الغيبة: انتهى المؤلف من تدوينها في ٩ جمادى الأولى ١٢٥٧ بأصفهان.

٥ ــ رسالة في حكم من تيقن الطهارة والحدث وشك في المتأخر: أنجزها في ١٩ صفر ١٢٦٠ باصفهان.

٦ ــ رسالة وجيزة في حكم العصير (عصير العنب): أتم تاليفها وكتابتها في ١٩ محرم ١٢٥٨ باصفهان.

٧ ــ رسالة في طهارة ما في القدر وحليته لو وقعت فيها قطرة من الدم حال غليانه: انتهى منها في ٢٨ ربيع المولود سنة ١٢٥٨ باصفهان.

٨ ــ رسالة في أصل حكم الشبهة المحصورة، أنجزها في الثاني من شهر صفر ١٢٦٠ باصفهان.

٩ ــ رسالة في سلسلة نسب الأقا باقر البهبهاني واتصاله بالمجلسي وذريته، وهي بالفارسية لم يتمها المترجم[1]

محمد تقي بن أحمد البروجردي

فاضل من أعلام أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، أديب منشىء شاعر بالفارسية يتخلص في شعره بـ «نقي»، وكان مقيماً بكاشان ويمتهن، الوعظ والخطابة[2].

محمد تقي السبزواري، أمين الواعظين

فاضل مشتغل بالوعظ والارشاد، من أعلام القرن الثالث عشر، جيد الخط رأيت بعض ما كتبه من الكتب بخطه الجميل وليس فيه تاريخ الكتابة. أصله من سبزوار وكان ساكناً في يزد[3].

محمد تقي بن محمد رضا

عالم فاضل ملمّ بالعلوم النقلية كالحديث والفقه والعلوم العقلية كالفلسفة والكلام وغيرها، أديب شاعر بالفارسية جيد الشعر حسن الخط، من أعلام القرن الحادي عشر وكان يعرف بـ «شاه تقي». له مكتبة غنية رأيت نسخاً منها بتملكه وخاتمه «عز من قنع وذل من طمع محمد تقي» على كثير منها قيود علمية ونماذج من شعره.

رأيت نسخة من كتاب «الاستبصار» كتب المترجم له عليها حواش تدل على علو كعبه في العلوم النقلية. كما رأيت نسخة من «شرح تجريد العقائد» للقوشجي كتبها أثناء قراءته له كل يوم درس وكل أسبوع جزء، وكتب في آخرها مقداراً من أبياته المفردة ومقاطيعه وأكثرها في المعمى والتاريخ ورباعيات وبعضها نظمت سنة ١٠٥١ ــ ١٠٥٩[4].

السيد محمد تقي بن مير محمد تقي بن مير رضا بن مير قاسم أمير الحاج ابن مير محمد باقر قافله باشي الحسيني القزويني.

توفي سنة ١٢٧٠.

---

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

ذكر المترجم له نسبه كما ذكرناه في بعض تآليفه، وهو مذكور كذلك في كتب التراجم، ولكن ذكر أيضاً هو نفسه بعنوان «محمد تقي بن الأمير مؤمن الحسيني» في بعض تآليفه الأخرى، وكذلك وجدته مذكوراً في مخطوطات متفرقة بعضها بخط بعض تلامذته.

كان بالإضافة الى مكانه الرفيع في العلم والعمل أديباً شاعراً بالفارسية والعربية، ووجدت بخط أحد تلامذته تشطيراً له لقصيدة السيد محمد مهدي بحر العلوم النجفي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ونظم دعاء كميل بن زياد النخعي بالفارسية وقصائد أخرى(١).

السيد محمد تقي بن محمد حسن الرضوي

عالم فاضل جليل جامع لأطراف العلوم، له انشاء حسن وشعر فارسي جيد وعربي ليس بالعالي، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر ولعله عاش في أوائل القرن الرابع عشر، رأيت له كتابات متفرقة بعضها بتاريخ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ في كربلا(٢).

الشيخ محمد تقي موفق

فاضل أديب شاعر بالفارسية يتخلص في شعره بـ «موفق»، ولعله كان من أفاضل القرن الثالث عشر(٣).

الميرزا محمد تقي المراغي

فاضل أديب شاعر طويل النفس، من أعلام القرن الثالث عشر وتوفي قبل سنة ١٢٤١ التي كتب فيها الشيخ محمد حسن الخوئي قصيدة منه في مجموعة مع ذكره بـ «المغفور المرحوم».

وهو غير المولى محمد تقي بن محمد علي المراغي المذكور في الكرام البررة ص ٢٢٤، اذ توفي هذا بعد سنة ١٢٥٠(٤).

الميرزا محمد تقي الشريف الرضوي القمي

من أعلام القرن الثاني عشر، توفي بعد عمر بلغ الأربع والثمانين سنة ودفن في النجف الأشرف، ذكره ابنه الميرزا محمد باقر الرضوي القمي في أول كتابه «مشارق المهتدين» من جملة شيوخ اجازاته معبّراً عنه بـ «فأول من صح لي روايته قراءةً وعرضاً وسماعاً واجازةً ومناولةً واعلاماً والدي المعظم وشيخنا الأعظم ذو الفطرة القدسية والملكات الملكوتية والكمالات النفسانية الزاهد العابد الكامل البدل الباذل الواصل، الذي لم أر باستحضاره من المسائل أبداً ولا في فضيلته وتقواه من بين الأماثل أحداً..».

وذكر من شيوخ والده صاحب الترجمة: ابن عمة الوالد الميرزا حسن بن عبد الرزاق اللاهجي القمي، المولى محمد باقر المجلسي، أقا جمال الدين محمد الخونساري.

توفي قبل سنة ١١٥٦(٥).

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

ميرزا محمد تقي الطوسي

فاضل أديب، كان من أحرار المشروطية وكافح من أجلها كل الكفاح.

كان مديراً لجريدة (صبح أميد) في اصفهان. توفي سنة ١٣٦٢ في أصفهان(٦).

الميرزا محمد حسن الملقب بالنجفي لأن جده كان قد سكن النجف ابن الآقا محمد علي ابن الآقا محمد باقر بن محمد باقر الهزار جريبي المازندراني.

توفي سنة ١٣٠٥.

في تتمة أمل الآمل هو العالم الفقيه ابن العالم الفقيه ابن العالم الفقيه ابن العالم الفقيه من بيت العلم الزاخر والأفاضل الأجلاء الأماثل كان من أهل الفضل والتحقيق والغور والتدقيق من فحول الفقهاء المفرعين والأصوليين المجتهدين وحكام الشرع المسلم لهم والشيوخ المعاصرين ذا فكر عميق ونظر دقيق مصداق الولد على سر أبيه جرى ذكره يوماً عند سيدنا الميرزا الشيرازي فقال اني أشهد بوثاقته واجتهاده عن معاشرة واختبار وكان في اصفهان من مراجع الإسلام والحاكم المطاع الذي لا يختلف فيه اثنان «ا هـ».

رحل إلى النجف وتخرّج بعلمائها ومنهم صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري وتخرّج في كربلا بصاحب الضوابط والدلائل وصار من وجوه علماء أصفهان وأم فيها وقلد الى أن توفي عن ولد اسمه الشيخ محمد علي من الطلاب المحصلين في النجف قام مقام أبيه.

السيد محمد حسين بن السيد حسين الزيدي البارهوي اللكهنوي

ولد سنة ١٢٧٦ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣٣٧.

ترعرع برعاية والده في أجواء العلم والإيمان، بدأ دراسته الأولى على أبيه وبعض المعاصرين، وفي ١٣٠٦ ذهب الى النجف وكربلا للدراسة فأجيز من الشيخ زين العابدين المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني والسيد اسماعيل الصدر.

ثم عاد الى لكهنو وقام بالتدريس والخطابة وتجوّل في الهند وقصد بومباي وغيرها للتبليغ والخطابة.

من مؤلفاته: تفسير البرهان، والقول المفيد في مسائل الاجتهاد والتقليد، وحديقة الاسلام ثلاثة مجلدات وغيرها.

وترجم الى الأردوية كتاب نهج البلاغة، والصحيفة الكاملة.

محمد حسين بن محمد الفاضل

مشتغل بالفلسفة والعلوم العقلية، عارف صوفي مرشده صدر الممالك، خطاط يكتب خط النستعليق الفارسي بمنتهى الجودة حتى أنه يذهب بعض الى مقارنته للخطاط المشهور مير عماد القزويني. ملك مجموعة فلسفية فكتب على هوامش الرسائل تعاليق دالة على تبحره في الفلسفة الالهية. وعلى الورقة الأولى من المجموعة المذكورة كتابة منه بتاريخ ١٢٥٧(٧).

---

(٦) الشيخ محمد رضا الأنصاري.

(٧) السيد أحمد الحسيني.

الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر الصدوقي النطنزي، صدر الشريعة.

عالم متضلع في العلوم الاسلامية خبير بالعقليات والنقليات، فاضل أديب شاعر بالفارسية والعربية، حسن الخط في كتابة النستعليق، حسن الانشاء بالعربية والفارسية، له ذوق في مؤلفاته وكيفية تنظيمها. كان يقيم بمدينة «نطنز» ويتولى الشؤون الدينية بها، ينتهي نسبه الى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمي كما صرح بذلك في بعض مؤلفاته، ولذا كان يلقب بـ «الصدوقي»، وكان يلقب أيضاً بـ صدر الشريعة».

له «الصدرية في شرح الصمدية» و «الصراط المستقيم» و «الضيائية» و «القواعد السراجية في شرح الضيائية» بدأ بتأليفه سنة ١٣٢٦(١).

الشيخ محمد حسين النجفي بن أبو القاسم

ولد سنة ١٣٠٣ في النجف وتوفي بسنة ١٣٨٧ في طهران ودفن في قم نشأ في رعاية أمه وأخواله. ودرس دراسته الأولى في كربلاء وفي سنة ١٣١٣ أرسله جده الى سامراء الى حوزة السيد محمد حسن الشيرازي وبعد وفاة الشيرازي بقي في سامراء مواصلاً دراسته، ثم جاء الى بومباي في الهند حيث بقي فيها مرشداً دينياطيلة أربعين سنة.

ولما هاجم الروس ايران سنة ١٣٢٩ وأفتى علماء النجف بالجهاد، استجاب لهذه الفتوى كثير من الهنود لا سيما من العلماء والطلاب، وبينهم المترجم فسافروا الى ايران. ثم عاد المترجم الى بومباي فأنشأ مدرسة دينية.

وفي سنة ١٣٥٣ أسس جمعية حماية الاسلام. وفي سنة ١٣٥٤ أنشأ مجلة (اثنا عشري) شهرية. وفي سنة ١٣٥٨ أنشأ جمعية اخوان الصفا. وفي سنة ١٣٦٩ أنشأ جريدة (صوت النجف).

من مؤلفاته: ارمغان اسلام في أربعة مجلدات في الأخلاق والعقائد والفقه والثقافة العامة، وكتاب (خزينة دانش) وغير ذلك.

السيد محمد حسين بن جعفر بن باقر بن القاسم الحسيني القزويني.

من الأفاضل المختصين بآل البرغاني، وتتلمذ على المولى محمد صالح البرغاني، ونسخ جملة من آثارهم الفقهية وغيرها.

أتم نسخ كتاب القضاء من «منهج الاجتهاد» في يوم الجمعة تاسع ربيع الأول سنة ١٢٦٠ وعلق عليه تعاليق قليلة دالة على اشتغاله بالفقه وفضله فيه.

كما أنه أتم كتابة كتاب «نجاة المؤمنين في معارف الدين» للمولى محمد صالح البرغاني في يوم الاثنين ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٦٢ وصرح في آخره أن البرغاني أستاذه(٢).

الميرزا محمد حسين خان الأصفهاني، الملقب بذكاء الملك ابن محمد مهدي المعروف بـ (أرباب الأصفهاني)

أحد المؤلفين والشعراء المتحررين في العصر القاجاري. ولد في اصفهان عام ١٢٥٥ هـ، ودرس مقدمات العلوم على أساتذة مدينته وترقى على أيديهم في فنون الأدب، ثم أنشأ يحقق في نتاجات الشعراء، فسافر في سبيل ذلك الى العديد من المدن الايرانية. ثم سافر الى العراق لاكمال دراسته ومكث فيه فترة من الزمن ثم عاد بعدها الى طهران واشتغل فيها ضمن جهاز محمد حسن خان اعتماد السلطنة محرراً في الصحيفة الرسمية.

وحين بدىء ببناء عشرت آباد في شمال طهران عام ١٢٩١ هـ بأمر من ناصر الدين شاه، وقدم الشاه الى المكان وزرع بيده أربع أشجار في الحديقة وأخذ الآخرون يقتدون به، أنشدهم الميرزا محمد حسين الأصفهاني الذي كان يلقب نفسه آنذاك بالأديب الأصفهاني قصيدة أعجبت الشاه فلقبه بالفروغي.

ومحمد حسين الفروغي هو والد محمد علي الفروغي (ذكاء الملك) وأبو الحسن الفروغي وهما من الشخصيات المشهورة المعاصرة. كانت وفاته عام ١٣٢٥ هـ في طهران في الثمانين من عمره.

محمد حسين الأصفهاني

المعروف في اشعاره بـ (زرگر الأصفهاني). أحد شعراء الغزل في القرن الثالث عشر للهجرة في ايران. لم ترد ترجمة له في تراجم الشعراء سوى انه عاش في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة وكان يشتغل في صياغة الذهب وتوفي عام ١٢٧٠ هـ.

وقد قام أحمد الكرمي بجمع وطبع سبعين ونيف قطعة غزل لهذا الشاعر، وصدرت الطبعة في طهران عام ١٩٨٣ م.

محمد بن الحسين بن علي المقري

فاضل عارف بالتجويد والقراءات، استفاد من شرف الاسلام عباس بن محمد شاه بن محمد سلمان الغزنوي الهروي.

الظاهر أنه من أعلام القرن التاسع، ويبدو من تعابيره في كتابه أنه هروي من أفغانستان.

له «التكميل في بيان الترتيل»(٣).

السيد محمد حسين بن محمد علي بن محمد كاظم الحسني الحسيني الطباطبائي التبريزي.

فاضل أديب شاعر بالفارسية جيد الشعر والإنشاء، وكان يتخلص في شعره بـ «نوا»، وهو من أعلام القرن الثالث عشر ظاهراً.

له «الحسينية» في مراثي الإمام الحسين عليه السلام(٤).

الملا محمد حسين ضياء الأصفهاني

أحد مشاهير الشعراء في العهد القاجاري يتصل من جهة الأب بأسرة معروفة بعلمها وأدبها وهي منحدرة عن الملا محمد اسماعيل الخواجوئي، ويتصل من جهة الأم بالميرزا مهدي خان مؤلف (درة نادري) و (جهانگشاي نادري). جمع هذا الشاعر ـ بالإضافة إلى قدرته في الشعر ـ علم الهيئة والنجوم والهندسة وعلم الحساب فكان

---

(١) السيد أحمد الحسيني.
(٢) السيد أحمد الحسيني.
(٣) السيد أحمد الحسيني.
(٤) السيد أحمد الحسيني.

أستاذا في هذه العلوم، وكان بارعاً في خط النستعليق، وينقل أن بيتـه لم يكن يخلو في وقت من الأوقات من الأدباء والشعراء.

توفي عام ١٢٦٥ هـ في اصفهان، ودفن في مقبرة (تخت فولاد)(١).

محمد حسين سالمي

ولد في مدينة همذان عام ١٣٤٦ هـ ودرس فيها ثم حاز الرتبة الأولى في الامتحانات فأرسل في بعثة دراسية إلى فرنسا ودرس فيها الرياضيات والفيزياء العامة والكهرباء وحاز على الدكتوراه من جامعة تولوز ثم عـاد الى ايران وصار أستاذاً في الجامعـة الفنية بـطهران واستمـر يدرّس طيلة ٣٥ سنة كان يجيـد اللغات العـربية والانكليـزية والفـرنسية والألمـانية، والـروسية، خلّف مؤلفـات عديـدة في المجـال العلمي والأدبي بعضهـا تأليفه وبعضها ترجمة.

توفي عام ١٤١٥ هـ بطهران(٢).

الميرزا محمد حسين بن محمد اسماعيل الحسيني التفريشي

انتقل الى كربلا وهو في الـرابعة والأربعـين من عمره بعـد أن حصل العلوم العقلية والنقلية كما يقول، وهو يميل الى العرفان ويشتغل بالعلوم الغـريبـة ولـه تبحـر فيهـا وفي كتـابـاتـه التـواء وتقعـر، وكـان يلقب بـ «جناب».

توفي بعد سنة ١٢٦٥.

له «قصبة الياقوت الثابتة في أجمة اللاهوت»(٣).

السيد محمد رضي بن محمد تقي بن محمد علي الحسيني الخلخالي

فقيه يلّقب بـ «شيخ الاسلام»، ساكن في قرية «هراباد» ويرجع اليـه في المسائل الفقهية والأمور الدينية.

له «الحنفية في مناسك الحج والعمرة» مناسك ألفه سنة ١٢٨١(٤).

الشيخ محمد رضا بن محمد حسين بن عبد الله.

فاضل ثألم مشتغل بالفقه، كان من أعلام أواخر القرن الثـالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر.

له «شرح شرائع الاسلام»(٥).

محمد رفيع بن محمد شفيع القزويني

من أعلام أوائل القرن الثاني عشر، فاضل جامع للعلوم الاسلامية، كاتب أديب شاعر بالفارسية»

السيد محمد الرضوي الأكبر آبادي بن محمد

ولد حدود سنة ١٢٥٠ في الهند وتوفي سنة ١٣٢٤.

كان عالماً فاضلاً، درّس اللغتين العـربية والفـارسية في جـامعة عـلي كـره، وهو من تـلاميذ السيـد حامـد حسين صـاحب عبقات الأنـوار سكن مدة طويلة أكره رغبة في مجـاورة ضريح الشهيـد القاضي نـور الله الشـوشتري، وقـد بذل جهـداً كبيراً في اشـادة مزاره مؤيـداً بذلـك من أستاذه السيد حامد حسين.

من أبرز مؤلفاته: تنزيه القرآن.

السيد محمد رضى

توفي سنة ١٣٧٠ في الهند.

هـو من بلدة (زنگي بـور) في الهنـد. كـان من مشـاهـير العلماء المحققـين، ألف عـدة كتب ورسـائـل، وكتب كثيـراً من البحـوث في المجلات والجرائد، وتولى ادارة مـدرسة (جـوادية كـالج) في بنـارس، وعـرف من مؤلفاتـه كتاب نـظام الاقتصاد الاسـلامي، وتفسير الـرضى الذي لم يكمله.

الشيخ محمد رضا بن محمد صادق الأسترابادي

انتقل من بلدته الى طهران فأصبحت له صلات ببلاط فتح علي شاه القاجار. وهو عالم جليل حسن التعبير والانشاء بالفـارسية شـاعر أدرج نماذج من شعره في مؤلفاته.

يظهر من مقدمة كتابه «مرشد الواعظين» أنـه كان عـالماً يُستفتى منـه وألف كتبـاً استدلاليـة ورسائـل عـديـدة وحقق في مسـائـل من العلوم والمعارف الدينية.

هو من رجال القرن الثالث عشر(٦).

الشيخ محمد شريعتمدار المازندراني البارفروشي

يروي اجازة عن الشيخ أحمد الأحسائي، ويروي عنه والده الشيخ محمد حسن شريعتمدار. توفي سنة ١٢٧١(٧).

محمد سعيد بن محمد مقيم اللاري

وهب له المولى محمـد جعفر بن محمـد حسين المـازندراني نسخـة من «الفتوحات» للجزائري في تاسع ربيـع الأول ١١٢٩ وعظمـه فيها كتبـه عـلى النسخة غـاية التعـظيم تدل عـلى مقامـه العلمي الرفيـع وقـدسـه وتقواه(٨).

السيد محمد زكي الموسوي المشهدي الدرودي

فاضل أديب شاعر بالفارسية، من أعلام القرن الثالث عشر(٩).

السيد محمد شريف النقوي الشيرازي

ولد سنة ١٢٧٠ في بلدة (وِنْـد) ودرس فيها دراستـه الأولى ثم انتقل الى أصفهان وفيها التقى بـالسيد محمـد كاظم اليـزدي فكانـا صديقـين متـلازمين ودرسـا معاً عـلى كبار الأسـاتذة في اصفهـان، ثم هـاجـر الى النجف فكـان من أساتـذته كـل من الشيخ زين العـابدين المـازنـدراني

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) الشيخ محمد رضا الأنصاري.

(٣) (٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

(٦) (٧) (٨) (٩) السيد احمد الحسيني.

والفاضل الايرواني والميرزا حبيب الله الرشتي والميرزا حسن الشيرازي . وبعد قضاء اثنتي عشرة سنة في الدراسة تصدى للتدريس، ولكن سوء صحته دعاه الى العودة الى ايران فأقام في مدينة شيراز وأنشأ فيها حوزة علمية ظل يشرف عليها طيلة أربعين سنة حتى وفاته .

توفي سنة ١٣٥٢ خلال اقامته في طهران للمعالجة من أعراض صحية فنقل جثمانه الى قم فدفن فيها .

ترك مؤلفات منها : تبصرت الناظرين، وكشف المرام في قانون الاسلام، وكشف البيان في تربية الانسان، ورسالة في الرد على الوهابية، ومرآة الأصول، ورسالة عملية .

تخلف بثلاثة بنين هم : الفقيه السيد عناية الله، والسيد عبد الحميد الذي عمل في الصحافة، والأديب السيد جلال الدين .

محمد شريف بن حامد الجيلاني

عالم جليل جامع لأطراف العلوم وأديب فاضل منشىء جيد الانشاء بالعربية، كتب ديباجة لكتاب محمد صفي بن أبو الفضل تدل على براعته في الأدب العربي، وهو من أعلام القرن الحادي عشر .

لعله هو محمد شريف بن حاتم المذكور في «الروضة النضرة» ويكون اسم أبيه مصحفاً فيه[1] .

ميرزا محمد شفيع التبريزي

من مشاهير الخطاطين في عهد الصفوية، لم يعرف تاريخ ولادته ووفاته ولكن كان حياً عام ١٠٨٥ ، كان خطه جميلاً وتوجد مجاميع بخطه حيث كان يجيد قلم النستعليق .

السيد محمد شفيع بن محمد (بهاء الدين) الحسيني القزويني

من رجال القرن الثاني عشر، له شعر كثير جيد بالفارسية وبعض الشعر العربي الذي لا يخلو من ضعف، وكان يتخلص في شعره بـ «قانع»[2] .

محمد شريف بن محمد صادق الخاتون آبادي

فاضل كان يشتغل بالطب، شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام . كان من سكنة مشهد الرضا عليه السلام ويلقب نفسه في بعض مؤلفاته بـ «الخادم» لأنه كان من خدمة الروضة الرضوية، وهو من أعلام أوائل القرن الثاني عشر .

له «تحفة الأبرار» ألفه سنة ١١١١ و «شرح طب الرضا» و «حافظ الأبدان»[3] .

محمد صادق الخسروشاهي

من أفاضل القرن الرابع عشر، كتب تعاليق يسيرة على نسخة من كتاب «حدائق الحقائق» لمسكين الفراهي بعضها بتاريخ ١٣٤٩ ، وهي تدل على فضله وشدة مخالفته للعرفاء والصوفية[4] .

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني .

السيد محمد صادق بن علي نقي بن محمد علي الموسوي الزنجاني الأصبهاني

مذكور في «الكرام البررة» ص ٦٤٣ ، ونقول :

متبحر في الأدب العربي ـ بالاضافة الى مكانته العلمية المرموقة ـ حسن الانشاء جيد الشعر في العربية والفارسية .

توفي بعد سنة ١٣٠٨ المؤلف فيها كتاب «معين الوارثين» الذي كتب صاحب الترجمة تقريظاً له .

له «الدرر المنثورة» أرجوزة في الارث[5] .

محمد صادق الشريف الخراساني

فاضل عارف بالفلسفة والعلوم العقلية، لعله كان من تلامذة المولى هادي السبزواري في سبزوار، ملك نسخة من كتاب «الأسفار» في سنة ١٣٢٠ وكتب على أوائلها قيوداً وحواشي دالة على تبحره في المعقول، وهو أديب شاعر بالفارسية يسلك في شعره مسالك العرفاء، ولعله كان يتخلص في شعره بـ «أطوار»[6] .

الشيخ محمد صادق بن محمد أمين بن محمد علي الجُهيمي الحلي

مترجم في «الروضة النضرة» وتقول :

عالم فاضل فقيه، من أعلام القرن الحادي عشر وكان يسكن في شيراز، قرأ نسخة من كتاب «الأربعون حديثاً» للشيخ بهاء الدين العاملي وكتب عليها حواش قليلة دالة على علو كعبه في علوم الحديث .

له رسالة في «وجوب السورة بعد الحمد» أتمها يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني سنة ١٠٥٧[7] .

السيد محمد الطباطبائي المعروف بالميرزا السيد محمد السنگلجي بن السيد صادق

ولد في كربلا سنة ١٢٥٨ وتوفي في طهران .

والده السيد صادق هو ابن السيد مهدي الطباطبائي من مجتهدي مدينة همذان . ووالد السيد مهدي هو السيد علي بن السيد أبي المعالي من كبار فقهاء عصر فتح علي شاه .

والسيد علي أصله من اصفهان ولكنه ولد في الكاظمية بالعراق وسكن كربلا، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (رياض المسائل) ولشهرة الكتاب عرف مؤلفه بصاحب الرياض .

انتقل المترجم من كربلا الى همذان وهو في السنة الثانية من عمره باشراف جده السيد مهدي . ثم انتقل وهو في الثامنة الى طهران وتربى برعاية والده فتعلم المقدمات ومبادىء العلوم والأدب العربي ثم الفقه والأصول على والده والحكمة على الميرزا أبو الحسن جلوه وتلمذ فترة من الزمن على الشيخ هادي نجم آبادي بوصية من والده فانتفع من تعليماته الأخلاقية .

(٥) (٦) (٧) السيد احمد الحسيني .

وفي سنة ١٢٦٩ حج الى بيت الله الحرام ثم توجه الى العتبات المقدسة في العراق واستقر في سامراء وانتمى الى حوزة السيد حسن الشيرازي الدراسية. وفي سنة ١٣٠٠ توفي والده فأحضر أسرته الى سامراء، وظل في سامراء ما يقرب من عشر سنوات وصار فيها من خواص السيد الشيرازي. وفي سنة ١٣١١ سافر الى طهران وأقام فيها مرجعاً دينياً.

بعد عودة مظفر الدين شاه من رحلته الثالثة الى أوربا سنة ١٣٢٣ انضم المترجم الى سيد عبد الله البهبهاني في النضال السياسي، وقد ساهم في الاعتصام بحرم عبد العظيم الحسني ثم في النزوح الى قم الى أن قامت الحياة النيابية فكان من أركانها وأبرز خطبائها.

وبعد قصف المجلس النيابي بالمدافع قبض عليه وبعد الافراج عنه سافر الى (مشهد) مع أسرته، وبعد سقوط محمد علي شاه واستقرار الحكم الجديد عاد الى طهران، وقد مال الى اعتزال السياسة.

وفي أواخر الحرب العالمية الأولى ذهب مع جماعة من الايرانيين إلى اسطنبول فأقام هناك حوالي ستة أشهر قابلوا خلالها السلطان محمد رشاد والصدر الأعظم طلعت ثم عاد الى طهران سنة ١٣٣٦ وظل فيها حتى وفاته معتزلاً السياسة غير راض عما آلت اليه الحياة النيابية التي ناضل في سبيلها.

(راجع ترجمة السيد عبد الله البهبهاني وترجمة الشيخ فضل الله النوري، فهذه التراجم الثلاث يكمل بعضها بعضاً).

محمد محيط الطباطبائي

ولد سنة ١٩٠٤ م في بلدة (زوارة) من أعمال أصفهان بايران وتوفي سنة ١٩٩٢ م.

بدأ دراسته الأولى في طفولته في كتاتيب زوارة. وفي سنة ١٩١٨ دخل مدرسة لطف علي خان الترشيزي في زوارة نفسها، ثم انتقل الى أصفهان فتلقى العلوم الحديثة واللغة الفرنسية في مدرسة (كاسه گران) ولم تطل دراسته فيها حيث امتهن التعليم سنة ١٩٢٣ م في مدرسة السادات الابتدائية في زوارة. وفي سنة ١٩٢٤ سافر الى طهران وانتمى الى (دار الفنون)، ثم دخل معهد الحقوق.

وبعد ذلك تولى التدريس في دار الفنون، وكلية الضباط، ودار المعلمين، وفي الجامعات الايرانية لا سيما جامعة طهران. وساهم في كثير من المؤتمرات العلمية وكتب لها بحوثاً قيمة، وقد التقيت به في أحد هذه المؤتمرات وهو مؤتمر ألفية الشيخ الطوسي في مدينة (مشهد).

كان كاتباً صحفياً نشيطاً فكتب في معظم المجلات والجرائد الايرانية لا سيما جريدة (اطلاعات). ونال جائزة مجمع الآثار الوطنية، كما منحته جامعة الدكتور بهشتي دكتوراه فخرية. وكان يجيد عدة لغات.

ترك مؤلفات باللغة الفارسية هي: (تاريخ اغرام محصل به أوربا)، (زندگي محمد زكريا الرازي)، و(دوران فادر)، (تاريخ تحول نثر فارسي درقرن سيزدهم)، و(تاريخ تحليلي مطبوعات ايران)، و(نقش سيد جمال الدين أسد آبادي بيزاري مشرق).

وبمرور سنة على وفاته نشرت احدى الصحف الطهرانية عنه ما يلي:

بحضور وزير الثقافة والارشاد الاسلامي وعدد من الشعراء والجامعيين، تمّ احياء الذكرى السنوية الأولى لرحيل الكاتب والمحقق والأستاذ الجامعي الدكتور محيط طباطبائي، وذلك في مرقده الواقع في (ابن بابويه) جنوب طهران. وخلال ٧١ عاماً من عطاء الراحل، عمل في تحقيق ٢٠ ألف بيت شعر، وكتابة ٢٠٠٠ مقالة ورسالة، وإلقاء ٦٠٠ محاضرة.

وكان قد كتب ١٦ مقدمة لأعمال أدبية وثقافية مشهورة في ايران، منها: (بهارستان جامي)، و(بستان سعدي)، و(ديوان مجمر)، و(دور سيد جمال الدين في ايقاظ الشعوب). اضافة الى تأليفه لاثني عشر مؤلفاً، منها: تاريخ المطبوعات في ايران، وتصحيح ديوان حافظ وكلستان سعدي وغيرها...

وهو، فضلاً عن قيامه بالتدريس والتعليم، كان عضواً في مؤتمر ألفية الفردوسي ومديراً لمجلة التربية والتعليم، ورئيساً لتحرير مجلة الموسيقى، وعمل ملحقاً ثقافياً في الهند والعراق وسوريا ولبنان.

الشيخ محمد بن عبد الله الكرمانشاهي

عالم فقيه فاضل، ولعله من أعلام القرن الثالث عشر.

له «تحقيق الخلع»(١).

الشيخ محمد بن عبد النبي بن نعمة الله البحراني

فاضل، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر.

له «الذكر والدعاء» و«وسيلة النجاة»، ثم يوم الخميس ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٥(٢).

السيد محمد بن عبد الحسين بن الحسن بن عبد الله علي بن فرج الله الحسيني النجفي.

ولد في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٢٥، وكتب مجموعة في سنة ١٠٥٦ فيها رسائل كلامية وغيرها وعلق عليها بعض التعاليق الدالة على فضل فيه وعلم، والظاهر أنه كان مقيماً باصبهان.

له «زيارة الرضا عليه السلام» و«فوائد حديثية»(٣).

محمد بن عبد الحي الشريف الشهير بنصير الدين الامامي

أديب ناثر جيد التعبير حسن الأسلوب، كان يسكن بالبلد الأمين (مكة المكرمة) ثم جاب البلاد لطلب العلم والمعرفة، ولازم الشيخ بهاء الدين العاملي باصبهان متتلمذاً عليه الى أن خرج الشيخ منها في سنة ١٠١٢ الى آذربيجان، ومما قرأ عليه كتابه «العروة الوثقى» فكتب له اجازة في آخره في أواخر العشر الأول من شهر ذي القعدة سنة ١٠١٢ وقال فيها:

«قرأ علي الولد الأعز الأمجد الأفضل ذو الطبع الوقار والذهن الألمعي النقاد والفطرة العالية والفطنة الجالية والتدقيقات الفائقة والتحقيقات الرائقة... قراءة فهم واتقان وفحص وايقان واستشراح عن الخفايا واستكشاف عن الجنايا...»(٤).

---

(١) (٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

السيد محمد طاهر بن أبي طالب الحسيني

فقيه متضلع جامع، له انشاء جيد وخط جميل يدلان على ذوقه الحسن في الكتابة والتأليف، توفي بعد سنة ١٢٦٠.

له «مناسك الحج» ألفه سنة ١٢٥٦[١].

ميرزا محمد علي خان بن قنبر علي السدهي الأصفهاني الملقب بشمس الشعراء

ولد في قرية (سده) على مسافة ثلاثة فراسخ من اصفهان سنة ١٢٢٨ وتوفي سنة ١٢٨٥ في طهران ودفن في قم.

كان شاعراً مجيداً يتخلص في شعره باسم سروش (النداء السماوي). وقد لقبه ناصر شاه الملك القاجاري بشمس الشعراء. وشعره من نوع السهل الممتنع، بعيد عن التعقيد والغموض.

هاجر من اصفهان سنة ١٢٤٧ الى گلپايگان ثم منها الى طهران ومكث فيها سنتين ثم سافر الى آذربايجان في حاشية ولي العهد ناصر الدين، ثم رجع معه وهو ملك الى طهران سنة ١٢٦٤ بعد خمس عشرة سنة من الإقامة في آذربايجان.

أكثر قصائده في مدح الرسول (ص) وأهل البيت (ع)، وهي القصائد التي سميت (شمس المناقب). وقصائد في رثاء الحسين (ع) مشهورة تناقلتها الألسن.

كما انه نظم تاريخ الدولة القاجارية في ديوان كبير على طريقة الشاهنامه.

له خمسة دواوين شعرية: واحد في مدح الرسول وعترته، وواحد في غزوات علي (ع)، وواحد في مراثي الحسين (ع)، وواحد في تاريخ القاجاريين، وواحد في القصائد والغزليات[٢].

الشيخ محمد علي بن محمد صادق النيشابوري

فاضل متتبع عن الانشاء بالفارسية، من أعلام القرن الثاني عشر، ولعله كان من علماء النجف الأشرف.

له «نجاة المؤمنين» ألفه سنة ١١٤٨[٣].

السيد محمد الموسوي بن زين العابدين

فاضل من أعلام القرن الثالث عشر، له اهتمام بالكتب المخطوطة ودقة في نسخها ومقابلتها، كتب مجموعة فيها «حاشية مشرق الشمسين» للمولى محمد اسماعيل الخواجوئي دونها من خط المؤلف وأتم كتابتها في يوم الأحد ٢٥ شهر شوال سنة ١٢٧٢[٤].

محمد مؤمن الأردستاني

له فوائد رياضية فقهية كتبها بخطه في مجموعة كتبت في القرن العاشر، وهو من أعلام القرن الحادي عشر ظاهراً[٥].

(١) السيد أحمد الحسيني.
(٢) الشيخ محمد رضا الأنصاري.
(٣) (٤) (٥) السيد احمد الحسيني.

محمد قاسم بن محمد شريف

فاضل متتبع في الحديث ذو اطلاع لا بأس به في العلوم الدينية، له نشاط في التأليف والتصنيف وأكثر كتبه في العقائد والآداب الاسلامية والأخلاق وما أشبه ذلك. ولد بعد سنة ١١٧٠ وكان حياً إلى سنة ١٢٣٤.

له «آداب الجنائز» و«آداب الصلاة» و«أخلاق المؤمنين» و«أرباح المتاجر» و«أركان الايمان» و«أصول الدين» و«ترجمة الصلاة» و«تعقيب الصلاة» و«تنبيه المؤمنين» و«جنة الزائر» و«زبدة الأخبار» و«زينة الاخبار» و«زينة الأعمال» و«سراج الليل» و«سواء المنهج» و«فضائل التمتع» و«فضائل الصلاة» و«مباحثة النفس» و«مصباح الأنوار» و«مفتاح النجاة» و«مفرح القلوب» و«مقصر الآمال» و«مناهج التوابين» و«مناهج الدعوات» و«مناهج الزيارات» و«مناهج العلماء» و«مناهج العلوم» و«نصائح الأولاد ــ الصغير» و«نصائح الأولاد ــ الكبير»[٦].

محمد كاظم بن محمد شريف (الطبيب) بن محمد صادق الخاتون آبادي

عالم مدرس بمشهد الرضا عليه السلام، لقب نفسه في بعض توقيعاته «المدرس الخادم» وصرح في بعضها أنه خادم الروضة الرضوية ومدرس بالجامع (جامع گوهرشاد؟)

كتب مجموعة فيها رسائل فقهية في سنة ١١٠٧ ـ ١١٢١، وكتب تلميذه رضا علي بن محمد تقي الرسالة الأولى من نفس المجموعة مصرحاً بأنه من تلامذته وقد عظمه وبجله[٧].

محمد كاظم بن الرضا الطبري

فاضل كاتب شاعر لغوي متمكن في الفارسية، عارف بالنجوم والحساب والعلوم الرياضية والجغرافيا والهندسة، يجيد العربية والانجليزية، من أعلام القرن الثالث عشر.

له «جوامع العلم» ألفه سنة ١٢٦٣، و«فصول طبري» و«كلمات مخزونة» و«حل التراكيب»[٨].

محمد كاظم رحمت

أديب شاعر بالفارسية، يتخلص في شعره بـ «رحمت» وشعره الذي رأيته في رثاء الامام الحسين عليه السلام. ولد سنة ١٢٠٦ وتوفي بعد سنة ١٢٦٨.

له «نظم المصائب فتحعلي شاه» و«نظم المصائب ناصر الدين شاه»[٩].

الآخوند الملا محمد الكاشاني

ولد سنة ١٣٣٣ وتوفي في أصفهان ودفن في مقبرة تخت فولاد جمع بين الفقه والفلسفة، وكان من كبار مدرسي فلسفة الملا صدرا في

(٦) (٧) (٨) (٩) السيد احمد الحسيني.

اصفهان، وكان يوافق بين الفلسفية والعرفان. وهو معاصر لعالم الفلسفة جهانگير خان قشقائي، وكان وجودهما معاً وكفاءتهما مما ادى إلى اقبال طالبي الفلسفة على اصفهان من كل مكان.

وكان أستاذاً في الحكمة لكثيرين من طالبيها أشهرهم الشيخ محمد حكيم الخراساني المتوفى سنة ١٣٥٠ والحاج آغا رحيم أرباب المتوفى سنة ١٣٩٦ والميرزا أبو القاسم محمد نصير الشيرازي المتوفى سنة ١٣٣٠ والسيد محمد رضا الخراساني.

وعدا عن تبحره في الفقه والأصول والحكمة فقد كان متبحراً في الأدبين العربي والفارسي والرياضيات.

ولا يُعرف إن له مؤلفات.

الشيخ محمد قاسم الخلخالي، الفاضل

عالم جليل ذو فضيلة ودراية في العلوم الاسلامية وتوغّل في الفلسفة والعرفان، من أعلام القرن الرابع عشر وكان يسكن في طهران ويدعى بـ «الفاضل».

له «شرح دعاء السحر» أتمه سنة ١٣٢٣[١].

محمد قاسم بن غلام علي الطبيب الرسمتداري

طبيب عارف اشتغل بالفلسفة والعلوم العقلية، كتب نسخة من كتاب «لوامع الأسرار» للقطب الرازي، وأتم كتابتها في شهر رجب سنة ١٠٤٩ ثم قرأ الكتاب من أوله الى آخره[٢].

محمد قاسم بن محمد عسكر اليزدى

كتب نسخة من كتاب «الأمالي» للشيخ الصدوق وأتمها في يوم الثلاثاء ١٢ محرم سنة ١٠٨٨ ثم قابلها، فهو من المشتغلين بعلم الحديث[٣].

محمد بن قوج علي الحاجي آبادي الأسترابادي

من أعلام القرن الثالث عشر، أقام سنين في العتبات بالعراق للتحصيل، من أساتذته في كربلا شريف العلماء المازندراني.

له «تقرير أبحاث شريف العلماء» في الأصول أتمه سنة ١٢٤١[٤].

السيد محمد بن علي بن نظام الدين الجيلي العقيلي

كتب باستراباد مجموعة في سنة ٩٢٢ فيها بعض حواشي شرح الشمسية، وفيها قيود وفوائد دالة على فضله واشتغاله بالعلوم العقلية[٥].

محمد علي القراجة داغي التبريزي

فاضل فقيه، من أعلام القرن الثالث عشر وكان يقيم بمدينة تبريز.

له «شرح تبصرة المتعلمين»[٦].

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) السيد احمد الحسيني.

الشيخ محمد علي بن محمد تقي البروجردي

من أعلام أوائل القرن الرابع عشر، نسخ عدة من الكتب كان آخر ما رأيت منها كتب في سنة ١٣١١، وعلق على بعضها تعاليق قصيرة تدل على فضل فيه وعلم[٧]

الشيخ محمد بن علي بن خاتون العيناثي العاملي

مذكور في رياض العلماء٥/١٠٢، ١٣٤، ٢٠٦ وأعيان الشيعة ١٠/١٠ وغيرهما ونقول:

أجازه المولى محمد مؤمن بن شرف الدين علي الحسيني في سنة ١٠١٤ في آخر «الحاشية الشريفية» وقال فيها «وكان ذلك ببركة مباحثة الفاضل الكامل الألمعي اللوذعي التقي النقي الرضي المرضي العالمي العاملي المستغني عن الأطناب في الألقاب الشيخ الأجل الأكمل...»، وصرح فيها أيضاً أن المجاز ولد بطوس.

كان يدرس بالهند في التفسير والحديث، وقد ربى فيها جماعة من العلماء، منهم المولى محمد علي الكربلائي كما صرح التلميذ بذلك في أول كتابه «هادية قطبشاهي».

ويبدو من بعض تعابير التلميذ المذكور أن أستاذه كان يتولى بعض شؤون الدولة، فانه قال «عمدة وكلاء السلاطين العظام في العالم»[٨].

الملا محمد علي بن محمد حسن الأرائي الكاشاني

فاضل مدقق جامع للعلوم والفنون، مولده أواخر القرن الثاني عشر وبقي الى النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وله نشاط في التأليف نثراً ونظماً وتآليفه منوعة في علوم شتى.

كان يقيم بمدينة «كلپايكان» ويعرف بـ «علي الآراني» كما صرّح بذلك في أول بعض مؤلفاته أو آخرها.

من مؤلفاته: «شرح العوامل المائة» ألفه سنة ١٢٠٩ وهو أول مؤلفاته[٩].

محمد علي الكشميري

كتب مجموعة فيها كتاب «ايضاح الاشتباه» و «خلاصة الأقوال» في «مدرسة يوسف خان» بمشهد الرضا عليه السلام وأتمها في ثالث شهر محرم سنة ١٠٣٨، ثم ذاكرهما وعارضهما مع أستاذه الشيخ حسين بن الحسن الشامي العاملي المشغري[١٠] في نفس السنة، فكتب له بعد كل واحد منها اجازة وصفه فيها هكذا:

«قد عارضني وذاكرني المولى الفاضل الورع التقي الكامل زبدة الفضلاء والمحصلين وخلاصة الأتقياء والطالبين... معارضة تدبر وتحقيق ومذاكرة تأمل وتدقيق..»[١١].

(٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) السيد احمد الحسيني.

السيد محمد علي الطباطبائي

فاضل عالم فقيه جليل، من أعلام القرن الثالث عشر وكان يميل الى العرفان.

له «العناوين» في الفقه، و «مرآة القلوب» ألفه سنة ١٢٦٨[١].

محمد بن وهيب الحميري

شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة، وكان يستميح الناس بشعره ويتكسب بالمديح، فلما اتصل بالحسن بن سهل وسمع شعره أعجب بشعره واقتطعه اليه وأوصله الى المأمون فمدحه فأسنى جائزته.

ولم يزل منقطعاً إلى الحسن حتى مات. وكان يتشيع وله مراث في أهل البيت الطاهرين وهو متوسط بين شعراء طبقته ولم يعرف تاريخ وفاته (عن كتاب المنتحل لأحمد بن أبي علي الاسكندري ص ٣٥٢ ط ١٣١٩).

السيد محمد بن هاشم الحسيني القمي الكشميري

أصله من قم وولد في كشمير وسكن النجف الأشرف، تتلمذ في النجف على الفقيه الشيخ محمد الفتوني وفي كربلا على المولى محمد باقر الوحيد البهبهاني.

فقيه فاضل جامع طويل النفس في تأليفه. توفي بعد سنة ١٢٨٥.

له «فوائد الغري» كتاب كبير في الكلام والفقه[٢].

محمد هاشم بن محمد طاهر بن الحكيم أبي طالب الطبيب الطهراني

فاضل أديب حسن الانشاء بالفارسية جيد المعرفة بالعلوم الدينية، وهو من أعلام أواخر القرن الحادي عشر ولعله بقي الى أوائل القرن الثاني عشر، وكان مشتغلاً بعلم الطب ممتهناً به.

له كتب طبية فارسية، منها «تحفة سليماني» ألفه سنة ١٠٨٩ و «درع الصحة» ألفه سنة ١٠٩٤[٣].

السيد محمد بن نصر الله بن أحمد الموسوي الكاشاني

كان من أعلام النصف الأول من القرن الرابع عشر، أصله من كاشان ويقيم بأصبهان، له ولع بالكيمياء والرمل وعلم الأعداد والحروف وما اليها، نسخ وتملك كتباً في هذه الفنون وله عليها تعاليق تدل على تبحره في العلوم الغريبة وتجربته ومزاولته لها.

كان يملك مكتبة غنية بالمخطوطات وقد رأيت تملكه على كثير منها، وكان يعرف بـ «المحقق الكاشاني» مدحه في سنة ١٣٢٩ ميرزا محمد ابراهيم بن علي أكبر الخونساري بقصيدة طويلة بمناسبة عيد النيروز، يطلب منه فيها الكشف عن معضلات الكيمياء.

كتب في آخر بعض الرسائل التي نسخها في الصنعة «لا تدهش بظواهر ألفاظ الحكماء لأن تمام ألفاظهم رمز وتدهيش، نصحت لك أيها الناظر قربة إلى الله تعالى».

توفي بعد سنة ١٣٤٠، إذ كتب في هذه السنة شهادته على صك طلاق[٤].

السيد محمد بن السيد نجم الحسن

ولد في أمروهه التابعة لقضاء مراد آباد (الهند) وتوفي سنة ١٣٣٧ في لكهنو.

كان عالماً فاضلاً، تلقى دروسه في المدرسة الناظمية، ثم درّس فيها شرح اللمعة وقوانين الأصول.

من مؤلفاته: شريعة الاسلام، وعقائد الأطفال، ورسالة في جواب معراج العقول، وكدّ القلم في الجذر الأصم.

الشيخ محمد مهدي بن محمد شفيع المازندراني

فاضل فقيه متتبع حسن الانشاء بالفارسية، من أعلام القرن الثالث عشر.

له «العدالة الشرعية» رسالة كتبها سنة ١٢٤٤[٥].

السيد محمد مهدي بن محمد سعيد الشريف الموسوي الخلخالي

عالم جليل مشتغل بالعلوم العقلية، ملك مجموعة من أبيه فيها كتب فلسفية وعرفانية كتب عليها بعض التعاليق في سنة ١٢٤٦[٦].

السيد محمد مهدي الموسوي بن السيد محمد

ولد في الكاظمية سنة ١٣١٩ وتوفي فيها سنة ١٣٩١.

درس دروسه الأولى في الكاظمية ثم في كربلا ثم في النجف. وعاد بعد ذلك الى الكاظمية فأقام فيها مرجعاً هادياً مرشداً مؤلفاً حتى وفاته.

من مؤلفاته المطبوعة: (١) أحسن الوديعة، وهو في التراجم (٢) معجم القبور (٣) ايقاظ الأمة (٤) زبدة الكلام في المنطق والكلام (٥) تحفة الساجد في أحكام المساجد، وغير ذلك.

تخلف بولده السيد علي الذي حل محله في الارشاد وامامة الجماعة.

السيد محمد مهدي بن علي الكربلائي

مذكور في «الكرام البررة» القسم المخطوط، وتقول:

فاضل محقق فقيه أصولي، من أعلام القرن الثالث عشر.

له «أصول الفقه» لعل اسمه «اللوامع»[٧].

السيد محمد مهدي الحسيني الخطيب القمي

كتب مجموعة فيها «الجذوات» لميرداماد و «عالم المثال» للاهيجاني في سنة ١١٢٤ باصبهان، ثم قابل الكتاب الأول بدقة تدل على فضل فيه وعلم، ويبدو أنه يميل الى العلوم العقلية والعرفان[٨].

---

(١) (٢) (٣) السيد احمد الحسيني.

(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) السيد احمد الحسيني.

محمد مهدي بن محمد حسن بن محمد حسين بن بديع الزمان المنجم.

من أعلام أواخر القرن الثالث عشر وكان له دراية بعلم النجوم والفلك، ملك نسخة من «ترجمة أسرار النجوم» في سنة ١٢٨٩(١).

السيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني.

فاضل جليل ذو اطلاع واسع في علوم الكلام والتفسير والحديث وخبرة بعلم الأعداد والحروف وما اليها، ومؤلفاته مفعمة بالتحقيقات العلمية الجيدة، وهو من أعلام القرن الثالث عشر وتوفي بعد سنة ١٢٦٩.

له غير ما هو مذكور في الذريعة «التبيان» في أربعين حديث، و«الجواهر المقطعة» في الأربعين أيضاً، و«ملحقات الأربعون»(٢).

محمد مقيم بن محمد علي

فاضل له اهتمام بالحديث، من أعلام القرن الحادي عشر.

له «ترجمة من لا يحضره الفقيه» أتمها سنة ١٠٥٧(٣).

السيد محمد بن معصوم بن محمد الرضوي الخراساني الملقب بعلم الهدى.

ولد سنة ١١٨٠ وتوفي سنة ١٢٥٥.

مترجم في «الكرام البررة» ــ القسم المخطوط، ونقول:

كان مدرِّساً في الحضرة الرضوية في الفقه العالي وتخرج عليه جماعة من العلماء، وقد درس في كربلاء على المير سيد علي الطباطبائي صاحب «رياض المسائل» والسيد محمد باقر وله منهما اجازة الرواية.

له غير ما هو مذكور في ترجمته «مناهج الهداية» في فقه الصلاة(٤).

محمد معصوم بن الحسين المنشي اليزدجردي

فاضل أديب جيد الانشاء شاعر بالفارسية، له اطلاع بالعلوم الغريبة وتبحر في علم الأعداد، وهو من أعلام القرن الحادي عشر، والظاهر أنه كان كاتباً في دار الحكومة بآذربايجان.

له «مخزن راز» رتبه سنة ١٠٦٨(٥).

الشيخ محمد مهدي بن حميد

أقام مدة في النجف الأشرف، ومن أساتذته في الدروس العالية السيد حسين الكوهكمري المتوفى سنة ١٢٩٩.

له «تقريرات أبحاث الكوهكمري» الأصولية(٦).

(١) و(٢) و(٣) و(٤) السيد احمد الحسيني.
(٥) عبد الرفيع حقيقت.
(٦) السيد احمد الحسيني.

السيد مير محمد باقر بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني الأصل القزويني المولد والمنشأ آل الرفيعي.

ولد في قزوين حدود سنة ١٢٠٥ وتوفي بها سنة ١٢٨٦ من ائمة الفتوى والتقليد واكابر المجتهدين في قزوين توفي والده وهو في اوائل عمره فعني بتربيته جده السيد مير عبد الباقي فلقنه المبادىء واخذ عنه مقدمات العلوم وفنون الأدب والسطوح ثم التحق بحوزة العلمين الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ وشقيقه الشهيد الثالث المستشهد في سنة ١٢٦٣ واخذ عنهما الفقه والاصول والحديث وكما اخذ الفلسفة العالية والعرفان من الاخوند الشيخ ملا آغا الحكمي والشيخ يوسف الحكمي ثم جلس للتدريس والفتوى والتف حوله جمع من طلاب العلوم الدينية ذكره السيد محمد علي كلريز في كتابه مينودر بما هنا تعريبه (. . . السيد مير محمد باقر توفي والده وهو صغير وكفله جده السيد الميرزا عبد الباقي واهتم بأمر تحصيله وتكميل فضائله حتى اصبح من المجتهدين البارزين وهو الذي ثار على مجد الدولة خال ناصر الدين شاه القجاري الذي كان حاكماً في قزوين وكسر شوكته وتمكن من اخراجه عن قزوين ذليلاً بسبب مظالمه في اهالي قزوين توفي سنة ١٢٨٦ هجرية. .)(٧) يقول عبد الحسين الصالحي: والمترجم له شقيق السيد مير رفيع المتوفى سنة ١٢٧٢ المار الذكر الذي اصبح اسمه عنوان هذا البيت وآل الرفيعي من الأسر العلمية المشهورة في قزوين منذ عهد جدهم السيد مير محمد زمان المتوفى سنة ١١١٠ واشهر علماء هذا البيت في القرن الاخير السيد ابو الحسن الرفيعي القزويني المتوفى سنة ١٣٩٦ المار الذكر في المجلد الثالث من مستدركات اعيان الشيعة ص ٧.

ترك المترجم له مؤلفات في الفقه والاصول منها رسالة في الارث ورسالة في الكلام، ورسالة في الامامة، ورسالة في الحج(٨).

الشيخ محمد باقر بن محمد اسماعيل اليزدي السيرجاني الكرماني، ابو جعفر:

أصله من مدينة يزد وولد في سيرجان من توابع كرمان، وهاجر من ايران وأقام بالهند مشتغلاً بالوظائف الدينية.

له «جواهر الايمان في ترجمة تفسير القرآن» أتمه سنة ١٣١٩(٩).

الشيخ محمد باقر المجد شاهي الشهير بآغا نجفي بن محمد تقي بن عبد الرحيم:

ولد سنة ١٢٣٤ وتوفي سنة ١٣٠١ في النجف.

هو سبط الشيخ جعفر كاشف الغطاء. وأصل والده من ايرانكي من توابع طهران وكان الوالد فقيهاً معروفاً له شرح على كتاب المعالم اسمه هداية المسترشدين وقد نشأ في العراق لهجرة والده عبد الرحيم اليه. ثم عاد محمد تقي الى ايران واختار اصفهان مقراً له وانشأ حوزة علمية في

(٧) السيد محمد علي كلريز: مينودر ص ٢٤م من منشورات جامعة طهران الطبعة الاولى ١٣٣٧ هجرية شمسية.
(٨) الشيخ عبد الحسين الصالحي.
(٩) السيد احمد الحسيني.

مسجد الشاه، ثم ولي اولاده امر هذا المسجد فعرفوا بآل (مسجد شاهي).

درس المترجم دراسته الاولى في اصفهان ثم هاجر الى العراق لإكمال دراسته فدرس على خاله الشيخ حسن كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الانصاري. ثم عاد الى اصفهان خليفة لوالده في مسجد الشاه على رأس حوزة علمية، فتخرج عليه بعض من اشتهر وابعد ذلك كل الإشتهار من امثال السيد كاظم اليزدي والسيد اسماعيل الصدر وشيخ الشريعة الاصفهاني وولده الشيخ محمد تقي.

وقد عظم شأنه بعد وفاة كبار علماء اصفهان، فكان يقيم الحدود الشرعية ويتولى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقيم القضاء والفتيا وينشغل بامور الناس وحل مشاكلهم، بحيث ضؤل امر سلطة الدولة في عهده.

وقد حكم بالموت على سبعة وعشرين شخصاً في يوم واحد فنفذ الحكم في اثني عشر منهم وفر الآخرون.

كما طارد البابيين فقتل بامره عدد منهم.

وعندما عزم على الهجرة من اصفهان والمجاورة في النجف سنة ١٣٠٠ حال الاصفهانيون دون تنفيذه هذا العزم لمحبتهم له. ولكنه سافر ليلاً متخفياً. ولم تطل حياته في النجف فتوفي فيها ودفن فيها في ضريح جده الشيخ جعفر.

آقا محمد باقر بن محمد جعفر القمي الاصبهاني:

من رجال القرن الثالث عشر له اطلاع واسع في العلوم العقلية والنقلية، من أعلام الشيخية ومؤلفاته كلها على طريقتهم، وهو شديد التعظيم للحاج كريم خان الكرماني وأسلافه.

له «آداب نمازشب» و«الوجيزة»، و«بحوث فلسفية» و«أجوبة مسائل اعتقادية»(١).

الميرزا محمد باقر السبزواري بن محمد علي:

مترجم في «نقباء البشر» ص ٢١٩، وذكره غلام حسين خان أفضل الملك في كتابه «سفرنامه خراسان وكرمان» ص ٩٩ فما بعد وملخص ما قال فيه:

ينتهي نسبه الى محمد بن الحنفية ابن الامام امير المؤمنين (عليه السلام)، وقبر جماعة من أجداده في قرية «شُشْتَمَدْ» من قرى سبزوار، هاجر بعض أجداده في العهد الصفوي أو قبله بقليل من اصبهان الى سبزوار ولجأ الى السادة «بني المختار» الذين كانت لهم الرئاسة العامة في المنطقة.

عاد في سنة ١٣٠٧ من العتبات المقدسة بالعراق الى طهران بعد أن أكمل دراسته بالنجف الأشرف وحصل اجازات الاجتهاد من أساتذته، وبعد اقامة شهور انتقل الى مسقط رأسه سبزوار.

كان عظيم المنزلة في سبزوار، رئيساً مرجوعاً اليه في القضايا والأحكام، يلقب بـ«شريعتمدار» وعلى يده تفصل المنازعات والخلافات بين الناس. توفي نحو سنة ١٣٤٣(٢).

الملا محمد باقر بن محمد محسن الخوزاني الاصبهاني:

فاضل جامع متتبع له المام بالفقه وأصوله، شيخي شديد الولاء للحاج كريم خان الكرماني كثير التبجيل له في كتاباته متحامل على مخالفيه، وهو من رجال أواخر القرن الثالث عشر.

كتب الكرماني تقريضاً على بعض رسائله فقال عنه حكيم:

«ان المولى الولي والأولى الصفي العلامة القهام ذا العز والاحترام صاحب المآثر والمفاخر.. قد أراني من تصنيفاته اللطيفة وتحقيقاته الشريفة ما قربه عيني واشتد به أزري وسر به قلبي فوجدته ذا سليقة مستقيمة وسجية قويمة حرياً ان يعلو ذروة التحقيق ويتسنم أوج التدقيق ويستقل بالعمل ويستنبط الأحكام من أخبار سادة الأواخر والأول...

له «الاستصحاب» رسالة كتبها سنة ١٢٧٢، و«ذرائع الأصول» و«الرضاع» و«الفرقان الكريم في تفسير القرآن العظيم» و«اللوامع الفقهية»(٣).

محمد تقي بن محمد مقيم اليزدي:

فاضل، من أعلام أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر.

له «ترجمة مجمع البيان» أتم الجزء الثاني في منتصف شهر رمضان سنة ١٠٩٩(٤).

محمد تقي المعروف بفصيح الملك والملقب بـ(شوريده الشيرازي) ابن عباس الملقب بالعباسي.

من الشعراء المعروفين في أواخر العهد القاجاري ولد في شيراز عام ١٢٧٤ هـ، أصيب في السابعة من عمره بمرض الحصبة وفقد نعمة البصر، ولكن نبوغه دفعه الى تجاوز ذلك، فكان يذهب الى المدرسة ويتلقى الدروس مستعيناً بحاسة السمع. وفي سن التاسعة فقد أباه، فتكفل خاله برعايته، واصطحبه في سفرته إلى مكة، وهو في الثانية عشرة من عمره، وبعد عودته الى شيراز استأنف طلب العلم. وكان يتمتع بصوت شجي وحنجرة قوية فدفعه ذلك الى تعلم الموسيقى، وخلال ذلك كان يدرس بعض العلوم من قبيل الرياضيات والآداب، ويتلقن بعض الأخبار والأحاديث بما يعينه على قراءة مجالس التعزية، وما زال ينظم الشعر ويقرأ التعزية حتى ذاع صيته في فترة قصيرة وأصبحت أشعاره على ألسنة الناس.

وفي عام ١٣١١ هـ رافق نظام السلطنة حسين قلي خان المافي الى طهران وتقرب فيها الى الميرزا علي أصغر خان، ثم قُدِّم إلى ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه فمدحهما، ولقب بفصيح الملك، ومنّ عليه الشاه بقصبة بورنجان من قرى جبل مرة في فارس اقطاعاً له، فعاش من عائداتها حياة مرفهة. ثم تزوج في شيراز عام ١٣٢٣ هـ وبقي فيها. حتى فارق الحياة في الحادي والعشرين من شهر (مهر) سنة ١٩٢٦ م

---

(١) السيد احمد الحسيني.

(٢) (٣) (٤) السيد احمد الحسيني.

فدفن في شيراز إلى جوار قبر سعدي. ولا ريب أن شوريده الشيرازي يعد من الشعراء المميزين بذوقهم وتمكنهم من الكلمات والمضامين الشعرية. وقد تميزت اشعاره بعذوبتها وسلاستها مع اقترانها بلحن شجي[١].

السيد محمد تقي القزويني بن المظفر القزويني الزياباري السمناني المعروف بالصوفي مترجم في «الروضة النضرة» المخطوط، ونقول:

من رجال القرن الحادي عشر. نقل عنه فوائد رجالية وبعض تراجم العلماء في حاشية نسخة من كتاب «خلاصة الأقوال» للعلامة الحلي، ويبدو أنه كان قزويني الأصل ثم سكن سمنان، وتوفي بها وقبره خارج المدينة في مقبرة يقال لها «علكا».

قرأ على أبي الفتح عامر بن فياض الجزائري «شرح النفلية» واكثر كتابي «قواعد الأحكام» للعلامة الحلي و«جوامع الجامع» للطبرسي وسمع منه اكثر المتون الفقهية، وكان آخر دراسته عنده يوم الأحد ٢٢ محرم سنة ١٠١٥ بمشهد الرضا (عليه السلام)[٢].

السيد محمد تقي بن السيد رضا بن السيد محمد تقي بن السيد مؤمن بن السيد محمد تقي بن السيد محمد رضا بن المير ابو القاسم الحسيني القزويني التقوي الشهير بالسيد آغا القزويني:

ولد في قزوين حدود سنة ١٢٦٣ وتوفى فيها سنة ١٣٣٣ ونقل جثمانه حسب وصيته الى النجف الاشرف ودفن في وادي السلام.

من أكابر علمائنا الاعلام فقيه متبحر اصولي محقق حكيم متألّه من أئمة الفتوى والتقليد كان مما ذكر به في اعيان الشيعة المجلد التاسع ص ١٩٦ ما يلي: (... رأيناه في النجف الاشرف وقرأنا عليه شيئاً يسيراً من رسائل الشيخ مرتضى...)

يقول عبد الحسين الصالحي: ولد المترجم له في بيت علم وفضل وترعرع في احضان الفضيلة والزهد والتقوى وآل التقوي من اشهر البيوت العلمية في قزوين وقد بزغ بدرها في افق قزوين وطارصيتها من اواسط القرن الثالث عشر للهجرة منذ عهد جدهم السيد محمد تقي بن المير مؤمن المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية والمترجم في اعيان الشيعة ايضاً في المجلد التاسع ص ١٩٦ وهذه الاسرة فرع من آل القزويني الاسرة المعروفة في النجف الاشرف والحلة والهندية[٣].

اخذ المقدمات وفنون الادب والمنطق على افاضل علماء قزوين ثم اكمل السطوح العالية على الشيخ محمد علي البرغاني القزويني آل الصالحي ثم هاجر الى العراق قاصداً الحوزة العلمية الكبرى في كربلاء والنجف وتخرج في العلوم العقلية والفلسفة العالية على الشيخ الميرزا علامة البرغاني الحائري آل الصالحي واخذ الاصول في كربلاء على الشيخ حسين الاردكاني المتوفى سنة ١٣٠٢ ثم هاجر إلى النجف الاشرف والتحق بحوزة الشيخ حبيب الله الرشتي المتوفى سنة ١٣١٢ كما حضر على مدرس الطف الميرزا علي نقي البرغاني الحائري آل الصالحي حتى اشتهر اسمه في الاوساط العلمية وعرف بين العلماء وطلاب العلوم بالتحقيق والتدقيق. ثم جلس للتدريس والفتوى في النجف الاشرف وكثر عليه الاقبال والتف حوله جمع من افاضل الطلاب ذكره شيخنا الاستاذ في طبقات اعلام الشيعة ووصفه قائلاً (... كان في النجف الاشرف من تلاميذ العلامة الميرزا حبيب الله الرشتي وغيره وكتب كثيراً في الفقه والاصول حتى عد من اجلاء العلماء والمجتهدين وكان من المدرسين في النجف يحضر مجلس درسه جماعة من افاضل طلبة العلم وقد حضرت درسه قرب ستة اشهر في حجية القطع والاجماع من كتاب الرسائل وكان متبحراً منقباً ومحققاً مدققاً قضى سنين من عمره الشريف في النجف مشغولاً بالتدريس والافادة متزوداً من التقوى والعبادة وعاد الى قزوين فقام هناك بالوظائف الشرعية... وقد ترجمت جده السيد محمد تقي في «الكرام» وجده الاعلى المير محمد تقي والمير محمد رضا في «الكواكب»...)[٤] رجع الى موطنه قزوين فاستقبلته كافة الطبقات ورجع اليه الكثيرون في العراق وايران في التقليد وشغل كرسي التدريس والفتوى وكان من اكابر علماء قزوين وفحول فقهائنا وائمة الفتوى قائماً بالوظائف الشرعية حتى وفاته وخلف مؤلفات منها: ١ ـ كتاب مجامع الاصول في علم الاصول ٢ ـ كتاب مجامع الاحكام في شرح شرايع الاسلام من الطهارات الى اخر البيع ٣ ـ شرح البيان للشهيد ٤ ـ تفسير ترجمة القرآن في شرايط الايمان (فارسي): تفسير لما يقرب من خمسماية آية من آيات القرآن الكريم ٥ ـ رسالة عملية لمقلديه ٦ ـ ترجمة اخبار الإستنطاق ٧ ـ شرايط الايمان (فارسي) ٨ ـ حاشية على القوانين للميرزا القمي ٩ ـ حاشية على الرسائل للشيخ مرتضى الأنصاري ١٠ ـ حاشية على الرياض للسيد علي الطباطبائي الحائري ١١ ـ رسالة في قضاء الصلوات وبيان ما يجب عند اشتباه الواجب منها ١٤ ـ رسالة في ترتيب الفوائت ١٥ ـ شرح تأملات الرياض وغيرهما وخلف المترجم له خمسة بنين وهم السيد جواد والسيد حسين والسيد محمد باقر كلهم من افاضل علماء آل التقوى في قزوين والسيد مرتضى والسيد جعفر الذي توفي في شبابه ولم يبلغ الحلم.

وكان للمترجم له مكتبة عامرة في قزوين تحتوي على مجموعة من نفائس المخطوطات كانت في حوزة نجله الارشد السيد جواد التقوي ثم تفرقت بعد وفاته[٥].

محمد باقر الدهلوي ابن محمد اكبر:

ولد سنة ١٢٠٥ في دلهي وتوفي سنة ١٢٧٤.

عاش في دلهي برعاية ابيه، وعليه درس دراسته الاولى. وفي سنة ١٨٢٥م دخل معهد (دلهي كاع) ثم اصبح مدرساً فيها للغة الفارسية. وقد بقي فيها من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٣٦ م ثم صار رئيساً لبلدية دلهي ستة عشر عاماً ولم يلبث ان اختلف مع الانكليز

(١) عبد الرفيع حقيقت.
(٢) السيد احمد الحسيني.
(٣) نظر دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ج ٥ ص ٢٦٥ مادة قزوين بيروت دار التعارف عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٤) الشيخ اقا بزرك الطهراني: نقباء البشر ج ١ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ الطبعة الاولى النجف الاشرف.
(٥) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

فاستقال وانصرف الى انشاء حسينية ضخمة كانت تقام فيها المجالس على مستوى عالي حتى عمت شهرتها الهند. ثم اسس مسجداً كبيراً.

وكان يحاضر في الحسينية فتلقى محاضراته الاستحسان، ثمّ عمل في الطباعة والنشر واشترى مطبعة كبيرة فاصدر (اردو جريدة) كانت تهاجم السياسة الانكليزية بعنف كما أصدر مجلة (مظهر الحق).

وما زال في صراع مع الانكليز حتى حكموا عليه بالاعدام ونفذوا فيه الحكم.

من مؤلفاته: كتاب في تفسير القرآن وكتاب هادي التاريخ الذي ألفه سنة ١٢٦٨ وهو والد الشاعر والاديب والعالم محمد حسين آزاد الذي طارت شهرته في الهند والباكستان.

الشيخ محمد حسن من أخلاف الشهيد الثاني:

توفي حوالي سنة ١١٩٠.

بهذا الاسم ذكره صاحب كتاب (مطالع انوار)، وهو ما لفت نظرنا وحملنا على ذكره هنا، إشارة الى انه جزء من الهجرة العاملية الى مختلف الاقطار الاسلامية.

قال صاحب المطالع ما ترجمته:

هو من اخلاف الشيخ زين الدين الشهيد الثاني. وبعد فراغه من تحصيل العلم في العراق وايران جاء الى الهند واستقر في دلهي، ثم سافر الى النجف الاشرف ولكنه لم تستقر افكاره هناك بسبب بعض القلاقل فرجع الى الهند واستقبله صدر جنك بيك وعهد اليه بتربية ابنه شجاع الدولة، ولكنه بعد فترة قليلة جاء الى (عظيم آباد) فالتقى هناك بناجر ايراني واتفق معه على التجارة بالمضاربة، ولكنه لم يستقر فعاد الى دلهي وسكن في مقبرة برهان الدين.

ولقد أدى خدمات علمية وله تلاميذ، وتحمل مشقات ولاقى صعوبات في خدمة الدين.

الشيخ ملا اغا محمد الطهراني الساوجبلاغي المعروف بـ ملا آغا:

ولد في طهران سنة ١٢٢٥ كما صرح في كتابه مفصل البيان في علم القرآن وتوفي حدود سنة ١٣٠٠ من اكابر العلماء الاعلام، حكيم متأله مفسر متضلع فقيه متبحر اصولي محقق اخذ المقدمات وفنون الادب من افاضل علماء طهران ثم هاجر الى قزوين وتخرج في الفقه والاصول والتفسير على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ وشقيقه الشهيد الثالث، كما اخذ الحكمة والفلسفة من الحكيم المتأله الشيخ ملاآغا الحكمي القزويني ثم سكن في ساوج بلاغ من ضواحي طهران وكان من أئمة الفتوى ومراجع لأمور الشريعة في تلك النواحي واشتغل بالتأليف والتصنيف ومن اشهر مؤلفاته كتاب مفصل البيان في علم القرآن وهو ترجمة فارسية لتفسير مجمع البيان لعلوم القرآن لأبي علي الفضل بن حسن الطبرسي (٤٧٠ ــ ٥٤٨ هجرية) مع الحاقات واضافات وشرح مفصل في عشرة اجزاء من ثلاثة مجلدات ضخمة وقد فرغ من تأليف المجلد الاول في غرة شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٤ ومنه ثلاثة مجلدات بخط المؤلف من مخطوطات مكتبة جامعة طهران[1] كتاب المقتل، رسالة في الرضاع، بعض الرسائل في ابواب مختلفة من الفقه[2].

محمد رضا بن كمال الدين الحسيني الاسترآبادي:

فاضل أديب له اطلاع بالعلوم الدينية والأدب الفارسي، ملك نسخة من تفسير علي بن ابراهيم القمي وكتب عليه تعاليق تدل على فضله ومعرفته بالتفسير وعلوم الحديث. له شعر فارسي[3].

الشيخ محمد حسن بن عباس قلي المراغي:

فاضل جليل، من أعلام أوائل القرن الرابع عشر.

له «الفوائد والعوائد في أصول العقائد» أتمه سنة ١٣٠٧[4].

السيد محمد حسن بن محمد باقر الهزار جريبي:

فقيه محقق فاضل حسن الانشاء والخط جيد التقرير، من أعلام القرن الثالث عشر، عاد بعد اكمال دراسته العلمية الى بعض قرى مازندران في سنة ١٢٦٠ وأبدى تأسفه في بعض ما كتبه على ابتعاده عن الأجواء العلمية.

له «الصوم» و«الرجوع فيها وهبه الزوج لزوجته»[5].

السيد محمد حسن النجفي المعروف بـآغا نجفي القوجاني بن السيد محمد:

ولد سنة ١٢٩٥ في قرية (خسروية) من توابع قوجان. وتوفي سنة ١٣٦٣ في قوجان.

درس دراسته الاولى في بلدته ثم سافر الى قوجان وهو في الثالثة عشرة من عمره فتابع الدراسة ثلاث سنوات، ثم سافر راجلاً الى مدينة لمشهد عن طريق سبزوار ونيسابور، فواصل الدراسة فيها في مدرسة (دودرب). وفي سنة ١٣١٣ مضى على قدميه مع زميل له في الدراسة الى يزد عن طريق صحراء النفوذ وطبس، وكان قد بلغ العشرين من عمره ومنها الى اصفهان فاقام في مسجد (عَرْبون). وفي اصفهان درس منظومة الشيخ هادي السبزواري على الآخوند الكاشي والرسائل على الشيخ عبد الكريم الگزي والفلسفة والكلام على الميرزا جهانكير خان القشقائي، كما درس بعض الاحيان الفقه عند آغا نجفي الاصفهاني.

وكانت حياته في اصفهان حياة فقر شاقة، وبعد اربع سنوات من هذه الحياة قرر الهجرة الى النجف للاستزادة من العلم، فوصل النجف راجلاً وهو في الثالثة والعشرين من عمره فأقام في غرفة مهجورة في احدى المدارس، وحضر دروس الآخوند محمد كاظم الخراساني وتوثقت علاقته به توثقاً قوياً وكان من اعوانه في الحركة الدستورية التي عرفت باسم (المشروطة) وبعد عشرين عاماً من اقامته في النجف غادرها سنة ١٣٣٨ ايران متوجهاً الى مشهد للزيارة، وبعد مكثه فيها مدة قصيرة، دعاه اهل قوجان الى بلدتهم فلبى الدعوة واقام في قوجان ولم يبرحها طيلة خمس وعشرين سنة قضاها هادياً مرشداً فاصلاً في

---

(١) انظر فهرست المشكاة ج ١ ص٢١٩ ـ ٢٢٢ من منشورات جامعة طهران عام١٣٣٠ شمسية.

(٢) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٣) و(٤) و(٥) السيد احمد الحسيني.

الخصومات مدرساً للطلاب حتى وفاته عن ثمانية وستين عاماً. وقد دفن في حسينيته وصار ضريحه مزاراً للقوجانيين.

من مؤلفاته: كتاب سياحت شرق (سياحة في الشرق، وهو حديث عما كابده في حياته ومراحل دراسته في قوجان ومشهد واصفهان ودخوله النجف ودراسته حتى وصوله الى درجة الاجتهاد. كما تحدث بالتفصيل عن الحركة الدستورية واثرها في العراق لا سيما في النجف.

وقد ألف هذا الكتاب سنة ١٣٤٧ (١٩٢٨م) وطبع في طهران سنة ١٩٨٣م.

وله شرح وترجمة رسالة التفاحية لارسطو تحقيق بابا أفضل الكاشاني.

وغير ذلك من المؤلفات.

السيد محمد الحسين الموسوي الشهرستاني

المعروف بـ (آتابزوك) بن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المتوفى في سنة ١٢١٦ في كربلا وهو العلّامة الكبير الذي يعد أحد المهادي الأربعة تلامذة العلّامة آقا باقر البهبهاني بن أبو القاسم بن ميرزا محمد باقر بن ميرزا روح الله من علماء عهد السلطان الشاه حسين الصفوي بن جلال الدين حسن بن ميرزا وقيح الدين محمد الصدر بن جلال الدين محمد بن أبو الفتوح بن صدر الدين اسماعيل المشهور بصير سيد شهرستاني واقف الموقوفات المعروفة الكثيرة في ايران سنة ٩٣١ بموجب وقفيته الشهيرة (وقد ذكره صاحب كتاب عالم آرا عباس باسم ـــ شريف شهرستاني وكان على عهد الشاه اسماعيل الأول وقبله مستوفياً في اصفهان) بن زين الدين أمير علي بن صدر الدين اسماعيل بن زين الدين علي بن علاء الدين الحسين بن معين الدين عبد الله بن ركن الدين حسين بن أشرف بن ركن الدين الحسن بن أشرف بن نور الدين محمد بن أبي طاهر عبد الله بن محمد أبي الحسن بن الحرث بن علي أبي الحسن ويعرف بابن الديلمية بن أبي طاهر عبد الله بن محمد أبي الحسن المحدث بن طاهر أبي الطيب بن الحسين القطعي بن موسى أبي السبحة بن ابراهيم المرتضى بن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام.

جاء في الصفحة (٤٣٢) من كتاب «الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة» جزؤه الأول ما نصه:

هو السيد الميرزا محمد حسين بن ميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المعروف باقابزرك من كبار علماء عصره في كربلا كان صهر العلامة الأقا محمد علي الكرمانشاهى بن الوحيد البهبهاني على بنته[١] كما ذكره ولده السيد ميرزا محمد جعفر الشهرستاني في رسالته «أنساب الوحيد البهبهاني». وكان المترجم من مراجع عصره القائمين بالوظائف الشرعية في كربلا وكان جيد الخط للغاية ويوجد بخطه دعاء (اللهم ان هذا مشهد لا يرجو من خائفه فيه رحمتك...» الخ كتبها بخطه النسخ الجيد على لوحة كبيرة في عرض متر وطول متر ونصف تقريباً كانت منصوبة في حرم سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في طرف الرأس قبال المستقبل للقبلة يتجه اليها ويقرأها كل من يقف عند الرأس الشريف للدعاء وقد رفعت قبل سنوات عندما زينت جدران المرقد المطهر بالمرايا وهي الآن بدار حفيده السيد ابراهيم بن السيد ميرزا صالح الشهرستاني بن المترجم له رأيتها هناك وتاريخ كتابتها سنة ١٢٢٥ هـ).

أقول: وللمترجم بعض الرسائل في الفقه والأصول وتعليقات وشروح على بعض أبواب العبادات من كتب الفقه لا زالت خطية وبخط المترجم، كما انه استنسخ عدة نسخ من القرآن المجيد بخطه الذي كان يضرب به المثل في جودته وجماله، وتوجد نسخة منها حتى الآن في مكتبة اسرة آل الرشتي أحفاد السيد كاظم الرشتي المعروف في كربلا وتاريخ هذه النسخة سنة ١٢٤٥ أي قبل وفاة المترجم بسنتين.

هذا وقد قام المترجم بعدة رحلات إلى الهند وايران ولا سيما مدينة أصفهان لتفقد أوقاف أجداده التي انتقلت توليتها اليه بعد وفاة والده سنة ١٢١٦.

توفي المترجم في ٢٥ شوال ١٢٤٧ بمرض الطاعون الذي كان قد عم أكثر أنحاء العراق في تلك السنة ودفن جنب والده في مقبرتهما الخاصة (مقبرة الشهرستانية) الواقعة خلف ضريح الشهداء من ناحية الجنوب في رواق الروضة الحسينية.

وخلّف فحولاً من العلماء والمؤلفين كالسيد الميرزا محمد جعفر والسيد الميرزا عباس الشهرستاني[٢].

محمد حسين مرشد آبادي بن محمد هادي العقيلي الشيرازي:

توفي في الهند سنة ١٢٠٥.

كان طبيباً شهيراً في الطب القديم، ومن اساتذته الطبيب محمد تقي ومحمد هادي والسيد محمد علي اليزدي المرشد آبادي والشيخ علي حزين.

من مؤلفاته: مخزن الادوية، قراباذين كبير، وخلاصة الحكمة، وكليات، ورسالة الجدري والحصبة، ورسالة في ام الصبيان، ورسالة في ذات الجنب، ورسالة العرفي المدني، وتوضيح الرشحات، وهو كتاب شعر.

السيد محمد حسين بن علي أصغر شيخ الاسلام الحسني الحسيني الطباطبائي التبريزي:

من أعلام النصف الأول من القرن الرابع عشر، له اطلاع واسع وعناية بالحديث والرجال بالاضافة الى تبحره في بقية العلوم، صنع لطائفة من مخطوطات كتب الحديث فهارس لأحاديثها تيسر الاستفادة منها.

له «تحقيق لفظ الجلالة» و«الفوائد الكاشفة» و«المشيخة المرتبة» و«سند الفقيه»[٣].

(١) واسمها بلقيس وقد تزوجها سنة ١٢٠٠ وورقة عقد نكاحها تاريخية حيث انها تحوي شهادات وخطوط وتواقيع الاعلام الكبار في ذلك العصر كالوحيد البهبهاني وميرزا محمد مهدي الشهرستاني والسيد محمد مهدي بحر العلوم وغيرهم. وهي من ضمن تقنيات مكتبة السيد صالح الشهرستاني.

(٢) السيد صالح الشهرستاني.

(٣) السيد احمد الحسيني.

الشيخ محمد حسين بن صفر علي البار فروشي المازندراني :

ولـد في «بارفـروش» من بلاد مـازندران، وهـاجر لـطلب العلم الى العتبات المقدسة بالعراق، فبقي في كربلا اكثر من عشر سنوات متتلمذاً على علمائها، وقد كتب تقريرات دروسهم الأصولية والفقهية ثم عاد الى مسقط رأسه بارفروش نحو سنة ١٢٩٠ واشتغل بـالوظـائف الدينيـة[١] والتأليف والتصنيف.

فاضل اكثر اشتغالـه بالفقـه والأصول، يبـدو أنه كـان كثير التـأليف والتصنيف، الا أنه ضعيف العبارة كثير اللحن في العربية.

توفي بعد سنة ١٣٣٦ التي كتب فيها بعض التوارين.

له «المسائل المشكلة» و«زينة الجـامعين» أتمـه سن ١٢٩١، و«كاشف الظلام ومزيل الأوهام» ألفه سنة ١٢٩٨[٢].

الشيخ محمد حسين بن ملا غلام علي الاويسي القزويني :

ولـد في قزوين سنـة ١٣٣٦ وتوفي بهـا سنة ١٤١١ من ائمـة الفتوى واكابر المتكلمـين في عصره اخذ المقـدمات وفنـون الادب على جمـع من الافاضل منهم السيد احمد عـماد الحاج السيـد جوادي واكمـل السطوح الفقـه والاصول في حـوزة العلمين الشيـخ احمد التـألهي والسيد محمـد مهـدي التقوي واخـذ الكلام وقسـماً من خارج الفقـه والاصـول عـلى الشيخ يحيى المفيدي القزويني ثم تتلمذ في الحكمة والفلسفة عـلى السيد ابو الحسن الرفيعي القزويني حتى سنة ١٣٧٢ حيث هاجر الى مدينة قم والتحق بحـوزة السيد اغـا حسين الـطباطبـائي البروجـردي وحضر في الاصـول على الشيخ عباس عـلي الشاهـرودي والسيد محمـد الـدامـاد وتخرج في الحكمة والفلسفـة والعرفـان الإلهي على السيـد محمد حسـين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان واختص بـه واصبح من حـوارييه وفي سنـة ١٣٨٠ عاد الى مـوطنه قـزوين وجلس لتدريس الفقـه والاصـول والفلسفة حتى عام ١٣٨٥ وهو العام الـذي هاجـر فيه استـاذه الرفيعي من قزوين الى طهران فقام في مقامه في الامامة في مسجد الشـاه وانتهى اليـه كرسي تـدريس الفلسفة العـالية في قـزوين بلا نـزاع وكـان وحيـد عصره في العلوم العقليـة والتفّ حـولـه جمـع من عشـاق الفلسفـة في السنوات الاخيرة وكان من اشهر استـاذة الفلسفة في ايـران كلها وكـان يدرس في المدرسة الالتفاتية.

ترك مؤلفات كلها مخطوطة منها تفسير القرآن الكريم على مذاق اهل العرفان والفلاسفة في عدة مجلدات، حواشي على كتاب الاسفـار لصدر المتألهين الشيرازي، حواشي على منظومة السبزواري، رسالة في حدوث العالم، تقريرات مشايخه في قم وغير ذلك من الحواشي والرسائل[٣].

الميرزا محمد حسـين خان الملقب بـالعندليب بن ملك الشعـراء في زمن فتح علي شاه القاجاري:

يعد من كبار شعراء العهد القاجاري منحـه فتح عـلي شاه بعـد وفاة أبيه عام ١٢٣٨ هـ لقب وعمل ملك الشعراء، وبقي في هذه المكانـة في زمن سلطنة محمد شاه القاجاري.

نظم هذا الشاعر قصيدة في تاريخ بناء مسجد الشاه في سمنان الذي بني في زمن فتـح علي شـاه. والقصيـدة مكتـوبـة بخط النستعليق عـلى قطعتين من حجر الرخام مثبتتين فوق الباب الشمالي والباب الجنوبي[٤].

محمد الداوري

هو الابن الثالث لوصال الشيرازي، ويعتبر من مشاهير شعراء القرن الثـالث عشر الهجـري. ولـد في شـيراز عـام ١٢٣٨ هـ، في بيت كـان مركزاً لأنواع الفنون المتداولة عصرئذ. وباشر منـذ نعومـة أظفاره بتلقي العلم عـلى يد أبيـه، ولم يمض وقت طويـل حتى أصبح وريثـاً لأبيـه في الشعـر والرسم والخط، واشتهر على وجـه الخصوص بـالرسم، وتلقى اللغتين الفارسية والعربية وآدابها عـلى أبيه واللغـة التركيـة وآدابها عـلى الحاج أسد الله الـذي كان من فضـلاء وقته، واستـطاع التعمق في هذه اللغـات، ويذكـر أصحاب الـتراجم انه وضـع معجـماً كبيـراً في اللغـة الـتركية. وفي ديـوانه تـوجد بعض الأشعـار الملمعـة التي وضعهـا بهـذه اللغات الثلاث.

وقد تحدث صاحب طرائق الحقائق الذي كان تلميذاً له فقال: «بذل جهوداً كبيرةً في تعلم العلوم الأدبية واللغة العـربية حتى نـال منها حظاً وافراً، وتمكن في أنواع الخط ولا سيما خط النستعليق، وبرع في الرسم. وقد خط وصور كتـاب الشاهنـامه للفـردوسي استجابـة لطلب المرحوم محمـد قليخان بن جـاني خان الايليخـاني، وجـاءت النسخـة التي دونها ورسمها معجزة في مجالها، وجوهرة لا تقـدر بثمن، وهي موجـودة الآن لدى فتح الله خان بعد تناقلها بين وساطات عديدة».

لقد بلغت أشعار الداوري ثلاثـة آلاف أو أربعة آلاف بيت، ولكن يذكر بعض المؤرخين أنه بالاضافة إلى هذا المقدار، كان قد نظم اشعاراً عـلى نمط الشاهنـامة في تـأريـخ فـترة الحكم المغـولي، وقـد كتب ذلـك بتشجيـع مؤيد الـدولة المـيرزا طهماسب، حيث ذكـر المؤرخون أن هـذا الذي كان عـالماً اقترح على أبنـاء وصال الشـيرازي الذين كـانوا جميعـاً شعراء أن يكتبوا تـاريخ ايـران من حيث انتهى الفردوسي، وتـرك لكل منهم اختيار القسم الذي يـرغب، وكان الـداوري ملمّاً باللغـة التركيـة وآدابها فاختار الفترة التي تبدأ بحكم المغول وتنتهي بحكم الصفـويين، ولكنه توفي قبـل أن يكمل تـأريخه لهـا، وحزن اخـوانه عليـه فتركـوا ما بـدؤوه، فبقي تأريخاً ناقصـاً. والاشعار التي نـظمها الـداوري في هذا المجال غير متوفرة الآن، والشيء الوحيد الذي بقي منه هو ديوان خطي طبع في شيراز عام ١٣٣٠ هـ في ٦٨٦ صفحة.

وقد تحدث عنـه الدكتـور مهدي الحميـدي فوصفـه بأنـه كان زهـرة متفتحـة في عائلة وصـال، وقد تـرك عالمـاً من الذوق والـرقة عـلى قصر حياته. واضـاف بأن اشعـاره كانت أكـثر تنوعـاً من اشعار محمـود خان والقائم مقام وسروش، ومن ذلك شعره الذي يخاطب به قبر أبيـه، فهو يتحدث عن سفر اخوانه وفراقه لهم، ويشتكي بحـرقة من الأشخـاص الذين يحاربونه، ثم يـدعو اخـوانه الـذين سافـروا الى الهند للعـودة الى شـيراز وركن آباد بـأسلوب عذب رقيق، ويصـور بعـد ذلـك جـاريتـه

---

(١) المترجم هنا ليس الميرزا محمد حسين بن صفر علي اللاهيجي القزويني المترجم في «الكرام البررة» ص ٣٩٥.

(٢) السيد احمد الحسيني.

(٣) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٤) عبد الرفيع حقيقت.

السوداء، وهي نائمة في فراشها الأبيض. ولم يكن يعجز عن نظم الاشعار في الأمور التي يعجز سواه من الشعراء عن النظم فيها، فقد كان يظهر الأفكار والآمال والحالات النفسية بأسلوب بين وهو يثبت لقارئه أنه بعد سنين طوال جاء شاعر يختلف عن الشعراء المتقدمين بكونه يحمل قلباً رقيقاً ومشاعر جيّاشة، فهو يفرح ويحزن للأمور ويتفاعل معها ويبدو عليه التأثر بسرعة.

تزوج الداوري من ابنة الميرزا مهدي خان ابن عم الميرزا علي أكبر قوام الملك، ورزق منها بولد أسماه جلال، ولكن جلال هذا فارق الحياة في مقتبل عمره، فحزن عليه أبوه الذي عرف برقته غاية الحزن وفارق الحياة عام ١٢٨٣ هـ في الوقت الذي لم يكن يتجاوز عمره الخامسة والأربعين. ودفن في «شيراز في حرم شاهچراغ»[١].

ميرزا محمد رفيع لكهنوي:

توفي سنة ١٢٤٨ في الهند.

عرف بميرزا فعل غافل. كان عالماً خبيراً في الفقه والحديث والأصول. كما كان شاعراً وطبيباً وخطيباً وهو من أرشد تلاميذ غفران مآب، عرف من مؤلفاته: وسيلة النجاة، ومثير الأحزان، وترجمة لبعض مجلدات البحار.

الشيخ محمد رضا القمشه اي

يعتبر الشيخ محمد رضا بن الشيخ أبي القاسم القمشه اي أحد حكماء العهد القاجاري ولد في قمشه من بلاد اصفهان عام ١٢٤١ هـ، ودرس فيها مقدمات العلوم، ثم درس الفلسفة والحكمة والعرفان على الملا محمد جعفر اللاهيجي بن محمد صادق اللاهيجي شارح المشاعر ومحشي الهيات شرح التجريد للقوشجي والتلميذ اللامع للملا علي النوري وكذلك درس على الميرزا حسن بن الملا علي النوري والسيد رضي اللاهيجي المازندراني. ثم اشتغل في أصفهان بتدريس الحكمة والعرفان. وكان طوال السنين التي أمضاها في اصفهان، يمضي فصل الشتاء في هذه المدينة وبقية الفصول في قمشه.

عرف هذا الحكيم بحسن أخلاقه ورفعة ذوقه وآدابه وعرفانه، وكان العديد من الدراويش يحضرون عنده بسبب مسلكه التحرري.

برز من بين تلامذته الميرزا هاشم الأشكوري والميرزا علي محمد الأصفهاني المعروف بالحكيم الذي اشتغل معلماً فيما بعد في المدرسة السياسية في طهران، وكذلك الحاج الملا علي الحكيم الالهي السمناني الذي تتلمذ أيضاً على الحاج الملاهادي السبزواري، وصفا الاصفهاني الذي كان شاعراً معروفاً والشيخ العارف محمد الفاني والشاعر السمناني.

نقل أن محمد رضا القمشه اي كان معاصراً للحاج الملاهادي السبزواري إلا أن الحوزة العلمية للحكيم الأخير كانت أكثر ازدهاراً من محافل دروس العارف القمشه اي، وحين سئل محمد رضا القمشه اي عن سبب ذلك، أجاب: «لما كان ورع وزهد الحاج الملاهادي طاغيين على مقامه العلمي فإن أغلب الناس يهرعون الى حوزته العلمية في سبزوار».

تحدث مؤلف طرائق الحقائق عن محمد رضا القمشه اي، فقال: «كان هذا العالم الذي تميز بحسن أخلاقه وصفاته قد درس كتب الحكمة والعرفان في هذه المدينة لسنين طوال، وفي عام المجاعة باع كل ما يملكه من ضياع وعقار وأملاك وأنفق أموالها على الطلاب والفقراء، ثم قدم الى طهران واشتغل فيها بالتدريس في مدرسة الصدر الأعظم الميرزا شفيع الواقعة في مسجد الشاه. ولعل أحداً لم يفضله بعد الصدر القونيوي في بحث كتاب فصوص الحكم. وكان في غاية الأدب والشرف فكأنه أبو ذر عصره أو سلمان زمانه».

وتحدث عنه الوزير الفرنسي المفوض في ايران كنت گوبينو (من عام ١٢٧٨ إلى ١٢٨١ هـ) في كتابه الموسوم بـ (الأديان في آسيا) فقال: «يأتي هذا الرجل في المقام الأول من حيث الذكاء والفطنة، وهو ذو مقام جليل في العلوم».

توفي هذا الحكيم العارف عام ١٣٠٦ هـ في طهران ودفن الى جوار قبر الحاج الآخوند المحلاتي في مقبرة ابن بابويه في مدينة الري. وترك مؤلفات عديدة أهمها:

١) حواش على كتاب تمهيد القواعد لابن ترك ٢) حواشي على كتاب الأسفار الأربعة للملا صدرا الشيرازي ٣) حواش على شرح فصوص الحكم للقيصري ٤) رسالة في موضوع العلم ٥) رسالة في موضوع الخلافة الكبرى ٦) رسالة في وحدة الوجود (وهي تتعلق بالفصل الأول لكتاب فصوص الحكم للقيصري) وقد طبعت هذه الرسالة مع حواشي الميرزا أبو الحسن جلوه ومتن كتاب تمهيد القواعد: لابن تركه ورسالة مفتاح مفاتيح الفصوص لصدر الدين القونيوي مع حواش لأبرز تلاميذه الميرزا هاشم الأشكوري الكيلاني على رسالة مفتاح مفاتيح الفصوص، بالإضافة إلى عدة رسائل وحواش أخرى لبعض الحكماء والعارفين في مجلد واحد عام ١٣١٦ هـ ـ ق في طهران. ٧) شرح حديث الزنديق.

واضافة الى التأليف عرف محمد رضا القمشه اي بذوقه الرفيع ومهارته في نظم الشعر[٢].

الشيخ محمد زاهد النجفي

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان) ونضيف اليها هنا ما يلي:

ابن الشيخ جعفر بن الشيخ عيسى بن الشيخ موسى المعروف بزاهد نسبة الى أسرته (آل زاهد) التي تنتمي الى قبيلة آل (ماح) من ربيعه وهي من أشهر قبائل الحي في محافظة الكوت نزح جدهم الأعلى من الغراف وجاور النجف قبل قرنين من الزمن ومن مشاهير اعلامها في العلم والفضل الشيخ عيسى (جد المترجم) فقد كان من أفضل تلامذة (صاحب الجواهر) وخاصته وباشارة من شيخه المذكور سافر إلى ايران وأقام في عاصمتها طهران ما ينيف على ثلاثين عاماً كان في خلالها مبجلاً لدى سائر طبقات الايرانيين وبعد وفاته فيها نقل جثمانه الى

(١) عبد الرفيع حقيقت.

(٢) عبد الرفيع حقيقت.

النجف، وكان قد اقترن هناك باحدى كرائم بعض الأسر أعقب منها ـ عدا البنات ـ ولدين أحدهما الشيخ جعفر والد المترجم الشيخ محمد[1]. فكان مولده ونشأته وتحصيله في النجف وتوفي فيها حوالي سنة (١٣٣٠) ولم يبلغ الستين من العمر وكان الشيخ محمد ماهراً في العربية وأدابها وأشهر أساتذته فيها السيد ابراهيم الطباطبائي وبرع في نظم الشعر، وفي العقد الرابع من حياته أصابته زمانة الزمته البيت والفراش فكان يحمله أحد أصهاره إلى المحافل الأدبية والأندية العلمية واقتصر بشعره على مدائح العلماء وزعماء الدين من بيوت النجف العريقة وقد تفرق شعره ولم يتصد أحد لجمعه بعد وفاته.

ذكره صاحب الحصون في ج ١ ص ٤٧٣ فقال: كان شاعراً ماهراً في صنوف الشعر، أديباً بليغاً لبيباً عالماً فاضلاً، وكان فطناً ذكياً جيد القريحة، ينظم الشعر الجيد الحسن، وفي أواسط عمره أصابه مرض في رجليه وطال به حتى صار مقعداً لا يقدر على النهوض، وكان صهره يحمله على ظهره ويأتي به الى المحافل، وكان يحضر عليه جماعة في العربية والمعاني والبيان فقد كان ماهراً فيها، وشعره جيد السبك حسن الديباجة سهل ممتنع، وكم له فينا من مدايح وتهاني ومراثي، وكان فقيراً معدماً، وقد تكسب بشعره فهو من شعرائنا المعاصرين.

وذكره أيضاً في ج ٩ ص ٤٩٧ مع اثبات بعض شعره الذي قاله في آل كاشف الغطاء وفي صاحب الحصون.

وذكره الشيخ جعفر النقدي في كتابه المخطوط (الروض النضر) ص ٢١٩ فقال: الأديب الأريب الفاضل، كان من أهل الفضل والكمال، بارعاً في جملة من الفنون سيما العلوم العربية، ولد ونشأ في النجف الأشرف، وفي أواخر أمره صار مقعداً يرتزق ببنات أفكاره، بيد أنه لم يتعد علماء الدين بمديحه.

توفي في النجف يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى من عام ١٣٢٩ هـ. وفي الروض النضير عام ١٣٢٧ هـ ودفن في وادي السلام.

الميرزا محمد صادق الأميري المشهور بـ (أديب الممالك الفراهاني)

ابن الحاج الميرزا حسن وحفيد الميرزا معصوم الملقب بـ (المحيط) (أخو الميرزا أبو القاسم القائم مقام الذي كان وزيراً لمحمد شاه وصاحب الديوان والكاتبات. من كبار شعراء ومؤلفي، أواخر العصر القاجاري أو فترة الصحوة واستقرار المشروطة في ايران.

ولد عام ١٢٧٧ هـ في قرية كازران التابعة لمدينة آراك، درس مقدمات الأدب على أبيه، ثم درس على أساتذة الفن الأدبي في آراك، وبدأ ينظم الشعر. ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى فارق أبوه الحياة عام ١٢٩١ هـ، فاختلّ نظام عائلته أثر ذلك، واشتد عليه ضغط الدائنين واعتداءات حاكم آراك وقائد قواتها الأمير عبد الحميد ميرزا ناصر الدولة، فاضطر الى مغادرة آراك والتوجه الى طهران سيراً على الأقدام عام ١٢٩٣ هـ. وفي العاصمة أمضى فترة من الوقت في حياة صعبة، حتى سطع نجمه الأدبي، ونالت اشعاره اعجاب الذواقين، واستطاع الوصول في ذلك الوقت الى الأمير طهماسب ميرزا مؤيد الدولة الذي كان أديباً وعالماً، فأراد الأمير أن يمتحن قدرته على نظم الشعر، فأنشده بيتاً وطلب منه النظم على وزنه بداهة ففعل وأجاد، فنال اعجاب الأمير، وأثبت بذلك مدى تضلّعه بالأدب وفنون الشعر.

حدث ذلك عام ١٢٩٥ هـ في طهران ولم يكن الميرزا محمد صادق الفراهاني الذي يلقّب نفسه حتى ذلك الوقت بـ (پروانه) قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره، فساهمت هذه الحادثة في شهرته أكثر فأكثر. وتعرف خلال ذلك على حسن علي أمير نظام الكروسي الذي كان يشغل آنذاك منصب وزير الخدمات العامة، وأثر ذلك لُقب بـ (أمير الشعراء) وغير تخلصه في اشعاره من پروانه إلى (الأميدي).

وحين عيّن أمير نظام عام ١٣٠٩ هـ حاكماً على كرمانشاه، اصطحبه معه وبقي الشاعر في كرمانشاه حتى عام ١٣١٣ هـ حيث عاد في أواخره الى طهران. وفي عام ١٣١٤ هـ لقبه مظفر الدين شاه القاجاري بـ (أديب الممالك) وفي ذي القعدة من نفس ذلك العام عين أمير نظام مشرفاً على شؤون آذربايجان، فاصطحب الشاعر الأميدي معه إلى تبريز، ثم عين عام ١٣١٦ هـ نائباً لمدير المدرسة اللقمانية في تبريز. وباشر باصدار صحيفة (الأدب) في هذه المدينة. غادر تبريز عام ١٣١٨ هـ متوجهاً إلى القفقاس ومنها الى خوارزم، ثم سافر الى مشهد ومكث فيها حتى عام ١٣٢٠ هـ وأصدر فيها صحيفته (الأدب). ثم عاد الى طهران واشتغل سكرتيراً ومحرراً لصحيفة ايران الرسمية. وفي عام ١٣٢٢ هـ عُيّن من قبل وزارة الداخلية مديراً لصحيفة (آفتاب) شبه الرسمية. وفي عام ١٣٢٣ هـ سافر الى باكو ونسق هناك مع صحيفة (ارشاد) التركية، وأخذ ينشر معها ملحقاً باللغة الفارسية. وحين افتتح مجلس الشورى الوطني في شعبان عام ١٣٢٤ هـ، كان هو في طهران، فأخذ على عاتقه مهمة سكرتير صحيفة المجلس التي أسسها الميرزا محمد صادق الطباطبائي. ثم أسس عام ١٣٢٥ صحيفة (عراق العجم) في طهران، ولكنها لم تستمر طويلاً. وفي عام ١٣٢٧ دخل طهران ضمن المجاهدين الفاتحين، واشتغل بعد مدة في وزارة العدل، فأصبح عام ١٣٢٩ هـ رئيساً لعدلية سمنان وفي عام ١٣٣١ هـ رئيساً لاصلاحية (ساوجبلاغ) في طهران وفي عام ١٣٣٤ هـ رئيساً لعدلية آراك وفي عام ١٣٣٥ هـ رئيساً لعدلية يزد. وباشر حملاته ضد ادارات العدلية ورؤسائها منذ تولّيه مسؤوليته في سمنان عام ١٣٢٩ هـ. ورغم مشاغله الحكومية واهتمامه بالشعر لم يغفل عن عمله الأساسي وهو ممارسة الصحافة، حيث كان يصدر عنه خلال ذلك العديد من الصحف، وكانت أغلب أشعاره تطبع وتنشر في هذه الصحف.

أصيب عام ١٣٣٥ أثناء رئاسته لعدلية يزد بأزمة قلبية، فاضطر للعودة الى طهران، ثم فارق الحياة فيها عام ١٣٣٦ عن عمر بلغ الثامنة والخمسين. فدفن في مدينة الري بالقرب من ضريح الشاه عبد العظيم في صحن المرحوم محمد صادق المجتهد الطباطبائي في حجرة المرحوم الميرزا أبو الحسن خان القائم مقام.

طبع ديوان أديب الممالك في طهران عام ١٩٣٣ م باهتمام وحيد الدستگردي. وجاء هذا الديوان في ٧٥٠ صفحة مشتملاً على عدد كبير

---

(١) والثاني محمد الحسين وهو والد الشيخ علي زاهد الذي لم يأل جهداً في جلب المطبوعات من ايران والهند وخاصة كتب الفقه والأصول والحديث مما ملأ به المكتبات والمدارس الدينية وقام من بعده بتعاطي هذه المهنة أولاده.

من القصائد واللطائف واشعار الهجاء اللاذع التي نظمها الشاعر بقصد الانتقام من أعدائه. وقد تحدث عنه مصحح ديوانه الوحيد الدستگردي فوصف مقامه الشعري وتأليفاته بما يلي: «كان أديب الممالك متقدماً على جميع معاصريه دون استثناء بشاعريته بل انهم كانوا بالنسبة اليه كقطرة الى بحر وكالثرى الى الثريا، بل ان مكانته بين شعراء فترة تجديد الحياة الأدبية التي تبدأ بنشاط الاصفهاني وتنتهي به (أديب الممالك) تفوق جميع الشعراء عدا الحكيم القاآني وسروش وشاعراً وشاعرين آخرين. وإلى جانب موافقة عصره مع عصر المشروطة والثورة وحدوث النزاعات السياسية، فان ميدان نبوغه وعبقريته سمح له أن يبرز شاعراً قوياً مميزاً، فاق جميع الشعراء من العصور البعيدة، إلى الآن ما عدا عدداً قليلاً منهم. وأما في علوم الأدب واللغة الفارسية والعربية فقد كان أستاذاً متبعاً، وكانت ذاكرته القوية تسعفه في الأوقات المناسبة في كتاباته. وليس له نظير في علم الأنساب وتاريخ العرب في المتقدمين والمتأخرين، واضافة الى ذلك كان ملماً بعلوم الحكمة والرياضيات والنجوم بما هو زائد عن حاجة الشاعر، وكان عارفاً باللغات: الروسية والكلدانية والتركية والبهلوية وقليلاً من الفرنسية والانجليزية.

أما تأليفات الفراهاني فهي: صيقل المرآة في الجغرافيا، السماء الدنيا في الهيئة الجديدة، (تابش مهر)، الفلك المشحون، تحفة الوالي في العروض، مقامات الأميري، رشحات الأقلام، ديوان فارسي مع معجم، رسالة في عقد الأنامل، وأغلب هذه الرسائل مفقودة، باستثناء الرسالة الأخيرة التي حصلنا عليها في ملاير قبل بضع سنين إلا انها فقدت في العراق».

وتحدث يحيى آرين بور عن أديب الممالك الفراهاني فقال: «كان الأميدي في غاية الاقتدار في أنواع الشعر باستثناء الغزليات التي لم ينجح فيها. وكان أسلوبه في الكتابة يشبه أسلوب الأساتذة المتقدمين وكان يسلك سلوك أسلافه في شعره، حيث يبتدؤه بالمدح قاصداً التزلف والحصول على صلات الأمراء في سبيل تأمين حاجاته ومعيشته». واضافة الى ذلك نجد في ديوانه آثاراً قيمة في الدعوة الى التحرر وحب الوطن والتجديد وطلب الرفعة لايران والايرانيين وكذلك مكافحة الخرافات والتقاليد الخاطئة والظلم والاجحاف، بحيث يعد نقلها مدعاة لفخر الايرانيين، كونها قدوة في الفكر والعمل»[1].

السيد محمد العصار بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني

ولد سنة ٢٦٤ في طهران وتوفي سنة ١٣٥٦ في مشهد الرضا مرت ترجمته في المجلد العاشر من (الأعيان) ونعيدها هنا بتفاصيل أوسع:

انحدر من بيت يكتنفه العلم والفضيلة والزهد والتقوى. أسلافه مشهورون في قرى «لواسانات»، للناس فيهم عقيدة راسخة وقبور بعضهم بارزة يتبرك بها.

منهم السيد محمد الحسيني المدفون في قرية «ايكه» وقبره مزار معروف.

ومن أعمام والده السيد مرتضى اللواساني، وكان من مشاهير تلامذة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر.

ثم أكبر أولاده مير محمد علي بن مرتضى، وكان من أجلاء علماء عصره.

نشأ المترجم نشأته الأولى في طهران برعاية والده واشتغل بتعلم القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة في سن مبكرة من سني صباه، ولما بلغ العاشرة كان قد فرغ من قراءة القرآن وتعلم التجويد، والفارسية والحساب ومسك الدفاتر التجارية.

ثم دخل المدرسة المحمدية من المدارس العلمية بطهران، فتتلمذ على مدرسيها في العلوم الأدبية ومبادىء النحو والصرف وغيرهما، وبعد ذلك حضر على الملا عزيز الله الطالقاني والشيخ محمد حسن المعروف بالجاله ميداني. ثم أخذ حجرة في المسجد الجامع، وفي هذه الفترة تتلمذ في الفقه والأصول سطحاً على الحاج ملا اسماعيل القره باغي أيام اقامته بطهران، وكتب خلالها شرحاً على كتاب «معالم الأصول».

وبعد ذلك حضر دروس كبار علماء طهران في ذلك العصر، كالسيد ميرزا صالح العرب المشتهر بالداماد، وفي الرابعة والعشرين من عمره سافر الى العراق للدراسة، فوصل كربلا في أواخر شهر شعبان من سنة ١٢٨٩، وجعل يحضر بحث الشيخ زين العابدين المازندراني.

وفي هذه السنة سافر الى الحجاز لأداء مناسك الحج، وبقي بمكة المكرّمة والمدينة المنوّرة سنتين رجع بعدهما إلى النجف الأشرف سنة ١٢٩١ وحضّر أبحاث الميرزا محمد حسن الشيرازي أيام اقامته بالنجف، وبعد هجرة الشيرازي الى سامراء تتلمذ على المولى علي الخليلي والميرزا حسين الخليلي والفاضل الأيرواني والميرزا حبيب الله الرشتي.

وعزم في سنة ١٢٩٥ على العودة الى طهران لشدة عوزه المالي، ولكن السيد الشيرازي أصر على بقائه في سامراء، فذهب اليها في سنة ١٢٩٦ وبقي بها الى سنة ١٣٠١ حيث رجع الى طهران وأقام بها.

قلنا أن المترجم توجه الى الحجاز في سنة ١٢٨٩ لأداء مناسك الحج وزيارة النبي والأئمة عليه وعليهم الصلاة والسلام بالمدينة المنورة.

كانت سفرته هذه من طريق البصرة في بحر عمان الى «جدة»، وسببت العراقيل الموجودة في الطريق أن لا يدرك الموسم فبقي في جدة الى بعد العاشر من المحرم ثم دخل مكة بعمرة مفردة الى شهر ربيع الأول، وحضر خلال اقامته بها دروس السيد أحمد زيني دحلان في الفقه الشافعي والشيخ محمد البُسْيوني مدرِّس الأدب العربي في الآداب والشيخ عبد الرحمن الهندي في التفسير.

وعاشر أيام اقامته بمكة المكرّمة الشيخ رحمة الله صاحب كتاب «اظهار الحق»، والشريف عون، وغيرهما من الشخصيات المرموقة! واشتهر فضله في الأوساط العلمية وزادت صلاته الودية بالعلماء وأرباب الفضل، وكان في تلك الأوساط يتستّر بالمذهب الشافعي.

وبعد شهرين ارتحل الى المدينة المنورة، فدخلها متنكراً ومدح الوالي الأمير خالد بقصيدة أنشدها بين يديه في يوم الجمعة بمحضر جماعة من الشرفاء والعلماء.

ووقعت القصيدة موقع الرضا والقبول من نفس خالد وأمر له [illegible] نبين المترجم حاله وقال انه لم ينظم القصيدة توقعاً لأخذ الصلة

(١) عبد الرفيع حقيقت.

وانما للتعرف بالوالي.

وحضر أيام اقامته بالمدينة على شيخ الشافعية في الفقه الشافعي، والشيخ الحافظ عبد الغني الهندي في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك، والأفندي عبد الجليل برادة في الأدب العربي. هذا عدا روابطه الخاصة بوجوه العلماء والأدباء وذوي الفضل والمعرفة.

وبعد اقامة ستة أشهر في المدينة المنورة عاد الى مكة وبقي الى موسم الحج حيث أدى المناسك ويمم صوب العراق بعد يوم الغدير.

ووصل في طريق العودة الى بيروت فانقطع به الطريق لكثرة البرد والثلوج، فبقي بها أكثر من شهر معاشراً لجماعة من معاريف الأدباء وفي مقدمتهم أولاد الشيخ ناصيف اليازجي الشاعر والكاتب اللبناني المشهور.

ثم رجع الى طهران في اليوم الرابع من شهر شعبان سنة ١٣٠١.

وتولى في طهران الشؤون الاجتماعية، وكان ساعياً في قضاء حوائج الناس ورفع مشاكلهم، كما قام بتحقيق وتصحيح عدد من كتب القدماء والاشراف على طبعها والسعي في نشرها، وعكف كذلك على التأليف والتصنيف والافادة والتدريس.

ومنذ سنة ١٣٤٠ انتقل الى مشهد الرضا عليه السلام، فورد المشهد في اليوم الثاني من ذي الحجة من السنة المذكورة.

وكان يقيم الجماعة في الحرم الرضوي ويؤم بصلاته جماعة من طلبة العلم والمؤمنين الأخيار.

كان شاعراً ينظم باللغة العربية والفارسية، وكان يتخلص في شعره الفارسي بـ «آشفته» ثم غيره الى «عصار». وله ديوان كبير يحتوي على ما نظمه في مختلف الأغراض الشعرية.

بدأ السيد بالتأليف منذ أيام تحصيله في طهران والحوزات العلمية، فكتب حواشي كثيرة على الكتب الدراسية وغيرها فُقد بعضها بسبب تعدد الأسفار والتنقلات، ويبدو انه كان طويل النفس في أكثر مؤلفاته التي تجاوز بعضها المجلدين والثلاثة. وانتقل الكثير من هذه الكتب بخطه إلى مكتبة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد[1].

السيد محمد بن علي الحسيني:

فاضل جامع من رجال القرن الثالث عشر، من تلامذة آقا محمد علي، أخباري شديد متحامل على الأصوليين، شديد النكير على العرفاء والصوفية، مدرس يبدو من كتاباته أنه تخرج عليه جمع من طلاب العلوم الدينية.

له «وصيت نامه»[2].

محمد علي حسن شمس:

ولد سنة ١٢٣٢ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣١٢.

كان شاعراً أديباً باللغتين العربية والفارسية، وله عدة قصائد باللغة العربية، وقد اشتهرت منها قصيدته الطويلة التي يقول في مطلعها:

لك الحمد يا رب البناء المشيَّد
ورب الرواسي والبساط الممهد

ومن مؤلفاته: قلائد الفرائد، السبعة السيارة وغير ذلك.

محمد علي الكشميري بن صادق:

ولد سنة ١٢٦٠ في لكهنو (الهند) وتوفي فيها سنة ١٣٠٩ درس على كبار العلماء، كما درس الطب القديم وفتح عيادة لمداواة المرضى وتعاطى التأليف. فمن مؤلفاته: نجوم السماء، وغفران زار، وروضة الاذهان، ومجمع الفوائد.

محمد بن عبد الله الكاتبي النيسابوري.

يعتبر من كبار شعراء ايران في القرن التاسع الهجري. وقد جاء في تذكرة الشعراء دولتشاه انه: «ولد وترعرع في قرية (طرق وراوش) وهي من أعمال ترشيز بين نيسابور وترشيز» ومن هنا كان يسمى أحياناً في كتب التراجم بالنيسابوري تارة وتارة أخرى بالترشيزي. ولكنه كان يصرّح في شعره بأن نسبته هي النيسابوري.

أمضى الكاتبي فترة شبابه في مسقط رأسه، وكما يبدو من شعره وكان ناجحاً في طلب علوم وفنون عصره، وخصوصاً فنون الأدب والشعر.

ومن أبرز أساتذته في نيسابور (سيمي النيسابوري). وكان سيمي هذا من مشاهير شعراء وفناني القرن التاسع الهجري، ومن مشاهير الخطاطين في عصره. وقد نقل عنه دولتشاه انه «كان رجلاً فناناً موهوباً. اشتغل بالأدب وادارة مدرسة، وكان يجيد ستة أنواع من الخط، ولم يكن له نظير في عصره في علم الكتابة وفن الشعر وعلم الألغاز، وكان بارعاً في صباغة الورق وصناعة الحبر والتذهيب، ووضع رسائل في هذه العلوم، وتميز بفنه في الإنشاء والتأليف، وكان أولاد الأكابر يدرسون عنده».

وكان الكاتبي من بين تلاميذ سيمي النيسابوري، حيث درس عنده مختلف أنواع الفنون ومنها الخط والشعر، ويقال انه أثار بتقدمه السريع في تعلم هذه الفنون ضغينة أستاذه وحسده، فكان الأستاذ يشدد ويضيق عليه، وأدرك الكاتبي تغير حال أستاذه عليه، فغادر نيسابور متجهاً إلى هرات. واعتاد أصحاب التراجم على نقل هذا الحديث، الا انه حقيقة غامضة بالنسبة لنا، والشيء الوحيد الذي نسلّم بصحته هو أن خلافاً وقع بين الكاتبي والنيسابوري، حتى انه (الكاتبي) كان يتهم النيسابوري الذي انتقل في آخر حياته من نيسابور الى مشهد بانتحال أشعاره، وقد جاء هذا الاتهام في بعض شعره، حيث يصفه بناكر الجميل بعد أن يذكر انه انتحل شعره. ولكن من يقرأ شعر الكاتبي بهذا الشأن يستبعد أن تكون ثمة علاقة أستاذ وتلميذ بين الكاتبي وسيمي النيسابوري، اللهم إلا أن يكون نكران الجميل الذي رمى الكاتبي به النيسابوري يكون من صفات الكاتبي نفسه. والأرجح أن يكون السبب في انتقال الكاتبي من نيسابور الى هرات هو السعي لاكمال دراسته، فالمعروف أن هرات كانت آنذاك مركزاً للعلم والأدب والفن وقبلة لطالبي الفضيلة والفن. وخلال اقامته في هرات كان في خدمة بايسنقر بن الميرزا شاهرخ، ويقال أن بايسنقر حينما سمع بصيت

(١) السيد أحمد الحسيني.
(٢) السيد أحمد الحسيني.

الكـاتبي طلبه اليـه وامتحنـه في اكـمال قصيـدة ففعـل وأجـاد. ويـزعم أصحاب التراجم الذين لم يطلعوا على ديوان الكاتبي أن الأمير بايسنقـر لم يعط الكاتبي حقه ولم ينزله المنزلة التي كان يستحقها، فحـزن الكاتبي لذلك وانتقل من هرات إلى آسـتراباد ومنهـا الى طبرستـان وگيلان. . . ولكن الحقيقة غير ذلك لسببين، الأول: ان الكـاتبي نظم قصيـدتين في مدح الأمير بايسنقر على نفس وزن القصيدة التي اختبره الأمير بها وأجابه على وزنها مادحاً له، الثاني: لم يقتصر هذا الشاعر في مدحه للأمير عـلى هاتين القصيدتين بل مدحه أيضاً في عدة قصائد جيدة أخرى. ومن هنا نعلم انـه بقي في خدمـة الأمير التيمـوري الفنان بعض الـوقت، ولكن دون أن ينقطع عن ترحاله، حيث سـافر من هـرات الى آستراباد ومنها الى مـازندران وگيـلان وشيروان ومـدح شاه شـيروان (منـوچهـر) عـدة مـرات، ونال منـه صلات وجـوائز، ومـدح خلال ذلـك الأمير الشيـخ ابراهيم بن شاهرخ (المتوفى عام ٨٣٨ هـ)، ويقال انـه حصل منـه على مبلغ قـدره عشرة آلاف دينـار، إلا انـه أنفق هـذا المبلغ الكبـير بـأيـام معدودة، بحيث لم يبق منه إلا سعر مَنٍّ من الطحين.

سافر الكاتبي بعد ذلك من شيروان إلى آذربايجان، ودخل في خدمـة اسكندر بن يوسف القراقويونلو (٨٢٣ ـ٨٣٩ هـ) (ولكن هذا الـتركماني الجلف لم يدرك عمق شعره ولم يلتفت اليـه) فغادر الى اصفهـان والتحق بـالخواجـه صاين الـدين علي بن محمـد تركـه الذي يعـد من كبار علماء عصره فأخذ يستفيد من فيضه وينهل من تصوفه وعرفانه. وعلى أية حال سافر الكاتبي من أصفهان الى آستراباد وبقي فيها حتى وفاته. وينقل أن وفـاته كـانت بسبب الـوبـاء أو مـرض الـطاعـون الـذي تفشى في تلك المدينة. وقد نقل الأمير علي شـير في (مجالس النفـائس) انه كـان حياً في الوباء الذي أصاب استراباد عام ٨٣٨ هـ، ولكنه مات في طاعـونها عام ٨٣٩ هـ، بينـما قـال دولتشـاه ان وفـاتـه كـانت عـام ٨٣٩ هـ بـوبـاء استراباد، ونفس هذا التاريخ تكرر في حبيب السـير، الا ان تقي الدين يرى أن هذه الحادثة تتعلق بعام ٨٣٨ اذ ينقل المادة التاريخية لمولانـا بدر الدين الشيرواني التي يحدد فيها عام وفاة الشاعر الكـاتبي، وحذا بعض أصحـاب التراجم حـذوه في ذلك. وقـد دفن هذا الشـاعر في اسـترآباد خارج ضريح السيد معصوم في مقبرة (نه گوران).

تـرك الشاعـر الكاتبي آثـاراً عديـدة، كانت بمجمـوعها دليـلاً عـلى انصراف هـذا الشاعـر المقتدر الى نـظم الشعـر وتقليـد بعض الشعـراء المتقـدمين. فمثـلاً كانت بعض آثـاره أجوبـة منه عـلى آثار المتقـدمين، ويبـدو ذلك واضحـاً في بعض المنظومـات، مثل: (گلشن ابـرار) وهي تقليد لمخزن الإسرار، ومنظومة (ده باب) وهي تقليد لبـوستان سعـدي وهكذا في المحب والمحبوب أو (سي نـامه)، بينـما جاءت بعض أشعـاره ثمرة لفنه وقدرته في صناعات الشعر، كما في منـظومته المشهـورة (مجمع البحرين) ومنظومة (ده باب تجنيسات).

وإذا كانت قصائد الكاتبي بمجموعها تـظهر اقتـداره وموهبتـه، فانها جاءت على عـادة الشعراء في ذلـك الوقت، فهي أمـا جواب للقصـائد المشهورة للشعراء المتقـدمين، وأمـا إذا كانت مبتكـرة فهي متأثـرة تأثـراً مباشراً بالشعراء المتقدمين المعروفين.

وقد كانت آثاره متنوعة ومؤلفة من أجزاء عدة، هي كما يلي:

١) ديوان مشتمل على قصائد في مدح الباري تعالى والـرسول (ص) ومدح أستاذه صـاين الدين وتيمـور وشاهـرخ والميرزا بـايسنقر والمـيرزا سلطان ابراهيم والسلطان خليل وبعض ملوك وأمراء شيروان وعدد من مشاهير زمانه، وجاءت القصائد منظمة حسب الترتيب الأبجدي.

٢) منظومات الكاتبي التي جاءت تقليداً للشعراء المتقدمين، مثـل: گلشن ابـرار التي يقلد فيها منـظومة مخـزن الأسرار للنظامي، ومنـظومة مجمع البحرين وهي تقليد لمنظومات خورشيـد وجمشيد سلمان سـاوجي وهما وهمايون خواجو ومنظومة (ده باب تجنيسات). والجديـر بالـذكر أن مجمع البحرين تشتمل على مقدمة نثرية، ومـوضوع المنـظومة هـو عشق عـرفـاني بـين النـاظـر والمنـظور، ومن هنـا تسمى أحيـانـاً بـ (النـاظـر والمنظور)، والمنظومة الأخرى هي منظومة (ده باب) التي جاءت مشتملة على حكايات ونصائح أخلاقية وكان الكاتبي قد نظمها بهدف تربية ابنه عنايت، وهي تقليد لبـوستان سعـدي وعلى وزنها. والمنـظومة الأخـرى مثنـوي (سي نامـه) المشهورة بـ (المحب والمحبـوب) وهي تشتمـل عـلى ثلاثين رسـالة تبـادلها المحب والمحبـوب، والحقيقة أن الكـاتبي قلد في الـ (سي نـامـه: ثـلاثـين رسـالـة) الشعـراء الـذين كـانـوا ينـظمـون الـ (ده نامه: عشرة رسائل) ولكنه لم يكتف بعشة فأكمل العـدة وجعلها ثلاثين. والمنظومة الأخـرى هي مثنوي (كتـاب دلربـاي) وهي منظومـة عرفانية ينظمها الشاعر بعد عام ٨٣٠ هـ بقليل، وموضوعها قصة ملك اليمن قباد مع وزيره.

ولا شك أن الكاتبي احتل مكانة شامخة بين شعراء عصره، ولا سيما في تقصي واقتفاء آثار القدماء، وكانت قصائـده العديـدة ومثنويـاته آيـة على تفتح قريحته حينما يقع في مضائق الشعر، وأمـا غزليـاته فهي تـظهر رفعة ذوقه ومتانة كلامه وقوة بيانـه. من هنا اعـترف جميع مؤلفي العهـد التيموري بمهارته وقدرته في الشعر، فمثلاً قال عنه الأمير علي شير انـه: «كـان في عصره دون نظير، وكـان كلما اتجه الى نـوع من الشعـراتي فيـه بمعانٍ غريبة ولا سيما في القصائد، بل انه كـان يخترع في شعـره وجاءت أغلب اختراعاته جيدة». بينـما بالـغ دولتشاه في وصفـه ومدحـه وتعداد مواهبه.

والحقيقة أن اعجاب أصحـاب التراجم والشعـراء في القرن التـاسع الهجري به، لم يكن بسبب غـزليـاتـه الرائعـة المليئة بـالمعاني والمضـامين العرفانية، التي هي أفضل وأكثر مهارة من جميـع أنواع شعـره الأخرى، ولم يكن أيضاً بسبب قدرتـه ومهارتـه المثيرة لـلاعجاب في ابـداع المعاني ورعـاية قـواعد الشعـر حتى في أصعب التزامـاته الشعـريـة، انما كـان اعجابهم به نتيجة لاهتمامه الخاص بالصناعـات الشعريـة وحسب. ولا شـك أن الكاتبي كـان من أكبر أسـاتذة القـرن التـاسـع الهجـري ومن أرفعهم شأناً.

كـانت قصائـد الكاتبي في أغلبهـا تتعلق بمدح السـلاطين والأعيـان المعـاصرين لـه، أو في المنـاقب أو في مصيبـة كـربـلاء أو في المـواعظ. والشاعر يقتدي في هذه المجالات بأساتذتـه المتقدمـين، مثل: الخـاقاني وكـمال الدين اسماعيل. ولعـل من أبـرز الأشخـاص الـذين مـدحهم الكـاتبي هم: الميرزا بـايسنقر بن شـاهرخ الـذي عـرف بحبـه للشعـر والفن، والخـواجه صـاين الدين عـلي بن محمد تـركه الأصفهـاني الذي،

تحدثنا آنفاً عن علاقة الكاتبي به، والسلطان خليل ميرزا بن ميران شاه بن تيمور الذي خلف جده في الحكم من عام ٨٠٧ - ٨١٢ هـ، ومنوچهر شيروانشاه وهو من سلالة شاهات شيروانشاه وظهير الدين الشيخ ابراهيم بن شاهرخ المتوفى عام ٨٣٨ هـ وعدد آخر من رجال وأمراء العهد التيموري مثل الأمير معين الدين محمد والخواجة جمال الدين محمد[1].

الميرزا محمد علي بن قنبر علي السدهي الاصفهاني المشهور بسروش الاصفهاني:

أحد الشعراء المعروفين في العهد القاجاري. ولد عام ١٢٢٨ هـ في سدة من نواحي اصفهان، وبرزت علاقته بالشعر وانشداده له منذ نعومة أظفاره. درس في اصفهان ثم اقتحم ساحة الأدب، وسار على غرار شعراء عصره في مدح الحكام والأعيان، ولكنه لم يجن ثمرة من ذلك ولم ينل مكسباً من ممدوحيه، فعزم على السياحة في الأرض وعرض بضاعته الأدبية في أماكن أخرى، وكان عمره حين غادر اصفهان تسعاً وعشرين سنة، فأقام فترة في قم وكاشان ثم انتقل بعد ثلاث سنوات الى تبريز فأقام فيها وحالفه الحظ هناك حيث شمله الميرزا قهرمان والميرزا محسن من الامراء القاجاريين برعايتهما ثم وصل الى ولي العهد فأنشده قصائد قوية فيها الكثير من المبالغة وذلك في مناسبات الأعياد، فكانت تحل في نفس ولي العهد موضع القول والرضا فيقابلها بالصلات والهدايا، واستمر الشاعر على هذه الحال بضع سنين نعم خلالها بالدعة والراحة في تبريز، حتى فارق محمد شاه الحياة عام ١٢٦٤ هـ، فانتقل الى طهران والتزم ركاب ناصر الدين شاه وأصبح من خاصة حاشيته. فنال من الشاه صلات وافرة وأصبح ذا مال وجاه، ثم أصبح الشاعر المقدم في البلاط بعد وفاة القاآني، ولقبه الشاه بالخان وشمس الشعراء، وعاش بعدها سنوات عدة شاعراً رسمياً للبلاط نعم خلالها بالرفاهية حتى فارق الحياة في طهران عام ١٢٨٥ هـ وله من العمر سبع وخمسون سنة.

ترك سروش آثاراً أدبية عديدة هي: قصائد ومثنويات (ارد يبهشت نامه ــ ساقي نامه ــ الهي نامه) وكتاب (شمس المناقب) (كتب بخط الميرزا الكمره اي وطبع في طهران عام ١٢٠٠ هـ باهتمام المشتري الطوسي) وهو يحتوي على قصائد في مدح وذكر مناقب الرسول (ص) والأئمة الأطهار وستين مرثية، وكذلك مثنوي باسم (روضة الأنوار) في ذكر واقعة كربلاء وديوان باسم (زينة المدائح). وقد طبع ديوانه الكامل عام ١٩٦٠ م باهتمام الدكتور محمد جعفر المحجوب مع مقدمة للأستاذ جلال الدين الهمائي وحواش وشرح لمعاني الكلمات، وجاءت الطبعة في مجلّدين.

يعتبر سروش من أشهر شعراء العصر القاجاري، وبرزت مهارته بقوة في نظم القصائد، وزعم انه نظم بعض القصائد على خطى السنائي وناصر خسرو والمنوچهري الا ان اسلوبه الخاص يذكر بأسلوب الشاعر الفرخي. وكان سروش في تحصيل المراتب العلمية أقل مستوى من الشعراء المماثلين والمعاصرين له مثل: نشاط والقاآني ومحمود خان وغيرهم وذلك لأنه تعلم القراءة والكتابة في الخامسة عشرة من عمره، ولم يجد بعد ذلك وقتاً للدرس والمطالعة، وكل ما تعلمه كان من مطالعة اشعار الشعراء وكتب أهل الأدب وما سمعه من أفواه أهل الحديث. ولكنه كان ذا قابلية كبيرة في استعمال الألفاظ الفارسية الأصيلة في اشعاره، ولعل بعضها كان من وضعه، اذ لم تشاهد في الكتب الأدبية، إلا انه كان يخطىء في استعمال بعض هذه الألفاظ أحياناً. وكان خط سروش غاية في الرداءة ولا يكاد يقرأ، واضافة الى ذلك كان بطيئاً في الكتابة وقليل المهارة فيها. ولكن السهولة والوضوح والعذوبة في اشعاره كانت تغطي على تلك العيوب.

من أبرز تلاميذ سروش: المشتري الخراساني الذي كان يحمل صورة خاصة لأستاذه، وقد كتب ديوان سروش بخط يده مراراً.

ولعل أنفع وأهم أثر لسروش الأصفهاني نظمه لاشعار ألف ليلة وليلة التي ترجمها الميرزا عبد اللطيف الطسوجي الى اللغة الفارسية. وذلك بعد أن طلب الأمير فاضل ميرزا (حاكم آذربايجان) الابن الرابع للميرزا عباس من شخصين فاضلين معاصرين له هما الملا عبد الليف الطسوجي (والد مظفر الملك) وسروش بترجمة نص ألف ليلة وليلة الى اللغة الفارسية، بحيث يقوم الأول بترجمة النثر، أما الثاني فيترجم الاشعار العربية الواردة في المتن. وجاءت ترجمة النثر بأسلوب فصيح رفيع، وأبدع سروش في ترجمة الاشعار حيث كان يستعير اشعار كبار الشعراء مثل سعدي وحافظ لمقابلة الشعر الوارد في الأصل بما يناسب سياق الكلام، ولما كانت بعض الاشعار تحكي في ألف ليلة وليلة عن حوادث معينة فقد كان يضطر الى وضع الشعر المناسب بنفسه لمقابلة الأصل وهكذا جاءت النسخة الفارسية لألف ليلة وليلة حاوية لأفصح وأعذب وأفضل الأشعار الفارسية، وهي تفوق بكثير الاشعار العربية الواردة في الأصل والتي هي في أغلبها اشعار عامية سخيفة[2].

الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، العلوي الحسني الشجري الكوفي:

ولد في رجب عام ٣٦٧، وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٤٥.

والده علي بن الحسن من العلماء المحدثين بالكوفة يعرف بابن عبد الرحمن ترجم له شيخنا الرازي في طبقات أعلام الشيعة ١١٨/٥، يروي عن أبي العباس المرهبي ومحمد بن الحسين بن سعيد الأزدي وأبي عبد الله محمد بن محمد بن المجدد العطار وعلي بن سفيان ومحمد بن جعفر المقري، ويروي عنه ابنه أبو عبد الله العلوي.

نشأ الشريف أبو عبد الله العلوي في الكوفة المدرسة الكبرى للحديث والفقه والعلوم الاسلامية.

فترعرع في أسرة علمية علوية عريقة وبيئة علمية أدبية، فبكر الى سماع الحديث وأدرك جملة من تلامذة الحافظ ابن عقدة فحمل عنهم العلم وخاصة الحديث وفنونه، ثم رحل الى بغداد عاصمة العلوم والآداب ومحتشد العلماء في كل فن، فتلمذ عليهم وتخرج بهم ورجع الى

---

(١) ذبيح الله صفا.

(٢) عبد الرفيع حقيقت.

الكوفة يبث علمه يدرس ويؤلف حتى أصبح رحلة يقصده بغاة العلم وهواة الحديث وحتى فاق مشائخ بلده وأعلام عصره، فكانت له المكانة المرموقة والشهرة الواسعة.

ومما يدل على ذلك:

١ ــ أن مثل الحافظ الصوري ــ وناهيك به ــ قصده من بغداد الى الكوفة ليقرأ عليه ويسمع منه، فكان ينتخب عليه ويفتخر به[1].

٢ ــ اشتهاره بـ (مسند الكوفة)[2]. فاختص بهذا الوسام وأطلق عليه ووصف به دون غيره من أعلام الكوفة على كثرة من أنجبته من حفاظ ومحدثين هم في الذروة والسنام كابن أبي شيبة ومطين وابن عقدة وأضربهم. وفي عصر العلوي أدرك الصوري بالكوفة أربعمائة شيخ.

٣ ـ اشتهاره بلقب (العلامة)[3] لكثرة علمه وتنوع فنونه، ولم يحرز هذا اللقب في الكوفة غيره.

شيوخه

١ ـ ابو اسحاق الطبري ابراهيم بن احمد المقرىء البغدادي المتوفى سنة ٣٩٣. ترجم له الذهبي في العبر٣/٥٤ ووثقه.

٢ ـ ابراهيم بن محمد النظامي.

٣ ـ احمد بن اصرم.

٤ ـ احمد بن زيد بن يسار ابو العباس البيساني.

٥ ـ احمد بن عبد الله ابو حازم الجواليقي.

٦ ـ احمد بن عبد الله بن الخضر ابو الحسين السوسنجردي المعدل البغدادي المتوفى سنة ٤٠٢. تاريخ بغداد ٤/٢٣٧، العبر ٣/٧٨ قال: وكان ثقة.

٧ ـ احمد بن محمد بن ابي الاس العطار.

٨ ـ احمد بن محمد بن احمد ابو طاهر التميمي القصار.

٩ ـ احمد بن محمد بن بنان ابو الطيب.

١٠ ـ احمد بن محمد بن علي الصوفي التميمي.

١١ ـ احمد بن محمد بن عمران ابو الحسن ابن الجندي المتوفى سنة ٣٩٦ من شيوخ النجاشي. العبر٣/٦٠.

١٢ ـ احمد بن الوزير بن احمد بن علي بن سعيد الدهقان الكوفي نزيل بغداد.

١٣ ـ جعفر بن احمد بن عبد ربه الدهقان.

١٤ ـ جعفر بن احمد بن ليث البجلي العطار.

١٥ ـ جعفربن محمد بن عيسى بن علي بن محمد الجعفري.

١٦ ـ جعفر بن محمد بن الحسين بن حاجب، ابو عبد الله.

١٧ ـ جناح بن نذير بن جناح ابو محمد المحاربي من شيوخ البيهقي صاحب «السنن».

١٨ ـ حسن بن حسين بن حبيش المقرىء.

١٩ ـ الحسن بن علي بن بزيع.

٢٠ ـ الحسن بن احمد بن ابي داود الحفري القطان.

٢١ ـ حسين بن محمد البجلي.

٢٢ ـ الحسين بن محمد بن الحسن المقرىء.

٢٣ ـ الحسين بن محمد بن الحسين الخزاز.

٢٤ ـ الحسين بن محمد بن اسماعيل بن ابي عابد ابو القاسم قاضي الكوفة المتوفى سنة ٣٩٥. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٨/١٠٣ ووثقه.

٢٥ ـ زيد بن جعفر بن محمد العلوي.

٢٦ ـ زيد بن جعفر بن محمد بن حاجب ابو الحسين الخزاز.

٢٧ ـ زيد بن محمد بن المؤدب.

٢٨ ـ الضحاك بن عبيد الله بن ابي قتيبة الغنوي.

٢٩ ـ عبد السلام بن احمد بن علي بن حبة الخزاز التغلبي (الاستدراك لابن نقطة ق ١١٣ ب).

٣٠ ـ عبد العزيز بن اسحاق بن جعفر ابو القاسم البقال البغدادي.

٣١ ـ عبد الله بن جعفر بن محمد الجعفري.

٣٢ ـ عبد الله بن الحسين بن محمد ابو محمد الفارسي.

٣٣ ـ عبدالله بن مجالد بن بشر البجلي ابو محمد.

٣٤ ـ عبد الله بن محمد بن هشام التيملي.

٣٥ ـ عبد الواحد بن محمد بن عبد الله ابو عمر ابن مهدي البغدادي المتوفى سنة ٤١٠ من شيوخ النجاشي والشيخ الطوسي.

٣٦ ـ علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، والد المؤلف.

٣٧ ـ علي بن الحسن بن يحيى ابو الحسين العلوي.

٣٨ ـ علي بن الحسين ابو القاسم العرزمي.

٣٩ ـ علي بن حماد بن قيس الاسدي.

٤٠ ـ علي بن سهل بن محمد بن ابي حيان ابو الحسن التيمي المعدل الكوفي رحل الى بغداد سنة ٣٧٩. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١١/٤٣١ ووثقه.

٤١ ـ علي بن عبد الرحمن بن ابي السري ابو الحسن البكائي الكوفي شيخ الكوفة المتوفى سنة ٣٧٦. ترجم له الذهبي في العبر٣/٢.

٤٢ ـ علي بن محمد بن اسحاق المقرىء الخزاز.

---

(١) حكى الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة ابي عبد الله العلوي عن بعضهم أنه قال: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله. قال: وكان حافظاً، أخرج عنه الحافظ الصوري وأفاد عنه وكان يفتخر به. وقال في ترجمته ايضاً في تاريخ الاسلام: وانتقى عليه الحافظ الصوري.

والحافظ الصوري هو ابو عبد الله بن علي الصوري المتوفى سنة ٤٤١، ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٣/١٠٣ وقال: وكان من أحرص الناس عليه (الحديث) وأكثرهم كتباً له واحسنهم معرفة به ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث.

وترجم له ابن الجوزي في المنتظم ٨/١٤٣ وقال: واكثر كتب الخطيب ـ سوى التاريخ ـ مستفادة منه.

(٢) سير أعلام النبلاء، وفيه: الامام المحدث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفة... تاريخ الاسلام في وفيات سنة ٤٤٥، العبر٣/٢١٠، شذرات الذهب ٣/٢٧٤، التحف شرح الزلف ص ١٢١ وفيه: الامام المحدث الثقة العالم البقية مسند الكوفة...

(٣) قال الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية ق ٤٣ نسخة مكتبة فيض الله تحت عنوان: حديث الشريف ابي عبد الله العلوي:

سألت الشريف ابا منصور (احمد بن ابي الفوارس عبد الله بن محمد، ابن الدبخ الكوفي من تلامذة العلوي ومن شيوخ السلفي) عن الشريف ابي عبد الله هذا؟ فقال: كان من أولاد الحسن بن علي، وكان من أهل الفضل والعفة، وكان يقال له: العلامة الا أنه كان يتشيع...

٤٣ ـ علي بن محمد بن بيان الشيباني الفقيه.

٤٤ ـ علي بن محمد بن حاجب ابو القاسم.

٤٥ ـ علي بن محمد بن الفضل المؤدب الدهقان.

٤٦ ـ علي بن يعقوب بن السري.

٤٧ ـ عمر بن ابراهيم ابو حفص الكتاني المقرىء المتوفى سنة ٣٩٠ صاحب ابن مجاهد. ترجم له الذهبي في العبر ٣/٤٦ ووثقه.

٤٨ ـ عمر بن علي ابو حازم الوشا القرشي.

٤٩ ـ كعب بن عمرو بن جعفر بن احمد ابو النصر المكتب البلخي. تاريخ بغداد ١٢/٤٩٣.

٥٠ ـ محمد بن ابراهيم بن سلمة بن كهيل الكهيلي.

٥١ ـ محمد بن ابراهيم الكتاني المقري.

٥٢ ـ محمد بن احمد بن ابراهيم.

٥٣ ـ محمد بن احمد بن (الحسين بن) عبد الله ابو الحسن الجواليقي (فرحة الغري ص ١٣٩ و١٤١).

٥٤ ـ محمد بن احمد النهمي.

٥٥ ـ محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل ابو الفضل الخزاعي الجرجاني تاريخ بغداد ٢/١٥٧.

٥٦ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن هارون ابو الحسن ابن النجار التميمي النحوي الكوفي المقرىء المتوفى سنة ٤٠٢، روى عنه النجاشي ايضاً. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٢/١٥٨، الذهبي في العبر ٣/٨٠ ووثقه.

٥٧ ـ محمد بن الحجاج ابو الطيب.

٥٨ ـ محمد بن الحسن بن احمد ابو الفضل ابن حطيط الاسدي.

٥٩ ـ محمد بن الحسين بن جعفر التيملي البزاز.

٦٠ ـ محمد بن الحسين السمني.

٦١ ـ محمد بن الحسين ابن الصباغ القرشي.

٦٢ ـ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي.

٦٣ ـ محمد بن الحسين بن غزال الحارثي أو المحاربي الخزاز.

٦٤ ـ محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن البجلي المقريء.

٦٥ ـ محمد بن الحسين بن جعفر ابو الطيب النخاس التيملي الكوفي المتوفى سنة ٣٨٧. ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٢/٢٤٥ وقال: قدم بغداد سنة ٣٧٦ فكتب الناس عنه ثم رجع الى الكوفة وكان ثقة يتشيع.

٦٦ ـ محمد بن زيد بن احمد بن مسلم ابو الحسن النهمي.

٦٧ ـ محمد بن زيد بن علي بن جعفر بن مروان ابو عبد الله البغدادي نزيل الكوفة المتوفى سنة ٣٨٧.

٦٨ ـ محمد بن طلحة النعالي البغدادي

٦٩ ـ محمد بن العباس الحذاء المقريء.

٧٠ ـ محمد بن ابي العباس الوراق.

٧١ ـ محمد بن عبد الرحمن ابو طاهر المخلص الذهبي المتوفى سنة ٣٩٣ العبر ٣/٥٦.

٧٢ ـ محمد بن عبد الله بن خالويه.

٧٣ ـ محمد بن عبد الله بن المطلب ابو المفضل الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧ واكثر عنه المؤلف كما في الروض النضير.

٧٤ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين القاضي ابو عبد الله الجعفي الكوفي المعروف بالهرواني المتوفى سنة ٤٠٢، وروى عنه النجاشي ايضاً. تاريخ بغداد ٥/٤٧٢، العبر ٣/٨١.

٧٥ ـ محمد بن عبد الله الحثمي، ولعله المتقدم، وهو تصحيف الجعفي. أو لانه كان يفتي على مذهب ابي حنيفة فقيل له الحنفي، فهما واحد.

٧٦ ـ محمد بن علي بن بزة ابو جعفر الثمالي الكوفي المتوفى سنة ٣٩٩ (الاستدراك لابن نقطة ق ٣٦ ب).

٧٧ ـ محمد بن علي بن بنان.

٧٨ ـ محمد بن علي بن الجراح.

٧٩ ـ محمد بن علي العطار ابو عبد الله المقرىء البجلي.

٨٠ ـ محمد بن علي بن الحسين بن ابي الجراح ابو عبد الله.

٨١ ـ محمد بن علي بن عبد الله بن الحكم الخزاز الهمداني أبو عبد الله.

٨٢ ـ محمد بن علي بن الخطير الهمداني.

٨٣ ـ محمد بن علي بن عامر الكندي ابو الحسين البندار.

٨٤ ـ محمد بن علي بن الحسن الوشاء ابو حازم المقرىء.

٨٥ ـ محمد بن عمر بن يحيى ابو الحسن العلوي الحسني الكوفي، رئيس العلوية بالعراق ٣١٥ ـ ٣٩٠. تاريخ بغداد ٣/٣٤.

٨٦ ـ محمد بن محمد بن نوح النخعي.

٨٧ ـ محمد بن ابي هاشم جعفر بن محمد العلوي.

٨٨ ـ ميمون بن علي بن حميد المقرىء أبو قاسم.

٨٩ ـ يحيى بن الحسن بن يحيى العلوي.

٨٩ ـ يحيى بن الحسن بن يحيى العلوي.

٩٠ ـ أمة السلام بنت القاضي احمد بن كامل بن شجرة البغدادية المتوفاة سنة ٣٩٠. العبر ٣/٤٦.

تلامذته الراوون عنه

١ ـ احمد بن عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، ابو منصور الكوفي البغدادي المولود سنة ٤٢٢، يعرف بابن الدبخ، قرأ عليه الحافظ ابو طاهر السلفي سنة ٤٩٤ وترجمه في المشيخة البغدادية وروى عنه من أحاديث ابي عبد الله العلوي.

٢ ـ الشريف النقيب زيد بن ناصر ابو الحسين العلوي الحسيني، قرأ على المؤلف كتابه التعازي ورواه عنه سنة ٤٤٣. ثم رواه محمد بن احمد بن شهريار الخازن في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الاشرف. طبقات أعلام الشيعة، القرن ٥ ص ٨٤.

٣ ـ سعيد بن محمد بن احمد ابو غالب الثقفي الكوفي.

٤ ـ علي بن الحسين صاحب كتاب المحيط بالامامة.

٥ ـ علي بن محمد بن الطيب ابو الحسن ابن المغازلي المالكي المعروف بابن الجلابي المتوفى سنة ٤٨٣، روى عنه مكاتبة كما في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) له برقم ١٨٤ و٢٣٢.

٦ ـ علي بن محمد بن ابي الغنائم بن يحيى بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام)، ابو الحسن العلوي الحسيني الكوفي.

ترجم له الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال: حدث بدمشق

عن الشريف ابي عبد الله محمد بن علي بن الحسن العلوي، كتب عنه نجا بن احمد.

قرأت [على] ابي الحسن نجا بن احمد - وأخبرنيه ابو محمد ابن الاكفاني شفاهاً عنه، أنا الشريف الجليل ابو الحسن علي بن محمد بن ابي الغنائم بن يحيى بن حمزة العلوي الحسيني، أنا الشريف السيد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي في مسجده بالكوفة في شارع القلعة...

٧ - محمد بن علي بن ميمون ابو الغنائم النرسي الكوفي المقرىء المعروف بأبي لجودة قراءته المتوفى سنة ٥١٠.

٨ - محمد بن الحسن بن اسحاق ابو الحسن ابن فدويه الشاهد الكوفي.

٩ - محمد بن علي بن عبد الله ابو عبد الله الصوري الحافظ المتوفى سنة ٤٤١.

١٠ - محمد بن عبد الوهاب الشعيرة الكوفي. سير اعلام النبلاء.

١١ - الفقيه ابو الحسن علي بن عبد الصمد التميمي النيسابوري. اعلام الشيعة قرن ٥ ص ١٧٠.

١٢ - علي بن محمد ابو الحارث الحائري الكوفي.

١٣ - علي بن فطر الهمداني الكوفي.

١٤ - علي بن علي الرطاب الكوفي.

١٥ - عبد المنعم بن يحيى بن معقل الكوفي.

١٦ - عمر بن ابراهيم الزيدي النحوي، وهو آخر من روى عنه بالاجازة.

١٧ - محمد بن احمد بن بحشل ابو عبد الله العطار، وهو الذي روى كتاب فضل زيارة الحسين عن العلوي المؤلف قراءة عليه في محرم سنة ٤٤٤، ورواه عنه عمر بن ابراهيم ابو البركات الزيدي سنة ٤٦٨.

١٨ - يحيى بن محمد الثقفي، روى الشوكاني في الاتحاف ص ٣٠ كتاب الجامع الكافي باسناده عن المؤلف العلوي.

١٩ - يحيى بن الحسين بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمان بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب ابو المرشد بالله ابو الحسين الشجري العلوي الزيدي المتوفى سنة ٤٧٩ امام الزيدية بالري ويجتمع مع شيخه المؤلف في النسب في عبد الرحمان الشجري.

مؤلفاته

١ - الاذان بحي على خير العمل (جزء في..) طبع في دمشق سنة ١٣٩٩.

٢ - أسماء الرواة عن زيد بن علي من التابعين، وحديث كل واحد منهم. نقل عنه السياغي في الروض النضير مكرراً، منها في ج ١ ص ١١٧ و٤٤٧.

٣ - كتاب التاريخ، نقل عنه ابن نقطة في كتاب الاستدراك في كلمة (بزه) وحكاه عنه في تعاليق كتاب الاكمال لابن ماكولا ١/ ٢٥٥.

٤ - كتاب التعازي، ذكره شيخنا الطهراني في الذريعة ٤/ ٢٠٥ وذكره أنه كان عند المحدث النوري، استكتبه عن نسخة في مكتبة الامام الرضا (عليه السلام) في مشهد، وذكره النوري في مستدرك الوسائل ٣/ ٣٧٠ وعده من مصادره وترجم لمؤلفه.

٥ - فضل الكوفة وفضل أهلها، نسخة من الجزء الاول في دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن المجموع رقم ٩٣ من الورقة ٢٨٢ الى ٣٠٨، رواية ابي الغنائم النرسي محمد بن علي بن ميمون المتوفى ٥١٠ عن المؤلف، وعلى النسخة قراءة جماعة لها على ابي الغنائم في سنة ٤٧٤.

٦ - الجامع الكافي، في الفقه، وهو في ست مجلدات، وهو الكتاب الذي قال عنه الذهبي في ترجمة المؤلف في سير أعلام النبلاء انه: جمع كتاباً فيه علم الائمة بالعراق، فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره[1]. وقال ابن الحابس في المقصد الحسن: كتاب الجامع الكافي ستة مجلدات وهو أوسع كتبهم (الزيدية) آثاراً وعلماً، جمعه ابو عبد الله محمد بن [علي بن عبد الرحمن] الحسني صاحب المقنع، واعتمد فيه على ذكر مذهب القاسم بن ابراهيم [الرسي المتوفى ٢٤٦] واحمد بن عيسى والحسن بن يحيى بن الحسن بن زيد ومذهب محمد بن منصور علامة العراق، وانما خص صاحب الجامع مذهب[2] هؤلاء قال: لانه رأى الزيدية بالعراق يحولون على مذاهبهم، وذكر أنه جمعه من نيف على ثلاثين مصنفاً من مصنفات محمد بن منصور وانه اختصر اسناد الاحاديث مع ذكر الحجج فيما وافق وخالف - انتهى ملخصاً.

وراجع تفاصيل ما يحويه الجامع الكافي تاريخ التراث العربي ٢/ ٢٩٨.

ويوجد الجامع الكافي في ميلانو في مكتبة امبروزيانا رقم ١٦٨. س راجع تاريخ الادب العربي لبروكلمن ٣/ ٣٣٤، ونسخة اربعة اجزاء في مجلدين في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء المجموع رقم ١٣١٠، مجلة المورد العراقية المجلد الثالث العدد ١ ص ٢٢٥.

وللجامع الكافي مختصران، احدهما للمؤلف فقد اختصره وسماه المقنع ويأتي والاخر للقاضي جمال الدين العفيف بن الحسن المذحجي الضراري وسمى مختصره تحفة الاخوان في مذهب ائمة كوفان، كما في المقصد الحسن.

٧ - المقنع، وهو مختصر الجامع الكافي، كما تقدم وقد ذكره ابن حابس في المقصد الحسن.

٨ - فضل زيارة الحسين (عليه السلام)[1].

الشيخ محمد علي الأراكي:

ولد في مدينة أراك التي كانت تعرف بسلطان آباد سنة ١٣١٢ وتوفي في قم عن ثلاث سنين ومئة سنة من العمر، بدأ دراسته الأولى في أراك على السيد جعفر الذي كان من أركان حوزة أراك فتخرج عنده في الأدب العربي وفي السطوح، ثم تابع الدراسة على الشيخ محمد سلطان العلماء صاحب الحاشية على اللمعة وكتاب مفصل الكفاية وأتم السطوح على السيد محمد تقي الخونساري.

وفي سنة ١٣٢٢ أسس الشيخ عبد الكريم الحائري الحوزة العلمية في أراك فانتمى المترجم إلى دروس الشيخ عبد الكريم في الفقه والأصول طيلة ثماني سنوات.

وفي سنة ١٣٤٠ هاجر الشيخ عبد الكريم من مدينة أراك إلى مدينة

---

(١) السيد عبد العزيز الطباطبائي.

قم وأسس فيها الحوزة العلمية فالتحق به المترجم مع جماعة من الفضلاء وسكن في المدرسة الفيضية وواصل الدراسة على الشيخ الحائري ولازمه ثلاثاً وعشرين سنة.

وبعد وفاة السيد محمد تقي الخونساري سنة ١٣٧١ تصدى المترجم للتدريس فتلمذ على يديه على مدى خمس وثلاثين سنة الكثيرون من الطلاب المرموقون الذين يعتبرون اليوم من أساتذة حوزة قم.

وبعد وفاة السيد الگلبايگاني اتجهت اليه الأنظار في المرجعية ولكن الأمر لم يطل اذ انتقل الى جوار ربه.

ترك من المؤلفات: رسالة الاستفتاءات، وحاشية على العروة الوثقى، وتوضيح المسائل، ومناسك الحج، وحاشية على درر الأصول للشيخ عبد الكريم الحائري، والمكاسب المحرمة، وكتاب الخيارات، وكتاب البيع وغير ذلك.

الشيخ محمد علي الأنصاري القُمّي

ابن الشيخ محمد حسين هو من نسل سعد بن عبد الله الأشعري الذي فر مع قومه من العراق أيام الحجاج ونشروا التشيع في مدينة قم.

المؤلف والشاعر. ولد عام ١٢٢٩ في مدينة قم. قرأ مقدمات العلوم الاسلامية في المدرسة الرضوية بقم ثم اتجه الى التجارة ولكنه لم يترك المطالعة والاستزادة من العلوم فقرأ الأدب العربي والتاريخ الاسلامي، وكان يمتلك حافظة قوية فحفظ معظم دواوين الشعر العربي وكتب الأدب.

وبدأ ينظم الشعر في سنٍ مبكرةٍ. وله دواوين وكتب ومختارات شعرية عديدة وأكثر شعره في مدائح أهل البيت ورثائهم، لكن أهم عمل قام به وخلّده في ايران هو نظمه «نهج البلاغة» حيث ترجم نهج البلاغة الى الفارسية ونظم خطبه في ٦٠,٠٠٠ بيت شعر، له من المؤلفات:

١) نهج البلاغة المنظوم ١٠ مجلدات. طبع عدة مرات.

٢) ترجمة كتاب (غُرر الحكم ودُرر الكلم). طبع عدة مرات.

٣) ترجمة (نهج البلاغة) الى الفارسية نثراً.

٤) شرح ونظم عهد الإمام علي (ع) الى مالك الأشتر.

٥) ديوان خزائن المراثي، في شرح وقائع حادثة كربلا.

٦) ديوان شعر.

٧) اختزان أدب.

٨) دفاع ازاسلام وروحانيت.

٩) محمد بيامبر شناخته شده.

١٠) دفاع ازحسين شهيد.

كما قام بتحقيق كتاب (أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها) لعبد القادر الرازي من اعلام القرن السابع الهجري.

توفي سنة ١٤٠٥ بمدينة قم ودفن عند قبور أجداده في مقابر الأشعريين (مقبرة شيخان) في قم[1].

(١) الشيخ محمد رضا الأنصاري.

نصير الدين الطوسي محمد بن محمد بن الحسن

مرت ترجمته في المجلد التاسع من (الأعيان) ومرت عنه دراسة في المجلد الأول من (المستدركات).

وننشر عنه هذه الكلمة المكتوبة بقلم الأستاذ مفيد آل ياسين، وهي تدل على أن مكتبات بغداد قد سلمت من أذى المغول وكذلك الأوقاف. وقد كانت هذه السلامة سواء للمكتبات أو للأوقاف بفضل نصير الدين الطوسي الذي استطاع أن يقنع هولاكو بأن يعهد اليه بادارة الأوقاف بعد أن كان هولاكو قد عهد اليه بانشاء مرصد مراغة، فقنعه بحماية الكتب ونقلها الى مكتبة مرصد مراغة:

إن الغالبية من المؤرخين الأسبقين والمحدثين يرجعون ضياع الكثير من كتب بغداد وفقدانها وتلفها الى ما فعله المغول بها أثناء غزوهم لها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) على يد هولاكو ويستندون في ذلك على مصادر معينة تختلف في تصويرها للاتلاف والاغراق والاحراق.

لا بد لنا ــ باديء ذي بدء ــ ونحن نحاول البحث في مسألة اتلاف المغول لكتب بغداد عاصمة العباسيين، عند سقوطها على يدهم سنة ٦٥٦ هـ أن نذكر بايجاز حالة خزائن الكتب فيها قبل الغزو المغولي، ليعطينا ذلك صورة واضحة عنها وعما جرى عليها بعد الغزو المذكور.

لقد كانت بغداد في أواخر الدولة العباسية مركزاً مهماً من مراكز الاشعاع الفكري والثقافي، ففيها العلماء الاعلام، اللذين يشد اليهم الرحال، وفيها المدارس العلمية التي تضم بين حناياها جهابذة العلم وأساتذة المعرفة، إلى جانب مراكز التعليم الأخرى من ربط وغيرها. ولقد كان بعض الخلفاء العباسيين يهتمون بالعلماء والمدارس العلمية، حيث كانوا يزودون دور كتبها بالعديد من مجلدات الكتب، حتى أن الخليفة الناصر لدين الله بنى في سنة ٥٨٩ هـ دار الكتب في المدرسة النظامية ونقل اليها عشرة آلاف مجلد، هذا الى جانب تزويده بالكتب رباط الاخلاطية والرباط الذي الى جانب تربة والدته ورباط الحريم وغير ذلك. ولقد ذكر القفطي في ترجمة مبشر ابن أحمد بن علي الرازي المتوفى سنة ٥٨٩ هـ بأن الخليفة الناصر قرّب منه أبا العباس أحمد المذكور «واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة فانه أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها».

ولقد نقل الى المدرسة المستنصرية عند افتتاحها «من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون حمالاً وجعلت في خزانة الكتب».

كما هناك اشارات الى اهتمام الخليفة المستعصم بالكتب فقد عين في سنة ٦٤٠ هـ شمس الدين علي بن النيار في خزانة الكتب التي لخصاته. كما أمر في سنة ٦٤١ هـ بعمل خزانة للكتب في داره . ويرد الخبر بانشاء المستعصم لخزانتين متقابلتين للكتب. كما هناك اشارة إلى اسناد خزانة المستعصم التي استجدها في آخر أيامه الى صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي، وقد كان الخليفة يزورها ويجلس فيها بعد أن عدل عن الخزانة الأولى التي كانت بادارة ابن النير المار ذكره. ولقد ذكر الأرموي نفسه بأن المستعصم عيّنه والشيخ زكي الدين

عبد الله بن حبيب في الخزانة المذكورة. ويمكننا معرفة خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد من وصف القلقشندي لها بقوله: «إن أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن أحداها: خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة..».

هذه نبذة موجزة تبين لنا حال خزائن كتب الخلفاء ببغداد كما تلقي ضوءاً على خزائن كتب مدارس بغداد. ولا بد لنا أن نشير إلى خزائن الكتب الخاصة، حيث كان لأغلب العلماء والوزراء ببغداد خزائن كتب خاصة بهم، لا مجال لذكرها هنا ولكننا على سبيل المثال ننوّه بما ذكره الفخري عن خزانة الوزير ابن العلقمي التي كانت تضم عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب بالإضافة الى الكتب التي صنفت من أجله كالعباب للصاغاني اللغوي وشرح نهج البلاغة لعز الدين ابن أبي الحديد.

المغول وكتب بغداد:

هناك اجماع في المصادر على استباحة المغول لمدينة بغداد، وإعمال السيف في الرقاب، ونهب الأموال، وحرق بعض الأماكن، وما الى ذلك من مظاهر الاستباحة والغزو والفتح. والمهم هنا معرفة مصير كتب بغداد وما جرى لها على أيدي هؤلاء الغزاة.

فمن أقدم الاشارات إلى ذلك ما ورد في الكتاب المنسوب ــ اشتباهاً وغلطاً ــ للمؤرخ ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ قوله: «ويقال انهم ــ يقصد المغول ــ بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن» ثم ما ورد عند ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ، من أن المغول استولوا على قصور الخلفاء وذخائرها «وعلى ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم في دجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه، مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم». كما يذكر القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ عن خزائن كتب الخلفاء ببغداد عند الغزو المغولي بأنها «ذهبت فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها». ويذكر ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ عن كتب بغداد بأنها أحرقت كما يقول أن المغول «بنو بها جسراً من الطين والماء عوضاً عن الآجر. ويقول «وقيل غير ذلك». وهناك نص طريف لمؤرخ مكي توفى سنة ٩٨٨ أو ٩٩١ هـ جعل فيه بغداد على الفرات وقال: «ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسراً يمرون عليها ركباناً ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد».

هذه أهم النصوص التي تدين المغول ــ الذين غزوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ ــ باتلاف الكتب وخزائنها. وسأناقشها بعد أن أشير بايجاز الى المصادر التي سكتت عن مصير الكتب عند حادثة سقوط بغداد ــ وقد يفيد السكوت عدم حصول أي حادث للكتب ــ.

فمن أهم المصادر التي سكتت عن هذه المسألة، الرسالة المنسوبة للخواجه نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ والمرافق لهولاكو عند غزوه لبغداد، فهو لم يذكر شيئاً عن الكتب بينما يذكر نهب المدينة وغزو أموالها. وكذلك فعل رشيد الدين فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ ــ والذي يعتبر بحق مؤرخ المغول الأول ــ حيث سكت عن مصير الكتب، ولكنه ذكر القتل العام والنهب والاحراق والاستيلاء على قصور الخلفاء. كما نلاحظ السكوت أيضاً عند اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ. وأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ. والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ. وغيرهم من المتأخرين كابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ.

أما المصادر التي أنارت الطريق للكشف عن المسألة، ففي مقدمتها معجم ابن الفوطي الموسوم بتلخيص مجمع الاداب في معجم الألقاب. حيث يذكر لنا هذا المؤرخ البغدادي المعاصر للحوادث التي نحن بصددها في ترجمة عز الدين بن أبي الحديد ما نصه: «ولما أخذت بغداد كان ــ يقصد ابن أبي الحديد ــ ممن خلص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين مع أخيه موفق الدين، وحضر بين يدي المولى السعيد خواجة نصير الدين الطوسي وفوض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب، ولم تطل أيامه فتوفى رحمه الله في جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وستمائة». وفي الحوادث الجامعة في سنة ٦٥٦: «كان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون الى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة...» وفيه أيضاً أن علي شهاب الدين بن عبد الله عيّن صدراً في الوقوف وقد عمّر جامع الخليفة الذي أحرق أثناء الحادثة ثم فتح المدارس والربط وأثبت الفقهاء والصوفية وصرف لهم رواتبهم لما سلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد بن الأثير وجعل أمره اليه» وفيه كذلك في حوادث سنة ٦٦٢ هـ خبر قدوم نصير الدين الطوسي الى بغداد لتفقد الأحوال والنظر في الأوقاف والأجناد والمماليك وزيارته لواسط والبصرة وجمعه الكثير من كتب العراق لأجل الرصد. وأكد ذلك ابن شاكر الكتبي الذي يذكر تأسيس الطوسي لرصد مهم بمراغة فيه خزانة كتب مهمة ملأها من كتب بغداد وغيرها من المدن «حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد» وذكر ابن كثير ذلك أيضاً وقال «نقل اليه ــ يعني الرصد ــ شيئاً كثيراً من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد». وهناك اشارة عند ابن الفوطي الى سوق الكتب ببغداد سنة ٧٢٢ هـ. كما أن المدرسة المستنصرية قد نجت أثناء حادثة سقوط بغداد «اذ كانت على وضعها حين وصفها ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ هـ مطنباً في تصوير عظمتها، وقد ذكرها حمد الله المستوفي بعد زمن ابن بطوطة باثني عشرة سنة فقال: «ان بناءها من أجمل المباني الباقية ببغداد يومئذ». ولدى القلقشندي عن أوقاف بغداد ما يفيدنا في فهم مدى أثر المغول في نظم بغداد بعد سقوطها حيث يقول: «وأوقافها جارية في مجاريها لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعدها، بل كل وقف مستمر بيد متوليه ومن له الولاية عليه، وانما نقصت من سوء ولاة أمورها لا من سواها». وأخيراً لا بد لنا من الإشارة إلى الغرق الشنيع لبغداد في سنة ٦٥٤ هـ، وهو قبل حادثة بغداد بسنتين، ولا بد وانه أدى إلى تلف قسم من كتبها.

ولنا الآن بعد ما أوردناه من نصوص أن نناقش الموضوع، فنقول: أن أهم المصادر الأولية في موضوعنا هذا هي الرسالة المنسوبة للطوسي وكتاب رشيد الدين فضل الله ومعجم ابن الفوطي والحوادث الجامعة

المنسوب لابن الفوطي أيضاً، فالمصدران الأولان لم يذكرا شيئاً عن الكتب بوجه الخصوص، وانما أشارا إلى النهب والقتل الذين صاحبا الحادثة بوجه عام. في حين أن المصدر الثالث وهو معجم ابن الفوطي ذكر اناطة أمر خزائن كتب بغداد بعد سقوطها بابن أبي الحديد وأخيه موفق الدين وابن الساعي، وهذا النص يشعرنا ببقاء خزائن كتب بغداد على حالها، بحيث استوجب الأمر تعيين ثلاثة من كبار أدباء ومؤرخي العصر للاشراف عليها وادارتها، كما أن هذا النص ــ في نفس الوقت ــ يدلنا على مدى التلاعب والتزوير في الكتاب المنسوب لابن الساعي الذي سبق لنا أن نقلنا ما ورد فيه عن مصير كتب بغداد حيث بدأ خبره بالتشكيك بلفظة «يقال» ــ بأن المغول ــ بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء.. في حين أن ابن الساعي وهو المؤرخ الكبير المعروف كان ببغداد وقت الحادثة وهو ممن نجا منها فلماذا يشكك في الأمر ولا يجزم فيه وهو شاهد عيان. هذا الى جانب كونه أحد الثلاثة الذين أنيطت بهم مسؤولية خزائن كتب بغداد بعد سقوطها. ولعل هذا الخبر عن كتب بغداد في هذا الكتاب كخبر الآخرين عن اسلام هولاكو قبل موته بطريقة عجيبة وبمعجزة للرفاعيين. واخباره عن أبي سعيد آخر سلاطين الايلخانيين الذي كانت وفاة ابن الساعي قبل ولادة السلطان المذكور بأكثر من ثلث قرن من الزمان. كما أن ما ذكره المصدر الرابع وهو الحوادث الجامعة من ابتياع أهل الحلة والكوفة والمسيب للكتب النفيسة من بغداد باستبدالها بالأطعمة، يشعرنا بانتقال قسم كبير من كتب بغداد الى المدن المذكورة. ثم اذا ما لاحظنا ما ذكره صاحب الحوادث الجامعة أيضاً، وابن شاكر الكتبي، وابن كثير، والمقريزي عن نقل الطوسي للكثير الكثير من كتب بغداد والعراق الى الرصد الذي أسسه بمراغة نشعر أيضاً بانتقال قسم آخر من كتب بغداد الى خزانة الرصد المذكور. وبملاحظتنا لما نقله القلقشندي عن أوقاف بغداد بعد سقوطها نستشعر بأن قسماً من كتبها ــ وهو جزء من الأوقاف ــ لم تعترضه أيدي المغول. وفي بقاء المدرسة المستنصرية على حالها وسلامتها من أذى الغزو في حادثة بغداد، مع علمنا بأنها كانت تضم خزانة كتب عظيمة فريدة، لأمر يجلب الانتباه حقاً، ويفيد ببقاء خزانتها على ما كانت عليه قبل الغزو المذكور.

الشيخ شرف الدين محمد بن محمد رضا بن محمد التبريزي المتخلص في شعره باسم مجذوب.

كان حيا سنة ١٠٨٨، من مشاهير شعراء العصر الصفوي واقطاب الصوفية عارف رباني اديب متضلع اخذ فنون الادب والشعر على علماء تبريز ثم اولع بالعرفان والتصوف وسار بذلك بجد واتقان وحضر على اعلام العرفاء وانتهى اليه كرسي التدريس في تبريز وكان من اكابر مدرسي العرفان والتصوف والتف حوله عشاق التصوف والعرفان وازدحموا حوله. ذكره معاصره الميرزا محمد طاهر النصر آبادي في كتابه تذكرة الشعراء وقال (... كان متبحراً في العرفان ومتضلعاً في التصوف التف حوله طلاب تبريز للاستفادة من مدرسته الفياضة في كل يوم...)[١] ثم اورد نموذجا من مثنوياته الثلاثة وبعض رباعياته.

(١) محمد طاهر النصر آبادي الاصفهاني: تذكرة الشعراء النصر آبادي ص ١٩٢ طهران الطبعة الاولى مطبعة ارمغان.

وذكره ايضاً ميرزا رضا قلي خان هدايت في كتابه رياض العارفين وقال: من مشاهير الشعراء في العصر الصفوي وديوانه يحتوي على اكثر من خمسة الاف بيت في مدايح الائمة (عليهم السلام) ثم ذكر نموذجاً من قصائده[٢] وقد ترك المترجم له مؤلفات وتحقيقات هامة ونافعة اشهرها:

١ ـ كتاب الهدايا وسر من رأى: وهو شرح مزجي على الكافي للكليني في عدة مجلدات[٣].

٢ ـ حواش على المجلد الاول من تفسير الفخر الرازي، ٣ ـ ديوان شعر منه نسخة في مكتبة ملك الوطنية في طهران تحت رقم ٥٠٠٩ وطبع في الهند سنة ١٣٥٠ واعيد طبعه في طهران سنة ١٩٤١م ٤ ـ كتاب شاهراه نجات مثنوي في الاخلاق فرغ من نظمه سنة ١٠٦٦ هجرية منه نسخة في مكتبة الروضة الرضوية في مشهد تحت رقم ١٥٢٣٥ ٥ ـ كتاب تاييدات منظومة عرفانية فرغ من نظمه في سنة ١٠٨٨ هجرية اهداه باسم الشاه سليمان الصفوي منه نسختان في مكتبة الروضة الرضوية في خراسان تحت رقم ٤٤٦٣ وكان ولده شرف الدين الميرزا محمد رضا التبريزي من اكابر العلماء، معاصراً للشاه سلطان حسين الصفوي وباسمه الف كتابه الذي سماه اتمام الحجة بالفارسية.

وقد خلط الأستاذ أحمد منزوى في كتابه فهرست نسخة هاى خطى فارسي بين المترجم له وولده المذكور وذلك للأشتراك في اللقب والكنية والاسم واسم الاب[٤].

محمد بن محمد بن بقيع الحلي، عضد الدين:

فاضل أديب شاعر، ألف نجم الدين خضر الحبلرودي باستدعائه كتاب «التوضيح الأنور» في سنة ٨٣٩، ووصفه بأوصاف منها قوله «أخونا العالم الورع التقي.. الزكي الألمعي نتيجة العلماء المجتهدين..»[٥].

محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد:

مرت ترجمته في موضعها من (الأعيان). ونعيدها هنا بشيء من التفصيل لبعض سيرته وآثاره:

موجز سيرته:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي، العكبري، البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد، وبابن المعلّم.

ولد سنة ٣٣٦ هـ، وقيل: سنة ٣٣٨ هـ، في بلدة «عكبرا»[٦].

ترعرع في كنف والده الذي كان معلّماً في واسط، ولذا كان ابنه يكنى بابن المعلّم.

(٢) انظر رياض العارفين ص ٢١٦ طهران عام ١٣٤٤ هجرية شمسية.

(٣) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٤) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٥) السيد احمد الحسيني.

(٦) عكبرا: اسم بليدة من نواحي الدجيل، قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، والنسبة إليها عكبري وعكبراوي. (معجم البلدان، ج ٤: ص ١٤٢).

انحدر به أبوه إلى بغداد وهو بعدُ صبيّ، وبغداد حينذاك حاضرة العلم، ومركز الحضارة وعاصمة العالم الاسلامي كله ومهد العلماء، ومهوى أفئدة المتعلمين.

لقّبه الرماني بـ «المفيد»، لسبب محاجّته المعروفة معه، وكان المترجم له يقرأ آنذاك على أبي عبد الله الحسين بن علي المعروف بـ «جعل» في منزله بدرب رباح.

شيوخه وأساتذته يربون على الخمسين، جلّهم من أقطاب المدرسة البغدادية، في الأدب والفقه والحديث وغيرها.

كان شيخنا، ربعة[1]، أسمر، نحيفاً، قوي النفس، كثير البرّ والصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، حَسَن اللباس، يلبس الخشن من الثياب، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، حَسَن اللسان والجدل، صبور على الخصم، ضنين السرّ، جميل العلانية.

كان له مجلس نظر في داره بدرب رباح، يحضره كافة العلماء من سائر الطوائف، يناظر أهل كل عقيدة، زاره ابن النديم ــ صاحب الفهرست ــ في ذلك المجلس وقال عنه: شاهدته فرأيته بارعاً.

كان مديماً للمطالعة والتعليم، من أحفظ الناس وأحرصهم على التعليم، يدور على حوانيت الحاكة والمكاتب فيتلمّح الصبي الفطن فيستأجره من أبويه.

مؤلفاته ومصنفاته ناهزت المائتين أو جاوزتها.

وقعت في أيامه اضطرابات وفتن طائفية في بغداد، وكان من مقتضيات السياسية آنذاك نفيه من بغداد لفترة قصيرة.

فمن ذلك ما حدث سنة (٣٩٣ هـ)، وتكرر في رجب عام (٣٩٨ هـ).

توفي في بغداد، في العقد الثامن من عمره، سنة (٤١٣ هـ)، وشيّعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه.

صلى عليه تلميذه الشريف المرتضى الموسوي، بميدان الاشنان، وضاق بالناس على كبره.

دفن بداره في بغداد، ثم نُقل إلى مقابر قريش، فدفن عند قدمي الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، بجنب استاذه الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، صاحب كتاب (كامل الزيارات).

رثاه الشريف المرتضى، وعبد المحسن الصوري وغيرهما من الشعراء، ومن مرثية مهيار الديلمي له، التي جاوزت تسعين بيتاً قوله:

مَا بَعدَ يومِكَ سَلوةٌ لِمُعَلَّلِ
مني ولا ظَفِرت بسَمعِ مُعَذِّلِ
سوّى المصابُ بكَ القلوبَ على الجوى
فَيَدُ الجليدِ على الحشا المُتَمَلْمِلِ
وَتَشابَهَ الباكونَ فيكَ فَلَمْ يبنْ
دَمْعُ المحقّ لنا من المُتَعَمِّلِ
كُنّا نُعَيِّرُ بالحُلوم إذا هَفَتْ
جَزَعاً وَنَهْزأ بالعُيونِ الهُمَّلِ
فَاليومُ صَارَ العُذْرُ لِلفاني أسىً
وَاللومُ لِلْمُتَماسِكِ الْمُتَجَمِّلِ

إلى أن يقول:

يَا مُرسَلاً إن كنتَ مُبلِغَ مَيِّتٍ
تَحتَ الصَفائِحِ قَولَ حَيٍّ مُرسِلِ
فَلِجِ الثَرى الراوي فَقُلْ «لِمحمّدٍ»
عَن ذي فُؤادٍ بالفَجيعَةِ مُشْعَلِ
مَن لِلخُصومِ اللُدِّ بَعدَكَ غُصَّةً
في الصَدرِ لا تَهْوي وَلا هي تَعتَلي
مَن لِلْجدالِ إذا الشِفاهُ تَقَلَّصَتْ
وَإذا اللِّسانُ بريقِهِ لَمْ يَبْلُلِ
مَن بَعدَ فَقدِكَ رَبُّ كُلِّ غَريبَةٍ
بِكرٍ بِكَ افتُرِعَتْ وَقَولَةِ فَيْصَلِ
ولِغامِضٍ خافٍ رَفَعْتَ قِوامَهُ
وَفَتَحْتَ مِنْهُ في الجَوابِ الْمُقْفَلِ
مَن لِلطُروسِ يَصوغُ في صَفَحاتِها
حُلِياً يُقَعقِعُ كُلَّما خَرِسَ الحُلي
يُبقينَ لِلذِّكْرِ المُخَلَّدِ رَحْمَةً
لَكَ مِن فَمِ الراوي وَعَينِ المُجتَلي
كَمْ قَدْ ضَمَمْتَ لِدينِ آلِ «مُحَمَّدٍ»
مِنْ شارِدٍ وَهَدَيْتَ قَلْبَ مُضَلَّلِ
فَلَيَجْزِيَنَّكَ عَنهُمُ مَن لَمْ يَزَلْ
يَبْلُو القُلوبَ لِيَجْتَبي وَلِيَبْتَلي
وَلَتَنظُرَنَّ إلى «عَلِيٍّ» رافِعاً
ضَبْعَيكَ يَومَ البَعثِ يَنْظُرُ مِن عَلِ

إلى أن يقول:

مَا إن رأتْ عَيْنايَ أكثرَ باكِياً
مِنْهُ وأوجَعَ رَنَّةً من مُعْوِلِ
حُشِدُوا عَلى جَنَباتِ نَعْشِكَ وُقَّعاً
حَشْدَ العُطاشِ عَلى شَفيرِ المَنهَلِ
وَتَنازَعُوا الدَمعَ الغَريبَ كَأنَّما الـ
إسلامُ قَبْلَكَ أمَّةٌ لَمْ تُثْكَلِ
يَمْشونَ خَلْفَكَ والثَرى بِكَ رَوضَةٌ
كَحَلَ العُيونَ بِها تُرابُ الأرجُلِ

ويختم القصيدة بقوله:

رَقّاصَةُ القَطَراتِ تَحْتَ وَمِيضِهِ
وَشْياً وَتَفْحَصُ في الثَرى الْمُتَهَيِّلِ
نَسَجَتْ لَها كَفُّ الجَنوبِ مُلاءَةً
رَتْقاءَ لا تُفْضَى بِكَفِّ الشَّمْأَلِ
صَبّابَةُ الجَنَباتِ تَسْمَعُ حَولَها
لِلرَّعْدِ شِقْشِقَةَ القُرومِ البُزَّلِ

---

(١) أي مستقيم القامة.

تُرضي ثَراكَ بواكِفٍ مُتَدَفِّقٍ
يُروي صَداكَ وَقاطِرٍ مُتَسَلْسِلِ
حَتى يَرَى زوّارُ قَبْرِكَ إنَّهُمْ
حَطُّوا رِحالَهُمُ بِوَادٍ مُبْقِلِ
وَمَتَى وَنَتْ أو قَصَّرَتْ أهْدَابُها
أمْدَدْتُها مِنّي بِدَمعٍ مُسْبَلِ

وقال السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الايرانية السابق ومرشدها الحالي: إن الشيخ المفيد في سلسلة علماء الشيعة لم يكن متكلماً وفقيهاً متفوقاً شامخاً فحسب، بل أكثر من ذلك فهو مؤسّس حركة علمية متكاملة في فرعي الكلام والفقه ومتواصلة حتى اليوم في حوزات الشيعة العلمية، وهذه الحركة لا تزال باقية في خصائصها الأصلية وخطوطها الأساسية رغم عدم انعزالها عن المؤثرات التاريخية والجغرافية والفكرية.

وتتبين أهمية هذه المسألة لو لاحظنا أن هذه الحركة العلمية في ما يقرب من نصف قرن بعد وفاة المفيد قد شهدت تحولاً وتكاملاً سريعاً هائلاً غطّى على الدور التأسيسي للشيخ المفيد. التأكيد الأساس في هذه المسألة على أن النشاط العلمي المتميز الباهر الذي نهض به تلميذ الشيخ المفيد السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) والذروة الرفيعة التي بلغتها هذه السلسلة في عهد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) إنّما هو امتداد لتلك الحركة التي أسّسها ودفعها محمّد بن محمد بن النعمان المفيد. ولتوضيح هذه المسألة لا بدّ أن نبيّن دور الشيخ المفيد فيما يلي:

١ ــ تثبيت ما لمدرسة أهل البيت عليهم السلام من هويّة مستقلة.

٢ ــ تأسيس الاطار العلمي الصحيح لفقه الشيعة.

٣ ــ ابتكار أسلوب الجمع المنطقي بين العقل والنقل في الفقه والكلام.

الصرح الشامخ الذي شيّده فقهاء الشيعة ومتكلموهم على مدى عشرة قرون والكنوز العلمية الفريدة التي قدّموها بآثارهم العلمية تقوم بأجمعها على قاعدة أرساها الشيخ المفيد بجهاده العلمي على الأبعاد الثلاثة المذكورة.

قبل أن نتطرق إلى الأبعاد الثلاثة يجدر أن نذكر أن ظاهرة الشيخ المفيد والحوزة العلمية الشيعية في بغداد آنذاك لم يسبق لها نظير حتى ذلك الزمان في تاريخ الشيعة.

قبل هذا التاريخ كانت حوزات الشيعة العلمية منتشرة طبعاً في جميع الأصقاع بين الشامات وما وراء النهر. حوزة «قم» التي كانت المركز الكبير للحديث ووارثة دور «الكوفة» في القرنين الثاني والثالث، وحوزة «الري» التي نشأ فيها الكليني وابن قبة وغيرهما من الأعلام، هاتان الحوزتان كانتا تعتبران فقط جزء من المراكز العلمية الشيعية. في الشرق، كانت الحوزة العلمية في ما وراء النهر ومن خريجيها المعروفين العياشي السمرقندي وأبو عمرو الكشّي. وفي الغرب كانت حوزة حلب ومنها رجال من أمثال الحسن بن أحمد السبيعي الحلبي وعلي بن خالد الحلبي اللذين يُعدّان من مشايخ المفيد. وبالحدس المؤيد بالقرائن فإن هذه الأصقاع لا بد أنها كانت من المراكز الهامة لعلوم الشيعة ومعارفهم. ونظرة في فهرست مشايخ الكشي تبيّنُ أنّ منطقة خراسان وما وراء النهر، على بعدها من الحوزات العلمية الشيعية الأصلية، ربّت عدداً كبيراً من العلماء والمحدثين، ومن هنا يقوى الاحتمال بأن تلك المناطق كانت إلى جانب الحوزة العلمية مهتمةً بتربية وتخريج علماء من هذا القبيل. عشرة من المشايخ المذكورين ــ على الأقل ــ منسوبون إلى سمرقند أو كش (قرب سمرقند)، ومثل هذا العدد تقريباً منسوب إلى مدن بخارى، وبلخ، وهرات، وسرخس، ونيشابور، وبيهق، وفارياب ومدن أُخرى من ذلك الصقع الإسلامي[1].

مشاهدةُ كلّ هذه الأسماء المنسوبة إلى مدن ما وراء النهر وخراسان، وهم على ما يظهر جميعاً أو ما يقرب من الجميع شيعةٌ، واستبعاد ذهاب شخص من قم أو الكوفة أو بغداد صوب كلّ هؤلاء المشايخ الخراسانيين والتركستانيين، لأن ذلك بعيد عن العادة، يقوّي احتمال وجود دار العياشي[2] في سمرقند لا في بغداد[3]، وهي الدار التي قال عنها النجاشي أنها: «كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم»[4]. «وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارىء أو معلّق مملوءة من الناس»[5]. وهذا يدل أيضاً على رواج علوم ومعارف أهل البيت ونشاط الحوزة العلمية الشيعية في تلك المدينة.

وفي حلب حيث كثرة الشيعة وحكومة الحمدانيين وهم شيعة ملتزمون بإقامة الشعائر الشيعية[6]، كانت توجد دون شك حوزة علمية لا يستهان بها، ولو أن قربها من العراق وحضور محدثيها وفقهائها في بغداد ثم في زمن الشيخ الطوسي في النجف، لا يجعلها من الحوزات الكبرى.

هذا هو باختصار وضع الحوزات العامية للشيعة خلال العصر الذي انتهى بزمن الشيخ المفيد. حوزة بغداد فى ذلك العصر كانت أيضاً تتعاطى العلوم والمعارف الإسلامية، ولكن بظهور الشيخ المفيد وانتشار

(١) جبريل بن أحمد الفاريابي (فارياب: مدينة بين بلخ ومرو الرود)، وكان ــ كما يقول الشيخ الطوسي ــ يسكن «كش»، وابراهيم بن نصير الكشي (كش: من قرى سمرقند)، وخلف بن حمّاد الكشي، وخلف. محمد الملقب بالمثّان الكشي، وعثمان بن حامد الكشي، ومحمد بن الحسن الكشي، ومحمد بن سعد بن مزيد الكشي، وابراهيم بن علي الكوفي السمرقندي (يبدو أنه هاجر من الكوفة إلى سمرقند) وابراهيم الورّاق السمرقندي، وجعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندي، ومحمد بن مسعود العياشي السمرقندي، وآدم بن محمد القلانسي البلخي، وأحمد بن علي بن كلثوم السرخسي، وأحمد بن يعقوب البيهقي، وعلي بن محمد بن قتيبة النيشابوري، ومحمد بن أبي عوف البخاري، ومحمد بن الحسين الهروي، ومحمد بن رشيد الهروي، ونصر بن الصباح البلخي و. . .

(٢) هذا الاستنتاج أخذ بنظر الاعتبار أن الكشي من تلامذة العيّاشي وأن الكشي كان من غلمان محمد بن مسعود العياشي كما أوضح لنا سماحة السيد حفظه الله (المترجم).

(٣) يؤيد ذلك أيضاً أن علي بن محمد القزويني جاء لأوّل مرة بكتب العياشي الى بغداد سنة ٣٥٦ هـ (راجع النجاشي/ ص ٢٦٧).

(٤) النجاشي في ترجمة الكشي/ ص ٣٧٢.

(٥) النجاشي في ترجمة العياشي/ ص ٣٥١.

(٦) المولوي في كتاب المثنوي ينقل قصة شاعر ورد حلب في عاشوراء ورأى المدينة مجللة بالسواد ومعطلة الأسواق، فظنّ أن أميراً فيها قد مات. وحين سأل الناس قالوا له: يظهر أنك غريب. .

صيته العلمي، فإن بغداد، وهي مركز العالم الإسلامي سياسياً وجغرافياً، قد أصبحت أيضاً مركزاً أصلياً لعلوم الشيعة ومعارفهم. ولم تعد مرجعاً لحل ما يواجه الشيعة من مسائل فكرية ودينية فحسب[١]، بل أصبحت أيضاً كعبة لطلاب العلم.

لا يتوفر لدينا فهرس كامل بأسماء تلاميذ الشيخ المفيد، ولا بد أن يكون عددهم أكثر بكثير ممّا ذكرته كتب التراجم. فما ذكر لا يتجاوز بضع أفراد وجهود المفيد العلمية تواصلت نصف قرن من الزمان. ولكن ثمة قرائن تبين لنا أن حوزة بغداد باشتهار الشيخ المفيد وتحركه العلمي قد احتلت مكانة لم يبلغ شأوها أية حوزة علمية شيعية من قبل. من تلك القرائن: عزيمةُ نابغة مثل الشيخ الطوسي من طوس إلى بغداد، وعدم اختياره الحوزات العلمية القريبة من مسقط رأسه أي حوزات خراسان وما وراء النهر، وعدم توقفه في الريّ أو قم. ومنها أيضاً: عدم اشتهار علماء كبار في تلك الحوزات حتى مدة ليست بالقصيرة.

وهذا يعني أن حوزة بغداد قد استوعبت كلّ العلوم الرائجة في مجموع حوزات التشيّع، وغطّت على رونق سائر الحوزات الأخرى في العالم الإسلامي.. وظلت حتى ولادة حوزة النجف الأشرف (سنة ٤٤٨ أو ٤٤٩) درة التاج بين مراكز الشيعة العلمية.

محور هذه الحوزة وربّان سفينتها دون شك كان الشيخ المفيد. فهو بنبوغه وكفاءاته الفذّة ومساعيه الدائبة، وباستثمار مكانة بغداد الاستثنائية باعتبارها مركزاً سياسياً وجغرافياً للعالم الإسلامي ومحلاً لتردّد علماء المذاهب المختلفة، قد نال جامعيّة منقطعة النظير، وأصبح قطباً ومحوراً وعنصراً متميزاً في حوزة بغداد في زمانه. وممّا خلّفه الشيخ الكبير من آثار علمية ومن سائر القرائن يتضح أن المفيد بؤرة قد التقت فيها بشكل مدهش كل الخصائص التي عُرف بها رجال الشيعة حتى ذلك الزمان: فقد اجتمع فيه فقه القديمين وابن بابويه وجعفر بن قولويه، وكلام ابن قبة وبني نوبخت، ورجال الكشي والبرقي، وحديث الصدوق والصفار والكليني، إلى قدرة الجدل والمقارعة الفكرية القويّة، إلى غيرها من الخصائص البارزة. كان كل واحد من أولئك الرجال ــ طبعاً ــ مشعلاً ينير درب واحد من معارف أهل البيت، لكن المفيد كان الثريّا التي جمعت كل تلك الأنجم الزاهرة. وهذا ما لم نجده في أية شخصية علمية شيعية قبله. وفي تفرّده يكفي أن يشهد بحقه ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) أنه كان قبل الرابعة والأربعين من عمره[٢] شيخ كل الشيعة في الفقه والكلام والحديث. والذهبي الذي تحدّث عنه في تاريخ الإسلام بلغة حاقدة بعيدة عن الموضوعية، يروي عن ابن أبي طي بشأن المفيد ما يبين أنه كان فريداً في كل العلوم: في الأصولين، والفقه، والأخبار، ومعرفة الرجال، والقرآن، والتفسير، والنحو والشعر... وكان يناظر أرباب جميع العقائد[٣].

المفيد اجتمعت فيه علوم السابقين متكاملة، وببركة هذه الشخصية الجامعة المستوعبة الشمولية استمرت الحوزة العلمية لقرون بعده على النمط الذي أسّسه وكانت علوم الفقه والكلام والأُصول والأدب والحديث والرجال فيها تدرس وتحقّق وتتكامل مقترنة ومنسجمة ويكمل بعضها الآخر. وهذه الحوزة نفسها أنجبت في مرحلة ناضجة من مراحلها السيد المرتضى، وفي قمة كمالها شيخ الطائفة ــ محمّد بن الحسن الطوسي.

انطلاقاً ممّا ذكرناه عن عدم وجود سابق نظير لظاهرة الشيخ المفيد وحوزة بغداد في زمانه، فإن المفيد يعتبر حقاً مؤسّس الحوزات العلمية للشيعة بشكلها الذي تواصل بعده لقرون. أي بالشكل الذي يجعلها مركزاً لتدريس مجموعة من العلوم العقلية والنقلية الإسلامية ويجعل من خرّيجها متبحّراً في كل هذه العلوم أو أكثرها.

هذا الشكل بقي على الأقل حتى زمن الشهيد الأوّل، أي إلى زمن اتجاه أغلب الحوزات نحو الاختصاص بالفقه ومقدماته، وهذا استمرار لحركة دفعها الشيخ المفيد وحوزته في بغداد حتى سنة ٤١٣.

من هنا فلا عجب أن يُدّعى أنَّ هذه الشخصية الفريدة الممتازة عملت على فتح طريق جديد يمتدّ على ثلاثة محاور.

ونبدأ بتناول الأبعاد الثلاثة في شخصية الشيخ المفيد العلميّة:

١ ــ تثبيت ما لمدرسة أهل البيت عليهم السلام من هويّة مستقلة

بعد عصر الغيبة، وخاصة بعد انتهاء مرحلة الأعوام الأربعة والسبعين من الغيبة الصغرى، وانقطاع الشيعة عن الإمام الغائب أضحى كيان مدرسة أهل البيت تتهدده أخطار منها: نقصان شيء من المدرسة أو زيادة شيء عليها نتيجة الأخطاء والانحرافات العمدية وغير العمدية الصادرة عمن ينتسبون إلى هذه المدرسة. ومنها: ضمور الخصائص المميزة الأساسية للمدرسة وبالتالي اختلاطها بالخطوط المنحرفة، وامتزاج انحرافات الاتجاهات العقائدية أو المذاهب المفتعلة بالحقائق. في زمن حضور الإمام (ع)، متى ما طرأت ظاهرة كهذه أو ظهرت بوادر خطر ظهورها فإن شخص الإمام كان المحور والمركز المطمئن الذي تقاس به الأمور وتصدر بعد ذلك الأحكام. بوجود الإمام ــ إذن ــ بين الناس لم يكتب للانحرافات بقاء، بل انه يكشف عن الانحرافات الأساسية في الفترات الحّساسة. وكانت الشيعة واثقة أن الخط العام لمدرستها لو تعرّض في زاوية من زواياه لانحراف، فإن

(١) نلفت النظر الى رسائل الشيخ المفيد ابه على أسئلة كانت ترده من أكناف البلاد، وإلى تنوع هذه الأسئلة وسعة نطاقها.. وفي بعض هذه الرسائل لا يكتفي الشيخ المفيد بحل ما يطرحه السائل من مشكلة فكرية، بل يدخل في حلبة مصارعة فكرية وكلامية، وكأنه من مركزه في بغداد يتصدى للدفاع عن حريم مدرسته ويدافع عن اتباعها أمام هجوم خطر. أنظر: المسائل الصاغانية وما فيها من هجوم قويّ يصعّد فيه معنويات الشيعة المستضعفين في خراسان الذين كانوا يواجهون حملة على حريمهم الفكري. ومن هنا من المحتمل أن تكون الرسائل المكتوبة بأسلوب: «إن قيل فقل» مثل: النكت في مقدمات الأصول، والنكت الاعتقادية وأمثالها قد دوّنت لسكنة الأصقاع البعيدة الذين كانوا يتعرّضون دوماً لضغط أسئلة دينية موجّهة وكانوا يطلبون أجوبة كلامية قويّة وتوجيهات مناسبة.

(٢) كان المفيد المولود سنة ٣٣٦ لدن وفاة ابن النديم ابن الرابعة والاربعين، ولا ندري متى ترجم ابن النديم للشيخ المفيد في فهرسته.

(٣) قول الذهبي هذا جزء من تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لم يطبع بعد، وما نقل فهو من نسخة يبدو أنها معدة للطبع.

الحجّة ستتضح وأن طالب الحقيقة سيجد في النهاية مبتغاه. في تاريخ حياة الأئمة عليهم السلام نرى أسماء أفراد تبرّأ منهم الأئمة وطعنوا فيهم بصراحة لاستحداثهم بدعة أو تأسيسهم طريقاً خاطئاً أو إشاعتهم عقيدة باطلة، مثل محمّد بن مقلاص المعروف بابن أبي الخطاب، وابن أبي العذافر المعروف بالشلمغاني (وهذا المورد الأخير حدث في عصر الغيبة الصغرى)، وكثير من أمثالهم. ونرى في مواضع أيضاً أن اختلافاً ينشب بين جماعتين من أصحاب الإمام المخلصين الصادقين، وتعمد احدى الجماعتين الى طرد الجماعة الأخرى ولعنها بسبب اعتقاد من معتقداتها، فينبري الإمام للدفاع عن الفرد المطعون فيه أو الجماعة المطعون فيها، ويمدحها، وبذلك يؤيد معتقدها ويردّ ما ظُنّ بشأن انحرافها. . كتأييد الإمام يونس بن عبد الرحمن حين طرده القميون ورووا عنه روايات منكرة، واصداره بحقّه عبارات ثناء مثل: «رحمه الله، كان عبداً صالحاً». . . أو «إن يونس أول من يجيب علياً إذا دعا» (راجع رجال الكشي في ترجمة يونس بن عبد الرحمن). وأيضاً بشأن أسرة بني فضّال، الذين كانوا مرجعاً لطلاب علوم أهل البيت لوثاقتهم وعلمهم، أصدر الإمام عبارة: «خذوا ما رووا وذروا ما دروا»، وبذلك منع نفوذ معتقدهم الانحرافي (الفطحية) بين جماهير الشيعة. . . وأمثال ذلك في موقف الأئمة من أصحابهم المعاصرين كثير.

بهذا المنظار، فإن الإمام عليه السلام في عصر الحضور كان الحارس اليقظ المتنبه الذي حمل بنفسه مهمة الحراسة عن الحدود التي تصون كيان المدرسة.

أما في عصر الغيبة، وخاصة في عصر الغيبة الكبرى فقد اختلفت المسألة تماماً. من جهة ثمة احتياجات متزايدة تحتاج إلى اتخاذ موقف، وهذا الموقف يتخذه في هذه المرحلة علماء الدين لا الإمام عليه السلام. ومن جهة أخرى هناك اختلاف وجهات النظر التي تبرز بشكل طبيعي بين العلماء والمفكرين ولم يكن لهذه الاختلافات من محور بارز وقاطع يبتّ فيها. . . وهذا يعني انفتاح الطريق أمام مختلف الآراء والأفكار والنظرات بشأن أصول الدين وفروعه. وبين مختلف الآراء هذه، لا بدّ أن تجد عناصر من المدارس المنحرفة أو المذاهب التي خرجت عن خط الإمامة الشيعية، كالفطحية وغيرها طريقاً إلى مجموعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ممّا يهدد نقاءها واتقانها. . . وقد يؤدي الأمر في المدى البعيد إلى تغيير مسار المدرسة بشكل كامل.

ومن هنا يتضح واحد من أهم واجبات قادة الأمة في تلك البرهة من الزمان. النهوض بهذا الواجب يستطيع أن يكون بمعنى صيانة الدين ويعادل الجهاد المصيري. وهذا الواجب عبارة عن تدعيم الخصائص المميزة للتشيع باعتباره نظاماً فكرياً وعملياً، ورسم اطاره العقائدي والعملي بالاستمداد مما تركه الأئمة عليهم السلام من تراث قيّم في أقوالهم. وبهذا الشكل يتشخّص ما لمذهب أهل البيت عليهم السلام من هوية مستقلة وخصائص مميّزة، ويتيسّر فهمه وتطبيقه لاتباعه. هذا العمل يتيح لعلماء الشيعة ومفكريهم امكان الفرز بين الانحراف المبدئي أي الخروج عن أصول المذهب في الفقه والكلام، وبين اختلاف وجهات النظر التي تنشأ داخل اطار المدرسة.

ممّا لا شك فيه أن هذا العمل لم يتمّ حتى زمن المفيد (رض). ولا أدل على ذلك من وجود اتجاه قياس في فقه ابن الجنيد، وميول اعتزالية في كلام أسرة النوبخت. وهذان نموذجان فقط لنتائج وتبعات عدم تشخّص الخصائص المميزة لمدرسة التشيع في حقل أصول الدين وفروعه. في مجال الفقه، عدم الاستفادة من المباني العقلية والأصولية للاستنباط وتفريع الفرع على الأصل وهو من التعاليم القطعية للأئمة عليهم السلام، وفي الطرف المقابل الانزلاق الى وادي القياس، لونان من الانحراف غير العمدي عن نهج المدرسة ونتيجة لعدم تشخص الخصائص وعدم رسم الاطار الواضح. وفي مجال الكلام، المظهر الأساس الانحرافي الناتج عن عدم تعيين حدود المذهب يتمثل بالخلط بين الكلام الشيعي والكلام المعتزلي. وفي هذا المجال الأخير كانت تبعات عدم تعيين حدود المذهب كثيرة وفادحة. من ذلك:

ـ المتكلمون الكبار المشهورون كأفراد أسرة النوبخت كانت لهم في كثير من مسائل علم الكلام اتجاهات اعتزالية، وكانوا كالمعتزلة في توجههم المفرط إلى العقل في فهم المباحث الكلامية.

ثمة شخصيات من كبار الشيعة ادّعى المعتزلة انها منهم، ومنهم العالم المتكلم الشيعي المعروف الحسن بن موسى النوبختي معاصر كبير أسرة النوبختيين أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي وابن أخته[1].

الاعتقاد بامكان الجمع بين التشيع والاعتزال في شخص واحد، وتعريف شخصيات معروفة وكبيرة بأنها شيعية ومعتزلة، وحتى إن بعضهم نفسه قبل هذا الادعاء وكرره واعتقد به. من ذلك قول الصاحب بن عبّاد:

«فقلت: إنّي شيعيٌ ومعتزلي» بينما المعتقد الذي يميّز التشيّع هو امامة أهل البيت عليهم السلام التي لا تقبل أي معتزلي. والمعتقد الذي يميز الاعتزال هو «المنزلة بين المنزلين» وهو مما يتعارض ويتنافى مع بديهيات التشيّع.

بعض علماء الشيعة آمن بأصل من أصول المعتزلة الخمسة، دون أن يعتبره نفسه أو يعتبره أحد أنه معتزلي. محمد بن البشر الحمدوني ـ مثلاً ـ يقول عنه النجاشي: كان رجلاً حسن الاعتقاد، ويؤمن بالوعيد (النجاشي/ ٣٨١).

ـ بشكل عام هناك من اعتقد بأن الكلام الشيعي مأخوذ من المعتزلة. واستُدلّ على ذلك بأصل التوحيد والعقل، وهما ـ على زعمهم ـ انتقلا من الاعتزال الى التشيّع. وتكرر هذا الزعم كثيراً في أقوال أرباب الملل والنحل والمتكلمين غير الشيعة منذ القديم حتى العصور المتأخرة، وهكذا في أقوال من استقوا معلوماتهم غالباً عن مصادر غير شيعية كالمستشرقين. حتى في زمن الشيخ المفيد نفسه، ظنّ الصاغاني (وهو المتكلم والفقيه المعتزلي الحنفي الذي يسميه الشيخ المفيد في «المسائل الصاغانية» بالشيخ الضال) مثل هذا الظن الباطل بالمفيد اذ يقول مشيراً إلى الشيخ المفيد: إنّ شيخاً في بغداد أخذ أفكاره من المعتزلة يقول كذا وكذا. . . (راجع: المسائل الصاغانية/ ٤١).

الباحثون المتعمقون وكتّاب الشيعة بقوا مصونين طبعاً من الوقوع في

(١) تاريخ العلوم الاسلامية (فارسي)، جلال همائي/ ص ٥١.

هـذا الزلـل. اللهم إلا أولئك الـذين حذوا حـذو المستشرقـين في أنهم رجعوا أكثر ما رجعوا إلى مصادر استشراقية أو غير شيعية(١).

مما تقدم تتضح أهمية دور الشيخ المفيد في تعيين حدود مـدرسة أهـل البيت وخصائصها المميّزة. هذا النابغة تفهّم حـاجات زمـانه، واستنـد الى مقدرة علمية فائقة، وورد هـذا الميدان الصعب، ونهض بمهمّـة على غاية الأهمية والحساسية، والحقّ أنه كان على مستوى أداء هذه المسؤولية الكبرى.

لا نريد من هذا طبعاً أن ندعي عدم وقوع أحد بعـد عمل المفيـد في خطأ أو جهالة في فهم محتوى التشيع، أو بعدم امكان وقوعه. بل نـرى أن فهم هذه المدرسـة ومعرفـة حدودهـا وخصائصهـا أضحى ميسّراً لمن يطلبه، وأصبح فقه مدرسة أهل البيت وكلامها معروضاً أمام البـاحثين بخصائصه المتميّزة ويستطيعون أن يفهموه دون أن يشتبه عليهم الأمر أو يختلط بنحل أخرى.

لتحقيق هذا الهدف الكبير انجز الشيـخ المفيد مجموعة من الأعـمال العلميـة يستحق كل واحـد منها بحثـاً مستقلاً، ونكتفي بـالاشـارة الى فهرس هذه الأعمال في مجالي الفقه والكلام.

في الفقه صنف «المقنعة» وهي دورة تكاد تكون كاملة في الفقه، وفيه نهج الصراط المستقيم والطريق الوسط في الاستنباط الفقهي، الذي هو مزيج من استخدام الأدلة اللفظية والقواعد الأصولية مـع تجنب القياس والاستحسان والأدلة الأخرى غير المعتبرة (وسنعود الى هذا الموضوع فيما بعد).

وكذلك ألّف «التذكرة بأصول الفقه» ويمكن أن نقول عنه ــ بقدر ما نستطيع أن نستنـد الى المدونـات الموجـودة ــ أنه جمـع لأوّل مرّة قـواعد الاستنبـاط الفقهي وأفتى على أسـاسهـا (سنعـود الى الحـديث عن هـذا الكتاب أكثر). والى جـانب هذا وذاك دوّن كتـاب «الأعلام» وفيـه ذكر مواضع من اجماع فقهاء الشيعـة على حكم، واجمـاع فقهاء السنـة على عـدم الافتاء بـذلك الحكم. عـدد من ابواب فقـه هذا الكتـاب بُحثت وحُققت بقصـد نقل الاجمـاع المـوجـود فيهـا. وفي حقـل رسم الحـدود الفقهية بين فقه الإمامية وفقه الحنفية دوّن كتاب «المسـائل الصـاغانيـة» وهو كتاب قيّم يجيب فيه المؤلف على إشكالات فقيه حنفي على عدد من مسائل فقه الشيعة.

وفي هـذا المجال يعتـبر كتاب «النقض عـلى ابن الجنيد» من الأعـمال العلمية الأساسية للشيخ المفيد، ويظهر من عنوانه أنه نحا فيه نهج تبيين الخصائص المميزة القاطعة لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

لا يمكننا أن نصدر طبعاً حكماً قاطعاً على محتوى هـذا الكتاب لعـدم توفره بين أيدينـا. ولكن معرفتنـا بنهج الشيـخ المفيد وحجتـه القويـة في البحث والجدل وسعة اطلاعه عـلى المصادر واستحكـام فكره في تـرتيب مقدمات الاستـدلال العقلي ومـوقفه الحـاسم من الاتجاه القيـاسي لابن الجنيد (نرى نموذج ذلك في المسائل الصاغانية)(٢). . . كل ذلـك يؤدي بنا إلى الاستنتاج بأنّ الكتاب المذكور ذو مضمون ومحتوى علمي مُقنع. وكان لهذا الكتاب دون شك تأثير كبير على عـدم استمرار اتجـاه القياس بين فقهاء الشيعة.

كان للشيخ المفيد في مجال تثبيت الهوية المستقلة للتشيـع على صعيـد علم الكلام نشاط أوسع وأهم. وفي هذا الميـدان تصدى شيخنـا الكبير بدقّة وذكاء الى بيان الفاصل بين عقائد الشيعة وسائر النحل الكلاميـة. والحؤول دون ورود عناصر من معتقدات الفـرق الإسلاميـة أو الشيعية إلى دائرة عقائد الإمامية، ودون نسبة أفكار خاطئـة لا صلة لها بـالشيعة الامـامية إلى مـدرسة التشيّـع. فهو في مقـام مجادلـة المـذاهب الأخـرى يتصدى لمباحثة كل مدارس زمانه، فيناقش الأشعرية والمعتزلة والمرجئة والخوارج والمشبهة وأهل الحديث والغلاة والنواصب وغيرها من الفـرق الصغيرة والكبيرة المنتسبة للإسـلام. . . لكنه يـواجه مـدرسة الاعـتزال وشعبها المعروفة مواجهة فكرية أكثر من غيرها، ويهتم في كتبـه ورسائله الصغـيرة والكبـيرة العـديـدة بنقـد وردّ نـظرات المعـتزلـة في المبـاحث المختلفة. وسر هذا الاهتـمام هو أن المعـتزلة من بـين الفرق الاسـلامية ــ بسبب وجـود تشابـه بين بعض أصـولهم وبين أصـول التشيع ــ قـد تعرّضوا إلى شبهـة مفادهـا أن الاعتزال منشأ كثير من عقـائد الشيعـة، وأكثر من ذلك أن الاعتزال هو التشيّع مع بعض الاختـلاف. . . وهذه الشبهات أدت بدورها إلى ظن خاطيء يـرى أن مجموعـة كلام الشيعـة وليـدة الكلام المعـتزلي، أو إن أصول كـلام الشيعة هي نفسهـا أصـول الكلام المعتزلي. وذكرنا من قبل ما تـرتب على هـذا الظن الخـاطيء من تبعات.

تناول عقائد المعتزلة في كتب المفيد إنّما هو في الواقع مصداق بارز لما ذكرناه من دور الحراسة والمراقبة. لحدود وثغور مـدرسة التشيّـع واثبات ما لها من استقلال وأصالة في النظام الكلامي.

أهم آثار الشيخ في هـذا المجال كتـابه المعـروف «أوائل المقـالات في المذاهب والمختارات» وألفه لبيان الفرق بين الشيعة والمعتزلة. ويذكر في مقدمة الكتاب أنه تناول أيضاً الاختلاف بين ما اتفقت عليه الفرقتان في بعض المسـائل الأصـولية كـالعـدل، والفـرق في فهم كـل فـرقـة لهـذه الأصول(٣).

عبارة المفيد في هذه المقدمة القصيرة تدل على أن هدفه من تدوين هذ الكتاب تقديم مرجع موثوق عقـائدي لمـدرسة التشيّـع تيسّر السبيل لمن يريد أن يؤمن بتفـاصيل الأسس الفكـرية لهـذه المدرسـة. وهو في هـذا الكتـاب ينقد حتى عقـائد بعض علماء الشيعـة الـذين سبق أن التقـطوا بعض نظرات المعتزلة وشابوا كلام الشيعة بها ومنهم بنو نوبخت. وهـذا هو نفس دور حراسـة النظام الفكـري للتشيع والـدفاع عنـه، وهو دور رفع لواءه المفيد رضوان الله عليه لأوّل مرّة على ما نعلم بالتفصيل.

ولا ينحصر تعيين الفاصـل العقائـدي بين الشيعـة والمعتزلـة بكتاب أوائل المقالات. والشيـخ الكبير قـد تناول هـذه المسألـة في كتب أخرى

(١) ومن الغريب أن مستشرقاً في زماننا أيضاً كتب في باب الأفكـار الكلاميـة للشيخ المفيد، وذهب فيه إلى أنه من أتباع مدرسة المعتزلة.

(٢) المفيد يطعن في «المسائل الصاغانية» بابن الجنيـد، ويعبر عن أقـواله بـالهذيـان، ويصفه بعدم سداد الرأي (راجع المسائل الصاغانية/ ٦٢).

(٣) فصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب الى العدل في المعتزلة والفرق ما بينهم من بعد وما بين الإمامية فيما اتفقوا عليه من خـلافهم فيه من الأصـول» (أوائل المقالات/ ٤٠).

بأساليب مختلفة. بلغ في بعضها ذروة الروعة والتأثير، لكنه في «أوائل المقالات» قد تناول الموضوع بشكل كامل وشامل.

نرى أنه يصل في بعض المواضع إلى اشتراك في العقيدة بين الشيعة والمعتزلة. وفي بيان هذا الاشتراك ينتهج أسلوباً يوضّح استقلال مدرسة أهل البيت في تبني تلك العقيدة، وينفي تماماً احتمال تبعية الشيعة للمعتزلة في هذا التبني. يقول مثلاً في باب نفي رؤية الله سبحانه وتعالى: «أقول إنه لا يصح رؤية الباري سبحانه بالابصار وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) وعليه جمهور أهل الإمامة وعامّة متكلميهم إلاّ من شذّ منهم لشبهة عرضت له في تأويل الأخبار، والمعتزلة بأسرها توافق أهل الإمامة في ذلك وجمهور المرجئة وكثير من الخوارج والزيدية وطوائف من أصحاب الحديث» (أوائل المقالات/ ص ٦٢ ــ ٦٣).

فالشيعة يستندون إلى الأدلة المعتبرة وهي الكتاب والسنّة المتواترة، والدليل العقلي يؤيّد ذلك أيضاً. فلا حاجة إذن أن يأخذوا هذا الكلام من المعتزلة أو غيرهم. بل إن المعتزلة هم الذين اتفقوا في هذه المسألة مع الإمامية، وهذا يعني أن المعتزلة في هذه المسألة مدينون للشيعة.

وفي باب علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها يقول:

«أقول: إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه وأنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وبهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرسول وهو مذهب جميع الإمامية، ولسنا نعرف ما حكاه المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافه، وعندنا انه تخرص منهم عليه، وغلط ممن قلدهم فيه فحكاه من الشيعة عنه... ومعنا فيما ذهبنا اليه في هذا الباب جميع المنتسبين إلى التوحيد سوى الجهم بن صفوان من المجبرة وهشام بن عمرو الفوطي من المعتزلة» (ص ٦٠ ــ ٦١).

وهنا أيضاً نرى لحن الحديث في الاستناد إلى القرآن والحديث المتواتر يتجه إلى بيان استقلال الشيعة في منشأ الاستناد ولو أن المعتزلة مثل الفرق الأخرى قد قبلت ذلك أيضاً.

في بعض الموارد يشترك الشيعة والمعتزلة في قسم من مسألة واحدة. والشيخ المفيد في مثل هذه الموارد يبيّن نقاط الافتراق بين الشيعة والمعتزلة كي لا يؤدي اشتراك الفريقين في عنوان المسألة، الى ظن الاشتراك في كل التفاصيل والجوانب. على سبيل المثال، كلا الشيعة والمعتزلة يقولون باللطف والأصلح، لكن المفيد يهتم برفع أي اشتباه يمكن أن يحدث في فهم المسألة، ويبعد عن الشيعة ما وقعت فيه المعتزلة من اشتباه حين يتحدث في باب اللطف. فهو بعد بيان الأصلح يقول مباشرة: «وأقول أن ما أوجبه أصحاب اللطف من اللطف إنما وجب من جهة الجود والكرم، لا من حيث ظنوا (المعتزلة وآخرون) أن العدل أوجبه (أي أوجبَ اللطف على الله) وأنه لو لم يفعل لكان ظالماً». (ص ٦٥).

حتى في المواضع التي اتفق فيها رأي شاذ من آراء متكلمي الشيعة مع المعتزلة، يصرّ على ذكر الشواذ بالاسم أو الاشارة، كي لا يتخذ ذلك الرأي الشاذ طابع عقيدة شيعية ويُحسب على مدرسة التشيّع. في مسألة العصمة مثلاً بعد أن يبين رأي الإمامية في عصمة الأئمة عليهم السلام عن الصغائر وحتى عن السهو والنسيان، يقول: «وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذّ منهم وتعلّق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب، والمعتزلة بأسرها تخالف في ذلك ويجوزون من الأئمة وقوع الكبائر والردّة عن الإسلام» (ص ٧٤).

ويبدو انه يشير الى كلام الشيخ الصدوق في هذه الأمثلة وفي جميع كتاب أوائل المقالات يتبين الدور العظيم الذي نهض به الشيخ المفيد في تحديد معالم مدرسة أهل البيت وفي حراسة الاطار المميز لهذه المدرسة حراسة الذكي اليقظ المصرّ على حفظ عقائد المدرسة وكلامها من الاختلاط بأية فرقة أو نحلة أخرى.

نفس هذا الهدف ينشده في كتبه الأخرى أيضاً، ولو بأساليب متفاوتة تقريباً. في «الحكايات» مثلاً حيث اختص القسم الأكبر بردّ عقائد المعتزلة في الموضوعات الكلامية المختلفة، عقد فصلاً تحت عنوان: «اتهام التشبيه» وفيه يقول راوي الحكايات (ويبدو أنه السيد المرتضى): «فاني لا أزال أسمع المعتزلة يدّعون على أسلافنا: أنهم كانوا كلهم مشبهة... وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطابقونهم على هذه الحكاية، ويقولون: إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة». ثم يطلب من الشيخ المفيد (رض) أن يروي حديثاً يرد به على هذه التهمة الباطلة..

والمفيد في الجواب بعد أن يبين جذور هذه التهمة وسوابقها ويذكر أن الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت في ردّ التشبيه لا تعدّ ولا تحصى، يذكر رواية عن أبي عبد الله (ع) ثم يقول: «فهذا قول أبي عبد الله عليه السلام... فكيف نكون قد أخذنا ذلك عن المعتزلة؟! لولا قلّة الدين!؟» (أي لولا قلة الدين عند من يقول هذا الكلام) (الحكايات ص ٧٩ ــ ٨١).

وهذا الاهتمام من الشيخ الكبير في ردّ تهمة التشبيه والجبر والرؤية عن عقائد الشيعة إنما هو مصداق بارز آخر على دور الشيخ المفيد في الحراسة وفي تثبيت الهوية المستقلة لمدرسة أهل البيت (ع)، وهو ما ندرسه في هذا المبحث.

مما طرحه الشيخ المفيد في كتاب «أوائل المقالات» وسائر كتبه الكلامية مثل: «تصحيح الاعتقاد» و«الفصول المختارة» وغيرها في بيان عقائد التشيّع والفارق بينها وبين عقائد الفرق الكلامية الأخرى وخاصة المعتزلة نستطيع أن نستنتج أنه استهدف تقديم نظام فكري منسجم ذي حدود وخصائص واضحة للتشيع. ولا شك أن النقطة الشاخصة المميّزة في هذا النظام الفكري هي مسألة الإمامة. أي أن أية نحلة أخرى لا تشترك مع الشيعة في هذه المسألة. والمناط في نسبة فرد أو جماعة إلى مذهب الشيعة هو الاعتقاد بهذه المسألة.

نعم، الشيعة في كثير من المسائل العقيدية تختلف مع سائر الفرق في روح هذه المسائل ومعانيها أو في بعض فروع وجزئيات هذه المسائل رغم وجود الاشتراك في العناوين مثل التوحيد والعدل والصفات

وأمثالها، غير أن التمايز في مسألة الإمامة بين الشيعة وغيرهم أوضح من أية مسألة أخرى. لذلك افتتح الشيخ المفيد كتبه الضخمة مثل أوائل المقالات ونظائره بالكلام عن الإمامة، بل كتب رسائل صغيرة وكبيرة عديدة أيضاً في موضوع الإمامة تحت عناوين مختلفة.

ومن المناسب أن نشير هنا أن كون الإمامة «نقطة شاخصة» في فكر المفيد كما بيّنا هو غير ما ذهب إليه أحد المستشرقين في هذا المجال حين قرر أن الإمامة هي «محور النظام الفكري» لدى المفيد. محور النظام الفكري لدى الشيعة ومتكلميهم (المفيد وغير المفيد) هو مسألة الصانع وتوحيد الله سبحانه وتعالى. والمسائل المهمة الأخرى مثل: صفات الله تعالى، عددها ومعناها ونسبتها إلى ذات الباري عزّ اسمه، ومسألة النبوة وفروعها، ومسألة العدل، وكذلك مسألة الإمامة والمسائل المرتبطة بالتكليف والقيامة وغيرها... كلها فروع تلك المسألة ومبتنية عليها.

المستشرقون ومن ليست له احاطة علمية كافية بالمفاهيم الإسلامية يقعون مع الأسف في مثل هذه الاشتباهات عند دراستهم لأشخاص عظام مثل الشيخ المفيد. ولا بد لمثل هذه الجلسات والبحوث أن تصحح هذه الانحرافات وتلقي الضوء على الحقائق. الباحث الغربي الذي كتب عن أفكار الشيخ المفيد يقول عنه حيناً إنه يفتقد النظام الفكري المشخص، ويقول عنه حيناً آخر إنه صاحب نظام فكري يقوم على أساس الإمامة. وكلا القولين ــ كما ذكرنا ــ يجانبان الصواب. النظام الفكري للمفيد قد بيّنه في كتب ورسائل عديدة بوضوح. ومحوره، بعد مسألة «المعرفة» التي هي المقدمة الطبيعية للمسائل الاعتقادية، مسألة الذات وصفات الباري. سائر المسائل الأساسية متفرعة عنها حسب مراتبها. مسألة الامامة كما ذكرنا شاخص هذه المدرسة ونقطة تميزها عن سائر المدارس، وعقيدة يعرف بها أتباع التشيع. لعلنا نستطيع أن نقارنها بمسألة «المنزلة بين المنزلتين» في مدرسة المعتزلة. في أصول المعتزلة الخمسة هذه المسألة ليست أهم المسائل وأولها وأعمقها، إذ هناك التوحيد والعدل أيضاً. لكن مسألة «المنزلة بين المنزلتين» قد أوجدها الاعتزال واختص وتميز بها. وليس ثم معتزلي يصدق عليه هذا الاسم ولا يؤمن بهذه المسألة. هذه الخاصية في النظام الفكري الشيعي تتمثل بالإمامة.

مما تقدم نفهم أن الشيخ المفيد... النابغة الكبير في تاريخ التشيع... أول من رسم وضبط حدود مدرسة التشيع في الفقه والكلام. في علم الكلام بنى نظاماً فكرياً منسجماً من مجموع عقائد الشيعة، وحال دون أن يُشتبه بينه وبين المذاهب والفرق الأخرى بما في ذلك المذاهب الشيعية غير الإمامية. وفي علم الفقه قدم دورة في الفقه استناداً إلى طريقة الاستنباط القائمة على الأصول المتخذة من تعاليم أهل البيت عليهم السلام، وسدّ الطريق أمام الأساليب غير المعتبرة مثل القياس أو الأساليب الابتدائية والناقصة مثل أسلوب أهل الحديث.

بعبارة أخرى: انه الرجل الذي ثبت الهوية المستقلة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وهذا هو البعد الأول من الأبعاد الثلاثة التي تبتني عليها شخصية الشيخ المفيد باعتباره المؤسس والحلقة الأولى للتيار العلمي المتكامل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٢ ــ تأسيس الاطار العلمي الصحيح لفقه الشيعة:

الفقاهة، بمعنى استنباط حكم الشريعة من الكتاب والسنّة، لها جذور عريقة عند الشيعة. الإمام الباقر (ع) يقول لأبان بن تغلب: «اجلس في المدينة وأفتِ الناس»[1]. ويقول لعبد الأعلى: «يُعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي ٱلدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾[2]». هذه وأمثالها من الروايات تدل على أن أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يمارسون استنباط الأحكام من القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمات الأئمة. والفقه، بمعنى معرفة الأحكام، لم ينحصر في دائرة شيعة الأئمة بالتقليد والعمل بكلمات الأئمة عليهم السلام، بل اتّسع ليشتمل على مزيد من التفاصيل والتعقيد في الاستدلال. مع ذلك ثمة بون شاسع بين ما كان يمارسه فقهاء أصحاب الأئمة عليهم السلام في باب الفقاهة والافتاء وبين الفقاهة في عصر ازدهار فقه الشيعة أي عصر ردّ الفروع على الأصول واستنباط مئات القواعد العامة وآلاف الأحكام الفقهية المعقدة والصعبة من الكتاب والسنة وحكم العقل، وتفريع الفروع الهائلة القادرة في زمن غيبة الإمام المعصوم أن تجيب على أسئلة المكلفين في حقول الشريعة وتبين الحلال والحرام في جميع الأبواب وبكل التفاصيل. وهذا البون الشاسع يجب أن يُملأ بمرور الزمان وعلى مدى التطور التدريجي للفقه.

مَن سبق المفيد من الفقهاء قطعوا دون شك أشواطاً قيمة على هذا الطريق. لكن هذا الشيخ الكبير بقدرة نبوغه الفكري يعتبر في هذا الصعيد مبدأ تطور تاريخي وبداية تيار خلّاق متنام متعمّق. ويظهر أنه بعد قرون من جمع المصادر الفقهية المتمثلة بنصوص المعصومين والافتاء على أساس ظواهر هذه النصوص، استلزم الأمر في مرحلة من تاريخ الفقه أن تُصبَّ هذه الكنوز القيمة في قالب أفكار علمية وأن يُبتكر أسلوب فني للاستنباط.

قبل الشيخ المفيد كان ثمة اتجاهان متفاوتان في فقه الشيعة. أحدهما اتجاه برز فيه علي بن بابويه (ت ٣٢٩)، وقد نستطيع تسميته اتجاه القميين. وأغلب الظن أن أستاذ المفيد في الفقه أعني جعفر بن قولويه (ت ٣٦٨) هو من هذه المجموعة. الفقاهة في هذا الاتجاه تعني الافتاء حسب نصوص الروايات، بحيث أن كل فتوى في كتب هؤلاء الفقهاء تحكي عن وجود رواية في مضمونها. ولذلك حين يكون صاحب الفتوى ثقة ثبتاً فإن فتواه تستطيع أن تقوم مقام حديث. من هنا قال الشهيد (رض) في الذكرى: «قد كان الأصحاب يتمسكون بما يجدونه في شرائع الشيخ أبي الحسن بن بابويه رحمه الله عند إعواز النصوص لحسن ظنّهم به وإن فتواه كروايته»[3].

بديهي أن الفقاهة بهذه الكيفية ابتدائية جداً، وعارية عن الأسلوب الفني المعمّق. والفروع المذكورة في الكتب الفقهية لهذا الاتجاه، تنحصر بالفروع المنصوصة، وهي قليلة ومحدودة. وهذا هو الذي أدّى إلى أن يوجّه المخالفون طعونهم لفقه الشيعة متّهمين إياهم بقلة الفروع.

---

(١) رجال النجاشي/ ١٠.

(٢) الوسائل ١/ ٣٢٧. والآية من سورة الحج: ٧٨.

(٣) فتاوى العلمين/ ٥.

والشيخ الطوسي رحمه الله ألف بعد ذلك كتاب «المبسوط» دفعاً لهذا الطعن.

الاتجاه الثاني يقع في النقطة المقابلة للاتجاه الأول ويستند الى الاستدلال والظن الغالب، متخذاً من فقه أهل السنة منطلقاً وقدوة. والشخصيتان المعروفتان في هذا الاتجاه الحسن بن أبي عقيل العماني (ت؟) وابن الجنيد الاسكافي (ت حوالي ٣٨١). لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن هذا الاتجاه ولا حتى عن الفقيهين المعروفين، تستطيع أن توضح لنا بدقة طبيعة اجتهادهما في استنباط المسائل الفقهية، ولكن مما قال المفيد وآخرون عن ابن الجنيد يظهر أنه كان يميل إلى القياس والرأي وبذلك ابتعد عن الطريقة المعروفة والمقبولة لدى الشيعة. أما العماني فلم ينسب إلى هذا الاتجاه بل إنه كما يقول النجاشي: «وسمعت شيخنا أبا عبد الله يكثر الثناء على هذا الرجل رحمه الله»[1]. ومما قاله هو والشيخ في الفهرستين حول كتابه[2] نستطيع أن نفهم أنه فقيه مستقيم، ولعله كان قريباً من الطريقة التي انتهجها الشيخ المفيد وألّف وحقّق فيها وربّى تلاميذه عليها... ولكن مع ذلك تعتبر آراؤه غالباً في عداد الشذوذات الفقهية والمتروكة، ولعل هذا هو سبب عدم بقاء شيء من كتابه سوى الاسم بعد العلّامة والمحقق (رض). ومما تقدم يمكن أن نحدس بأن فقاهته لم تكن سليمة ولا يمكن أن يكون قد خلف بعده اتجاهاً في الفقه. ولا شك أن هذا العالم الأقدم الذي يقول عنه بحر العلوم: «هو أول من هذب الفقه واستعمل النظر وفتق البحث عن الأصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى (فتاوى العلمين/١٣) كان له تأثير على ما توصل اليه الشيخ المفيد لأول مرة من قاعدة صحيحة للفقاهة؛ بل كان المقدمة لعمل المفيد العلمي.

وكما يلاحظ فإن كلّ واحدٍ من الاتجاهين الفقهيين ناقص في جانب من الجوانب. في الاتجاه الأول الفتوى نفس نص الرواية دون تفريع ودون ردّ الفرع على الأصل ودون بحث ومناقشة ونقد واستنتاج. الاجتهاد بمعناه المصطلح لا دخل له في هذا اللون من الفقاهة ولا تأثير. والاتجاه الثاني، مع وجود النظر والاستدلال فيه، يبدو أنه ليس وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهو يقترن بالقياس أو ينحو منحى ينتهي بالآراء الشاذة، ولا يقدر له البقاء في حوزة فقاهة الشيعة.

فقه المفيد مبرّأ من هذين العيبين، وله كلا المزيتين: مزية الاستناد الى الأساليب المعتبرة لدى الإمامية، ومزية الاستفادة من الاجتهاد المصطلح وادخال عنصر الاستدلال والاستنباط النظري في الفقه. من هنا فهو الذي توصل الى القالب العلمي المقبول والمعتبر لدى الشيعة، وأكسب المواد المأثورة والأصول المتلقاة نظاماً علمياً، وأودعه حوزة الفقاهة الشيعية، وبعده استمرّ نظام الفقاهة هذا عبر القرون حتى وصل الى ما عليه اليوم من نضج وازدهار.

ومن أجل الاطلاع بشكل اجمالي على قيمة عمل المفيد في حقل الفقه وأهميته، نتحدث فيما يلي عن العناوين الثلاثة التالية:

أ) كتاب المقنعة.

ب) رسائل فقهية صغيرة للمفيد.

ج) كتاب التذكرة بأصول الفقه.

أ ـ كتاب المقنعة:

«المقنعة» دورة كاملة في الفقه، لم يسبقه كتاب فقهي بهذه الخصائص. مقنع الصدوق لا يبلغ هذا الكتاب في جامعية مباحثه الفقهية على أنه مثل كتاب ابن بابويه يضمّ نصوص الروايات وأنّ مباحثه أكثر قصراً واختصاراً. المفيد لم يذكر أدلته في هذا الكتاب على فتاويه ولذلك ليس من السهل فهم طريقة استدلاله على هذه الفتاوى، ولكن بالقرينة المطمئنة يمكن القول أن ما أفتاه هذا الكتاب يستند الى استدلال فقهي مستحكم. وإذا كان هذا الاستدلال غير مدوّن وغير معروض لاستفادة الخَلَف، فإن تلاميذه وطبقة الفقهاء المتصلة به قد اتخذوه قدوة لأعمالهم وأضافوا إليه. والقرينة المطمئنة كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي. وكما نعلم أن التهذيب شرح للمقنعة، وبيانٌ لاستدلالاته الفقهية. الشيخ الطوسي (رض) في مقدمة ذلك الكتاب يبين دوافع تأليفه ويذكر أن الصديق الذي طلب منه تأليف كتاب «يحتوي على تأويل الأخبار المختلفة والأحاديث المتنافية...». اقترح عليه أن يقصد الى رسالة «المقنعة» للمفيد لأنها كافية شافية خالية من الحشو والزوائد. ثم يبين طريقته في الاستدلال وهي باختصار كما يلي: الاستدلال على كل مسألة بظاهر أو صريح القرآن أو أنواع دلالاته المفهومية (مثل: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة والدلالة الالتزامية ونظائرها)، وهكذا الاستدلال بالسنة القطعية بمعنى الخبر المتواتر أو الخبر المحفوف بالقرينة، وهكذا اجماع المسلمين أو إجماع الإمامية، ثم ذكر الأحاديث المشهورة في كل مسألة، ثم النظر في الدليل المعارض (إن وُجد) والسعي في الجمْع الدلالي بين الدليلين، وإن تعذّر الجمع الدلالي، يُردّ الدليل المقابل لضعف السند أو لإعراض الأصحاب عن مضمونه، وإن تساوى الدليلان في السند وأمثاله (مثل جهة الصدور أو الإعراض المشهور وغيره) ولا ترجيح لأحد على آخر فالترجيح الخبري الموافق للأصول والقواعد الكلية المستخرجة من الشريعة، وترك الدليل المخالف للأصل والقاعدة. وإن لم يكن ثمة حديث أصلاً فالحمل على ما يقتضيه الأصل، وترجيح الجمع الدلالي على الترجيح السندي، والجمع الدلالي وفق «شاهد الجمع» المنصوص، وعدم تخطّيه قدر الإمكان.

هذا هو أسلوب الشيخ الطوسي في الاستدلال على كتاب المقنعة كما ورد في مقدمة كتاب التهذيب. وأهل الفن يعلمون جيداً أنه الأسلوب الجامع في الاستدلال على مرّ عصورِ فقاهةِ الشيعة حتى يومنا هذا، والقالبُ العام للاستدلال الفقهي في جميع الأعصر التي تلت الشيخ الطوسي (رض) حتى عصرنا الراهن. **وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: هل إن الشيخ المفيد ـ مؤلف المقنعة ـ كان غافلاً عن طريقة الاستدلال الجامعة هذه التي تستطيع أن توصل الفقيه إلى فتاوى كل الكتاب وهل توصل الى تلك الفتاوى دون معرفة بطريقة الاستدلال هذه؟ بعبارة أخرى: هل إن الشيخ الطوسي (رض) مبتكر هذه الطريقة**

---

(١) رجال النجاشي/٤٨.

(٢) عبارة النجاشي على النحو التالي: «كتاب مشهور في الطائفة، وقيل: ما ورد الحاج من خراسان إلا طلب واشترى منه نسخة (ص ٤٨)»، وعبارة الشيخ في الفهرست: «له كتب أُخر منها كتاب التمسك.. في الفقه، كبير حسن» (الفهرست/ ٣٦٨، ومع قليل من الاختلاف في ص ٩٦).

في الاستدلال؟ أو إنه تعلمها من أستاذه المفيد؟ يبدو أن الجواب واضح لو أخذنا كل جوانب الموضوع بنظر الاعتبار. نعلم أن الشيخ الطوسي بدأ بتأليف كتاب التهذيب في حياة الشيخ المفيد أي قبل سنة ٤١٣. وهذه المقدمة كتبها آنئذ. فقد ورد الشيخ الطوسي العراق سنة ٤٠٨ حين كان شاباً في الثالثة والعشرين من عمره، وترقى في مدارج العلم والبحث على يد أستاذه الشيخ المفيد، ثم واصل تلقيه العلمي على السيد المرتضى مدة ٢٣ سنة. ومن هنا لا يبقى مجال للشك أن الشيخ الطوسي تعلّم هذا الأسلوب الاستدلالي الفقهي على الشيخ المفيد، وبسبب تعرّفه على أسلوب استدلال أستاذه استطاع أن يجعل الكتاب مستدلاً وفق أصول استدلال الأستاذ نفسه.

هذا الاستنتاج يزداد قوة وقاطعية حين نلاحظ المباني الأصولية للشيخ المفيد في كتاب الأصول الذي سنتناوله فيما بعد. بملاحظة ذلك الكتاب وما نهج فيه المفيد من أسلوب الاستناد الى الكتاب والسنة المتواترة والمحفوفة بالقرائن أو المرسلة المشهورة المعمول بها عند الأصحاب وغيرها من آرائه في الأصول، يتضح بجلاء أن الأسلوب الاستدلالي الذي بينه الشيخ الطوسي في مقدمة التهذيب هو نفس ما كان يؤمن ويعمل به أستاذه ويعلمه لتلامذته. مما تقدم نفهم أن كتاب المقنعة ــ وإن لم يقترن بالاستدلال ــ قد توصّل ذلك الفقيه الكبير إلى ما فيه من فتاوى بنفس الأسلوب الاستدلالي الذي تواصل ألف عام بعده في حوزة فقاهة الشيعة.

هذه الطريقة الاستدلالية هي نفس النهج الاستدلالي الكامل الذي لم يكن موجوداً دون شك في أي واحد من الاتجاهين الفقهيين للشيعة أي اتجاه ابن بابويه واتجاه القديمين ــ وشيخنا الكبير مبتكر هذا الاتجاه ومؤسسه وواضع قواعده.

ب ــ الرسائل الفقهية:

هذه الرسائل على قلة حجمها تعبر عما كان يتمتع به الشيخ الكبير من عمق علمي فقهي. بعض هذه الرسائل مثل رسالة «المسح على الرجلين» و«ذبائح أهل الكتاب» تشتمل على استدلالات جدلية شبه عقلية، لكن بعضها الآخر يحتوي حقاً على أسلوب مستحكم وقوي ومنظّم فقهي مثل رسالة «المهر» أو «جوابات أهل الموصل في الرؤية والعدد» أو «المسائل الصاغانية». في رسالة الرؤية والعدد التي تختص بردّ القول المنسوب إلى الصدوق (رض) وبعض الفقهاء القدماء بشأن عدد أيام شهر رمضان وأنها ثلاثون يوماً، الشيخ المفيد يقرن الاستظهار من الآيات، والاستنباط من اللغة، والاستشهاد بالأحكام الفقهية المسلمة، والبحث في فقه الحديث بشأن الروايات التي يستدل بها الخصم، والمناقشة في السند، وذكر أحوال الرجال، وذكر نكات كثيرة في فهم الأحاديث والاستنباط منها مستفيداً من كل واحد منها على أفضل وجه وأنضجه. ومن أعماله الرائعة في هذه الرسالة أنه في موضع منها بعد ذكر الحديث الذي يستدل به الطرف المقابل، يضعّفُ سنده، ويَعتبرُ مضمونه غير معقول وبعيداً عن الأسلوب الحكيم للامام وناتجاً عن جعل عاميّ وجاهل، واضافة إلى ذلك يثير احتمال ارسال سنده وهذه النكتة الأخيرة تدل على تبحّره واحاطته بالحديث (راجع الرسالة المذكورة، ص ٢٣ وما بعدها. الفصل المرتبط برواية يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام). رسالة «المسائل الصاغانية»، التي يجيب فيها على اشكالات فقيه حنفي من أهل صاغان في عشر مسائل فقهية، نموذج آخر على ما في الشيخ الكبير من قوة استدلال وتبحّر فقهي. هذه الرسالة ــ وإن كانت ذات طبيعة كلامية أي إنه يواجه فيها الخصم غير الشيعي الذي يتهمه بالبدعة، بنسبة الافتراء والبدعة اليه وإلى إمامه ــ فهي تبين بوضوح لكل قارىء خبير قوة الاستدلال والروح العلمية والفقاهة الاجتهادية لدى الشيخ المفيد، لأن المسائل المعروضة فيها فقهية بشكل عام.

هذه الرسالة ورسالة «العدد والرؤية» تستطيع أن تكون أفضل شاخص لما بلغه الشيخ المفيد من مكانة ابداعية، وأحسن دليل على أن ما يشاهد في طبقة تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من أسلوب علمي في الفقاهة إنما هو ناشىء تماماً عن الأسلوب الذي أسسه ووضع قواعده ذلك الرجل الكبير.

ج ــ كتاب التذكرة بأصول الفقه:

علم الأصول، منهج الاستنباط الفقهي... أسلوب للوصول إلى الأحكام العملية من الأدلة المعتبرة. تنظيم القوانين والقواعد الأصولية بمثابة وضع منهج للفقاهة. بدون مثل هذا المنهج تكون ساحة الفقاهة بدون حدود وعرضة للخلط والشوائب والاشتباه، والأحكام المستخرجة تفقد لا محالة اعتبارها المطلوب. أضف إلى ذلك أن أذواق الفقهاء وآراءهم الشخصية وفهمهم الفردي سيكون لها دور يتجاوز الحدّ في نتيجة الفقاهة، وتصاب آراء الفقهاء بالتشتت وعدم الانتظام.

صحيح أن علم الأصول كلما ازداد عمقاً ونضجاً وتعقيداً ساعد على سلامة الآراء الفقهية، غير أن الذي يؤثر في غاية الفقاهة ونتيجتها أكثر من ذلك، أصلُ ايجاد هذا العلم ووضعه. أساس علم أصول الفقه وبُنيته نجده دون شك في كلمات الأئمة عليهم السلام وفيها يطلق عليه اسم «الأصول المتلقاة». ولكن أول كتاب في الأصول لدى الشيعة دُوّن ــ على ما نعلم ــ بيد الشيخ المفيد. وهو الكتاب الصغير في الحجم الضخم في محتواه المسمى «التذكرة بأصول الفقه» وانه أغلب الظن مختارات انتخبها تلميذه الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ت٤٤٩ هـ) من أصل كتاب المفيد الذي كان هو أيضاً صغير الحجم.

هذا الكتاب على صغره له أهمية فائقة لأنه: أولاً ــ أول كتاب دوّن في أصول الفقه عند الشيعة. يقول الشيخ الطوسي ــ رحمه الله ــ في مقدمة كتاب عدة الأصول: «ولم يُعهد لأحد من أصحابنا في هذا المعنى إلا ما ذكره شيخنا أبو عبد الله رحمه الله في المختصر الذي له في أصول الفقه»[1]. وثانياً ــ فيه مباحث كثيرة بعبارات مقتضبة، وفي مباحث الألفاظ خاصة عناوين عديدة تشتمل على أبحاث هامة. وثالثاً ــ في بعض مباحثه توجد نظرات للشيخ الكبير تشبه الى حد كبير ما ذكره المحققون الأصوليون في عصور متأخرة جداً. فما ذكره مثلاً في باب نسبة العام والخاص يشبه إلى حد كبير ما يسمى «الارادة الجدية والارادة الاستعمالية» في تحقيقات أسلافنا القريبين من زماننا. عبارة الشيخ المفيد في هذا المورد كما يلي: «والذي يخصّ اللفظ العام لا يُخرج منه

(١) العدة/ ص ٥.

شيئاً دخل تحته، وانما يدل على أن المتكلم به أراد به الخصوص ولم يقصد به إلى ما بُني في اللفظ له في العموم. . . » (ص ٣٧). رابعاً ــ الكتاب ــ وقد أريد له الاختصار[١] ــ قُدمت فيه المباحث التي هي أكثر ضرورة وعملية في استنباط الأحكام الفقهية. وأُهملت المباحث التي يغلب عليها الطابع النظري مثل بحوث حقيقة العلم أو حقيقة الكلام التي تعمق وتوسّع فيها شيخ الطائفة في بداية عدّة الأصول. في اعتقادي أنه من الرائع جداً أن لا يغفل الكتاب ــ على اختصاره ــ عن ذكر مباحث من قبيل: أن العموم والاطلاق خص بالسنّة القولية، وليس للعموم والاطلاق مجال في السنة الفعلية[٢]، أو أن الأمر عقيب الحظر لا يفيد أكثر من الإباحة[٣] أو أن الاستثناء عقيب الجمل المتعددة ــ إن لم توجد قرينة ــ يعود اليها جميعاً[٤] وأمثال ذلك. . . ولتأثيرها وتكررها في الاستنباطات الفقهية بينت بعبارات مناسبة.

مما ذكرنا يتضح أن شيخنا الكبير. . . بتدوينه كتاب الأصول كان يعكف على اعداد المقدمات اللازمة لابداع قالب علمي وفنّي للاستنباط الفقهي. وعلم الأصول ــ بالنسبة له ــ ليس مجموعة من المعارف الذهنية وشبه الكلامية. بل هو ــ كما صرح أيضاً تلميذه في مقدمة عدة الأصول ــ ما تبتني عليه أحكام الشريعة، ولا يكتمل علم الشريعة دون استحكام هذا الأساس، ومن لم تكن الأصول عنده مستحكمة فهو حاكٍ ومقلد وليس بعالم[٥].

٣ ــ ابتكار أسلوب الجمع المنطقي بين العقل والنقل في الفقه والكلام:

هذا هو البعد الثالث من شخصية شيخنا الكبير باعتباره مؤسّس ورائد الحركة العلمية لدى الشيعة.

وفي هذا المجال أيضاً فتح الشيخ الكبير طريقاً جديداً بين الاتجاه العقلي المطلق للمعتزلة ومَنْ حذا حذوهم من الشيعة ــ مثل آل نوبخت ــ وبين الاتجاه الحديثي عند الشيخ الصدوق.

المعتزلة في عصر نشاط الاعتزال ــ أعني في أواخر العصر العباسي الأول (المنتهي بأواسط القرن الثالث الهجري) ــ تأثروا بشدّة بتيار الأفكار الفلسفية الأجنبية (اليونانية، والبهلوية، والهندية، وغيرها) الوافدة على العالم الاسلامي وبترجمة آثارها. وفي ذلك الزمان كان ذلك التيار الوافد وهكذا أفكار المعتزلة موضع تشجيع الخلفاء وخاصة المأمون. ردة الفعل أمام هذا الاتجاه العقلي تمثلت في حركة أصحاب الحديث من أهل السنة والمحدّثين الشيعة مثل الصدوق رحمه الله، الذين أرادوا أن يفهموا كل المعارف الكلامية والاعتقادية من الحديث.

واتجه المفيد في عمله العلمي الكبير الى اثبات أن العقل ــ وهو مستقل ــ عاجز عن فهم جميع المباحث التي يتناولها علم الكلام. في باب صفات الباري ــ مثلاً ــ كالإرادة والسمع والبصر وأمثالها، العقل انما يستطيع أن يلج باب المعرفة بمدد الوحي، ووروده لوحده في هذا الوادي المرتبط بحضرة الربوبية، هو ورود في التّيه والضلالة. وهذا في الواقع مضمون نفس الروايات التي نهت عن الخوض في صفات الله تعالى. لم يستهدف المفيد ــ إذن ــ حرمان العقل من أن يلج ساحته المرتبطة به ــ التي ليس للسمع والوحي فيها طريق ــ أي ساحة إثبات الصانع والاستدلال على وجود الباري أو التوحيد أو النبوة العامة بل استهدف حدّ العقل بنفس الحدود التي عينها له خالق العقل كي لا يسقط في التّيه والضلال.

جاءت عبارة أوائل المقالات في موضع: «إن استحقاق القديم سبحانه بهذه الصفات (أعني كونه تعالى سميعاً بصيراً ورائياً ومدركاً) كلها من جهة السمع دون القياس ودلائل العقول»[٦]. وفي موضع آخر: «إن كلام الله تعالى محدث وبذلك جاءت الآثار عن آل محمد صلى الله عليه وآله»[٧] وفي موضع آخر: «إن الله تعالى مريد من جهة السمع والاتباع والتسليم على حسب ما جاء في القرآن، ولا أوجب ذلك من جهة العقول»[٨] وفي موضع آخر في عبارة عامة: «اتفقت الامامية على أن العقل يحتاج في عمله ونتائجه إلى السمع، وأنه غير منفكّ عن سمع ينبّه العاقل على كيفية الاستدلال. . . وأجمعت المعتزلة. . . على خلاف ذلك وزعموا أن العقول تعمل بمجّردها عن السمع والتوقيف. . . »[٩].

مثل هذه التصريحات كثيرة في كلمات المفيد. مع ذلك فهو يقبل سندية النقل حيث لم يقم برهان عقلي على امتناعه. ولذلك في باب ظهور المعجزات عن الأئمة عليهم السلام، قبل أن يذكر ورود دليل سمعي عليها يقول: «فانه من الممكن الذي ليس بواجب عقلاً ولا ممتنع قياساً»[١٠] مثل هذا الكلام كرّره في مواضع أخرى[١١]. ولكنه في «تصحيح عقائد الامامية» الذي هو تعليق على «اعتقادات الشيخ الصدوق»، بعد أن يحكم بردّ الحديث المخالف للقرآن يعلن بصراحة تفوق صراحته في المواضع الأخرى، ويقول: «وكذلك ان وجدنا حديثاً يخالف أحكام العقول اطرحناه، لقضية العقل بفساده»[١٢] وفي هذا البيان ــ اضافة ــ إلى ردّه الحديث المخالف لحكم العقل ــ يرى ان أساس هذا الرد هو حكم العقل أيضاً. وبذلك يؤكد بشكل مضاعف على حجية الاستدلال العقلي.

الاعتماد على الاستدلال العقلي في مدرسة الشيخ المفيد تصل الى حدّ نراه في بحث «الألم للمصلحة دون العوض» بعد بيان رأيه الفريد الذي لا يشاركه فيه العدلية ولا المرجئة، يقول بثقة قلّ لها نظير: «وقد جمعت

(١) تلاحظ العبارات المنقولة عن العدة «. . في المختصر الذي له في أصول الفقه». .

(٢) «وليس يصح في النظر دعوى العموم بذكر الفعل، وانما يصح ذلك في الكلام المبني والصور منه المخصوصة. فمن تعلق بعموم الفعل فقد خالف العقول» التذكرة/ ٣٨.

(٣) «إذا ورد لفظ الأمر معاقباً لذكر الحظر أفاد الإباحة دون الايجاب» ص ٣٠.

(٤) «والاستثناء إذا أعقب جملاً فهو راجع إلى جميعها إلا. . . » ص ٤١.

(٥) العدة/ ص ٨.

(٦) أوائل المقالات / ٥٩

(٧) أوائل المقالات / ٥٧

(٨) أوائل المقالات / ٥٨

(٩) أوائل المقالات / ٥٠

(١٠) أوائل المقالات / ٧٩

(١١) أوائل المقالات، القول في سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام. . . / ص ٨٠.

(١٢) تصحيح الاعتقاد/ ص ١٤٩

فيـه أصول يختص بي جمعهـا دون من وافقني في العـدل والإرجـاء، بمـا كشف لي في النظر عن صحّته ولم يوحشني من خالف فيه، إذ بالحجة لي أتمّ أنس ولا وحشة من حق والحمد لله»[١] ولمـا كان قـد استند في الألم والبحـوث المتفرعـة عن اللطف عامـة الى الأدلة العقليـة لا السمعيـة، لذلك فإن قصده من (الحجة) في العبارة المذكورة هو الاستدلال العقلي نفسه.

ورود عنصر «السمـع» في بناء المـدرسة الكـلامية للشيخ المفيد أدى ـ بالاستمداد من كلمات الأئمة عليهم السلام ـ إلى أن تأخذ كثيرٌ من المباحث الشائكة التي تتطلب مسيراً طويلاً للتوصل الى كلام الحق فيهـا مكانها بسهولة في المجموعـة الكلاميـة لذلـك الشيخ الكبـير، وأدّى إلى إنقاذ المسيرة الكلامية للشيعة بعد المفيد من الانحرافات والاضطرابـات الفكرية.

على سبيل المثـال نذكـر أن المعتزلـة في مسألـة صفات البـاري طوت طريقاً طويلاً ابتداءً من نفي الصفات كما جاء في كلام واصل بن عـطاء ومروراً بنظريـة نيابـة الذات عن الصفـات، حتى الوصـول الى نظريـة التوحيد بمعنى عدم زيادة الصفات على الـذات، وان صفات الله تعـالى عين ذاته في الوجود. بينما نرى هذه المسألـة في كلمات المفيد متخـذة من السمـع أعني نهج البـلاغـة والـروايـات الصـادرة عن الأئمـة عليهم السـلام. ومن هذه الـروايات يُستفـاد أيضـاً أن هـذه المبـاحث كـانت متداولة في زمن الأئمة عليهم السلام بين الشيعة، وكانوا ينهلون بشـأنها من النبع الخالد لعلم أهل البيت (راجـع الكافي ١٠٧/١ بـاب صفات الذات والفصول المختلفة من توحيد الصدوق وخطبة نهج البلاغة).

ويلفت النظر أن الشيخ المفيد في الرسائل الكلامية المختصرة مثـل: «النكت في مقدمات الأصول» يلجأ حتى في باب صفات الباري (حيث حصر استدلال هذا الباب في أوائل المقالات بالاستـدلال السمعي) إلى الاستدلال العقلي الى جانب الاستدلال السمعي.

يقول مثلاً:

«فـإن قال: مـا الدليـل على أنـه قادر؟ فقـل: تعلّق الأفعال بـه مـع تعذّرها في البداءة عن العاجز..» ويقول أيضاً: «ما الذي يدل على أنه عالم؟ فقل: الصفـة في البداءة عـلى الجاهـل»، ونفس الترتيب في بـاب السميـع والبصـير والحكيم. (النكت في مقـدمـات الأصـول ص ٣٣ - ٣٤).

وهذا لا يمكن اعتباره عدولاً عن الأصل المذكور في أوائل المقالات. لقـد سبق أن ذكرنـا أن الرسـائل المـوجزة التي دوّنها الشيـخ المفيد عـلى شكل سؤال وجواب هي بالاحتمال القـوي منهج عمـلي لمتعلمي الجدل الكلامي من الشيعة القاصين الذين ما كـان بامكـانهم أن ينالـوا أستاذاً كالشيخ المفيد. والشيخ الكبير في تلك الرسـائل، اختـار طريق البحث العقلي باعتباره أجدى طريق لمواجهة أي مخاطب.

بهذا الشكل يتضح أن الجمع بـين الحجة العقليـة والدليـل النقلي في المنهج الكلامي للشيخ المفيد من أبرز أعماله الكبيرة والمبتكرة.

(١) اوائل المقالات / ص ١٢٩

آمـل أن تحظى هـذه العناوين الهـامة والجـوانب الـوضّـاءة الكثـيرة الأخرى من الحياة العلميـة للشيخ المفيـد باهتـمام ومتابعـة هذا المجمـع العلمي والتحقيقي.

في خاتمة هذا المقال يجدر أن نؤكد أن هذا النابغة الكبير قد قام ما قام بـه من جهاد علمي طـويـل وتـأسيس صرح علم الفقـه وشق الـطريق الوسط في الكلام في ظروف وأوضاع اجتماعية صعبة.

حكومة آل بـويه في بغـداد، وإن استطاعت أن تـوجد جـواً مناسبـاً للبحث العلمي الحر، لم تستطع أبـداً أن تحل مشكلة المـواقف المتعصبة لفقهـاء الحنابلة، وضغـوط جهاز الخـلافة العبـاسية عـلى الشيخ المفيـد وعامة الشيعـة. مظلوميـة شيعة الكـرخ في بغداد والمحن العـظيمة التي مرت عليهم وعلى زعيمهم الكبير حقائق يشهـد لها التـاريخ بصراحـة. المظنون أن الشيخ المفيد غير المرات الثـلاث من النفي ذكـرتهـا كتب التاريخ، قد تعرض لمحنة أخرى خـلال مدة دامت سنتـين تقريبـاً بين ٤٠٥ و٤٠٧ ولا نعرف طبيعة هـذه المحنة. وهـذا الظن يـأتي من عدم وجود أي ذكر للشيخ المفيد في قضايا وفاة السيد الرضي تلميذه المحبوب سنـة ٤٠٦، مع أن الكتب ذكـرت تفاصيـل التشييع وخصـوصيـاتـه، والقاعدة تقتضي ذكر الشيخ المفيد كراراً في هـذا الحادث. وثمـة قرينـة أخرى تبعث على هـذا الظن هي أن أمـالي الشيخ المفيـد التي كان يُلقى حوالي شهر رمضان من كل سنة، عدد من مجالسها في بيت الشيخ أو في مسجده بباب الـرباح واستمـرت من سنة ٤٠٤ إلى سنـة ٤١١، لم تلق خلال السنتين ٤٠٥ و٤٠٦، ولا يوجد أي مجلس يرتبط بهاتين السنتين في مجموعة أمالي الشيخ المفيد.

وأيضاً، هناك قـرينة أخـرى نتلمسها من قضـايا محـرم سنة ٤٠٦ إذ اندلعت فتنة كبيرة أخرى من الفتن والمحن المكررة التي ألّمت بالشيعـة. وفيهـا اختارت حكـومـة بغـداد السيـد المـرتضى ليكـون ممثـل الشيعـة ورئيسهم الـذي يتحدث عنـدها عنهم، لا الشيـخ المفيـد، والحـال أن الـرئيس المطلق للشيعـة بلا منـازع في تلك الأيـام وقبلهـا كـان الشيخ المفيد، والسيد المرتضى يعتبر تلميذه ومريده المتواضع ومن اتباعه.

هذه القرائن تبعث على الظن بمحنة الشيخ المفيد في تلك السنتين ممـا أدت إلى غيـابـه عن بغـداد، ويجب التحقيق في ذلـك. ومن المسلم أن الحيـاة في بغداد لعـامّـة الشيعـة وزعـمائهم في القسم الأعـظم من زمن حكومة آل بويه على العراق وبغداد الذي استمر مائة وثلاثـة عشر عامـاً كـانت قاسية مقرونـة بالمحن والاشتبـاكات والمجـازر والمـظلوميـة[٢]. والشيخ المفيد وسط هـذه المشاكـل المتفاقمـة ويتحمل مسؤوليـات قيادة الشيعة في العراق بل في جميع العـالم حقق هذا النجـاح البـاهـر في حقل معارف الشيعة.

وقال الشيخ محمد حسن آل ياسين متحدثاً عن مؤلفاته:

الشيـخ المفيد محمـد بن محمد بن النعـمان عالم كبـير وفقيـه اسـلامي مرموق، كان له ولمدرسته الكلامية والفقهيـة دور بارز في تـاريخ بغـداد الفكري في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري.

(٢) يستثنى من ذلك فترة حكومة عضد الدولة على بغداد (٣٦٧ ـ ٣٢).

ولد في عكبراء ــ بالقرب من بغداد ــ يوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة/ ٩٤٧ م ــ وقيل: سنة ثمان وثلاثين[١] ــ متحدراً من أصلاب كريمة الحسب، صريحة النسب، زاكية المحتد والنجار[٢]. وترعرع في كنف والده الذي لم نعرف من أخباره سوى كونه معلماً بواسط[٣]، ولذلك كان يكنى ولده بـ «ابن المعلم»[٤].

وعندما تجاوز هذا الفتي سني الطفولة واتقن مبادىء القراءة والكتابة قدم به أبوه الى بغداد[٥] حاضرة العلم ومهوى أفئدة المتعلمين.

وسارع هذا الصبي أثر قدومه بغداد الى حضور مجلس درس الشيخ أبي عبد الله الحسين بن علي المعروف بالجعل بمنزله بدرب رباح، ثم قرأ على أبي ياسر غلام أبي الجيش بباب خراسان[٦] وعلى غيره من نخبة اعلام ذلك العصر، الذين بلغوا في أحصائنا (٥٦) أستاذاً وشيخاً.

وكما كان هناك هذا العدد الكبير من الشيوخ للمفيد كان مثل ذلك من الطلاب والدارسين عليه، وكان من جملتهم: الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦ هـ والشريف المرتضى علي بن الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ، وسلار بن عبد العزيز الديلمي المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ومحمد بن علي الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، وأحمد بن علي النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، والشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ومحمد بن الحسن بن حمزة الجعفري، المتوفى سنة ٤٦٣[٨]

عاصر المفيد ــ في التاريخ السياسي ــ فترة انكماش الدولة العباسية وضعفها ووهنها، أيام سيطرة أمراء الأقاليم على حكم أقاليمهم وتولي بني بويه شؤون السلطة في بغداد. وحظي هذا الشيخ بما لم يحظ به غيره من أمثاله من ضروب الاعزاز والتقدير و «الجلالة العظيمة في الدولة البويهية»[٩]، فكانت له «صولة عظيمة بسبب عضد الدولة»[١٠]، وبلغ من احترام عضد الدولة له انه «كان يزوره في داره ويعوده إذا مرض»[١١].

وكان للدور العلمي البارز الذي قام به المفيد في عصره اثر كبير في اشتهار اسمه وشيوع ذكره، فحفلت كتب الرجال والتاريخ بالترجمة له والتحدث عن سيرته، وساق كثير من المؤرّخين ــ خلال الترجمة له ــ كلمات الاطراء وجمل الثناء بما لا مزيد عليه[١٢].

ووصف المؤرخون حياته الخاصة وصفاته الشخصية فذكروا في جملة ما ذكروا: أنه «كان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر. كثير الصدقات. عظيم الخشوع. كثير الصلاة والصوم. حسن اللباس. كثير التقشف والتخشع والإكباب على طلب العلم. ما كان ينام من الليل إلا هجعة ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يتلو القرآن»[١٣].

واشتهر المفيد بفن «المناظرة» بين الناس بمختلف آرائهم وطوائفهم، وذكر ابن الجوزي انه «كان لابن المعلم مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء»[١٤]، وزاد ابن كثير في وصف هذا المجلس بقوله: «كان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف»[١٥].

توفي ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ[١٦] (أول كانون الأول ــ ديسمبر ــ ١٠٢٢ م)[١٧]، وشيعه ثمانون ألفاً من الباكين عليه[١٨]، وصلى عليه تلميذه الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي بميدان الأشنان[١٩]، وهو الميدان الرئيس بكرخ بغداد[٢٠]. وضاق على الناس مع كبره[٢١]. ودفن بداره ببغداد ثم نقل الى الكاظمية فدفن بمقابر قريش، بالقرب من رجلي الامام الجواد (ع)، الى جانب أستاذه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي[٢٢]، وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي.

«وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه، من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق»[٢٣] وتبارى شعراء عصره في رثائه وفي التعبير عن الفجيعة بفقده، وكان منهم الشاعر عبد المحسن الصوري المتوفى سنة ٤١٩ هـ والشريف المرتضى علي بن الحسين والشاعر مهيار الديلمي[٢٤].

(١) فهرست ابن النديم: ٢٧٩ ورجال النجاشي. ٢٨٧ وفهرست الطوسي: ١٥٨ ومعالم العلماء ١٠٠ ورجال ابن داود: ٣٣٣ والخلاصة: ٧٢ وبروكلمان ــ الترجمة العربية: ٣٤٩/٣.

(٢) يراجع في نسبه المتصل بيعرب بن قحطان رجال النجاشي: ٢٨٣.

(٣) لسان الميزان: ٣٦٨/٥ وواسط: اسم لمدن كثيرة، والمقصود بها هنا واسط الدجيل التي تبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ. معجم البلدان ٣٨٥/٨.

(٤) فهرست ابن النديم: ٢٥٢ و ٢٧٩ وتاريخ بغداد: ٢٣١/٢ وفهرست الطوسي: ١٥٨ والمنتظم: ١١/٨ والكامل ٣١٣/٧ ورجال ابن داود: ٣٣٣ ولسان الميزان: ٣٦٨/٥ وميزان الاعتدال: ٢٦/٤ وشذارات الذهب ٨١٩٩/٣

(٥) السرائر: الصفحة قبل الأخيرة ــ والكتاب على ضخامته غير مرقم الصفحات.

(٦) المصدر السابق.

(٨) يراجع في أسماء طلاب المفيد: البداية والنهاية: ١٥/١٢ والنجوم الزاهرة: ٢٥٨/٤ ومقدمة الطبعة الجديدة من البحار ٧٨/١

(٩) شذرات الذهب ٢٠٠/٣

(١٠) لسان الميزان ٣٦٨/٥ وميزان الاعتدال ٣٠/٤.

(١١) لسان الميزان: ٣٦٨/٥ وشذرات الذهب: ٢٠٠/٣.

(١٢) أمتال التوحيدي في الامتاع والمؤانسة: ١٤١/١ وابن النديم في الفهرست: ٢٥٢ و ٢٧٩ والنجاشي في الرحال: ٢٨٣ ـ ٢٨٤ والطوسي في الفهرست: ١٥٨ وابن أبي طي كما في شذرات الذهب: ١٩٩/٣ والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: ١٥/١٢ والحلي في الخلاصة: ٧٢ وابن حجر في لسان الميزان: ٣٦٨/٥ وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة: ٢٥٨/٤.

(١٣) لسان الميزان: ٣٦٨/٥ وشذرات الذهب: ٢٠٠/٣.

(١٤) المنتظم ١١/٨.

(١٥) البداية والنهاية: ١٥/١٢.

(١٦) تاريخ بغداد: ٢٣١/٣ وفهرست الطوسي: ١٥٨ ورجال النجاشي: ٢٨٧ ومعالم العلماء: ١٠١ والكامل: ٣١٣/٧ والبداية والنهاية: ١٥/١٢ والنجوم الزاهرة: ٢٥٨/٤ وشذرات الذهب ١٩٩/٢.

(١٧) بروكلمان: ٣٤٩/٣.

(١٨) ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ ولسان الميزان: ٣٦٨/٥ وشذرات الذهب ٢٠٠/٣.

(١٩) رحال النجاشي: ٢٨٧ والخلاصة: ٧٢.

(٢٠) بغداد قديماً وحديثاً: ٢٢٨.

(٢١) رجال النجاشي: ٢٨٧ والخلاصة ٧٢.

(٢٢) المصدران السابقان.

(٢٣) فهرست الطوسي: ١٥٨.

(٢٤) ديوان الصوري ــ مخطوط مصور بمكتبة المجمع العراقي ــ ١٢٠/أ وديوان المرتضى ٢٠٤/٣ ــ ٢٠٦ وديوان مهيار الديلمي: ١٠٣/٣ ــ ١٠٩.

صنف والف ما وسعه الوقت، وخلف من بعده تراثاً ضخماً لا يزال حتى اليوم مرجعاً للعلماء والمعنيين بشؤون الفكر الإسلامي. وذكر المؤرخون له قريباً من «مائتي مصنف كبار وصغار»[٢٥]. ووصفوها بـ «التصانيف البديعة»[٢٦].

وبالنظر إلى أهمية هذه المؤلفات في تاريخ تراثنا الأصيل ومجدنا الفكري الزاهر، جردت هذا الفهرست الموسع لتلك الكتب، مسجلاً فيه المعلومات المتوفرة عن كل واحد منها، مشيراً خلاله الى أماكن وجود المخطوط وتاريخ طباعة المطبوع، معتمداً في ذلك على المصادر الأساسية المعنية بسيرة هذا الرجل وآثاره، وقد رتبت أسماء هذه الكتب على تسلسل الحروف الهجائية تسهيلاً على القارىء والمراجع[٢٧].

ــ حرف الألف ــ

آي القرآن المنزلة:

ذكره السيد علي آل طاووس (القرن السابع) في سعد السعود ١١٦ وقال: انه ينسب للمفيد. ولم تثبت صحة النسبة.

١ ــ اجازته للشيخ الدقاق:

تاريخها شهر صفر سنة ٤٠٣ هـ. الذريعة: ٢٤٦/١.

٢ ــ الأجوبة عن المسائل الخوارزمية:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٢٢٠/٥.

٣ ــ أحكام أهل الجمل:

الطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٢٩٥/١. ولعله نفس كتاب «الجمل» الذي سيأتي ذكره.

٤ ــ أحكام النساء:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١: ٣٠٢ وبروكلمان: ٣: ٣٥١ ومجلة معهد المخطوطات: ٢٠٠/٤.

ألّفه للسيدة فاطمة بنت الناصر أبي محمد الأطروش والدة الشريفين الرضي والمرتضى. منه نسخة بمكتبة الطهراني بسامراء، وأخرى في مكتبة السيد ضياء شكارة ببغداد وثالثة في مكتبة مجلس بطهران، ورابعة بخطي في مكتبتي الخاصة، وكانت منه نسخة قديمة في خزانة المرحوم الشيخ عبد الحسين الحلي ولا نعلم مكانها اليوم.

---

(٢٥) فهرست الطوسي: ١٥٨ ومعالم العلماء: ١٠١ ورجال ابن داود: ٣٣٣ والخلاصة: ٧٢ وميزان الاعتدال: ٣٠/٤ وشذرات الذهب: ١٩٩/٣ ــ ٢٠٠.

(٢٦) ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ ولسان الميزان: ٣٦٨/٥.

(٢٧) رعاية للاختصار رمزت للمراجع الرئيسة للبحث بالرموز التالية المسجلة أمام كل كتاب:

النجاشي ــ رجال النجاشي

الطوسي ــ فهرست الطوسي

معالم ــ معالم العلماء

مجمع ــ مجمع الرجال

الذريعة ــ الذريعة الى تصانيف الشيعة.

بروكلمان ــ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ــ الترجمة العربية

استان قدس ــ كتابخانه استان قدس بمشهد ــ ايران

مكتبة مجلس ــ كتابخانه مجلس شوراى ملي بطهران.

٥ ــ الاختصاص:

البحار: ٧/١ والذريعة: ٣٥٨/١ ــ ٣٦٠ وبروكلمان: ٣٥٠/٣ وفهرست آستان قدس: ٧/٥ــ٩٩ وفهرست جامعة طهران: ١٠٦٠/٥ وفهرست سبه سالار: ١٩٧/١.

طبع بطهران سنة ١٣٧٩ هـ في «٤٥٦» صفحة.

منه نسخة مخطوطة تاريخها ٨٩١ هـ في آستان قدس بمشهد، وأخرى تاريخها ١٠٥٥ هـ وثالثة تاريخها ١٣٥١ هـ، كما توجد منه نسخ في كل من مدرسة سبه سالار (تاريخها ١١١٨ هـ)، ومكتبة السماوي بالنجف (تاريخها ١٠٨٥ هـ) وجامعة طهران. وكانت لدى مؤلف البحار (القرن الحادي عشر) نسخة عتيقة منه.

٦ ــ اختيار الشعراء:

معالم: ١٠١.

٧ ــ الارشاد:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٥٠٩/١ وبروكلمان: ٣٥٠/٣ وفهرست دار الكتب: ١٤/٨ وفهرست آستان قدس: ١٧/٥ وجامعة طهران ١٠٨٣/٩ و٣٤٨٤/١٣.

ذكره مؤلفه في كتابه الفصول العشرة: ٩. وهو مصادر الاقبال للسيد علي آل طاووس (ص ٥٩٨) والبحار للمجلسي (٧/١). منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تاريخها ١٠٩٥ هـ، وأخرى بجامعة طهران تاريخها ١٠٩٦ هـ، وثالثة بمكتبة مجلس بطهران تاريخها ١٠٧٨ هـ، ورابعة في آستان قدس بلا تاريخ.

طبع مكرراً في العراق وايران، كما طبع شرح له وترجمه إلى الفارسية.

٨ ــ الاركان في دعائم الدين:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٢٢٥/١ ذكره مؤلفه في كتابه تصحيح الاعتقاد: ٢٨ وكتابه الفصول المختارة: ١٣٣/٢.

٩ ــ الأركان في الفقه:

الطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١.

١٠ ــ الاستبصار فيما جمعه الشافعي من الأخبار:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٦/٢.

١١ ــ الاشراف في عام فرائض الاسلام:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ١٠٢/٢ وبروكلمان: ٣٥٠/٣ وفهرست مكتبة مجلس: ١٤/٧ ومجلة معهد المخطوطات: ٢٠٠/٤.

من مصادر السيد علي آل طاووس في الاقبال: ٣٣٧.

منه نسخة مخطوطة بمكتبة السيد ضياء شكارة ببغداد، وأخرى بمكتبة مجلس بطهران.

١٢ ــ أصول الفقه:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٢٠٩/٢ وبروكلمان: ٣٥٠/٣.

أورده بنصه أبو الفتح الكراجكي في كتابه كنز الفوائد: ١٨٦ ــ ١٩٤.

١٣ ــ أطرف الدلائل وأوائل المسائل:

وقد يسمى «أطراف الدلائل في أوائل المسائل».

معالم: ١٠٢ والذريعة: ٢/٢١٦ و ١٥/٢١٨.

١٤ ــ الاعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الأحكام:

النجاشي: ٢٨٥ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٢/٢٣٧ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ وفهرست جامعة طهران: ٨/١٢٨.

طبع في النجف سنة ١٩٧٠ هـ في «٢٦» صفحة.

منه نسخة مخطوطة بجامعة طهران تاريخها ١١١٣ هـ.

١٥ ــ الافتخار:

النجاشي: ٢٨٦ ومعالم: ١٠٢ والذريعة: ٢/٢٥٦.

١٦ ــ الافصاح:

مجمع: ٦/٣٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٢/٢٥٨ وبروكلمان: ٣/٣٥١.

طبع في النجف سنة ١٣٦٨ هـ في «١٢٩» صفحة.

كانت منه نسخة خطية بمكتبة السماوي بالنجف، وتوجد نسخة مخطوطة باستان قدس تاريخها (١٣٥٠ هـ).

١٧ ــ الاقتصاد (على الثابت من الفتيا):

معالم: ١٠١ والذريعة: ٢/٢٧٠.

١٨ ــ أقسام مولى في اللسان:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢/٢٧٢.

طبع في النجف (بدون تاريخ) في «٩» صفحات باسم: رسالة في تحقيق لفظ المولى. ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة مجلس بطهران ضمن مجموعة.

١٩ ــ الاقناع في وجوب (وجوه) الدعوة:

النجاشي: ٢٨٥ ومجمع ٦/٣٥ والذريعة ٢/٢٧٥.

٢٠ ــ الأمالي (المتفرقات):

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢/٣١٥.

من مصادر السيد علي آل طاووس في محاسبة النفس: ٥ والمجلسي في البحار: ١/٧. طبع في النجف سنة ١٣٦٧ هـ في «١٩٠» صفحة.

منه نسخة بمكتبه الطهراني بسامراء تاريخها ١١٠١ هـ، وأخرى في آستان قدس تاريخها ١٣٥٠ هـ.

٢١ ــ امامة أمير المؤمنين (ع) من القرآن:

النجاشي: ٢٨٥: والذريعة: ٢/٣٤١.

٢٢ ــ الانتصار:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٢/٣٦٠.

٢٣ ــ أوائل المقالات في المذاهب المختارات:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠٢ والذريعة: ٢/٤٧٢ وبروكلمان ٣/٣٥٠.

من مصادر السيد علي آل طاووس في كتابه فرج المهموم: ٣٧ و ٧٤ والمجلسي في البحار.

طبع بتبريز مرتين، ثانيتهما سنة ١٣٧١ هـ.

٢٤ ــ الايضاح:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم ١٠١ والذريعة: ٢/٤٩٠.

منه نسخة مخطوطة بالهند، وأخرى بمكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٢٥ ــ ايمان أبي طالب:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠٢ والذريعة: ٢/٥١٣ وفهرست مجلس: ٢٧/٧ من مصادر البحار.

طبع ضمن المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات مرتين: سنة ١٣٧٤ هـ وسنة ١٣٨٤ هـ.

منه نسخة أخرى غير التي اعتمدت في مكتبة مجلس بطهران.

ــ حرف الباء ــ

٢٦ ــ الباهر من المعجزات:

هكذا سماه مؤلفه في كتابه «المسائل العشرة»: ٣٧ ولكن النجاشي سماه «الزاهر في المعجزات».

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٣/١٥ و ١٢/١٣.

٢٧ ــ البيان عن غلط قطرب في القرآن:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٣/١٧٢.

البيان في أنواع علوم القرآن:

ذكره في الذريعة: ٣/١٧٢، ولم يثبت لدينا أمره.

٢٨ ــ البيان في تأليف القرآن:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٣/١٧٢.

٢٩ ــ بيان وجوه الأحكام:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٣/١٨٤.

ــ حرف التاء ــ

التذكرة بأصول الفقه:

الذريعة: ٤/٢٥، وأظنه كتاب «أصول الفقه» المار الذكر.

٣٠ ــ تفضيل الأئمة على الملائكة:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٤/٣٥٨.

٣١ ــ تفضيل الأنبياء على الملائكة:

منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكتبة مجلس بطهران.

٣٢ ــ تقرير الأحكام:

ذكره مؤلفه بهذا الاسم في كتابه الفصول المختارة: ٢/١٥ و٢٢. وكذا سمي في المعالم: ١٠١ ولكنه سمي في الذريعة: ٤/٣٦٥ (تقريب الأحكام).

٣٣ ــ التمهيد:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠٢ والذريعة: ٤/٤٣٣. ذكره مؤلفه في كتابه تصحيح الاعتقاد: ٧٠ وجوابات المسائل السروية: ٥٧.

٣٤ ــ تصحيح الاعتقاد (في شرح اعتقادات الصدوق):

الذريعة: ١٣/١٠٢ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ وفهرست جامعة طهران ٣/٥٦٧ وفهرست آستان قدس: ٥/١٠١.

وقد يسمى (شرح اعتقادات الصدوق)، وهو من مصادر البحار. طبع في تبريز مرتين، ثانيتهما في سنة ١٣٧١ هـ، كما طبعت ترجمته إلى الفارسية سنة ١٣٧١ هـ. منه نسخة مخطوطة تاريخها ١٠٣٦ هـ في جامعة طهران، وأخرى تاريخها ١٠٤٢ هـ في آستان قدس.

٣٥ ــ التواريخ الشرعية:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٤/٤٧٥ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ وفهرست جامعة طهران: ٥/١٥٢٨ و٩/٨٥٥ و١٣/٣٠٦٩ وفهرست آستان قدس: ٢/٣٥ و٥/١٦٥. وقد يسمى «مسار الشيعة»، وهو من مصادر السيد علي آل طاووس في الإقبال: ٦٧٣، وكانت لديه نسخة مكتوبة في حياة المؤلف.

كما انه من مصادر البحار أيضاً.

طبع في تبريز على الحجر سنة ١٣١٣ هـ. منه نسخة مخطوطة كتبت بالخط الكوفي في ٥٨ ورقة (تاريخها سنة ٣٨٩ هـ في جامعة طهران، وأخرى فيها تاريخها سنة ١٠٥٣ هـ وثالثة فيها أيضاً تاريخها ١٣٠٤ هـ. وفي آستان قدس نسخة مخطوطة من الكتاب تاريخها ٩٧٨ هـ، وأخرى تاريخها ١٠٨١ هـ وثالثة تاريخها ١٣٥٢ هـ.

ــ حرف الجيم ــ

٣٦ ــ الجمل:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٥/١٤٢، ١٣/٣٥٠ (وسماه حرب الجمل).

طبع في النجف للمرة الثانية في (٢٢٠) صفحة سنة ١٣٨٢ هـ.

٣٧ ــ جمل الفرائض:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة ٥/١٤٥.

منه نسخة مخطوطة بمكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٣٨ ــ جواب ابن واقد:

(ولعله واقد بن أبي واقد الليثي).

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٥/١٧٢.

٣٩ ــ جواب أبي الفرج بن اسحاق عما يفسد الصلاة:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٧٣.

٤٠ ــ جواب أبي محمد الحسن بن الحسين النوبندجاني:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٧٣.

٤١ ــ جواب أهل جرجان في تحريم الفقاع:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٧٥.

٤٢ ــ جواب أهل الحجاز في نفي سهو النبي (ص):

نسبه المجلسي للمفيد وأورده بنصه في بحاره: ٦/٢٩٧ ــ ٢٩٩، ورجح أبو علي في رجاله: ٢٩٦ أن تكون هذه الرسالة للمرتضى، ويراجع في نفيها عن المفيد الذريعة: ٥/١٧٥ ــ ١٧٦ و١٢/٢٦٧.

٤٣ ــ جواب أهل الرقة في ألأهلة والعدد:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٧٦.

منه نسخة بمكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

جواب الباقلاني:

يراجع (مسألة في النص الجلي) في حرف الميم.

٤٤ ــ جواب الكرماني في فضل النبي (ص) على سائر الأنبياء:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٨٦.

٤٥ ــ جواب المافروخي في المسائل:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٥/١٨٦.

٤٦ ــ جواب المسائل في اختلاف الأخبار:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/١٨٧.

٤٧ ــ الجوابات في خروج المهدي:

النجاشي: ١٨٦ والذريعة: ٥/١٩٥.

منها نسخة مخطوطة بمكتبة الطهراني بسامراء.

٤٨ ــ جوابات ابن الحمامي:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٥/١٩٦.

٤٩ ــ جوابات ابن نباته:

عبد الرحيم بن محمد صاحب الخطب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ.

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/١٩٦.

٥٠ ــ جوابات أبي جعفر القمي:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/١٩٧.

٥١ ــ جوابات أبي جعفر محمد بن الحسين الليثي:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٥/١٩٧.

٥٣ ــ جوابات ابي الحسن سبط المعافي بن زكريا في اعجاز القرآن:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/١٩٧.

٥٤ ــ جوابات أبي الحسن النيسابوري:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/١٩٧.

٥٥ ــ جوابات أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان:

(الكراجكي، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ).

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/١٧٣ و١٩٨.

٥٦ ــ جوابات أبي الليث الأواني:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٩٨/٥ و ٢٢٨ ومجلة معهد المخطوطات: ٢٥١/٤ وفهرست آستان قدس: ٦٧/٢ وفهرست جامعة طهران: ٩٤٨/٩.

واشتهر هذا الكتاب باسم «جوابات المسائل العكبرية» وهي احدى وخمسون مسألة. وكان هذا الكتاب من مصادر البحار. منه نسخة مخطوطة تاريخها ١٠٥٩ هـ في مكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء في النجف، وأخرى تاريخها ١٠٧٥ هـ في جامعة طهران، وثالثها تاريخها ١٣٥٢ هـ في آستان قدس، ورابعة في مكتبة الامام الصادق (ع) بالكاظمية، وفي آستان قدس منتخبات ضمت ٢٢ مسألة.

٥٧ ــ جوابات الأمير أبي عبد الله:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٩٨/٥.

٥٨ ــ جوابات أهل الدينور:

وقد تسمّى «جوابات المسائل الدينورية» «والمسائل الدينورية».

النجاشي: ٢٨٥ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة ٢٢٠/٥.

٥٩ ــ جوابات أهل طبرستان:

النجاشي: ٢٨٦ وسماها في الذريعة ٢٢٦/٥ «جوابات المسائل الطبرية».

٦٠ ــ جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٢٣٥/٥ وسماها «جوابات المسائل الموصليات في العدد والرؤية».

ذكرها مؤلفها في كتابه جوابات المسائل السروية: ٥٧.

من الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة صاحب الذريعة في النجف.

٦١ ــ جوابات البرقعي في فروع الفقه:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢٠١/٥.

٦٢ ــ جوابات بني عرقل:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢٠٢/٥.

٦٣ ــ جوابات الشرقيين في فروع الدين:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٢٠٧/٥.

٦٤ ــ جوابات علي بن نصر العبدجاني:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢٠٩/٥.

٦٥ ــ جوابات الفارقيين في الغيبة:

النجاشي: ٢٨٥. وسماها في الذريعة: ٢٠٩/٥ «جوابات المسائل الميافارقيات». منه نسخة مخطوطة بمكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

٦٦ ــ جوابات الفيلسوف في الاتحاد:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢١٠/٥.

٦٧ ــ جوابات المسائل الجارودية:

طبعت في النجف في (٨) صفحات بدون تاريخ، وطبعت معها رسالة أخرى باسم «الثقلان» في (٥) صفحات، والظاهر من السياق أن الجميع رسالة واحدة في الرد على الجارودية. ومن هذه الجوابات نسخة مخطوطة في مكتبة الامام أمير المؤمنين (ع) في النجف ــ ولعلها من خطوط القرن الحادي عشر الهجري ــ ونسخة أخرى في مكتبة مجلس بطهران كما في فهرستها: ٦٤/٧.

٦٨ ــ جوابات المسائل الجرجانية:

الطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ٢١٧/٥. ولعلها بنفسها «جواب أهل جرجان في تحريم الفقاع» المار الذكر وقد تسمى «المسائل الجرجانية».

منها نسخة مخطوطة بمكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم بالنجف.

جوابات المسائل الخوارزمية:

يراجع «الأجوبة عن المسائل الخوارزمية» في حرف الألف.

٦٩ ــ جوابات المسائل السروية:

معالم: ١٠١ والذريعة: ٨٣/٢ و ٢٢٢/٥ وبروكلمان: ٣٥١/٣ وفهرست جامعة طهران: ٢٤٨/٩ ومجلة معهد المخطوطات: ٢١٨/٤.

طبعت في النجف في (٢٢) صفحة بدون تاريخ.

كانت منها نسخة مخطوطة تاريخها ١٠١٠ هـ بمكتبة السماوي في النجف، وأخرى بمكتبة فيض آباد بالهند، وتوجد منها نسخة مخطوطة أيضاً بمكتبه الطهراني بسامراء، وأخرى بمكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء بالنجف، وثالثة في جامعة طهران تاريخها ١٠٧٥ هـ باسم «أجوبة المفيد للسيد». وقطعة منها في آستان قدس سماها مفهرس المكتبة اشتباهاً باسم «رسالة في المتعة». وهذه الجوابات من مصادر البحار وسميت فيه «أجوبة المسائل السروية»، وقد تسمى «المسائل السروية».

جوابات المسائل العكبرية:

يراجع «جوابات أبي الليث الأواني» المار الذكر.

٧٠ ــ جوابات المسائل الفارسية:

أشار اليها مؤلفها في كتابه «جوابات المسائل السروية»: ٥٧. وسماها في الذريعة: ٢٢٥/٥ «جوابات المسائل الشيرازية».

٧١ ــ جوابات مسائل اللطيف من الكلام:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢٣٢/٥ و٣٢٦/١٨. طبع مع «أوائل المقالات» في تبريز سنة ١٣٧١ هـ.

٧٢ ــ جوابات المسائل المازندرانيات:

الطوسي: ١٥٨ وسماها «المسائل المازندرانية» والذريعة ٢٣٢/٥.

أشار إليها مؤلفها في كتابه «جوابات المسائل السروية»: ٥٧.

٧٣ ــ جوابات المسائل المنشورة:

«نحو من مائة مسألة».

الطوسي: ١٥٨.

٧٤ ــ جوابات المسائل النيسابورية:

الذريعة: ٥/٢٤٠.

أشار اليها مؤلفها في كتابه «جوابات المسائل السروية» ٥٧. منه نسخة مخطوطة بمكتبة السيد شهاب الدين النجفي في قم ــ ايران. ولعلها «جوابات أبي الحسن النيسابوري» المارة الذكر.

٧٥ ــ جوابات مقاتل بن عبد الرحمن:

«عما استخرجه من كتب الجاحظ»

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/٢١٢.

٧٦ ــ جوابات النصر بن بشير في الصيام:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٥/٢١٣.

الجواهر المنفردة:

اشار اليه المفيد في «جوابات مسائل اللطف من الكلام» ص ٧٧ ولم يتضح أنه عنوان كتاب أو فصل أو باب.

ــ حرف الحاء ــ

٧٧ ــ حدائق الرياض وزهرة المرتاض:

كانت نسخة عصر المؤلف في خزانة السيد علي آل طاووس وروى عنه في كتابه الاقبال: ٣٠٨ و٥٢٩ و٥٥٤ و٥٨٤ و٥٩٨ و٥٩٩ و٦٠٣ و٦٢١ و٦١٨ و٦٦٧. وذكر في الذريعة ٦/٢٨٦.

الحكايات:

هكذا سماه في الذريعة: ٧/٥١ ولم نعرف له أثراً، ولعله رسالة المفيد في «الحكاية والمحكي» التي سترد في حرف الراء.

ــ حرف الخاء ــ

٧٨ ــ خلاصة الايجاز في المتعة:

ذكرها بروكلمان: ٣/٣٥٠.

منها نسخة مخطوطة في خزانة الفاتيكان كما في فهرستها: ٦٨. وسيأتي في حرف الميم «مختصر المتعة» ولا نعلم هل يقصد به هذا الكتاب أم غيره. والمفيد قد ألف كتباً في المتعة لا كتاباً واحداً كما أشار الى ذلك في المسائل الصاغانية: ص ٥.

ــ حرف الراء ــ

٧٩ ــ الرجال:

ذكره في الذريعة: ١٠/٩٠ وقال بأنه طبع مع كتابه «الارشاد» في بعض طبعاته.

٨٠ ــ رد الصوفيين:

ذكره بروكلمان: ٣/٣٥١ وأشار إلى وجود نسخة مخطوطة منه في الهند.

٨١ ــ الرد على ابن الأخشيد:

وفي المطبوع من «جوابات المسائل السرويلة» ٥١ «أبو بكر بن الاخشاد». النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/١٧٦.

٨٢ ــ الرد على ابن رشيد:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة ١٠/١٧٨.

٨٣ ــ الرد على ابن عون في المخلوق:

وابن عون هو محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي المتوفى سنة ٣١٢ هـ النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/١٧٨.

٨٤ ــ الرد على ابن كلاب في الصفات:

وابن كلاب هو عبد الله بن محمد بن كلاب القطان وذكر له ابن النديم في الفهرست ٢٥٥ «كتاب الصفات».

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٠/١٧٨.

٨٥ ــ الرد على أبي عبد الله البصري:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٠/١٨٠.

٨٦ ــ الرد على أصحاب الحلاج:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٠/١٨٥.

٨٧ ــ الرد على ثعلب في آيات القرآن:

معالم: ١٠٢.

٨٨ ــ الرد على الجاحظ [في] العثمانية:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٠/١٩٢.

٨٩ ــ الرد على الجبائي في التفسير:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/١٨١.

٩٠ ــ الرد على الخالدي:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٠/١٩٤.

٩١ ــ الرد على الشعبي:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/٢٠٢.

٩٢ ــ الرد على الصدوق في عدد شهر رمضان:

معالم: ١٠١ وسماه «الرد على ابن بابويه» والذريعة: ١٠/٢٠٤. كانت منه نسخة بمكتبة السماوي في النجف.

٩٣ ــ الرد على العتيقي:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٠/٢١١.

٩٤ ــ الرد على القتيبي في الحكاية والمحكي:

وقد يسمى «النقض على ابن قتيبة في الحكاية والمحكي».

النجاشي: ٢٨٦ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١. والذريعة: ١٠/٢١٧.

٩٥ ــ الرد على الكرابيسي:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/٢٢٠.

٩٦ ــ الرد على من حد المهر:

كانت منه نسخة مخطوطة في مكتبة السماوي بالنجف كما في الذريعة: ١٠/٢٢٧.

٩٧ ــ الرد على النسفي:

في مسألة غسل الرجلين في الوضوء.

الذريعة: ١٠/٢٣٠ وفهرست مكتبة مجلس: ٧/١٣٠. ولعله «مسألة في المسح على الرجلين» المذكورة في حرف الميم منه نسخة مخطوطة بمكتبة الطهراني بسامراء، وأخرى بمكتبة مجلس بطهران.

٩٨ ــ الرسالة إلى الأمير عبد الله وأبي طاهر ابني ناصر الدولة:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١١/١٠٧.

٩٩ ــ الرسالة إلى أهل التقليد:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١١/١٠٨.

١٠٠ ــ رسالة الجنيدي إلى أهل مصر:

ذكرها النجاشي: ٢٨٥، وأشار اليها مؤلفها في كتابه «جوابات المسائل السروية» ٥٨، وينبغي أن تسمى جوابات مسائل الجنيدي أو الرد على مسائل الجنيدي.

١٠١ ــ الرسالة العزية:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٥/٢٦٣.

كانت من مصادر السيد علي آل طاووس في الإقبال: ١١ و١٨٦ و٦٧٥ والملاحم والفتن ١٤٤.

١٠٢ ــ الرسالة العلوية:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١١/٢١١.

١٠٣ ــ رسالة في الفقه إلى ولده:

الطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ١١/١٠٩.

رسالة في معارك اليهود والنصارى:

ذكرها بروكلمان: ٣/٣٥٠ وأشار إلى وجود نسخة مخطوطة منها في مكتبة برلين. والظاهر حدوث لبس في التسمية أو في النسبة، لعدم ذكر هذه الرسالة في كل المصادر المعنية، ولعله التبس الأمر على مفهرس مكتبة برلين فسمى «في ذبائح اليهود والنصارى» باسم «المعارك».

١٠٤ ــ الرسالة الكافية في الفقه:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١١/٢٢٣ و١٧/٢٥٠.

١٠٥ ــ الرسالة المقنعة [في الفقه]:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ وفهرست آستان قدس: ٢/١٢٥ وفهرست سبهسالار ١/٥٣٤ وفهرست مجلس: ٤/٩٦.

من مصادر المجلسي في البحار ومن مصادر السيد علي آل طاوس في الاقبال: ١١ و٨٧ و٦٧٧.

طبعت ضمن موسوعة «الجوامع الفقهية» في ايران سنة ١٢٧٦ هـ. شرحها الشيخ الطوسي في كتاب ضخم مطبوع هو «تهذيب الأحكام». منها نسخة مخطوطة في آستان قدس تاريخها ٩٥٥ هـ وأخرى فيها تاريخ مقابلتها ٩٩٢ هـ، وثالثة في سبهسالار تاريخها ١٠٦٥ هـ، ورابعة في مكتبة الامام أمير المؤمنين في النجف تاريخ مقابلتها ١٠٧٧ هـ، وخامسة بلا تاريخ في مكتبة مجلس بطهران.

١٠٦ ــ الرسالة المقنعة في وفاق البغداديين من المعتزلة:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٧١/٢٢٦.

ــ حرف الشين ــ

شرح اعتقادات الصدوق:

يراجع «تصحيح الاعتقاد» في حرف التاء.

١٠٧ ــ شرح كتاب الاعلام:

وكتاب الاعلام له أيضاً كما مر في حرف الألف.

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٣/١٠٣.

ــ حرف العين ــ

١٠٨ ــ عدد الصوم والصلاة:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٥/٢٣٢.

١٠٩ ــ عقود الدين:

معالم: ١٠١ والذريعة: ١٥/٣٠٣.

ذكره مؤلفه في كتابه «تصحيح الاعتقاد»: ٢٨.

١١٠ ــ العمد في الامامة:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٥/٣٣٣.

١١١ ــ العويص في الأحكام:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٥/٣٦٢ وفهرست جامعة طهران: ٥/١٩٤٧ و٨/٦٤٥ و٩/١٤٩٦.

منه نسخة مخطوطة تاريخها ٩٨٧ هـ في جامعة طهران، وأخرى فيها تاريخها ١٠٥٠ هـ، وثالثة فيها تاريخها ١٢٢٤ هـ، كما ان منه نسخة مخطوطة بخط صاحب رياض العلماء ــ الميرزا عبد الله ــ في خزانة السيد شهاب الدين النجفي بقم ــ ايران.

وهناك «مختصر العويص» في مكتبة الطهراني بسامراء، ونسخة منه بمكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء بالنجف تاريخها ٩٦٨ هـ. وفي جامعة طهران «منتخب مسائل العويص» وقد كتب سنة ١٠٧٢ هـ و«مسائل العويص».

١١٢ ــ العيون والمحاسن:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٥/٣٨٦ ــ ٣٨٧ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ (وسماه خطأ: العيون والمجالس و«عيون المجالس»). من مصادر السيد علي آل طاوس في الطرائف: ٨ والمجلسي في البحار. كانت منه نسخة مخطوطة تاريخها ١٠٨٥ هـ في مكتبة السماوي بالنجف، كما أن نسخة منه تاريخها ١٠٥٥ هـ في آستان قدس.

ــ حرف الغين ــ

الغيبة (الكبير):

هكذا ورد اسم الكتاب في الذريعة: ١٦/٨٠ وسيأتي في حرف الكاف.

ـ حرف الفاء ـ

١١٣ ـ الفرائض الشرعية:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٦/١٤٩.

فصل الخطاب:

نسبة بعض المتأخرين للمفيد كما في الذريعة: ١٦/٢٣٠، ولم تثبت لدينا النسبة.

الفصول العشرة في الغيبة:

يراجع (المسائل العشرة في الغيبة) في حرف الميم.

١١٤ ـ الفصول من العيون والمحاسن:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ١٦/٢٤٥ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ «واخطأ فسماه تلخيص العيون والمجالس واحتمل أن يكون التلخيص للشيخ الطوسي».

الظاهر انه بنفسه كتاب «الفصول المختارة من العيون والمحاسن» الذي اختاره الشريف المرتضى من كتاب «العيون والمحاسن» المار الذكر.

طبع الكتاب في النجف في جزئين بدون تاريخ ذكر في الذريعة نسخاً كثيرة منه، ووقفت على نسخة مخطوطة منه ناقصة الأخر في دار الكتب الظاهرية بدمشق، ونسخة أخرى في آستان قدس تاريخها ١٣٤٥ هـ.

١١٥ ـ الفضائل:

معالم: ١٠١ ومنه نسخة مخطوطة بخزانة السيد صادق كمونة ببغداد تاريخها ١٠٥٦ هـ.

فقه الرضا:

نسبه بروكلمان ٣/٣٥٠ للمفيد، ولا علاقة للمفيد به.

فهرست تصانيف الشيخ المفيد:

نسبه في الذريعة: ١٦/٣٧٨ للمفيد، ولم يقم دليل على ذلك.

ـ حرف القاف ـ

١١٦ ـ قضية العقل على الأفعال:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٧/١٥٥.

ـ حرف الكاف ـ

١١٧ ـ الكامل في [علوم] الدين:

النجاشي: ٢٨٦ ومعالم: ١٠١ والذريعة: ١٧/٢٥٦. ذكره مؤلفه في كتابه «تصحيح الاعتقاد»: ٢٨ و«الفصول المختارة من العيون والمحاسن»: ٢/١٣٣.

١١٨ ـ كتاب في تأويل قوله تعالى:
(فاسألوا أهل الذكر)
النجاشي: ٢٨٥.

١١٩ ـ كتاب في تفضيل أمير المؤمنين:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٤/٣٥٨.

طبع في النجف في (٧) صفحات بدون تاريخ. منه نسخة مخطوطة بمكتبة مجلس كما في فهرستها: ٧/٥٠.

١٢٠ ـ كتاب في الغيبة:

طبع في النجف في (٦) صفحات عام ١٣٧٠ هـ باسم «مسألة في الغيبة».

١٢١ ـ كتاب في قوله ـ ص ـ:
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٣/١٨٩.

(وسمي فيها: شرح حديث أنت مني بمنزلة هارون).

١٢٢ ـ كتاب في القياس:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٧/٢٢٠.

١٢٣ ـ كتاب مسألة في القياس ـ مختصر ـ:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٧/٢٢١.

١٢٤ ـ كتاب نقض كتاب الأصم في الامامة:

النجاشي: ٢٨٥.

١٢٥ ـ كشف الالباس:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٨/٢٠.

١٢٦ ـ كشف السرائر:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٨/٣٩، وسمي في الذريعة: ١٢/١٥٥ «السرائر».

١٢٧ ـ الكلام على الجبائي في المعدوم:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٨/١١٠ (وسمي فيه: كلام في المعدوم والرد على الجبائي) وهو خلط بين كتابين.

١٢٨ ـ الكلام في أن المكان لا يخلو من متمكن:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٨/١١٠.

١٢٩ ـ الكلام في الإنسان:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٢/٣٨٩ (باسم: الانسان والكلام فيه) و١٨/١١٠ باسمه الصحيح.

١٣٠ ـ الكلام في حدوث القرآن:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٨/١١٠.

١٣١ ـ الكلام في الخبر المختلق بغير أثر:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٨/١١٠.

١٣٢ ـ الكلام في دلائل القرآن:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٨/٢٥٢ (باسم: دلائل القرآن) و١٧/٢٠٨ (باسم القول في دلائل القرآن) و١٨/١١٠ باسمه الصحيح.

١٣٣ ـ الكلام في المعدوم:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٨/١١٠ وخلط بينه وبين الكتاب

السابق: الكلام على الجبائي في المعدوم.

١٣٤ ــ الكلام في وجوه اعجاز القرآن:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ٢/٢٣٢ (باسم: اعجاز القرآن والكلام في وجوهه) و١٨/١١٠ باسمه الصحيح.

الكيمياء:

رسالة فارسية منسوبة الى الشيخ المفيد بمكة المعظمة، والظاهر أنها لمفيد آخر. الذريعة: ١٨/٢٠٠ وفهرس جامعة طهران: ٤/٩٨٢.

ــ حرف اللام ــ

١٣٥ ــ لمح البرهان:

النجاشي: ٢٨٤ والذريعة: ١٨/٣٤٠ الفه المفيد سنة ٣٦٣ هـ.

من مصادر السيد علي آل طاووس في الاقبال: ٥ و٦.

ــ حرف الميم ــ

١٣٦ ــ المتعة:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ (وسماه: أحكام المتعة) ومعالم: ١٠١ (باسم: رسالة في المتعة) والذريعة: ١٩/٦٦ وفهرست آستان قدس: ٢/٦٧ ومجلة معهد المخطوطات: ٤/٢٠٠. من مصادر المجلسي في بحاره، وروى كثيراً منها في المجلد الثالث والعشرين منه.

منه نسخة مخطوطة غير مؤرّخة في آستان قدس، وأخرى تاريخها ١٣٣٩ هـ في خزانة السيد ضياء شكارة ببغداد، أما نسخة آستان قدس المذكورة في الذريعة فليست كتاب المتعة بل المسألة الأخيرة من جوابات المسائل السروية.

١٣٧ ــ المجالس المحفوظة في فنون الكلام:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ١٩/٣٦٤ وبروكلمان: ٣/٣٥٠ (وسماه المجالس). من مصادر المجلسي في البحار وكانت لديه «نسخة عتيقة» من الكتاب.

١٣٨ ــ مختصر على المعتزلة في الوعيد:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ١٠/٢٢٤ (وسمي فيها: الرد على المعتزلة في الوعيد).

١٣٩ ــ مختصر في الغيبة:

النجاشي: ٢٨٤.

ولعله هو المطبوع في النجف عام ١٣٧٠ هـ ضمن رسائل المفيد في الغيبة.

١٤٠ ــ مختصر المتعة:

النجاشي: ٢٨٤.

ولا نعلم هل هو «خلاصة الايجاز» المار الذكر في حرف الخاء أم غيره.

١٤١ ــ المزار الصغير:

النجاشي: ٢٨٥ ومعالم: ١٠١ (وسماه: مناسك المزار) والذريعة: ٤/١٣٤ وبروكلمان ٣/٣٥٠ وفهرست آستان قدس: ٦/٢٨٤ وفهرست جامعة طهران: ١/٣٠٧.

من مصادر المجلسي في البحار وسماه «المزار».

كانت منه نسخة مكتوبة في حياة المؤلف وفي آخرها ورقة عليها تعاليق في خزانة السيد علي آل طاووس كما ذكر في كتابه: محاسبة النفس: ٢٢. وسماه «مناسك الزيارات» منه نسخة مخطوطة في آستان قدس تاريخها ٩٥٧ هـ.

أما نسخة جامعة طهران فهي ليست مزار المفيد وان سماها ناسخها كذلك لأن فيها نقولاً عن كتبٍ متأخرة عن عصر المفيد.

١٤٢ ــ المزورون عن معاني الاخبار:

النجاشي: ٢٨٥.

مسار الشيعة:

(يراجع التواريخ الشرعية) في حرف التاء.

١٤٣ ــ مسألة في الاجماع:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٦/٢٦٩ (وسماها: حجية الاجماع).

١٤٤ ــ مسألة في الإرادة:

النجاشي: ٢٨٤.

وفي كنز الفوائد: ٢٦ ــ ٢٨ كلام للمفيد في الارادة، لعله مقتبس من هذه الرسالة.

١٤٥ ــ مسألة في الأصلح:

النجاشي: ٢٨٤.

١٤٦ ــ مسألة في انشقاق القمر وتكليم الذراع:

النجاشي: ٢٨٧.

١٤٧ ــ مسألة في البلوغ:

النجاشي: ٢٨٦.

١٤٨ ــ مسألة في تحريم ذبائح أهل الكتاب:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٠/٤ (وسماها: الذبيحة).

من مصادر المجلسي في بحاره، وسماها (رسالة ذبائح أهل الكتاب).

١٤٩ ــ مسألة في تخصيص الأيام:

النجاشي: ٢٨٦، ولعل كلمة «الأيام» تصحيف «الامام» كما في مجمع الرجال: ٦/١٣٦.

١٥٠ ــ مسألة في خبر مارية:

النجاشي: ٢٨٦. طبعت ضمن المجموعة الخامسة من نفائس المخطوطات ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ. باسم (رسالة فيما أشكل من خبر مارية القبطية) ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة مجلس بطهران باسم «حديث مارية القبطية» كما في فهرستها: ٧/١٠٤.

١٥١ ــ مسألة في رجوع الشمس:

النجاشي: ٢٨٧.

١٥٢ ـ مسألة في سبب استتار الحجة:

نشرت في النجف عام ١٩٧٠ هـ في (٤) صفحات ضمن مجموع رسائل المفيد في الغيبة.

١٥٣ ـ مسألة في العترة:

النجاشي: ٢٨٦، وسمي في مجمع الرجال: ٣٦/٦ «مسألة في العتق».

١٥٤ ـ مسألة في عصمة الأنبياء:

كانت منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع صغير في خزانة السيد علي آل طاووس ونقل عنه في كتابه الاقبال: ٤٤.

١٥٥ ـ مسألة في غيبة الحجة وفوائدها:

طبعت في النجف سنة ١٣٧٠ هـ ضمن مجموع رسائل المفيد في الغيبة.

١٥٦ ـ مسألة في قول المطلقات:

النجاشي: ٢٨٦.

١٥٧ ـ مسألة في القياس ـ مختصر ـ:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ٢٢١/١٧ (وسماها كتاب القياس، مختصر).

١٥٨ ـ مسألة فيما روته العامة:

النجاشي: ٢٨٦.

١٥٩ ـ مسألة في المسح على الرجلين:

النجاشي: ٢٨٤. من مصادر المجلسي في بحاره، وسماها: رسالة وجوب المسح. الطهراني بسامراء، وأخرى بمكتبة مجلس منها نسخة مخطوطة بمكتبة الطهراني بسامراء.

١٦٠ ـ مسألة في المعراج:

النجاشي: ٢٨٧.

١٦١ ـ مسألة في معرفة النبي (ص) بالكتابة:

النجاشي: ٢٨٧ ومعالم: ١٠٢ (وسماها: رسالة في كتابة النبي عليه السلام).

١٦٢ ـ مسألة في معنى قول النبي (ص): أصحابي كالنجوم:

النجاشي: ٢٨٦.

١٦٣ ـ مسألة في معنى قوله (ص): اني مخلف فيكم الثقلين:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٩٠/٣ (وسماها: شرح حديث اني مخلّف.. الخ.

١٦٤ ـ مسألة فيمن مات ولم يعرف امام زمانه:

طبعت في النجف سنة ١٣٧٠ هـ في (٥) صفحات ضمن مجموع رسائل المفيد في الغيبة.

١٦٥ ـ مسألة في المواريث:

النجاشي: ٢٨٧ ومعالم: ١٠٢ (وسماها: مختصر الفرائض) والذريعة: ١٤٧/١٦ (وسماها: الفرائض).

كانت منها نسخة مخطوطة في خزانة الحاج علي محمد بالنجف.

١٦٦ ـ مسألة في ميراث النبي (ص):

النجاشي: ٢٨٦، وأظنها هي المطبوعة بالنجف في (٣) صفحات باسم «رسالة في تحقيق الخبر المنسوب إلى النبي (ص): نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

وفي مكتبة مجلس بطهران كما في فهرستها: ١٠٥/٧ رسالة مخطوطة للمفيد باسم «حديث نحن معاشر الأنبياء» ولعلها هذه الرسالة.

١٦٧ ـ مسألة في النص الجلي:

النجاشي: ٢٨٦ والذريعة: ١٧٧/٥ (وسماها جواب الباقلاني) وفهرست مكتبة مجلس: ٦٥/٧.

وهي جواب على سؤال القاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ. طبعت في نفائس المخطوطات /المجموعة الخامسة/ بغداد ١٣٧٥ هـ. منها نسخة مخطوطة بمكتبة الطهراني بسامراء، وأخرى بمكتبة مجلس بطهران.

١٦٨ ـ مسألة في نكاح الكتابيات:

النجاشي: ٢٨٤. وكانت منه نسخة مخطوطة بمكتبة السماوي بالنجف.

١٦٩ ـ مسألة في وجوب الجنة:

النجاشي: ٢٨٧.

١٧٠ ـ مسألة في الوكالة:

النجاشي: ٢٨٧.

١٧١ ـ مسألة محمد بن الخضر الفارسي:

النجاشي: ٢٨٦.

١٧٢ ـ مسألة الجنبلية:

النجاشي: ٢٨٦.

١٧٣ ـ المسألة على الزيدية:

النجاشي: ٢٨٥ والذريعة: ٢٠٠/١٠ (وسماها: الرد على الزيدية).

١٧٤ ـ المسألة في أقضى الصحابة:

النجاشي: ٢٨٦، وسماها في مجمع الرجال: ٣٦/٦ «جوابات المسألة في أقضى الصحابة» كما سماها في الذريعة ٢٧٣/٢ «أقضى الصحابة».

١٧٥ ـ المسألة الكافية في ابطال توبة الخاطئة:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ (وسماها: «المسألة الكافية في تفسيق الفرقة الخاطئة» والذريعة: ٣٢٣/١١ (وسماها: الرسالة الكافية... الخ و٢٤٨/١٧ (وسماها: الكافئة في ابطال... الخ).

نسخة منها كانت في خزانة الفوري بالنجف وأخرى بالهند. من

مصادر المجلسي في البحار.

١٧٦ ـ المسألة المقنعة في امامة أمير المؤمنين (ع):

النجاشي: ٢٨٧ ومعالم: ١٠١ (وسماها: المقنعة في اثبات النص).

١٧٧ ـ المسألة الموضحة عن أسباب نكاح أمير المؤمنين (ع):

النجاشي: ٢٨٥. من مصادر المجلسي في بحاره، وسماها (رسالة في تزويج أمير المؤمنين) ولعلها بعض المسألة العاشرة من جوابات المسائل السروية.

١٧٨ ـ المسألة الموضحة في تزويج عثمان:

النجاشي: ٢٨٦.

ولعلها بعض المسألة العاشرة من جوابات المسائل السروية.

١٧٩ ـ مسائل أهل الخلاف:

النجاشي: ٢٨٤.

١٨٠ ـ مسائل الزيدية:

النجاشي: ٢٨٦.
ولعلها «مسائل الجارودية» المطبوعة بالنجف.

١٨١ ـ مسائل النظم:

النجاشي: ٢٨٤.

المسائل الحاجبية:

هكذا سميت في هدية العارفين: ٢/٦٦، ومرت في حرف الجيم باسم «جوابات أبي الليث الأواني».

١٨٢ ـ المسائل الحرانية:

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٥/٢١٩ (وسماها: جوابات المسائل الحرانية).

١٨٣ ـ المسائل الصاغانية:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ والذريعة ٥/٢٢٥ (باسم: جوابات المسائل الصاغانيات) و ١٥/٤ وفهرست مكتبة مجلس: ٧/٦٦.

طبعت في النجف سنة ١٣٧٠ هـ في (٦٣) صفحة. منها نسخة مخطوطة بمكتبة الطهراني بسامراء وأخرى بمكتبة مجلس بطهران.

وقد كتب المفيد ذيلاً للمسائل الصاغانية سمي في معالم العلماء: ١٠١ (الشيخ الضال، فيه جوابات عشر مسائل) وسمي في الذريعة: ٤/١٩١ (التشنيعات) وفي ١١/١٤٨ (رسالة التشنيعات). وطبع الذيل ملحقاً بالأصل السابق.

١٨٤ ـ المسائل العشرة في الغيبة:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠١ (باسم: الأجوبة عن المسائل العشر) والذريعة: ٥/٢٢٨ (باسم: جوابات المسائل العشر) و ١٦/٢٤١ (باسم: الفصول العشرة).

كتبها المفيد بين سنتي ٤١٠ ـ ٤١١ هـ كما في ص ٥ و ٢٢ منها.

طبعت في النجف سنة ١٣٧٠ هـ في (٣٨) صفحة باسم (الفصول العشرة في الغيبة).

منها نسخة مخطوطة في القرن (١١) الهجري في مكتبة الامام أمير المؤمنين في النجف، وأخرى بمكتبة مجلس بطهران.

١٨٥ ـ المسائل الواردة عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفارسي المقيم بالمشهد بالنوبندجان:

وهو غير «النوبندجاني» المار الذكر في حرف الجيم.

النجاشي: ٢٨٧ والذريعة: ٢/٦٣ (باسم: الأسئلة النوبندجانية) و ٥/٢٤٠ (باسم: جوابات المسائل النوبندجانية).

١٨٦ ـ المسائل الواردة من خوزستان:

معالم: ١٠١.

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠١.

١٨٧ ـ مصابيح النور في أوائل الشهور:

ذكره مؤلفه في كتابه تصحيح الاعتقاد: ٧٠ وكتابه جوابات المسائل السروية: ٥٨. وهو من مصادر السيد علي آل طاووس في الاقبال: ٦ و ٦٢٣.

١٨٨ ـ مقابس الأنوار في الرد على أهل الأخبار:

النجاشي: ٢٨٦.

١٨٩ ـ مقالة في الرد على البهشمية:

رأيت منها نسخة بخزانة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بالنجف..

١٩٠ ـ مناسك الحج:

النجاشي: ٢٨٤.

١٩١ ـ مناسك الحج العملية:

النجاشي: ٢٨٧ ونص ما فيه «مناسك الحج، عمد» وقرأها بعض الباحثين «العملية».

١٩٢ ـ مناسك الحج ـ المختصر ـ:

النجاشي: ٢٨٤.

١٩٣ ـ المنير في الامامة:

الطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١ (باسم: المبين).

١٩٤ ـ الموجز في المتعة:

النجاشي: ٢٨٤.

ولعله خلاصة الايجاز المار الذكر في حرف الخاء.

١٩٥ ـ الموضح في (الوعد) والوعيد:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠١.

ذكره مؤلفه في كتابه جوابات المسائل السروية: ٦٦.

١٩٦ ـ مولد النبي (ص) والأوصياء (ع):

كانت معه نسخة لدى السيد علي آل طاووس وذكر انه غير كتاب الارشاد ونقل نصوصاً منه في الاقبال: ٥٩٨ وفرج المهموم: ٢٢٤ والملهوف: ٢٨.

ـ حرف النون ـ

١٩٧ ـ النصر في فضل القرآن:

النجاشي: ٢٨٥.

١٩٨ ـ النصرة لسيد العترة:

النجاشي: ٢٨٧ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١.

١٩٩ ـ النصوص:

من مصادر المجلسي في بحاره.

٢٠٠ ـ نقض الامامة على جعفر بن حرب:

النجاشي: ٢٨٥.

٢٠١ ـ نقض فضيلة المعتزلة:

النجاشي: ٢٨٤.

٢٠٢ ـ نقض المروانية:

النجاشي: ٢٨٤ وفيه «بغض» وهو تصحف.

٢٠٣ ـ النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي:

النجاشي: ٢٨٧.

٢٠٤ ـ النقض على ابن عباد في الامامة:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١.

٢٠٥ ـ النقض على أبي عبد الله البصري:

النجاشي: ٢٨٤.

٢٠٦ ـ النقض على البلخي:

وهي خمس عشرة مسألة.

النجاشي: ٢٨٥.

٢٠٧ ـ النقض على الجاحظ في فضيلة المعتزلة:

النجاشي: ٢٨٧، وفي المطبوع منه سقط أضفناه من مجمع الرجال: ٦/٣٧.

٢٠٨ ـ النقض على الطلحي في الغيبة:

النجاشي: ٢٨٥.

٢٠٩ ـ النقض على علي بن عيسى الرماني:

النجاشي: ٢٨٤ والطوسي: ١٥٨ ومعالم: ١٠١.

٢١٠ ـ النقض على غلام البحراني:

النجاشي: ٢٨٦.

٢١١ ـ النقض على النصيبي:

النجاشي: ٢٨٦.

٢١٢ ـ النقض على الواسطي:

النجاشي: ٢٨٥.

٢١٣ ـ النكت في مقدمات الأصول:

النجاشي: ٢٨٤ ومعالم: ١٠٢ والذريعة: ١٨/٦٤ (باسم: الكشف في مقدمات الأصول وهو تصحيف) وبروكلمان: ٣/٣٥٠ وفهرست جامعة طهران: ٣/٥٣١ ومجلة معهد المخطوطات: ٤/٢٣١.

طبع ببغداد سنة ١٣٤٣ هـ باسم «النكت الاعتقادية» كما طبعت له ترجمة فارسية بطهران سنة ١٣٢٤ هـ ش.

كانت منه نسخة مخطوطة بمكتبة السماوي ومنه الآن نسخة أخرى مخطوطة بجامعة طهران.

٢١٤ ـ نهج البيان عن سبيل الايمان:

النجاشي: ٢٨٧ ومعالم: ١٠١ (وفيه: إلى سبيل الايمان).

٢١٥ ـ نهج الحق:

كانت منه نسخة بخزانة السيد علي آل طاووس ونقل عنه في كتابه اليقين: ١٧٤.

ـ حرف الهاء ـ

٢١٦ ـ الهداية في الفقه:

طبعت منسوبة اليه ضمن موسوعة الجوامع الفقهية في ايران سنة ١٢٧٦ هـ.

محمد هاشم بن محمد سميع الجنيدي الشيرازي:

فاضل مشارك في العلوم مشتغل بالهيئة والفلك، من أعلام أوائل القرن الثاني عشر وكان يقيم بمدينة شيراز.

له «معرفة التقويم»[1].

محمد هاشم بن نصر الله النوري:

من رجال القرن الثالث عشر فاضل جليل أديب حسن الانشاء بالفارسية، أقام ستة أشهر بالنجف الاشرف ملازماً للشيخ مرتضى الأنصاري مستفيداً منه.

له «زاد المسافرين»[2].

الدكتور محمد مصدق:

ولد في ٢٩ أيار من سنة ١٨٨٢م في طهران. والده ميرزا هدايت آشتياني كان وزيراً للمالية في عهد ناصر الدين شاه ومن دعاة التجدد وأعوان ميرزا تقي خان (أمير كبير)، ووالدته ملك تاج خانم نجم السلطنة من حفيدات عباس ميرزا ولي عهد بهادر قاجار.

بعد اتمام دراسته الابتدائية والمتوسطة وبعد وفاة والده سنة ١٨٩٢ عين وزيراً للمالية في منطقة خراسان وكانت هذه الوظيفة من المناصب العالية في وزارة المالية آنذاك إذ كانت وزارة المالية المركزية في العاصمة تعين وزيراً لها في كل منطقة، ومن وظائف هذا الوزير مراجعة كل الأمور المالية واعداد الميزانية السنوية لمنطقته ولم يكن يشترط قبل الثورة الدستورية سناً معينة لتوظيف الأشخاص، لذلك كانت السلطة تنصب أبناء كبار المسؤولين في مناصب عالية تكريماً لهم سواء كان ذلك في

(١) السيد أحمد الحسيني.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

حياتهم أو بعد مماتهم وإذا كان الموظف صغير السن وعمره لا يسمح له بادارة المنصب يتكفله والده أو شخص آخر حتى يتقدم به العمر ويستلم الوظيفة بنفسه. وفي بادىء الأمر خصص معاون للدكتور محمد مصدق ليساعده في منصبه الجديد ولكن بعد أيام قليلة أصبح من البارعين في هذا المجال كما شهد له أستاذه، وصار من أفضل وزراء المالية في تلك الأيام وكان الجميع يتحدثون عن أمانته وحسن ادارته في الوزارة. ولم تمض أيام حتى جذبته السياسة ومال الى الأفكار التي مهدت للثورة الدستورية، ولذلك استقال من منصبه الذي توارثه عن أبيه وأجداده، وبعيداً عن كل المسؤوليات الحكومية تفرغ للسياسة على أيدي أساتيذ المدرسة السياسية الحديثة من أمثال الشيخ محمد علي كاشاني وعبد الرزاق خان بغايري وميرزا غلام حسين خان راهنما وميرزا جواد خان قريب وغيرهم.

انضم مصدق إلى الوطنيين الأحرار أيام الثورة الدستورية وانتخب في المجلس النيابي بعد الثورة نائباً عن مدينة اصفهان، ولكنه رفض تولي النيابة لأن عمره كان يوم ذاك أقل من ثلاثين عاماً وكان هذا العمر شرطاً للنيابة فرأى بأن من يخالف القانون ويدخل المجلس نائباً لا يستطيع أن يكون مخلصاً في سن القوانين وطلب تطبيقها، ويكون أسوأ مثال لمخالفي القوانين مع العلم انه كان في المجلس نواب لم يبلغوا الثلاثين من أعمارهم.

بعد الثورة:

وقد رأى أنه لا بد لانتظام الحياة الدستورية من تشكيل الأحزاب السياسية، فعمل جاهداً في هذا السبيل.

وفي اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٩٠٧ وقد مضى على انتصار الثورة الدستورية عام واحد وقّع مصدق على وثيقة الانضمام إلى حزب الانسانية (جامع آدميت)، وبذلك بدأ حياته السياسية في ظل الحرية، متعهداً بأن يحافظ على حقوق الانسانية في كل مكان ما دام حياً. ولكنه لم يلبث بعد مدة أن خرج من هذا الحزب بعد أن استبانت له بعض الأمور فيه.

وبعد سقوط الثورة الدستورية الأولى توارى مصدق عن الأنظار وكان هناك احتمال كبير في اغتياله وأشير عليه باللجوء إلى السفارة البريطانية فرفض ذلك. ثم قرر السفر إلى باريس لاتمام دراسته العليا وهناك درس لمدة سنتين في مدرسة العلوم السياسية. ولكنه بسبب المرض والحاجة للاستراحة رجع إلى إيران.

وبعد مدة عاد إلى أوروبا وبدأ بدراسة الحقوق في مدينة «نوشاتل» في سويسرا ونال الدكتوراه في الحقوق قبل الحرب العالمية الأولى وبعد اتمام فترة التدرب على العمل حصل على اجازة التفويض القضائي من مركز المفوضين في نوشاتل ثم رجع إلى إيران. وبطلب من الدكتور ولي الله خان نصر رئيس مدرسة العلوم السياسية بدأ عمله كأستاذ في المدرسة وفي هذه الأثناء ألف كتاب القانون للمحاكم الحقوقية لتدريسه في هذه المدرسة كبداية للتحول والتطور في الهيئة القضائية الجديدة في ايران التي تأسست بالارادة القوية للوطنيين الأحرار بعد وصول خبر إلغاء (الكابيتولاسيون Capitulation) أي حق التقاضي القنصلي لدولة في دولة أخرى، وكان مفروضاً على تركيا وايران. وظلت ايران ترزح بحمله.

ولبيان حقيقة هذا الأمر وما فيه من ظلم، ولتوعية الشعب لفهم حقيقته ألف مصدق في تشرين الأول سنة ١٩١٤ كتاباً باسم (الكابيتولاسيون وايران) تمهيداً لالغاء هذا القانون بعد ذلك.

ولانماء الوضع الاقتصادي في ايران الذي كان أحد أهداف الثورة الدستورية وبطلب من بعض التجار الذين كانوا يرغبون في العمل الجماعي عن طريق انشاء الشركات التجارية وكانوا يحتاجون إلى بعض الارشادات لأعمالهم ألف كتاباً بعنوان (الشركات التجارية في أوروبا).

كان الدكتور مصدق يقضي أكثر أوقاته في المطالعة والتحقيقات العلمية وكان يسعى لبذل كل ما لديه من علم للشعب الايراني وفي هذا المضمون تعاون مع الحاج ميرزا يحيى دولة ابادي وغيره من المثقفين الذين درسوا خارج ايران لتحرير مجلة العلوم، وصدر منها خمسة عشر عدداً فقط، وكانت هذه المجلة من حيث المحتوى والتنوع أحد أنجح النشريات العلمية بعد الثورة الدستورية.

وفي سنة ١٩١٧ تولى منصب معاون وزير المالية ورئيس دائرة المحاسبات وبقي في هذا المنصب حتى سنة ١٩١٨.

وفي هذه الأثناء وفي وجود معاونين غير مخلصين في الوزارة ممن كانوا يتنقلون من وزارة إلى أخرى لمصلحتهم الشخصية، عمل الدكتور مصدق معاوناً مخلصاً وكانت له خطوات مؤثرة في ارقاء المسائل المالية والوقوف بحزم واصرار ضد المشاريع الاستعمارية. ثم عين وزيراً للعدل في وزارة مشير الدولة ولكن بطلب من أهالي منطقة فارس إلى مشير الدولة الذي عرف كقائد وطني آنذاك عين مصدق حاكماً لمنطقة فارس وبقي في منصبه هذا حتى الثالث من آذار ١٩٢٠، وخلال هذه المدة كان مصدق في نزاع دائم مع ٣٥٠٠ شخص من الشرطة السرية في جنوب ايران الذي كان يسيطر عليه الاستعمار البريطاني. وهذه القوة العسكرية التي كانت بامرة الضباط البريطانيين هي احدى عوامل معاهدة ١٩١٩ وهنا سعى مصدق بكل طاقاته لاسترداد حقوق الشعب والغاء الشكل الرسمي لهذه القوة العسكرية.

ثم حدث ما جعله يقدم استقالته من مصبه، وفي اليوم الثاني من نيسان عام ١٩٢١ بعث الملك أحمد شاه بجواب إلى مصدق عن استقالته:

تمت الموافقة من رئيس الوزراء على استقالتك لذلك يجب تحويل كل أمور المنطقة الى قوام الملك، وتحرك فوراً.

ــ الشاه ــ

بعد ان تمت الموافقة على استقالته، خرج مصدق من شيراز وعندما كان قرب اصفهان بلغه القرار الذي صدر بتوقيفه لذلك بقي في منطقة «چهار محل بختياري» عند آل بختياري الى ان سقطت وزارة السيد ضياء الدين الطباطبائي. ثم عين وزيراً للمالية في الوزارة الجديدة ولكن لوجود المستشار البريطاني للوزارة الضابط «اسحبت» لم يقبل بهذا المنصب لعدة شهور إلى أن ذهب المستشار البريطاني ووافقت رئاسة الوزراء على كل الشروط التي وضعها لاصلاح وزارة المالية. كان مشير الدولة رئيساً للوزراء آنذاك، وكان يعلم بأن الأوضاع الداخلية

لأذربيجان لا يمكن ان تتحسن إلاّ بمساعدة رجل مثل مصدق ولذلك طلب اليه أن يستلم منصب حاكم آذربيجان، فقبل مصدق هذا المنصب بشرط أن يوضع الجيش تحت تصرفه.

تحرك مصدق نحو آذربيجان وتسلم منصبه في ٢٨ شباط ١٩٢١. وكان القليلون هم الذين يعتقدون بأن مصدقاً سوف ينجح في هذا المنصب، وكان هناك اعتقاد بأن الدولة أعطته هذا المنصب لتخرجه من دائرة الساسية بعد فشله في مهمته، والدليل على ذلك أنه بعد وصول أخبار سيطرة مصدق على الأوضاع في آذربيجان في أواخر حزيران ١٩٢٢ أي بعد عدة شهور من وصوله إلى آذربيجان أصدر وزير الدفاع أوامره إلى الجيش في آذربيجان بعدم اطاعة أوامر مصدق. واستقال مصدق من منصبه فوراً، وعاد إلى طهران في يوم ٢٠ تموز ١٩٢٢. وفي حزيران ١٩٢٣ عين مصدق وزيراً للخارجية في وزارة مشير الدولة وبقي في هذا المنصب حتى تشرين الأول ١٩٢٣. وفي هذه المدة القصيرة وقف بعزم واصرار وبكل قواه أمام المطالب التوسعية للاستعمار البريطاني، فاستطاع مثلاً أن يمنع سيطرة بريطانيا على بعض الجزر الايرانية مثل: أبو موسى والشيخ شعيب. وكذلك امتنع عن دفع مبالغ طائلة كانت الحكومة البريطانية تطالب بها كمبالغ دفعتها للحفاظ على الأمن في جنوب ايران. وفي الحقيقة كانت هذه المبالغ تدفع على المنافع البريطانية في جنوبي ايران لمقاومة المنافسين لها على هذه المنطقة ولضرب كل من كان وجوده خطراً على بريطانيا داخل ايران وبعد ذلك تطالب الدولة البريطانية بهذه المبالغ باسم مبالغ دفعت من أجل حفظ الأمن داخل ايران. ثم استقالت وزارة مشير الدولة فلم يدخل مصدق الوزارة الجديدة. وفي الدورة الخامسة للمجلس النيابي انتخب نائباً عن مدينة طهران.

الاعتقال والسجن:

بعد انتهاء الدورة السادسة للمجلس سافر مصدق الى منطقة أحمد آباد لأنه كان يعلم بأن الحكومة الجديدة سوف تنتقم منه بسبب الأعمال الوطنية التي قام بها خلال الفترة الرابعة والخامسة للمجلس لا سيما ضد الاحتلال البريطاني وبقي هناك حتى عام ١٩٣٦ حيث عمل في الزراعة. وفي هذه السنة ذهب إلى مدينة برلين للمعالجة، ثم رجع إلى ايران بعد شهر وفي اليوم الخامس من تموز عام ١٩٤٠ كان في طهران فاعتقل بأمر من رئيس الشرطة وأحيل للمحاكمة، وبعد المحاكمة الصورية بُعث مصدق إلى سجن (بير جند) وسجن هناك الى اليوم الحادي عشر في تشرين الثاني عام ١٩٤٠ ومع مرضه الشديد في السجن منعت عنه الزيارات كما منعت عنه الجرائد والمجلات وبعد سجن بير جند، سجن في سجن أحمد آباد الى يوم ٣٠ أيلول ١٩٤١ حيث اجتاحت الجيوش الانكليزية والروسية في الحرب العالمية الثانية ايران وأسقطت الدكتاتورية الحاكمة. فبقي مصدق في مدينة أحمد آباد إلى أن انتخب من قبل أهالي طهران نائباً للمجلس للدورة الرابعة عشرة من آذار ١٩٤٢.

بدأ الدكتور مصدق أعماله في المجلس وكان لديه برنامج يتألف من ثلاث قواعد: تجديد واصلاح قانون الانتخابات، مقاومة السرقة والاختلاسات في الدولة، سياسة الموازنة السلبية.

كانت الشركات الأميركية النفطية تسعى للحصول على مكاسب وامتيازات داخل ايران فالمباحثات التي كانت تجرى سببت قلقاً وخوفاً عند الناس وفي نفس الوقت الذي بدأ مصدق وأعوانه الاستعداد لمقاومة تلك المساعي والعمل لعدم اعطاء أي امتياز لأمريكا داخل ايران، دخل الاتحاد السوفياتي على الخط وطالب أيضاً بامتيازات لدولته. ولكن مصدق الذي كان يمانع باعطاء أي نوع من الامتيازات الى الدول الأجنبية استطاع تصويب قانون يسمى بقانون تحريم الامتيازات النفطية أن يهدىء من قلق الشعب وخوفه على المنابع الاقتصادية ويعتبر هذا العمل لمصدق من الأعمال التي تدور في أصل سياسة الموازنة السلبية في مقابل سياسة الموازنة الايجابية فالأولى كانت تحفظ الاستقلال لايران والثانية كانت تزيد من مطامع الاستعمار ونفوذه داخل ايران.

بعد ذلك وفي اطار بحث علمي معتمد على الأرقام ودلائل من شركات النفط الايرانية، استطاع مصدق أن يشرح أضرار معاهده ١٩٣٣ بين ايران وشركة نفطية بريطانية وكذلك تمديد هذه المعاهدة من ١٩٦١ إلى ١٩٩٣ ونستطيع هنا القول بأن هذه الحوادث كانت في الحقيقة أساس تأميم النفط في ايران. بدأ مصدق في اليوم الثاني والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٤٩ بالاتفاق مع عدد من النواب وفريق من رجال الشعب والجبهة الوطنية التي كانت قد تأسست حديثاً بالاضراب العام الذي استطاع من خلاله أن يلغي انتخابات الدورة السادسة عشرة لطهران، وفي الانتخابات الثانية انتخب أكثر النواب من الجبهة الوطنية ودخل هو نفسه إلى المجلس مرة ثانية نائباً عن طهران وبعد ذلك أصبح عضواً ثم رئيساً للجنة الثروة النفطية التي كانت مهمتها دراسة أمور الثروة النفطية ثم تقديم خلاصة عن هذه الدراسة الى المجلس. وفي هذه الدورة أيضاً شكّل مصدق حزب الوطن مع نواب الجبهة الوطنية واستطاع من خلاله بدء مناهضة حكومة (رزم آرا) ولصيانة حرية الشعب وضع قضية تأميم النفط على رأس قائمة أعمال الجبهة الوطنية وحزب الوطن وفي يوم ٢٤ آذار عام ١٩٥٠ استطاع أن يحمل المجلس على سن قانون التأميم ثم أصبح هذا القانون نافذاً في يوم ٢٩ آذار ١٩٥٠ بعد أن وافق عليه مجلس الشيوخ.

بعد اغتيال رزم آرا تسلم «حسين علاء» منصب رئاسة الوزراء ومُهدت الطريق لرجوع السيد ضياء الدين الطباطبائي إلى رئاسة الوزراء. وفي اليوم التالي تحققت تكهنات مصدق فاستقال حسين علاء من منصب رئاسة الوزراء، والنواب الذين كانوا يعتقدون بأن مصدق سوف لا يقبل منصب رئاسة الوزراء كما فعل في الدورة الرابعة عشرة مهدوا الطريق لدخول السيد ضياء الدين معركة الانتخابات ولكن مصدق قبل منصب رئاسة الوزراء بشرط واحد هو المصادقة على تنفيذ قانون تأميم النفط. والشرط الذي وضعه مصدق لم يكن شرطاً غير قابل للاجراء، بحكم قوة الشعب وقوة الثورة الوطنية. فتمت المصادقة على القانون المذكور في اليوم السابع من أيار في المجلس النيابي وفي اليوم العاشر في مجلس الشيوخ. وفي اليوم الثاني عشر من أيار قدم الدكتور مصدق أعضاء وزارته إلى مجلس النواب وطرح لهم برنامجه الأساسي:

١ ــ تنفيذ قانون تأميم النفط على جميع الأراضي الايرانية وتخصيص

الأموال العائدة منه لانماء الاقتصاد في الدولة.

٢ ـ اصلاح قانون الانتخابات للمجلس النيابي ومجالس البلديات.

وفي حزيران ١٩٥١ عين مصدق الهيئة الادارية الموقتة لشركة النفط وأمرها بقطع كامل علاقتها مع شركة نفط الجنوب الاستعمارية، وفي يوم ٢٩ من حزيران ١٩٥١ تم قطع العلاقات الكاملة مع هذه الشركة.

وفي يوم الخميس الموافق الرابع عشر من تشرين الأول، كان من المقرر أن يشرح مصدق داخل المجلس علل قانون اخراج الأجانب من المناطق النفطية في ايران. فحضر الجلسة ٦٥ نائباً، ولكن لوجود معارضة من بعض النواب وعدم حضورهم ألغيت الجلسة، وهنا أمر مصدق بفتح الباب الكبير للمجلس فخرج هو وألقى خطاباً أمام جمع كبير من أبناء الشعب الذين أتوا لتأييده فقال:

«أيها الشعب أنتم الحاضرون في المجلس هذا اليوم الذين يريدون الخير والرفاه لوطنهم في الوقت الذي يوجد هناك أشخاص يخالفون الحرية والاستقلال فلم يحضروا اليوم إلى هنا».

ثم واصل خطابه أمام الجماهير التي تجمعت في ميدان بهارستان وأوضح لهم بأن الشعب سوف لا يترك المجلس إذا قصّر في أعماله وكذلك لن يتركه وحيداً إذا مضى في طريق مقاومة الاستعمار والمحافظة على الاستقلال.

وبعد تقديم بريطانيا شكوى على ايران في مجلس الأمن ذهب مصدق للدفاع عن حقوق الشعب الايراني، واستطاع أن يفند الدعاوى البريطانية وأن يحول القضية إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي.

وفي شباط عام ١٩٥٢ أعلن مصدق اغلاق القنصليات البريطانية ومراكزها الثقافية في ايران وهي التي كانت قد تحولت إلى مراكز تعمل خلاف مصلحة الشعب وتبث الشائعات والفساد في البلاد. وفي حزيران ١٩٥٢ ذهب مصدق إلى محكمة لاهاي وقدم ١٨١ دليلاً على التجاوزات والتدخلات البريطانية في الشؤون الايرانية. وفي هذه الأثناء أوقفت الدورة السابعة عشرة للمجلس بتدخلات الجيش ومنع الشعب من ابداء رأيه ولكن لوجود العدد الكافي من النواب الوطنيين افتتح الدكتور مصدق الدورة السابعة عشرة بعد رجوعه الى ايران ثم بعد ذلك قدم استقالته. ومرة ثانية وباجماع رأي النواب، انتخب مصدق رئيساً للوزراء ولكن لعدم التمكن من تشكيل الهيئة الوزارية بحرية، قدم استقالته. وفي غياب أربعين نائباً انتخب ثلاثون نائباً قوام السلطنة رئيساً للوزراء وبعد ثورة الثلاثين من تموز التي قام بها الشعب لمعارضة قوام السلطنة استقال قوام السلطنة. وفي اليوم الواحد والثلاثين من تموز رجع الدكتور مصدق منتصراً إلى المجلس. وفي اليوم الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩٥٢، قطعت حكومة الدكتور مصدق علاقتها السياسية مع بريطانيا.

وفي ٢٥ كانون الأول ١٩٥٢ أعلن المجلس تأميم شركة الاتصالات ومراكز صيد الأسماك في المدن الايرانية.

في هذه الأثناء كانت تحاك مؤامرات كثيرة لاسقاط حكومة مصدق داخل ايران وخارجها ومنع الاستعمار توزيع النفط الايراني في كل مكان. ثم كانت المؤامرة الفاشلة لقتل مصدق في اليوم التاسع من آذار ١٩٥٢ وبعد ذلك ومن خلال مؤامرة جديدة قتل رئيس الشرطة في حكومة مصدق بعد خطفه. وأخيراً وبعد كل هذه المؤامرات وبعد ثمانية وعشرين شهراً من تشكيل حكومة الدكتور مصدق الوطنية ومن خلال مؤامرة عملت على تنفيذها أجهزة الاستخبارات الأميركية والبريطانية سقطت الحكومة. وفي يوم ٢٨ آب ١٩٥٣ حكمت المحكمة العسكرية على مصدق بالسجن لمدة ثلاث سنوات. وبعد هذه السنوات الثلاث التي قضاها مصدق في سجن «سلطنة آباد» «لشكردوزرهي» أبعد الى مدينة أحمد آباد وبقي هناك تحت المراقبة الشديدة. ولأسباب مرضية كان يعاني منها رجل التاريخ الدكتور مصدق في الفم والفك العلوي ولعدم وجود أطباء متخصصين في منطقة أحمد آباد تمت الموافقة على نقله إلى مستشفى في طهران على أن يظل تحت المراقبة الشديدة وكان يمنع من مقابلة الناس. وبعد الفحوصات التي أجراها في المستشفى تبين انه مصاب بنوع من السرطان ولأنه لم تكن اقامته في المستشفى ضرورية، انتقل الى بيت ابنه في طهران ولكنه ظل سجين البيت فلم يكن يخرج منه إلا للذهاب الى المستشفى مع ابنه وأحد موظفي جهاز المخابرات لاجراء الفحوصات. ولم يمض وقت كثير وبسبب النزيف الداخلي الشديد مات مصدق في يوم الأحد الواقع فيه الرابع عشر من آذار عام ١٩٦٦.

وقد كان لاعلان تأميم النفط الايراني صدى عظيم في البلاد العربية التي مجّدت مصدقاً كل التمجيد بلسان صحافتها وكتابها وشعرائها. وعندما مر مصدق في مصر بطريقه إلى أوروبا للدفاع عن قضية بلاده، قوبل في القاهرة بحفاوة شعبية بالغة. ومن الشعر الذي عبّر عن ضمير الشعوب العربية يومذاك ما نظمه الشاعر عبد الكريم الدجيلي الذي قال من قصيدة:

قارع فلست يداً تغل
الرأي رأيك لا يفل

هذي الأمور تعقدت
وبغير فكرك لا تحل

وبغير رأيك لا يو
قع ساعد إلا الأشل

انى وجدت واين كنت
ففيك يرتفع المحل

والحكم معقود عليك
وهل له بسواك ظل

وبرزت في رهط ويك
شر عندك العدد الأقل

وقطعت كفا طالما
كادت وكانت تستغل

وهززت من تلك الجمو
ع قنا وكادت تستذل

الشعر من معناك ينظم
بل وانت المستهل

ومن الطريف أن بعض العرب كان يلفظ كلمة (مصدق) بلفظ اسم الفاعل، أي بكسر الدال المشددة، وبعضهم كان يلفظها بلفظ اسم المفعول أي بفتح الدال ومنهم هذا الشاعر الذي قال:

حدث فأنت مصدق
فحديث مثلك لا يمل

وفي تلك الأيام صدف أن أقيم احتفال كبير في النجف لمناسبة اقامة الباب الذهبي الذي أهداه جماعة من الايرانيين لمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ألقيت فيه الخطب النثرية والقصائد الشعرية، فمما ألقي قصيدة للعالم الشاعر الشيخ عبد المهدي مطر قال فيها مخاطباً أمير المؤمنين (ع):

جاءتك فارس باسم الباب يجذبها
لك الولاء على شوق فتنجذب
إن يبعدوا عنك بالأوطان نائية
فكم لهم قربات باسمها قربوا
هم في المحاريب أشباح مقوسة
وفي الحروب ليوث غابها أشب
المرجعون بحد السيف (نفطهم)
والقاذفون وراء البحر من غصبوا
سيموا الهوان وإذ نادى (مصدقهم)
هبت به وثبات الليث إذ يثب
فهاج بحر ولكن العباب دم
وساد ليل ولكن فجره الغضب

الدكتور محمد مصدق

ـ٢ـ

تأميم البترول

شركة النفط الايرانية البريطانية التي كانت محمية من قبل السياسة الامبريالية لبريطانيا كانت تنهب المنابع النفطية في ايران، هذه المنابع التي كانت تتعلق بملايين من الشعب الفقير الذي لا يكاد يملك لقمة عيشه. كانت هذه الشركة في الظاهر شركة نفط ايرانية ـ بريطانية ولكن في الحقيقة كانت شركة نفط بريطانية استغلالية تعتقد بأنها المالك الوحيد للنفط الايراني وفي النتيجة كانت تملك ايران ومن في ايران.

وقد بلغ الأمر بهذه الشركة إلى انها حذفت كلمة ايران من المنتوجات النفطية ووضعت علامتها هي فقط «B.P.» أي النفط البريطاني».

وفي هذا الجو الخانق المظلم، دعا الدكتور مصدق وبعض نواب المجلس النيابي من أعوانه في الدورة الخامسة عشرة للمجلس عدداً من رؤساء تحرير الصحف للمساعدة في ايجاد نوع من الحرية لانتخابات الدورة السادسة القادمة.

وقد لبى الدعوة كل من: جلالي نائيني مدير جريدة «كشور» وعباس خليلي مدير جريدة «اقدام»، والمهندس زيرك زاده مدير جريدة «جبهة» وعميد نوري مدير جريدة «داد»، والدكتور حسين فاطمي مدير جريدة «باختر امروز» وأحمد ملكي مدير جريدة «ستاره» وعقدوا اجتماعاً قرروا فيه الاعتصام في بيت السلطنة حتى تتحقق أهدافهم في تأمين الحرية للناس في الادلاء بأصواتهم في انتخابات الدورة السادسة عشرة للمجلس، وشاركهم الاعتصام، بعض نواب المجلس بينهم الدكتور محمد مصدق، وصحفيون آخرون. وكان المعتصمون هم: الدكتور محمد مصدق، آية الله غروسي، مشار اعظم، محمود آيتي، حايري زاده، الدكتور شايكان، الدكتور بقائي حسن صدر، عباس خليلي، عميدي نوري، ارسلان خلعتبري، شمس الدين أمير علائي، المهندس زيرك زاده، الدكتور سنجابي، الدكتور كاوياني، عبد القدير آزاد، أحمد ملكي، جلالي نائيني، الدكتور فاطمي، حسين ملكي.

هذا الاعتصام يعتبر من انتصارات الدكتور مصدق في ابتداء الدورة الجديدة. وبذلك أمكن أن يصل الى المجلس في دورته السادسة عشرة أعضاء أقوياء.

الجبهة الوطنية

الأشخاص الذين كانوا يمتلكون الارادة والتصميم القوي، والذين اتحدوا وأبدوا استعدادهم للتضحية في سبيل الحرية، قرروا أن يجدوا اسماً لحركتهم وحزبهم وبعد التشاور الطويل اختاروا اسم الجبهة الوطنية. وهكذا تأسست نواة هذه الجبهة بزعامة الدكتور محمد مصدق في سنة ١٩٤٩ م ثم خرج منها بعد حين كل من عميدي نوري وعباس خليلي ودخل فيها مكانهما اللهيار صالح وأمير تيمور كلالي وكانت السياسة التي اتبعتها هذه النواة للوصول الى الحرية والاستقلال جذبت الأحزاب الأخرى في ايران اليها وبعد اتحاد هذه الأحزاب تأسست الجبهة الوطنية الايرانية، تلك الجبهة التي كانت عقبة كبرى أمام السياسة التوسعية للغرب في ايران. وفي اليوم الأول من تشرين الثاني عام ١٩٤٩ اجتمع التسعة عشر شخصاً الذين تحصنوا في بيت السلطنة عند الدكتور محمد مصدق واتخذوا القرارات التالية:

١ ـ تسمية هذا التجمع باسم الجبهة الوطنية.

٢ ـ تشكيل لجنة مؤلفة من السادة: مشار أعظم، والدكتور شايكان، ونديمان، وأمير علائي، والدكتور سنجابي لاعداد نظام ومنهج للجبهة.

التأميـــم

في عام ١٩٠١ م أي قبل خمس سنوات من استقرار الحكومة الدستورية في ايران أعطى مظفر الدين شاه صلاحيات التنقيب عن النفط واستخراجه في جميع مناطق ايران عدا خمس مناطق شمالية (خراسان، كيلان، مازندران، آذربيجان، گرگان) إلى المهندس البريطاني وليام ناكس دارسي وكانت مدة العقد ستين سنة وتعهد وليام في مقابل هذه الصلاحيات ان يعطي مقدار ١٦٪ من المشتقات النفطية الخالصة إلى الدولة الايرانية وفي اليوم الخامس من حزيران ١٩٠٨ وصل العاملون في حقل بئر مسجد سليمان وبدأ تصدير النفط منذ العام ١٩١٣. معاهدة دارسيّ هذه، ألغيت بعد ذلك من رضا شاه وانتهى الالغاء الى توقيع معاهدة جديدة في اليوم السابع من حزيران ١٩٣٣ اضافت مدة ٣٢ عاماً على مدة المعاهدة الأولى التي كانت ستنتهي عام ١٩٦١.

وكان التقدم الاقتصادي في الدول الأجنبية آنذاك يحتاج إلى النفط،

ولذلك كانت أهمية النفط تزداد يوماً بعد يوم وكانت عيون المستعمرين في العالم تتجه إلى النفط الايراني. ومع سقوط دكتاتورية رضا شاه أخذت الاعتراضات من قبل الشعب مجرى آخر، وبدأت صرخات الحرية تنطلق على الاستعمار من فم الدكتور مصدق في المجلس الرابع عشر. وبدأ الدكتور مصدق بتحدي الأعمال الاستغلالية والنفوذ الاستعماري داخل المجلس. وفي اليوم الحادي عشر من كانون الأول ١٩٤٤ استطاع مصدق أن يحصل في المجلس على تصديق قانون منع اعطاء الأجانب الامتيازات النفطية داخل ايران. ويوماً بعد يوم كانت حركة تحرير المنابع النفطية تزداد داخل المجلس وكان المستعمرون يحاولون كل يوم أن يقمعوا هذه الحركة. ومع تنامي هذه النهضة داخل المجلس، صادق المجلس على قانون يتضمن بأن على الحكومة أن تجري استفتاء على جميع الأعمال التي تؤثر على الحقوق الوطنية للشعب كالنفط وغيره من الثروات الوطنية.

وبتوسع النهضة الشعبية في وجه الاستعمار مع بدء الانتخابات للدورة السادسة عشرة للمجلس، بدأ مصدق نضالاً جديداً فانه واعوانه أخذوا يعترضون على سير الانتخابات للدورة السادسة عشرة ولهذا السبب بدأ الاضراب عن الطعام في تشرين الأول ١٩٤٩. وبعد الغاء الانتخابات الأولى جرت انتخابات ثانية في آذار ١٩٤٩ ومن هذه الانتخابات دخل مصدق واعوانه إلى المجلس. وفي هذه الدورة شكلت لجنة المراقبة على قوانين النفط وترأسها مصدق نفسه.

ولمقاومة ما يجري عملت الامبريالية البريطانية وعملاؤها في الداخل على اختيار (رزم آرا) رئيساً للوزراء وكان أملهم برئيس الوزراء الجديد أن يساعدهم على انهاء قضية المعاهدة الملحقة بمعاهدة النفط البريطانية التي كان يقوم بها الوطنيون وعلى رأسهم مصدق. وبعد الدراسة والتحقيق اللذين أجرتها لجنة مراقبة قوانين النفط على هذه المعاهدة الإلحاقية أعلنت معارضتها ورفضها لهذه المعاهدة وبسبب هذه المعارضة طرحت قضية تأميم النفط من قبل النواب الوطنيين في المجلس وبعدما رأى رزم آرا رئيس الوزراء الجديد المعارضة الشديدة من النواب الوطنيين وعلى رأسهم مصدق وكذلك المعارضة الشعبية ولأجل ايقاف البحث في موضوع تأميم النفط داخل المجلس عمل على سحب المعاهدة الملحقة ووعد بمشروع جديد يحفظ حقوق الشعب والثروة النفطية وهذا المشروع كان يقرر تقسيم العوائد النفطية بنسبة مناصفة بين الدولة وبين شركة النفط البريطانية وكانت قضية تأميم النفط على لسان كل ايراني وكان هذا يعطي قدرة أكبر للوطنيين للاستمرار في العمل لتحرير الثروة النفطية من أيدي المستعمرين البريطانيين. وفي اليوم السادس عشر من آذار ١٩٥٠ اغتيل رئيس الوزراء رزم آرا على يد خليل طهماسبي فاختير حسين علاء خلفاً له، وكانت فترة رئاسة الأخير متزامنة ــ على قصرها ــ مع اضطرابات واضرابات عمال شركة النفط واحداث العنف التي وقعت في الشركة بين الانجليز والايرانيين. ولم تستمر فترة رئاسته أكثر من أربعين يوماً، حتى اضطر الشاه الى القبول بالدكتور محمد مصدق رئيساً للوزراء لشعبيته الكبيرة بين الناس ولكونه من أبرز المعارضين في البرلمان.

وقد أوصل النضال البرلماني مصدق الى رئاسة الوزراء قبل أن توصله الطبقية الاجتماعية الى ذلك، حيث كان يمارس نشاطه السياسي، طوال ثلاثين عاماً، بعيداً عن طبقة الوجهاء والأعيان. وكثيراً ما كانت نشاطاته وآراؤه الليبرالية تفرق بينه وبين رفاق دربه وأصحابه.

وقد يسّر له انتسابه الى طبقة الأعيان الوصول الى مناصب عليا في الدولة في سن التاسعة والعشرين من عمره ــ كما ذكرنا من قبل ــ حيث تنقل في حكم ثلاث ولايات هي خراسان وآذربيجان وفارس، ثم أصبح وزيراً لعدة مرات قبل مجيء الحكم البهلوي. وإنتخب عضواً في البرلمان لست دورات، كان طوالها موضع تأييد الناس الذين لم يروا منه ما لا يرضيهم.

وقد دعت مواقفه وتضحياته البعض الى اتهامه بخداع الشعب، على الرغم من كل ما عاناه من سنوات نفي، واعتقال لمرتين في عهد رضا شاه.

ولم يحدث مطلقاً أن ناصر أو تعاون مع الشاه البهلوي، خلافاً للشخصيات الأخرى من أعيان القاجارية، وقد خلق من نفسه شخصية كانت من أفضل وأطهر أفراد طبقة الأعيان. وكان يقف إلى جانب السيد حسن المدرس ــ في الدورة الرابعة للمجلس ــ في مخالفته للسلطة البهلوية. وقد أمضى فترة حكم رضا شاه بين نفي ومراقبة الشرطة.

عكف فترة من الزمن على دراسة الأمور الحقوقية المتعلقه بامتياز نفط الجنوب، وما لبث أن اتخذ من هذا الامتياز محوراً لنشاطاته السياسية.

ولم يمض على حوادث ايران وقت طويل، حتى تمخضت عن (مدرس) آخر هو السيد أبو القاسم الكاشاني. وكان مصدق وثيق الصلة به منذ عودته من منفاه في لبنان.

وإذا كان السيد الكاشاني قد رفض الانتساب الى الجبهة الوطنية، فقد كان مؤثراً في قراراتها أكثر من أي عضو آخر، وكان ــ بالاضافة إلى ذلك ــ من أبرز المؤثرين في ايصال مصدق الى رئاسة الوزراء.

وكان اتحاد مصدق والكاشاني، اتحاداً على بريطانيا، التي كانت مصالحها الاستعمارية أكبر عامل في منع ايران من تجاوز الواقع المتخلّف الذي تعيشه. وقد كان مصدق يدرك أن بريطانيا هي المسؤولة عن جميع المفاسد والمآسي المخيمة على البلاد في زمن ما بعد المشروطة. وفي رأيه أن الحضور الأمريكي في الساحة السياسية العالمية يمثل الوسيلة الأفضل بالنسبة لبلدان العالم الثالث للتخلص من نير الاستعمار والمعاهدات الاستعمارية، ومن ثم كان ميالاً ــ خطأ ــ إلى الخط الأمريكي ومتفائلاً به. وكان يرغب في استثمار النفط لرفع المستوى المعاشي للشعب وايصال الايرانيين إلى ركب التحضر العالمي.

ومن جانب آخر كان السيد الكاشاني معادياً لبريطانيا، فقد اشترك وأبوه في قتال الانكليز في العراق. وقد دفعه عداؤه لبريطانيا ــ أثناء الحرب العامة الثانية إلى التنسيق مع مفتي فلسطين؛ وإلى تأييد رشيد عالي الگيلاني. وكان ذلك مبرراً لاعتقاله من القوات الانجليزية المحتلة، فكان حديثه الذي لا ينقطع هو مهاجمة بريطانيا المستعمرة.

وبعد عودته من منفاه في لبنان، اتخذ ــ بدفع من مصدق ــ من موضوع النفط، منطلقاً لنضال الحكومة الانجليزية المستعمرة. فقد كان

يرى أن النفط ــ إذا ما انتزع من الهيمنة البريطانية ــ ينبغي أن يستثمر في رفع المستوى المعاشي للشعب الايراني، ودعم المسلمين في قتال أعدائهم، ومنهم اسرائيل.

وهكذا كان وصول مصدق إلى رئاسة الوزارة، ثمرة لسعي وجهاد الاثنين معاً (مصدق والكاشاني). وقد أدركت بريطانيا بخبرتها أن أية محاولة للوقوف بوجه تأميم النفط الايراني سيكتب لها الفشل ما لم يُفرِّق بين هذين الرجلين. إذ كان السيد الكاشاني يتمتع بدعم الجماهير، رغم أن الكثير من علماء الدين يرمونه بالتوغل في السياسة أكثر من الحد اللازم. وقد كانت الآلاف من مرتدي الأكفان يتوجهون لنصرة مصدق باشارة منه. وأما مصدق فقد كان يتمتع بدعم جميع دعاة الحرية المستقلين من الشباب وطلاب الجامعات والمعلمين والمثقفين والطبقة المتوسطة. وكان هؤلاء الأنصار وأولئك يجعلون من اتحاد الرجلين (مصدق والكاشاني) اتحاداً قوياً لا يهزم.

وفي اليوم التالي من تنصيبه رئيساً للوزراء، ذهب مصدق إلى منزل السيد الكاشاني، ولم يتجاوز في زيارته حدود المجاملات ولم يتحدث مع السيد الكاشاني حول أعضاء حكومته. ولم يطرح الكاشاني أسماء للحقائب الوزارية، واكتفى بقول حسين مكي له: «بالتأكيد سيكون الوزراء ممن ترتضونهم ولكن اجتماع رؤساء الجبهة الوطنية، عصر ذلك اليوم لم ينته بمثل تلك البساطة، حيث كان عبد القدير آزاد يطالب بتشكيل «حكومة الجبهة الوطنية» وأن يكون لكل حزب من أعضاء الجبهة وزيران، وقد برهن بمطالبته هذه أن مناصرته لمصدق لم تكن إلا لتوسم رئاسة الوزراء فيه، وعندما احتدم النقاش، ترك عبد القدير آزاد الاجتماع، وفي نفس الوقت ترك الجبهة الوطنية، وانضم الى صفوف معارضي الحكومة. وأعلن مصدق انه لن يكون عضواً في الجبهة الوطنية، ما دام في منصب رئاسة الوزراء.

وكان الدكتور مصدق مطمئناً لمناصرة الشعب له، ويدرك تماماً أن السياسة الخارجية لأمريكا التي تقضي بانتزاع الهيمنة على البترول الايراني من الحكومة الانجليزية، ستكون الى جانبه. ومن ثم فهو غير مجبر على مراعاة آراء هذا الشخص أو ذاك، وأما مراعاته للسيد الكاشاني فقد كانت استثناء في هذا المجال. ومن جانب آخر لم يجد هو ولا الكاشاني سبباً مقنعاً للوقوف بوجه الشاه وبلاطه.

وقد بنى مصدق أساس سياسته الداخلية على الشعب الايراني، وأساس سياسته الخارجية على الصداقة مع أمريكا والاعتماد عليها، وكان يولي التنافس بين أمريكا والاستعمار الأوروبي (وهو بريطانيا هنا) اهتماماً كبيراً. وكان ذلك دافعاً لأن يقف أعضاء حزب توده بوجهه، لاتباعهم الاتحاد السوفياتي من جهة، ولكونهم يرون في أمريكا القوة الرأسمالية الكبرى والعدو الأكبر للشيوعية.

ولم يكن مصدق ــ في بداية رئاسته ــ يفكر بشيء أكثر من تفكيره بالنفط. اذ كانت نشاطات شركة النفط الانجليزية وأعمالها تظهر أنها نهبت من ثروات الشعب الايراني مقادير هائلة طوال نصف القرن الذي مرّ على استخراج النفط من ايران، فقد أظهرت الاحصاءات ــ التي تصغر أحياناً ــ ان شركة النفط الانجليزية استخرجت خلال هذه الفترة ٣٢٦ مليون طن من النفط، ولم تدفع إلى إيران من ثمنه سوى ١٠٥ ملايين ليرة، في مقابل ٧٩٠ مليون ليرة صرفتها إلى المساهمين في الشركة وإلى الحكومة البريطانية بالاضافة إلى ما أنفقته على مؤسساتها الخاصة.

وفي رأي الدكتور مصدق، أن الأهم من كل هذا النهب، هو ما تقوم به بريطانيا من تدخل في شؤون الحكومة الايرانية والشعب الايراني، وقد كان يعلم أن بريطانيا قامت ــ منذ اكتشاف النفط في ايران ــ بجلب العديد من الحكومات ثم الإطاحة بها، حتى كان الانقلاب الأخير الذي أوقع الشعب الايراني في قبضة دكتاتورية رضا شاه لعشرين سنة.

وكان مصدق يرغب أن يتمكن ــ في آخر عمره ــ من تقويض دعائم هذا البناء البغيض، وكان يرى لزاماً عليه في ذلك أن يستفيد من القوة الأمريكية، ومداراة البلاط الشاهنشاهي اضافة إلى الإستعانة بتأييد ودعم السيد الكاشاني. ومن ثم وضع الاستفادة من الطاقات الشعبية على رأس الأولويات التي ستباشرها حكومته.

وفي بداية حكومته، لم يكن هناك أحد يعارضه أو يعاديه سوى أنصار بريطانيا، وحزب توده الذي استقبله استقبالاً عدائياً قاسياً، قالوا فيه: «الوطني هو موضع يكمن خلفه خادعو الشعب واللصوص، وناهبو الثروات وعملاء الاستعمار الوضعاء والطفيليون والحشرات القذرة التي دأبها التخريب والتحريض وتشويش الأذهان وتعكير النفوس والاضطرابات وايجاد المفاسد والحط من قدر المناضلين في طريق الحرية. وعقل الوطني ناقص، وفكره قصير ومنطقه ضعيف، ولسانه ألكن ودموعه لا تنضب، ومائدته عامرة، وسريره مريح، وقصره شامخ، وأمواله دون حساب، ومؤامراته لا تنقضي.. هذه هي خصال الوطني!»

ولم يكن الوطنيون يستحقون هذه الشتائم لا سيما وأن مطلقيها كانوا هم أكثر الناس تملقاً لقوام السلطنة، ومناصرة لرزم آرا. وكانت هجمات حزب توده على الحكومة التي ينتظرها الكثير من الجهد على سبيل مقارعة سلطة الأجنبي، كانت هذه الهجمات تحد من شعبية الحزب وتضيف إلى مصدق شعبية ونفوذاً.

كانت وزارة مصدق دليلاً على مدى ابتعاده عن اليساريين وميوله إلى اليمينيين، اضافة إلى كونها مؤشراً واضحاً على اعتماده الكبير على الدور الأمريكي الايجابي في حل مسألة النفط.

وقد شكّل وزارته من الوجوه المعروفة في الوزارات السابقة، التي كان هو والشعب يعارضانها باستمرار، ولم يستثن من ذلك سوى وزيرين هما أمير تيمور كلالي والدكتور كريم سنجابي اللذين بقيا وفيين له على الدوام. وقد انتقل هذان الاثنان من المجلس الى الحكومة. وجدير بالذكر أن مصدقاً تعرف الى أمير تيمور في الدورة الثالثة للمجلس نائباً عن مدينة مشهد ورئيساً لقبيلة (كلالي) وكان يمتدح نزاهة سياسته، أما كريم سنجابي فقد أعجبته شهامته ووقوفه ضد الانجليز، حين كان نائباً في المجلس.

ولعل أغرب الأمور التي شاهدها الناس في وزارة مصدق التي كان من المقرر لها أن تقف موقفاً متصلّباً بوجه تسلط الأجنبي هو وجود جواد

بوشهري ومحمد علي وارسته في وزارتي الطرق والمالية. فمن المفروض أن وزارة المالية تتحمل دوراً كبيراً في وزارة تحاول تأميم صناعة النفط، لكن وزيرها ـ في وزارة مصدق ـ هو شخص تنقل بين وزارات حكيم الملك ومنصور وعلاء. . وكان الناس يتساءلون فيما بينهم عن السبب الذي دعا مصدق لاختيار بوشهري الذي يرتبط بأواصر وثيقة مع بريطانيا. وقد تجاهل مصدق الانتقادات والتساؤلات بادىء الأمر، إلا انه عمد فيما بعد الى تغيير حكومته، وأدخل اليها وجوهاً جديدة، من أمثال صديقي وملكي ونريمان وطالقاني.

وبالرغم من ذلك، عرضت حكومة مصدق «قانون تأميم صناعة النفط» على المجلس، فأقره المجلس، وباشرت الحكومة بالتنفيذ. . . قامت في بريطانيا أزمة شديدة، وبادر السير فرانسيس شپرد ـ الذي كان مشغولاً بركوب الخيل مع الشاه وزوجته الجديدة ـ إلى مطالبة الشاه بعدم التوقيع على القرار. وحذّر السيد ضياء الشاه من مغبة العداء لبريطانيا. . ولكن الشاه كان لا يزال تحت تأثير وعد ووعيد السفير الأمريكي. . هذا من جانب، ومن جانب آخر: لم يكن يرى في نفسه القدرة على مواجهة الشعب.

وهرع أنصار بريطانيا إلى أشرف الأخت التوأم للشاه، التي حاكت العديد من المؤامرات ضد حكومتي رزم آرا وقوام على الرغم من الضغوط الأمريكية. . ولم تتوان أشرف عن الاستجابة لهم. ولكن مصدق لم ينظر إلى تحركاتها نظرة جدية، وتجاهل ـ بالاضافة الى ذلك ـ تحركات مجلس الشيوخ الايراني، في دورته الأولى.

وقبل أن يبلغ مصدق شركة النفط الانجليزية بقرار التأميم، أبلغ بالمؤامرات التي تحاك ضده، فحمل سريره وكتبه وأدويته الى المجلس وتحصن فيه، وأعلن من هناك أنه سيبقى في المجلس ـ لعدم وجود الأمن ـ حتى نهاية مسألة النفط.

ثم أُنتُخِبت لجنة مشتركة من نواب المجلسين ـ مجلس الشورى ومجلس الشيوخ ـ لغرض الاشراف على تطبيق القانون القاضي برفع يد بريطانيا عن النفط. وقد انتخب المجلسان أشخاصاً يرغب فيهم مصدق هم: شايكان ومعظمي ومكي واردلان واللهيار صالح من مجلس الشورى وبيات ومتين دفتري وشفق وسروري ونجم الملك من مجلس الشيوخ.

وكانت ردة الفعل الأمريكية الأولى على القرار، خدعة في الحقيقة لكونها كانت تتعرض آنذاك لضغوط بريطانية شديدة. فقد طلب ترومن من مصدق في رسالة بعث بها اليه أن لا يقدم على عمل من جانب واحد وأكّد له: «ان الشركات الأمريكية المجهزة بأحدث الأجهزة وأكثرها تطوراً لا ترغب في التعاون مع ايران، لقيامها بخطوة من جانب واحد»، ولكن السفير الأمريكي أكد لمصدق ـ في اجتماع خاص ـ الدعم الأمريكي لما يقوم به.

وفي لندن وواشنطن كانت تجري مباحثات مركزة وأحياناً حادة بين كبار الأخصائيين الأمريكان والانجليز في شؤون النفط. وكان ترومن يقصد برسالته أن يظهر لحليفه الأوروبي بأنه ليس عازماً على اخراجه من الساحة بالقوة. ولكنه كان في الواقع يحاول انتهاز فرصة وجود مصدق على رأس الحكومة في الحصول على أكبر امتيازات ممكنة. . ولم تكن تلك المباحثات هي الأولى بين الدولتين في هذا المجال. فقد حدث كثيراً أن اضطرت بريطانيا إلى التخلي عن بعض المناطق الخاضعة لها ارضاءً للرأسماليين الأمريكيين. . وكان ذلك ضريبة تدفعها الى القوة العظمى الجديدة منذ أن أصبحت هي قوة من الدرجة الثانية. . ولكنها كانت توحي إلى أمريكا ـ كلما أثارت قضية النفط الايراني ـ انها اذا كانت قد تخلّت عن نفط السعودية والبحرين والكويت فانها لن تتخلى عن النفط الايراني.

وقد أتى جواب مصدق الجدي لأمريكا، مخالفاً لتوقعات ترومن، إلا انه كان مناسباً لصد الحملات الدعائية التي كان رجال البلاط وحزب توده يروجون لها، ومفادها أن مصدق عميل لأمريكا. وكان هؤلاء لا يرغبون في أن ينفتح مصدق على العالم، خلافاً لما كان عليه السيد الكاشاني.

وكانت أنظار العالم مشدودة إلى طهران في ربيع عام ١٩٥١ م. لا سيما الدول التي كانت في صراع مع الاستعمار، أو نالت استقلالها ولا زالت تصارع الآثار التي خلفتها أيام الاستعمار.

وقدمت بريطانيا شكوى إلى محكمة لاهاي الدولية، وبعثت بوفد رفيع المستوى الى طهران، وتزامناً مع وصول الوفد بعث مصدق بالهيئة المشتركة من المجلسين إلى خوزستان للاشراف على تنفيذ القرار، في سبيل أن يثبت عدم استعداده للتفاوض حول أصل التأميم. . وكان الوضع حرجاً فأكد مصدق على أعضاء الهيئة أن يتجنبوا كل ما يعطي الذريعة لبريطانيا.

وكانت بيانات السيد الكاشاني مثمرة، فنشط موظفو وعمال صناعة النفط وأهالي خوزستان في احباط جميع المؤامرات. وقد بلغت حماسة الناس وعداؤهم للمتسلّطين الأجانب حداً أن لم يجد رجال البلاط بداً من ضمّ صوتهم الى صوت الشعب.

وارتفع علم ايران على أكبر مصفاة نفط في العالم دون أية حادثة. وفي آخر يوم من فصل الربيع، أعلن مصدق خبر تأميم النفط عبر المذياع، بعد فشل المباحثات التي دارت بينه وبين الوفد الانجليزي وعودة الأخير إلى بلاده دون نتيجة. وانتخبت اللجنة المؤقتة المشرفة على ادارة النفط المهندس مهدي بازرگان رئيساً لها بعد أن رفض الدكتور محمود حسابي رئاستها. وبازرگان هو أحد أعضاء البعثة الطلابية الأولى التي ذهبت إلى أوروبا في زمن رضا شاه. وقد بقي هذا الطالب محافظاً على التزاماته الدينية على الدوام. وما أن حلّ اليوم التالي حتى أنس عمال صناعة النفط وأهالي خوزستان بحديث هذا المهندس الهادىء الذي اعتاد أن يبدأ حديثه بآية من القرآن.

وتحرك الشعب. . ! وباشرت بريطانيا بتدبير المؤامرات بمساعدة رجال البلاط، في الوقت الذي حرصت أمريكا على التظاهر بالحياد في هذه المواجهة الحادة. واستطاعت بريطانيا أن تخضع لمراقبتها جميع الأمريكيين ورجال الدولة وأعضاء الجبهة الوطنية مستعينة في ذلك بعملائها. وكان الهدف الأول للمراقبة هو الأمريكي تورنبرك، الذي شغل ـ لسنين طوال ـ منصب مستشار شؤون النفط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومدير عدة شركات نفط كبرى في أمريكا، وكان

شديد العلاقة بالشرق الأوسط في زمن ما قبل الحرب العالمية الثانية فاستأجر جزيرة من شيخ البحرين واشتغل بالأعمال الزراعية وبعد الحرب عمل في مؤسسة التخطيط الايرانية مستشاراً لشؤون ما وراء البحار. وقد حصلت بريطانيا على معلومات عن تردده على زعماء الجبهة الوطنية. وكان الهدف الثاني للمراقبة هو السفير الأمريكي الدكتور گريدي، كانت بريطانيا مستاءة لاجتماعه المتكرر بمصدق وزياراته للسيد الكاشاني. ولم تكن لندن غافلة عن الشخص الذي يكمن وراء المساندة الأمريكية لمصدق الخبير الجيولوجي ومستشار العديد من شركات النفط الأمريكية جورج مك گي، الذي زار طهران قبل عام، والتقى فيها بمصدق، وهو ـ في غضون هذه الأحداث ـ يؤدي دوراً مهماً في مساعدة وزارة الخارجية الأمريكية، والتخطيط لسياسة واشنطن.

وكانت أحداث ذلك العام ساخنة ومتعاقبة، وقد أرسلت بريطانيا المدمرة «موريتوس» الى الخليج الفارسي، فدخلت الأحداث منعطفاً جديداً، وسار آلاف من لابسي الأكفان نحو خوزستان بعد أن تجمعوا من جميع أنحاء البلاد استجابة لدعوة السيد الكاشاني. وفي الوقت ذاته كانت اللجنة المشرفة على النفط تطالب السفن التي تحمّل بالنفط الايراني بتوقيع الفواتير ما دعا لندن لاصدار أوامرها إلى سفنها بتفريغ حمولتها من النفط والعودة أدراجها.

وقبل أسبوع من نظر محكمة لاهاي في شكوى بريطانيا، وصفت الصحف العالمية ارسال بريطانيا لأساطيلها الحربية الى المياه المجاورة لايران بانه: لعب بالنار.

وحتى الآن، كان مصدق قد أفلح في الحفاظ على هدوء الساحة الداخلية بمساعدة السيد الكاشاني، رغم كل التناقضات والمشاحنات، ولا تزال جميع المؤامرات التي تحيكها بريطانيا عديمة الجدوى. وفي غياب السفير البريطاني شغل ميدلتون منصب القائم بأعمال السفارة البريطانية. وقد قام هو و «زينهر» رئيس دائرة الصحافة والمعلومات في السفارة وبعض خبراء شركة النفط بزيارات سرية لأشرف وأم الشاه وأعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الشورى ومدراء الصحف، في سبيل تهيئة الأجواء لقلب الأوضاع، وكانت المساعي الحثيثة التي يقوم بها عملاء السفارة وشركة النفط تنصب على اختراق الجهاز القيادي في حكومة مصدق وسندها الرئيس السيد الكاشاني. وقد أفلحت هذه المساعي في بعض المواقع.

وكان ثمة مؤامرات من نوع آخر تجري فيما وراء البحار. فقد بدأت الصحف الانجليزية تروّج لشائعة ارسال المظليين الانجليز الى مناطق النفط الايرانية. ثم شن انطوني ايدن زعيم المحافظين في مجلس العوام البريطاني حملة قوية على حكومة العمال متهماً اياها بالاهمال في الحفاظ على المصالح الامبراطورية وطالبها بالردّ على الايرانيين ردّاً سريعاً وقاطعاً. وجاء جواب وزير خارجية الحكومة العمالية على ايدن يؤيد خبر ارسال المظليين بصورة أكثر عمقاً مما كتبته احدى الصحف الانجليزية والذي جاء فيه: «ان مثل هذا العمل (ارسال المظليين) يتضمن اعتداءً على بلد مستقل وصديق ومقابلة مع جيش مجهز بأسلحة أمريكية وخاضع لقيادة أمريكية».

وحتى وصول الشخصية الأمريكية المعروفة وممثل الرئيس الأمريكي ترومن (أورل هاريمن) الى طهران، تبادل مصدق والرئيس الأمريكي خمس رسائل تؤكّد كلها اصرار مصدق في طلبه من ترومن التوسط والتدخل في الأزمة بما يخدم المصالح الايرانية. وانطلقت أصوات المعارضة في المجلس بايحاء من ميدلتون، حيث شن كل من محمد علي شوشتري عضو مجلس الشورى ويمين اسفندياري وحيدي من مجلس الشيوخ حملات شديدة على حكومة مصدق.. وقد سبقت هذه الحملات وصول هاريمن.

وتزامناً مع وصول هاريمن، دخل حزب توده الساحة، فنظم مظاهرات واسعة بهذه المناسبة.. وجاءت هذه المظاهرات موافقة لرغبة معارضي الدولة من رجال البلاط وأنصار الانجليز. وهاجمت الدبابات والمصفحات المتظاهرين فسقط خمسون قتيلاً ومائتا جريح. وكان مصدق قد أصدر أوامره للقادة العسكريين بالامتناع عن اطلاق النار، فأدرك أن في الأمر مكيدة يقف وراءها حزب توده ورجال البلاط، فغضب وأمر بعزل اللواء شفائي من رئاسة الشرطة واحالته على المحكمة العسكرية. وبادر اللواء زاهدي إلى الاستقالة من منصب وزير الداخلية في خطوة للتقرب من البلاط والتودد الى الجيش.. وقد تفرغ بعد ذلك لتشكيل مجموعة مرتبطة بالبلاط ومعادية لمصدق.

وفي سفره الى طهران، اصطحب هاريمن ـ ضمن الهيئة المرافقة له ـ اخصائياً بشؤون النفط وخبيراً رفيع المستوى في الأمور الأمنية والمخابراتية. وفي الوقت الذي اهتم رجال الحكومة بهاريمن، اهتم البلاط وأشرف بالمباحثات مع الشخص الثاني. وهيأ هاريمن مصدقاً لتقبل نفس المقترحات التي قدمها «مك گي» في المؤتمر الثلاثي لوزراء الخارجية، خلال حكومة رزم آرا.

ومن جانب آخر سافر إلى لندن ثم عاد منها في محاولة لاقناعها بالقبول بالشرط الأساس الذي يتبناه مصدق وهو تأميم النفط. واستجابة لاقتراحه قدم وزير البلاط الانجليزي «استوكس» إلى طهران للتفاوض مع الحكومة الايرانية جنباً إلى جنب مع هاريمن. وأشاع حزب توده في الأوساط الشعبية أن مصدق سيقوم ببيع البلاد فيما وراء الكواليس.

وجرت بين المتفاوضين مباحثات حادة، كانت توحي بشيء من الأمل في بادىء الأمر، ثم ما لبثت أن وصلت إلى طريق مسدود، وقد تمحورت مقترحات استوكس الثمانية ـ وهي مماثلة لمقترحات هاريمن ومك گي ـ حول اعطاء شركة «الوكالة العاملة» الحق الرئيسي في شراء النفط الايراني. ولكن مصدق رفض اعطاء هذه الشركة مثل هذا الحق لصلاحياتها واسمها. بينما كان الأمريكيون يرون أن مصلحتهم تكمن في قبول الاقتراحات البريطانية ومن ثمّ كانوا مصرّين عليها.

ومع انتهاء وساطة هاريمن، قدم مصدق تقريره إلى المجلس وطلب منحه الثقة.. واضطر ضغط الرأي العام المؤيّد لمصدق العديد من نواب المجلس الى السكوت، ولكن منوجهر تيمور تاش تصدى للمعارضة، وبرر معارضته بقوله: «إذا كانت أمريكا لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمساعدتنا، فماذا نستطيع أن نفعل نحن لوحدنا.. أترانا نخضع لنير الشيوعية؟»، ومن جانب آخر نشط حزب تودة في حملاته على مصدق،

واصفاً اياه بـ (دلّال) النفط تارة، وعميل الامبريالية الأمريكية تارة أخرى.

وأخرج الخبراء الانجليز من ايران، وأعلنت الهيئة المشتركة عن المناقصة في بيع النفط. وأعلنت بريطانيا أن أي شخص يشتري النفط الايراني سيعرض على المحاكم.

واستعد الدكتور مصدق للسفر إلى الأمم المتحدة ليدافع بنفسه عن حقوق ايران، فكان يقصد من وراء ذلك، حث الرأي العام الأمريكي لمساندة المطالب الايرانية. وكان اجتماع الجمعية العامة في الأمم المتحدة أفضل وقت ومبرر لذلك. وبلغ مصدق مرامه، فقد ألقى كلمة حماسية ثائرة استقبلها الحاضرون بالترحيب الحار، لا سيما ممثلو الدول الصغيرة. وأقرت الجمعية العامة ــ على الرغم من معارضة بريطانيا ــ قراراً جاء فيه: «لن تنظر الجمعية العامة في شكوى بريطانيا، حتى تقر محكمة لاهاي سلامتها».

وفي اليوم التالي، سافر مصدق إلى واشنطن استجابة لدعوة ترومن. وبذل في مباحثاته في البيت الأبيض غاية جهده في حثّ القادة الأمريكان على مساندة ايران، واخافتهم من خطر الشيوعية. ووعد ترومن انه سينقذ ايران من الفقر الناتج عن وقف بيع النفط، وفقاً لما سيتوصل اليه خبراء شؤون الاقتصاد والنقد. وانصرف مصدق إلى العلاج في انتظار الحل، وأوكل أمر الاستمرار في المباحثات الى وزير الخارجية الأمريكية دين آجسن الذي زار مصدقاً في المستشفى. ثم أوكل إلى جورج مك گي بعد سفر مصدق إلى باريس وهو ما كان يتمناه مصدق وتخشاه بريطانيا.

وسرعان ما توصل مصدق ومك گي الى نتيجة اعتبرها مصدق قادرة على انقاذ تحركاته وانجاح مساعيه، فآثر ازدياد الفقر في ايران شدة بعد بداية التصدي للاستثمار الانجليزي، وافق مك گي على أن منح ايران مساعدات اقتصادية سيخفف من وطأة الصعوبات الجاثمة على الشعب الايراني، ويسهل على الحكومة الايرانية منح الامتيازات. ولكن العقبة الأساس التي كانت تواجه هذا الحل هو احتمال رفض بريطانيا ومعارضتها له. واتفق مصدق مع أمريكا على استلام ايران ثلاثة قروض من أمريكا هي كالآتي: ٨,٧٥ مليون دولار لسد حاجة ايران للعملة الصعبة، وقرض بمبلغ ٢٥ مليون دولار من مصرف الصادرات والواردات الأمريكية لتطوير المشاريع الزراعية وتعبيد وشق الطرق، والقرض الثالث بمبلغ ٢٣ مليون دولار لدعم المشاريع الانمائية، واعتبرت زيارة مصدق ناجحة اثر هذه القروض.

وفجأة هز طهران وواشنطن خبر بلغها مما وراء البحار، مفاده أن تشرتشل أصبح رئيساً لوزراء بريطانيا مرة أخرى، حيث أخرج الشعب البريطاني بطل الحرب وقائد المواقع التاريخة على هتلر، أخرجه من داره ليواجه حرباً أخرى. ودخل تشرتشل الساحة ليؤدي آخر خدمة للامبراطورية. وقد كانت حكومة العمال تواجه بنفرة من أمريكا بقدر ما تواجه بدعم من الاتحاد السوفياتي.

وجاء انتخاب تشرتشل موافقاً لرغبة أمريكا، ولما كانت تتمنى من الشعب البريطاني أن يفعله، وكان القضاء على مصدق وعلى حركته هو ما يريده الشعب البريطاني من تشرتشل. وراح مك گي ــ وهو أكبر نصير لمصدق في الحكومة الأمريكية، ضحية مقدم تشرتشل، حيث نقل الى السفارة الأمريكية في انقره في اليوم الثاني بعد انتهاء زيارة مصدق.

وسبقت الأخبار مصدقاً إلى طهران، وتحدث جمال امامي فأعرب عن اطمئنانه لخسارة مصدق في الانتخابات البريطانية، وكان حديثه غاية في الخشونة؛ اذ لم يدع لفظاً بذيئاً إلا واستعمله.

وباشر تشرتشل فى اعادة الأواصر مع أمريكا بعدما ضعفت في زمن حكومة العمال. . وهكذا أخذت آمال مصدق تتحول إلى يأس الواحدة تلو الأخرى.

وكان مصدق واثقاً من أن أياماً قاسية في انتظاره، فلم يكن له بدّ من الثبات، وكان لا بد للدولة ــ في سبيل ذلك ــ من الاستناد الى دعم الشعب، ليتسنى لها العمل بقوة.

العودة إلى سير الأحداث

ونعود بعد هذه التفاصيل الى سير الأحداث فنقول:

وفي النهاية وبعد حمل الشدائد انتصرت الارادة الشعبية وانتصر مصدق وأعوانه بعد أن تمت الموافقة في المجلس على دراسة تأميم النفط في اليوم الرابع عشر من آذار ١٩٥٠.

ولمعرفة جميع القوى الفعالة التي ساهمت في تأميم النفط، علينا أن نذكر حزب توده الشيوعي: في الدورة الرابعة عشرة عارض نواب هذا الحزب مصدق عندما أعلن عن قانون تحريم اعطاء الأجانب أي امتيازات أو صلاحيات للتنقيب على المصادر الطبيعية في البلاد. وفي الدورة العاشرة أعلنوا موافقتهم على قانون يعطي صلاحيات للروس للتنقيب على النفط الشمالي بينما عارض مصدق هذا القانون بشدة. وكانوا يعللون موافقتهم هذه بانه عندما يكون للانجليز صلاحيات في جنوبي ايران فلماذا لا تعطى صلاحيات للروس في شمال ايران كذلك.

الامبريالية الأميركية التي كانت تحاول لمدة طويلة الدخول في المنافسة مع البريطانيين والروس لنهب الخيرات النفطية داخل ايران، استفادت من احداث ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ فاستطاعت بمعاونة عملائها في الداخل أن تسيطر على بعض المؤسسات وبدأت بأخذ نصيبها من النفط الايراني.

كان حزب توده يعتقد بأن فكرة تأميم النفط ناجمة عن تضاد في سياسة الدول الامبريالية لذلك كان يرى بأن نهاية هذا الصراع سوف تكون لصالح احدى هذه الدول. ولهذا عارض مشروع تأميم النفط ورفع شعار الغاء صلاحيات الانجليز في الجنوب. وبعد تداول قانون التأميم بين هذه اليد وتلك اليد، وفي اليوم العاشر من أيار عام ١٩٥١ تم التصديق على القانون وفي اليوم الثالث عشر من أيار ١٩٥١ تم التصديق على قانون تنفيذ التأميم الذي كانت الموافقة عليه شرط مصدق لقبول منصب رئاسة الوزراء.

وكان امام مصدق طريق شاق بعد قبول منصب رئاسة الوزراء اذ كان عليه ان يتم اجراءات التأميم وان يواجه الامبريالية البريطانية وأعوانها في الداخل بعد هزيمتها في قضية التأميم وأن يواجهها كذلك في العالم كله لاثبات حق الشعب الايراني كما كان عليه أن يواجه

الامبريالية الأميركية الجديدة التي كانت تسعى للاستفادة من قانون تأميم النفط لصالحها، وكان عليه حل المشكلات الاقتصادية في البلاد مع العلم بأنه لم يكن من المستطاع الاتكال على موارد النفط وأخيراً كان عليه النضال ضد حزب توده الشيوعي الذي كان يخلق المشاكل دائماً لمصلحة الروس.

وفي اليوم التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٥١ تم قطع كل صلة بشركة النفط البريطانية بعد أن كانت بريطانية قد تقدمت في اليوم الرابع عشر من حزيران بشكوى على ايران في محكمة لاهاي الدولية.

وللاستفادة من النفط المؤمم بعثت أميركا المستشار هريمن للتباحث مع ايران، ولأنه لم تكن النية من تأميم النفط هي ابعاد مستعمر والاتيان بمستعمر آخر فشلت مهمة هريمن.

وبعدما رأت بريطانية التدخل الأميركي قبلت بموضوع تأميم النفط، وحل المشكلات بينها وبين ايران بعثت ميسيون استوكس الى ايران ولكن استوكس فشل أيضاً في مهمته وترك ايران بدون نتيجة. وبعد هذا الفشل تقدمت بريطانيا في تشرين الأول ١٩٥١ بشكوى في مجلس الأمن على ايران، وفي الوقت ذاته أخرج مصدق جميع المستشارين والتقنيين البريطانيين من ايران. وبعد تقديم الشكوى على ايران عملت بريطانيا على منع شراء النفط الايراني من الدول الأوروبية وبدأ الحصار الاقتصادي على ايران، وبعد ذلك بدأت بريطانيا بمساعدة عملائها بالدس في صفوف الوطنيين لضربهم.

يقول مصدق في احدى خطبه: بعد هذه المؤامرة: «... يوجد لبريطانيا عملاء في المجلس، ولبريطانيا عملاء في الدولة، ويوجد لبريطانيا عملاء في الجامعة، ويوجد لبريطانيا عملاء في البلاط الملكي، ولذلك يكون لبريطانيا عملاء في كل مكان» ومن جرّاء هذه المؤامرة عمل مصدق في الأول من شباط ١٩٥٢ على اغلاق القنصليات البريطانية في ايران وبهذا تكون محافل الجاسوسية البريطانية قد أغلقت. وفي شباط ١٩٥١ جرت الانتخابات للدورة السابعة عشرة وفي هذه الدورة استطاع عملاء الامبريالية والرجعيون آن يسيطروا على مقاعد كثيرة في المجلس.

انتفاضة الثلاثين من تموز

في اليوم السابع من حزيران سافر مصدق مع هيئة وزارية إلى لاهاي للدفاع عن حقوق الشعب الايراني أمام محكمة العدل الدولية وهناك في لاهاي استطاع أن يرفع الستار عن المؤامرات الاستعمارية للدولة البريطانية وشركة النفط التابعة لها. وعندما كان مصدق في لاهاي، عملت الدولة البريطانية على توقيف سفينة ايرانية حاملة للنفط كانت متوجهة الى ايطاليا في عدن للضغط على ايران اقتصادياً أو مثلما كانت الدولة البريطانية تقول: «سوف نصبر إلى أن يجبر الوضع الاقتصادي مصدق على الاستقالة وبعد ذلك تأتي حكومة جديدة نستطيع أن نتباحث معها بشأن القضية النفطية» وبعد رجوع مصدق من لاهاي في الرابع عشر من تموز أعلن المجلس النيابي عن استعداده لبدء انتخاب رئيس جديد للوزراء فكان على مصدق أن يستقيل من منصبه حتى يتم انتخاب رئيس وزراء جديد. وبعد المحاولات والمشاورات انتخب مصدق مرة أخرى، بأكثرية قليلة.

وفي اليوم الثاني والعشرين من تموز وفي جلسة للمجلس، طلب رئيس الوزراء من المجلس صلاحيات خاصة لمدة ستة شهور لاصلاح الأوضاع المالية، والاقتصادية، والقضائية وغيرها مما اعتبره أمراً ضرورياً فوافق عدد من النواب على هذه الصلاحيات ورفضها عدد آخر. وفي اليوم الخامس والعشرين من تموز وبعد لقاء دام ثلاث ساعات مع الشاه. قدم الدكتور مصدق استقالته من منصب رئاسة الوزراء وجاء في كتاب الاستقالة ما يلي: «في الخامس والعشرين من تموز بمحضر مبارك من الشاه أعلنت استناداً إلى التجارب السابقة اننا نعلم أن مصلحة البلاد في هذا الوقت الحساس تحتاج إلى أن تكون وزارة الدفاع بيد رئيس الوزراء أي بيدي شخصياً وهذا الأمر لا يوافق عليه الشاه. وكلنا نأمل بأن تكون الحكومة القادمة معتمدة كلياً من قبل الشاه وتستطيع أن تنفذ أوامره بالطريقة الصحيحة. وفي الوقت الحاضر ومع هذا الوضع الحساس ليست هناك أي امكانية لانهاء الانتفاضة الشعبية بالانتصار الذي كنا نأمله لهذه الحركة».

كان الدكتور مصدق يقول بأني أنا رئيس الوزراء واستناداً إلى الدستور يجب أن أعين أنا وزير الدفاع وأن أكون مشرفاً على أعمال الوزارة كلها. لذلك الوقت كان الشاه شخصياً هو الذي يعين وزير الدفاع وكانت الوزارة تنفذ أوامره هو وحده وهذا كان ليس بسبب عدم معرفة الحكومة بما يجري في الوزارة فحسب بل لم يكن لها أي سلطة على القادة العسكريين عامة وعلى أركان الجيش خاصة. وبسبب هذه الأوضاع استقال الدكتور مصدق من منصب رئاسة الوزراء.

وفي اليوم السادس والعشرين في تموز بضغط من الشاه صادق المجلس في غياب النواب الوطنيين على تكليف (قوام السلطنة) بمنصب رئاسة الوزراء وفي اليوم الثاني أعلنت موافقة الشاه على ذلك وأرجع إليه لقب جناب أشرف الذي كان قد سحب منه بعد حوادث منطقة آذربيجان وكان قوام السلطنة خارج ايران فرجع اليها لتسلم المنصب.

وكان اختيار قوام السلطنة للرئاسة قد تم ترتيبه في الخارج بتوافق أمريكي بريطاني، وفي هذا المضمون كتبت جريدة (پاري پرس الفرنسية) قبل عشرين يوماً من انتفاضة الثلاثين من تموز بأن المرشح الوحيد لدى بريطانيا وأميركا هو قوام السلطنة لأنه كما يعتقد الدبلوماسيون البريطانيون لا يوجد بعد سقوط مصدق من يستطيع أن يهدىء الانتفاضة الشعبية ويقمعها ويفتح علاقات جيدة مع الغرب سوى قوام السلطنة) وفي اليوم الذي كانت تجري فيه انتخابات رئاسة الوزراء (الخميس ٢٦/تموز/١٩٥٢) أصدر الحاكم العسكري الذي كان يعمل بأمرة الشاه، منشوراً شديد اللهجة لحفظ الأمن في البلاد وبعد ذلك دخل الجيش بدباباته وآلياته الشوارع وحاصر المجلس. وكان قوام السلطنة بعد تسلمه منصبه الجديد أصدر بياناً عنيفاً إلى الشعب توعد فيه بأيام سود اذا لم يطيعوا أوامره.

وجاء في بيان قوام السلطنة: «... أصاب ايران جرح عميق ولا تفيد الأدوية المسكنة في هذا الوقت... أنا في الوقت الذي أحترم وأقدر التعاليم الاسلامية لا أجمع الدين مع السياسة أبداً وسوف أقف بوجه نشر كل الخرافات والعقائد المزورة... الويل ثم الويل لمن يريد أن يعرقل أعمالي أو يريد أن يقف في طريقي أو يريد أن يخل بأمن

البلاد. . . ان مثل هؤلاء الأشخاص أقمعهم بشدة وسوف لا أرحمهم، حتى انه من الممكن أن أشكل بتصويت من المجلس محاكم ثورية ومن خلالها أعدم المئات يومياً وأحيل ايامهم إلى سواد. . . أنا أحذر جميع الشعب بأن أيام العصيان قد ذهبت وجاءت أيام الطاعة لأحكام وقوانين الحكومة. طهران ٢٧ من تموز ١٩٥٢ ــ رئيس الوزراء قوام السلطنة».

بعد انتخاب قوام السلطنة دعا ثلاثون من نواب المجلس الشعب الايراني إلى المقاومة والتصدي للحكومة الجديدة جاء في بيانهم: «ــ أيها الشعب الايراني لأجل اعلام الدول الأجنبية بأن هذه النهضة الوطنية ستستمر الى الهدف النهائي وهو الحرية والنجاة من ايادي المستعمرين نعلن عن اضراب عام في جميع ايران يوم الاثنين الثلاثين من تموز ١٩٥٢».

ورداً على بيان قوام السلطنة وفي لقاء صحفي قال السيد أبو القاسم الكاشاني: أيها الأخوة الأعزاء،

كان سعينا لقطع أيادي الكفر والاستعمار ومحو آثار الاستغلال من بلادنا لنعيش في حرية واستقلال، ولكن السياسة الاستعمارية ضربت هذه الحكومة وأسقطتها وهم يريدون أن ينصبوا شخصاً تربى في أحضان الديكتاتورية والاستغلالية وعمل بالظلم والجور، وقد اختبر مراراً وأصدرت المحكمة الشعبية حكمها بأعدامه وقطع حياته السياسية. يجب أن نعلم أحمد قوام بأن الشعب الذي تحمل الشدائد والمصائب وبذل دمه في سبيل الحرية، لا يهدد بالقتل العام والاختناق الفكري. . انني أطلب من الشعب المسلم بصورة صريحة أن يسير بطريق الجهاد ليثبت للمستعمرين بأن سعيهم إلى التسلّط على الحكم قد انتهى، وان الشعب الايراني المسلم لا يسمح أبداً للمستعمرين الأجانب أن يعبثوا باستقلاله وأن يبدلوا العزة والشرف الذين نالهما بنضاله المخلص إلى سقوط وذلة. . .» وكان الشعب الايراني وبمجرد اطلاعه على استقالة الدكتور مصدق بدأ الاضراب، وأكثر المحلات وقسم من السوق (البازار) أغلق أبوابه وبدأت التصادمات بين الشعب والشرطة. وكان العسكريون من مشاة وغير مشاة يضربون الناس بالهراوات لتفريقهم وكذلك شاركت القوة الجوية فكانت طائرات حربية تحوم حول المظاهرات وكذلك كان المجلس محاطاً بالدبابات. ولم تكن الاضطرابات والتظاهرات منحصرة في طهران فقد كتبت وكالة اسويتدپرش بأن تظاهرة شعبية ضخمة انطلقت في عبادان، وكذلك في جميع المدن الايرانية. ومن جهة ثانية فقد كان يصل من مختلف المدن الايرانية الى طهران عدد كبير من البرقيات التي تندد بحكومة قوام السلطنة وتدافع عن مصدق الى أن وصلت الحالة الى أن امتنعت وزارة المواصلات وخلافاً للدستور والقوانين الدولية عن توزيع البرقيات وايصالها إلى أصحابها.

وفي يوم ٢٨/تموز/١٩٥٢ طلب قوام السلطنة صلاحيات استثنائية من الشاه لقمع الانتفاضة الشعبية وفي اليوم التاسع والعشرين طلب من الشاه قبول استقالته أو حل المجلسين (النواب والشيوخ) ووعد الشاه بأنه إذا جرت الأمور نحو الأسوء ولم تهدأ الحالة فسوف يأمر بحل المجلسين وأمر قوام السلطنة أن يستفيد من الجيش لقمع الحركة الشعبية.

وفي هذا الوقت دعا حزب توده الذي لازم الصمت منذ اليوم السادس والعشرين من تموز اعلانه الى الالتحاق بالانتفاضة والقيام على قوام السلطنة. وبهذه الصورة استمرت الانتفاضة الدموية للشعب الايراني.

وتوسعت الانتفاضة واشتد النضال في طهران في اليوم التاسع والعشرين من تموز وازداد عدد الجرحى والقتلى، وازداد الوجود العسكري في الشوارع.

وصباح يوم الثلاثين من تموز، كانت مدينة طهران مضربة وجميع أبواب المحلات مغلقة، والجموع البشرية نساء ورجالاً في الشوارع المركزية في تظاهرات منظمة يهتفون بشعارات ضد الحكومة وكانت الشرطة والجيش متمركزين في مراكزهم ومتأهبين للمواجهة. وأول مواجهة حصلت في السابعة صباحاً عندما أصابت رصاصة ذراع شاب في سوق طهران، وبدأت الانتفاضة تتوسع لحظةً بلحظة.

ولم تكن الجموع البشرية العظيمة لتنكسر وكانت تتقدم في سيرها وهي تهتف في كل مكان: «الموت أو مصدق»، «مصدق هو المنتصر»، «الموت لقوام السلطنة». وحدثت صدامات بين الطلاب الجامعيين والجيش أمام درب الجامعة وبدأ الاشتباك باليد وجرح عدد من المشتبكين. وبعد هذا الاشتباك وصل الهاتفون بالنصر لمصدق الى ميدان بهارستان. وتجمعت الجموع البشرية التي كانت تلبس أكفاناً في ميدان بهارستان. وأصبح بهارستان وناصر خسرو وجميع الشوارع المركزية ميادين للشهادة. العسكريون المشاة والدبابات والآليات والشرطة كلهم كانوا يهجمون على الجماهير ويريقون دماءهم.

وكانت قعقعة الأسلحة تُسمع في كل مكان وتمتزج مع صيحات الانتصار لمصدق. وفي كل مرة كان الجيش يشن هجوماً على المتظاهرين كانت هناك اعداد من الشهداء يسقطون في دمائهم وفي نفس الوقت كانت الحشود المتجمعة في الشوارع تهاجم بالوسائل التي تملكها الجيش وأعوانه من السافاك. الجرحى في كل مكان، القتلى في كل مكان والدم يغطي أكثر الشوارع في بهارستان، واكباتان، وناصر خسرو وسوق طهران الكبير. لم تكن هذه الاشتباكات في طهران فقط بل في كل المناطق الايرانية حيث بدأ الناس بالمقاومة والتصدي للحكومة قبل أيام من ثورة الثلاثين من تموز. وجميع الشعب شارك في الاضراب وفي المقاومة، طهران، مشهد، عبادان، كرمان، شيراز، تبريز، كلما كان رصاص الجيش والسافاك يكثر على الشعب كانت حماسة الشعب تزداد بالخشب والحجر والأشياء الأخرى الخفيفة. لقد ثار الناس وانطلقوا نحو الشهادة.

مع تصاعد الثورة وقعت حالات كثيرة من التمرد والعصيان داخل الجيش فكان الضباط الشباب يمتنعون عن اصدار أوامرهم الى الجنود لضرب الشعب ومع الوقت أصبح هذا التمرد شائعاً في كل مكان. فبعد الشهداء والجرحى والدماء التي كانت منتشرة على الأرض لم يكن باستطاعة الجيش والشرطة اعطاء أوامر بضرب الشعب وإمطارهم بالرصاص. فانقسم الجيش وانقسمت الشرطة ولم يَعُد بامكانهم التصدي للشعب الذي كان يقاتل بأياديه. فتقدم الشعب ولحظة بعد

لحظة كان التقدم يزداد وفي النهاية انتصر الشعب وخسرت السلطة أمام اصرار الشعب ومقاومته.

فأصدرت الإذاعة بياناً يقيل قوام السلطنة من منصبه، ومرة ثانية ينتصر مصدق في ٣٠ من تموز ويرجع الى القدرة ليواصل نضاله مع الشعب المكافح.

وفي الساعة السابعة من بعد ظهر يوم الثلاثين من تموز بدأت حشود الشعب تذهب الى بيت الدكتور مصدق. قال الدكتور مصدق وهو يبكي «يا ليتني مت قبل أن أرى الشعب هذا اليوم في هذه المآتم» ثم قال «أيها الشعب أقولها بصراحة انكم لم تكونوا مستقلين أبداً قبل هذا اليوم ولكن بشجاعتكم وجهادكم استطعتم أن تُرجعوا استقلالكم اليكم...».

وفي يوم ٣١ تموز ١٩٥٢ لم يكن للجيش أو الشرطة أثر في الشوارع، لأنه لم تكن لديهم الجرأة للظهور بعد حوادث اليوم الماضي كان حفظ الأمن والانتظام هذا اليوم بعهد بعض الشباب المؤمن الذين وضعوا شرائط سوداء حول سواعدهم ومع كل الاجتماعات الجانبية والخطابات الثورية في الشوارع لم يحصل أي شيء يخل بالأمن والاستقرار.

وفي الساعة التاسعة من صباح يوم ٣١ تموز عقد المجلس النيابي جلسة سرية بحضور ٦٤ نائباً ومن بين هؤلاء النواب انتخب ٦١ نائباً الدكتور مصدق رئيساً للوزراء.

وفي هذا المجال وفي رسالة تعزية للشعب موجهة من الحكومة الجديدة. أعلنت الحكومة أسفها للحوادث التي وقعت في البلاد يوم الثلاثين من تموز.

وفي النهاية كان يوم الثلاثين في تموز عام ١٩٥٢ يوم انتصار آخر للشعب الايراني، وفي نفس اليوم وصل حكم محكمة لاهاي إلى ايران حيث أقرت هذه المحكمة حق الشعب الايراني على حقوقه في امتلاك ثرواته الطبيعية، وكان هذا الخبر مكمّلاً لانتصار الشعب في ثورة ٣٠ من تموز.

بعد اذاعة خبر محكمة لاهاي وخبر انتصار ثورة الثلاثين من تموز أعلنت (رويتر) بأن بريطانية أصبحت يائسة جداً ازاء قضية النفط الايرانية وان الحكومة تعتبر بأن حكومة مصدق أصبحت بعد هذين الانتصارين أقوى بكثير.

جاء في جريدة نيو استيسمن في العدد الصادر يوم ١/آب/١٩٥٢ وضمن الاشارة الى ثورة الثلاثين من تموز بانه بعد الأحداث التي وقعت داخل ايران ليس من الممكن رجوع الشركة البريطانية للنفط الى إيران.

وكذلك كتبت جريدة يني صباح التركية في عددها الصادر ٤/آب/٥٢، «كان من المستحسن على راديو انقرة الذي بدأ منذ ابتداء قضية تأميم النفط داخل ايران بالدعاية لبريطانيا على حساب الشعب الايراني أن يأخذ درساً من القاضي البريطاني في محكمة لاهاي الذي أصدر حكماً ضد دولته».

تحت تأثير ثورة الثلاثين من تموز وبسببت التدخلات المباشرة للقضاء على ثورة الشعب، أبعدت الملكة الأم والأميرة الأخت أشرف من ايران وأغلقت جميع المكاتب التي كانت قد أسستها الأميرة وغيرها من أفراد العائلة المالكة ومنع الجميع من الاتصال بالإدارات الحكومية.

وكما ذكرت (رويتر) فإن الأميرة الأخت التي كانت قد دخلت إلى طهران في يوم ١٥/تموز/١٩٥٢ لاضعاف حكومة مصدق واسقاطه من منصبه، تركت طهران متوجهة إلى روما في يوم ٩/آب/١٩٥٢ وكذلك وللمرة الأولى تم تفتيش حقائب سفرها من قبل رجال الجمارك والأمن.

وفي نهاية الجلسة الاستثنائية التي عقدها المجلس النيابي أقرّ المجلس أن ثورة الثلاثين من تموز هي ثورة وطنية وان شهداء ذلك اليوم هم شهداء طريق الحرية والاستقلال وكذلك أقرّ قانون صلاحيات الدكتور مصدق.

قانون ثورة الثلاثين من تموز وقانون
اعطاء الصلاحيات

باسمه تعالى، انا بهلوي شاهنشاه ايران وعلى أساس القانون رقم ٢٧ المتمم للدستور أعلن.

المادة الأولى: تنفيذ القانون المتعلق تسمية ثورة الثلاثين من تموز ثورة وطنية وهو الذي تمت المصادقة عليه من قبل مجلس الشيوخ والمجلس النيابي في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٦/آب/١٩٥٢.

المادة الثانية: الهيئة الوزارية مكلفة بتنفيذ هذا القانون. التاريخ: ٢١/آب/١٩٥٢.

باسمه تعالى

أنا بهلوي شاهنشاه ايران وعلى أساس القانون رقم ٢٧ المتمم للدستور أعلن:

المادة الأولى: تنفيذ القانون المتعلق بقانون اعطاء الصلاحيات لمدة ستة أشهر إلى رئيس الوزراء الدكتور مصدق الذي تمت المصادقة عليه من قبل مجلس الشيوخ والمجلس النيابي في الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢٠/آب/١٩٥٢.

المادة الثانية: الهيئة الوزارية مكلفة بتنفيذ هذا القانون. التاريخ ٢١/آب/١٩٥٢.

انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب)

استطاعت وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) عام ١٩٥٣، من خلال انقلاب داخل ايران ان تسقط حكومة الدكتور مصدق وان تثبت سلطنة محمد رضا شاه، ولكن هناك أقلية معدودة يعلمون بأن العامل الأساسي في هذا الانقلاب الذي استطاع اسقاط الحكومة الايرانية آنذاك.

هو حفيد تئودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذي كان جاسوساً أمريكياً يعمل لحساب وكالة المخابرات الأمريكية.

اسمه كرميت «كيم» روزفلت وهو الحفيد السابع لروزفلت ولا تزال وكالة المخابرات الأمريكية تشيد به تقديراً لأعماله القيمة التي أنجزها في ايران اشتهر في الوكالة بلقب «سيد ايران» أحد القصص الخيالية التي تُنقل داخل وكالة المخابرات الأمريكية عن كرميت انه استطاع أن يغير على طهران ويسقط حكم مصدق بهجوم مباغت بسلاحه الرشاش على رأس كتيبة مدرّعة من الدبابات.

يصف أحد عملاء وكالة المخابرات الأمريكية الذي له اطلاع على أوضاع ايران هذه القصة بأنها قصة خيالية وقال في الواقع إن كرميت كان يدير هذه العملية من داخل ملجأ خفي بعيداً من محيط السفارة الأمريكية، وأضاف بأن هذه العملية تشبه بعمليات جيمس بوند السينمائية.

كان الجنرال فضل الله زاهدي الذي توفي في سبتامبر ١٩٦٣ عن عمر يناهز ٦٧ عاماً منتخباً من وكالة المخابرات الأمريكية لخلافة مصدق.

إخْتُطف زاهدي من قبل البريطانيين لأنهم كانوا يعتقدون بأنه أحد عملاء النازية الألمانية.

وعندما احتلت بريطانيا والاتحاد السوفيتي ايران في الحرب العالمية الثانية وبعد خطف زاهدي أعلن العملاء البريطانيون أنهم وجدوا الأشياء التالية في غرفته «ألبوم من الأسلحة الرشاشة الألمانية، ملابس داخلية حديدية، رسائل من المظليين الألمان الذين كانت لهم فعاليات في الجبال وكذلك ألبوم صور للمومسات المعروفات مع كامل أسمائهم وعناوينهم».

بعد الحرب العالمية الثانية، بدأ زاهدي بالصعود على سلم السياسة بسرعة فائقة. وفي عام ١٩٥١ عندما تسلم الدكتور مصدق منصب رئاسة الوزراء، حصل زاهدي على منصب وزارة الدولة.

في بادىء الأمر، أمم مصدق شركة النفط الايرانية البريطانية وصادر معامل تكرير البترول التي كانت تطل على الخليج الفارسي.

تسبّب اغلاق مراكز التكرير النفطية التابعة لها وجود عمال كثيرين بدون عمل، وهكذا دخلت ايران في مرحلة اقتصادية صعبة.

بريطانية وبمعاونة بقية الدول الغربية استطاعت أن تضغط على ايران من خلال منع بيع وشراء النفط الايراني وكذلك لم يكن بمقدرة المهندسين الايرانيين تشغيل المعامل بطاقاتها الكاملة بدون مساعدة المهندسين البريطانيين.

وكان تحالف الدكتور مصدق مع حزب توده الشيوعي سبّب انزعاج الغربيين لخوفهم من تسلط الشرق على النفط الايراني.

ومن هنا بدأت المؤامرة لاسقاط مصدق ونصب زاهدي من بعده على يد وكالة المخابرات الأمريكية بشخص وكيم روزفلت.

وكالة المخابرات الأمريكية
أنفقت الملايين من الدولارات

اتفقت بريطانية وأمريكا على اسقاط حكومة مصدق. وعلى أساس تنبؤات وكالة المخابرات كانت جميع الشروط مناسبة لهذا الاسقاط. أعطيت القيادة الفعلية إلى كرميت روزفلت الذي كان يعتبر من أبرز العملاء في الشرق الأوسط آنذاك.

دخل كرميت روزفلت إلى إيران، بالسيارة واصلاً إلى طهران ثم اختفى. ولمعرفته بأوضاع ايران ومقدرة اتباع مصدق الذين كانوا يلاحقونه في كل مكان، كان يغير مكان اقامته باستمرار.

وكان يدير العملية من مكان بعيد عن محيط السفارة الأمريكية وكان يساعده على ذلك خمسة جواسيس أمريكيين متمركزين داخل السفارة، واضافة الى ذلك سبقه عملاء مختفون ينتسبون إلى وكالة المخابرات الأمريكية.

ومن جملة هؤلاء السبعة ايرانيان متمرنان على أمور التجسس ومع أن هذين الايرانيين رافقا كرميت الى آخر العملية لكنه لم يقابلهما شخصياً أبداً.

وعندما كانت المؤامرة في مراحل التهيئة، دخل الجنرال ١ ــ ج ــ نورمان شوازركف الى ايران وكان من أصدقاء عائلة زاهدي وبرر زيارته لايران بانها لتوثيق العلاقة القديمة بينه وبين عائلة زاهدي ولكنه كان في الحقيقة جزءاً من المخطط الذي أعدته وكالة المخابرات الأمريكية لاسقاط مصدق.

وفي اليوم الثالث عشر من آب أصدر الشاه مرسوماً أعلن فيه اعفاء مصدق من منصبه وتنصيب الجنرال زاهدي بدلاً منه.

أوقف الدكتور مصدق الضابط الذي جاءه بمرسوم الشاه.

وخرج الشعب الايراني الى الشوارع وقام بتظاهرات واسعة. ومع تزايد غضب الشعب، هرب الشاه مع زوجته ثريا جواً من قصره على سواحل بحر خزر الى بغداد وخلال يومين كاملين كانت ايران في حالة اضطراب ومصادمات وانقطعت اتصالات كيم روزفلت بعملائه الايرانيين.

ثم سافر الشاه من بغداد الى روما وهناك التقى دالس رئيس وكالة المخابرات الأمريكية آنذاك. وحاولت أشرف أخت الشاه أن تعمل على ترتيب مؤامرة دولية لاسقاط مصدق ولكن الشاه لم يوافق على هذه المؤامرة. وهنا استلمت القوى الشيوعية الأمن في شوارع طهران وأقام الشيوعيون الحفلات لهذه المناسبة. وكذلك تم انزال تماثيل الشاه من الميادين.

بدأت مخالفة أوامر الدكتور مصدق بشكل مفاجىء وبدأ الجيش باعتقال المتظاهرين. ومن الملجأ أمر كيم روزفلت عملاءه صباح يوم التاسع عشر من آب بانزال العملاء إلى الشوارع.

وذهب عملاء روزفلت إلى أحد الأندية الايرانية وهناك اجتمعوا مع العناصر المخربة وكانوا من المصارعين ولاعبي الجمباز وغيرهم من الرياضيين فتوجهت هذه العناصر الى سوق طهران الكبير وهناك نظموا التظاهرات المعادية لمصدق وكانت أحجام التظاهرات تتزايد بسرعة وعند منتصف اليوم تقريباً بدا واضحاً بأن مصدق قد خسر هذه المعركة ولا يوجد أي شيء يمكن أن يغير هذه الحالة.

ولا شك أن سيطرة الشيوعيين على الموقف هو الذي أخاف الناس وحوّل الكثيرين منهم إلى هذه التظاهرات خشية تحول الأمر إلى إنقلاب شيوعي.

خرج زاهدي من ملجئه واستلم زمام الأمر ورجع الشاه من ايطاليا، وسُجِنَ مصدق وتم اعدام رؤساء حزب توده الشيوعي.

وفي هذه الحوادث العصيبة استطاعت بريطانيا استرداد سلطتها على النفط الايراني ولكن ليس بمفردها. وفي آب ١٩٥٨ استطاعت احدى

الشركات النفطية الغربية الكبيرة أن توقع عقداً نفطياً مع ايران وعلى أساس هذا العقد، يخصص ٤٠٪ من أسهم شركة النفط الايرانية الى شركة ايران وبريطانيا النفطية السابقة، ٤٠٪ من الأسهم الى شركات النفط الأمريكية ـ لكن گلف اويل، استاندارد اويل اف نيوجرسي وكاليفورنيا، شركة نفط تكساس وسكوني موبيل، ١٤٪ من الأسهم إلى الشركة الهلندية النفطية و ٦٪ من الأسهم الى الشركة الفرنسية فرانسودو بترول. وفي المقابل يخصص نصف الأرباح الى ايران وكذلك يجب على ايران دفع مبلغ سبعين مليون دولار الى شركة نفط ايران وبريطانيا السابقة لخسارتها بسبب الحوادث التي جرت في ايران.

ومما لا بد من ذكره هنا أن الولايات المتحدة لم تعلن عن دور وكالة المخابرات الأمريكية في هذه المؤامرة أبداً ولكن دالس رئيس وكالة المخابرات الأمريكية سابقاً أعلن بشكل غير مباشر في برنامج تلفزيون عام ١٩٦٢ بعد تقاعده من منصبه عن دور وكالة المخابرات في هذه المؤامرة عندما سئل عن ذلك الدور وعن الأقاويل التي تردد بأن الوكالة أنفقت الملايين من الدولارات لجلب الناس الى الشوارع والقيام ضد مصدق. قال دالس: «بالنسبة الى الادعاءات بأننا أنفقنا ملايين الدولارات فليس لها أي أساس».

وكذلك ذكر دالس في كتابه «فن المخابرات» عن هذا الموضوع قائلاً:

«قُدِّمت مساعدات خارجية إلى مناصري الشاه» ولم يذكر أبداً عن الدور المباشر للوكالة في هذه المؤامرة.

قضية استقالة مصدق

وعن قضية استقالة مصدق وتولي قوام السلطنة رئاسة الوزراء التي تقدم ذكرها يقول مكي: ذهب مصدق في يوم الأربعاء المصادف ١٦ يوليو ١٩٥٢ في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى القصر الملكي في سعد آباد للتباحث مع الشاه.

تباحث مصدق والشاه حول القضايا الدولية والمسائل الداخلية ومسألة انتخابات الهيئة الوزارية التي يرأسها، فأخرج مصدق من جيبه ورقة بأسماء الوزراء ليتشاور مع الشاه بشأنهم.

نظر الشاه إلى الورقة بدقة تامة وكان يطلب التفاصيل الدقيقة حول الوزراء المرشحين فرداً فرداً فكان يسأل عن الخصوصيات الشخصية، العمر، الخصوصيات الأخلاقية، السياسية، العقائدية للأشخاص.

وبالدقة التي كان الشاه ينظر بها إلى الأسماء، كان مصدق ينظر بدقة تامة الى عيون الشاه فمن خبرته السياسية الطويلة التي تقدر بخمسين سنة كان يعرف رأي الشاه حول كل شخص من نظراته وحركاته إلى أن سأله:

إذاً من سوف يستلم منصب وزارة الدفاع؟.

أجاب مصدق: سوف أستلمها أنا.

بعد فترة وجيزة سأله الشاه: ألم تعثر على شخص معتمد لدينا ليستلم هذه الوزارة أم لك نظرة خاصة حول هذا الموضوع؟

فأجاب مصدق بصراحة كاملة: «أصبحت وزارة الدفاع هذه الأيام كدولة داخل الدولة، فهي لا تُعطي لكلامي أي أهمية وفي الانتخابات لا تنفذُ أوامري، وتكلمت معكم مراراً حول هذا الأمر وأصدرتم أوامركم ولكن في الواقع لم تنفذ الأوامر».

وبعد بحث طويل حول هذا الموضوع واخباره بأنه يتوقع انقلاباً في هذه الأيام قال له «إذا لم تُعهد إليّ وزارة الدفاع فسوف أكون مجبراً لتقديم الاستقالة».

سعى الشاه أن يصرف نظر مصدق عن وزارة الدفاع ولكن مصدق ظل مصمماً وفي النهاية رفض الشاه طلب مصدق فنهض مصدق بحالة عصبية متوجهاً إلى الباب ليخرج ويقدم استقالته وهنا نهض الشاه وأمسك يد مصدق وكان مصدق يمسك الباب باليد الثانية وهنا بدأ الكلام بصوت عال، مصدق يريد الخروج ولكن الشاه لا يريد ذلك لأنه يعلم ماذا سوف يكون أثر هذا الخروج على سلطته من الناحية الشعبية. بعد ذلك ينقل مصدق: «لا أعلم كيف أُغمي عليّ وعندما استعدت وعيي كنت جالساً على الكرسي المريح وبقربي الشاه وعلاء ويزدان يناه ثم أحسست بالارتياح عندما شربت كأساً من الماء».

ثم بدأت المذاكرات حول الموضوع ذاته من جديد ولأن مصدق كان مصمماً على الاستقالة قال له الشاه «ان لم أتصل بك حتى الساعة الثامنة بالهاتف فأعلم اني رفضت طلبك، وعند ذلك أفعل حسب رغبتك».

دعا الشاه الدكتور لتناول الغداء ولكن مصدق رفض وعاد الى بيته عند الساعة الثالثة ظهراً ودخل غرفته وأغلقها من الخلف ورفض استقبال أي شخص.

يقول مكي راوي هذه الوقائع:

ذهبت في الساعة السادسة مساءً إلى بيت يزدان يناه ولكن زوجته أخبرتني بأنه خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الآن.

فاستنتجت بأن هناك شيئاً جديداً قد حصل فذهبت مباشرة إلى منزل الدكتور مصدق وعندما أردت أن أدخل الى غرفته قالت الخادمة «السيد لا يستقبل أحداً في هذا الوقت» فقلت لها أن تخبره بأن «مكي» هو الزائر.

بعد اخباره بزيارتي فتح باب الغرفة وأذن لي بالدخول. ثم فتح باب الشرفة وجلس وبدأ بالكتابة.

سألني: أين كنت؟

قلت له: كنت في منزل يزدان يناه وزوجته منزعجة لعدم رجوعه إلى الآن.

ثم قال: نعم وبدأ يشرح لي ما حصل معه عند الشاه وفي ختام حديثه قال: «الآن والساعة تقترب من الثامنة مساءً ولم يتصل الشاه بي، فأني مشغولٌ بكتابة ورقة الاستقالة.

وستكون الاستقالة سرية لا يعرف بها أحدٌ».

وعندما قرأت ورقة الاستقالة قلت له «هل تتصور أن يدعوك الشاه الى العمل في الدورة الجديدة، اذا كنت تتصور ذلك فأنت مشتبه، لذلك لا يوجد أي مانع أن يعلم الشعب لماذا استقال الدكتور مصدق من رئاسة الوزراء. في هذا الوقت تذكر الدكتور مصدق طريقة كلام

الشاه في آخر لقاء كان بينهما وكيف دعاه إلى الغذاء. ولكنني أثبت له بالأدلة بأنهم سوف يعتبرونه المسؤول عن استقالته ان لم يعلن للشعب أسباب الاستقالة.

فاقتنع الدكتور مصدق بكلامي وكتب هذا في ورقة الاستقالة وبعث بها الى قصر سعد آباد الملكي.

ثم بعثني إلى بيت نيروان يناه لأنقل أخباره إلى زوجته وطلب مني عدم كتمان خبر الاستقالة ثم علمت أن خبر الاستقالة قد نُشر في الوزارة، وعلمت أن مصدر هذا الخبر هو العميد كرزن رئيس الستاد الحربي.

فاتصلت حالاً بالدكتور مصدق وأعلمته بموضوع انتشار الخبر وقلت له يجب أن يذاع الخبر في الاذاعة.

ومن بعد ظهر هذا اليوم كانت الاذاعة قد احُتلت من قبل العسكريين وكان قد عُين ضابط خاص لمنع انتشار خبر الاستقالة من الاذاعة لأن اذاعة الخبر يمكن أن تحدث انقلاباً على الشاه وأعوانه.

ولم يكن عند الشعب أي علم بالاستقالة إلى أن عُيّن الرئيس الجديد للوزارة وعلم الجميع بالاستقالة من خلال خبر نشرته شخصياً في جريدة «باختر امروز».

وفي اليوم التالي أتى (قوام) إلى الوزارة وبقي في منصب رئاسة الوزراء حتى ثورة الثلاثين من تموز.

الشيخ ضياء الدين محمد يوسف بن الميرزا حسين خان وزير توبجي القزويني:

كان حياً سنة ١٠٨٣ من اعلام علماء قزوين في عصره اخذ العلوم العقلية والفلسفة الالهية عن الحكيم آغا رضى القزويني المتوفى سنة ١٠٩٦ والشيخ محمد كاظم الطالقاني المتوفى سنة ١٠٩٤ ونبغ في الفلسفة والكلام وكان وحيد عصره في ذلك تصدر للتدريس والإفادة والارشاد في قزوين وانتهى اليه كرسي الفتوى وتدريس الفلسفة العالية.

ترك مؤلفات منها: كتاب مجمع البحرين في تفسير القرآن يقول في مقدمته سماه بـ مجمع البحرين لانه خلاصة ما في تفسير مجمع البيان وتفسير جوامع الجامع للشيخ امين الاسلام الطبرسي ويقع في مجلدين كبيرين بالعربية فرغ من المجلد الاول ليلة ٦ المحرم سنة ١٠٨٢ ومن المجلد الثاني في سنة ١٠٨٣ والنسخة بخط المؤلف مسجلة في مكتبة مدرسة سپهسالار بطهران عدد ١٩٥٥[1] وهناك نسخة ثانية من المجلد الاول في المكتبة المركزية في الروضة الرضوية بخط محمد امين النائيني مسجلة تحت رقم ١٠٤١٥ باسم مجمع البيان مؤرّخة سنة ١٠٨٣[2] اي سنة انتهاء التأليف، واسمه مجمع البحرين كما اثبتناه عن خط المؤلف واسم مجمع البيان هو من سهو الناسخ ويقول المصنف في مقدمته (... أردت لسهولة ادراك حسن عرايس المعاني من حجال ألفاظ الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه تنزيل من حكيم حميد تحرير جملة من ظواهر معاني القرآن وتسطير برهة من فضل قراءة السور والآيات وسبب نزول الآي ونبذة من القصص والأخبار وما يتعلق بهذا الامر على وجه الايجاز والاختصار...) وينتهي المجلد الاول الى اخر سورة الكهف والمجلد الثاني من اول سورة مريم الى سورة الناس. وله مجموعة رسائل في علم الكلام والفلسفة يظهر منها براعته في العلوم العقلية ولم اجد له ذكراً في كتب التراجم وهو من علمائنا المنسيين وقد حصلت على أسماء مشايخه وسائر خصوصياته من مؤلفاته[3].

(١) انظر فهرست مكتبة مدرسة سپهسالار ج ١ ص ١٦٧.

(٢) أنظر فهرست المكتبة المركزية الروضة الرضوية ج ١١ ص ٦٧٠ - ٦٧١.

محمد مهدي بن الحاج حيدر علي المشهور بآسوده الشيرازي:

ولد سنة ١٢٦٥ في شيراز وتوفي فيها سنة ١٣٢٠.

شاعر ايراني كان يتخلص في شعره بـ(آسوده) فاشتهر بذلك. درس العلوم الادبية والفلسفة والرياضيات. عدا علوم اللغة من بديع وعروض وقافية ونقد الشعر. نظم في انواع الشعر كالقصيدة والغزل والمقطوعة والرباعي والمثنوي والمسمط.

توجد من ديوانه مخطوطتان: الأولى في مكتبة كلية الآداب بجامعة طهران وهي بخطه. والثانية في شيراز عند حفيده.

السيد محمد مهدي بهبك بوري بن السيد علي:

ولد سنة ١٢٦٩ في قضاء سارن بمقاطعة بهار الهند وتوفي سنة ١٣٤٨.

كان والده من كبار الاقطاعيين في الهند ولكنه وجه ابنه الى الدراسات الدينية، فتعلم اولاً في بلدته ثم ذهب الى لكهنو واكمل دراسته فيها ثم رجع الى بلدته.

كان عالماً مشهوراً وخطيباً كبيرا، بنى ابوه مسجداً في البلدة فتولى هو الامامة فيه متخذاً منه وسيلة للارشاد والدعوة الى الاسلام.

سافر الى العراق سنة ١٣٠٧ ثم الى إيران واستجاز هناك بعض العلماء ثم عاد إلى وطنه.

ترك من المؤلفات: سواء السبيل، مواعظ المتقين، حجة بالغة، هدية الزائرين، لواعج الاحزان في مجلدين.

مير محمد علي بن حسين الطالقاني:

من أعلام النجف الاشرف في أواخر القرن الثالث عشر، تتلمذ على علمائها الاعلام، ومنهم المولى محمد مهدي الفتوني وكتب بخطه الجيد كتاب أستاذه هذا «نتائج الاخبار ونوافج الازهار» فكتب أستاذه في آخر مجلد المكاسب منه اجازة الحديث له ووصفه فيها بقوله «قد التمس مني من تجب طاعته علي البر الزكي التقي النقي الورع الصالح العالم العامل السيد الحسيب النجيب.. أن أجيز له أن يروي عني ما سمعه مني من مشايخي رضي الله عنهم فلما تحققت منه أهلية ذلك ووجدته قد خدم جماعة من العلماء والفضلاء ذا فطنة وذكاء قديم الاشتغال في طلب العلوم الدينية أجزت له دام ظله أن يروي عني مؤلفي.. وغير ذلك مما سمعه مني كتب الاخبار من التهذيب والاستبصار والكافي والفقيه وشطراً من قواعد الاحكام..»[4].

(١) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(١) السيد احمد الحسيني.

الشيخ محمد علي بن محمد قاسم الطبرسي:

علق على «حاشية حاشية الخوانساري» للشيخ احمد الأردكاني اليزدي، تعاليق قليلة تدل على فضل فيه في العلوم العقلية والكلام واشتغال بها.

كان يقيم باصبهان ظاهراً، وتوفي بعد سنة ١٢٣٧ التي وقف فيها كتباً على طلبة اصبهان وبقية بلاد ايران، وكان الوقف عن غازي الدين حيدر خان بهادر أحد وزراء الهند، ولعله أقام بالهند بعض المدة وكان له صلات بالشخصيات الكبيرة[1].

محمد علي مرشد آبادي الدكني:

ولد سنة ١١١٧ في بلدة اورنك آباد (الهند) وتوفي سنة ١١٩٣ في كلكته هو من عائلة علمية عريقة فنشأ في محيط علمي ثقافي ودرس على كبار علماء عصره، ثم كان هو مدرساً يحضر درسه كبار الفضلاء، ولعوامل عديدة تنقل بين السند وأحمد آباد وسورت ومرشد آباد. ثم سافر الى مكة حيث مكث فيها اربع سنوات ثم رجع الى مرشد آباد واستقر فيها منشغلاً بالدرس والتدريس والمطالعة والتأليف.

من مؤلفاته: حواشي شرح مفاتيح ملا محسن، وتصحيح واصلاح واضافة على إخوان الصفا، وشرح الكافية.

الشيخ محمد بن محمد يوسف الميثمي:

عالم فاضل ذو اطلاع بالفقه، من تلامذة المولى احمد بن محمد مهدي النراقي المهتمين بجمع آثاره، وهو من أعلام القرن الثالث عشر ولعله كان مقيماً بمدينة كاشان.

له «مسائل ورسائل في حل غوامض المسائل».

القاضي محمد صادق بن محمد لعل هگلي:

ولد سنة ١٢٠١ في الهند وتوفي سنة ١٢٧٥ في اتاده التابعة اليوم لبنغلادش هو من المنطقة التي عرفت بعد تقسيم الهند باسم باكستان الشرقية وبعد انفصالها عن باكستان عرفت باسم بنغلادش.

وهو من أسرة علمية عريقة. درس في بلده ثم توجه الى لكهنو لاكمال دراسته في العلوم الاسلامية والعلوم العصرية.

ثم عين من قبل غازي الدين حيدر بهادر مديراً لادارة التأليف. وبعدها صار محافظاً في كانبور وبقي في منصبه هذا تسع عشرة سنة لم ينقطع فيها عن الدرس والتدريس مهتماً بالتاريخ والادب واللغة، وكان يجيد اللغات العربية والفارسية والاردوية.

من مؤلفاته: المحامد الحيدرية (وهو باللغة العربية). وباد شاه كي فضائل (باللغة الاردوية). وآفتاب عالم تاب (باللغة الفارسية). وبهار اقبال. وگله ستة محبت. وصبح صادق. وديوان بالعربية وآخر بالفارسية وثالث بالاردوية.

الميرزا محمد شفيع الشيرازي بن محمد اسماعيل الملقب بوصال والمشهور بالميرزا كوچك:

أحد مشاهير شعراء العهد القاجاري في زمن فتح علي شاه ومحمد شاه.

ولد وصال في زمن سلطنة كريم خان زند عام ١١٩٧هـ لعائلة شيرازية. تلقى العلوم المتداولة في عصره على بعض العلماء من امثال الميرزا ابو القاسم سكوت احد مشاهير العارفين، وتعلم انواع الخط، ثم سلك الطريق الى محافل الانس معتمداً على قابلياته الادبية وحسن خطه وعذوبة صوته وبدأ بنظم اولى قصائده. وحين توجه فتح علي شاه الى ولاية فارس ودخل مركزها شيراز سمع بفضائل ومكارم وصال فأمر باحضاره. فقدم وصال للشاه نسخة من القرآن الكريم خطها بسبعة انواع من الخط، واستعمل انواع الفنون في تذهيبها وتجليدها، ثم انشده قصيدة كان قد نظمها من قبل. ويقال ان فتح علي شاه بالغ بمدح وصال ووصله بالفي تومان، وعين له سنوياً مبلغاً من المال ومقداراً من المتاع.

كان وصال رجلاً رؤوفاً انيساً ذا مسلك صوفي، وارتبط بالعديد من الأصدقاء من أهل العرفان وعشاق الأدب، ولا سيما القاآني الشيرازي الذي كان شاعراً كبيراً في العهد القاجاري، حيث امضى وقته معه في الوقت الذي كان القاآني في شيراز.

امضى هذا الشاعر والفنان حياته في شيراز، وفقد بصره في اواخر حياته، ثم فارق الحياة عام ١٢٦٢هـ في زمن سلطنة محمد شاه القاجاري عن عمر ناهز التاسعة والستين. وضم ديوان اشعاره ثلاثين الف بيت من الشعر بين غزل ومثنوي ورثاء وقصائد اخرى. وقد تركزت اكثر قصائده في مدح فتح علي شاه ومحمد شاه وناصر الدين شاه وامراء القاجاريين وأعيانهم، ومن ابرزهم حسن علي ميرزا بن فتح علي شاه الذي حكم ولاية خراسان لعدة سنوات. وجاءت بعض اشعاره في ذم اهل شيراز لشدة انزعاجه منهم.

ويعتبر وصال من فناني عصره في الرسم والخط والتذهيب والظاهر انه كان في هذه المجالات اكثر شهرة منه في الشعر، ومن ضمن اعماله الفنية نسخة بخطه لـ(كليات الشيخ سعدي) محفوظة في مكتبة المجلس تحت رقم ١٣٢٤٩.

ترجم هذا الشاعر والفنان كتاب (اطواق الذهب) للزمخشري الى اللغة الفارسية، وألّف رسائل في الحكمة والكلام والموسيقى والعروض وتفسير الاحاديث، نثراً ونظماً، والف ايضاً كتاب (صبح وصال) على نمط (گلستان) سعدي.

رزق وصال بستة ابناء اشتهروا كلهم في الخط والشعر والفن، هم. الميرزا احمد وقار المتوفى عام ١٢٧٣هـ ـ الميرزا محمود حكيم المتوفى عام ١٢٧٤هـ ـ الميرزا محمد الداوري المتوفى عام ١٢٨٣هـ ـ الميرزا اسماعيل توحيد المتوفى عام ١٢٨٦هـ ـ الميرزا ابو القاسم فرهنك المتوفى عام ١٣٠٩هـ والميرزا عبد الوهاب اليزداني المتوفى عام ١٣٢٨هـ. من هنا كان الميرزا محمد شفيع وصال المعروف بالميرزا كوچك وابناؤه يمثلون اساساً لعائلة عرف جميع افرادها بالخط والرسم والشعر والفن وتركوا آثاراً قيمة في هذه المجالات. ومزار افراد هذه العائلة موجود الآن في مقبرة شاه جراغ في شيراز.

طبع ديوان وصال عدة مرات حتى الآن، ولا نرى في هذا الديوان افكاراً جديدة أو تجارب مستقلة أو مضامين بكر، بل كلما نجده فيه انما هو طرح ماهر لاقوال كبار الشعراء المتقدمين. ومن ثم فان قراءة

---

(١) السيد احمد الحسيني.

اشعاره تبعث لذة فنية في روح قارئها. وقد كانت مراثيه المؤثرة التي نظمها على نمط المحتشم الكاشاني، سبباً في ازدياد شهرته الادبية[1].

محمد كاظم المعروف بآشفته الشيرازي بن آغا محمد جعفر كدخدا:

ولد سنة ١٢٠٠ في شيراز وتوفي سنة ١٢٨٨.

كان من أسرة معروفة ثرية، درس في شبابه علم العروض والأدبين الفارسي والعربي.

عمل في وظائف الدولة فكان رئيساً للشرطة وامير الديوان العدلية في خراسان طيلة اربع سنوات، ثم عاد الى شيراز وعمل في الزراعة، وانجز تزويد مدينة بهبهان بمياه نهر كردستان.

هو شاعر محب لآل البيت (عليهم السلام) مؤمن بهم، وكان يسعى في إقامة المآتم الحسينية ومجالس تخليد كبار رجال الدين. واكثر شعره في الغزل والمدح والرثاء.

من ابرز آثاره الشعرية قصيدته في مدح علي (عليه السلام)، وختمها بمدح ناصر الدين شاه وامين السلطان ومؤيد الدولة.

وله قصيدة ملمعة بالعربية والفارسية نظمها في طريق الحج. وله قصائد في اشارات الى احداث تاريخية كقصيدته في وصف الزلزلة التي اصابت شيراز.

ويُقدر شعره بأكثر من ثلاثين ألف بيت. وكانت مخطوطات ديوانه الحاوي لخمسة عشر الف بيت موجودة في شيراز حتى سنة ١٣٢٧.

المفتي السيد محمد قلي بن السيد محمد حسين الموسوي النيسابوري:

ولد سنة ١١٨٨ وتوفي سنة ١٢٦٠ في لكهنو (الهند).

هو من كبار المتكلمين واجلاء العلماء في الهند. درس على كبار علماء عصره مثل غفران مآب والسيد دلدار علي.

تولى لفترة شؤون القضاء والافتاء في ميرته وبدريوري، واخيراً جاء الى لكهنو واستقر فيها منصرفاً الى التأليف، فكتب في الحديث والرجال والتاريخ والمناظرة والتفسير.

من مؤلفاته: جواب الباب الثامن من كتاب التحفة الاثنا عشرية، وتقريب الأفهام في تفسير آيات الاحكام، وسيف ناصري، وجواب الباب الاول من التحفة الاثنا عشرية، وبرهان السعادة، ومصارع الافهام وغير ذلك.

السيد محمد بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني المشهور بعصار وبآشفته الطهراني:

ولد سنة ١٨٤٨م في طهران وتوفي سنة ١٩٣٧م في مدينة مشهد.

حكيم ومتكلم وفقيه وأصولي وشاعر ومفسر. عاش في طهران ومشهد، وكان ابوه يعيش في لواسان ثم هاجر الى طهران.

تلقى دراسته الاولى في طهران وفي الثالثة عشرة من عمره سافر الى طالقان ثم عاد الى طهران وانتمى الى مدرسة (مروي). وبعد انهاء دراسة السطوح ودراسة الخارج في طهران هاجر الى كربلاء ودرس على فقهائها ومنهم الشيخ زين العابدين المازندراني. ثم زار المدينة المنورة والتقى بخالد باشا والي المدينة آنذاك ومدحه بقصيدة أجازه عليها ومكث فترة في المدينة وألف هناك كتاب التحفة المدنية في العروض. وسافر الى سوريا ولبنان ثم عاد الى النجف ومنها مضى الى سامراء لحضور درس الميرزا الشيرازي، وبعد مكثه فيها عدة سنوات عاد الى طهران فمكث فيها سنوات ثم سافر الى مشهد وبقي فيها حتى وفاته.

ترك العديد من المؤلفات سرق بعضها وفقد بعض آخر خلال تنقله من مكان الى آخر.

ميرزا محمد مهدي اللكهنوي:

توفي سنة ١٣٣٠ في الهند.

كان والده عالماً فاضلاً وطبيبا حاذقاً. والمترجم له من تلاميذ المفتي محمد عباس. ترك من المؤلفات: تكملة نجوم السماء في مجلدين وقد طبع سنة ١٣٩٧ في مدينة قم، حاشية سلم العلوم، سفر نامه عراق وايران، وهي وصف لرحلته الى العراق وايران، ديوان اردو، ملاقاة علماء، ديوان فارسي.

السيد محمد هادي اللكهنوي:

ولد سنة ١٢٩١ في لكهنو بالهند وتوفي سنة ١٣٥٧ في كربلاء هو ابن السيد ابو الحسن المعروف بابي صاحب وسبط ممتاز العلماء السيد محمد تقي.

درس دراسته الاولى على والده واخيه السيد باقر ثم سافر الى العراق لمتابعة الدراسة فكان من اساتذته في النجف شيخ الشريعة الشيخ فتح الله الاصفهاني والسيد كاظم اليزدي والشيخ محمد كاظم الخراساني وغيرهم. ثم عاد الى لكهنو وصار نائباً لرئيس المدرسين في مدرسة (سلطان المدارس)، يدرّس فيها شرح اللمعة والقوانين والرسائل، وكان يكثر من زيارة قبور الأئمة في العراق وفي احدى زياراته توفي في كربلاء.

له حواشي على شرح اللمعة، وشرح على الروضة البهية، ونهج الادب وغير ذلك.

ميرزا محمد هادي:

ولد سنة ١٢٧٥ في لكهنو وتوفي سنة ١٣٥٠.

درس الرياضيات والنجوم والتاريخ والرجال على ابيه ثم توفي ابوه وهو في السادسة عشرة من سنه فتابع الدراسة على مولانا غلام حسنين كنتوري وميرزا محمد جعفر اوج ثم انتمى الى احدى المدارس الثانوية الحديثة، وتولى بعد ذلك بعض الوظائف الحكومية ثم تركها. وبعد رحلة الى دلهي وحيدر آباد عاد الى لكهنو.

وفي سنة ١٩٠٣م اصدر مجلة الحكمة اسبوعية فعاشت حتى سنة ١٩٠٧ ثم ألف كتابه الكبير (تحفة السنة) في خمسة عشر مجلداً في عقائد الشيعة، كما ألف كتاب (نصوص الحكم) في الاجتهاد والاخبارية. ثم ألف كتاب بـ(عمل اصطرلاب).

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

وفي سنة ١٩٢٠م جاء الى حيدر آباد وانتمى الى دار الترجمة، فترجم تسعة كتب. وألف كتاباً في المقارنة بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة. وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة. وكان يجيد الفارسية والعربية والسنسكريتية والعربية والانكليزية والهندوسية مضافاً الى الاردوية. وكانت له مكتبة ضخمة لا يزال قسم منها محفوظاً في مدرسة الواعظين بلكهنو وفيها مؤلفاته ومنها كتابه الكبير (تحفة السنة).

ومن مؤلفاته عدا ما تقدم ذكره: مباديء علم النفس، حكمة الإشراق، المنطق الاستقرائي وغير ذلك.

كما ان له الكثير من المقالات والمثنويات.

السيد محمد هارون زنگي بوري بن السيد عبد الحسين:

ولد سنة ١٢٩٢ في بلدة زنگي بور (الهند) وتوفي سنة ١٣٣٩.

درس النحو والصرف على محمد سميع زنگي بوري، ثم تابع الدراسة على الحكيم المولوي محمد هاشم والسيد علي حسين، ثم جاء الى بنارس ليلقى مولانا علي جواد، ثم حلّ في لكهنو وانتمى الى المدرسة الناظمية وحصل على شهادتها وعلى شهادة من جامعة البنجاب. ثم تنقلت به الأيام فهو طوراً مدرساً للغة العربية في مكان، وطوراً مديراً في مكان آخر. ثم اصبح مديراً لقسم التأليف في مدرسة الواعظين في لكهنو.

كان عالماً خطيباً مؤلفاً، يجيد اللغات العربية والفارسية والاردوية.

من مؤلفاته: ترجمة لكتاب صناجة الطرب، وشهيد الاسلام، السيف اليماني، الجزيرة الخضراء والبحر الابيض، ونوادر العرب، وبراهين الشهادة، وآثار الشهادة، وترجمة احقاق الحق، وصناديد الوطن، وغير ذلك. عدا مقالات كثيرة في المجلات.

الشيخ محمد بن يوسف العسكري البحراني، ابو الحسن:

مذكور في «الروضة النضرة» ص ٥٣٠، ونقول:

أصله من قرية «عسكر» من قرى البحرين، وله شعر بالفارسية. واحتمل بعض أنه هاجر من موطنه إلى قم وأقام بها لأنه لقب في بعض المصادر بـ«القمي». هو من رجال اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر.

له «زبدة الدعوات»[1].

أبو جعفر محمد بن يونس بن الحاج راضي بن شويهي الظويهري الحميدي الربعي النسب والاصل، والنجفي الوطن والاشتغال، والحلي الدار والتنزه، والحسكي المولد والاكتساب. هكذا نسب نفسه في مقدمة كتابه الموسوم بميزان العقول في المنطق المعروف بالحسكي:

توفي حوالي سنة ١٢٣٠.

كان عالماً جامعاً، وأديباً شاعراً. أخذ عن الاغا محمد باقر البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٦هـ والسيد مهدي الطباطبائي المتوفى سنة ١٢١٢هـ والشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجي المتوفى سنة ١٢٢٨هـ. وهو خال أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء المذكور. ذكر هو ذلك في احدى رسائله الى شيخ خزاعة محسن ال غانم، وكما صرح به ابن اخته الشيخ علي الشيخ جعفر في تقريظه بخطه على ظهر براهين العقول بأن المؤلف خاله.

وكان المترجم له بالرغم من كثرة صلاته بأعيان عصره في بؤس وفقر مدقع وشقاء، لذلك امتلأت مقدمات كتبه بالشكوى من الفقر، وقد بلغ من فقره انه لم يجد قوت يومه، وهذا مما دعاه مرة أن يحترف العطارة وهي من أذل الحرف في زمانه، كما أشار هو نفسه الى ذلك في رسالة بعث بها الى صديق له من رؤساء قبيلة عفك. ومع هذا الفقر والحاجة كان صابراً محتسباً يكتب ويؤلف في شتى العلوم كالمنطق والرياضيات وغيرها من العلوم التي لا يحسنها فقهاء عصره حتى زيدت مؤلفاته على الخمسين، ويروى ان ابن اخته الشيخ موسى بن الشيخ جعفر المتوفى في شهر شعبان سنة ١٢٤١هـ قال له يوماً: الحمد لله يا خالي مصنفاتك كثيرة. فقال له اني أبيعها كلها اياك بقليل من حظك.

وأكثر مصنفاته موجودة بخطه في مكتبات النجف الخاصة، ومن بينها:

١ - كتاب ميزان العقول في كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول. يقع في جزئين. الاول منهما في المطالب التصورية، والثاني في المطالب التصديقية، صنف الجزء الاول في محلة الجامعين في الحلة في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٢٠هـ وفرغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٦ ذي الحجة سنة ١٢٢٠هـ، وشرع في تصنيف الجزء الثاني في نفس التأريخ وفرغ منه في ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٢١هـ. وقدم له مؤلفه مقدمة قيمة ذكر فيها فوائد علم المنطق والاشخاص الذين كتبوا فيه ثم الاسباب التي دعته الى تأليفه، وترجم فيها لنفسه ووصف العصر الذي عاش فيه وصفاً دقيقاً. وقد أثبتنا قسماً منها في ترجمته هذه لأهميتها التأريخية.

٢ - كتاب براهين العقول في كشف أسرار أئمة المعقول والمنقول. وهو شرح لتهذيب الوصول الى علم الاصول، تصنيف العلامة الحلي حامل للمتن بـ(قال أقول) يقع في مجلدين ضخمين صنفه سنة ١٢٢٩هـ.

٣ - البحر المحيط في اصول الفقه يقع في ثلاثة مجلدات فرغ من مجلده الاول سنة ١٢٠٠هـ وفرغ من الثاني سنة ١٢٠١هـ.

٤ - مختلف الانظار ومطرح الافكار ستة مجلدات في الاصول.

٥ - حجة الخصام في اصول الاحكام ثلاثة مجلدات.

٦ - منية اللبيب في شرح التهذيب.

٧ - موقظ الراقدين ومنبه الغافلين في المواعظ يقع في مجلدين صنفه سنة ١٢٢٨هـ.

٨ - الحجر الدامغ للعصاة سيما تاركي الصلاة ومانعي الزكاة صنفه سنة ١٢١٢هـ.

٩ - حياة القلوب في المواعظ والارشاد صنفه سنة ١٢٢٦هـ.

١٠ - سرور الواعظين وذكرى للناظرين والسامعين. رسالة شعرية أكثرها من نظمه، أخذ معانيها من القرآن الكريم والاخبار صنفه سنة ١٢٢٧هـ.

١١ - شرح الامثال العامية التي كانت شائعة في عصره.

---

(١) السيد احمد الحسيني.

١٢ ـ انـارة العقـول. فـرغ من تـأليفـه يـوم الجمعـة ٨ شـوال سنة ١٢١١هـ.

١٣ ـ فلك النجاة. فرغ من تصنيفه في شهر رجب سنة ١٢١٢هـ.

١٤ ـ مناظرات. كتاب ردود مجلد واحد.

١٥ ـ العروة الوثقى في شرح كتاب الشرايع في الفقه في عدة أجـزاء ضخمة.

١٦ ـ شرح العلويات السبع لابن أبي الحديد.

١٧ ـ الجمانة البحرية (في اللغة) مادته مختصرة من بعض الكتب.

١٨ ـ شرح خـلاصة الحسـاب للشيخ البهـائي، فـرغ من تصنيفـه ضحى يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ١٢١٨هـ.

١٩ ـ بغية الصياد في معرفة الصائد والاصطياد، رسـالة الفهـا لوالي بغداد سليمان باشا القتيل.

٢٠ ـ منهاج الاحكام في شرح درة السيد مهدي الطباطبائي.

٢١ ـ أنيس الناظر في حكايات الاوائل والاواخر.

٢٢ ـ مجمـوع. يضم. طائفـة من الكتب والقصائـد التي راسل بهـا أعيـان ووجهاء عصره، وهـذا المجمـوع، يعتبـر أحسن وثيقـة تـاريخيـة بالنسبة الى العصر الـذي عاش فيـه الكاتب، والعيب الـوحيد في هـذه الرسائل انها غير مؤرخة وهي لا تخلو من بعض الاصطلاحـات العاميـة والكلمات الـدخيلة، كـما وان الكـاتب قـد جمـع في بعضهـا بـين الجـد والهـزل. تـوجـد نسخـة الاصـل التي هي بخط الكـاتب في مكتبـة آل الجـزائري في النجف، وهي نـاقصـة من أولهـا وآخـرهـا والبـاقي منهـا (٢٢٠) صفحة، وخطها سقيم.

هذه بعض مصنفات الشيخ محمد الموجود أكثرها في مكتبات النجف الخاصة. واليك أسماء طائفة من الذين كاتبهم من أعيان عصره:

فمن علماء وفضـلاء عصره: الاغـا محمـد بـاقـر البهبهـاني المتـوفى سنـة ١٢٠٦هـ، والشيخ جعفـر كاشف الغـطاء المتوفى سنة ١٢٢٨هـ والشيخ محسن ابن الشيخ خضر الجناجي، والشيخ مـوسى بن الشيخ جعفـر كاشف الغـطاء المتوفى سنة ١٢٤١هـ والشيـخ عـلي الفـراهي، والشيخ محمد بن الحسن الفتوني، والشيخ ابراهيم بن نصار اللملومي، والشيـخ حمـود بن اسـماعيـل السـلامي، والشيـخ حسن الـوسـواسي، والشيـخ محمـد المؤذن والشيـخ عبـد الحسـين المؤذن، والشيـخ محمـد العفجـاوي، والشيخ محمـد الكرعـاوي، والشيخ أحمـد بن عكـيرش، والسيـد محسن الاعـرجي صـاحب المحصـول المتـوفى سنـة ١٢٢٧هـ، والشيخ نصار الجليحي، والشيخ سليمان بن الضحاك الحـلي؛ ومن ولاة بغداد وموظفي الحكـومة العثـمانية: عمـر باشـا (١١٧٧ ـ ١١٨٩هـ)، وسليمان باشا الكبير (١١٩٤ ـ ١٢١٧هـ)، وسعيد باشا بن سليمان باشا الكبـير (١٢٢٨ ـ ١٢٣٢هـ)، وحـاج عـلي رضـا، وحـاكـم الحلة اسماعيل بن وهيب، وعمر اغا بن محمد من موظفي الانـراك في الحلة، وسيـد محمـد أمـين المـدرس مفتي الحلة، ومـلا محمـود حـاكـم النجف وكليدار الروضة الحيدرية المتوفى سنة ١٢٣٢هـ.

ومن شيوخ ورؤساء القبائل العراقية: حمـد بن حمود شيـخ الخزاعـل المتـوفى سنـة ١٢١٤هـ، وحمـود بن قـرنـوص من شيـوخ الخـزاعـل، ومحسن بن غانم من شيوخ الخزاعل، وولده سلمان ال محسن أكبر شيوخ الخـزاعل في أيـام ولاية داود بـاشا، وشبيب بن محمـد شيـخ الاقـرع، وسليمان بن داود شيـخ عفـك، وحـاكم (حـاچم) بن داود من شيـوخ عفك، ومحمد بن خنفر من أعيان قبيلة عفك، وأخوه محمـد بن خنفر، وحمـد بن صـالـح طوش شيـخ العوابـد، وأخـطل بن مـاضي شيـخ آل اسماعيل، وأحمد بن محمد بن ناصر وحاج منصـور أبو ضروس وخشـان ورئيس الخمس من آل شـاووس، والجميع من رؤسـاء جليحة، وسيـد حسـين (حسون) مگـوطر رئيس أهـل الملوم، وحسن بن نعمـة الحـلي، ومحسن بن محمد بن سلمان الحلي وحسين چلبي وغيرهم.

كما يضم هذا المجموع طائفـة من شعره. منـه عدة مقـاطيع بـاللغة العامية الدارجة في مدح الامام علي (ع)، وقصيدتـين باللغـة الفصحى في مدح حاچم بن داود رئيس عفك، وارجوزة هزلية، وثـلاث قصائـد في مدح علي باشا والي بغداد، وقصيدة في مدح أهل بلدة الملوم ورئيسهم السيد حسين (حسون) مگوطر، وقصيدة في رثاء السيد محسن الاعرجي المتوفى سنة ١٢٢٧هـ، وبنـد في مـدح عمر آغـا حـاكم الحلة، وعـدة مقـاطيع في مـدح السيد منصـور من وجهاء منـطقة الحسكـة، وقصيدة عـامية في رثـاء الحسين بن عـلي (ع)، ومقطوعـة شعريـة في مـدح والي الفيحـاء اسماعيـل بن وهيب، واخرى في مـدح شبيب شيخ الاقـرع، وقصيدة في مدح جـاسم بك الشـاوي رئيس عشيرة العبيـد المتوفى بعـد سنة ١٢٤١هـ، الى غير ذلك.

فمن شعـره المثبت في المجمـوعـة المـذكـورة هـذه المقتـطفـات من الارجوزة التتنية:

انـا الـفـتـى ابـن يـونـس الـفـقـير
وقـوتـه الـكـراث والـشـعـيرُ
اوصـيـكـم بـالـعـلـم والـصـلاح
والـتّـتـن الـلـطـيـف والمـزاحـح
عـلـيـك (بـالأصـفـر) و(الـعـمادي)
عـلـيـهـما يـا صـاحـبـي اعـتـمادي
فـبـلل الـشـطـب ونّـدي الأصـفـرا
بمـاء ورد يـا لـه مـعـتـصرا
لـلـتـتـن فـاعـلـم يـا أخـي شرطـان
تـبـلـيـلك الـشـطـب وجمـرتـان
وقـال قـوم بـل لـه شروط
ثـالـثـهـا الـعـود بـه مخـلـوط

إلى آخرها:

ومنـه قصيدة يمـدح بها قـاسم بيك الشـاوي شيخ عشيرة العبيـد. مطلعها:

أيـا مـن هـامـة الـعـلـيـا رقـاهـا
وحـل مـن المـكـاره في ذراهـا

ومنها:

تـقـاصر عـن مـديحـك كـل مـدحٍ
فـأبـلـغ مـادح بـالـعـجـز فـاهـا
وأنـت ابـن الخـضـارم مـن (عـبـيـد
سـمـوت الى الـكـواكـب في سـماهـا

قرابة (حمير الحمراء) قوم
بفيض دم العدى رووا قناها

الى آخرها وهي طويلة. والظاهر من فحوى أبياتها، انها قيلت بمناسبة مصالحة الوزير سليمان باشا القتيل لقبيلة العبيد وتقريبه لقاسم المذكور ضد شمر الجرباء سنة ١٢٢٣/١هـ أو سنة ١٢٣١هـ وهي السنة التي استخدم فيها بسعيد باشا قاسم الشاوي والعبيد في محاربة شمر والخزاعل بالقرب من الديوانية.

ومن شعره. هذا البند. اثبته في ضمن رسالة كتبها بعد سنة ١٢١٥هـ الى حاكم الحلة عمر اغا بن محمد.

ممن يدعي الود حليف الهم والوجد. الى من أكرم الوفد ونال غاية القصد، ومن حاز بدنياه صمات مالها حد، فذاك الماهر الباهر، جميل البطن والظاهر، صدوق فاه بالصدق، وما مال عن الحق، الى أن يقول:

فكم جندل فرسان وكم ذلّل أقران، وكم دمر أضداد وكم أهلك حسّاد، فمن قيصر في عقله ومن حاتم في فضله ومن مصعب في مجده ومن هارون في سعده، فمنه يخفق الدهر، وفيه أشرق العصر، فتى همته البذل وساحل جوده الفضل، ولا يعشق الا الطعن والاطعام والاقدام والاكرام ليلاً ونهاراً.

وله يرثي السيد محسن بن السيد حسن الاعرجي صاحب المحصول المتوفى سنة ١٢٢٧هـ بقصيدة مطلعها:

تهدم أركان العلى والمفاخر
وفل عرى الاسلام والدين حاسر

فقابلها بعض ادباء عصره بالنقد والسخرية لركّتها، فرد عليهم بالابيات التالية:

فيا أيها الطعان في كل مجلس
فقد صدرت مني وما أنا شاعر
فان اشتغالي بالعلوم ولا أرى
سواها لنا ذخراً فنعم الذخائر
فان لم يكن عذري لديك موجهاً
فأنت بهذا الطعن باغ وجائر

وله في مدح علي باشا والي بغداد عدة قصائد ومقاطيع شعرية، منها قصيدة تشتمل على (٢٢) بيتاً مطلعها:

الا يا أبا المعروف يا بن الاطايب
ويا عمدة الامجاد رأس الحرايب

وختمها بقوله:

اليك أبا المعروف أمت مطيتي
تجوب الفيافي قاطعاً للسباسب
خرجت وأهلي حائرون وما دروا
الى بحرك الطامي اثيرت ركائبي
فكن لي ظهيراً يا أبا الجود انني
بليت بدهر قاتني بالمعاطب

وقال يمدحه ويهنيه بالوزارة (سنة ١٢١٧هـ) بقصيدة تشتمل على (٢٨) بيتاً جاء فيها قوله:

تخر له القبائل ساجدات
وترهبه المنية حيث عنّا
وقد عاداه أقوام بغاة
فدمرهم وأهلكهم وأخنى
هنيئاً بالوزارة يا (علي)
فقد أعطاك ربك ما تمنّى
وقلدك الرياسة ثم أوصى
بسنة من لدين الحق سنّا

وله يرثي حاچم (حاكم) بن داود بن سلمان رئيس قبيلة عفك لما قتله قومه بقصيدة تشتمل على (٣٩) بيتاً مطلعها:

صحبت الشجا والهم ما دمت باقيا
وفارقت أيام الهنا والليااليا

وله يمدح عمر باشا بهذا الموال:

يا معدن الجود يا طلع اليسار او يمن
أيضاً فلا يلتقي مثله بحجاز او يمن
يا مطعم الضيف من رز كثير او سمن
ميتم معاليه لرقاب الخصيم او سمن
من صرت عدنا العسر والشر هج او ضعن
من حيث ما قمطت مثلك نساء اوضعن
شاري خصال المروه حين قالوا ابثمن
ايضاً عيون السخاوالجود منك ابثمن
يا أشوس ينحر خيول العدى لو عدن
وافعال الامجاد ما هي عن جنابه عدن
وان يحيى وحاتمها وفضل او معن
داعوك على المرجلة والجود والتدبير
الشرع يفتي بانت لها مقر او معن

هذه بعض أشعاره المثبتة في مجموعة رسائله، وله أشعار غيرها كثيرة؛ أشار هو اليها في بعض مؤلفاته. وأما نثره فكثير. منه مقدمات كتبه، ومن بين هذه المقدمات: مقدمة الجزء الاول من كتابه الموسوم بميزان العقول في المنطق الذي لا يزال مخطوطاً، وهذه المقدمة تعد بحق أحسن وثيقة تأريخية لما اشتملت عليه من ترجمة لنفسه، وكذلك وصفه وصفا شاملا للعصر الذي عاش فيه. فقد جاء فيها بعد ذكره لعلم المنطق وأهميته والاشخاص الذين صنفوا فيه، والاسباب التي دعته الى تصنيف هذا الكتاب قوله:

فشرعت فيه والعين تجري دما والقلب يرشح قيحا، فقد ضاقت بي الارض ذات الطول والعرض، فلا مأوى التجيء اليه، ولا مرجعاً اعتمد عليه، ولا سوراً به احتمي، ولا حصنا اليه التجي، لما حل بي من المصائب وكثرة النوائب وسلب الرياش وضنك المعاش وعدم التأييد والسداد وكثرة الخصماء والاضداد وموازاة السفهاء والحساد، والطعن من ذوي الجهل والحقد والعناد. في عشاء ليلتي اتبصر، ولعشاء الاخرى أتفكر، لم آكل الا الخبز اليابس كالحجر الجامس، وقد صدر مني وجري، ولي كبد حرى، أمشي بغير وطني وآوي الى غير سكني من

بلد الى بلد ومن وديان الى حماد ومن قرية الى جماعة[1]، في حال الذل والعناء والمجاعة، ومن ربعة الى مضيفة بين عقول سخيفة، ليس لهم من الله تعالى خشية وخيفة؛ فلما فرغت منه جاء من فضل الله تعالى ولطفه كتاباً يرشد العقل الى ادراك أقاصي المشكلات ويهدي الفكر الى تصور غايات معارج المعضلات. وسميته ميزان العقول في كشف أسرار غوامض حقائق مسائل علم المعقول.

وكان تأريخ الابتداء به في اليوم الثاني من شهر شوال سنة ١٢٢٠هـ، والفراغ منه ضحى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٢٢١هـ. فمجموع الايام التي تصور فيها أربعة أشهر وسبعة وعشرون يوماً.

وان اردت ان تكون في هذا الفن ممتد الباع طويل اليدين والذراع واسع الدائرة كثير الاطلاع، فراجع الكتب المنطقية كمنار الافكار، وضياء الاذهان، ومرآة العقول. فان فيها عن مطولات الفن كفاية للطالب، وغنية للراغب. والمرجو ممن اطلع على زلة أن يغفرها أو هفوة أن يسترها، لاني شرعت فيه في زمان قد غمر الانام بلاؤه وضاقت عليهم ارض الله وسماؤه، فقد ارتفع جهاله وظلمت عماله، والخلق فيه مكتئبة، والبلاد مضطربة من الخوارج النجدية والفراعنة الوهابية، يقدمهم الطاغي الجحود والباغي الحقود الضال المضل ابن عبد العزيز سعود الجبار العنيد والمبدع له دينا جديدا. وقد هربت العلماء منهم الى الاراضي النائية والامصار القاصية، وقد خلت منهم الديار واستوطنوا اقاصي البلدان والامصار، وبكت عليهم أوطانهم واستوحشت عليهم بلدانهم، فللمداد بكاء ودموع، وللكتب حنين وخشوع، والمدارس قد سدت ابوابها وفقدت طلابها، بل اندرست تلك المدارس وتفرقت تلك المحافل والمجالس، وابيدت عساكر الاشتغال، واحييت سنن القيل والقال، والناس متغيرة الالوان نحيلة الابدان، قد غمرتهم اثواب الذل والهوان وحفتهم جنودا لهم والاحزان، حائرون في انفسهم، يترقبون يوم حتفهم ورمسهم، لما اصابهم من عمالهم واضمحلال احوالهم، لما دهم العراق من الوهابية اولى الكفر والطغيان والنفاق، واصحاب الشرك والبغي والشقاق، فكم اروو فيه الارض من الدماء، وذبحوا فيه من العلماء والصلحاء، وكم قتلوا فيه من السادة النجباء، فذبحوا العربان، وقتلوا المعدان، ثم هجموا على بلد الحسين (عليه السلام) وقتلوا فيه قريباً من الفين، وذلك في يوم الغدير من شهر ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ؛ ثم مضت برهة من الزمان والايام، وسطوا على بلد الامام علي.بن ابي طالب (عليه السلام)، في غلس الظلام، فشهر عليهم الحسام وتركهم حول الخندق والسور صرعى نيام، فولى المخذول مكسوراً، وذهب الملعون مقهوراً متبوراً، وقد كانت الوقعة يوم التاسع من شهر صفر سنة ١٢٢١هـ. فيا له من زمان ما اكلبه، ووقت ما اصعبه، قد خمدت فيه مصابيح الامة، وانزوى الوكلاء من قبل الائمة، واضمحلت شوكة الدين، واستقامت سلطنة الجاهلين، قد ارتفع فيه الجهلاء وانخفض فيه العلماء، فلا مأوى يلتجؤون اليه ولا مرجع يعتمدون عليه، ولا سورا به يحتمون، ولا حصناً اليه يتلجؤون، قد رقيت منابرهم ويبست محابرهم وغصبت مناصبهم وتكاثرت مصائبهم وعظمت نوائبهم، وقد عمرت قصور الجهل بصخور الفرح والسرور، وبنيت دور العلم باحجار الذل والكدور، فالذل قد غمر العلماء، والعز قد كنف الجهلاء، فسبيل الجهل معمورة، وطرق العلم بالاندراس مغمورة، وما احسن ما قاله بعض الاعلام في هذا المقام:

مصائب الدهر كفي
ان لم تكف فخفي
خرجت اطلب رزقي
وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى
ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا
وعالم متخفي

هذا مع ما انا فيه من تراكم الهموم وتسابق الغموم وتشتيت البال ورادعة الحال؛ ومع ذلك فقد جعلني الاخوان نصب الاعين ومدار الالسن، وسلوة للعاقل، وسالفة للجاهل، فلا زالوا يتجسسون عن معائبي ويستخبرون عن مناقصي ومثالبي، فسدوا علي طرق الرزق، وسنوا علي السنة الخلق، فنفر عني عامة الناس وبعض العلماء والاشراف والاكياس، وانا معهم كما قال بعض العلماء حيث انه يشتكي من الاخوان ويتظلم من الخلان:

واخوان لهم سهم مضيض
بعرض من سهام الدهر صمّا
بغوا اطفاء نور قد تجلى
ويأبى الله الا ان يتما
وما طلبوا سوى كتمان ذكري
وتأبى رفعتي وعلاي كتما
ولو تبعوا سبيلي لاستضاؤا
بنور هداي في طخياء ظلما
ساعذرهم لان المرء ضد
لطود لم يحط بعلاه علما
وكوني فيهم داعي جفاهم
واني منهم أعزى وانمى
فان داموا على عكسي وهجري
افادتهم كسهم حين يُرمى
فلا اخشى لهم في الدهر حرباً
ولا ارجو لهم في الدهر سلما
وذي رأي عديم رام نقصي
يعادل بي رعاع القوم ظلما
تعادل لا أباً لك بي رعاعاً
سمعت الدرُّ عاد قط فحما

فلما رأيتهم لا يرتدعون عن اذيتي ولا يمتنعون عن غيبتي، ويطرحون اسمي في المدارس ويطعنون بي في المجالس، وينفرون عني الناس حتى هجرني الاشراف والاكياس. خرجت عنهم بأهلي الى الحلة. فاتخذتها لي وطناً وصيرتها لي سكنا، لانها كانت للعلم داراً، وان كانت الآن للظلم مقراً وقراراً، ولو اعلم ان لي ذنباً مع الاخوان او تقصيراً مع

(١) الحماد. الارض القاحلة، والجماعة: القرية الصغيرة.

الخلّان لالقيت اليهم عنان الندم والاعتذار، وترديت بأردية الذلة والمسكنة والاحتقار، واتيتهم ذليلاً صغيراً ومسكيناً مستكيناً حقيراً، ولكن لا اعرف لي ذنباً سوى الحسد الذي أثاره الشيطان وهيج الاحقاد والاضغان، كما قال القائل:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لي الا العلى والفواضل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم
باخفاء شمس ضوؤها متكامل
فواعجباكم يدعي الفضل ناقص
ووا اسفاكم يظهر النقص فاضل
وطال اغتاربي بالزمان واهله
فلست أبالي من تغول الغوائل
اذا أنت اعطيت السعادة لم تبن
وان نظرت شزرا اليك القبائل
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً
تجاهلت حتى ظن أني جاهل

واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب والواعي لهذا الخطاب. بأني صنفت لك هذا الكتاب اللطيف والشرح الفائق المنيف، وانا في حيرة، وأمشي على غير بصيرة، فتارة افكر في نفسي لما اصابني من ابناء جنسي، وتارة افكر في أمري لما صنع بي دهري، من تشويش البال ورداءة الحال، ومطالب العيال وارضاء الاطفال، وانا بين قبائل وعشائر، فاقدي العقول والبصائر، ليس فيهم كريم جايد، ولا معروف ذو فوايد، والعالم عندهم لا يطاع، والجاهل عندهم في تحصن وامتناع وعز وارتفاع، هذا مع أن لي عدة من البنات ونيِّفاً من الأمهات لا زالت بينهن الفتن والحروب، ولا زلت بينهنّ كئيباً مكروب، ان كانت الفتنة في السماء تراها من دارنا نابعة. كما قال اخو شيبان في بنده[٢]:

فامسيت من الجد، حليف الهم والجهد، واصبحت من الناس، على اللئواء والياس، اعل النفس بالبرق وباللغو من النطق، فلا حر بمنظور ولا نذل بمحقور، وقد عاينت ذا الناس كجثمان بلا رأس، حوالي ـ كأنعام اذا قلت، واصداء اذا صحت، قعوداً ووقوفاً، وعلى اللؤم عكوفاً، لا لهم عز الذي عز، ولا بز الذي بز، وقد حرت بدنياي، وما عاينت الاى، مقيما بين أجناس من الغول ونسناس، وأشباه من الناس، فلا حر توافيه، ولا خل تصافيه، سوى المظهر ودا بفؤاد كظم الغل، وشاء لا تعي القول، ولا تفهم ما العذل، واوغاد بهم ذل الذي قد جمع الفضل، لذا يسكب للنفس دماها، ومن الاعين ماها، وتشال السمهريات على القب الهوادي، بمصاليت عوادي، يستلذون ثرى الرمس، ولا الضيم على النفس، يجدّون على العلياء ليلاً ونهاراً.

وعليك يا الهي اعتمد وبك استنصر واستنجد وانت المستعان وعليك التكلان.

وبعد: فهذه لمحة من تأريخ حياة هذا العالم المجهول، وترجمة حياته كما ظهر لك من خلال هذه السطور، انها صفحة من تأريخ العراق الاجتماعي والادبي خلال الربع الاول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

وكان المترجم له حياً في سنة ١٢٢٩هـ وهي سنة تصنيفه لكتاب براهين العقول، ولم نقف على المدة التي عاشها بعد السنة المذكورة[٣].

محمود بن محمد (ابي المكارم) بن محمد (ابي الفضل) الواعظ الحسني، ابو المكارم:

من أعلام النصف الثاني من القرن السابع وربما أوائل القرن الثامن، وهو من أعاظم علماء الشيعة في عصره.

جاء على نسخة من كتابه «البلابل» كتبها ابنه ابو المفاخر علي الواعظ الحسني وأتم كتابتها في يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ٧٢٠ «الامام الهمام العامل (العالم)» العامل الفاضل الكامل ملك المفسرين قدوة العلماء والمحققين السيد النسيب الحسيب مفخر آل طه ويسين ابو المكارم..».

له «بلابل القلاقل»[٣].

الحاج محمود بن محمد التبريزي، نظام العلماء:

من تلامذة الشيخ احمد الاحسائي المدافعين عنه في تأليفه، ألف كتباً ورسائل كثيرة خاصة في رد الصوفية وتأييد آراء أستاذه، أصله من تبريز وأقام مدة في عبد العظيم بالري في خدمة محمد شاه القاجار، وكان معلماً لناصر الدين شاه القاجار حينما كان ولي العهد له شعر بالفارسية والعربية ليس بالنمط الجيد، ومنه قوله:

له «التحفة المحقرة» ألفه سنة ١٢٥٥، و«الرد على الرادين على الاحسائي» أتمه سنة ١٢٥٦، و«شرح رسالة العلم» للأحسائي ألفه سنة ١٢٥٦، و«شفاء القلوب»[٤].

شرف الدين محمود الطالقاني:

مترجم في «احياء الداثر» ص ٢٤١، ونقول:

يستفاد من الوثائق الموجودة الآن أنه كان من العلماء البارزين في منطقته، وكان أحفاده يتبركون بتسمية أولادهم باسمه ولقبه.

وهو جد السادة المتوطنين في قريتي «سوهان» و«گليرد» في طالقان.

توفي قبل سنة ١٩١٤ التي كتب فيها وقفية سوهان وگليرد، ودفن في قرية «يَرَك» من قرى الموت[٥].

الدكتور محمود حسابي

مؤسس علم الفيزياء العصرية في الجمهورية الاسلامية الايرانية.

ولد عام ١٩٠٢ م في مدينة تفرش الايرانية، وتوفي سنة ١٩٩٢ في أحد مستشفيات جنيف ونقل جثمانه الى تفرش ودفن فيها.

في سن الرابعة، انتقل للعيش في بغداد بعد أن عينّ والده في السفارة الايرانية هناك، بعدها بعامين انتقل مع عائلته الى دمشق،

(١) يريد به الشيخ حميّد (مصغر) بن الشيخ محمد بن نهاد الشيباني اللملومي النجفي المشتهر بالشيخ حميّد نصّار المتوفى سنة ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦هـ.

(٢) الشيخ حمود الساعدي.

(٣) السيد احمد الحسيني.

(٤) السيد احمد الحسيني.

(٥) السيد احمد الحسيني.

وبعد عام انتقل الى بيروت.

أتم دراسته الابتدائية والثانوية في بيروت، وحصل على عدة شهادات كالاجازة في الأدب والعلوم، هندسة الطرق، علم النجوم، الرياضيات والعلوم الطبيعية خلال عامي ١٩٢٤/١٩٢٥، وفي هذه المدة درس قسماً من العلوم الطبية في بيروت، وكان يقول دائماً: «لا أحب الطب لأنه خال من القوانين»، وقبل أن يسافر الى فرنسا، عمل في شق الطرق لمدة سنتين في سوريا ولبنان، وغالباً ما كان يردد: «لقد مللت من هذا العمل لأن جميع الطرق والجسور متشابهة». ثم قصد فرنسا، ودرس هندسة الكهرباء وحاز على شهادة التخرج . . . من كلية الكهرباء العليا Ecole Supereiur Electricité. وبعد عام حصل على وثيقة دراسة المعادن من المدرسة العالية للمعادن في باريس، وأخيراً نال درجة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة السوربون الفرنسية، والجدير بالذكر أنه كان يجيد التكلم بأربع لغات هي: الفرنسية والانكليزية والألمانية والعربية، وهذا ما ساعده على الوقوف على كافة الأبحاث والدراسات والاختراعات الجديدة التي تنشر في جميع أنحاء العالم. وتقوم الجمعية الفيزيائية الايرانية باعطاء جائزة سنوية لصاحب أفضل دراسة في مجال الفيزياء باسم جائزة الدكتور حسابي. كما كان المعهد الدولي للرصد الاحيائي قد اختار المترجم: رجل العام ١٩٩٠ في رسالة بعثها المعهد اليه، ذاكراً أن الاختيار قد تم للخدمات الجليلة التي قدمها للمجتمع الانساني وقد قام بكثير من الأعمال الهامة نذكر بعضاً منها:

١ ــ رسم خارطة الطرق في لبنان عام ١٩٢١.

٢ ــ تنفيذ مشاريع تطوير بالتعاون مع شركة فرنسية عام ١٩٢٣.

٣ ــ عمل مهندساً للطرق والبناء في دائرة طرق لبنان عام ١٩٢٣.

٤ ــ عمل مهندساً للطرق والبناء في دائرة الطرق في سوريا ١٩٢٤.

٥ ــ عمل مهندساً للكهرباء في سكك الحديد الكهربائية في فرنسا عام ١٩٢٥.

٦ ــ عمل مهندساً للطرق في وزارة الفوائد العامة (الطرق والنقل) في ايران عام ١٩٢٧.

٧ ــ قام بتأسيس دار المعلمين العالية.

٨ ــ انشاء أول مقر لرصد الجو، وتأسيس أول مرصد لمتابعة الأقمار الصناعية في شيراز.

٩ ــ نصب واستثمار أول جهاز راديولوجي في ايران.

١٠ ــ تأسيس المدارس العشائرية.

١١ ــ انشاء مؤسسة (جيوفيزياء)، (زئوفيزيك) في جامعة طهران.

١٢ ــ تأسيس الكليات العلمية والفنية ١٩٣٤ ورئاستها حتى عام ١٩٣٦، والتدريس فيها فيما بعد.

١٣ ــ تأسيس أول مشفى خاص في طهران مشفى (گوهرشاد).

١٤ ــ انشاء مركز هاتف أسدأباد في همدان.

١٥ ــ انشاء جامعة طهران ١٩٣٤ وكتابة نظامها الداخلي.

١٦ ــ تدوين قانون المواصفات العالمية (استاندارد).

وقدم المئات من المقالات والبحوث والكتب والرسائل والمواضيع العلمية وفيما يلي نورد بعضاً منها:

١ ــ رسالة الدكتوراه بعنوان (حساسية الخلايا الضوئية) أصدرتها جامعة باريس عام ١٩٢٧ م.

٢ ــ تحقيق موضوع (استنتاج بناء الذرات الأصلية لمركز الذرة من النظرية النسبية العامة) لأنشتاين، وقد تم هذا العمل عملياً وبتوجيه من انشتاين (جامعة برينستون ١٩٤٦ م).

٣ ــ التحقيق حول موضوع (الانحراف الشعاعي الضوئي بجوار المادة) جامعة شيكاغو ١٩٤٨ م، والعمل على دراسة النظرية المتعلقة ببناء الذرات الأصلية لمركز الذرة، وايجاد مخابر عبور الضوء بجوار المادة في كلية العلوم بجامعة طهران.

٤ ــ رسالة عن الفيزياء الجديدة وفلسفة ايران القديمة.

٥ ــ رسالة عن قدرة اللغة الفارسية.

٦ ــ كتاب الأسماء الايرانية.

٧ ــ كتاب النظرات الفيزيائية (جامعة طهران) ١٩٦٦ م.

٨ ــ كتاب فيزياء الحالة الجامدة جامعة طهران ١٩٦٩ م.

٩ ــ كتاب النظرات (الكوانتيكية) جامعة طهران ١٩٧٩ م.

١٠ ــ مقالة عن شكل الذرة المنبسطة الى ما لا نهاية في نشرة الفيزياء الفرنسية ١٩٥٧ م.

١١ ــ رسالة عن نظرية الذرات المنبسطة إلى ما لا نهاية، جامعة طهران ١٩٧٧ م.

١٢ ــ كتاب مادة الفيزياء للدورة الأولى من المرحلة المتوسطة ١٩٧٧ م.

١٣ ــ كتاب الكترودیناميك تحت الطبع.

١٤ ــ رسالة طريقنا عام ١٩٣٥.

وقد تم طبع رسالته عن قدرة اللغة الفارسية على اعطاء المصطلحات ذات المعاني الدقيقة المرادفة للمصطلحات الأجنبية، وقد طبع الرسالة في كتاب صغير، اذ أثبت فيه أن اللغة الفارسية لا يمكن مقايستها باللغات الأوروبية والهندسية، من حيث سعة هذه اللغة الاستيعابية.

وفي مجال تبادل الآراء وتطبيق بعض المشاريع البحوثية، كان له لقاءات عديدة هامة مع العلماء المشهورين مثل (ألبرت اينشتاين). فقد سافر في عام ١٩٤٦ الى بريطانيا لتقديم نظريته في (الذرات الأساسية)، ثم قصد مؤسسة برينستون المقطورة في أميركا، وخلال سفره التقى بالشخصيات العلمية الشهيرة كانشتاين وفون ويمان وغودل وفرمي وديراك . . . الخ.

وفي أميركا التقى الدكتور حسابي بالعالم انشتاين، وطرح عليه نظريته، وفي المقابل أبدى اينشتاين ملاحظاته، التي واصل الدكتور حسابي بحثه على أساسها، وذلك خلال عام كامل، وكان يتردد على انشتاين كلما احتاج إلى ارشاد معين، وفي آخر العام كانت حصيلة عمله مقالة قام بإعدادها بمساعدة انشتاين، ونشرتها مجلة أكاديمية العلوم

الأميركية.

وبقيت هذه الأبحاث القيمة دون اكمال لعودة الدكتور محمود الى ايران، بسبب قطع المعونة المالية من قبل رئيس جامعة طهران في زمن الشاه، في الوقت الذي رشح فيه الدكتور الكبير لأفضل المقاعد في جامعات الدرجة الأولى في أميركا وكندا، وكان يقول دائماً: «إنني أفضل مجالسة طلابي الايرانيين على تلك الرفاهية والنعيم الذي أجده في الخارج».

وبدأ نشاطه في ايران ولم يتوقف، وسمي بأبي الفيزياء الجديدة وفاتح هذا العلم في ايران، لأنه يعود إليه الفضل في تأسيس الجامعة في ايران، وبداية تاريخ التعليم الجامعي الفيزيائي، ولم تشنِ مشاغله الكثيرة ونشاطاته المتنوعة ومسؤولياته عن حضوره ـ شتى مجالات التعليم الفيزيائي، وباعتباره أول أستاذ لمادة الفيزياء في ايران، فقد استطاع أن يربي أجيالاً من الفيزيائيين الايرانيين، ويمكننا القول بأنه يعتبر أيضاً مؤسس لمؤتمر الفيزياء الذي سبق ذكره في الجمهورية الاسلامية الايرانية، ولا بد لنا أن نتابع ذكر بعض الأعمال التي مارسها:

١ ـ تطبيق مشاريع الصناعة الجيدة مع شركة فرنسية ١٩٢٣ م.

٢ ـ عمل مهندساً في وزارة المواصلات الايرانية ١٩٢٧ م.

٣ ـ أسس المدرسة الهندسية للمواصلات ودرّس فيها عام ١٩٢٨ م.

٤ ـ كشف ورسم أول خريطة بنائية للطريق الساحلي بين موانىء الخليج الفارسي من بوشهر حتى بندرلنكه ١٩٢٨.

٥ ـ وُظّف من قبل وزارة المواصلات لرسم خريطة طهران (شمشك) من أجل معادن الفحم الحجري ١٩٣٣ م.

٦ ـ تأسيس كلية العلوم ورئاستها من عام ١٩٤٣ ـ وحتى عام ١٩٤٩، ومن عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٨ والتدريس فيها حالياً، وأسس مركز البحوث راكتور النووي بجامعة طهران.

٧ ـ عمل وزيراً للثقافة في حكومة الدكتور مصدق.

٨ ـ أستاذ في جامعة طهران من عام ١٩٧٣ م.

٩ ـ خلال أعوامه الستين التي قضاها في تدريسه لمادة الفيزياء في ايران، استطاع أن يقدم للعالم آلافاً من المتخرجين الفيزيائيين الذين شغلوا منصب التدريس في الجامعات أو المدارس، أو استلموا العمل في المصانع، أو رشحوا لرئاستها في الجمهورية الاسلامية الايرانية.

ولا بد أن نذكر من بحوثه الثقافية ذاك البحث بعنوان (اللغة الفارسية تفقد المصطلحات الفيزيائية المرادفة للمصطلحات الأجنبية)، وهذا ما يستفيد منه الدارسون في المدارس والجامعات والمؤسسات العلمية. وآخر كتاب من المصطلحات يحمل عنوان (وندها وكهوارهاي الفارسية) ويطبع حالياً باللغتين الفارسية والانكليزية، وهذا الكتاب يساعد المحققين في مجال تطبيق المصطلحات.

ومن مقالاته العلمية التي نشرت:

١ ـ تفسير أمواج دو برويل ١٩٤٥ م طهران.

٢ ـ رسالة عن أصل المادة، دار النشر لجامعة طهران.

٣ ـ مقالة عن اقتراح قانون الجاذبية العامة لنيوتن، وقانون المجال الكهربائي لماكسون، المطبوع في تقرير مؤتمر الذرات الأصلية في جامعة كمبرج البريطانية ١٩٤٦.

٤ ـ مقالة عن الذرات مطبوعة في أكاديمية العلوم الأميركية ١٩٤٧ م.

وقد شغل منصب العضوية في:

١ ـ الجمعية الفيزيائية الأوروبية.

٢ ـ الجمعية الفيزيائية الأميركية.

٣ ـ الجمعية الفيزيائية الفرنسية.

٤ ـ أكاديمية العلوم في نيويورك.

٥ ـ العضوية الدائمة في مجمع اللغة الايرانية من عام ١٩٣٦ م.

٦ ـ شورى الجامعة من عام ١٩٣٥ م.

٧ ـ شورى الثقافة العالية من عام ١٩٥٣.

٨ ـ جمعية المصطلحات العلمية من عام ١٩٥٣ م.

٩ ـ رئاسة لجنة البحوث الفضائية الايرانية.

١٠ ـ رئاسة الجمعية (الجيوفيزيائية) الايرانية وقت انشائها.

١١ ـ الهيئة العلمية الفضائية في جنيف ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ م.

١٢ ـ مؤتمر فيينا النووي ١٩٦٦.

١٣ ـ عضو علمي وفني للفضاء في نيويورك عام ١٩٥٨ م.

١٤ ـ عضو علمي وفني للفضاء فيينا ١٩٦٨ م.

١٥ ـ عضو أول مؤتمر نووي في جنيف عام ١٩٥٨ م.

١٦ ـ عضو مؤتمر أوسلو للرياضيين في النروج عام ١٩٣٦ م.

١٧ ـ عضو مؤتمر موسكو النووي ١٩٥٥ م.

١٨ ـ عضو في افتتاح مؤتمر راكتور النووي في الهند ١٩٦٠ م.

١٩ ـ دعوته من قبل الحكومة الفرنسية لالقاء البحوث العلمية وزيارة المؤسسات البحوثية في عام ١٩٥٦ م.

السيد مرتضى حسين النقوي صدر الافاضل:

ولد في لكهنو (الهند) سنة ١٣٤٦ وتوفي سنة ١٤٠٧ في لاهور (الباكستان).

هو من اسرة علوية عريقة ينتهي نسبها الى الامام علي الهادي النقي (عليه السلام)، وكان من اعلامها جد المترجم الاعلى السيد محمد النقوي المعروف بآغا ميرزا، وجده السيد إعجاز حسين النقوي، ووالده السيد سردار حسين النقوي المعروف بقاسم آغا.

درس دراسته الاولى في لكهنو في المدرسة العابدية ثم درس النحو والصرف والمنطق والاصول والفقه والتفسير والكلام في المدرستين الشهيرتين: مدرسة سلطان المدارس، ومدرسة مشارع الشرائع الناظمية، وفي خلال دراسته كتب شرحاً لكتاب (المعالم) وحواشي على

الموسوعة الفقهية الموسومة بـ(شرح كبير)، كما أخذ ينشر مقالات علمية وادبية في المجلات والجرائد.

كان من اساتذته كل من العلماء الاعلام: السيد نجم الحسن والسيد احمد علي الموسوي الجزائري والسيد محمد حسين الفقيه اللكهنوي والسيد ناصر حسين والسيد سعيد بن السيد ناصر حسين والسيد ابي الحسن النقوي وغيرهم.

كما اجيز بعد ذلك من كل من آغابزرك الطهراني صاحب الذريعة (النجف) والسيد شهاب الدين المرعشي (قم) والشيخ محمد رضا الطبسي (النجف) والسيد مروج الجزائري (النجف) والسيد محمد حسين اللكهنوي (لكهنو) والسيد محمد حسن اللكهنوي (نزيل كربلاء) والسيد طيب آغا الموسوي الجزائري (نزيل قم).

كان عالماً جليلاً، بحاثة مؤرخاً محققاً، من أبرز من أنجبتهم شبه القارة الهندية، وكان يجيد اللغة العربية كاتباً مجيداً فيها، وينظم فيها الشعر أحياناً، كريم الأخلاق طيب الذات لطيف المعشر، وفياً جواداً.

لم يقتصر في دراسته على ما عُرف من دراسة العلوم الاسلامية، بل راح يتابع الدراسات الحديثة على نفسه حتى كان فريداً بين اقرانه سواء كانوا من رجال الدين او من رجال الثقافات الحديثة. وعندما بدأت بالصدور دائرة المعارف الأردوية في الباكستان كان هو من الاركان التي اعتمدت عليها في كثير من البحوث والدراسات.

ولد ـ كما قلنا فيما تقدم ـ في لكهنو وفيها كان تكوينه العلمي والفكري والادبي الاول، وكان تفوقه فيها بارزاً لافتاً للانظار. ولما تم تقسيم شبه القارة الهندية رحل الى الباكستان واستقر في مدينة (لاهور) العاصمة الثقافية للباكستان فكان فيها علماً، متفرداً في الكثير من قضايا الفكر والعلم والادب لا يجاريه في هذا مجار، مقروناً ذلك كله بتواضع ونكران للذات وترفع عن الصغائر وبهارج الحياة الزائفة.

وقام برحلات الى العراق والحجاز وايران وسوريا ولبنان وبنغلادش وامريكا والهند مستطلعاً باحثاً، وترك العشرات من المؤلفات التي طبع بعضها في حياته، ولا يزال الباقي مخطوطاً. ومن اهم مؤلفاته المطبوعة كتاب (مطلع انوار) يحتوي على تراجم علماء الهند والباكستان، وقد كان مصدرنا فيما كتبنا عنهم في (المستدركات). ومنها: تاريخ الادب الاردوي، وتاريخ تدوين الحديث، وكليات غالب، وكليات فيضي وگلستان ادب، ومثنويات حالي، وشرح غزليات نظيري، وحياة حكيم، وجواهر دبير. وغير ذلك، ويبلغ عدد ما طبع من مؤلفاته المئة الكتاب. هذا عدا كتبه غير المطبوعة.

تخلف بخمسة بنين ابرزهم السيد حسين الذي سار على طريق والده في العلم والعمل، وقد حاز على درجة (ماجستير) في الشريعة من جامعة البنجاب، وتابع في حوزة (قم) دراسة العلوم الاسلامية، وزوجة السيد حسين السيدة طلعة حصلت على (الماجستير) في علوم الشريعة وتابعت الدراسة هي الاخرى في حوزة قم، وهكذا ظل بيت السيد مرتضى بيتاً علمياً برجاله ونسائه.

مرتضى بن محمد الحسيني:

عالم له اطلاع في الفلسفة والكلام والعلوم الدينية الأخرى، من أعلام القرن الحادي عشر.

له «عقايد عباسية» و«ذريعة سليمانية» بدأ به سنة ١٠٧٨[١].

السيد مصطفى بن معصوم الحسيني المازندراني

ولد سنة ١٢٤٥ وهاجر الى النجف الأشرف سنة ١٢٨١ لاكمال دراساته العالية، ومن جملة أساتذته بها الشيخ ملا لطف الله المازندراني والشيخ مرتضى الأنصاري، وأتم بعض رسائله في ليلة ١٥ شهر رجب سنة ١٢٨٥.

له «كاشف الأسرار والسرائر عن صلاة المسافر» و«لباس المصلي» و«النهي في المعاملة يدل على الفساد» و«قاعدة اللزوم» و«قاعدة الخيار» وكتابات متفرقة أخرى[٢].

مطهر بن عبد الله بن علي الحسني، عز الدين

أديب عين فاضل شاعر بالفارسية عارف مائل الى التصوف، من أعلام أواخر القرن الثامن، وكان يتخلص في شعره الفارسي بـ«مطهر».

كتب بخطه في المجموعة المعروفة بـ«جنك تاج الدين أحمد الوزير» بعض آثاره وأشعاره، وذلك في منتصف شهر رجب سنة ٧٨٢[٣].

السيد مظهر حسن سهارن بوري بن السيد صادق حسين:

ولد سنة ١٢٦٩ في سهارن بور (الهند) وتوفي سنة ١٣٥٠ درس اللغة الفارسية على المولوي السيد دلدار علي نانوتوي. ثم انتمى الى المدارس الحكومية. ولما جاء الشيخ علي رضا القزويني الذي كان مقيماً في بشاور الى سهارن بوري التقى المترجم له به، فأخذه معه الى بشاور فدرس هناك الصرف والنحو، ثم عاد الى لكهنو فدرس الاصول والفقه، ثم عاد الى بلده، ثم اصبح مديراً لمدرسة دينية في أنباله من توابع لاهور، ثم مدرساً للغة العربية في احدى المدارس.

له من المؤلفات: تحفة المتقين، وتاريخ مكة المكرمة، وتاريخ امير المؤمنين في مجلدين، وكشف الحقائق، وسوانح الامام جعفر الصادق، ولمعة الضياء في احوال الامام الرضا في مجلدين، ورسالة في احوال التوكل العباسي، وسوانح الامام موسى الكاظم، وسوانح الامام زين العابدين، وسوانح الامام الحسين، وتاريخ الائمة.

الشيخ مفيد بن الحسن البحراني الشيرازي

مذكور في «الكواكب المنتثرة» المخطوط، ونقول:

وصفه الشيخ أحمد بن اسماعيل الجزائري في الاجازة التي كتبها لولد صاحب الترجمة الشيخ عبد النبي البحراني في سنة ١١٥٠، بقوله «ولد عين أعيان العصر أفضل الكل المحقق المدقق جامع المعقول والمنقول مرجع الفحول في الفروع والأصول الشيخ الأكمل والعالم الأفضل...»[٤].

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) السيد احمد الحسيني.

الحاج مقبول أحمد بن غضنفر علي

ولد سنة ١٢٨٧ في الهند وتوفي سنة ١٣٤٠ في دلهي.

من مشاهير فضلاء دلهي، خطيباً بارعاً مرغوباً محبوباً. فقد والده وعمره سبع سنين فنشأ وترعرع في ظل أخيه حفيظ الله، وكان هذا يسكن في بلدة (باني بست) فانتمى المترجم الى مدرستها الرسمية مكملاً فيها سبعة صفوف، ثم رجع الى دلهي ودخل ثانوية (اينگلوعربك اسكول). ودرس العلوم الاسلامية على أفتاب حسين، وانشغل بالخطابة والتأليف، وكان من أركان جمعية المدرسة الاثني عشرية في دلهي متحملاً بعض مسؤولياتها.

من مؤلفاته: كتب مدرسية مختلفة المناهج، ومقبول دينيات في خمسة أجزاء، وفال نامه دانيال، وتهذيب الاسلام وهو ترجمة حلية المتقين، ووظائف مقبول، وترجمة القرآن وتفسيره في ثلاثة أقسام، ومفتاح القرآن، وديباجة مقبول أحمد وغير ذلك.

ملك سعيد بن محمد الخلخالي

أصله من آذربايجان وسكن شيراز، وهو عالم محقق ذو اطلاع واسع بالعلوم العقلية والنقلية كثير التحرّي في المسائل العلمية.

له «التحفة العلوية» في نفي الرؤية[١].

الشيخ مهدي قلي خان بن الشيخ علي خان بن قرچغاى خان التركماني الاصفهاني القزويني:

كان حياً في سنة ١١٢٣.

من أكابر علمائنا المنسيين حكيم متأله فيلسوف متضلع من ائمة الفتوى والدين واعلام العلماء في اواخر العهد الصفوي لم اقف على تاريخ ولادته ووفاته الا انه قد انتهى في سنة ١١٢٣ هجرية من بناء مدرسته الدينية في قم اخذ فنون الادب والعلوم الاسلامية على أفاضل علماء عصره ثم تخرج في العقليات والفلسفة العالية على والده الفيلسوف الشهير في عصره واخذ الفقه والحديث عن العلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هجرية واستقر في قم وانتهت اليه الرياسة والامامة بعد ابيه وكان سادن روضة المعصومة (عليها السلام) ومتولي اوقاف الروضة وحاكم قم وضواحيها، رئيساً مطاعاً وهو من اعاظم رجال اسرته التي بزغ نجمها في قم اواخر القرن الحادي عشر للهجرة وكان جده قرچغاى خان من امراء الشاه عباس الصفوي (الجالس على العرش سنة ٩٩٦ والمتوفى ١٠٣٨ هجرية) وحاكم خراسان المار ذكره وعمه الشيخ منوجهر خان من تلاميذ الشيخ محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١٠٧٠ هجرية وحاكم خراسان بعد ابيه وقد نبغ من هذا البيت الجليل علماء اجلاء وفضلاء افذاذ ذكرنا كلاً منهم في محله.

ترك المترجم له آثاراً ومآثر خالدة في قم باقية حتى اليوم منها (مدرسة خان) ويقال (مدرسة مهدي قلي خان) وهي مدرسة دينية ضخمة واقعة في شرق ساحة الروضة مقابل (المدرسة الفيضية) وقد انتهى من بنائها سنة ١١٢٣ هجرية وتعرف حتى اليوم باسمه وقد تجدد بناء هذه المدرسة على يد السيد البروجردي سنة ١٣٧٩ وهو اليوم من اهم المدارس المعمورة كما اسس في المدرسة مكتبة عامة وقد اوقف مؤلفات والده على طلاب المدرسة ومنها كتاب تفسير خزائن جواهر القرآن الموجود حتى اليوم في المكتبة وكتب اخرى، كما اوقف املاكاً تصرف وارداتها على المدرسة وطلابها وكانت داره جنب المدرسة، وتعرف المحلة حتى اليوم بـ (كلدرخان) كما ترك المترجم له بعض المؤلفات منها حواشي على الكتب الفلسفية لوالده منها حاشيته على كتاب فرقان الرأيين وبنيان الحكمتين وبعض الرسائل الفلسفية وقد اشار جمع من المؤرخين المعاصرين الى هذه المدرسة الا انهم جميعهم لم يعرفوا من المؤسس الا اسمه فقط. قال الاستاذ حسين سلطان زاده في كتابه [تاريخ مدارس ايران] (مدرسة مهدي قلي خان لاحد رجال العصر الصفوي باسم مهدي قلي خان وقبره عند مدخل المدرسة)[٢] واما صديقنا الشيخ محمد شريف الرازي فقد قال في كتابه (گنجينه دانشمندان) المجلد الاول ص ٤٤ الذي يبحث عن تاريخ قم ومدارسها وعلمائها: (... مدرسة مهدي قلي خان تقع في القسم الشرقي من ساحة روضة السيدة المعصومة مقابل المدرسة الفيضية بجانب زقاق گلدرخان وكان مؤسسها المدعو مهدي قلي خان في العصر الصفوي وانتهى من بنائها في سنة ١١٢٣ هجرية...) يقول عبد الحسين الصالحي ان مؤسسها من اعلام علمائنا المنسيين - كما تقدم - وهو من اعرق الاسر العلمية الشيعية التي خلدت تراثاً علمياً ضخماً وكما قام رجالها في التاريخ الشيعي بدور هام سوف نذكر كل منهم في محله ان شاء الله[٣].

الشيخ مهدي بن أسد الله الهمذاني

فاضل واسع الاطلاع في الفقه والأصول، يذهب مذهب الاخبارية على طريقة علماء الشيخية، ويذب عن الحاج كريم خان الكرماني بشدة ويعتبره «الناطق» الذي يجب على الكل اتباعه ولا يجوز الاختلاف عليه، ولكنه مع ذلك شديد الاحترام عند تسمية أحد العلماء من أصوليين وغيرهم. وهو من أعلام أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر.

له «علم المحجة» ألفه سنة ١٢٩٧ و «توضيح المقال»[٤].

مهدي بن محمد (شمس الدين) بن معد المطارآباذي

قرأ على محمد بن الحسن بن محمد بن أبي الرضا العلوي كتاب «فصيح ثعلب» وشرحه، فكتب له اجازة في غرة ذي القعدة سنة ٧٢٦، وقال: «قرأ علي الأجل الأوحد العالم الفقيه الفاضل الكامل المحقق ناصر الدين نجم الاسلام.. قراءة تعرب عن طبعه السليم وتشهد باجتهاده في التعلم واستعداده للتعليم»[٥].

الدكتور مهدي المخزومي

ولد في النجف سنة ١٩١٧ م وتوفي سنة ١٩٩٣، هو أحد النحويين العرب المحدثين، ممن جدد في منهج دراسة النحو ومنهج تدريسه في

(١) السيد احمد الحسيني.

(٢) حسين سلطان زاده: تاريخ مدارس ايران ص ٣٣٨ طهران الطبعة الاولى عام ١٣٦٤ هجرية شمسية.

(٣) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٤) السيد احمد الحسيني.

(٥) السيد احمد الحسيني.

الوقت نفسه، وكان أستاذاً بارزاً من أساتذة كلية الآداب في جامعة بغداد لفترة تزيد على أربعين عاماً ألقى فيها المحاضرات المنهجية وألف الكتب والأبحاث العديدة في الدراسات اللغوية.

ولد في مدينة النجف، وهي مدينة شهيرة الى جانب الكوفة التي لا تبعد عنها سوى بضعة أميال، بالعلوم الدينية واللغوية والأدبية على مدار ألف عام حتى الآن، هو عمر الحوزة الدينية والعلمية وظهور مدرسة النجف على يد العلّامة والفقيه المعروف الشيخ الطوسي وأستاذه الشيخ المفيد الذي أرسى علوم الفقه في بغداد. وعكست الكوفة، بما لها من مكانة ثقافية، أثارها على مدينة النجف. واشتهرت الكوفة بمدرستها النحوية الشهيرة، ولذلك كان كتاب الدكتور مهدي المخزومي المعنون «مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو» أهم كتاب حديث يعالج آثار هذه المدرسة النحوية التي أسسها النحويان المعروفان الرواسي والهراء وأرسى قواعد شهرتها النحويان الشهيران أبو علي الكسائي وأبو زكريا الفراء فضلاً عن أن مدرسة الكوفة اشتهرت بعلم من علوم اللغة وضعه مؤسسه الأول أبو مسلم معاذ بن مسلم الكوفي وهو علم الصرف.

صدر هذا الكتاب في بغداد العام ١٩٥٥ للمرة الأولى، وأعيدت طباعته في القاهرة العام ١٩٥٨.

لكن المخزومي، وهو يعلم شهرة وتأثير مدرسة البصرة النحوية، اتبع كتابه هذا بكتاب «الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه» الذي أصدره في بيروت العام ١٩٦٠ والفراهيدي مؤسس علم النحو وليس مدرسة البصرة وحدها. ويلاحظ أن المخزومي ــ وهو المجدد في منهج البحث اللغوي ــ يركز على مسألة المنهج في دراسة النحو وتقديمه للجمهور وعلاقته بوسيلة الاتصال الاجتماعي: اللغة، وهو الأمر الذي انشغل به لسنين طويلة في محاولة لأحياء العلاقة بين النحو واللغة العربية المعاصرة وتجديد الموقف من دراسة النحو وتجديد مناهجه، ولذلك أصدر في بيروت العام ١٩٦٤ كتابه «في النحو العربي: نقد وتوجيه».

والمخزومي المؤلف هو جزء من المخزومي المحقق، وهو عالم اللغة في كلا الحالين. ويعتبر تحقيقه لأهم كتاب لغوي معجمي عربي وهو كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، انجازاً ضخماً اشترك معه في تحقيقه الدكتور ابراهيم السامرائي الذي جدد هو الآخر في منهج دراسة النحو.

واشترك المخزومي في تحقيق النسخة الموثوقة من «ديوان الجواهري» في عقد السبعينات مع محققين آخرين هم الدكتور ابراهيم السامرائي، الدكتور الناقد علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش وكان تحقيقهم قد تزامن بالرجوع إلى الجواهري نفسه.

كان المخزومي، عالم الدراسات اللغوية المجدد، مجدداً في أفكاره كعالم وباحث ارتبط بموقف العالم الحر وكان هذا مدعاة لاضطهاده وسجنه وتعذيبه وتشريده بعد خروجه من السجن وفصله من أستاذية الجامعة خلال انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. وبعد عودته الى الجامعة بعد سنوات عمل بصمت على تخريج الآلاف من مدرّسي اللغة العربية الذين أخذوا منهجه المجدد في تدريس النحو وكتب العديد من الأبحاث والدراسات المعنية بعلم اللغة والنحو ومنهج العلوم اللغوية[1].

الشيخ مهدي بن محمد تقي البيدكلي

عالم فقيه متضلّع في الفقه والأصول، له قدم راسخ في العلوم الدينية الأخرى وصاحب ذوق في تنظيم مؤلفاته، من أعلام القرن الثالث عشر وتوفي بعد سنة ١٢٦٧.

له «ترتيل التنزيل» ألفه سنة ١٢٦٦ و«عقد اللآلي» ألفه بالعربية والفارسية سنة ١٢٦٧[2].

السيد مهدي بن هادي المازندراني:

ولد نحو ١٢٩٢ في قرية «كُلْنِيْشِيْن» الواقعة في شمال مدينة «ساري» على بعد فرسخين منها، ونقله أبوه إلى ساري وهو في الثالثة من عمره وبها نشأ وتعلم. وتوفي بعد سنة ١٣٦١.

قرأ مقدمات العلوم الدينية في ساري، وهاجر وهو في التاسع عشرة من عمره الى العتبات المقدسة بالعراق فورد كربلا في ٢٥ محرم سنة ١٣١٤، وبعد اقامة نحو خمسة أشهر انتقل الى النجف الأشرف فاشتغل بالتتلمذ على أعلام المدرسين بها، ومن أساتذته الشيخ محمد طه نجف الذي قرأ عنده كتاب الوقف.

عاد الى مازندران في سنة ١٣٢٣ وأقام في مدينة بارفروش (بابل) بطلب من أهاليها، واشتغل بالارشاد والتأليف وتولي الشؤون الاجتماعية والقضاء وما شاكل ذلك.

كان له نشاط كبير في التأليف خاصة في علمي الحديث والفقه، إلا أنه ضعيف في العربية وفى كتاباته أخطاء كثيرة[3].

موسى بن محمد بن سليمان الشريف الطبيب التنكابني

فاضل مشتغل بالطب، ملك نسخة من كتاب «الفاخر في الطب» للرازي وأتم خرومها وكتب عليها تعاليق تدل على اطلاعه بالطب وفضله في العربية، وذلك في سنة ١٢٩٦. وهو ابن ميرزا محمد التنكابني صاحب كتاب «قصص العلماء»[1].

نادر شاه الأفشاري:

مرت ترجمته المفصلة في المجلد الرابع من المستدركات. وننشر عنه هنا هذا البحث:

العلاقة بين ايران وانكلترا في عهد نادر شاه

بدأ الوهن يدب في شوكة الدولة الصفوية وهيبتها بعد وفاة الشاه عباس الاول، واذا كان خلفاؤه من بعده قد استمروا مائة عام، فانما كانت هذه الفترة احتضاراً لدولتهم وليس دليل عافية. وقد بلغ الوهن بهذه الدولة حداً استطاعت معه حفنة من شراذم الافغان التغلب عليها

---

(١) نبيل ياسين.

(٢) السيد أحمد الحسيني.

(٣) السيد أحمد الحسيني.

(٤) السيد احمد الحسيني.

والقضاء على كيانها(١) ولكن هؤلاء الافغان لم يستمروا طويلاً، اذ تصدى لهم احد ابناء ايران العظماء فهزمهم وأجلاهم عن البلاد، وأخمد الفتن الداخلية أيضاً، حيث عادت ايران في العهد النادري الى ما كانت عليه من قوة وعظمة في زمن الشاه عباس الاول، فاستعادت سيطرتها على هرات وقندهار وكابل وبلغت حتى ساحل نهر السند، واصبح الساحل الغربي لنهر السند يشكل حداً للامبراطورية الايرانية.

في عام ١١٥٢هـ (١٧٣٩م) اي في السنة الرابعة لحكومة نادر شاه الافشاري زار ايران بحار انجليزي إسمه جان ألتون ومعه موظف في الشركة التجارية الانجليزية يدعى منگوگرم يام الاسكتلندي، وقد سلكا طريق موسكو، ووصلا رشت عن طريق ميناء انزلي وپيره بازار، وكان هذان الشخصان يحاولان في البدء اخفاء مخططاتهما الاقتصادية، الا ان جماعة من التجار الارمن استطاعت الكشف عن نواياهما بفراستها فاطلعت حاكم گيلان على الامر. فاقر جان التون لمساعد الحاكم مصطفى بيك انهما قدما في سبيل فتح الطريق التجارية بين بريطانيا وايران وانه ملاح ماهر في شؤون البحر، وقد امضى سنين طويلة في هذا العمل. وذكر له استعداده وصاحبه للسفر الى مشهد اذا اقتضت الضرورة للقاء رضا قلي ميرزا بن نادر شاه واقامة علاقات تجارية جديدة وبعد موافقة خان گيلان قام جان التون ومنگوگرم يام بمكاتبة رضا قلي ميرزا بهذا الخصوص، وذكرا انه في حال موافقة الحكومة الايرانية فان التجار البريطانيين سيوجدون حركة ملاحة في بحر الخزر (بحر قزوين) وسيحملون بضائعهم الى واحد او اكثر من موانىء هذا البحر، وكتبا ايضاً انه في حال اصدار الحكومة الايرانية الاذن للمباشرة بالاعمال التجارية، فان هؤلاء التجار سيحملون البضائع من الهند ونواحي خيوه وبخارى الى ايران، وانهم سيتحملون جميع الضرائب المفروضة على هذه البضائع بشرط اعفائهم من اي رسوم اخرى مهما كان عنوانها، وطلبا ان يسمح للتجار البريطانيين بشراء المنازل في ايران وفتح المراكز والمستودعات التجارية والحفاظ على ارواحهم وارواح القائمين على خدمتهم، واذا سمح لهؤلاء التجار بحمل الاقمشة فانهم سيجلبون افضل انواعها لبيعها باسعار مناسبة في ايران، واخيراً طلبا من الحكومة الايرانية ان تشرف على تفتيش بضائعهم لتعلم مدى امانتهم وصدقهم في التعامل.

مضى ٣٧ يوماً بين ارسال كتابهما ووصول الجواب، ربما كانت بالنسبة لالتون وگرم يام ٣٧ عاماً. وقد وصل رسول الامير من مشهد يحمل الاذن لالتون وصاحبه بمباشرة اعمالهما. وفي تقرير كتبه التون في سان بطرسبرغ للحكومتين الانجليزية والروسية ذكر انه ما دام قد انقطع وجود موظفي شركة الهند الشرقية في ايران وانعدمت فعالياتهم منذ عام ١١٤٧هـ (١٧٣٤م) فان في ذلك خير فرصة لادخال البضائع الانجليزية عن طريق بحر قزوين.

ومع فتح هذه الطريق التي لم يفكر بها احد منذ عهد انطونيو جنكين سون، اوصى جان التون بفتح طريق اخرى من جانب ازمير في داخل الاراضي العثمانية، حيث ذكر للشركة الموجودة في سان بطرسبرغ ان هذه الطريق ستكون مناسبة كثيراً في حال استقرار العلاقات بين ايران والدولة العثمانية.

اسلم جان التون عام ١١٥٦هـ بعد نزاع له مع القنصل الروسي آرابوق في رشت، واثر مراسلات سرية دارت بينه وبين نادر شاه. ثم التقى بنادر شاه، واصدر الاخير اوامره بتعيينه قائداً للبحر ومفتشاً عاماً لجميع موانىء بحر قزوين. وقد تزامن تنصيب التون في هذا المنصب مع ايجاد اسطول جديد في السواحل الجنوبية لبحر قزوين التي كانت تحظى باهتمام خاص من قبل نادر شاه، مما اغضب الحكومة الروسية ودفعها للضغط على الحكومة الانجليزية لتوقف مساعدة وتنسيق التون مع نادر شاه. فبادرت الحكومة الانجليزية الى منع التون في الظاهر من الاستمرار في اعماله، فاجابها التون بان: «عودته ليست في صالح بريطانيا، ولما كان لم يتعهد لروسيا بأي التزام مقرر فان له الحق كسائر رعايا بريطانيا ان يعمل في خدمة اي ملك يرتبط مع دولته بعلاقات طيبة، وانه مطمئن تماماً بان خدماته في ايران ستعود بتوطيد اواصر المودة بين بلاده وايران». ذلك لان اكتساب رضى نادر شاه كان في غاية الاهمية بالنسبة للحكومة الانجليزية.

اكد نادر شاه تأكيداً كاملاً على جان التون الذي اصبح اسمه جمال بيك بعد اسلامه بايجاد قوة بحرية في الشمال، فابدى نشاطاً كبيراً في ايجاد هذه القوة، مما دفع الشركة التجارية الانجليزية الروسية للاعتراض، واضطرت الحكومة الانجليزية في نهاية المطاف الى مطالبة نادر شاه باخراج جان التون من البلاد، ان هذه المطالبة لم تؤتِ ثمارها.

وفي مياه الخليج الفارسي سعى نادر شاه الى تأسيس قوة بحرية، فجمع عشرين سفينة كان البرتغاليون والهنود يديرونها وثبت نفوذ القوة الايرانية في هذه المنطقة، وحوّلها الى حقيقة بعد أن كانت مجرد شبح. واضافة الى ذلك سعى الى احداث منصة بحرية وامر بحمل الواح الخشب من جميع انحاء ايران ليستفيد منها صانعو السفن في بناء سفنهم، وذهب العديد من الناس ضحية هذه الاعمال. ولكن هذه المخططات الطموحة دخلت بعد مقتل نادر شاه في النسيان وانحدرت القوة البحرية الايرانية نحو الاضمحلال والاندثار.

استمر جان التون في نشاطاته بعد وفاة نادر شاه (١١٦٠هـ)، وحظي بعناية ابني أخيه الذين أخلفاه وهما علي قلي خان وابراهيم خان الذين تسميا بالترتيب عادل شاه وابراهيم شاه. وقد تعرض التون لحادث اغتيال في بعض نواحي رشت اثناء حكم عادل شاه، وكان السبب في ذلك هو الترحيض من قبل جماعة من اهل رشت او من قبل الحكومة الروسية التي كانت تعادي التون، ولكنه خرج من هذا الحادث بسلام وفي اوائل حكم شاهرخ بن رضا قلي ميرزا (وحفيد نادر شاه) خرج أهالي گيلان على حكام وعمال شاهرخ، فعم الاضطراب جميع انحاء الولاية بصورة لم يسبق لها مثيل. ثم بادر الاهالي الى تعيين تاجر كبير في السن مؤمن يدعى الحاج صفي حاكماً على رشت وعُين الحاج جمال وهو احد وجهاء رشت مساعداً له. وبعد فترة غير طويلة اقتربت قوات محمد حسن خان القاجاري من رشت، فبعث له التون خلسة ينبئه استعداده للانضمام اليه، وكان حينئذٍ يقيم في بيته برشت، فاطلع الحاج

(١) لم يكن هجوم الافغان على ايران خالياً من التحريض الاجنبي، ففي ذلك التاريخ كان الشاه السلطان حسين يحاول توطيد العلاقات التجارية والسياسية مع الحكومة الفرنسية، وارسل محمد رضا بيك لهذا الغرض الى بلاط لويس الرابع عشر.

صفي ومساعده على رسالة التون فبعثا قواتهما لمحاصرة داره، فحاول الهرب ولكن الحاج جمال امسك به وحكم عليه بالموت على ان الاقدار شاءت ان تقف معه مرة اخرى، فبما كاد الثوار يضعونه على خشبة المشنقة حتى قدم الرسول على عجل ينبئهم بان أقوى قادة گيلان قد انضم الى محمد حسن خان وانها في طريقها لاحتلال المدينة، فلم يتوان الثوار عن الانسحاب بعد ان انزلوا التون عن منصة حتفه، وهربوا الى فومن. وفي رواية انهم اعدموه هناك رميا بالرصاص في جمادى الآخرة عام ١١٦٤هـ (ابريل ١٧٥١م).

نادر ميرزا وتاريخ تبريز:

مرت ترجمته في المجلد العاشر من (الاعيان) ومرت عنه كلمة في المجلد الثالث من (المستدركات) وننشر عنه هنا الدراسة التالية:

الامير نادر ميرزا أديب، عالم، من سلالة القاجار. ولادته، كما يذكر في مقدمة كتاب تاريخ تبريز، وفي ترجمته المختصرة في مخطوطة.. تهذيب اصلاح المنطق[1] كانت يوم الجمعة الأول من رمضان عام ١٢٤٢ هـ في استرآباد.

أبوه بديع الزمان ميرزا الملقب «صاحب آختيار». الذي مارس الحكم بتعيين من فتح علي شاه القاجاري. مدة ثلاثين عاماً وجدّه محمد علي ميرزا المعروف باسم (دولت شاه) القالي، وهو ابن فتح علي شاه، وامه جهان سلطان، ابنة حسام السلطنة محمد تقي ميرزا من ابناء فتح علي شاه. وجدته هي والدة بديع الزمان ميرزا وابنة شاهرخ ميرزا. وحفيدة نادر شاه افشار وفاطمة بيغم ابنة شاه سلطان حسين الصفوي وفي عدة اماكن، كتب نادر ميرزا ناسباً نفسه استناداً الى ما سلف، الى سلالة السادة الاشراف، والملوك الصفويين والافشاريين المعروفين، وهو نسب يدفعه الى المباهاة والتفاخر.

عاش الأمير نادر ميرزا سنوات عمره السبعة الاولى في مدينة استرآباد، وعندما توفي فتح علي شاه في اصفهان، بدأ الامراء القاجاريون الذين كانوا يحكمون في اغلب الولايات. جملة معارضة لتولي ولي العهد محمد ميرزا العرش، وتوجه عدد منهم ـ لهذا الغرض ـ الى طهران، وكان من بينهم بديع الزمان ميرزا (والد نادر ميرزا) الذي ترك استرآباد واتجه مع عائلته الى طهران.

وعندما استتب العرش لمحمد شاه، عين الميرزا عباس الايرواني المعروف بـ«حاجي ميرزا آقاسي» في منصب الوزارة، فيما اسندت حكومة اذربايجان الى بديع الزمان ميرزا، فتوجه اليها تاركاً عائلته في طهران ـ الا انه تعرض للاعتقال بمجرد وصوله اذربايجان[2]. ظل نادر ميرزا مع امه في طهران حتى سن الخامسة عشرة، وتعلم خلال ذلك القراءة والكتابة ومقدمات العلوم. وفي عام ١٢٥٧هـ، استأذنت امه الملك لزيارة زوجها. وذهبت مع ابنها نادر الى تبريز، وبقيت هناك. اما نادر فقد انشغل بتحصيل العلوم ـ وتدريجياً تولى مسؤوليته في شؤون الديوان.

امتاز الامير نادر ميرزا بنبوغه وولعه بالاداب الفارسية والعربية ومثابرته على الدراسة رغم ما كان يعترض الدارس آنذاك من مصاعب وعقبات. فقد تتلمذ على يد عدة اساتذة، مدة عشر سنوات، وقد دفع نبوغه، والده الى توفير كل الوسائل والامكانيات التي يحتاجها في مسيرته التعليمية.

ومن الذين تتلمذ نادر ميرزا عليهم في مجال فنون الادب الاستاذ ملاّ مهر علي[3] وهو شيخ أديب من أهالي المنطقة الأصليين، كان والد نادر ميرزا يدعوه ايام الجمعة لتعليم نادر الذي كان ينكب على التعلم منه منذ الظهيرة حتى المغرب يتعلم خلالها علوم اللغة والادب. اما المعلم الثاني فكان الميرزا احمد مجتهد ووليده للميرزا «لطف علي امام الجمعة والميرزا جعفر». وعندما تنبه مجتهد الى نبوغه وذوقه الادبي، اوصى والده بان لا يترك هذا الشغف بالادب والعلم يضيع سدى، وطلب اليه تعيين استاذ يعلمه قوانين الادب والعلوم بالشكل الصحيح، فعين له شاباً من أهل طسوج اسمه الملاّ محمود[4]، الذي حظي بتزكية مجتهد الذي قال عنه انه مؤدب وذكي وعالم وصاحب ذهنية وقادة، وفي تلك المرحلة لم يكن للامير نادر همٌّ غير تحصيل العلم وجمع الكتب، وبسرعة فائقة بدأ تفوقه يتضح وبدأ بتعلم الشعر العربي وأمثال الجاهلية.

وعندما بلغ نادر ميرزا الخامسة والعشرين من عمره، بدأ العمل في الديوان بهدف تأمين وضعه المستقبلي والاعداد لدخول الحياة الزوجية وتشكيل العائلة. وظل في هذا العمل مدة اربعين عاماً، خدم خلالها ولي العهد مظفر الدين ميرزا في مجال الشؤون المالية والحقوقية وتنظيم السجلات والرقابة.

---

(١) هذه النسخة من كتاب تهذيب اصلاح المنطق ـ كانت في حياة نادر ميرزا، ضمن مكتبته الخاصة وخلال شرحه لاحوال الخطيب التبريزي في «تاريخ تبريز» يشير الى ذلك بقوله «هو تهذيب لكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت وهو من الكتب التي سلمت من النهب، قيم وعظيم المنفعة».
كتب نادر ميرزا هذا التوضيح عام ١٢٩٩هـ. وقبل ذلك بعام واحد، كان خلاف قد نشب بين نادر ميرزا ومحمد رحيم خان نسقجي باشي حاكم اذربايجان، اصدر الاخير على اثره اوامر بحجز اموال ونهب ممتلكات نادر ميرزا. هذه النسخة كانت موجودة قبل عدة عقود في المكتبة الخاصة بشخص في تبريز يدعى الحاج محمد آقا النخجواني.

(٢) اعتقل مع بديع الزمان ميرزا ثمانية امراء آخرون من القاجاريين بتهمة معارضة حكم محمد شاه. وهؤلاء هم. ١ ـ علي ميرزا ظل السلطان شقيق عباس ميرزا ٢ ـ حسن علي ميرزا شجاع السلطنة شقيق حسين علي ميرزا قائد فارس العام ٣ ـ ركن الدولة علي قلي ميرزا الذي كان حاكماً لخراسان ثم تولى الحكم في قزوين ٤ ـ حسام السلطنة محمد تقي ميرزا جد نادر ميرزا الذي كان في حياة ابيه فتح علي شاه حاكماً لخوزستان وبروجرد. ٥ ـ امام ويردى ميرزا كشيكچي باشي الاخ الاصغر لركن الدولة ٦ ـ شيخعلي ميرزا حاكم ملاء وتويسركان ٨ ـ محمود ميرزا حاكم نهاوند ٨ ـ حشمة الدولة محمد حسين ميرزا بن محمد علي ميرزا دولتشاه.
هؤلاء الثمانية ومعهم بديع الزمان ميرزا اعتقلوا في قلعة اردبيل لكن ظل السلطان وركن الدولة وكشيكچي باشي استطاعوا الفرار ولجؤوا الى روسيا، بينما نقل السنة الباقون الى تبريز.

(٣) من فضلاء تبريز المعروفين ـ عرف باسمه الادبي (فروي) وكان ينظم الشعر بثلاث لغات هي العربية والفارسية والتركية. توفي اواخر حكم محمد شاه عن عمر بلغ ثمانين عاماً في مدينة تبريز.

(٤) الميرزا محمود ملا باشي من اساتذة اللغة والشعر وكان قد عمل في تعليم ولي العهد مظفر الدين ميرزا. وقد توفي عام ١٢٨٥هـ.

وفي عـام ١٢٩٨ هـ، عندمـا عين محمـد رحيم خان قـاجار نسقچي باشي، حاكماً لآذربايجان،ووصل تبريز لاستـلام مهام الحكم ـ تـرك نادر ميرزا عمله ـ وقرر قضاء السنوات ـ المتبقية من عمره طليقاً حراً من اية مسؤولية، إلا ان ذلك لم يتحقق لـه، اذ أسند اليـه مظفـر الدين مـيرزا عدة مهام في ١٣٠٢، ظـل منهمكاً فيهـا حتى وافته المنيـة في العاشر من صفر ١٣٠٣ آثار نادر ميرزا: ـ لم يتحدث نادر مـيرزا في كتابـه «تاريـخ تبريز» او في ايـة ترجمـة له في كتب أخـرى، عن مؤلفات اخرى له غـير تـاريخ تـبريز. الا أن مؤلف «المـآثر والآثـار» يـذكـر في فصـل «العلماء والكتاب» في الصفحة ١٩٧ عن نادر ميرزا ما يلي: «كان انساناً فاضـلاً ـ ويشهد على ذلك كتاب له عن انواع الطعام الايـراني وطريقـة الطبخ والتركيب المعتمدة في كل مناطق البلاد من بدو وحضر، كتبه بالفـارسية باسلوب روائي معتمداً فيه الآيات القرآنية والامثـال والنوادر والاخبـار والاشعار. أطعمه الله من طعام الجنة، فقد قدم مجهوداً جديداً وقيماً».

وفي كتاب «دانشمندان آذربـايجان»[٥] يـذكـر مـيرزا محمد عـلي خان تربيت، المرحوم نادر مـيرزا وفضلاً عن كتـابه في الـطبخ، لـه مجموعـة نفيسة باسم «النـوادر النادرة في أمثـال العرب» وكتـاب في مصطلحـات التشريح الطبي بجسم الانسان باللغة العربية، وكتاب «تـاريخ تـبريز» باللغة الفارسية، وعلى هذا فان لنادر ميرزا آثاراً اخرى غير تاريخ تـبريز ونشرها سيقدم فائدة كبيرة لأهل الفن والادب.

تاريخ تبريز: ـ تاريخ التأليف والمصادر المعتمدة فيه

كتـاب «تاريخ تبريـز» عبارة عن مجمـوعـة دراسـات ومشـاهـدات ومسموعات نادر ميرزا عن تاريخ تبريز وجغرافيتها، وكذلك آذربـايجان عموماً. معتمداً على مصادر عدة منها الأسر القديمة والمعروفة في المنطقـة والمطلعين عـلى هذه الأمـور، وكذلـك الوثـائق الحكوميـة التي كانت في متناول يد المؤلف وقد جمع المؤلف كل هذه المعلومات ومصادرهـا خلال اربعين عاماً من اقامتـه في تبريـز. وفي عام ١٣٠٠ (حينـما ترك خـدمة الـديـوان)، قـام بتبـويب هـذه المعلومـات وتـرتيبهـا وتـدوينهـا. وفي عام ١٣٠١ و ١٣٠٢ قام باعادة قراءتها واضافة معلومات جديدة اليها. ومن المصادر التاريخية المعروفة، التي نقل عنها المؤلف:

- وفيات الاعيان لابن خلكان.
- الكامل في التاريخ لابن الاثير.
- نزهة القلوب للمستوفي.
- تحفة النظّار لابن بطوطة.
- ناسخ التواريخ (جزء القاجار).
- روضة الصفا للناصري.
- آتشكدة آذر (فارسي).
- مذكرات رحلات ناصر خسرو.
- مذكرات شاردن.
- تذكرة ملا حشري[٦].
- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب.
- تاريخ عالم أراى عباسي.
- تاريخ جهانگيري[٧].
- تاريخ جهان نما (تركي).
- تاريخ سلانيكي (تركي).
- تاج التواريخ.
- قلموس فيروز آبادي.
- شرفنامه بدليسي (في تاريخ الاكراد).

ومن الاشخاص الذين ساعدوا في تأليف تاريخ تبريـز مرتضى مـيرزا ابن عم نـادر ميرزا ـ وأمـين مكتبة ولي العهـد الـذي سـاهم في الشرح التفصيلي للابنية التاريخية في تبريز والمواد المستخـدمة في تشييـدها. ومن الذين ساعدوا نادر ميرزا مادياً في هذا العمل الحاج مـيرزا كاظم وكيـل الرعايا[٨] ـ الذي لم يقتصر دوره على وضع مكتبته الخاصة بتصرف نادر مـيرزا بل اعـطاه كمية كبـيرة ومهمة من الـوثـائق الحكـوميـة الخـاصـة بآذربايجان والعائدة الى عهد نادر شاه والمراحل اللاحقة، وفيها تفاصيل اقالة وتعيين حاكم، وترفيع آخرين، وتكريم قسم آخر من المسؤولين. وقد اضافت هذه الوثائق النادرة قيمة تاريخية كبيرة لكتاب نادر ميرزا.

ويتعدى دور وكيل الرعايا، تقديم الـدعم فقط، الى التشجيع عـلى تأليف الكتاب (تاريخ تبريز) منذ البدايـة. وهذا مـا يتضح من كتـابات نادر ميرزا الذي يقول انـه عكف على تـأليف الكتاب بـطلب من الميرزا كـاظم. وقد قـام نادر مـيرزا باهـداء الكتاب الى الميرزا كاظم عـرفانـاً بجميله.

أسلوب الكتاب وقيمته التاريخية: ـ كُتب كتاب تاريخ تبريز باسلوب سهـل ممتنع وبلغـة فارسيـة خالصـة تشبه الى حـد بعيد لغـة المؤرخـين القـدامى، خصـوصـاً البيهقي[٩]. وقـد اعتمـد في السرد، احـداث التاريخ الفارسي وكتب الادباء الـراحلين ومذكـرات الاوروبيين الـذين

---

(٥) وتعني علماء اذربايجان.

(٦) هذا الكتاب مشهور باسم «سامي الاسامي» وهـو في تاريخ مقابـر تبريـز وقبور الاولياء والعلماء والعظماء المدفونين فيها. اذ ينقـل المؤلف فيه روايـات وقصص قرأها في كتب أخرى ـ او سمعها من الآخرين دون ان يدقق في مدى صحتها. وحول هذا الكتاب يذكر نادر ميرزا «قرأت هذا الكتاب كله فلم اقتنع به لانـه اقـرب الى الاساطير، ولا ادري من اين جاء بهـذه الاحاديث والـروايـات». غالبية محتويات الكتاب تفتقد القيمة التاريخية. طبع في تبريز عام ١٣٠٣.

(٧) تاريخ جهاگيرى معروف بـ«تاريخ نو» اي التاريخ الجـديد او المعـاصر، تأليف جهانكير ميرزا نجل الحاكم عباس مـيرزا، نقل عنـه نادر مـيرزا عدة مـواضيع وكتب حول مؤلفه: الف هذا الامير كتابه في التاريخ لفترة تبدأ من ١٢٤٠هـ، حيث كان قد مضى ثلاثون عـاماً عـلى حكم الخاقـان الاعظم فتح علي شـاه، وحتى عـام ١٢٦٧هـ، سطر احـداث تلك الفترة بعبـارات سلسلة خـاليـة من الاستغراق في التفاصيل، والتعقيد في الالفاظ».

(٨) أسرة وكيل الرعـايا، من الأسر المشهـورة في تبريـز. وقد تـولت منصب «وكالـة الرعية» والشؤون المالية لاذربايجان لسنوات طويلة. والحـاج ميرزا كـاظم عالم متقي من عشاق أهل البيت (ع).

وبلغ من كرمه وعمله الخير، ان اصبح مـلاذاً لعموم اهـالي تبريـز ووفقاً لما ذكره نادر ميرزا، فان الميرزا كاظم كان قد ألّف كتاباً في أنساب آل أبي طـالب وصفه نادر ميرزا بانه فريد من نوعه على صعيد التفصيل المبني والكمال والدقة في علم الأنسان. ولد وكيـل الرعـايا في ١٢٤٦هـ وتـوفي في ١٣٤١. في ١٣٠٠هـ قام وطلب من حسن علي خان قائد الجيش بتصحيح كليلة ودمنة وطبعه في المطبعة الحجرية بخط ميرزا باقر الخطاط عام ١٣٠٥.

(٩) يختلف بعض الكتـاب الايرانيين، مع كـاتب هذه الـدراسة، حـول مـوضـوع وضوح اسلوب نادر مـيرزا في هذا الكتـاب ويرون انـه كتب باسلوب معقـد، وبعبارات ضعيفة وغير مفهومة احياناً.

زاروا ايران وكتبوا حول تاريخ اذربايجان وتبريز وجغرافيتهـا، وكذلـك النسخ المترجمة لكتب المؤرخين القدماء من الروم والأرمن. وبذلك قدم أسلوباً جديداً في كتابة التاريخ شمل كـل فصول الكتاب، ومما يلفت انتباه القارىء في الكتاب، اسلوب السرد القصصي للحوادث التـاريخية والنوادر، باسلوب سلس مشوق.

كان نادر ميرزا مطلعاً على الاسلوب الجديد في البحوث العلمية في التاريخ، وعندما كان يورد وجهات نظر الآخـرين، كان يتعـامل معهـا باسلوب نقدي مستعيناً بالاساليب العلمية لاثبات صحة أو بطلان هذه الآراء، كما كان يرفض أغلب أقوال المؤرخين الفاقـدة للقيمة او البعـد الثقافي. فمثلاً عندما يأتي الى بناء تبريز وسبب نسميته بهذا الاسم يـورد اراء المؤرخين المسلمين الذين ينسبون هذا البناء الى زبيـدة، ويذكـرون أسماء مختلفة لمدينة تـبريز، ثم يقـارن ذلك بـآراء المؤرخين والجغـرافيين قبل الاسلام من الأرمن والروم ـ ثم يستخلص نتيجة مؤداهـا ان تبريـز الحالية كانت منطقة معمورة قبل ظهور الاسلام، وتاريخها يعود الى عدة قرون قبل الميلاد.

أما التاريخ المعاصر، وسـلالة القـاجار ـ فيـدونه ويسرده نـادر ميرزا بـدقة كبـيرة ويقول: «كـل مـا اذكـره هنـا عن الاولـين، يعلم الله انـه الحقيقة ولم أقل غيرها» كما انه يعتمد الحيادية الكاملة في نقـل الوقـائع، فمثلاً عندما يتحدث عن كريم خان زند يشيد بعطائه وخـدمته للشعب دون أن يخاف من سخط ملوك القاجار. وعندما يسرد قصة لجـوء بهمن مـيرزا الى دولة اجنبيـة، ينتقـد «سبهـر» و«هـدايت» بقـولـه ان هـذين المؤرخين «عرضا اعمال هذا الرجل بشكل أظهره عاصيـاً، وهذا افـتراء ذلك اننا لا نثق بمدوني التاريخ، لانهم كتبوا ذلك ليرضوا الملك».

محتـويات «تـاريخ تـبريز»: ـ خصص نـادر ميرزا مقـدمـة الكتـاب للحـديث عن اوضاعـه واحوالـه، ووصف لمراحـل شبـابـه بعـد ذلـك ـ يخاطب المؤلف، وكيل الـرعايـا الذي كـان داعـياً لمشروع الكتـاب، فيقول: «ايها الكبير ـ الآن وقد عقـدت العزم عـلى الكتابـة، بعون من الواحد الأحد، فاني استعين بـالـطافك ودعـائك لاسـطر على الـورق ما أعرف، وأقدمه إلى حضرتك هدية مقبولة ولائقـة». اما الفصـل الأول فيـدور حول «بنـاء تبريـز والبنـاة واختـلاف المؤرخـين» ويتضمن هـذا الفصل أيضاً قصيدة شعرية حول الـزلزال الـذي ضرب تبريـز والدمـار الـذي خلفهُ. فضـلاً عن شرح مفصل حـول حروب تـابك مـع القادة الاسلاميين وما أصابه على يد الأفشين. بعد الفصل الأول تـأتي عناوين مواضيع الكتاب حسب الآتي: في اماكن الابنيـة، في كيفية الهـوائيات، في مياهها، في عدد سكانها في أسماء محلاتها، في طول تـبريز وعـرضهـا، في الأبنيـة القديمـة والجديـدة فيها، في مقـابر تـبريز القـديمة والجـديدة. شعـراء تبريـز وحكمـاؤهـا، فصل في عنصر طـائفة الأيـل وعـظماء هـذه الطائفة، فصل في بيان مذكرات الحكام والقادة الـذين حكموا في تـبريز منـذ عهد ملوك القـاجار، وحتى عـام ١٣٠١هـ، فصل في بيـان فواكـه تـبريز وانـواعها، فصـل في عادات وآداب الحيـاة لدى اهـل تبريـز، في الأسر الكبيرة التي عاشت في تبريز، حـديث حول الملوك والقـادة الذين حكمـوا في تبريـز في القرون الخـاليـة حتى ١٣٠١ وحـديث في الحقـوق الديوانية في تبريز ونواحيهـا التي وضعت في عهد الملك خـاقان الكبـير، واخيراً ملحق حول تاريخ الأكراد.

لكن الخلل الكبـير في هـذا الكتـاب، هـو التصنيف غـير المنظم لموضوعـاته وفصـوله اذ تـداخلت فيه المـواضيع الجغـرافية والتـاريخية. وعندما يـأتي المؤلف الى ذكر اسم شخص مـا، او مكان مـا، يخرج عن الموضوع الاساسي ويستغرق في الحـديث عن ذلك الشخص او المكـان ـ وكثيراً ما ينسى المؤلف موضوعه ـ الاساسي ويبقى الفصل ناقصاً.

فمثلاً عندما يتحدث عن مسجد كبود، نراه يستغرق في الحديث عن الرسالة التي بعثها جهانشاه بن قرايوسف الى شريف مكة بشأن الحجاج الايـرانيـين. وفي الفصـل الخـاص بحكـماء وعلماء تـبريـز يستغـرق في الحديث عن «صفة الربع الرشيدي»، رغم انـه خصص فصلاً مستقـلاً للحديث عن الابنية التـاريخية. هـذا الخلل، يحرم القـارىء من الافادة من مواضيع الكتاب بالشكل الكامل.

نـواقص الكتاب ومـواضيعه الاضـافية: ـ فضـلاً عن الخلل الـذي تحدثنا عنه، فان في الكتاب نواقص واضافات عديدة فعندما يأتي المؤلف في الحـديث عن اهداف تـاريخية مهمـة عديـدة، نراه يمـر عليها مـروراً سريعـاً ـ بينـما نـراه يستغـرق في تفصيـل وشرح مـواضيـع هي خـارج موضوع الكتاب او البحث. ولتوضيح ذلك نورد الفقرات التالية:

١ ـ في الفصل الخاص بملوك آذربايجان وقادتها، يكتفي بذكر اسـماء ملوك عصور ما قبل الميلاد وقبل الاسلام، رغم ما تحتلهُ هذه المعلومات من اهمية، لانها لم ترد في اي من الكتب التـاريخية، العـربية والفـارسية المعروفة، وقـد استطاع نـادر ميرزا الـوصول اليهـا بعد بحث وتمحيص مضنيين. وكان ضرورياً جداً ان يفصل في شرح أحوال وأوضاع اولئك الملوك.

٢ ـ عنـدما يتحـدث عن آداب وتقاليـد وانماط معيشـة اهالي تـبريـز يكتفي بـالحـديث عن عـادات وتقـاليـد عصره ويغفـل مـا يخص منهـا العصور الماضية.

٣ ـ في حديثه عن الحاج ميرزا كاظم وكيل الرعايا يعدد اجداده ـ ثم يبدأ بسرد تاريخ انساب الـرسول الاكـرم (ص)، وهو مـا لا علاقـة له بالبحث لا من قريب ولا من بعيد.

٤ ـ في الفصل الخاص بـالابنية التـاريخية في تـبريز يقـدم نادر مـيرزا شرحـاً تفصيلياً لعـين «رودينل» وفيضـانها ـ نقلاً عن مـذكـرات نـاصر خسرو ويـبرر ذلك بقـولـه «لان ذلـك لم يـرد بـالتفصيـل في اي كتـاب فارسي».

مزايا الكتاب: ـ بغض النظر عن الخلل والنواقص السالفة الذكـر، فان في هذا الكتـاب مزايـا عديـدة. فعلاوة عـلى البعد الادبي الـراقي، امتاز الكتاب باحتوائه على اكثر من مائـة قرار وحكم تـاريخي صادر عن ملوك وقادة مثل نـادر شاه، وشـاهرخ مـيرزا، وكريم خـان زند، وآقـا محمد خان القاجاري، وفتح علي شاه وعباس ميرزا، موجهـة الى القادة والحكام والعلماء في آذربايجـان. هذه الاوامـر والتعليمات تحـظى باهميـة بالغة في دراسة الاوضاع السياسية والاجتماعية لآذربايجان وايـران خلال مائة وخمسين عاماً.

من مزايا الكتاب الاخرى، المعلومات التاريخيـة القيمة التي يقـدمها خلال حديثه عن احوال امراء القاجار واربعة من ملوكهم (من آقا محمد وحتى ناصر الدين شاه)، فضلاً عن شرح تفصيلي لاحوال الحكـام على

الضفة الأخرى لنهر آرس منذ عهد الزندية حتى حروب ايران وروسيا، الذين ارتبطوا بعلاقات عائلية مع ملوك القاجار.

ويأتي تفصيل الحديث عن الأبنية التاريخية لتبريز (مسجد كبود، ارك علي شاه، شنب غازان، رشيدية)، ليضيف ميزة اخرى الى مزايا الكتاب.

كما لا يمكن تجاهل الميزة المهمة للكتاب وهي تفصيلية لتاريخ وأحوال افراد معروفين ومن أسر كبيرة وعريقة في آذربايجان مثل (دنبلي، وكيل الرعايا، سادات وعلماء تبريز) وقد كتبت الجانب الاكبر منها، شخصيات معاصرة من هذه الأسر بطلب من نادر ميرزا بهدف تكميل تاريخ تبريز.

ملحق الكتاب: ـ يضم الكتاب ملحقاً خاصاً حول انتفاضة الاكراد بقيادة الشيخ عبيد الله، وهجومهم على أرومية، والاحداث المهمة التي شهدت هذه المنطقة والتي شكلت مصدر قلق دام طويلاً، لناصر الدين شاه وحكام آذربايجان، وأدت الى وقوع احداث تاريخية كبرى. وتعد انتفاضة الاكراد من الاحداث المهمة التي شهدتها ايران في العهد القاجاري[١].

المولى نصر الله الهمداني المعروف بالآخوند نصرا أو الآخوند نصيرا:

من علماء القرن الحادي عشر في ايران. درس على علماء اصفهان لاسيما مير محمد باقر الداماد المتوفى سنة ١٠٤٢. وقد تولى التدريس في همذان فتخرج عليه الكثيرون ممن اصبح اغلبهم من مشاهير عصرهم.

ترك مؤلفات وتعليقات وهوامش على كتب فقهية فقدت كلها.

ويقول صاحب (رياض العلماء): وقد رأيت في تبريز من جملة كتبه كتاب منتهى المطلب للعلامة الحلي في الفقه، وكان عليه آفاداته بخطه الشريف بل لعل اصل النسخة كان بخطه وسماعي أنه كانت كتبه كثيرة جداً وكلها جياد وعليها خطه وإفاداته.

جُهلت سنة ولادته وسنة وفاته.

السيد نعمة الله بن محمد باقر الحسيني، المعروف بمير آصف:

فاضل فقيه متبحر في العلوم والفنون، من أعلام أواخر القرن الحادي عشر والنصف الاول من القرن الثاني عشر.

كتب نسخة من كتاب «ضيافة الاخوان» لرضي الدين القزويني في سنة تأليفه ١٠٩٢، ووصف مؤلفه بأوصاف حميدة يظن منها أنه كان من تلامذته، فكان من القاطنين بقزوين آنذاك، ولا نعلم أصله ولا شيئاً من نشأته.

ألف رسالته «الأوزان والمقادير» في تفليس، ولعله انتقل اليها وأقام بها بعد طي مراحله الدراسية، ولكن يبدو أنه لم يكن راضياً على بقائه فيها، فانه بعد الاقامة بها اقامة اجبارية يتمنى الرجوع الى أهله ووطنه.

له «الأوزان والمقادير» ألفه سنة ١١٢٩[٢].

الملا هادي السبزواري (المشهور بـ(أسرار)):

مرت ترجمته في المجلد العاشر من (الاعيان) ونذكرها هنا بتفاصيل أوسع:

يعتبر الملا هادي السبزواري بن الملا هادي احد اشهر الحكماء في العهد القاجاري، وهو من ابرز واشهر تلامذة الملا محمد اسماعيل واحد العين الاصفهاني والملا علي النوري.

كان الملا هادي السبزواري ابرز واكبر حكيم وفيلسوف في العهد القاجاري الذي سبق جميع المفكرين والفلاسفة والعارفين المعاصرين لهذا العهد في كونه موضعاً لكلام القاصي والداني.

بعد انقضاء عهد صدر الدين الشيرازي (الملا صدرا) وعبد الرزاق اللاهيجي وغيره من كبار تلامذة الملا صدرا، قام الشيخ أحمد الاحسائي بتأسيس اتجاه جديد اسماه (كلام اهل البيت) واخذ طلاب العلم يميلون ـ بعض الشيء ـ الى هذا الاتجاه، حتى جاء عهد استاذي الملا هادي السبزواي الملا محمد اسماعيل الاصفهاني والملا علي النوري فبدء الأول مرة في بحث ونقد اقوال الشيخ في مجال الحكمة والعلوم الالهية، ثم تبعهم في ذلك الملا هادي السبزواري الذي اسس في سبزوار اكبر حوزة علمية لبحث وتدريس حكمة الاشراقيين والمشائين.

طارت الشهرة الفلسفية والعرفانية للملا هادي في جميع انحاء ايران، بل تعدتها الى بعض البلدان الاسلامية مثل: افغانستان والهند والعراق، فاخذ عشاق الحكمة الاسلامية يتوافدون على سبزوار من المناطق النائية ليسمعوا عقائد وآراء حكماء ايران واليونان والاسلام من آخر الحكماء المسلمين: فكانوا يقيمون لعدة سنوات في حجرات مدرسة سبزوار لينهلوا من دروس الحكيم الكبير السبزواري وتلامذته.

وقد تميز الاتجاه الاخباري والكلامي للشيخ احمد الاحسائي وتلامذته بالترتيب والتنظيم، فكان اتباعهم المخلصون ينشطون في نشر افكارهم بينما كان الاشخاص الذين يمتلكون ذوقاً فلسفياً او عرفانياً ويتأثرون باقوال الملا هادي السبزواري (أسرار) وتلامذته يرون ان افكار الشيخ احمد الاحسائي وتلامذته بعيدة عن آراء الفلاسفة والعارفين، وقد وضعوا عشرات الكتب في الرد على عقائد الشيخية. ومنذ ظهور الحكيم السبزواري والى الآن يعتمد في تدريس وبحث حكم المشائين والاشراقيين على كتاب (شرح المنظومة) لهذا الحكيم، وذلك في الحوزات العلمية في مدن النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية وقم ومشهد واصفهان وشيراز وسائر المدن الايرانية.

كتب هذا الفيلسوف الكبير خلاصة لحياته، كانت كما يلي: بدأ بدراسة الصرف والنحو في سن السابعة او الثامنة، وفي العاشرة من عمره سافر ابوه الى مكة، ثم توفي في شيراز بعد عودته. وفي تلك السنة اخذه ابن عمته الملا حسين السبزواري الى مشهد بعد ان كان الاخير مقيماً فيها لعدة سنوات. درس في مشهد الفقه والاصول واللغة العربية والعلوم النقلية على الملا حسين، واستمر بدراسته لهذه العلوم عشر سنوات، وفي سن العشرين انتقل الى اصفهان التي كانت آنذاك مركزاً للعلوم المتداولة في عصره ليكمل دراسته في حوزات هذه المدينة، وكان ذلك في عام ١٢٣٢هـ. حضر لمدة من الزمن دروس محمد علي المعروف بالنجفي، حتى اكمل الفقه والاصول، ثم انتقل الى درس الحكيم

(١) محمد علي قوسي.

(٢) السيد احمد الحسيني.

المشهور الملا اسماعيل الاصفهاني فدرس عنده الحكمة لخمس سنوات، وبعد وفاة استاذه هذا انتقل الى درس الحكيم المعروف الملا علي النوري في الحكمة، حتى بلغ مستوى رفيعاً في الفلسفة المشائية والاشراقية.

رحل بعد ذلك الى خراسان ومكث في مشهد خمس سنوات اشتغل خلالها في تدريس الفقه والاصول والحكمة، وتخرج على يده طلاب بارزون اصبحوا في عداد كبار المجتهدين والمحققين في عصرهم. ثم سافر للحج، وبعد عودته بقي فترة في كرمان، وتزوج زواجه الثاني، ولم ينقطع خلال ذلك عن التحقيق والمجاهدة في سبيل تزكية النفس واستغرقت سفرته هذه ثلاث سنوات، ثم عاد بعد ذلك في عام ١٢٤٦ أو ١٢٤٨هـ الى مسقط رأسه سبزوار، واشتغل فيها حتى آخر عمره في التدريس والمطالعة والتحقيق.

كتب الملا محمد الهيدجي في آخر حاشيته على شرح المنظومة للملا هادي السبزواري ما يلي: «يبدو من خلال كلامه (كلام السبزواري) ان تأليفه لهذا الكتاب كان في حدود عام ١٢٧٦هـ» ويضيف قائلاً: ولد الحاج الملا هادي عام ١٢١٢هـ، ورغم كون ابيه من تجار وملاكي سبزوار، الا انه آثر طلب العلم والادب على الحياة المرفهة.. ثم يتحدث عن بعض ادوار حياته ومراحل دراسته، حتى يقول: كان معاش السبزواري منحصراً في زوج من البقر وبستان صغير، وفي فصل قطف العنب كان يدعو جميع الطلاب الى بستانه، ويبدأ اولاً بدفع الحقوق المترتبة عليه، ثم يحتفظ بالثلث ويوزعه بالتدريج على الفقراء. وفي ايام عيد الغدير كان يدفع لكل فقير من فقراء السادة قراناً واحداً، ولسائر الفقراء نصف قران، وقد عرف بعزة نفسه وعدم قبوله مطلقاً لشيء من التحف والهدايا، وعرف ايضاً طوال حياته بزهده وتقواه وصدقه وصفاء نفسه، ولم يكن يُعر اهتماماً لاحد من الاغنياء والاكابر، وحين زاره ناصر الدين شاه في داره في سبزوار جلس على حصير كان مفروشاً في غرفة التدريس، وطلب منه تأليف كتاب باللغة الفارسية في الاصول، وبعد عودته بعث له خمسمائة تومان، فلم يأخذها، بل وزعها مناصفة بين الطلاب والفقراء، وامر باعطاء السادة ضعف ما يعطى للآخرين.

نقلت عن السبزواري كرامات عديدة لا مجال لذكرها ولكن ليس هناك كرامة أعلى واسمى من ضبط النفس وتسخيرها، فذلك اساس كل كرامة.

تعرض مؤلف (ريحانة الادب) للحديث عن لقاء ناصر الدين شاه القاجاري بالملا هادي السبزواري في سبزوار، فكتب عنها ما يلي: «ينقل شخص موثوق رافق ناصر الدين شاه في رحلته الى اوروبا حديثاً عن لسان شخص (الشاه)، حيث كان يقول (الشاه): كنا كلما دخلنا مدينة بادر اهلها الى استقبالنا ثم يشيعوننا حين نرحل عنها، وفي سبزوار بادر اهلها بكامل طبقاتهم الى استقبالنا، ما عدا الملا هادي السبزواري، وذلك لانه لا يعرف الشاه ولا الوزير، فرضيت لهذا الامر كل الرضا وقلت: اذا لم يكن يعرف الشاه فان الشاه يعرفه، ثم حددت يوماً معيناً وذهبت مع خادم واحد الى منزل الملا هادي - بدون المراسم السلطانية التي تزعج اهل العلم - وكان حينها وقت الغداء، وبعد الحديث حول مسائل متفرقة، قلت له: لقد اتم الله نعمته علي ولا بد لكل نعمة من شكر، فكما ان شكر نعمة العلم هو تدريس العباد وارشادهم وشكر الغنى مساعدة الفقراء، كذلك فان شكر السلطة والقدرة هو قضاء حوائج جميع الناس. لذلك أتمنى عليك أن توكل إليّ أمراً أستطيع به أداء الشكر على نعمة السلطة. فأظهر الحاج (السبزواري) غناه وعدم حاجته، ولم ينفع معه اصراري، حتى ذكرت له اني سمعت بامتلاكه قطعة أرض زراعية ورجوته ان يتوقف عن دفع الضرائب للدولة، فلعلنا بذلك نكون قد اسدينا ولو خدمة صغيرة، ولكنه اعتذر حتى عن هذا الطلب، وعلل ذلك بقوله: ان الضرائب ثابتة كماً وكيفاً في كل ولاية، ولا يمكن تغيير أساسها من خلال التغييرات الجزئية، فاذا لم ادفع الضريبة المتوجبة علي، عاد الضرر على سائر الناس وعلى اولياء الامر، اضافة الى احتمال ان هذه الضريبة سيتحملها بعض الايتام والارامل ولا احسب ان صاحب الجلالة يرضى بالتخفيف عني واعفائي من الضرائب اذا كان ذلك سبباً لتحميل الارامل والايتام ما لا يطيقون، والى هذا كله فان الدولة تتحمل نفقات باهظة فعلى جميع الناس ان يتحملوا تأمينها، ومن هنا فاني اؤدي الضرائب عن رضى وطيب خاطر.

ثم يضيف الشاه قائلاً: قلت لو أمرتم باحضار الغداء لنتناوله في خدمتكم، فاشار الحاج (السبزواري) الى خادمه باحضار الطعام دون ان يتحرك من مجلسه، فأتى الخادم على الفور بطبق خشبي فيه لبن وملح وبعض اقراص الخبز وعدد من الملاعق، فاخذ الحاج اقراص الخبز فقبلها بكل ادب ووضعها على جبهته وتوجه الى الله بآيات الشكر، ثم قطعها وغمسها في اللبن، ووضع امامي ملعقة وقال: كل فهذا خبز حلال زرعته وحصدته بيدي. يقول الشاه: تناولت ملعقة واحدة فوجدت الطعام خشناً لا أطيق تناوله، فاستأذنته في الاحتفاظ بباقي اقراص الخبز ووضعتها في منديل ودفعته للخادم لنستشفي به اذا ما مرض أحد أفراد العائلة المالكة. ثم يتعرض الشاه للحديث عن المتلبسين بلباس اهل العلم ويذمهم ويعترض على اعمالهم غير اللائقة، في حديث مفصل لا مجال لذكره هنا.. انتهى كلام الشخص الموثوق»[1].

وبالاضافة الى درجاته الرفيعة في المجالات العلمية والعملية الاخلاقية كان يمتلك ذوقاً رفيعاً في الشعر العربي والفارسي.

لم يكن الحاج الملا هادي يقبل بحضور كل شخص في درسه، بل كان يشترط على من يرغب حضور درسه ان يكون قد انهى دراسة المقدمات اي لا بد من انهاء المتقدم لدراسة الكتب التالية:

١) الصرف والنحو في اللغة العربية والمعاني والبيان من كتب جامع المقدمات والسيوطي والمطول.

٢) المنطق من بعض الكتب من قبيل الكبرى والشمسية وشرح المطالع.

٣) الرياضيات المشتملة على هندسة اقليدس والنجوم.

٤) مباني الفقه.

---

(١) ريحانة الادب، تأليف محمد علي المدرس، ج٢ ص٤٢٤ - ٤٢٥.

٥) علم الكلام من كتب هداية الميبدي، والتجريد لنصير الدين الطوسي مع حواشي الملا علي القوشجي، والشوارق للملا عبد الرزاق، اللاهيجي صهر الميرداماد.

وكان الاشخاص الذين يجتازون الامتحان في هذه الدروس يقبلون في دروس الحاج الملا هادي، ومن ثم يباشرون بدراسة الفلسفة والحكمة الالهية.

لفت هذا الحكيم الايراني الشهير انظار الباحثين الاجانب، ومنهم: الكونت دوكوبينو الفرنسي والبروفسور الانجليزي ادواردبراون والعلامة محمد اقبال اللاهوري، وقد تحدث هؤلاء في كتبهم عنه بالتفصيل.
ترك الملا هادي السبزواري آثاراً عديدة أهمها: /

١) شرح منظومة الحكمة: عرض في هذا الكتاب الابواب المختلفة للحكمة بصورة منظومة اسماها غرر الفرائد، ويقول في مقدمتها:

سميت هذا غرر الفرائد
اودعت فيها عقد العقائد

وقد قسم كتابه هذا الى سبعة مقاصد هي كما يلي: المقصد الاول في الامور العامة، المقصد الثاني في الجوهر والعرض، المقصد الثالث في الالهيات بالمعنى الاخص، المقصد الرابع في الطبيعيات، المقصد الخامس في النبوات والرؤى، المقصد السادس في المعاد، المقصد السابع في شطر من علم الاخلاق.

وقد قسم كل مقصد من المقاصد المذكورة الى عدة فرائد، ثم قسّم كل فريدة الى عدة غرر. وقد طبع (شرح منظومة الحكمة) عدة طبعات حجرية، افضلها المعروفة بالطبعة الناصرية والتي تشتمل على ٣٥٥ صفحة. ثم اعيد طبعها عدة مرات بالافسيت.

٢ ـ شرح منظومة المنطق: كتب الملا هادي المنطق بصورة منظومة ايضاً، واسماها «اللآلىء المنتظمة»، وقد جاء تأليف منظومة المنطق بعد منظومة الحكمة، وافضل طبعة لشرح منظومة المنطق تلك التي جاءت في ١٢٢ صفحة وصدرت عام ١٣٧١هـ اشتملت على منظومة الحكمة وافضل ما كتب عليها من حواش للشارح الميرزا مهدي الآشتياني.

ترجم الشيخ جعفر الزاهدي منظومتي المنطق والحكمة الى اللغة الفارسية تحت عنوان (خود آموز منظومة) وطبعها في مشهد.

٣ ـ اسرار الحكم: الف هذا الكتاب باللغة الفارسية استجابة لرغبة ناصر الدين شاه، وهو في بحث المبدأ والمعاد، ويشتمل على بحوث في الحكمة الاشراقية والمشائية والمشارق الذوقية.

طبع هذا الكتاب عام ١٣٠٣هـ بواسطة الميرزا يوسف الآشتياني الملقب بمستوفي الممالك، ثم تلته عدة طبعات. فقد طبع عام ١٣٨٠هـ باهتمام العالم المعاصر الميرزا ابو الحسن الشعراني، وصدرت آخر طبعة لهذا الكتاب في طهران عام ١٣٦١ هجري شمسي (١٩٨٢م) باهتمام ج.م. فرزاد مع مقدمة لتوشيهيكو ايزوتسو.

٤ ـ شرح بعض الاشعار المستعصية في المثنوي: وهو كتاب باللغة الفارسية كتبه في زمن ناصر الدين شاه استجابة لرغبة الأمير السلطان مراد ميرزا طبع هذا الكتاب طباعة حجرية في طهران عام ١٢٨٥ هجري.

٥ ـ ديوان الاسرار: مجموعة اشعار للحاج الملا هادي السبزواري، وقد طبع عدة مرات في طهران.

٦ ـ حواشي على الشواهد الربوبية: يعتبر كتاب (الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية) احد الكتب المهمة لصدر الدين الشيرازي، وهو يشتمل على دقائق الحكمة العالية. وقد كتب السبزواري حواشي قيمة عليه، رفع فيها الكثير من المشكلات والمعضلات الواردة فيه. ولم تكن ثمة طبعة مفيدة لهذا الكتاب وحواشيه، حتى بادر السيد جلال الدين الآشتياني الى طبعهما عام ١٣٤٦ هجري شمسي (١٩٨٧م) بواسطة جامعة مشهد، بعد ان اضاف اليهما مقدمة قيمة مفصلة.

٧ـ حواشي على اسفار صدر الدين الشيرازي.

٨ ـ حواشي على مفاتيح الغيب لصدر الدين الشيرازي.

٩ ـ حواشي على المبدأ والمعاد لصدر الدين الشيرازي.

١٠ ـ شرح النبراس في اسرار الاساس: وهو كتاب في رموز الطاعات واشارات العبادات. وقد جاء على غرار منظومتي المنطق والحكمة، اي جاء متنه شعراً مع شرح للسبزواري. وهو يبين في هذا الكتاب المسائل الفقهية من خلال الادلة الفلسفية والايضاحات العرفانية ـ وقد طبع في طهران طباعة حجرية عام ١٣٧١هـ.

١١ ـ شرح الاسماء: وهو شرح لدعاء الجوشن الكبير، وقد طبع مراراً، وفي بعض الطبعات ارفق معه شرح دعاء الصباح، كما في الطبعة التي صدرت عام ١٣٣٣هـ.

١٢ ـ مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: شرح لدعاء الصباح، وقد طبع عدة مرات.

١٣ ـ مجموعة رسائل: تشتمل هذه المجموعة على سبع عشرة رسالة (باللغتين الفارسية والعربية) في المباحث العرفانية والفلسفية والمسائل العقيدية وهي في اكثرها اجابات على اسئلة العلماء المعاصرين له. اشتملت هذه الرسائل على ست رسائل فارسية وسبع عشرة رسالة عربية، جمعها السيد جلال الدين الآشتياني وطبعتها الادارة العامة للاوقاف في خراسان (عام ١٣٤٨ هجري شمسي) (١٩٦٩) بمناسبة الذكرى المئوية الاولى لوفاة الملا هادي السبزواري.

اما ابرز تلامذته فهم: ١: الآخوند الملا محمد بن الملا هادي السبزواري الذي اشتغل بعد وفاة ابيه بسنتين في تدريس اسفار الملا صدرا في حوزة سبزوار. كتب شرحاً لمنظومة السبزواري كانت موضعاً لتأييد وتقدير ابيه ٢ ـ الميرزا حسين السبزواري الذي سكن طهران ودرس في مدرسة عبد الله خان، وكان معروفاً في علم الرياضيات واستاذاً للآخوند الهيدجي والآقا الميرزا ابراهيم الرياضي الزنجاني ٣ ـ الملا علي الحكيم الهي السمناني (م عام ١١٣٣ هـ) أحد كبار علماء اواخر العهد القاجاري ٤ ـ السيد احمد الرضوي البيشاوري (الاديب البيشاوري) الذي كان شاعراً معروفاً في اوائل القرن الرابع عشر للهجرة (توفي عام ١٣٤٩هـ) ٥ ـ الشيخ محمد حسين البرجيس ٦ ـ حسن بن الملا زين العابدين ٧: الميرزا اسماعيل افتخار الحكماء الطالقاني ٨ ـ الشيخ ابراهيم الطهراني ٩ ـ الملا محمد صادق الحكيم ١٠ ـ الميرزا عبد الكريم الخبوشاني، محشي لآلىء الاستاذ ١١ ـ الميرزا على نقي صدر العلماء السبزواري محشي الشوارق ١٢ ـ الميرزا حسن الحكيم (صهر استاذه السبزواري) ١٣ ـ الملا علي أكبر الخراساني ١٤ ـ

الآخوند الملا محمد حسين الشيخ شهاب الدين بن موسى العراقي البزجلوئي ١٦ - الميرزا نصر الله الحكيم القمشه اي ١٧ - السيد عبد الله الموسوي الزنجاني ١٨ - الميرزا شمس الدين الحكيم الهي اللواساني الطهراني ١٩ - الحاج ملا سلطان محمد بن الملا حيدر محمد الكنابادي (سلطان علي شاه) صاحب تفسير بيان السعادة ٢٠ - الآخوند الملا محمد رضا الاردكاني ٢١ - الآقا محمد اليزدي ٢٢ - وثوق الحكماء السبزواري شارح (كلشن زار) ٢٣ - السيد عبد الغفور الجهرمي ٢٤ - الآخوند الملا صالح الفريدني ٢٥ - الشيخ الميرزا نصر الله المشهدي ٢٦ - الميرزا محمد علي بن عبد الغني التفرشي ٢٧ - الميرزا علي اكبر بن الميرزا عبد الغني التفرشي ٢٨ - الحاج الملا اسماعيل بن الحاج علي اصغر السبزواري ٢٩ - الميرزا اسد الله السبزواري ٣٠ - الحاج الملا محمد صادق الصباغ الكاشاني ٣١ - الشيخ محمود بن الملا اسماعيل الكاشاني ٣٢ - الشيخ احمد الميامي ٣٣ - الميرزا نصر الله التربتي ٣٤ - الشيخ عبد الاعلى القاضي السبزواري شارح دعاء كميل وبعض أشعار أستاذه ٣٥ - الآخوند الملا محمد حسن الاصفهاني المشهور بالكوهي ٣٦ - الشيخ علي اصغر السبزواري ٣٧ - الميرزا حسين القزويني الطبيب ٣٨ - الحاج الميرزا محسن القاضي الطباطبائي التبريزي ٣٩ - الآخوند الملا تقي الاصفهاني الذي كان مدرساً في مدرسة حكيم في اصفهان ٤٠ - السيد جواد الطباطبائي الحائري ٤١ - الشيخ محمد حسين الطريحي النجفي ٤٢ - الميرزا محمد مهدي القمشه أي محشي الأسفار ٤٣ - الملا محمد كاظم بن الآخوند الملا محمد رضا السبزواري المعروف بـ(السر) ٤٤ - الحاج الملا عبد الوهاب المنجم القوچاني ٤٥ - شرف الدين السيد علي الحسيني المرعشي التبريزي ٤٦ - الميرزا ابراهيم شريعتمدار السبزواري ٤٧ - الميرزا حسين امام جمعة كرمان ٤٨ - الشيخ علي فاضل التبتي ٤٩ - الميرزا الآقا حكيم الدارابي الجهرمي ٥٠ - الميرزا محمد السروقدي ٥١ - فاضل المغيثه اي السبزواري ٥٢ - الميرزا ابو الحسن الرضوي ٥٣ - الميرزا محمد حسين الكرماني ٥٤ - السيد عبد الرحيم السبزواري ٥٥ - المولى محمد رضا السبزواري المشهور بالروغني ٥٦ - الحاج صادق الكرماني استاذ الرياضيات للميرزا آغاخان الكرماني ٥٧ - مولانا محمد الخبوشاني السياه دشتي ٥٨ - الميرزا عباس حكيم شريف الدارابي ٥٩ - الملا حسين قلي الدرگزيني الهمداني[1].

الشيخ هادي النجم آبادي الطهراني بن مهدي:

ولد في طهران سنة ١٢٥٠ وتوفي فيها سنة ١٣٢٠ ودفن الى جوار داره التي كان يلقي دروسه فيها.

يعتبر من العلماء الواعين والمجتهدين المتفتحين المتحررين في العهد القاجاري، رحل في الثانية عشرة من عمره الى النجف الاشرف، فدرس على علمائها، وفي عام ١٣٧٠ عاد الى طهران فتزوج ثم سافر مرة اخرى الى النجف. وبعد وفاة ابيه خلفه في امامة الجماعة والبت في الامور الشرعية. وقام بعد ذلك ببعض الاسفار الى العتبات المقدسة وسفرة واحدة الى مشهد واخرى الى مكة، ثم عاد بعدها الى طهران واستقرّ اماماً للجماعة في السوق المعروف بسوق عباس علي الكربلائي وفي عام ١٣٠٥هـ انتقل الى محلة حسن آباد واستقر في الشارع المعروف الآن باسمه حتى وفاته. وقد كان له دور كبير في تحريك الرأي العام وتهيئة مقدمات حركة المشروطة الوطنية في ايران.

له عدد من الاثار، منها: مدرسة منتظمي الخيرية التي سميت بعد ذلك بـ(ابتدائية الفيروزكوهي) التي بناها باموال منتظم الدولة الفيروزكوهي، والاثر الاخر المستشفى الوزيري، وقد بناه من ثلث المرحوم الوزير الميرزا عيسى. ومن آثاره الكتابية (تحرير العقلاء)، وقد تم طبعه عام ١٩٣٢م في طهران باهتمام صهره مرتضى النجم آبادي. ومن ابرز تلامذته المحقق المعروف الميرزا محمد خان القزويني.

جاء في كتاب (المآثر والآثار) لمحمد حسن خان اعتماد السلطنة الحديث عن الشيخ هادي النجم آبادي، وفيه: «يعتبر الشيخ هادي من المجتهدين المسلم لهم ومن مراجع الامور الشرعية. وهو متميز ببساطته وزهده وورعه، ولا يمتنع عن مجالسة علماء سائر المذاهب ويحب الاختلاط بهم، ويجالس دون تحفظ جميع علماء الاديان وزعماء الاتجاهات الدنيوية، ولا يعير اهتماماً لانتقاد الفضلاء. ويعد من المتفردين والمتبحرين في الفقه والاصول والحديث والتفسير والرجال والمقالات وغيرها من العلوم والمعارف والاطلاعات».

ومن خلال مجموعة التراجم والاحاديث التي كتبت عنه، يستنتج انه كان محلاً لاحترام العامة والخاصة لدقته في عمله وذكائه وانفتاحه الفكري. فمثلاً حين اختلف الوزير الميرزا هدايت الله مع ابن عمه واخي زوجته الميرزا يوسف حول ملك (اك) الواقع في ناحية بؤئين من النواحي التابعة لقضاء قزوين، ترافعا في قضيتهما هذه الى الشيخ هادي فاصدر حكمه الشرعي لصالح الميرزا يوسف في ذي القعدة عام ١٣٠٢هـ. وقد جاء في تعليقات الميرزا محمد خان القزويني على كتاب الثورة الايرانية للانجليزي ادواردبراون، حول الشيخ هادي النجم آبادي ما يلي: «كان يرفض الفساد رفضاً قاطعاً. ولا يقبل من اي شخص فلساً واحداً، وكان عصر كل يوم يجلس امام عتبة داره ويستقبل شتى انواع الناس، من رجال الدولة، والامراء وطلاب الجامعات والشعراء ومن سنة وشيعة وبابيين وامريكيين ويهود وعلي اللهيين وغيرهم، وكان يتباحث معهم في شتى المسائل بمنتهى الحرية والانفتاح. وهو مجتهد ومتفتح ومثقف في آن واحد. وقد سعى لتوعية الناس ودفع الاوهام عنهم وكان ثمرة ذلك العديد من ابطال التحرر في ايران. ويعد السيد محمد الطباطبائي من جملة تلاميذه الا انه اخذ يفند اراء الشيخ بعد ان اختلف الاخير مع السيد صادق والد السيد محمد المتوفى عام (١٣٠٠هـ) وذلك لان السيد صادق اعلن ارتداد الشيخ وكفّره. ولكن هذا الامر لم يكن يؤثر على مكانة الشيخ، بل زاد فيها وضاعف من عدد اتباعه. ولم يكن الامراء مثل الأمير كامران ميرزا نائب السلطنة والوزراء مثل امين السلطنة وحدهم هم الذين يأتون لزيارته بل قدم ناصر الدين الشاه بنفسه لزيارته، وكان استقباله له بعيداً عن التصنع والتكلف، وما عدا قيامه من مجلسه لتحية الشاه، فانه لم يزد شيئاً في استقباله عما يصنعه مع سائر الناس».

وكان غاية في التواضع ومواساة الفقراء والمعوزين. وكان بابه مفتوحاً لسائر الناس دون طمع في اموالهم. ويعاملهم بالمساواة دون ملاحظة

---

(١) عبد الرفيع حقيقت.

احوالهم. وكان يوصي من يأتي لزيارته ان يكون محباً للانسانية، متواضعاً، وبعيداً عن التكبر والاستبداد. واغلب دعاة الحرية الايرانيين الذين كانوا يكافحون في سبيل الحرية السياسية، كانوا يرتبطون بعلاقات مع الشيخ هادي ويذهبون لزيارته احياناً فيستمعون لنصائحه وآرائه القيمة. وقد ارتبط بعلاقة مع ملكم خان. وحين اسس جمال الدين الافغاني لجمعيته الاسلامية وسافر الى اسطنبول استجابة لدعوة السلطان عبد الحميد العثماني، اسست في طهران جمعية اسلامية للتنسيق مع جمعية الافغاني في اسطنبول، وكان اغلب اعضائها من اصدقاء الافغاني، ويعد الشيخ هادي النجم آبادي من اعضائها النشطين.

كان الشيخ خلال علاقاته الاجتماعية ينصح مختلف طبقات المجتمع بضرورة الابتعاد عن الخرافات والتقليد الاعمى والافكار المغلوطة والسيئة.

وعلى الرغم من تردد وجهاء واعيان الدولة وعلى رأسهم ناصر الدين شاه على بيت الشيخ هادي واحترامهم الكبير له، الا انه كان يتوجه لهم دائماً بالنقد الصريح، وكأنه بذلك يعرض عن الاهداف التي يطمح اليها رجال الدين آنذاك، ويحاول الوصول بايران الى مرحلة التطور الاجتماعي والسياسي.

وتحدث الشيخ عن تفوق غير المسلمين على المسلمين بعد كل الماضي المشرق للاسلام فقال: «ماذا حصل ليتفوق غير المسلمين على المسلمين في بلاد ايران، بحيث يتبعهم الايرانيون بل ويميلون للسكنى بينهم؟ ما ذلك الا لأن العدالة في بلادهم اكثر، والشعب اكثر اطمئناناً في حكمهم واموالهم ونفوسهم محفوظة اكثر تحت سلطتهم.

ويتعرض الشيخ هادي في كتابه (تحرير العقلاء) للحديث عن الحكام والقضاة، ولا يكتفي بتوجيه الانتقاد اللاذع لهم بل يبين لهم الارشادات اللازمة والنصائح الكفيلة بمساعدتهم على تنفيذ مهمتهم الخطيرة.

واذا كان الشيخ هادي مجتهداً، فانه لم يكن يسكت عما يعتقد أنه نقائص في بعض المجتهدين المعاصرين له، بل كان يهاجم بكل شدة تلك الثلة منهم التي يرى انها لا تراعي مصلحة الناس.

ولم يكتف الشيخ هادي بتوجيه النقد للمعاصرين له، بل تعدى ذلك الى دراسة وتحليل الماضي التاريخي للمذهب الشيعي، فيقول عن بعض رجال الماضي: «انه يقبل كل خبر أو اثر او رؤية واذا واجهته رواية متشابهة أولها وبررها بما يناسب ذوقه وعقيدته» واذ كان الشيخ يختلف في هذا المجال مع اكثر المجتهدين، فان اراءه وانتقاداته اللاذعة للعلماء دعت عالم طهران المعروف آنذاك السيد صادق الطباطبائي الى تكفيره. ويبدو ان هذا الامر دعا الشيخ هادي لان يكتب ما يلي: «اذا نطق شخص بالحق واراد ايقاظك من غفلتك واخراجك عن وهمك فانك تكفره، وتعزم على ايذائه وقتله وتحكم بنفيه عن بلاده...».

ولا نغفل القول ان الشيخ هادي اتهم بالبابية والحال انه كتب صفحات مطولة في رد البابية.

السيد هاشم الامين بن السيد محسن:

ولد سنة ١٣٣٠ في شقرا (جبل عامل) وتوفي سنة ١٤١٣ ودفن في شقرا.

هو الابن الرابع لمؤلف (اعيان الشيعة)، أتم دراسته الابتدائية في مدرسة والده في دمشق ثم درس على والده علوم اللغة العربية وبعض الفقه، ثم سافر الى النجف للدراسة، ثم عاد لاسباب صحية دون ان يكمل دراسته فيها.

عمل في التدريس وفي الصحافة، وكتب القصة والدراسات الادبية، وكانت ميزته الاولى الشعر اذ كان شاعراً مبرزاً، نظم الشعر فأبدع في نظمه بمختلف فنونه، ونُشر شعره في المجلات والجرائد وألقي في الحفلات دون أن يجمع في ديوان مستقل مطبوع.

واننا لنأخذ من شعره ما يلي:

شعره

قال:

سقتك ميمونة المغدى بأنواء
يا مطلع الخلد في حبي وأهوائي
يا حالماً بنعيم النفس رونقه
أما اصطباك على رؤياه إغفائي
بشير دنياي من عيش زهوت به
باتت عوافيك تنعاه لدنيائي
ما بال كل حياة فيك تؤيسني
وكل شادية تشكو ببلوائي
خفت له أنة في الصدر والمهة
شتى هواتف في نفسي واصدائي
فعجت بالربوة الخضراء أبألها
ماذا فعلت بعهد النازح النائي
تنكرت كل اوطار الحياة له
فليس يحملها إلا على داء
كأن زهر الليالي ما حفلن بها
ولا مشين على الدنيا بنعمائي
تحدثي عن عهود الوصل ما فعلت
وما جنت بين إصباح وامساء
نعمى نهود على يمناي خافقة
أو بسمة في مجال الثغر غراء
أو فتنة من أحاديث وأخيلة
أو لفتة دون وسنى الجفن حوراء
هنا اتكأنا وقد رق الصبا وصفا
فليس ينفك عن سحر وإغواء
قر العناق على لذاته عُللا
تولي هوى النفس آلاء بآلاء
يكاد يحتمل الدنيا على دعة
فما نهم بشكوى دون بأساء

ما توهن الوصل نجوى من تألفنا
إلا تلاقي طرفينا بإغضاء
تذكري الواد إذ هبت خلائقه
للنّور عربيد أدواح وأجواء
يكاد من فتنة ألا تلم به
إلا على شبه رؤيا مقلة الرائي
تذكري الزهر إذ فاضت نوافحه
على حقول وغيطان وأرجاء
ونسمة من شذيّات الربيع هفت
سكرى تهالك فوق العشب والماء
حتى عدت سفحك المطلول فاحتملت
عطر الشفاه على سجواء خرساء
وهدهدت حلمها الهاني مهيمنة
لدى نواعم أفنان وأفياء
تذكري من غصون الدوح حانية
حامت على نسمات الرائح الجائي
إذا حناها عليل الصبح وانعطفت
طافت علينا بأوراق وانداء
تذكري النهر منساباً على مهل
ضاحٍ تكسر أضواء بأضواء
تمازج النور فيه والصفاء على
صاف تلألأ من رمل وحصباء
تذكري ليلة خفت لسامرها
هواجس الوصل من وجد واغراء
أوحى بها العيش للدنيا فما برحت
تعلو على خاطر للعيش وضاء
جلا لها السحر الاعلى نواعسه
على حواشٍ قريرات وانحاء
أغفت عليه فلا حس ينبهها
إلا أحاديث ورقاء لورقاء
ونسمة فترت في الغصن خافقة
أسرى بها الصيف في هون وإيناء
خذي الأحاديث عنا رقة وأسى
سكرى الحنان على لحظ وإيماء
خذي شؤون الهوى من صبو
أو فتنة عربدت للوصل هوجاء
خذي خيال الليالي دون رونقنا
نشوان يخطر عن احلام صهباء
واضفي على الليل أفراح اللقا سورا
يغفو بهن على قدس وإيحاء
وحدثيه حديث الشوق عن كبدي
يجلو هوى الكون من سحر بسيماء
وسلسلي صبوة الأهواء ما اعتلجت
بتيم آدم أو اغواء حواء

ثم انثنى القمر الساهي على مهل
يحبو إلى صفة في مغرب زهراء
حتى إذا الشرق عمتنا مطالعه
وانثال عن موجة في الأفق بيضاء
تنفس الفجر عن رؤيا تخامره
على عطور وانداء ولألاء

* * *

فيا رباع احبائي أباعثة
حلم الربيع على زهر واشذاء
هذا فتاك شريد العيش أخلقه
مر الحوادث في ضنك وإزراء
فهل بظلك روح أطمئن له
انا الشريد وهذي الارض بيدائي
بعثتِ فيَّ صنوف الحسن تبهجني
لو كنت باعثة قلبي بإحياء
لمن ضحوك السنا تزهو غلائله
إذا خلت نظرتي من حسن (اسماء)
ويا رباع ابحائي أطاف بها
داعي الحياة لأفراح وأهواء
من كل والهة التحنان صادية
ذابت على مشتهاة اللثم لمياء
وهل حلا بعدنا النوار أو ثملت
روح الربيع بأدواح واكلاء
وهل سجا صبحه المخضل يثقله
بلال مثقلة الاذيال وطفاء
وهل جلاها على احلام نضرته
ضحى الرياحين من فيحاء غناء
ويا رباع احبائي واي نوى
عفت ربيعك عن هجر واقواء
عودي إلى حرم الماضي مسامرة
هواتف الوجد من ذكرى أحبائي
الظاعنين وحجب الموت دونهم
الصابرين على شجوي وضرائي
ذكرى تعلل أيامي فأحملها
بيضاء تحنو على سقمي وأعيائي
ويا رباع احبائي وكل يد
مرهونة عند دنيانا بإنهاء
ماذا لقيت من الحرمان بعدهم
دنيا تتابع اسواء بأسواء
أما لياليَّ والذكرى تروعها
فليس يسعدها طيف بإغفاء
إذا تقاصر صبري عن فواجعها
فزعت لكن إلى جفني واحشائي

فسواكب الدمع اقذاء تقرحها
وسورة اليأس نار في سويدائي
ليت الحمام الذي أبلى محاسنهم
وحل آصرة النعمى بسرائي
يبلي حشاشة ابلتني لواعجها
فكم اكابد احزاني وارزائي

* * *

وارحمتاه لأهل الحب كم جهدوا
حتى مضوا بين أشلاء وانضاء
كانوا وكانت مآسيهم لهم أبدا
يلقونها إرث أموات لأحياء

وقال وهو في غربة بعيد عن وطنه:

أرفيف أنفاس الخزام
وحفيف أجنحة الحمام
باطل أسحار المصيف
له بواديك انسجام
والبدر ساجي النور
وسنان تجلى في التمام
تغفو سكينته على
نغمات غرد لا ينام
أرضي وما أرضي سوى
الظل المعطر والفحام
ريا ترف على حواشي
الروض أو برق يشام
بيني وبينك من هوان
البعد أحداث جسام
أحداث ما صنع اللئام
بها وما لقي الكرام

* * *

أرفيف أنفاس الخزام
نتن الخزام فلا خزام
وحفيف أجنحة الحمام
هيض الحمام فلا حمام
واستوحش البدر المنير
فليس يسعد مستهام
عفت جمالك بالبلادة
والأذى غبر دمام
أما الشذى فوباءة
ورياضة أرض وخام
خنقت مناعب بومها
طلق الأغاريد الرخام
ما كان عهد البر
أن تروى ويقتلني الأوام

أهواك وادعة لدى
فنن وثغر وابتسام
وسنوح قبّرة على
خفق كرفرفة السلام
وهزيز عاصفة تضج بها
سهولك والإكام
جنت بها الدنيا فعربد
وابل ورغا زغام
يا طيب أنفاس الخزام
رياك في صدري سهام

* * *

في ذمة التحنان ما
ألقى لبعدك من هيام
وجد وليل سادر
في الهم عن طيب المنام
وخيال لحن من عتا
بابين شجو واهتضام
هيمان يجهش بالحنين
ويستطار على غرام
صر الدجى الساجي صباباتي
وأدمعي السجام
نضد السهاد إذا اطمأنت
في مضاجعها النيام

* * *

حنت عتابا من هواك
لشيق فبكى وهام
صب يسائل ذكريات
الشوق عن خل وجام
كيف الأقاحي في رباك
وكيف زرعك والوشام
وخمائل الوادي عبير
الرند أو نور البشام
في السفح إذ يغفو الأصيل
على حواشيك الوسام
أو يارق السحر الندي
على أغاريد اليمام
يا طيب أنفاس الخزام
ذكراك إيغار وذام

وختامها:

يا طيب أنفاس الخزام
وحفيف اجنحة الحمام
يا أرض (عامل) يا جوى
في الروح ليس له انفصام

عطر الحنين لك السلام
وقبل من مثلي السلام

وقال:

هي السُّلْم قد سعَّرتْ نارها
وشنت على الحرب حرباً عوانْ
ينوح العراق بأحزانها
ويخضب لبنان منها بقان
وتمسي على الهول هنغاريا
وتصبح مخزيّة بالهوان
وتُرْعَدُ بالرعب أقطارُنا
سعير اللظى وقتام الدخان
جَنَتْ ثمر الموت للمعتفين
وروَّتْ من النار غرس الجنان
فَطَلُّ الدماء وَسَلُّ الذِّماءْ
وخنق الجنان وقطع اللسان
وقصف الحديد وعصف الوقيد
هي السِّلْمُ في النصر والمهرجان
فقل لبني الحق بشراكُمُ
أديل له من صروف الزمان!
مضى زمن الحرب لا رجعة
وهذا السلام وهذا الأمان!

وقال:

نرخص العيش والنفوس الغوالي
لمعاليك يا فريد المثال
ماحوتك الحدود إلا لتحيي
كل عين لنا عليك الليالي
طائرات بشوقها نحو عليا
ك وعز الجمال كل المعالي
قد حملنا الجسوم وهي صحاح
وذهبنا بالحب فهي بوالي
ما ثنانا عن الهيام توايا
عن دينار ويأسنا من نوال
نحن للوجد حيث يدعو هوانا
القطع ماله أم وصال
سرنا في الزمان غيب خفي
أين منه نعوتنا في المقال
يلتظي الكون في مجاليه نارا
قد طلعنا بها من الآزال
عبدتها المجوس قدما وسارت
بسناها طلائع الأجيال
هي للخلد والسنا حين يغدو
كل كون لظلمة وزوال
وبعثنا القلوب فيها ضراما
ذاك قربان حسنك المتعالي
معشر العاشقين أي انبلاج
يتسامى في المشرق المتلالي
إن وجه الحبيب في فتنة الحسـ
ـن ولطف اليها وسحر الدلال
إيه وجه الحبيب خروا بكيا
إذ تبديت في خصال الكمال
غشيتهم نوازع الوجد حتى
تركتهم في غشية وخبال
يمموا المشرق المنير حيارى
فيك أنضاء صبوة وكلال
حملوا فتنة الجمال وهاموا
يسألون الغيوب رسم الجمال
كيف عاشوا وكيف ماتوا بنجوى
سر عينيك يا فريد المثال

وقال:

شجو يطيف على حواشي نفحة
من روضة وسحابة من نور
يهفو إلى طلق الغيوب ولحظة
من عبقري المجتلى مسحور
حيث الهوى حب إلهي الرؤى
والفكر فيض زواهر وعبير
شجو يطيف ويجتلي ذكرى على
طلل بآفاق النبل مهجور
ماذا تقول له النجوم إذا سجا
متوحداً بالقفر والديجور
يا هائمين على النوى أين النوى
من ذكريات مؤانس وسمير
تمضي صبابات وتبلى جدة
صبوات عافية وصفو ضمير
وتردد الأحلام ذكرى من هوى
يوم على عيش الوئام قرير
ذكرى الشفاه الناضرات على أسى
قلب بعسف الحادثات كسير
وخيال نعمى لا يرف خيالها
إلا على وله وشجو حسير

* * *

شَفَّتْ حواشي الليل بين مخيِّم
داجٍ ونجم في السما منير
واستبهمتْ فيه الوجوه طوالعاً
في مد أفق ظاهر مستور
وعلى سُجُوّ الليل حلم تائه
وعلى ائتلاف النجم غيب شعور
وهناك في الأبعاد ذئب عائس
يعوي وحيد جنادل وصخور

ليل تَغَشّى الكائنات سَرِيرَةً
غُمِّتْ على مُتَوهِّدٍ وشفير
أشباحه وظلاله ما بينها·
مرأى ظلال الموت بين قبور
والوحدة الخرساء صَمْتٌ من رؤى
فَيْضٍ بأغوار العفا منشور
تنداح في مد الفضاء كأنما
تنداح نجوى من ثرى مقبور
سنة ١٩٨١

وقال:

سلاماً أيها الغريد محبوساً على القيد
مقيماً من نواحيه
مقام السيف في الغمدِ
تبيت الأسد في القيد
وتبقى شيمة الأسد
أَبَيْتَ المورد الصافي
وشعبك آسن الورد
وقفت حياله مالك من ثنتين من بد
وشراً من ظما الأحرار يُلْقَى مورد العبد

* * *

وقالوا ليله سهد
بعسف القيد واللد
وطَلْقٌ خياله نَكَد
على الترويع والصد
لمشؤوم ومعتسف
ومُسْوَدّ ومربدّ
سأحمل نفحة الصبوات من خد ومن ورد
وأنظم من نجوم الليل دُرّياً على عقد
وأكتب في حواشي فجره أنشودة الند
وأنشرها معطرة
تحايا العز والمجد
تناجي نغمة الأشجان في حنجرة الْغِرْدِ
على الزنزانة السوداء بيت الغلّ والحقد
بنتها كف مشؤوم
وأعلتها يدا وغد

* * *

نداء الريف فيّاح
على الربوة والوهد
هُوَيْنا همسة الورد
وهادرُ ضجة الرعد
ثغاء شويهة ترعى
ضحى في غيضة النجد
وهازج نحلة بين اصطباح الزهر والشهد
خزامى ذلك المعطار ما زالت على العهد

ترف على الندى ذكرى
من التحنان والود
صبايا الحي تجلوها
أغاني الشوق والوجد
فمن خد إلى ثغر
ومن ثغر إلى خد
على السفح بُنيَّات
حيال الشفق الوردي
وموج من سنابله
أوانَ الجني والحصد
وسرب من قنابره
يغادي غابة الرند
ويزهر سامر الفتيان
من لقيا ومن وعد
تهاويل على الذكرى
وأشواق على البعد
على نجواك مرسلة
حديث الهم والسهد

* * *

وقالوا بُتَّ عن سَكَنٍ
وعن بيت وعن ولد
وأودع ظلمة السجنِ
وعاف حلاوة الرغد
أذِلْ من دولة الطغيان
ما جارت عن القصد
بِنُكْرِ حكومة الرجسِ
وبؤس دولة الجَحْدِ
شتات الرِّيَبِ والأخلاط
من مِثْلٍ ومن ضد
إذا سعدوا فبالأشقى
وإن يشقوا فبالسعد
رواة الزور والمَيْنِ
ونسل البغي والكيد

* * *

وقالوا يسأل الوحدة
ما حال الهوى بعدي
لئن حجبوك عن وجه
وإن صدوك عن جهد
فما البحر سوى البحر
على الجزر أو المد
وداجيةٌ إلى فجر
وتشريدٌ إلى عَوْد
نداؤك صرخة الدنيا
بما تخفي وما تبدي

مضى من ومضة الشمس
وجاراها على حد
ضميراً في صدور الناس من شوق ومن وجد
حنان الأم في سَكَنٍ
وذَرّ الشدي في مهد
وروح الأرض في غرس
وطهر النار في وَقْدِ
سنة ١٩٤٦

وقال:

كم غصة اكتمها صابراً
الله صبري ما عسى ان يكون
وخطرة دامية للهوى
تهفو على السقم ودامي الشجون
ونزوة للنفس في يأسها
لا تلمس الرشد ولا تستبين
يا آمن الليل على نومه
شردت عني كل ليل أمين
يا ناعم الاحلام تعتاده
مثل رفيف الورد والياسمين
مثل هبوب العطر في نفحها
هناءة الوصل وأمن اليقين
أشكو إلى نعماك بؤس الهوى
وقسوة البعد وهول الظنون
الكأس من لي أن تعلّ المنى
من نعمة الحسن وفيض الفتون
وعزة للحسن يسمو بها
هانت عليها ذلة العاشقين
قد نثر الحب على سحرها
رؤى الليالي وقتام المنون
ورعشة للحب في فجره
حائمة فوق خيال السنين
وحسرة هائمة في المدى
الشعر من آهاتها والجنون
أبحث شكواي أسى صبوتي
والليل والصبح الشجي الحنون
الحب دمع والقوافي شجى
والليل ملتاع الخوافي حزين

وقال:

قتلت كف الليالي فهمي
وسبت روح الفؤاد الملهم
عونك اللهم من جامحة
زعزعت نسكي وراعت حرمي
لا يعي قلبي مدى اهوائه
لا ترى عيني سبيل الظلم
كسف البدر على آفاقها
وانطوى عنها شعاع الانجم
يا إبا النفس على محنتها
غربة الفكر وجور السقم
اي كف سقتها ضارعة
تسأل الغوث وعطف الرحم
اي طرف حائر ارسلته
دون فياض المدى محتدم
نتن الأشلاء في أرجائه
وفسيح السود بين الرمم
ظلتُ استصرخ حتى لفظت
مقلتي دمعي واحشائي دمي
عاثر النظرة حيران الخطى
راعش الكفين دامي القدم
الاسى. ويحك يا كون أما
لأليم غاية من ألم
قدر اعمى على ظلمته
عدم الخلق وخلق العدم
اي كأس في يد قد عبرت
بهوى الدهر وغي الامم
يا ابنة الأزال هذي كبدي
وشجوني وخيالي وفمي
ذا وجودي خاضع مستسلم
يا له الرحمن من مستسلم
تعتعيه نشوة واشتملي
بسوار الكرب غاوي حلمي

وقال:

هل انت سلمى في الصباح، مع الطيور مغرده
حتى هفا قلبي بصوتك بينهنّ وردَّده!!
إني أراك مع الأزاهر نصب عيني ماثله
واكاد المس في نسيم الصبح روحك سائله
وبثغرك المفتر عن فكر وطول تألم
نور ينير كآبتي
فتبسمي، وتبسمي...
أرأيت اسراب الظلام، تسير مسرعة الخطى؟
والريح تخفق اثرها، خفقان اجنحة القطا
وتبسم الصبح المنير، عن الأزاهر والربى؟
والطير تلطمه خدود الورد او كف الصبا؟
أومى اليك مناغياً بلسانه المتلعثم
لي في اللمى امنية..
فتبسمي، وتبسمي...
هل ابصرت عيناك نوراً، وامضاً خلف الفضا؟!
فحسبت حظك مشرقا، يتبسمُ به القضا؟!
ليس الذي ابصرتهُ، إلا اشعة مقلتيك

بعثت بها منك اليه، واشرفت منهُ عليك
او ليس في الثغر الجميل، وفيه سلوى المغرم
بالله يا سلمى على
ومض الشعاع تبسمي!!
مثل الورود تنفست، بالمسك نمَّ به العبير
هذي عيونك اوضحت عما يجيش بهِ الضمير
فبأي شيء في فضاء الأفق البعيد تحدقان؟
هل عن مفاتيح المنى، في اللانهاية تبحثان؟
ضاعت مفاتيح المنى، فتجلدي واستسلمي
قري وقولي للشفاه
تبسمي، وتبسمي...
لما ازالت بهجة التفكير عن عيني الغبار
فتشت عما في الضلوع، من الأزاهر والثمار فوجدت قلبي ضاحكاً، للعاطفات يهلهل
جم الخواطر والمنى، لكنما هو مقفل..!!
ورجعت لا اهدى إلى، سر الفؤاد المبهم
وبأذن نفسي هامساً
خل الأسى وتبسمي!
سلماي لا تأسي على، ما مزقته العاصفات
هيا بنا نأوي إلى، ظل الهوى والعاطفات
هذا الشباب مهلهل، وغداً إذا جاء المشيب
ماذا به!... غير التأوه والتحسر والنحيب؟؟
وتأملي في الروض.. كلٌ ضاحك ملء الفم
كل يقول تبسمي..
فتبسمي، وتبسمي...

وقال:

جرى مثل في سالف الدهر سائر ... بمن عكفوا يوماً على صنم التمر
أقاموا عليه يستميحون خيره ... فما نالهم بالخير يوماً ولا الشر
وصار لهم في يوم ضر ذخيرة ... شفتهم غداة الجوع من ذلك الضر

* * *

وكان لنا رب من الكرج أحمر ... عبدناه في عصر الثقافة والفكر
وكنا له في كل يوم فريسة ... ملايين قتلانا من البيض والحمر
وحطمتموه بعد ذلك وانطوى ... كما باد ذاك الرب في سالف العصر
فأي زمان كان أدنى إلى الرضا ... وأي إله كان أجدر بالشكر!

سنة ١٩٥٧

وقال:

هذا فتون الكون يا فتنتي ... ذا نور بدري وشذا وردتي
تدفق الفواح من صبوتي ... وامتدت الآفاق من وحدتي
وفاض في الكون مهيب الفضا ... من سري المكنون في روعة
وقد تطلين على ذي الدجى ... من قلبي الحران من صبوتي
فيسهد البدر ويأس الضيا ... ويزفر الورد على حسرتي

* * *

يا نافح الموت بأعرافه ... وناثر الزهر على رمة
القلب - يالقلب - ما شوقه ... غير ذهول موحش ميت

سنة ١٩٣٧

وقال:

يا رعشة الجسد العليـ ... ـل وأنة الروح الكسير
يا سورة اليأس المريـ ... ـح على تباريح الضمير
يا جنة الاحلام تصـ ... ـخب في هوى القلب الحسير
يا فجعة الحب الصغيـ ... ـر وضيعة الامل الكبير
نوحي على مرح الوجو ... د وجهمي وجه الدهور
هيجي بهذا الكون عا ... صفة على الدنيا وثوري
طوفي بزاهي النجم واحـ ... ـتبسيه لا يشرق بنور
كوني ذعاف السم في ... زهو الازاهر والعبير
كوني لهيب النار في الـ ... ـعشب المندى والغدير
كوني زوابع في سكون الـ ... ـحقل والروض النضير
كوني الجهامة تجتلي ... في كل وضاء طهور
وتمثلي في كل شي ... يجتلي روح الشرور
أو محنة الكون الكبيـ ... ـر تعج في القلب الصغير

لو استطيع بعثتهن
عليه من نار وقير
وأعدت جنات النعيـ
ـم بهن من حمم السعير
سيان يا عيش الهوى
شأناك في كل الامور
مهما عظمت أو احتقر
ت فأنت إلهية الغرير
ما دون غ مضة ناظر
عاد الحقير إلى خطير
من قال للأكوان كونيها
وللافلاك دوري
قصرت ليالي الطوا
ل عن الهوى وغفا سميري
وشربتها حتى الثما
لة من أساي ومن خموري
وسهرت جم الفكر لا
سهد الكواكب والبدور
ما نهنهت من فيض أحـ
زاني وطغيان الشعور
هذي الرؤى هل في الغيو
م مطافها أم في القبور
أين المصير بذا الهوى
أواه من هول المصير

وقال عند زيارته قبر الامام علي الرضا(عليه السلام):

هذا أبو الحسن الرضا
وجلاله ملء الربوع
والمهرجان ومجده
دفق الجموع على الجموع
السابحات على العطور الساطعات على الشموع
من مهجة حرى ومن
دمع ومن خد ضروع
أو مشرق متهلل
نضر التشوف والنزوع
أو هانىء قسماته
صفو الوداعة في الوديع
وضجيج أفراح وأحزان وتحنان وروع
والصوت ترجيع الملائك بالصفاء وبالنصوع
والذكريات تمور بالدامي وتجأر بالوجيع
ضربت رواق محامد
كالشمس قدسي السطوع
يزهو بآل محمد
لا بالذليل ولا الخنوع
أيام ثاروا للكرامة واستطالوا عن خضوع
ومضوا على سنن الكرامة من شريد أو صريع
فسل القطيع أكان غير الذل جزار القطيع
بمذلة الجوعان هان الحق لا جور المجيع
ما ساد رب العبد لولا خسة العبد المطيع

ومنها:

أمحمد ولك العزا
بالبيت والشمل الجميع
ما كان عهدك من (خراسان) كعهدك في (البقيع)
ترعاكم ساسان لا نسب سوى الشرف الطبيع
وتعقكم عدنان بين الوحي والرحم الضليع
يخلو حماك لغاصب هو منه في الرحب الوسيع
وعلى بنيك مضيق
ما بين عان أو مروع
لم يقصروا عن عاجزين ولم يعفوا عن رضيع
بالسيف بالتشريد
بالترويع بالسم النقيع
يا طلعة الشمس الحدي
حتام تؤذن بالطلوع
حتام تروى الأرض من دام وتشرب من دميع
وتدنس الحرمات في
يد كل دعار خليع
تعطى وتستلب الحياة
بكف وغد أو رقيع
والصدق لعقة لاعق
في شدق كذاب خدوع

ومنها:

يا لابسين العار وشح بالسوابغ والدروع
الناعمين على الحقارة بالزروع وبالضروع
قرت عيون الذل واستخذى على الخصب المريع
ومضى بدعوى في الكرامة من عزيز مستطيع!

وقال وهو في مدينة بعلبك:

يا جنة الحسن هل للوصف من لغة
إلفاظها منك إلهام ووجدان
فكم أضيق بذا لفظاً ومعرفة
إذا بدا لي طلق منك فتان!
يا للجمال تجلت روحه وسرى
بين الرياض صميم منه عريان!
صفا الخيال على المحسوس واختلطت
في نشوة الحس أبصار وآذان
يا للجمال أهذا شعره هزج
ما غمغمت فيه ألفاظ وأوزان!
غنت به كل خرساء وشادية
فللزهور كما للطير ألحان

ورب مونقة في «الراس» وارفة
يلفها النبت ريان وفينان
تآزرت أرضها بالعشب وانعقدت
سماؤها وهي أفياء وأفنان
يشجي الهوى حالم من حسنها
نضر فالروض ثم صبابات وتحنان
ذكرت ليلى على مجلى خمائلها
والعين حائرة والقلب هيمان
خيال ذكرى جلته من محاسنها
هيف شواد وأدواح وغدران
ففاضت العين لم أملك سوابقها
مروع لحظها حيرى وحيران
فهل شجاها على الهجران ذكر فتى
يبليه في الدهر حرمان وهجران
ليلى، وفي أي وجه لم تكن ذكر
تعتادني منك يا ليلى وأشجان!
أظل بالوجد سكران الهوى ثملاً
وقد يفيق على الأيام سكران!
طرف على الهجران ساهر
وحشاً على الأشواق طائر
واهاً هوى النفس المرا
عة في صعابك والمخاطر
يا ويح أهلك في النوى
كل إلى ما حرت صائر
يا ليل كم لك مشهداً
(أوفى) على نجوى السرائر
كم حار مهجور علي
ك وكم لها بصفاك هاجر
شتان يا ليلُ الهوى
من سامر فيه وسامر
قرت جفونك يا مهف
هف ما غفا للصب ناظر
اهجر وجر أنا صابر
يا جائراً أفديك جائر
أخلق بمن قاسى الضنى
بك أن يكون عليه صابر
حق لحسنك ذا الوفا
لا كنت يوم أكون غادر
أهواي ذنبي إنني
أبلى به هل أنت غافر

* * *

يا غصن وردك في القلو
ب على الهوى ريان عاطر
يزهو ويذبلها الجوى
حسرى الهوى لا زلت زاهر
رفت عليه مروعة
كم حائم منها وحائر
دم لا ذوت بك نضرة
أذوى بهاها كل ناضر
العهد منك ليلة الـ
ـفح الحبيب أأنت ذاكر
تمضي السنون وذكرها
ملء الهوى ملء الخواطر
وضمير حبك خالد
يبقى وقد تفنى الضمائر
قدس الخلود وربما
ذهبت به أبيات شاعر
سنة ١٩٣٩

وقال:

أطاف البلاد وجاب القفار
ولا مستغاث ولا مستقر
كسكران تاه على ظلمة
تقاذف في الربى والحفر
فلا السمع سمع على أذنه
ولا نظر الزيغ منه نظ
وساوى لديه الضيا والظلام
اسى خالط العيش حتى اعتكر
تكاد تضعضع اضلاعه
إذا أن من حيرة أو زفـ
ويخطو فتحسب في خطوه
شرود الضلال واختيال البطر
يهيم وليست له غاية
ويمشي وما يقتضيه وطر
ويمن في السير لا يستفيق
لغاد غدا او خيال عبر
كأن تصاريف اعضائه
تعطلن من سمعه والبصر
يضعضعهن صدى حسرة
أرنت على رغبة تحتضر
بدا للعناصر تعتاده
ففي جسمه من عناها اثر
فما يتقي لسعات الهجير
ولا يحتمي من دفوق المطر
ايا لحظة اذ بلتك الهموم
ويا وجهه غيرتك الغير
أعشرون عاماً - عليك طوت
جحود القنوط وزهد العبر

كإكليل تعاور فيك الغصون
من الرونق الغض لوحاً اغر
فتكسف منك على رغمه
رواء الصباح وحسن الزهر
بمعناك كل انكسار الحياة
يفل الجلال ويدحو الظفر
على صور صاغهن الغرور
وألبسها كبرياء البشر
كفرت بها علة المستريب
أضل اليقين وملَّ الحذر
الا يا مناه أما فسحة
لكنّ بظل القضا والقدر
وما هن بالخطرات العظام
إذا جل عن طوقه ذو الخطر
ولكن تباشير اغفاءة
تباعد عن عينه ذي الصور
وهيهات لو قدرت لانطوى
على وحشية الحلم منه النظر
أضاق قضاؤهما ان يضم
عزاء النفوس وروح الفكر
الى برهة من مديد الزمان
وفي لحظة من قصير العمر
أيا ابن الوحول ويا ابن التراب
ويا ابن الزقاق ويا ابن القذر
تساوت على البؤس اقدارنا
فلا من عظيم ولا محتقر
لأهدى من الناس في أرضهم
ولو ادركوا الخلد فيها ـ الحجر
كأن الحياة بها هوة
وهم يزلقون على منحدر
تخادعهم مغريات الصفاء
وما هن إلا الشجا والوضر
يروقهم مطعم من سموم
وتسكرهم رشفة من كدر
علام السلام يرومونه
إذا كان يغتاله ذا الخطر
وفيم الأمان وفيم الرخاء
وفيم الحرير وفيم السرر
وكيف بنعماء احلامهم
وقد زجرت في فضاها سقر
فسل خاطر العيش أين اهتدى
وأين استقام وانى استقر
يروح على نزوات الجنون
ويغدو على خطرات الضجر

فهل ادرك الحق من جهده
نهار يكر وليل يفر
لئن ركبوا الجو فاستنسروا
وراضوا الهواء وراموا القمر
وطالوا الطبيعة في خدرها
يبيحون من كنهها ما استتر
وعدوا الكواكب في سبحها
وجابوا البسيطة بحرا وبر
فهل كفكفوا غرب بكاءة
تذود الدموع وتشكو السهر
وهل بردوا من حيارى النفوس
غليلاً على جانبيها استعر
وهل اوجدوا دون هذا الضلال
وغي الاحاسيس من مزدجر
أيا ابن الوحول ويا ابن اتراب
ويا ابن الزقاق ويا ابن القذر
فداء لآهاتك الشاكيات
طروب الحديث وحلو السمر
إذا انكر الحيُّ حسن الحياة
ففيم استنار وفيم ازدهر
رسوم الجمال وهل ازهرت
على ظلمة النفس تلك الغرر
لئن كن للدمع هذي العيون
فسيان فيها العشا والحور
وردت على مستهل الحياة
مراع الورود مراع الصدر
خبرت القضاء على سيرها
فقص عليك صحيح الخبر
أفاز بنعمائه من اناب
وحل عن صفوه من كفر
ام استنه لا يرى غاية
لخير نبلغنا او لشر
ايا سفرا قد ظعنا له
لنغبر في الدهر فيمن غبر
على جمح من مطايا السنين
تبعنا الخطا وقفونا الاثر
تناهى العياء فكيف الفرار
وضاق الفضاء فأين المفر
افي غاية الموت هذي الرحال
لبئس الظعين اذن والسفر
مخيمنا في فضاء المجير
وموطننا في مداه الإبر
نجدُّ عطاشى وكم غرنا
سراب تلألأ ثم انحسر

وقال:

آبت إليه بعد طول الجفا
تسأل عنه كيف حال الغريب
كان كثيراً دمعه دأبه
في حب الشكوى وطول النحيب
فما له نهنه من بثه
أقر قلباً بعد ذاك الوجيب

* * *

لقد قضى يا ليل من بعدكم
لم يبكه من صاحب أو قريب
في ساعة ران عليها الأسى
وجللتها موحشات الغروب
لا الورد فيها ساطع ناضر
ولا وجوه الريح تهفو بطيب
غير اصطفاق الغصن في عريه
ووحشة الأنفس عند الهبوب
ألقى بها تشرين أوراقه
على سواقي شمال أو جنوب
واستوحش الحقل بغربانه
إذ غادرته زمراً بالنعيب
لطالما ناداكم لم يجد
غير دواهي سقمه من مجيب
وطالما أبلاه طول الاسى
فهو عليل في أساه يذوب
ينشد نجم الليل أشعاره
ويندب الصبح ويبكي المغيب
يا صبر نفس واحتمال الأسى
في قلب العاني ودمعي الصبيب
ما أهون السهد وأحلى الضنى
أني ملاقيه بعين الحبيب
يمضي على كل سبيل لكم
لعلها يوماً عليه تؤوب
يمضي حسير النفس في جسمه
من وجده السقم وفرط الشحوب
حتى تلاشى مدنفاً عانياً
وأسلم الروح الحزين الكئيب

* * *

هناك يا ليلى على نجوة
جبانة القرية دون الكثيب
يثوي بها يا ليل في غربة
حتى من الموتى فتاك الغريب
سنة ١٩٣٩

وقال:

أسائل عنك البدر لو عنت البدرا
شكاة الهوى المقهور في الأنة الحرى
فيا بدر هل سلوى لديك تعينني
وهل أبقت الاحلام لي فيك من ذكرى
وما لي والأوهام يا ليل إنني
أقضي بها عمري فما اضيع العمرا
تنكر هذا الافق من بعد بهجة
وحالت على بؤساي نجمته الغرا
وكان إلى عهد من السعد والصبا
تفيض لعيني الكون بالمتعة الكبرى
تراقص أحلامي على رعشة الضيا
وتبعثها في الجو ناعمة سكرى
وقد نشر الليل المهيب جناحه
كما طاف فيه الغيب أو نشر السحرا
أفاض على الدنيا مهابة سره
فعادت مجالي الكون في جوفه سرا
وسال بروح الشعر في الأفق حالماً
فتلك نجوم الأفق ينظمها شعرا
وماجت بقدس الذكر نجوى مؤذن
على روحه الساجي فغاض بها طهرا
تشق سكون الجو لحناً معطرا
تكاد له في النفس تستشعر النشرا
رعتها نفوس باليقين قريرة
صفت لسكون الليل تجلو له الفكرا
ويحبو عليه البدر ساهٍ كأنما
تراخى على المنأى وكل على المسرى
ومن نوره مجلى ذهول ورقة
وفيض من التحنان في الغمرة الزهرا
على ساريات للنسيم فواتر
كأن بها أيناً أو ان بها سكرا
وران على الاطيار روحاً قريرة
فقرت به عيناً وقرت به وكرا
وصات له الصرار وانٍ كأنه
على سهده وسنان لا يأتلي صرا
وقد لاح في الابعاد من مبهم الكوى
كليل من الأضواء يرعش مصفرا
سجا كل شيء فيه وسنان حالما
تخال به الاكوان منظورة بكرا
سجا بخشوع النفس في وحي سرها
فمن روعة الأسرار أحلامه تترى
هي النفس تغشاه على غامض الرؤى
ومبهمة الأحلام... إن لها أمرا

* * *

أحبـاي هـذا الـليـل لـيـلي فـما لـه
أطـال عـلي الهـمَّ واسـتـنـفـد الـصـبرا
فـكـم نـزوة ولهـى لـدى وحـشـة الهـوى
عـلى قـلـبي الـعـاني تـطير بهـا ذعـرا
بـثـثـت نـجـوم الـليـل شـجـوي وحسرتي
فـما وجـدت شـجـواً ولا فـقـهـت ذكـرا
أعـنـد نـجـوم الـليـل اني مـسـهـد
وأن لي الاهـواء سـادرة حسرى
أحبـاي تـرعـاكـم عـلى الـبـعـد صبـوتي
وتـدعـوكـم نـفـسي مـدلهـة حـيرى
نـعـمـتـم بـأطـيـاف الـكـرى. إن مـقـلتي
أقـامـت عـلى الاشـواق سـاهـرة عـبري
وطـبـتـم عـلى بشر الحـيـاة فـإنـني
حمـلت الهـوى والـصـد لا [illegible]
هـجـرت كـؤوس الخـمـر مـا سـلوتي بهـا؟
سـلوا عـن مـعـاني الخـمـر مـن شرب الخـمـرا
احـبـاي لـيـت الـصـد في غـمـرة الهـوى
وفـتـنـتـه الـعـظمـى يـضـم بـه الـصـخـرا
هـو الحب مـا زالـت عـلى الـبـعـد والـلقـا
نـفـوس لـه تـعـنـو فـيـوسـعـهـا قـهـرا
إلى أيـن يـزجـيـهـا ضـعـافـاً اسيرة
ونـت بـاحـتـيـال الـقـيـد واشـتـكـت الاسرا
ومـا حـيـلة الإنـسـان في كـل محـنـة
أيـعـلو عـلى الأقـدار أم يـقـهـر الـدهـرا
ومـا زال يـلقـاهـا هـوانـاً وضـيـعـة
أمـنّـاه طـول الـعـيش أم سـكـن الـقـبرا
نهون عـلى الأيـام كـونـا فـليـتـنـا
قـنـعـنـا فـلم نـرفـع لأكـوانـنـا قـدرا

وقال لما بلغه خبر وفاة شقيقه عبد المطلب وكان هو في رحلة بعيدة:

أعـيـدي ذكـرهـم طـربـاً أعـيـدي
شـجـون الـبـين والـشـمـل الـبـديـد
فـلما يَـأْنِ بـعـد لمـسـتـهـام
سُـلُوّ مـن بـعـاد أو صـدود
ولا رقـات عـلى نـأي دمـوعـي
ولا بـعـدت عـلى ذكـرى عـهـودي
تمـادت سـورة الأحـزان حـتى
اسـتـطالـت عـن زمـان أو حـدود
فـتـحـنـاني عـلى وجـد قـديـم
كـتـحـنـاني عـلى وجـد جـديـد
ولهـفـة خـاطـري مـن خـوف فـقـد
كـلهـفـت عـلى إلـف فـقـيـد
وصـبري مـن أذى يـوم قـريـب
كـصـبري مـن أذى يـوم بـعـيـد

غـريـب وحـشـة الـدنـيـا أنـيـسي
وطـرس الـشـؤم والجـل بـريـدي
يـكـلفـني الـنـصـيـح عـلى شـجـوني
مـقـام الـعـارف الـفـطن الـرشـيـد
ويـسـأل حـكـمـتي أيـن اسـتـطيرت
أنـاة الـعـلم والخـلق الجـليـد
ومـا جـدوى المـعـارف والمـعـاني
إذا مـرد الـزمـان عـلى جـحـود
فـأنـسـج حـكـمـتي درعـاً هـواء
وتـعـروني الحـوادث مـن حـديـد
أعـيـدي ذكـرهـم سـهـر الـليـالي
صـبـابـة مـدنـف [illegible] عـمـيـد
[illegible] تهـيـم عـلى الـدراري
وآفـاق الـرؤى وشـذى الـورود
ونـغـمـة صـادح مـن غـصـن روض
تـضـج عـلى الـفـضـا أفـراح عـيـد
وحسرة شـاعـر سـلف تـنـاءت
عـلى نـجـواه أيـام الـسـعـود
يـطالـع لـلوداع عـرار نـجـد
ويجـلو لـلفـراق ربى «زرود»
لـعـل عـلى الـنـجـوم حـديـث وجـد
ودود إذ يخـف إلى ودود
وكـل عـلى الـربـيـع شمال عـرف
وفي وكـنـاتـه ذكـرى نـشـيـد
أعـيـدي ذكـرهـم لحـظات طـرف
تـطوف بـجـفـنـه رؤيـا شـهـيـد
دهـتـه فـجـأة الأحـداث تـترى
جـوحـاً بـالـضـيـاع وبـالشرود
يـقـلب نـظرة المـدهـوش فـيـهـا
ويـنـقـل خطوة الـوجـل الـطريـد
ويمـسـك مـن يـنـوب الـغـدر قـلبـاً
سـلا بـالحـقـود ولا الـكـنـود
يـسـائـل خـطة الأحـرار عـنـهـم
وقـد كـظتـه أغـلال الـعـبـيـد
ويـنـشـد نـفـحـة الـريحـان لهـفـاً
شريـد مـهـامـه وطـريـد بـيـد
أسـار الـنـجـوم هـل الـعـشـايـا
أو اهـل بـالـعـهـود وبـالـوفـود
وهـل نضر الـريـاض كـما عـهـدنـا
زواهـر بـالـورود وبـالخـدود
وخـلان الـصـفـاء هـل الـنـوادي
بـحـالي أريحـيـات وجـود
تـنـكـرت الـوجـوه عـلى غـريـب
وأقـفـرت الـديـار عـلى وحـيـد

خبدي من طلعة الغر الحواني
أمان الفاقد اللغب الشريد
وصوغي من جراح القيد لحناً
يرف دماً على عض القيود
يطوّف في سماء البيد يحدو
بشوق الظامئين إلى الورود
ويجلو العبقريات الغوالي
على عرش الكرامة والخلود
تنزى في العذاب وفي الدنايا
وتزجر بالمهانة والوعيد
على طغيان جبار عنيد
وفي شهوات مأفون بليد
تغني بالجراح وبالرزايا
وهزي الكون بالنغم المجيد
تهاليل الكرامة من حسين
ووتر الضاغنين على يزيد
تغني بالنبوغ تعاورته
حقيدة شانىء وأذى حسود
غذته بالمرارة كل كف
عقوق من بتاريخ حقود
أعيدي ذكرهم نجوى ولي
حنين اليأس للأمل السعيد
ووسوسة النجوم على ليال
طوال في غمار الهم سود
على درب العفاة هيام شوق
وتيه مفاوز وسرى كؤود
مشيت وفي عيوني ألف رؤيا
تطالعني على الدرب المديد
وصفر راحتي من كل زاد
طريف من تراث أو تليد
فلا الغنم المرجى من عتيد
ولا الذكر المعظم من جدود
وخلفت الجمال لمبتغيه
فلست من الجمال بمستزيد
وما أنكرته يوماً جمالاً
جلا سر الوجود على الوجود
بلى أنكرته تغريد بوم
وموعظة بأفواه القرود
كفى زيفاً بنا أنا طلبنا
نقاء البرء في خبث الصديد
وعشنا عيشة الحملان هوناً
وجرجرنا بتزآر الأسود
سقينا الصفر من خمر الأماني
فعج يدل بالعدد العديد
نلوم عدونا أن قد رمانا
بقارعة وشيطان مريد
وسام ديارنا غصباً وسلباً
وبهتاناً وخلفاً بالوعود
وأنفسنا لأنفسنا عدو
طغى أعدى من الخصم اللدود
حملنا وزرها من قبل «فُرْدٍ»
وكنا ثارها قبل اليهود

* * *

سأصبر للحوادث، ما استطالت
وأرضى خطبة الخطب الشديد
وأرعاها حنيناً واحتساباً
مصارع فتية ولحود صيد
واستجلي الربيع ظلال عطر
ضفت تحنو على تلك اللحود
قبور للصباح بها رفيف
وللأنداء نجوى من قصيدي

سنة ١٩٧٥

وقال في رثاء قريب:

أمسيت لا أرجو ولا أتبرم
سيان عندي دمعة وتبسم
في وقفة المنبتّ في دنيا الورى
حيران لا أمضي ولا أنا أحجم
حسبي وحسبك يا حياة ضلالة
أني بما تبني يدي أتهدم
وأظل أفنيبالذي أحيا به
أبداً فغمني في الحياة المغرم
القبر أرحب من فضائك منزلاً
والدود أنقى من بنيك وأرحم
أصبحت بين حلالها وحرامها
حقي عليها أن حقي يهضم
يا طالباً في ذي الحياة صلاحها
حتام تهذي لاهديت وتحلم
قالت لك المثل التي زوقتها
إني لأنقى من دناك وأكرم
تمسي معاوية مليك نعيمها
وطريد محنتها الإمام الأعظم

* * *

يا باعث الصاروخ في كبد الفضا
هل في يديك لذي جروح مرهم
عزت على يمناك عبرة واله
وعنت على بعد المنال الأنجم
ومبلسم السرطان في أبدانه
سرطان روحك ما شفاه بلسم

يا مسمع الجوزاء رنة صوته
ما بال صوتك حول نفسك يبكم

نورت أغوار الدنى فجلوتها
ومكان شبر من ضلوعك مظلم

وطأت أكناف القضاء منغامراً
عبر بين الغياهب تستبيح وتقحم

وعلى ديارك بين أهلك مباتني
تحيا غريباً تستضام وترغم

ولأنت أنت على البداوة ضارياً
وعلى تهاويل الحضارة تنعم

متحضر لا بل سحيق حضارة
ما زلت في طياتها تتحطم

في كل روض وردة مسمومة
وبكل وجه منك نار أو دم

وعلى جلاميد الحديد تهالكت
من ذات نفسك مهجة تتهشم

ظمأى مدماة على لفح اللظى
إن اللظى لشرابها والمطعم

تنأى الفتوة عن حماها عفة
وتذاد عنها عزة وتكرم

ويجرر الفن المريض عياءه
خاب بمرآه الكليل ويسأم

ويح الحضارة كم يبيح محمق
منها الذمار وكم يليها مجرم

بجمالها أضحت تشوه وتغتذي
بهوانها وبطبها تتسم

* * *

يا رب إن الهائمين على العفا
قنتوا لوجهك في العفاء وأسلموا

هيم حيارى دوي كل ممرد
تعمى الشموس على ذراه وتعقم

وتضج بيداء موحش صمته
قفراء في لفح الهجير تضرم

تهن الصلاة على شفاه كزة
شوهاء يشقلها القنوط فتلجم

عز القنوط فليس يقصر قانط
وعفا الرجاء فما يغاث متيم

يا رب عفوك حم كل مؤيد
غمت مناحيه وحق المبرم

تغشى العيون متاهة ما تنجلي
ألهمهم ضاق الفضا يا ملهم

* * *

يا أيها الشاوي على رغم الهوى
حدث فقد تجلو الحديث ونبهم

هل كنت تلقى في الجنادل مرتما
نلقى أم احلولى لديك العلقم

يا مشرقاً في الموت غض شبابه
فكأن نعشك في الدموع تبسم

ماذا أقول إذا تلجلج مقولي
جهد القوافي حيرة وتلعثم

صم الأسى في مهجتي أو مسعدي
يا شعر منك على الأسى متردم

في ذمة الصبر الجميل لواعج
باتت بأطواء الحشا تتضرم

وموروع إن أبهظته يد الردى
لم تغن في بلواه عين أو فم

مرت لياليك القصار عواجلاً
لمح الطيوف كأنهن توهم

زهرت على الأيام يشقلها الجنى
ومضت بمرجو الجنى تتصرم

شيم كما خفق الشعاع على الندى
واهتز في فيض الحياة البرعم

يا ابن (النجيب) شمائلاً وخلائقاً
بيني وبينك عروة لا تعصم

عهد بألطاف الوفا ترعونه
حرم على غير الوفاء محرم

وقال لما بلغه وفاة اخيه جعفر:

موكب المجد على هام السنا
عبقري الوفد معطار الخطى

حفه الروض جمالاً وبهاً
وجلته الشمس نوراً وعلا

موكب الريحان في نضرته
ريّق الطلعة ريان المدى

فإذا هزت حواشيه الصبا
عثر الورد بتيجان الندى

وإذا انداحت ثنايا صبحه
علق العطر بأشراك الضيا

مر تحدوه الأغاريد على
وسوسات النور أو نفح الشذى

يشرق الوجدان في آفاقه
أريحيات وخلقاً وهدى

واللبانات والأماني ذمام ووفا
نبل إيثار وحب وندى

مر مجهولاً غريب الوجه في
بلد الضيم وإنسان الأذى

هكذا يومك في عمر الدنى
مر تخييل الرؤى ثم انطوى

هكذا عيشك في عليائه
وثبة النسر اعتزازاً وإبا
نفحة للخلد في أقداسه
سطعت يوماً على دنيا العفا

* * *

أيها الحاني على أشواقنا
كفه النعمى ومُحَيّاه المنى
حدث التحنان عما فعلت
حسرة الفقد وآلام النوى
وانشد الصبر بقايا مهجة
شفها الوجد وجافاها الكرى
ابعث الإصباح شجواً وأسى
وانشر الليل هياماً وجوى
يا نجوم الليل هل من سامر
يؤنس الليل بذاك المنتدى
يا دروب العطر هل من نفحة
تسعد الهيمان وجداً وأسى
صرخة لليأس لم تلق سوى
صمم اليأس لهارجع الندا

* * *

يا غريب الروح في موطنه
غربة العفة في دار الخنا
حسدوا مجدك أن قد عَشِيَتْ
في سنا الشمس خفافيش الدجى
من قلوب كَزَّة تخبطها
جِنة الأحقاد غياً وجفا
وعيون وقع النور بها
حين إذ نورتها وقع القذى
زرعوا الزرع صغاراً وعمى
فاستطابوا منبت الذل جنى
أجمعوا أمرهمُ غائلة
وشروا بالحب ضغناً وعِدا
جعلوا الغدر على دينهم
ليد الإحسان والبرجزا
من رعى العقرب بالعهد جنى
حُمَةَ العقرب عهداً ووفا

* * *

كنت أرجوك وصرف الدهر ما
تركت أيامه ما يرتجى
نعمة الإيثار ألقاها يداً
منحتك تأسوني حناناً وفِدا
فسل الأعواد عما حملت
من لبانات وشوق وهوى

واطلب الدنيا يباباً تائهاً
بين تشريد ويأس وعنا
وخذ البلغة للدنيا جَدًا
حسراتٍ تنطوي تحت الثرى

وقال:

جلاك على رؤيا صباح معفر
تموت عليه الشمس أو تتعثر
أتح لي من طهر المروءات عبرة
يرف بها قلب ويبكيك محجر
ويرتد إعوال الثكالى مراثياً
على دمك المسفوح تطوى وتنشر
أحسنك يا لبنان في حمأة الأذى
ووجهك في مستنقع الموت مقفر
من السامر المحزون في غسق الدجى
بشكوى الأسى والرعب قد بات يسمر
شذى قريتي بين الرياض زمازم
ونفح خزاماها صديد وعثير
ومجلى شباب الناشئين زعازع
وزهر رياض الطفل نار تسعر
هي الحرمات الغر نهب مباحة
فساحك إرهاب وناديك منكر
يغولك من أهليك سوى عصائب
نبات الأذى والشؤم تنهى وتأمر
وإخوتنا أهل العروبة حسبهم
حشايا وثيرات وذيل مجرر
سكارى على طيب الحياة وخفضها
ولبنان في أوجاعه يتضور
تضيق به الآفاق لا متحول
بقية الأذى فيها ولا متصبر
نوا طير هذا النفط فقتم وسدتم
عرانين شماء وخد مصعر
على كل بئر منه ملك ممك
وفي كل أنبوب أمير مؤمر
فما عز كسرى في بواذخ فارس
وما مصر فرعون وروما وقيصر
وهل كنتم إلا الحثالات منزلاً
فمولى ذليل أو أجير مسخر
هنيئاً لأصحاب السمو نعيمهم
وعيش لأصحاب الجلالة أخضر
إماء وغلمان وزهو وتخمة
وباه وتطريب وخمر وميسر
ومرحى لأصحاب الفخامة حكمهم
عتاد وبوليس عتيد وعسكر

إذا طال في لبنان ليل لواله
فليلتكم في غفلة اللهو تقصر
وإن لف مسود الدخان ديارنا
فنشركم في الجو مسك وعنبر
وإن عج في لبنان إعوال ثاكل
فناديكم يجلوه ناي ومزهر
وإن ظل قتلانا عرايا على الثرى
فتربة موتاكم لجين ومرمر
وينعقد الديوان لا قصد غاية
ولكنه التشريف رسم مقرر
وترى أنيقات الرواسم بعده
على عاطر القرطاس تجلى وتسطر
فنظم قرارات وصقل مكاتب
تهاويل بجلوها من النسق محضر
منمقة ما فاتها حسن مظهر
وقد فاتها من منطق الحق جوهر
أقلوا اختيال العجب لادر دركم
وإن جد بالأحرار جد فأقصروا
عفا كنف الأحرار خزياً وذلة
فلا الجود مرجو ولا الخير محضر
نضار على وجه القباحة مشرق
وغار غدا في مفرق العار يضفر

وقال:

طلعت من زاهرات المشرق
وغدت من نوره في زورق
حملت من طور سينا زهرة
ضمخت بالطيب وجه الافق
هي ليلى من رأى طلعتها
وانبلاج النور فوق المفرق
من رآها في سناها واجتلى
حلم النور بساجي الحدق
من رأى الاملاك حفت ركبها
في سنا الحسن وقدس الرونق
يمخر الزورق في هون على
مستفيض بالسنا مستغرق
رحلة الحسن الى الغرب وقد
يمم الغرب بوجه مشرق
انا في الشاطىء يا ليلى على
وحشة اليأس وذعر الفرق
انا في الشاطىء يغشاه الدجى
أتلوى في الظلام المحدق
أترى يا ليل من بعد النوى
في ديار الغرب يوماً نلتقي

بعد الزورق لم يسمع ندا
وتوارى في الضباب الازرق

وقال:

تميتم إلى قرد من الوحش أحمق
فنؤتم به جداً وساء بكم ولدا
وليتكم للكلب كنتم تميتم
لطبتم به عهداً وفقتم به رشدا
وأدركتم من طبعه الحب والوفا
ولم تلدوا من نسله النذل والوغدا
طبعتم على خلق القرود سجية
فإن لم يكن قرداً لقد ولد القردا
كلوا عنوة نتن الرغائب واشربوا
صديد الأماني لا مناصق ولا بدا

وقال يخاطب ابن شقيقته هيثم:

حنانيك ـ لا أعدوك ـ عندي من الوفا
أحاديث أجلوها عليك قوافيا
رواؤك بشر الأريحية طالعاً
على ملتقى الخلان وجهاً وناديا
ومرآك إشراق المروءة والندى
تجلى أخاً ندباً وخلا مؤاسيا
ترفعت عن لؤم الدنية طاهراً
وأشرقت في أفق الكرامة ساميا
صديقي إذا عز الصديق وناصري
إذا خفت من صرف الزمان العواديا
تعهدتني بالفضل تأسو جراحتي
وما كنت مناناً ولا كنت وانيا
وآثرتني إذ عاد شأني موزعاً
أصارع جباراً من الدهر عاتيا
تموت على الصبر الطويل نضارتي
وينهد من كد الرزايا كيانيا
أخا النجدة الغراء حييت ماجداً
وفديت ميمون النقيبة زاكيا
سلمت (لغيان) و(ريتا) مؤملاً
ولياً بما كفه الولاية حانيا

وقال:

خليلي هذي دارها فقفاني
على موحش الآثار ثم دعاني
حنانيكما ما أجدر القلب بالاسى
واحرى دموع العين بالهملان
عرفت لها شأناً من النأي والبلى
فهل عرفت ياويح قلبي شاني
فيا حسرة الاحشاء ما فعل الاسى
بواوٍ من الاحشاء دونك عاني

لها الله من مفجوعة يستبيحها
اذى البين في طاغ من الخفقان
خشعن كليلات على رقة الضنى
سوى وثبات القلب بالعنزوان
حنانيك بالبلاي أي صبابة
وأي شؤون الوجد فيك عراني
تقضي شبابي فيك هما وحسرة
ومر على الغصات فيك زماني
اعيدي الى جفني حلاوة نومه
وردي على عيشي المروع أماني
مررت بمغنانا الحبيب عشية
واغصانه خضر عليه دواني
واطياره جذلى فهل ذكرت لنا
عهود تلاق عنده وتداني
أبيت ارى يأسي على كل وجهة
وفي عيها النعمى بكل مكان
بكل طروب الطير يعلو جناحها
ولي في الهوى جنحان منكسران
سعدن ا بفواح الربيع وطلقه
على الوصل كل اثنين يلتقيان
خذ اكبدي يا طير من حسرة النوى
الى فرحة اللقيا التي تجدان
خذا كبدي طالت عليّ شجونه
بدائم اشجاني وطول حناني
أعرسكما يحلى على نوح صبوتي
ووحشة أحلامي وذعر جناني

وقال راثياً:

وموسد للموت دون وساده
شجو الحياة يضيق بالاحياء
يحلو كأن سكونه سنة الكرى
وجفونه قرت على الإغفاء
يحلو كأن الموت بعض جماله
فشحوبه في الحسن والنعماء
مالي ملكت عليه ويح حشاشتي
خوف الظنون المرجفات بكائي
غالى به الراثون ليت فديته
غال عليّ حبست عنه رثائي
يا قلب هوّن من جواي بقولة
ولعل خفقك ندبة الورقاء

وقال:

استن مركس للعوالم خطة
قفى على آثارها لينين
وأتى ستالين فأرسى حكمها
ندب على قدس التراث أمين
راض الزمان فأسلست منه
العصور لما قضى التخطيط والتقنين
ومضى جفاء باطلاً زبد الحياة
على العفاء وصفي التكوين
حتى إذا حطم الحمام قناته
كانت شؤون بعده وشجون
أرهجتم فنكستموه القهقرى
فالجهل سوس وجوده والهون
قد كان أصبح ُوهو رب يرتجى
فيكم فأمس اليوم وهو لعين
ما يوم «بريا» يوم «بريا»
وحده بل كلكم عند الحساب ظنين
بارت به لكم جميعاً خطة
وأديل من زور وأنكر دين
تاريخ ذا التاريخ ينبىء أنه
زور بما شاء القوي رهين
إني لأسأل والحوادث حجة
والهزل جد واليقين ظنون
هل كان واشنطون حرر أمة
حقاً وأحرق رومة نيرون!

وقال:

طرف على الهجران ساهر
وحشاً على الاشواق طائر
واهاً هوى النفس المرا
عة في صعابك والمخاطر
يا ويح أهلك في النوى
كل إلى بؤساي صائر
يا ليل كم لك مشهد
موفٍ على نجوى السرائر
كم حار مهجور عليـ
ـك وكم لها بصفاك هاجر
شتان يا ليلُ الهوى
من سامر فيه وسامر
قرت جفونك يا مهفـ
ـهف ما غفا للصب ناظر
اهجر وجر أنا صابر
يا جائراً افديك جائر
أحلق بمن قاسى الضنى
بك أن يكون عليه صابر
حق لحسنك ذا الوفا
لا كنت يوم أكون غادر
أهواي ذنبي انني
أبلى به، هل أنت غافر؟

* * *

يا غصن وردك في القلو
ب على الهوى ريان عاطر
يزهو ويذبلها الجوى
حسرى الهوى لا زلت زاهر
رفت عليه مروعة
كم حائم منها وحائر
دُمْ لا ذوت بك نضرة
اذوى بهاها كل ناضر

* * *

العهد منك ليلة السـ
ـفح الحبيب، أأنت ذاكر؟
تمضي السنون وذكرها
ملء الهوى ملء الخواطر
وضمير حبك خالد
يبقى وقد تفنى الضمائر
قدس الخلود وربما
ذهبت به أبيات شاعر

وقال:

أمؤله بوذا ذليل جاهل
ومؤله لينين حر عاقل!
لا فرق بين مغفل ومغفل
كل لدى صنم عتيد ماثل
قبر بر وما لا يمل مزاره
أبداً وجثمان هناك يماثل
من كان كفر الدين عوّه نفسه
فانظر بدين الكفر ما هو فاعل!

وقال:

يمنينا بنعمته زعيم
تمرس بالسياسة والكياسة
جلا وجه الحقيقة من ضلال
وقاس لنا بمنطقها قياسه
يقول تعصب الأديان شر
فلا تؤخذ بباطلة الحماسة
مضى زمن العقوق وذا زمان
يكرم عقله ويعز ناسه
رويدك لا تغر فقد تجلى
حقيقته لدى صدق الفراسة
تمذهبْ أو تحزبْ واتخذهم
مشايخ أو دهاقنة وساسة
فلسبت سوى مطية مستغل
أحابيل الزعامة والرياسة
سياستهم إذا أمعنت دين
ارادوه ودينهم سياسة

مضى زمن الرقيق فيا زماناً
يوم عقولنا ذل النخاسة

وقال:

آبت اليه بعد طول الجفا
تسأل عنه كيف حال الغريب
كان كثيراً دمعه دأبه
في حبه الشكوى طول النحيب
فما له نهنه من بثه
اقر قلباً بعد ذاك الرجيب

* * *

لقد قضى يا «ليل» من بعدكم
لم يبكه من صاحب قريب
في ساعة ران عليها الاسى
وجللتها موحشات الغروب
لا الورد فيها ساطع ناضر
ولا وجوه الريح تهفو نظيم
غير اصطفاق الغصن في عريه
ووحشة الانفس عند المحبوب
ألقى بها تشرين أوراقه
على سواقي شمال أو جنوب
واستوحش الحقل بغربانه
اذ غادرته زمراً بالنعيب

* * *

لطالما ناداكم لم يجد
غير دواهي سقمه من مجيب
وطالما أبلاه طول الاسى
فهو عليل في اساه بذوب
ينشد نجم الليل اشعاره
ويندب الصبح ويبكي المغيب
يا صبر نفسي واحتمال الاسى
في قلبي العاني ودمعي الصليب
ما أهون السهد واحلى الضنى
اني ملاقيه بعين الحبيب
يمضي على كل سبيل لكم
لعلها يوماً عليه نبيد
يمضي حسير النفس في جسمه
من وجده السقم وفرط الشعوب
حتى تلاشى مدنفاً عانياً
واسلم الروح الحزين الكئيب

* * *

هناك يا ليلى على نجوة
جبانة القرية دون الكبيد
يثوي بها يا ليل في غربة
حتى عن الموق فتاك الغريب

وقال:

تشيعت تسننتا
وفي يوم تمركستا
ولو عشت تهودتا
ولو شئت تمجستا
تعممت وما ضر
ك يوماً لو تقلنستا
وبالحق تلبستا
وبالإفك تمرستا
فلا من ذا تقدستا
ولا من ذا تدنستا
تريد لتغتدي شيئاً
ألا لست ألا لستا
وراء الشهرة الحمقا
ء حتى لو تجرستا
خبطت معالم الأشيا
ء خبطاً ما تحرستا
تدق بكل طبل رن
تبغي لو تراستا
فلا أدركتها رأساً
ولا أدركتها استا
دعاؤك بالهدى يا شيخ
غي إن تفرستا

وقال:

لا تحملي الورد لقد صوحت
في سافيات البيد هذي الورود
وارمي حرير العرس واحسرتا
قد كان في الأيام حلم سعيد
قد وضح الصوت رهيب الندا
لهاتف يدعو وراء الحدود
وموشك في التيه أن ينتهي
في غاية يا ليل هذا الطريد
يا حسرة الأحلام هيمي بها
واغتربي هذي طريق العبيد
أني تلفت اندعار الهوى
وحيث أنصتُّ صراخ الوعيد
مواطىء ديست عليها العلى
وعدم هان عليه الوجود

* * *

لا تحملي الورد لقد صوحت
في سافيات البيد هذي الورود
أين عهود العطر من قرحة
نضاحة بالدما والصديد
أين عهود النور من موحش
لَفَّتْهُ بالظلمة بيد وبيد

وقال:

ماذا ترود النفس إن عاودت
في تائه الأحلام تلك العهود
كأس جلاها الرعب مجنونةٌ
في سَدَرِ اليأس ونُكْرِ الجحود
وصبوات نَفَثُ سيكارة
يثقلها الهم وعسف الصدود
وخطرات هن خطو الوجى
في غيهب المجهول. خطو الشرود
والحيرة الصماء دأب على
هيام تيه في البعيد البعيد

وقال:

إقبال عيشك مقتنص
فعلام شدوك في القفص
أغرودة الأفراح ذي
ام تلك أنّات الغصص
تشدو لضوء الشمس أم
تبكي لعيشك قد نغص
ولرب محزون شدا
ولرب مذبوح رقص
يغلو جمالك في الحبوس
ورب غال مرتخص
ما حسن لحنك في الإسا
ر وما جناحك في المقص!
كانت لك الرحب الفسا
ح فكيف فاتتك الفرص
يا شبه قلبي في الهوى
قنص الفريسة من قنص
هوِّنْ فكل هوى يسا
م وكل حق منتقص
وهو الزمان قضاؤه
لا غنم من عقل ونص؟؟
كم يحفظ الغر المضيع
وكم يضيع من حرص

وقال:

أيا ثغر ليل أكل المناء
تحوطك مراحة لاهيه
بسمت فضوء الصباح الندي
يلوح على الوردة الزاهيه
عيوني والسهد ينبو بها
فداء لنظرتك الساجيه

وبي خطرات الصبا والدلال
تحوطك مراحة لاهيه
جمال أفاض عليّ الشجون
لتهنك أحلامه الهانيه
حرمت جناه فبي حسرة
تصاحبني حية داميه
فلله من خاطر مكمد
ولله من كبد ضاميه
تذوب على شهوات الوصال
تنزى مهتكة عاريه
وتطفر في الصدر حرانة
تحن لطلعتك الغانيه
أكتم حبي في خاطري
يؤج على مهجة عانيه
يرف عليها كما رفرفت
حياة على الرمة الباليه
أحن الليالي إلى بلغة
وحسبي لها النظرة الغاديه
صريع شجوني وربتما
حبست على شفتي آهيه

* * *

سيفنى الجمال وأهل الجمال
وتذوي غضارته الضافيه
وللوصل في أهله بهجة
ستغدو على ساعة فانيه
ولكن روحي بما كابدت
ستخلد صرختها الداويه
ستنشر في الكون أحلامها
خرائد آثمة غاويه
وتنساب فيه جراحاتها
أفاعي فتاكة عاتيه
زفير الأسى ولهيب الغرام
ستنفثه في غدي الهاويه

وقال:

يا قبلة في وجنة النسرينِ
نَفَسُ الحياة وزهرتان وجمجمه
رعشاتها في مبسم وعيونِ
من دفقها دود القبور المظلمه
دونَ الشفاه الآنسات بقبلةِ
يصطك قحف الميتِ
ووراء تلك البسمةِ
تكشيرة من رمةِ

ذاك الإهاب الغض يطوي جمجمه
شوق الحياة لجمجمه!
ويرد حلو الصوت
في غور عظم ميت خلف الشفاه!
ويلف وجه الموت
إذ تغتذي من وجهه قُبَلُ الحياة!

وقال:

جلاك على رؤياه صبح معفر
تموت عليه الشمس أو تتعثر
أتح لي من طهر المروءات عبرة
يرف بها قلب ويبكيك محجر
ويرتد إعوال الثكالى مراثياً
على دمك المسفوح تطوى وتنشر
أحسنك يا لبنان في حمأة الأذى!
ووجهك في مستنقع الموت مقفر!
من السامر المحزون في غسق الدجى
بشكوى الأسى والرعب قد بات يسمر
شذى قريتي بين الرياض زمازم
ونفح خزاماها صديد وعثير
ومجلى شباب الناشئين زغازع
وزهر رياض الطفل نار تسعّر
هي الحرمات الغر نهب مباحة
فساحك إرهاب وناديك منكر
يغولك من أهليك سوء عصائب
نبات الأذى والشؤم تنهي وتأمر
وإخوتنا أهل العروبة حسبهم
حشايا وثيرات وذيل مجرر
سكارى على طيب الحياة وخفضها
ولبنان في اوجاعه يتضور
تضيق به الآفاق لا مُتحوّل
يقيه الأذى فيها ولا مُتصبَّر
نواطير هذا النفط فقتم وسدتم
عرانين شماء وخد مصعر
على كل بئر منه مَلْك ممالك
وفي كل أنبوب أمير مؤمر
فما عز كسرى في بواذخ فارس
وما مصر فرعون وروما وقيصر
وهل كنتم غير الصعاليك منزلاً
فمولى وضيع أو أجير مسخر
هنيئاً لأصحاب السمو نعيمهم
وعيش لأصحاب الجلالة أخضر

إماء وغلمان وزهو وتخمة
ويـاه وتطريب وخمر وميسر

ومرحى لأصحاب الفخامة حكمهم
عتاد وبوليس عتيد وعسكر

إذا طال في لبنان ليل لواله
فليلتكم في غفلة اللهو تقصر

وإن لف مسود الدخان ديارنا
فنشركم في الجو مسك وعنبر

وإن عج في لبنان إعوال ثاكل
فناديكم يجلوه ناي ومزهر

وإن ظل قتلانا عرايا على الثرى
فترب موتاكم لجين ومرمر

وينعقد الديوان لا قصد غاية
ولكنه التشريف رسم مقرر

وترى أنيقات الرواسم بعده
على عاطر القرطاس تجلى وتسطر

فنظم قرارات وصقل مكاتب
تهاويل يجلوها من النسق مَحْضر

منمقة ما فاتها حسن مظهر
وقد فاتها من منطق الحق جوهر

أقلّوا اختيال العجب لادر دركم
وإن جد بالأحرار جد فأقصروا

عفا كنف الأحرار خزياً وذلة
فلا الجود مرجوّ ولا الخير مُحضر

نضار على وجه القباحة مشرق
وغار غدا في مفرق العار يضفر

سنة ١٩٨٩

وقال:

على مجتلى ذا الليل رؤيا من الأسى
وسر من الأهواء يا ليل فاجع

به من هوى الأيام حيران واله
ومن نزعات النفس وجلان جازع

أماني من يأس وأفراح ثاكل
فأي شؤون النفس هذي الروائع!

هوى النفس! ما أجرت له مقلة الهوى!
وما ضمنت مما يجن الأضالع!

يجيش بغَيّ الحسن خوفاً ورغبة
ضلال على دنياه لم يهد فازع

يغيب بحلم الشعر والخمر سادراً
فمن مهجة هذي الطلا والمقاطع

أفازعة الإحساس في غمرة الهوى
أسكرك ري أم مغنيك ساجع!

غلا نهماً حتى فرى- لحم نفسه
وعب دماه منك صديان جائع

وثاو على يأس الهوى وشتاته
إذا علل النائين للشمل جامع

غريب فمن أنباهم كيف مهدت
وأين استقرت بالغريب المضاجع

وينكره ليل تعود صفوه
يعلله بدر وزهر سواطع

يقولون داو النفس بالصبر داوها
وأي دوا يا نفس ويحك ناجع

وهبني رضيت الصبر في اليأس كارهاً
على الهون والبؤس فهل أنا قانع

وهبني أبيت اليأس يفجع منيتي
فما حيلتي فيه وما أنا صانع!

* * *

أحباي حال الدهر في كل شانه
فناء وأيام الحياة مصارع

تمر وتترى لا يقيني بحقها
بجد ولا طول التذمر نافع

أحباي هذي النفس لا حال حالها
لكم وبكم كانت ففيم التقاطع!

لأي جمال أم لأية متعة
نواظر تخلو منكم ومسامع

فهل منك بعد اليوم يا فتنة اللقا
شهي على حس الجوارح ماتع

ومن سكرات اللثم رؤيا من الهوى
يطالعني من سرها ما يطالع

هنا يا شفاه الحسن أحلام قبلة
لها الليل من وجد هوى ونوازع

جلاها فتون النفس لما تململت
بها فوق هاتيك الشفاه مواقع

هنا يا شفاه الحسن لحن محبب
أحاديث لم يفتن بمثلك سامع

هنا يا شفاه الحسن أغلال مدنف
هنا الخافق العاني أسى ومواجع

هنا اللذة الكبرى هنا محنة الهوى
هنا فتنة أفراحها والفواجع

* * *

أحبتنا الجافين هل بين نازح
ومغترب عن موطن الحب راجع

إلام حنين الروح حسرى لفقدكم
وحتام طرفي في دائم السهر دامع!

فيا سجن هذي الروح هل منك مفزع
ربيع على طلق من الروح طالع!

على الأفق الوردي من حسنه بها
وفي صفحة البيداء منه طلائع
ذوت جنة الأرواح لازهرها سنا
ولا نشرها غاد على الروح ضائع
كما شئتم تمضي على ذلة الهوى
وشتان أهلوه عصي وطائع
ستخلو، وما تخلو، غداة من الأسى
ومن صبوات الحب تلك المرابع
فياليت شعري هل نبيت وفي الهوى
عيون لذكرانا جوار دوامع
فيا طالما أسهرننا لشجوننا
وهن على نعمى الحياة هواجع!

وقال:

الهوى هذا المحيا
والمنى كأس حميا
فاملأ الكاس دهاقاً
واسع بالكاس إليا
هاتها أفني حياتي
عندها إثماً وغيا
قد أصم الدهر أذني
وأغشى ناظريا
عدت لا أعقل منه
أو أعي إلا البديا
الأماني وماذا
تركت بين يديا
قد عرفنا فعيينا
أن نعي ثمة شيا
وثملنا فاستجدت
ثره الأحلام ريا
سنة ١٩٣٣

وقال راثياً:

شجن بقلبي لا يفيه رثاء
أشجى المراثي دمعة خرساء
يا راعياً حق الوفاء وعهده
إن عز في أهل العقوق وفاء
تلك البشاشة في ضميرك ألفة
وعلى محياك الكريم بهاء
يلقى بها الإخوان منك تواضع
ومودة وسماحة وسخاء
مجد المروءة في خصالك محتد
يجلى كما يجلو الشموس ضياء
حوشيت ما جود الكريم تمنن
كلا ولا رفق الشريف رياء

لكن طباع الورد في آلائه
طيب بعين المجتلى ورواء
ذكرى شمائلك الحسان تعودني
وقد انطوى أمل وفات رجاء
أرتاد في ظُلَم القبور جمالها
فيعز في ضيق القنوط عزاء
يا نازلاً وادي السلام تحية
مثواك فيه روضة غناء
جار الذي في العالمين جواره
أمن ونيل شفاعة ورضاء
أبكيك، لا تبعد، وما أبقيت لي
من ذكرياتك حسرة وبكاء

وقال:

أمن هذه الليلاء يا ليل موهن
عمر نابه كونا من الحب طارفا
جلونا وجوه الافق من حلم سامر
على مضجع الاشواق ما انفك طائفا
تغنى له ليل الصبابات والهوى
وبانت نجوم الليل تلهو مقاصفا
وعلّته خمر الكاس من كف ساحر
فعربد لحظا واستدار معاطفا
تضوع بالأعراف وابتل بالندى
شذيا على الروض المنمق وارفا
فيا لشؤون الليل شق على الهوى
ومضجعه الهاني على أيها غفا

* * *

هيا سمر الأحلام في مجلس الهوى
عفا من عهود الحسن بعدك ما عفا
ويا سمر الأحلام أي حديثها
جلا طرراً ثرثارة وسوالفا
على لحنها يغفو العناق مهدهداً
فما انفك معقوداً عليهن عاطفا
ويا جنة الأحلام أي عبيرها
تضوع لثما عاطراً ومراشفا
ويا متع الاحلام في ذمة النوى
ضنى الروح ما ناجى هواك وما هفا

* * *

دجت هذه الليلاء يا ليل فانظري
تهاويل من أمثالها وزخارفا
عرفت هواها واصطحبت نعيمه
فلا تنكريها صحبة ومعارفا
إلام الهوى يا ليلة توحش الهوى
مشاهد من يأس الهوى ومواقفا

أبـيـت عـلـيـهـا مـهـجـة راعـهـا الـنـوى
وروحـاً عـلى الـبـلـبـال والهـم عـاكـفـا

وقـال:

هــو الـعـمــر مــا أبقى عـزاء لـك الـعـمـر
يجِـدُّ بمـا يـبـلي فـمـغـنـمـه خسرا
تـبـدل مـعـهـود فـشـاهـت محـاسـن
وخـابـت أمـانيٌّ وضـل بـه فـكـر
فـلا الـزهــو زهــو غـير مـا ذَلَّ الـضـنى
ولا الـلـهــو لهـو غـير مـا أوحش الـقـفـر
ألا أيهـاالمـوفي بـصـفـو وورنـق
لمـن في هـوى الأحـلام أيـامـك الـغـر
تـطلعـت لاحـسـن الأمـاني مـسـعـدي
ولا الـصـبر يجـديني فـيـجـمـل بي الـصـبر
فـيـا غـفـوة الأحـلام يـا حـبـذا الهـوى
عـلى لـيلك الـسـاجي ويـا حـبـذا الـشـعـر!
ويـا حـبـذا أفـق عـلى الـروض عـاطـر
أطـافـت عـلى أرجـائـه الأنـجـم الـزهـر
ويـا حـبـذا لـيـلى عـلى مـلـعـب الهـوى
تـأوّدَ مـنـهـا الـعـطف وابـتـسـم الـثـغـر
ويـا غـفـوة الأحـلام سرعـان مـا انـطوى
عـلى صـحـوة من عـمـري الـنـجـم والـعـطر
فـمـن فـائـت مـا زلـت مـنـه بـحـسرة
ومـن مـقـبـل في غـيـبـه الخـوف والـذعـر
ومـا جـزعـي يـا ويـح نـفـسي هـالـكـاً
سـيـفضي بـه يـومـاً إلى الـعـدم الـقـبر!
فـأمسي كـما أمسى شـقـي وصـالـح
وتمسي عـلى آفـاقـهـا الـشـمـس والـبـدر
أراني عـلى نـاءٍ مـن الـبـيـد ظـامئـاً
فـما سـالـت الـبـيـدا ولا انـبـجس الـصـخـر
إلى بـاطـل يـا نـفس عـيش حملـتـه
أعـللت بـالـنـعـماء أم مـسـك الضر
إلى أجـل لا بَـعْـدٌ فـيـه مـغـيّـب
ولا قَـبْـلٌ يشـجـي مـن نـوازلـه الـذكـر
كـما مـات كسرى في الـورى مـات غـيره
تـراب مـشـاع مـنـهـا الـكـوخ والـقـصر
أأعـني بـذي الـدنـيـا كـما شـاءني الهـوى
ومـا خـيرهـا خـير ولا شرهـا شر
هـتـكـت حـجـاب السر كـرهـاً مُـرْغَـماً
أرُودُ بـكـف الـغـيـب مـا حـجـب الـسـتـر
تـعـبـدتـه لا لـلرجـاء ولا المـنى
سـوى مـا قضى شـأن بـه وجـرى أمـر
شهـدت اضـطرام الشمس قبـل اضـطرامهـا
ومـن قـبـل أن أجـلوه روعـني السر

ألا لـيـت أيـامـي مَـضَـيْنَ ذو اهـلاً
عـلى خـدر الـتريـاق أوغـالهـا سـكـر
أُخَـلّى فـلا نهي عـلي ولا أمـر
وأسْـدَرُ لا عُـرْفٌ لـديّ ولا نُـكـر
فـيـا صـاحـبيْ نجـواي أشـكـو إلـيـكـما
مِـطالاً مـن الأيـام أيسره عسر
ولـيـلاً أصَمُّ الـنـجـمِ صـعـبـاً سـهـاده
إذا مـر شـطـر مـنـه أبهـظني شـطـر
مـقـيـم عـلى شـجـو الـفـراق تمـضّـني
تـبـاريـح أشجـان يـضـيـق بهـا الـدهـر
ألا غـنـيـاني الـشـوق من شـاحط الـنـوى
فـلله قـلـبي أن يـطول بـه الهـجـر
أقـيـما عـلى عـرس مـن الـروض فـاجـع
يـروع بـه الـشـادي ويـشـجي بـه الـزهـر
كـؤوس الأسى يـا صـاحـبيَّ فـإنـني
إلى أجـل مـن صـعـبـه الحـلو والمـر

وقال:

سأقول لا! سأقولها ملء الفمِ صوت الغضبْ
سأقولها من لافح او من دمٍ نفث اللهبْ
مثل القضاء والقدرْ
فوق القضاء والقدرْ
أو أنها هي القضاء والقَدَرْ
عميا تصك الشمس بالحقد الضريرْ لا تبصرُ
وترد غاشية البلادة والغرورْ تتخرُ
فحيح شوقٍ أرمدِ
صريرَ ضغنٍ أسودِ
من عاثر مهاجر لا يهتدي
بتُّ الظُلامة من دم أو نارٍ يتفجرُ
بين المهانة والأسى والعارُ يتّعثرُ
غنٍّ أغاريد المنى
على زفير من لظى
ودمدمات غاضبات من عِدا
صوت تناديني سرائر غيْبِهِ وتهب بي
وتمسُّ ليلي في مطاوي رَيْبِهِ والغيهبِ
من وحشتي سَمَرُها
من غضبي نُذُرُها
محرابُ وحي عُرْفُها ونُكْرُها
سأقول لا، حَدَّ انكسارِ الطاغيةْ وجنودِه
جَلْداً على بغي الفئات الباغيةْ ووعيدِه
شوقَ النجوم الساهرةْ
عَرْفَ الزهور الناضرةْ
فُحْشَ السمات العاتبات الفاجرة

وقال:

لبنان صبحك ما جحدت ضياءه
في فحمة النكبات والأرزاء
لم يظلم النهج القويم وإنما
نظروا إليه بأعين عمياء
صاغوك بين عشيتين ملفقاً
من منكر الأنحاء والأرجاء
صاغوك بين عشيتين ملفقاً
من منكر الأنحاء والأرجاء
ما كان أسرع ما نشأت مطاولاً
شأو الممالك في نما وسواء
طي السجل طويتهن مسالكاً
حملتك مقتحماً ذرى العلياء
فبلغت رشدك واستويت بلحظة
لمنازل الحكام والأمراء
وبلغت رشدك قبل أن يتبينوا
من ذا يكون أباك في الآباء
صفة الهوية منك بين مشرق
ومغرب ضاعت على ضوضاء
سيان عندي أن تكون مهجناً
أو خالصاً في نسبة وولاء
ما همني وأنا المقيم على الأذى
مستنكر السراء والضراء
أن قد نمتك الى العلى فينيقيا
أو قد نميت ليعرب العرباء
يا ذا «الشراع» الفذ، إني مغرق
و«الحرف»، إني أجهل الجهلاء
من كفك الخرقاء أم من أرضك
العجفاء أم من سوقك السوداء!
تأسى لمغتربين شط مزارهم!
كم من مقيم وهو في الغرباء
رفعوا منارك من أذى وعداء
وبنوا بناءك في أصول خواء
قم يا قناع الكرنفال مباهياً
بمظاهر السفراء والوزراء
وامنح عصابتك الأولى سودتهم
أجر الحكومة من دم وذماء
بطر الخليع على جداك مرفهاً
واستأثر السلاب بالنعماء
ومضت كرامات تجر هوانها
في الذل والضراء والبأساء
ثار على الأيام مهدور أما
من ثائر لمروءة وإباء!

١٩٤٦

وقال:

رقص الذل على طبل الغباء
ومشى العار مراح الخيلاء
فانظر الفحشاء في زفتها
من وقاحات وخزي وبذاء
عز (دنكيشوت) إذ ذلت على
خطة النذل طواحين الهواء
حاش دنكيشوت مادنه
فعلكم من شر بغي وبغاء
يا وجوه الشؤم لم يعلق بها
فيض إحسان ولا فضل حياء
ثار حيفا حمل بيروت على
خطة النار وإهراق الدماء!
ومناط التيه أن أعددتموا
للصواريخ طنين الخطباء!
نمتم عن ثاركم يشفيكم
أن ولغتم في دماء الأولياء
من رأى غار العلا عقداً على
ميسم الرق بهام الجبناء
رب ضوضاء تشدقتم بها
طنطنت ما بين أرض وسماء
ضجت الدنيا بها واصطخبت
ضجة الطبل لهون وخواء
حين جد الجد من مقتدر
أخرستها همسة من كبرياء!

١٩٧٦

وقال في لفافة التبغ:

بعثت في الدخان سلواي إني
قد تعللت من جناها بوهم
وهل العيش غير وهم أكانت
لذتاه بيقظة أم بحلم
نفثات الدخان تذهب في الجو
وضربي من المعاش بسهم
قد تساوت لدي قدراً وإني
في كلا الحالتين غاد لسقمي
قيل إثم فقلت إثم ولكن
هل حملنا بعيشنا غير إثم
قيل سم فقلت أي شكول
العيش لم يمزج الحياة بسم
وسواء في الكون نجواي فيها
وهي لا شيء أو رجاحة حلمي
كل شيء يمضي علينا خداعاً
أجهل مرده أم لعلم

وقال:

رعيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى ام لأمر فيه تجديد)
اما الأحبة فالبيداء دونهم)
فأي افراحنا تجلو الزغاريد
الذكريات جراح في جوانحنا
وحال حاضرنا (هم وتسهيد)
وظل رايتنا ذل ومنقصة
ونهج ساستنا غي وتنكيد
يا ناسق القرض من جند ومن عدد
ليهنك اليوم تجهيز وتجنيد
ما ينفع القرض مصقول البنود علا
والعرض منتهك والركن مهدود
ونافخاً لحن ابواق النحاس على
وقع الطبول تراجيع وترديد
وشارباً نخب اوهام منمقة
هي الكرامة والافراح والعيد
نوازع الشعب ذل لا تحركها
(هذي الملام ولا تلك الاغاريد)

وقال:

أعند سمار الهنا
ما صنع السهد بنا
واحسرتا لمن حلت
تلك الليالي بعدنا
تعتادني أحلامها
وجداً ويأساً ووفى
أخيلةٌ وذِكَرٌ،
فمِنْ هُنَا ومِنْ هُنَا
أشتاقها ملاعباً
ما بين خمر وغِنا
وسَمَراً وسامراً
وأنجماً ومَوْهِنا
عهد الهوى من بعدها
أن لا أذوق الوسنا
ما شمْتُها حتى انطوت
منها تهاويل المنى
فَقَدْتُها وفُتُّها
من قبل أن تَرْتَهِنا
يا وردة فاتت يدي
من قبل ان يجلو الجنى
يا قَدَراً إخالني
سبقت فيه الزمنا
ومولداً لحامل
على يديه الكفنا
صَبْحْتُ روضة الهوى
الله يا روضتنا
من اجتلى الورد ومن
ناجى عليك السوسنا
غرس جناه غيرنا
ما غارس كمن جنى
مغارس الورد اذبلي
من مجتلى ومجتنى
ويا طيور لا أمنت مرتعاً ووكنا
لا تسكني من بعد من
كانوا لنفسي سكنا

وقال:

بردت أحاسيس الدماء
ووهت قلوب من هباء
وقد استكان اللحم مكدود الحياة على العناء
قرت وعادت شِرَّة العصب الشديد إلى عياء
وتعطل البصر الحديد فليس ينعم بالضياء
وهنت عظام تحمل الإرهاق دب بها الفناء
يا روح عصر الكهرباء
هل في حديدك من غذاء؟!

* * *

الحسن حال فليس يزهر بالغضارة والرواء
والحب مذعور يراع على الهناء فلا هناء
ولهان يفجعه البعاد وليس يشفيه اللقاء
قد خابت الآمال لم
يسعف على قصد رجاء
عنت النفوس لضعفها
ما بين ضحك أو بكاء
ياروح عصر الكهرباء
هل في حديدك من دواء؟!

* * *

الزهرا ما للزهر تذ
روه العواصف في الفضاء!
الطير! ما لطير أخلى الحقل محبوس الغناء!
المعدم العاري شر
يد لا غطاء ولا وطاء
كم وحشة تغشى البسيط وتستطيل على السماء!
هو ذا الشتا متجهماً
بعداً لأحزان الشتاء
يا روح عصر الكهرباء
هل في حديدك من غناء؟!

* * *

ما الحسن؟ ما الأحلام؟ ما
حسّ الهوى؟ ما الكبرياء؟
وهم تلألأ لانقضاء
فجع النفوس ولا عزاء
وهم علام تروعنا
هذي المآسي بالرثاء!
وهم يهز النفس للنعمى وطوراً للشقاء
أكذاك خطة عيشنا!
داء لعمري أي داء!
يا روح عصر الكهرباء
هل في حديدك من شفاء؟!

* * *

أو عيت نجوى آدم
يعنو على صرف القضاء؟
يأسى له متخاذلاً
أو ليس من طين وماء؟!
فمتى يهل جنين حملك بالأمان وبالرخاء؟!
يضفي على خور الحيا
ة وذعرها كف العفاء
بالقوة الشماء تحكم في البسيط وفي الهواء
يا روح عصر الكهرباء
هل أنت حلم الأنبياء؟!

* * *

جودي بآدمك الجد
يد وفوضي هذا البناء
في جسمه عصب الحد
يد سرى بحسّ كهرباء
جودي بجيل الحق لا
شطط الخيال ولا الغباء
لا نسل من هابيل أو
قابيل سفاح الدماء
لا حس بالأهواء يعصف بالقرار وبالصفاء
يا روح عصر الكهرباء
جودي بعتق الأبرياء

وقال:

يتعالى الهباء في صفحة الأفق
ويستغرق الجبال البعيده
ومهاوٍ سحيقة تترامى
في القرارات موحشات وحيده
تتهادى بها دجى الغسق المقفر
يضفي اكتئابه وشروده
والصخور الجرداء تصفقها الريح
عوارٍ إلا الهوا والبروده
ويطيف الفناء في وحشة الحس
رؤى مستكينة مهدوده
من أماسي تشرين ما عطر الروض
فضاها ولا أغنّ وروده
تعتريها الرياح مثل نداء الحزن
يسري بهمهمات مديده
وانسياب الطيور في رقة الدجن
تغادي من الخريف عهوده
والكآبات من حنين وشجو
طارفات من الأسى وتليده
حدثيني عن الأغاني لما
وسوست للنجوم تروي قصيده
وهيام الأشواق في السحر الصيفي
ساج على ونى أغروده
وشرود الحفيف في الورق المبهم
يفشو بهينمات وئيده
نفس الموت كالفحيح تغشى
من زمان نحوسه وسعوده
بارد يطفىء الشمس والعطر
ويستغرق الأغاني السعيده
الأغاني التي تموت وتنسى
في حدود الفناء وهي شريده
كل مجلوة على وتر اليأ
س تنادي خواءه وجحوده
حيث تستوحش النجوم ويستنكر
صدّاع روضةً تغريده
تنجلي عبقر السنا والأماني
والبطولات عن تراب ودوده
وبوجه الضياع تنحل صفرا
ء صغار على صغار حقيده
ضحكة في وحولة الخزي والهون
وبؤسى ضغينته موؤوده
عهد قلب بها ندى وسماح
من أماني عاطفات وديده
لن يعيد الربيع تلك الأغاني
يوم يجلو على الرياحين عيده
والوجود الريان دفئاً ونوراً
ليت يشجيه أنها مفقوده
الفناء المريع والعدم المقفر
يضفي انطفاءه وجموده

والشمالات من سلافة كأس
وبقايا الحنين من تصعيدة

وقال:

غرام شوقك ما تجلو الأغاريد
الحب والورد والسماء والعيد
صوت تخامر سر الليل حسرته
ويذهل النجم من نجواه ترديد
ماذا يعودك من لحن تراع به
إذ يهزج المنشد الهيمان والمعمود
تغشاك رؤيا ضمير لا أمان له
كأنه بلقاء الموت موعود
كأن روحك غل من مدى أبد
ضيق القنوط على جنبيه جلمود
صفو الأصيل حنين لاهف ووني
وفحمة الليل تهييم وتسهيد
ورب لحن على ذكرى يعاوده
حسن على غير الأيام مفقود
أغر أبلج أبلى الدهر جدته
أوغض عمر بطي الترب ملحود
صاغوا على قبره الريحان مزدهراً
كما تأنق في الزهو المساعيد
بين الفناء وطوق الزهر منزلة
موسد بردتاه الورد والدود
لحن ترف على آفاقه مهج
وتستهام حشاشات معاميد
لحن تذلّه لم تعلق به شفة
ولا رعته على عهد مواعيد
أوفى على حرم النسيان يهتكه
فعصمة الصبر أشتات أباديه
شمل الأحبة رهن بالنوى بدد
ولفتة الحب ترويع وتنكيد
كان الحنين عزاء إذ يعلله
مرجوّ وصل على الأيام معهود
غاض الحنين بأغوار القنوط فما
يسليك دمع ولا يشجيك تغريد
إلا وساوس من هم ومن نكد
تنبّتْ في غيهب أيامها السود

وقال:

ملأت ثقوب عالمنا أثيراً
وأصبحنا وقد سرب الأثير
لعل الأرض يوماً لا تدور
وعل الشمس يوماً لا تنير
كشفت من الخفايا منتهاها
قد استقصيت ماحجب الضمير
فما ازداد الخفي سوى خفاء
ولا استقصى يداً إلا القصور
وراء ظهورها سر منيع
وفوق رجالها رب قدير
محالُكَ دونها خور وعجز
وعقلك عندها عي حسير

وقال في رثاء ياسر ابن أخيه:

اسألوهم عن مَغاني ربعنا
سحر الليل وإشراق الصباح
إذ يغادون الهوى طلق الرؤى
أريحي الصفو نشوان المراح
واللبانات وما حملهم
مبتغاها في غدو ورواح
والمروءات التي تزهو بهم
في نقاء الألمعيات الصباح
في بيوت رفع الحسن لها
غرة الدهر على داج وضاح
يعذب الجرس بها ما اشتبكت
همسات الورد في قرع الصفاح
وانشد الصبر على روضتهم
حسرة الورد وتحنان الأقاحي
وانشر الذكرى على ناديهم
وَلَه اليأس وسَوْراتِ الطماح
وأحاديث الندا من صبوات
حنين لاغتباق واصطباح
غادِ وَاجْلُ نَفَسَ الموت على
عبقات من شذى الغر الملاح
يا كراماً غبر الدهر بهم
أوحشت منكم دواوين السماح
خفق النسر على ذروته
وهفا للشمس مكسور الجناح
ومضى البلبل عن روضته
في يد القانص مخنوق الصراح
عصبة الغر العوالي عصبتي
والفتوات سجاياهم سلاحي
لأريقن دموعي نغماً
ينشد الشمس أنيني ونواحي
وأصب الفجر في صدر الفضا
نفحة تعبق من نزف جراحي

وقال في رثاء هاني ابن أخيه:

ماذا وقوفك بالطلول الهُمَّدِ
أقصر فلا النادي هناك ولا الندي

السامرون مروّع ومصرّع
ما بين مشدوه وشلو ملحد
ومجالس الندمان في جنباتها
أضلاع ولهان وجفن مسهد
وخطى الزمان على معالمها غدت
أيام إيحاش وهم سرمد
أمسامر الحسرات نجوى واله
لكواكب خرس وليل اسود
لحظ العيون على تراب موحش
وهوى القلوب على أصم جلمد
غرر الكرام الماجدين عصابتي
من شردت نوب الليالي من يدي
مجدي بنو أمي ذؤابة والدي
من كل شماخ النجار محسد
عف اللسان عن الخنا مستوحش
في غربة من عيشه متوجد
هي غربة الشهم الأنوف وقد
جرت مفدي الحياة بكل دون أنكد،
تأبى له نهجَ الدنايا خطة
عادات إحسان وخلق تمرد
حُبِسَ الزمان عليّ فيهم حسرةً
فمصابهم يومي وذكراهم غدي
لأغنين النسر نغمة أنتي
ولأنشدن الشمس لحن تنهدي
وأقر عين الشامتين بأنني
مستنجد زمني وليس بمنجدي

وقال:

غنى وهيب[1] فاستثار شجوننا
بلطائف الترجيع والترديد
تشدو العتابا في مقاطع صوته
شدو الحنين بمهجة المعمود
اللفظ خفق من فؤاد متيم
واللحن عطر سوالف وخدود
فيرق مشتاق ويطرب عاشق
ويحن مودود إلى مودود
يا معشر العشاق وقفة شيق
ما بين صفو الود والتغريد
هي وقفة من هائم تعتادها
ذكرى مغان للهوى وعهود
سمر النجوم الزهر في ليل الصفا
وصداح غريد على أملود
وصفا وهيب للقرى متهللاً
بالأريحية والندى والجود
يحبو الضيوف بطيبات سخائه
ما لذ من قدر ومن سفود
وزكا وأينع في الجنان طرائفاً
بالحلو والمعسول والمنضود
يا غرة النادي سماحك هزني
فقصدته. أجلو عليه قصيدي
دم للندى دم للمروءة ماجداً
واسعد بذكر من علاك حميد

وقال:

ها هو ذا ليلي يعود ثانيةْ
في القَفْرِ فَيْضَ الوَهْمِ والذهول والخلاءْ
منطلقاً في المُبْهَمات التائهاتِ النائيةْ
يبسط في ظلالها وجه السماءْ.
الحُزْنُ الأخرس والسكون يفشو والسرائرْ
تَلُفُّها بَهْرَة نجم باردةْ.
كأنما سُجُوُه وصمته همس المقابرْ.
بين رؤى عمياء تطفو شاردةْ.
فَيْضَةُ وَهْمٍ تائه أَكَنَّهُ يُجَنَّه
تنداح في قضائه مهيمنةْ
«والبدر» في غمرتها «كأنَّهُ
«أميرة ميتة مكفنةْ»[2].
غيابة الذهول والسكون والشرودْ
في جوفها تموت كل الكائناتْ
وتنطوي الأبعاد والأعماق والحدودْ
في غمرة السُّجُوِّ والسكوت والمواتْ.
ومن وراء الوَهْمِ في الآفاق أسمعْ
صدى دبيب الدود في جوف التراب الرطبِ.
لعل حلماً، حلم ريح زعزع
على مجالي مشرق يوماً ينادي قلبي
إلى هزيز الرعد والعواصف
إلى نقاء التبر في النيرانِ
بواذخ الزهو وبأس العاصفْ
هناءة الوِرْدِ على الظمآنِ.
إلى عقوق ينشر المراحمْ.
لاحدَّ من ماض ولا من آتِ
إلى انطلاق اللاحدود والمعالمْ.
إلى اتحاد الموت بالحياة.

وقال:

القارُ والبنزين والغبارْ
والبحر والبواخرْ
وزورق الصيادْ
وموسم البارْ
وصَخَبُ الحديد والأقدام والحناجرْ

(١) هو الأستاذ وهيب العجمي.

(٢) ما بين قوسين تضمين بيت لبدلر.

وخطرة البغيِّ والقوادْ.
ويثقل الفضاء رطباً خانقاً
بالشمس والدخان والغمارْ
كَنَفَسٍ من الجحيمْ (يا نفساً من الحميمْ)
يلفها طرائقا.
كمارد من نارْ
يشرب كأساً من حميمْ.
كلب هزيل شارد يلهثْ
بجانب الجدارِ.
وغصُنٌ يبرز من حديقةْ
مُغَبَّرٌ أشعثْ.
وسكعة لسادرٍ عيَّارِ
يعلك في حذائه طريقَهْ.
ومُقْعَدٌ شحاذْ
مقتطع الساقينْ
يثوي على الرصيفِ.
وحلم الزهور والقرار والمعاذْ
شوق ضرير مطفأ العينينْ
يدب في جوانحي، محاجري، كفوفي.
والذِّكَرُ الخرساءْ
في عُمْقِ الغياهبْ
تطوف بالماضي، بقبرِ الزمنِ
تسألني
والنجمة العمياءْ
في غمرة الكواكبْ
ترصدني
متى ينشد الريحانُ
أغنية الشذى؟
ويجلو الخزامى
ريِّقُ الروض ريانُ
بالعطر والبها؟
ربيع الندامى.
متى؟!

وقال:

ذل من يغبط الذليل بعيش
رب عيش أخف من الحمام
«المتنبي»

واعجبـاً! أحقاً ينعم بالقصور من يبنون القصور على أنقاض ضمائرهم؟!

عطور أنتنت فأين العبير؟!
ورياض نباتها الوباء وماؤها الصديد
ومصابيح كعيون الأفاعي
وطلاء كرخام المقابر
يا أكاليل الزهر على رؤوس القرود
ويا رفيع المراتب استطالت بالمسوخ
في نفسي عزوف وصدوف
وعلى شفتي احتقار.
فيا أيها الرفيق المؤاسي
لا تغرنك المرارة في قلبي
والقذى في عيني
ولفح الهجير على وجهي
فمن مهب العاصفة
أنا أبدأ طريقي إلى طمأنينة جنتي.
مع الرياح السموم
مع الرمضاء
مع وحشة القفر
أمضي قدماً إلى أمام طالب ثار
وفي أذني صراخ الأوباش
ووعيد الأنذال
وغيظ الجبناء.
يا أيهاالثار المقدس
يا أيها الفولاذ الظامي أبداً إلى سقيا النيران
منذ الازل كنت.
كنت أمانة الإنسان في عنق الإنسان.
تلك العيون التي ما فتحت على غير الهلع
تلك القلوب التي ما خفقت بغير الذعر
تلك الأرواح التي ما اطمأنت إلى غير الهوان
تلك الحناجر الشجية الشادية التي خنقتها النعال
تلك الشفاه التي ما تحركت بغير العويل
تلك السواعد التي ما اشتدت بغير أثقال العبودية
ذلك الكابوس المطبق
يا أجيال الأغبياء والحمقى والمحمقين
يا بخور العبيد على أقدام آلهة مهرجة.
ويا ظمأ الحياة
يا شوق الصحراء إلى الريحان
يا سقم الفولاذ إلى عافية النيران
يا سبيل الكرامات والشرف إلى عرش الإنسان الإله
لأنشدن على دماء الشهداء حتى تفور براكين.
لأستصرخن اللعنات المقهورة في صدور المظلومين
حتى تتزلزل بها ديار الظالمين
لأغنين السباع في الفلاة حتى تضج الفلاة
ولأشدون للصحراء حتى تزهر الرمال (الرمضاء)
ولأصوغن يومئذ من نجوم السماء درراً على صدور الأبطال.

وقال:

قبليني قبلة الرجس على
رنة الإثم وأنفاس الفحيحِ
أشْرِ بيني ريقك المسموم من
كَلَبِ اللحم وغسلين الهوى

رشفة تسكر إحساسي وروحي .
رغبة تطغى وداء وحَزَنْ .
انطوى الليل على أسراره
وفشا المبهم في مد الفضاءِ
يترامى مثل روح أسودِ .
وجلا المخدعُ في أنواره
ولمعة الرقشاء في غَوْرِ الفناءِ
أجتليها لفؤاد ويدِ
ناوليني الخمر كوباً مترعا
وقد اسْتَشْرَتْ غراماً[1] وعنا
يستطير الروحَ في سَوْرَة خمري .
جَمَعَتْ كأسي شؤوني فزعا
فإذا عوطيت كأسي فأنا
من يدي أشرب أوجاعي وذعري .
قبليني
قبلة الموت المندّى بالعطور
واجمعي الليل أسى في مضجعي .
برؤى العُمْي الأسارى سامريني
وانشري روحك رعباً في ضميري
لإنْجلا صُبْحٍ كئيب المطلعِ

وقال :

أنا مذ أحببتكم ما عرفت
مقلتي غمضا ولا روحيَ ريا
ضحك الحب لديكم ناعما
وبكى مكتئباً في مقلتيا
ظلموا الحب أأقضي والمنى
ظامئات للجنى عذبا شهيا
أنا عبد الحسن لي من سحره
حيثما أنعم كأس وحميا
مانحا ما قدر الحب له
كل مفتان به قلبا خليا
آه لو تدري بمن قد تركت
للهوى عيناك ملتاعا شقيا
نظرة قرت بنفسي ومضت
خاطرا مرا وتذكارا شجيا
أين عن ثغرك ثغري راشفا
تتهادى وانيا بين يديا
أين عن حسنك مجنون الهوى
يستبيح الحسن وثابا عتيا
نزوات همت النفس بها
تترامى قبلا من شفتيا
ورؤى تغمرني حالية
بالصبا غضا وبالحسن جنيا

حبذا نعمتها وارفة
في صحارى العيش لو دامت عليا
أقطع العمر وحيدا شارداً
في فيافيه ولا زاد لديا
العزا مني سليب والمنى
طوحت، يا للمنى عني قصيا
لا سناها في عيوني لا ولا
صوتها ثرثارة في أذنيا
آه ما اقساك من مرحلة
نكبت نفسي إعياء وعيا
قد عرفنا كل شيء عندها
وانثنينا ما عرفنا ثم شيا

وقال من مرثية :

أمسيت لا أرجو ولا أتبرم
سيان عندي دمعة وتبسم
في وقفة المنبت في دنيا الورى
حيران لا أمضي ولا أنا أحجم
حسبي وحسبك يا حياة ضلالة
أني بما تبني يدي أتهدم
وأظل أفني بالذي أحيا به
أبداً فغنمي في الحياة المغرم
القبر أرحب من فضائك منزلاً
والدود أنقى من بنيك وأرحم

* * *

ومنها :

يا باعث الصاروخ في كبد الفضا
هل في يديك لذي جروح مرهم!
عزت على عيناك عبرة واله
وعنت على بعد المنال الأنجم!
ومبلسم السرطان في أبدانه
سرطان روحك ما شفاه بلسم
يا مسمع الجوزاء رنة صوته
ما بال صوتك حول نفسك يبكم!
نورت أغوار الدنى فجلوتها
ومكان شبر من ضلوعك مظلم
وطأت أكناف الفضاء مغامراً
بين الغياهب تستبيح وتقحم
وعلى ديارك بين أهلك ماتنى
تحيا غريباً تستضام وترغم
ولأنت أنت على البداوة جافياً
وعلى تهاويل الحضارة تنعم
متحضر، لا بل سحيق حضارة
ما زلت في أنحائها تتحطم

---

(١) الغرام : الحب المعذِّب.

في كل روض وردة مسمومة
وبكل وجه منك نار أو دم
وعلى جلاميد الحديد تهالكت
من ذات نفسك مهجة تتهشم
ظمأى مبدماة على لفح اللظى
إن اللظى لشرابها والمطعم

ومنها:

يا رب إن الهائمين على العفا
قنتوا لوجهك في العفاء وأسلموا
هيم حيارى دون كل ممرد
تعمى الشموس على ذراه وتعقم
وتضج بيداء بموحش صمته
قفراء في لفح الهجير تضرم
تهن الصلاة على شفاه كزة
شوهاء يشقلها القنوط فُتلجم
عز القنوط فليس يقصر قانط
وعفا الرجاء فما يغاث متيم
يا رب عفوك حم كل مؤبد
غمت مناحيه وحق المبرم
تغشى العيون متاهة ما تنجلي
ألهمهم ضاق الفضاء يا ملهم

وقال:

مركبي تقدمي رفيق
قام يفتي لنا على دين جعفر
إن دجى الليل قال ربي تراب
أو بدا الصبح صاح الله أكبر
بين نشر من الليالي وطي
وجهه في التبذل ابيض واحمر
أبيض أحمر لطول ابتذال
ولطول الأحقاد لونك أصفر
تحت إبطيه خطبة ومقال
وعلى ظهره كتاب . ومنبر
أينما حل حط رحليه يختال
ونادى الملا وقال وقرر
ثم ألوى مخملقاً في النواحي
يسأل الكون ما دام قد تفجر

الحاج الميرزا هاشم الآملي:

ولد في مدينة آمل، من المدن الشمالية في ايران سنة ١٣٢٢ وتوفي سنة ١٤١٣ ودفن في حرم السيدة فاطمة بمدينة قم.

درس المقدمات في آمل على الشيخ احمد الآملي وغيره. ثم سافر الى طهران لاكمال دراسته فانتمى الى مدرسة (سبه سالار) حيث درس السطوح والفقه والادب والاصول، فكان من اساتذته فيها كل من السيد محمد التنكابني والشيخ حسين الآملي والشيخ محمد علي اللواساني والميرزا عبد الله الغروي الآملي والميرزا محمد رضا الفقيه الآملي.

وفي سنة ١٣٤٥ انتقل الى مدينة قم لمتابعة الدراسات العليا فكان من اساتذته فيها الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي والشيخ محمد علي القمي الحائري والسيد محمد الحجة الكوه كمره ايّ والشيخ محمد علي الشاه آبادي الذي كان من كبار علماء الفلسفة والعرفان في عصره.

وبعد أن أجيز من اساتذته سافر الى النجف الأشرف فحضر دروس السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ آغا ضياء العراقي والشيخ حسين النائيني. واستمر مقيماً في النجف ستة وثلاثين عاماً.

وبعد وفاة السيد البروجردي في قم سافر المترجم الى قم فاستقبل فيها بما يليق بمقامه، وشرع في التدريس في مسجد المدرسة الفاطمية وفي المسجد الكبير، وظل مثابراً على التدريس حتى وفاته ترك مؤلفات عديدة منها:

١ - كشف الحقائق في البيع
٢ - المعالم المأثورة في الطهارة
٣ - منتهى الأفكار في الاصول
٤ - بدايع الأفكار
٥ - كتاب الرهن
٦ - حاشية على كتاب التحصيل
٧ - تعليقة على العروة الوثقى
٨ - كتاب البيع
٩ - كتاب الطهارة وله كتب مخطوطة لم تطبع

ومن تلاميذه السيد صفو كريمي والشيخ عبد الله الجوادي الآملي، والشيخ حسن حسن زادة والشيخ محمد المحمدي الكيلاني والسيد ابو الفضل الموسوي التبريزي، والشيخ عباس محفوظي والشيخ اسماعيل الصالحي والسيد علي المحقق الداماد.

السيد هبة الله بن السيد مير رفيع بن السيد مير علي بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقاني الأصل القزويني المولد والمنشأ آل الرفيعي:

ولد في قزوين سنة ١٢٣٨ وتوفى بها سنة ١٣٢٠.

من كبار علماء عصره في قزوين وأئمة الفتوى وآل الرفيعي من أشهر الأسر العلمية العريقة في قزوين نبغ منها علماء اعلام واطباء مشاهير وقد بزغ نجم هذه الاسرة في افق قزوين في اواخر القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر للهجرة على عهد جدهم السيد مير محمد زمان الطالقاني القزويني المتوفى سنة ١١١٠ المار الذكر واشتهروا بآل الرفيعي منذ عهد جدهم السيد مير رفيع بن السيد مير علي المتوفى سنة ١٢٧٢ والد المترجم له وكان حكيماً متألهاً وطبيباً حاذقاً واصبح اسمه عنوان هذا البيت واشهر علماء هذه الاسرة الجليلة في القرن الاخير السيد ابو الحسن الرفيعي القزويني المتوفى سنة ١٣٩٦ المار الذكر في المجلد الثالث من مستدركات اعيان الشيعة.

ولد المترجم له في قزوين واخذ المقدمات وفنون الادب على اعلام اسرته وغيرهم ثم تخرج في الفقه والاصول والحديث والتفسير على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ وشقيقه الشهيد

الثالث المستشهد عام ١٢٦٣ واخذ الفلسفة والعرفان من العلمين. الاخوند الشيخ ملا اغا الحكمي القزويني والاخوند الشيخ ملا يوسف الحكمي القزويني تتلمذ في الطب على والده الطبيب الشهيد واختص باستاذه الشيخ محمد صالح البرغاني ولازمه سنين ثم تزوج بابنته العالمة الفاضلة ربابة المار ذكرها في المجلد الرابع من مستدركات اعيان الشيعة ص ١٠٤ ـ ١٠٥[1] واشتهر المترجم له بالطب وكان من ابرز علماء الطب القديم في قزوين وجلس لتدريس الطب في المدرسة الصالحية والتف حوله جمع من طلاب الطب واخذوا عنه هذا الفن. ترك مؤلفات منها: كتاب في العقاقير الطبية وكتاب في تركيب الادوية وكتاب في معالجة انواع الامراض، ورسالة في معالجة انواع امراض العين، ورسالة عرفانية وغير ذلك وخلف من زوجته ربابة العالمين الفاضلين السيد محمد الذي كان من اركان ثورة مسجد كوهر شاد في مشهد على البهلوى الأول. والثاني هو السيد حسين الرفيعي المتوفى سنة ١٣٧٣ الذي انخرط في سلك القضاة ثم تقاعد ومارس المحاماة وكان من ابرز المحامين في ايران وكان يحتفظ باكثر مؤلفات والده[2].

أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (البحتري)

مرت له ترجمة في موضعها عن (الأعيان)، كما مرت عنه دراسة في المجلد الثالث من (المستدركات) وننشر عنه هنا ما يلي:

كان للبحتري ولد اسمه أبو الغوث يحيى روى شعر والده، ويبدو أنه نشأ بعيداً عن العراق، على أنه حن بعد وفاة أبيه إلى هذه البلاد وتذكر ذلك العصر الذهبي الذي نعم به أبوه في العيش ببغداد وسامراء. فالعراق هو البلد الذي أعلى ذكر البحتري، ومن العراق طارت شهرته إلى الخافقين، وما ديوانه إلا سجل للأحداث الكبرى التي حدثت في العراق على ذلك العهد. والبحتري كما لا يخفى شامي من أهل منبج بها ولد وبها نشأ ومات، وكان خامل الذكر في بلده قبل أن يخرج إلى العراق، ولم يعرفه إلا القرويون وأهل الأرياف. قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي: «رأيت البحتري ها هنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز في الجامع من هذا الباب الى هذا الباب ــ وأومأ إلى المسجد ــ يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه وإيابه، ثم كان منه ما كان[3]. أي أنه خرج الى العراق فأكبر العراقيون أدبه، وعرفوا منزلته وأنقذوه من الخمول وأوصلوه إلى الخلفاء والرؤساء وأنشأ فيهم قصائده السائرة.

هكذا قدم أبو الغوث الى سامراء ثم الى بغداد فاجتمع بمن اجتمع به من المكبرين لشاعرية أبيه المتعصبين له.

أصبح أبو الغوث بفضل الخلافة العباسية ورعاية العراقيين لأبيه وتقديرها البالغ لأدبه يتمتع برياسة كبيرة ويرجع الى ثراء طائل وأملاك واسعة في منبج، والى كلمة نافذة في بلاد الشام بأسرها. هذا ومن أبناء أبي الغوث او أحفاد البحتري، عبيد الله وأخوه أبو عبادة رؤساء سارت لأبي الطيب المتنبي فيهم قصائد رائعة وصفهم فيها بالشجاعة والسخاء. وكان المتنبي في الغالب يشد الرحال الى منبج وينزل على أحفاد البحتري فيها، وينعم هناك بحفاوة بالغة وصلات كبيرة تشف عن شعور عميق بقيمة تلك الزمالة الأدبية بين أبي الطيب وأبي عبادة وما هذه الحفاوة بالمتنبي خليفة البحتري في صناعة الشعر إلاّ حفاو بأبيهم الراحل خليفة أبي تمام في هذه الصناعة.

ولنا أن نقول إن بلدة منبج وأهلها الطائيين والتنوخيين من أكثر البلاد نصيباً في شعر المتنبي كما يستفاد ذلك من ديوانه. ويقول البلا اينون في كلمة (السقيا): هي قرية على باب منبج ذات بساتين وقف على ولد البحتري الشاعر، ذكرها أبو فراس في شعره[4] وعلى الاجمال كانت منازل أحفاد البحتري في منبج تعج بالوفود من مختلف الطبقات وفي طليعتهم العلماء والشعراء الفحول.

تضمن ديوان المتنبي ثلاث قصائد مشهورة نظمها في مدح كل من عبيد الله وأخيه أبي عبادة ولدي يحيى أبي الغوث بن البحتري منها قصيدة أولها:

بكيت بأربع حتى كدت أبكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا

منها:

نجا امرؤ يا ابن يحيى كنت بغيته
وخاب ركب ركاب[5] لم يؤموكا

وله فيه قصيدة مشهورة أولها:

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر
بفيّ برود وهو في كبدي جمر

منها:

اليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت
بي البيد عنس لحمها والدم الشعر

نضحت بذكراكم حرارة قلبها
فسارت وطول الأرض في عينها شمر

أبا أحمد ما الفخر إلا لأهله
وما لامرىء لم يمس من (بحترٍ) فخر

ومن شعره قصيدة في أبي عبادة بن يحيى أبي الغوث أولها:

ما الشوق مقتنعاً مني بذا الكمد
حتى أكون بلا قلب ولا كبد

فأين من زفراتي من كلفت به
وأين منك ابن يحيى صولة الأسد

ما دار في خلد الأيام لي مزح
أبا عبادة حتى درت في خلدي

قد كنت أحسب أن المجد في مضر
حتى (تبحتر) فهو اليوم في ادد

---

(١) ذكر في المجلد الرابع من مستدركات اعيان الشيعة ص ١٠٤ تاريخ وفاتها عام ١٢٩٧ هجرية شمسية وصحيح تاريخ وفاتها عام ١٣٣٥هـ.

(٢) الشيخ عبد الحسين الصالحي.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (٤٧٧/١٣).

(٤) المشترك لياقوت الحموي وانظر وفيات الاعيان (١٧٨/٢).

(٥) هكذا في نسخة الديوان، والأصح وضع كلمة أناس مكان كلمة ركاب في البيت.

وعن رجوع البحتري من العراق الى الشام نقول:

بعد مقتل المتوكل كانت الأحداث تتواتر في سامراء وفي بلاد الخلافة كلها على غير ما يهواه البحتري وراح يشعر هو من معه من ذويه وأفراد أسرته بحرج أو وحشة بالغة من جرّاء مكثه في العراق فان حساده وأعداءه في بغداد وسامراء غير قليلين ولا يوجد في هذه الفترة وازع يحميه أو يدفع الضيم عنه كما كان يفعل المتوكل والفتح بن خاقان فصمم على مغادرة العراق الى غير رجعة، وهناك رواية تدل على حرج موقف البحتري في هذه الفترة العصيبة وتألّب فريق من الأعداء عليه وتحين الفرص للوقيعة به رواها لنا المرزباني[1] قائلاً: حدثني أحمد بن محمد بن زياد قال: سألت أبا الغوث — يعني ابن البحتري — عن السبب في خروج أبيه من بغداد فقال لي: كان أبي قال في قصيدته التي رثى فيها أبا عيسى بن صاعد أبياتاً وجد فيها بعض أعدائه مقالاً يشنع عليه فيه انه (ثنوي) ودارت في الناس، وكانت العامة حينئذ غالبة فخافهم على نفسه فقال لي: يا بني قم بنا حتى نطفىء عنا هذه الثائرة بخرجة تلم بها ببلدنا ونعود. قال فخرجنا وأقام فلم يعد.

وقد ظلت شخوص سامراء الباسمة تراود خيال البحتري بعد خروجه من العراق الى أن مات، أليس هو القائل وقد مل الإقامة في الشام بل ملّ العيش والحياة هناك:

تلفت من عليا دمشق دوننا
لبنان هضب كالغمام المعلن
الى الحيرة البيضاء والكرخ بعدما
ذممت مقامي بين بصرى وجلق
الى معقلي عزي وداري اقامتي
وقصد التقائي في الهوى وتعلقي
مقاصير ملك أقبلت بوجوهها
على منظر من عرض دجلة مونق[2]

الميرزا يحيى بن الميرزا اسد الله بن الحاج آقا حسين بن ملا حسن امام الجمعة ابن المولى تقي الطسوجي الخوئي:

ولد سنة ١٢٧٦ في مدينة (خوي) وتوفي في طهران سنة ١٣٦٤ ودفن في النجف.

«كل آبائه من العلماء، وجلهم الفقهاء المبرزون الأجلاء، بيت علم قديم، فيهم امامة الجمعة والجماعة من لدن جدهم الحاج آقا حسين صاحب المدرسة المعروفة باسمه.

وأول من نزل منهم بخوي جدهم الفقيه المولى حسن صاحب الجامع الكبير المشهور اليوم باسمه.

وجدهم الأعلى المولى عبد النبي الطسوجي نزيل المشهد الرضوي العالم الجليل المصنف المعاصر لصاحب الحدائق، ويروي عن المولى رفيع الجيلاني المشهدي وهو عن العلامة المجلسي، ومن تصانيفه التفسير الكبير وشرح معاني الأخبار».

(١) الموشح للمرزباني (٣٤٢، ٣٤٣).
(٢) الشبيبي في (ابن القوطي).

أقول: وخاله الحاج ميرزا حسن الدنبلي الشهيد الذي كان من تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري وله تآليف في الفقه والأصول والأدب.

وابنه الأرشد الشيخ محمد صدر الاسلام، وكان من معاريف علماء طهران.

وابنه الآخر جمال الدين الامامي الذي انتخب عضواً للمجلس النيابي الرابع عشر وله مواقف مشهورة ضد الشيوعيين أيام نفوذ الشيوعية في ايران.

وقد نسبه بعض الى طائفة «دنبلي»، وهو اشتباه نشأ من انتساب أمه الى هذه الطائفة[3].

نشأ نشأته الأولى في مدينة (خوي) وعلى بعض أساتذتها أخذ الأوليات العلمية ومقدمات الدروس الدينية.

ثم هاجر الى النجف الأشرف فتتلمذ بها على الفاضل المولى محمد الايرواني والشيخ محمد حسين الكاظمي والحج ميرزا حبيب الله الرشتي.

ثم عاد الى وطنه «خوي» بعد أن قطع المراحل العلمية في النجف، كان يقيم صلاة الجماعة والجمعة في المسجد المعروف بـ«مسجد شاه» وقد جدد بناؤه لأجله، وقد انتقلت اليه امامة الجمعة من آبائه الذين كان لهم هذا المنصب رسمياً منذ أمد بعيد.

في نهضة «المشروطة» المعروفة دخل في معامع السياسة، واختاره علماء آذربايجان نائباً عن تبريز في المجلس النيابي لأول دورة، فانتقل الى طهران في سنة ١٣٢٤ بصفة نائب ودخل المجلس وأصبح له نفوذ بين النواب للمؤهلات الخاصة التي كان يتمتع بها، وكان في المجلس من العلماء الممتازين الذين لهم رد القوانين المطروحة به إذا لم تكن موافقة للشرع الاسلامي.

ثم انتخب في المجلس النيابي أيضاً للدورة الثانية، وكان من الخمسة الذين انتخبهم علماء النجف بعنوان الفقهاء الناظرين على القوانين. كما انتخب في الدورة الثالثة عن طهران. وأصبح نفوذه في الدولة والناس بحيث كان له يد في نصب وعزل بعض الوزراء وكبار الموظفين والشخصيات الادارية المرموقة.

وكان بيته في طهران مجمعاً للمبرزين من العلماء والسياسيين وأهل الحل والعقد، فكانت محافله مراكز للتداول السياسي وما يهم المملكة من الشؤون.

أما الناس في السنوات الاخيرة من حياته، فكانوا بين مؤيدين في مواقفه تجاه الحكومة وأعماله المؤيدة لها وللشاه خصة، وبين جارحين له يرون أن مكانته الروحية لا تناسب ما هو فيه من الصبغة السياسية. ولكنه على كل حال أبدى معارضات في قضايا حاسمة وكان يقول كلمته في الظروف المناسبة.

يروي عن الشيخ محمد حسين الكاظمي وشيخ الشريعة الاصفهاني والفاضل الشربياني والميرزا حبيب الله الرشتي. ويروي عنه السيد شهاب الدين المرعشي النجفي[4].

(٣) الطهراني.
(٤) السيد احمد الحسيني.

الشيخ يحيى العراقي:

ترجم في محله في (الاعيان) ونزيد على ما هنالك ما يلي:

هو من علماء القرن الثالث عشر الهجري توفي بعد الخمسين منه، وهو فقيه من الفقهاء المجيزين وممن اجازهم: الشيخ محمد بن احمد التاروني[1] والد الشيخ حسن والشيخ سليمان والشيخ علي مؤلف (وفاة امير المؤمنين) و(وفاة الحسن)(ع) وكتاب (عتبة المكلفين).

والمترجم اديب وشاعر، ومن شعره نشطيره بيتين شطرهما عدد من الشعراء وهما مع التشطير:

اذا ما روى الهوى عن متبسم
حديث هوى منه التصبر دائر
وجالوا أحاديث الصبابة عن فتى
سواي فآحاد وعني تواتر
رواه نحولي عن سقامي وصبوتي
وما في الذي يروي النحول تشاجر
حكى ماله الآثار حقا شواهد
فجاء بحق طابقته الظواهر

الشيخ يحيى بن محمد علي النائيني:

فقيه فاضل مطلع على الأخبار والأحاديث، من أعلام أواخر القرن الثالث عشر ولعله بقي الى أوائل القرن الرابع عشر.

له «زينة الصالحين» و«شرح قواعد الأحكام»[2].

يحيى بن محمد بن علي بن محمد النقيب الحسيني، عز الدين، ابو القاسم:

أديب كثير الشعر جيده، اختار السيد عز الدين علي بن فضل الله الراوندي ألف بيت مما قاله النقيب في النسيب وقدمه اليه في كتيب سماه «الحسيب النسيب للحسيب النسيب».

توفي سنة ٥٨٩[3].

السيد يحيى الموسوي بن محسن:

عارف صوفي فاضل، من أعلام القرن الثالث عشر، زار العتبات المقدسة بالعراق في سنة ١٢٦٦ ثم ذهب الى الحج في نفس السنة.

له «ضياء المصباح» ألفه سنة ١٢٧٤[4].

الميرزا يحيى بن شفيع الشريف المستوفي البيدآبادي الاصبهاني:

ولد نحو سنة ١٢٥٨ ونشأ برعاية والده وتوفي سنة ١٣٢٥.

يبدو أنه ذهب في شبابه الى النجف الأشرف للتحصيل، ومن أساتذته بها الشيخ مرتضى الأنصاري، وعاد الى اصبهان بأمر من والده.

له اجازة حديثية مبسوطة (كما نص عليه في آخر كتابه روح الاسلام) من الشيخ مهدي بن علي كاشف الغطاء النجفي، كتبها له وهو في الرابعة والعشرين من عمره.

عالم كبير متبحر في الكلام والفلسفة والتفسير والفقه والأصول وغيرها من العلوم الاسلامية الأخرى، من كبار علماء اصبهان وأعيان فضلائها، له في مؤلفاته تتبع ممتاز يجمع فيها أطراف الموضوع[5].

الميرزا يحيى خان بن الحاج الميرزا عبد الغني التفرشي المشتهر بـ(سرخوش، التفرشي):

من شعراء اواخر العصر القاجاري. امضى صباه وشطراً من شبابه في مسقط رأسه، ودرس مقدمات العلوم على أبيه، ثم واصل الدراسة على يد اخيه الاكبر الميرزا محمد علي الذي كان رجلاً عالماً ومن تلاميذ الحاج الملا هادي السبزواري ونشط سرخوش في تعلم الخط حتى بلغ مكانة مرموقة فيه.

اشتغل في خرم آباد سنين محرراً لمكاتبات خاله الذي كان وزيراً لخوزستان ولرستان. ثم انتقل الى دزفول لتلقي العلم على يد بعض العلماء هناك، ورحل بعد ذلك الى طهران فاقام فيها، واشتغل عام ١٣٠٨هـ كاتباً للسفارة البريطانية، وحظي بمكانة رفيعة.

توفي عام ١٣٣٨هـ عن عمر ناهز الواحد والستين. وهو يعد من الغزليين الجيدين في اواخر العهد القاجاري واوائل القرن الرابع عشر الهجري. وقد طبع ديوان شعره في طهران عام ١٩٨٣م باهتمام احمد كرمي. وجاءت الطبعة في ١٧٠ صفحة من القطع الوزيري[6].

يوسف بن القاسم الاسترآبادي:

فاضل جليل من المدرسين في أواخر القرن الحادي عشر.

له «وافية المؤمنين» ألفه سنة ١٠٨٤[7].

يوسف بن محمد الحسيني الواعظ اليزدي، عز الدين:

من أعلام أواخر القرن العاشر، وكان يقيم بكربلا مشتغلاً بالوعظ والارشاد، وهو فاضل أديب له منشئات فارسية وعربية جيدة وشعر فارسي.

له «مشهد السبطين» ألفه سنة ٩٨٩[8].

---

(١) نسبة الى تاروت من مدن القطيف.
(٢) السيد احمد الحسيني.
(٣) السيد احمد الحسيني.
(٤) السيد احمد الحسيني.
(٥) السيد احمد الحسيني.
(٦) عبد الرفيع حقيقت.
(٧) السيد احمد الحسيني.
(٨) السيد احمد الحسيني.

الذكريات
في
حياة حسن الأمين

نشرنا قسماً من هذه الذكريات في آخر المجلد الرابع، وقلنا هناك ان القسم الآخر من الذكريات بعضه مكتوب وبعضه الآخر لم يكتب بعد. وأننا سننشرها تباعاً في المجلدات القادمة.

وننشر هنا صفحة من تلك الذكريات، ولعلنا نوفق في متابعة نشرها كاملة في الآتي:

مستدركات أعيان الشيعة

اكتب هـذا الكلام الآن في التاسع من شهر شباط السنة ١٩٩٣ (شعبان ١٤١٣) وبين يدي اربعة مجلدات من (مستدركات اعيان الشيعة). وفي المطبعة يهيؤ المجلد الخامس للصدور، وعلى رفوف المكتبة الى يميني الأغلفة الصفراء مملوءة بمواضيع المجلد السادس التي لا تزال تزداد يوماً بعد يوم حتى تكتمل بما يملأ هذا المجلد.

أنني منذ بدأت العمل بعد وفاة والدي بإعداد مسودات «الأعيان» غير المطبوعة ـ اعدادها للطبع، كان اقصى ما اطمح اليه ان أستطيع تنسيق تلك المسودات واخراجها مطبوعة، وذلك مطمح كان تحقيقه يبدو بعيد المنال.

اولا: لأن اعداد تلك المسودات وتنسيقها وضم مواد كل ترجمة الى مجموعة واحدة. لم يكن من الأمور السهلة.

ثانياً: هب اني استطعت ذلك فقد كان إخراج تلك المسودات مطبوعة يحتاج الى اموال كنت لا املك شيئاً منها. ولم يكن من المستطاع العثور على مغامر من المتاجرين بالكتب يقدم على بذل كثير من المال على امر غامض النتائج . .

كنت افكر كيف استطيع اكمال طبع (أعيان الشيعة). اما ان يكون لـ(أعيان الشيعة) المطبوع مستدركات فذلك امر لم يدر في خلدي ابداً.

ولكن التصميم الصارم، والعزم الصامد أخرجا (أعيان الشيعة) في طبعة كاملة لا تقل اتقاناً عن اشهر الموسوعات العالمية في ارقى بلاد الغرب.

وظننت بعد ذلك أني سأستريح بعد ان حققت الحلم الذي كان عدم تحقيقه هما منغصاً للحياة طيلة اكثر من عقدين من السنين.

وقد كان ما تحملته خلال تلك السنين في تحقيق حلم الحياة ـ كان شيئاً يهد العزائم، كان بعض ما فيه: الخيبة ممن تحسب انهم من الذين لا تخيب عندهم الآمال الطيبة.

ومن بعض ما فيه محادثة الجفاة الغلاظ، ومناشدة الجهلة الأغبياء، والتواضع لمن لا يستحقون الا التكبر عليهم والترفع عن مجالستهم.

كان ما لقيته شيئاً لا احتاج بعد انجاز ما انجزته الا للعزوف عن مخالطة الناس، والانكفاء الى التأمل ومناجاة النفس، والخلود الى الراحة الكاملة.

وكانت المطالعة سلواي الوحيدة، وكانت تمر بي خلال المطالعات بحوث وأخبار في غاية الأهمية، تتعلق بمن سجلت تراجمهم في (أعيان الشيعة)، فكنت آسف لأني لم ار ذلك قبل طبع الكتاب لأضيفها الى تراجم اصحابها مشيراً الى انها مما استدركته على الترجمة، كما حصل ذلك مراراً خلال طبع الكتاب.

وفيما أنا منكب على المطالعة وقعت لي دراسة في احدى المجلات تتعلق بالفيلسوف (أفضل الدين الكاشاني)، المعروف بأفضل المرقي، فعدت إلى(أعيان الشيعة) لأرى ما سجل فيه عنه، فإذا ما هو مسجل قليل، لأن تفاصيل أخباره لم تكن قد وصلت الى مؤلف (الأعيان)، وليس ذلك مستغرباً فصاحب (الأعيان) لم يكن مستطيعاً ان يحيط بكل شيء، وحسبه فضلاً الوصول الى ما وصل اليه. .

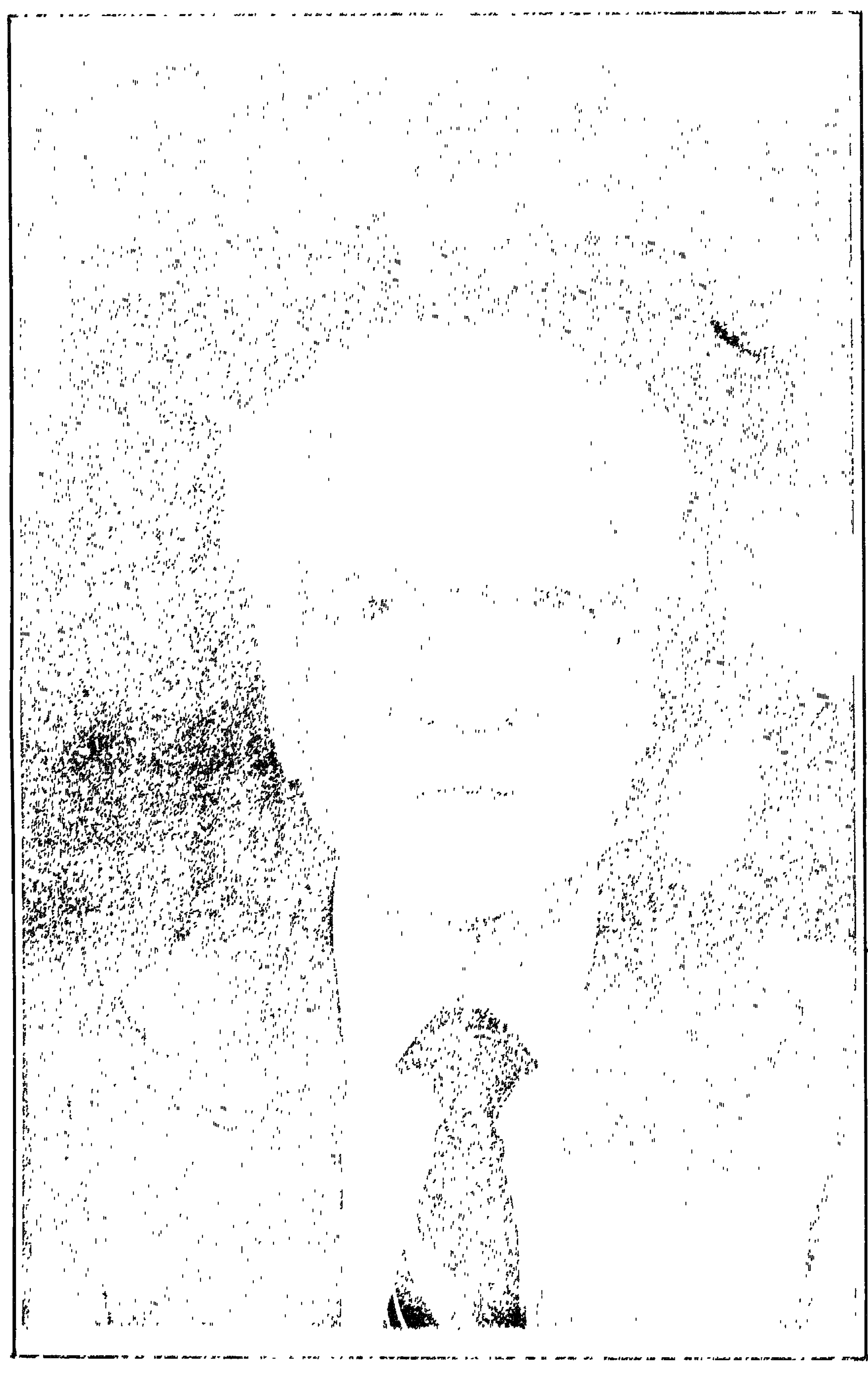
فأفرزت مكاناً في محفوظاتي في المكتبة لترجمة افضل الدين للرجوع اليها عند الحاجة، دون ان يكون في خاطري اي تفكير في مستدركات لأعيان الشيعة.

على ان ذكريات مرارة ما لقيت في إنجاز طبع (أعيان الشيعة) والوصول به الى طبعته الأنيقة. ان ذكريات هذه المرارة اخذت تتقلص امام الحلاوة التي أخذت احسها من تداول (الأعيان) في ايدي الناس.

وإن انطباعات الغصص التي كابدتها، صارت تمحوها يوماً بعد يوم هذه الجرعات من الهناء التي كانت تعتادني من رؤية مجلدات الكتاب براقة على رفوف خزائن الكتب.

وشيئاً فشيئاً لم يبق في النفس الا الشعور بالسعادة لأنجاز ما وعدت والدي بإنجازه في اكمال طبع كتابه العظيم بعد وفاته.

وغمرتني السعادة فأنستني كل ما مر، وفي هذه الغمرات الهانئة وجدتني مثقلاً بهم جديد هو هم مرور الزمن بعيداً عن أي انتاج، وعدت كما قال المتنبي:



حسن الأمين

ومــا في طـبــه اني جــواد
أضرّ بـجـسـمـه طـول الجـمام

لقد طال الجمام بعد طول العناء، فعاد هذا الجمام اشد على النفس من كل عناء، فهيا اذن الى العناء من جديد شفاء من طول الجمام.

على ان شكواي لم تكن من العناء الجسدي، بل كانت من العناء النفسي في محاولة التعاطي مع من كان التعاطي معهم عناء للنفس دونه كل عناء!.

أما الآن فلا عناء نفسياً لأن الأقبال على (أعيان الشيعة) جعل المعرضين بالأمس يقبلون اليوم.

وهنا تذكرت ترجمة افضل الدين الكاشاني، وتذكرت من ماتوا بعد موت مؤلف (الأعيان) فلم يترجموا في (الأعيان) لأنه كان من طريقته ان لا يترجم للأحياء.

تذكرت ذلك فقمت الى محفوظات المكتبة فاستخرجت منها ترجمة الكاشاني واعددت لها اضبارة خاصة كتبت على ظاهرها بخط عريض (مستدركات اعيان الشيعة)، وافرزتها ناحية، فكانت هذه الترجمة نواة (المستدركات)، وكانت هذه الأضبارة أساس ما توالى بعدها من أضبارات، امتدت حتى اعطت حتى الآن خمسة مجلدات[1].

اوائل العام الخامس والثمانين

إنني الآن في اوائل العام الخامس والثمانين من العمر، فكم ستمتد الحياة من السنين بعد هذا العام، بل الأحرى ان اتساءل كم ستمتد من الأيام والشهور، فبعد الخامسة والثمانين هل يمكن الطمع بسنين. /

إن امتدادها الى هذا الحد. الى الخامسة والثمانين مع الاحتفاظ بالصحة والنشاط والطموح والفكر لشيء كثير فالأتراب ماتوا، والرفاق فنوا أو عجزوا!.

وأنا لا ازال قائماً، والقلم في يدي اسطر به ما اسطر من بحوث (المستدركات) طوراً، ومن بحوث (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) طوراً آخر... فإلى متى سيدوم ذلك.

اللهم هب لي ما تشاء من السنين او الشهور او الأيام، وسيكون إعظامي لهبتك ان لا انفقها إلّا في رضاك، ولا احسب ان شيئاً يرضيك اكثر من تسطير صفحات مجيدة من تاريخ الأمة التي قلت عنها في كتابك العزيز: كنتم خير امة اخرجت للناس: امة العرب وامة المسلمين.

إن ما سجل في (أعيان الشيعة) ومستدركاته، وما سيسجل وان ما سجل في دائرة المعارف الاسلامية الشيعية وما سيسجل، ليس ـ كما قد يبدو من العنوانين ـ موضوعاً طائفياً، او دراسة مذهبية او بحوثاً فئوية.

انه نشر لصفحات مطوية من انصع صفحات تاريخ العروبة والإسلام، وتسجيل لأخبار من انقى اخبار هذه الأوطان التي عاش فيها العرب والمسلمون.



في ساعة استراحة من عناء العمل في مكتبات طهران مع العالم المحقق الشيخ ابو ذر بيدار احد أعلام اردبيل المقيم في طهران

في اول الطريق

الاضبارة النحيلة التي ضمت ترجمة واحدة، والتي استهلت باسم افضل الدين الكاشاني، كنت احسب ان ليس من السهل تضخيمها، وكنت لا استطيع تقدير الزمن الذي يقتضيني لجعلها مستهل (المستدركات) المطبوعة. ولكن الأيام كانت تمر متنقصة من العمر، مزيدة في الاضبارة.

وحين تشعر ان الأيام تنتقص من عمرك وتسوقك الى الموت بلا جدوى، وحتى تغيب الشمس فتحس انك خطوت خطوة الى الفناء بلا أثر خلفته وراءك...

حين يكون الأمر كذلك يكون للحياة مرارة العلقم، ويكون طلوع الشمس وغروبها، طلوع للبلاء الذي لا غروب له.

لقد ذقت ذلك سنين من حياتي، يوم أبيت ان أخنع لواقع الدنيا في هذا الوطن، هذا الواقع الذي يجعلك وأنت الأنوف الأبي ـ يجعلك تقف موقف صاحب الحاجة أمام اللئام أميي الفكر الذين اوصلتهم احط الطرق الى ان يكونوا قاضي الحاجات...

---

(١) كان هذا قبل البدء بالعمل في المجلد السادس الذي هو الان في ايدي القراء.

فآثرت الحرمان على الدنو منهم والوصول الى ابوابهم.

فكان علي ان تمر ايامي خـواء، وان تنقضي حياتي هبـاء، وأن تشرق الشمس ولا جديد في شروقها، وان تغيب فيطلع الأسى من مغيبها.

أما اليوم فللشمس ان تطلع ما طلعت، فانها تطلع ويطلع معها امل جديد، وتغيب فيشرق مع غيابها عمل عتيد.

ها هي الاضبارة التي كانت وحيدة تصبح اضبارات، وها هي ترجمة افضل الدين الكاشاني التي كانت مفردة تصبح لها اخوات واخوات!.

كانت ثاني تـرجمة اكتبهـا للمستدركـات ترجمة المفكر العـربي الكبير محمد شرارة الذي كـان لم يمض على وفـاته وقت طـويل، وكم شعـرت بارتياح نفسي وبهجة روحية، وانا اخط سطور ترجمة هـذا الرجـل الذي انفسهم لأمـدادي بما اريـد سواء من كـان منهم في لبنـان او العـراق او ايران او الهند او باكستان او افغانستان.

وكانت خطتي في (المستدركات) ذات ثلاث مناحي:

١ ـ تراجم من توفوا بعد وفاة مؤلف أعيان الشيعة.

٢ ـ اضافات الى من ترجمهم، ثم وجدنا لهم ما يجب ان يضـاف الى تراجمهم.

٣ ـ تراجم القدماء الذين فات المؤلف ذكرهم.

واخيراً صدر الجزء الأول من المستدركات على نسق الطبعة الجـديدة من مجلدات الأصـل: (أعيـان الشيعـة)، ولكن بعـدد من الصفحـات اقل.



في ساعة من ساعات العمل في مكتبات طهران مع العالمين الألمعيين الشيخ عيسى الأهري والسيد ابو الفضل اليعقوبي

اعطى امته افضل ما يعطي الرجـال لأممهم. وكم حمدت الله لأن عمـلي الذي اخترته لنفسي هو تسطير تاريخ الرجال لأستطيع ان اعطي الرجال مستحقي العطاء ـ ان اعطيهم بعض حقهم!.

ثم تلت تـرجمة محمـد شرارة ترجمـة الشاعـر العامـلي ابـراهيم شرارة الذي هو من صانعي النهضة الشعـرية في جبـل عامـل في هذا العصر، وممن عـرفتهم المنابـر العامليـة في مختلف ندواتهـا سـواء في أفـراحهـا او احـزانها، رفيعي الصـوت في استنهـاض الهمم، بـليغـي القـول في استصراخ العزائم.

واعداد ترجمة ابراهيم شرارة والحصول على بعض شعره كانا مثالاً لما كنت اعانيه من اقـرباء بعض من اريـد ان اذكرهم في (المستـدركات)، فبعض هؤلاء الأقرباء كان يماطل ويطاول في حصولي على مـا اريد، ثم كان يبدو وكأنه يمن عليّ بما يعطي اذا اعطى.

ولم يكن شقيق ابراهيم شرارة وحده الذي عانيت منه ما عانيت، ثم بعـد انتظار اكـثر من سنة لم يصلني منـه شيء، بل وصلني مـا اريده من قريب آخر لابراهيم.

لم يكن شقيق ابـراهيم شرارة وحده في ذلـك بـل كـان لـه نـظائـر، ولكنهم قلة وفي المقابل كـان هناك من بلغهم عمـلي، فأسرعـوا هم من

وقد كانت قلة عدد الصفحات مفروضة علينا، اذ لم يجتمع لدينا من التراجم في المجلد الأول اكثر مما اجتمع، فآثرنا ان نخرج ما اجتمع على ان ننتظر اجتماع اكثر مما اجتمع.

ولكننا حـددنا بعـد ذلـك عـدد صفحـات كـل مجلد، عـلى ان لا نتجاوزها ولا نقلل منها، لكي تصدر المجلدات في حجم واحد ما عـدا الأول الذي كان محكوماً علينـا ان نخرجـه بعدد الصفحـات التي خرج بها.

دائرة المعارف

لم يَشغلني العمـل في (مستـدركـات اعيـان الشيعـة) عن التفكـير في اكمال (دائرة المعارف الاسلامية الشيعية)، إذ انني اقتصرت في اخراجها عـلى ثلاثـة مجلدات فقط. وكنت قد اعـددت اضبارة خـاصة لمـواضيع جديدة للدائرة اجتمع فيهـا العديـد من المقالات المتنوعة. وقـررت ان اسير بالعملين معاً في وقت واحد.

ومن اجـل ذلك كـان لا بد من الانتقـال الى مختلف البلاد العـربيـة والإسلامية للاتصال بـالاختصاصيـين واستكتابهم، والبحث في المكتبـات العامة والخاصة، ومشاهدة كثير من المواقع مشاهد عيانيـة. وكان ذلـك متعذراً علي لافتقاري الى المال الذي لم اكن املك منه شيئاً.

السفر الى طهران

وكان اول مكان يجب ان اسافر اليه هو ايران. وكان لي صديق في طهران كان قد اقام مدة في بيروت مع اسرته واولاده الذين ألحقهم بمدارس بيروت، وانصرف هو الى العمل الذي كان يتعاطاه في طهران وهو حصوله على وكالات لبعض الشركات اليابانية واستيراد منتجاتها الى تجار في بيروت، وبقي في بيروت الى ان نشبت احداث لبنان سنة ١٩٧٥ فاضطر الى العودة الى طهران.

وكانت اخباره قد انقطعت عني. وبدا انه كان يتابع اخباري، وعلم من بعض المسافرين الى طهران من بيروت بنبأ تفكيري بالسفر الى طهران وترددي في ذلك. وكان يعرف عملي في (أعيان الشيعة) وفي (دائرة المعارف).

يتنوع فيها وحدها الطعام الجيد حسبما يرغب الآكل من تنوع الأطعمة النباتية واللحومية مضافة الى اطباق الأرز. ولو كان الأمر امر ايام معدودة تنقضي في الأقامة لكان يمكن تحمل أعباء نفقات تلك الأيام. ولكن الاقامة ستطول شهوراً، وما استطعت ادخاره من المال ينوء بتحمل تلك الأعباء.

فاقنعت مضيفي بأن نتناوب عمل طعامنا في المنزل بأيدينا يومياً، فأتولى انا عمل الطعام في يوم ويتولى هو عمله في يوم. على انني كنت لا اعرف من اللغة الفارسية الا بضع كلمات، واعرف الاعداد من الواحد الى العشرة، لذلك كان يسهل علّي شراء (الخضروات) والفواكه، فاثمانها كانت معلقة عليها، فكان يكفي ان اشير الى النوع الذي اريده واحدد رقم الكيلو الذي اريد.



في الاحتفال الذي اقامته دار الندوة في بيروت تكريماً لذكرى للسيد محسن الامين في شهر تموز ١٩٩٣ ويبدو حسن الامين الرابع عن يمين القارىء بين الجالسين

وفي مساء احد الأيام رنَّ الهاتف في منزلي، واخذت السماعة فإذا بالصديق الطهراني يقول انه يسكن وحده في شقة مستقلة وان اسرته تفرقت في منازل متعددة، ولا يوجد غيره في مسكنه الجديد ويدعوني للاقامة معه طيلة وجودي في طهران مهما طال هذا الوجود، واعطاني عنوان منزله ورقم هاتفه، وقال انه في انتظاري.

وغادرت الى طهران ووصلت منزل الصديق الذي قابلني بالترحيب واعد لي فراشاً على الأرض بدون سرير لأنه هو نفسه كان بدون سرير.

ولما لم يكن في البيت نساء، فكان امر الطعام يقع علينا، وفي اليوم الأول تناولنا طعام الافطار من (حواضر البيت) من حليب وشاي، وقبلت دعوته لتناول الغداء في المطعم الذي يرتاده، كما قبلت دعوته لتناول العشاء.

وابتداء من اليوم الثاني كان عليّ ان اتدبر امر الطعام اليومي. ولم يكن في امكان طاقتي المالية تحمل نفقات مطاعم الدرجة الأولى التي

اما اللحم فكان شراؤه يحتاج الى تفاصيل لا اعرف النطق بها بالفارسية، لذلك كان رفيقي هو الذي يتولى شراء اللحم ليوم نوبتي، ويوم نوبته. وكنا قبيل النوم نحسب نفقات اليوم ونتقاسمها.

أما انا فكان منهجي ان انطلق في الصباح للتفتيش في المكتبات عن المصادر الفارسية التي تفيدني فيما اريده من مواضيع، حتى اذا وجدت ما أبغي فان كان المصدر في مكتبة تجارية اشتريته، وان كان في مكتبة خاصة استعرته وصورت ما اريد. ثم اذهب الى مترجم اتفقت معه على الترجمة لقاء اجر معين.

كما كنت اجمع بعض المعلومات الشفهية وادونها، وكذلك استكتب بعض الأكفياء.

ثم اعود الى البيت فاجمع ذلك كله واعود اكتبه من جديد لا سيما المترجم منه لعدم سلامة اللغة المكتوب بها سلامة تامة.

أكلة شعبية

وفي يوم كان هو يوم نوبتي في عمل الطعام، عكفت فيه على تدوين موضوع من اهم المواضيع التاريخية، وكنت قد عثرت من اجله على مصادر قيمة عربية وفارسية. وبدأت الكتابة بعيد الظهر وانطلقت فيها كل الأنطلاق، واستمر العمل وقتاً طويلاً، بدون ان اشعر بملل او كلل لأهمية الموضوع وانشراحي الكامل للعمل فيه.

فأنساني ذلك انني لست كاتب دائرة معارف فقط، بل انني (طبّاخ) ايضاً وان عملي ليس على المكتب بين الأوراق والأقلام فحسب، بل في المطبخ ايضاً وبين القدور والمقالي.

ونظرت في الساعة فإذا هي في وقت متأخر، وتذكرت ان رفيقي سيحضر بعد قليل ومعدته متهيأة للطعام، ثم انني انا نفسي قد بدأت اشعر بالجوع، فرميت القلم من يدي، والقيت الأوراق جانباً، ونهضت مسرعاً الى المطبخ، فحرت فيما يمكن ان اطبخه، وما يمكن ان يخرج طعاماً ناضجاً في اقل وقت ممكن، ففكرت في اللحم فاستبعدته لأن اللحم يحتاج الى تقطيع وتشذيب واقتضاء وقت اطول وعمل اشق.

والتفت فرأيت امامي (باذنجانة) من النوع المدور الكبير، فعمدت الى تقطيعها واعددت المقلى وملأته بالزيت ووضعته على النار واخذت ارمي فيه قطع الباذنجان فتئز ازيزها المعهود، فيتطاير من المقلى على يدي ما يتطاير من رذاذ الزيت المغلي.

ولم يكن الباذنجان المقلي وحده طعاماً يبيض الوجه امام الرفيق، بل كان لا بد من شيء آخر يضاف اليه، يمكن ايهامه به أنني اعددت طعاماً مقبولاً فعمدت الى الارز ووضعته في القدر على النار وقررت ان اخترع نوعاً من الطعام غير معروف، اوهم فيه الرفيق انه (اكلة لبنانية) شعبية، وأني اردت ان أذيقه طعاماً لبنانيا طريفاً لم يعرفه وهو في لبنان.

وبعد تفكير لم يطل كثيراً عمدت الى قطع الباذنجان المقلي فوضعتها في قدر الأرز واخذت اخبطها مع الارز فتنخبط فيه فيخرج من ذلك مزيج عجيب، الله وحده يعلم ماذا سيكون طعمه.

ولما ادركت انه نضج صببته في الأطباق، فخرج لا هو بالمائع ميوعة الحساء، ولا بالجامد جمود الأرز، بل كان شيئاً بين هذا وذاك. ولم اشأ ان أذوقه، بل تركت شرف تدشين آخر اختراع في الطعام للرفيق العزيز.

ولكنني لا انكر ان شكله ولونه اعجباني، فقد كان شكله المدور في الأطباق المدورة، ولونه المتشابك بين الأبيضاض والاسمرار وشيء من الاحمرار، شكلاً لا ينقصه الجمال. أعجبني المنظر فشغلني عن التفكير في المخبر، وعن ان العبرة في الطعام لا بمنظره بل بمخبره، ولا بشكله بل بمذاقه.

وكنت - عند انشغالي بالقلي - وأنا ابصر الزيت يغلي في المقلى، وابصر الباذنجان يتحول من ابيضاض ناصع الى سمرة داكنة مؤطرة بالسواد الفاحم - كنت احاول ان اروح عن نفسي فأحوّل في ذهني الموقف من موقف (قلي الباذنجان) الى موقف شعري ابصر فيه واسمع انفجار فقاعات الزيت المزوج بماء الباذنجان، واشاهد تحول الأشياء من لون الى لون، فأكدّ احساسي لأخلق من ذلك جواً شاعرياً يعزيني - بالوهم - عما أنا فيه.

ولكن تطاير رذاذ فقاعات الزيت بنارها المحرقة على يدي كاد يوقظني من الحلم الشاعري الموهوم. وان التحديق في قطع الباذنجان الآخذة في التحول من البياض الى السمرة والخوف من ان تتحول هذه السمرة الى اسوداد، كان يردني الى الحقيقة المريرة!.

وفي لحظة من اللحظات طافت على وجهي ابتسامة حزينة، كأنها تقول: ان اليد التي كانت تكتب ما تكتب، تقلي الآن الباذنجان...

وان الذهن الذي كان يوحي ما يوحي، ضائع الآن بين التأكد من نضج الباذنجان وعدم نضجه، والخوف من زيادة هذا النضج الى حد الاحتراق!...

وجاء الرفيق العزيز، واذا قست الأمر على نفسي فهو الآن جائع، لأنني انا الآن في حالة جوع عارم. وفي الحال وضعت طبقين من (الأكلة اللبنانية الشعبية)، واحداً امامي وواحداً أمامه.

واذا كان الأخوان المصريون يمهدون لأكلاتهم الجيدة قائلين: ستأكل أصابعك وراها، فإني في اعماق نفسي كنت احس بأن صاحبي سيعض اصابعه نُدماً على ان جعلني اليوم طباخه!.

ومهدت للأمر بمقدمة تناسب الحال، تحدثت فيها عن الأكلات الشعبية، وان لكل بلد خصائصه في ذلك، فما يعجب الآكل في هذا البلد، قد لا يعجب الآكل في بلد آخر. قلت ذلك خوفاً من ردة الفعل عند الرفيق.

وشرحت حرصي على اذاقته من الطعام ما لم يذقه ابداً، محاولاً التباهي بذلك.

وكنت متكلاً - في نفسي - على ما هو عليه من الجوع، فإذا كان الطعام غير جيد، فالجوع الذي هو فيه سيلهيه عن عدم جودة الطعام، فيلتهمه غير مبال.

وأخذ اللقمة الأولى ووضعها في فمه، واكون مبالغاً اذا قلت انه كان على وشك ان يتقيأ، وانا لا احب المبالغة في الوصف. ولذلك اقول: انه لم يكد يجيل اللقمة في فمه الجولة الأولى حتى قام في الحال فلفظ ما في فمه في سلة الزبالة، لاعناً الاكلات الشعبية لا في لبنان وحده بل في العالم كله.

ضيوف آخرون

في تلك الأيام التي كنت أتناوب فيها وصاحبي الإيراني صنع الطعام، وأنام في منزله على فراش رقيق على الأرض الصلدة، وأقدم له تلك الأكلات الشعبية، متحملاً ذلك في سبيل اخراج الموسوعات التي فيها ما فيها من تسجيل مفاخر للبلد اللذي انزل فيه.

في تلك الأيام كان ذلك البلد يستضيف لبنانيين آخرين فينيمهم لا على الأرض الصلدة في المنزل المتواضع، بل في الأسرة الفاخرة على الفرش الوثيرة في الفنادق المترفة، ويطعمهم لا الأكلات الشعبية الباذنجانية بل الأكلات الشعبية (الفسنجونية)[1] لأن اولئك يتقنون التبخير ويتفوقون في التطبيل والتزمير. وهم لطول ما أكلوا على شتى

(١) الفسنجون طعام ايراني فاخر.

المـوائد يعـرفـون ـ كـما يقـول المثـل العـربي ـ يعـرفـون من اين تؤكـل الكتف. . .

ونحن لا نعرف حتى كيف يؤكل الباذنجان! :-

محني الظهر مطأطىء الرأس

كنت في احد الأيام على موعد للقاء احـد مقتني المكتبات في منـزله، وذلك لمراجعة ما قيـل لي من ان في مكتبته الكثير من المصادر المفيـدة، فخرجت مع الرفيق العزيز الى احد مـواقف الحافـلات (الأوتوبيسـات) لنمتطي احدها الى المنزل المقصود.

والانتقـال داخل طهـران مشكلة من المشـاكـل المضنيـة، فـلاتسـاع العاصمة وكثرة سكانها وتبـاعد اطـرافها، كـان التنقل داخلهـا مضنياً، فهذا التنقل محصور بواسـطتين: الحـافلات، او التكسيـات. اما الأولى فهي دائماً مزدحمة، وللحصول على مكان فيها لا بد من ان يقف النـاس في صفوف طويلة قد يبتعد مداها أحياناً ابتعاداً اي ابتعاد.

هـذا في مواقفهـا الرئيسـة التي تنطلق منهـا انطلاقهـا الأول. امـا في مـواقفها في طـرق سيرهـا في الشوارع ففي كثير من الأحوال لا يفيـدك الـوقوف في الصفـوف ولا التكتل غـير المنتظم، لأن الحـافلة تمـر ممتلئة امتلاء لا خلاء فيه لموضع قدم، فإذا لم يكن احد يريد النزول منها فـإنها لا تقف، لأنه لا فائـدة من وقوفهـا ما دام يتعـذر الصعود اليهـا في اكثر الأحيان اما (التكسيات) فانه مع وجود العدادات فيهـا، فانـه لا فائـدة من استعمال العدادات، ولا فائدة في اكثر الاحيان من ايقافها لأنها دائماً تنقل أشخاصـاً مختلفي المقاصـد، فهي تمر دائـماً مملؤة، فإذا مـر احدهـا وفيه فراغ فعليك ان تعين له الجهة التي تقصدها فإذا كانت على طريقـه أخذك والا تركك. ويندر جداً ان تجد (تكسياً) فارغـاً فتحدد لـه الجهة التي تقصدها فينقلك اليها. فلذلك انشئت مكاتب لشركات تتفق كـل واحـدة منها مـع مجموع سيـارات تقف في مكاتبهـا، لتنتظر من يهـاتفها ويعين لها عنـوانه فتـذهب السيارة اليـه وتنقله الى حيث يريـد. وأجور هذه السيارات اجور باهظة لا يستطيع كل احد تحملها.

وكنت احياناً اضطر لاستئجار واحدة منها، وذلك عندمـا كنت ،ريد السفـر الى احـدى المـدن واكـون مضـطراً للوصـول الى أمـاكن تجمـع حـافلات نقـل الركـاب الى المدن، وهي تجمعـات في اطـراف طهـران البعيدة.

فكان صاحب المكـان الذي اكـون فيه يهـاتف شركة من الشركـات القريبة فيرسل لنا سيارة لتوصلني الى مكان تجمع حافـلات المدينـة التي اقصدها. وأجـور هذه السيـارات لا مساومـة فيها ولا تحـديد لهـا فهي متروكة لتقدير السـائق، وعليك ان لا تعـترض أي اعتراض. والأجـور التي يفرضها السـائق إنما يفـرضها عـلى أنها موزعـة بينه وبـين الشركة، وعـلى اساس انـه سيعود بسيـارته فـارغـة. ومن هنـا كـانت اجـورهـا الباهظة.

وفي احدى المرات دفعت لسيارة اوصلتني من المنزل الـذي كنت فيه الى تجمـع حافـلات مدينـة قم سبعين تـومـانـاً، في حـين ان مـا دفعتـه للوصول من طهران الى قم كان سبعة توامين.

وقفت مع الرفيق العزيز في موقف الحافلات في الشارع عـلى امل ان تقف حـافلة فنجد فيهـا مكانـاً او يمر (تكسي) فنجـد فيه مكـاناً، ولكن الحافلات كانت تمر مملوءة، و(التكسيات) تجتاز مشحونة والساعة تتقدم عقاربها نحو وقت الموعـد مسرعة، وأخـذ هذا الـوقت يزاحمنـا. وفجأة لمحت حـافلة من الحـافـلات الأهليـة الاصغـر حجـماً من الحـافـلات الحكومية ولمحت فيها فراغاً يتسع لوقوف اثنين فأهبت بـرفيقي لإيقافهـا والصعود اليها، فكان ذلك، وصعدنا وانحشرنـا بين المنحشرين، فـإذا بهذه الحافلة الأهلية كمعظم مثيـلاتها واطئة السقف بحيث لا يستطيـع الواقف ان يقف فيها الا وهو محني الظهر مطأطىء الرأس.

وكان المكان الذي نقصده بعيداً، وهكذا وقفنا كغيرنـا من الواقفـين وقفتنـا هذه. ومن أعجب الأعـاجيب ان تصنع مثـل هـذه الحـافـلات بسقوف واطئة، مع اليقين انها ستحتوي دائماً مجموعة من الواقفين.

وبينما كانت الحافلة تسير ونحن في وقفتنا الصعبة، طغت على وجهي نفس الابتسـامة الحـزينة التي طغت عليـه وانا اقـلي الباذنجـان، وكأنها تقول:

هكذا يتنقل المؤرخ وهو يسعى لتسجيل امجاد شعب هذه العاصمة، هكذا يتنقل في شوارعها محني الظهر مطأطىء الرأس!. .

مؤتمر الشيخ المفيد

تلقيت دعوة لحضور مؤتمر علمي يعقد في مدينة (قم) احتفـالاً بمرور ألف عـام على وفـاة الرجـل الكبير الـذي اشتهر بلقبـه العلمي (الشيخ المفيد) وفي اليوم الخـامس عشر من شهر نيسـان سنة ١٩٩٣ كنـا نأخـذ السيارات من بيروت الى دمشق ومنها نأخذ الطائرة الى طهران.

ووصلنـا ليلاً الى مـطار طهران وانتقلنـا منـه في السيـارات الى (قم) وقضينـا الليل في الفنـدق المعد لنـزولنا مـع بقية المـدعوين من الأقـطار الأخرى.

وقد كان هذا المؤتمر التجربة الاولى لرجال الحوزة العلمية في قم، اذ ان القائمين بـه هم من اطلقوا عـلى انفسهم اسم (جماعـة المدرسـين)، والمقصود بالمدرسين: مدرسو الحوزة.

وقد اثبت المشرفون على اعداد المؤتمر وتنظيمه وإدارته جـدارة عاليـة في هذا الأمر، وبرهنوا على انهم اكفياء للقيـام بمثل هـذه المهمات التي لا عهد لهم بها من قبل. وكان المؤتمـر ـ بفضل جهـودهم ـ ناجحـاً، سواء بـالإقبال عـلى حضوره او فيـما كتب لـه من بحـوث مـا القي منهـا عـلى الحاضرين وما لم يلق.

وفي الـوقت الذي دعيت فيـه الى المساهمـة في مؤتمر الشيـخ المفيد في قم، انبئت اننـا مـدعـوون ايضـاً الى مؤتمـر تـذكـاري لعـالم الفلسفـة الإسلامية الشهير الشيخ هادي السبزواري. وقد انبئنا بـذلك قبـل يوم واحد من موعد السفر من بيروت. لذلك لم يكن مستطاعاً اعداد دراسة عن السبزواري.

ولكنني مـع ذلك صممت عـلى تلبية الـدعـوة لأن لسبـزوار في ذهني صـوراً تـاريخيـة زاهيـة، ويكفي في ذلـك ان منها انبثقت حـركـة (السربداريين) في قـرية غـير بعيدة عن المـدينة نفسهـا، هذا فضـلاً عما يتيحه لي حضور المؤتمر من لقاءات ومشاهدات فيها الكثير من الفائدة.

ومضوا بنا بعد انفراط عقد مؤتمر الشيخ المفيد ـ مضوا بنا من قم الى

طهران حيث قضينا يوماً وليلة فيهـا، وفي اصيل اليـوم الثاني انتقلنـا في الطائرة من طهران الى مشهد، فلم نبرح مطارها، بل مضينا في الساعـة السـابعة مسـاء في يوم ٢٢ نيسـان ١٩٩٣ في السيارة قـاصـدين مـدينـة سبزوار، مصحوبين بالسبزواريين الذين انتدبوا لاستقبالنا في المطار.

وكـان الذين لبـوا دعوة مؤتمـر سبزوار من غـير الايـرانيـين قليلين لا يجاوزون بضعة أشخاص بينهم السيد (شجيرو كامادا) استاذ الدراسات الإسلامية في جامعة طوكيو.

سرنـا في جادة عـريضة لهـا اتجاهـان في السير يفصـل بينهـا وسط مخضـوضر، وعلى جـانبيها شـواهق البناء، ووراء الشـواهق البسـاتـين النضيرة.

كنا نسير في مـدينة مشهـد في جادة من جـوادها المتـمادية في العـرض والطول، ولم نلبث ان تركنا الجادة منحـرفين الى اليسـار في طريق ضيق تمتد فيه الاشجار ووراءها البساتين ثم انحرفنا الى اليسار ايضا ولكن في طـريق عريض تتكـاثف الأشجار عـلى ضفتيـه، وتمثـل هـذه الاشجـار طلائع للبساتين التي وراءها.

ولم يلبث الشجر ان توارى وصـارت الأرض جرداء تتخللهـا البيوت المبثوثة هنا وهناك وهنالك، ثم امتدت الى يسارنا تلال ترابية لها اشكال الأهـرام. ثم انقطع العمـران وصرنا في سهـول مديـدة أكسبهـا فصـل الربيع خضرة يانعة، على انها ليست سهولاً منبسطة تمام الانبسـاط، بل فيها ما يرتفع وفيها ما ينخفض. ترتفع في اكـثرها وتنبسط في اقلهـا، لا سيما على جانبي الطريق حيث تصبح تلالاً متتابعة.

ثم بـدأ الظلام يـرخي سدولـه، وأخـذت بعض الانـوار تلتمـع في السهل الواسع، هي انوار معامل وانـوار سيارات، وقـل العمران، ثم انعدم كل الانعدام.

أنها سهول زراعية مديدة لا مكـان فيها لغـير النبات، فـلا قرى ولا دساكر ولا مزارع ولا سكان، وهذا يبدو جلياً مما يرين عليها من ظلمـة داجيـة لا تلمح خـلالها بصيصـاً من النور. اللهم إلا الأنـوار المتماوجـة بيضاء في مصابيح السيارات القادمة وحمراء في مصابيح الذاهبة.

ولم نلبث ان لمعت الى يسـارنا أنـوار متكاثفـة بعيدة علمنـا انها انوار قرية (جمال ده)، ثم تلتها انـوار قريـة اخرى. ثم الى يميننـا قريـة (فخر داود).

أننا منذ خروجنا من مطار (مشهد) نمشي في سهـول خراسـان ونشق الـبراري التي تعـاقب عـلى شقهـا منـذ صـدر الاسـلام من نحس الآن ذكراهم في مسيرنـا الليلي الـداجي هذا. ومهـما استغـرقت في الحـاضر وتطلعت الى الآتي، فإنك وأنت في ليل سهول خراسان ستراك مشـدوداً الى الماضي!..

لله ما يثير في النفس هذا الظلام الـدامس تارة، والموشى بالمصـابيح تارة اخرى ـ لله ما يثير في النفس حين تعي انه الظلام الذي طالما جازته احداث هي من تاريخك في الصميم.

ومضت السيـارة تـوغـل في الحـاضر، ومضيت معهـا اوغـل في الغابر!..

ثم طلعت الى يسـارنا أنـوار قريـة (ديزبـاد) السفلى وامـامهـا انـوار (ديـزبـاد) العليـا، ثم الى يميننـا انـوار (عـلي آبـاد)، ثم تتـابعت انـوار الدساكر والقرى.

هذا الطريق الذي نسير فيه هو في الحقيقـة طريق طهـران ـ مشهد، فنحن حين خرجنا من مشهد في هذا الطريق كنا نعود راجعين من حيث أتينا، راجعين باتجاه طهران.

ذلك لأن لامطار في (سبزوار)، فمن أجل الـوصول اليهـا لا بد اولاً من تجاوزها بالطائـرة وصولاً الى مشهـد، ثم العودة اليهـا بالسيـارة من مشهد.

بعد ان كانت الأنوار تبدو بعيـدة عنا في عـرض السهل، رأينـا الآن أنـوار مزروعـة قرب الـطريق ثم انوار اسـتراحة يفيء اليهـا المسافـرون المتعبون القادمون براً من طهران الى مشهد. ثم تتابعت بعد أنوار قريـة (حاجي آباد) الملاصقة للطريق ـ تتابعت أنوار القرى القريبة والبعيدة، وتكاثرت بحيث قرب بعضها من بعض.

وبعـد حـوالي السـاعـة كنـا نخترق اول شـارع من شـوارع مـدينـة (نيسابور)، فبدت أنوار نيسـابور ممتـدة على الجـانبين. وظللنـا نمشي في جادة طويلة عـريضـة مضـاءة، الى ان انقطع نـور الجادة، وابتعـدنا عن النور، فبدا لنا اننا خرجنا من نيسابور.

لقد خرجنا فعلاً من نيسابور، ومـا بات يلوح لنـا من أنوار قـريبة او بعيدة انما هو انوار الضواحي..

وفي هـذه السـاعـة الليلية الخـراسانيـة، وفي هذا الـطريق الحضاري المـديـد، وفي هـذا الـزمن المنتمي الى السنـين الأخيرة من سني القـرن العشرين...

لم استطع حيال هذه الأنوار التي تدنو حيناً وتنأى حيناً، وتتكاثف مرة وتتفـرد مرة، لم استـطع الا ان اتمثل بـالشعر العـربي المنتزع من صميم البـداوة ابتداء من الشعـر الجاهـلي فما بعـده. هذا الشعـر الذي كـانت تشغله انـوار النيران المتفـردة في اعـراض السهـول فيستلهمهـا أعـذب الشعر وأرقه.

لم املك نفسي من ان انشـد وانا مغمـور بليل خـراسان منـدمـج في سهول نيسابور.

الا ان انشد الشعر العربي المستوحى من ليالي الجزيـرة والمستلهم من فيافي الدهناء وسهوب الدحول وحومل الا ان انشد:

لـمـعـت نـارهـم وقـد عـسـعـس الـلـيـل ... ومـل الحـادي وحـار الـدلـيـل
فـتـأمـلـتـهـا وفـكـري مـن الـبـين عـلـيـل ... ولحظ عـيـني كـلـيـل
وفـؤادي ذاك الـفـؤاد المـعـنى ... وغـرامـي ذاك الـغـرام الـدخـيـل
ثـم قـابـلـتـهـا وقـلـت لـصـحـبـي ... هـذه الـنـار نـار لـيـلى فـمـيـلـوا

على ان هذا النور لم يكن نور (ليلاي) لأقول لصحبي: هـذا نورهـا فميلوا بي اليه، فنور (ليلاي) هناك بعيد... بعيد...

وهكـذا ظللنا نمشي بـين نور وظـلام حتى كانت السـاعـة قـد بلغت

حوالي التاسعة فإذا أنوار سبزوار تشع أمامنا ممتدة في عرض السهل، ثم كنا ندخلها منحرفين الى الشمال في شارع مشع هـو سوق من اسـواقها، ثم كنا نوغل في شوارعها التي كان بعضها يعج بـالحياة في تلك السـاعة من الليل.

ومضوا بنا الى مكان نزولنا، فدخلنا مبنى حسبنا اول الأمر انه فنـدق كغيره من الفنادق، ولكن مظاهر ما فيه كانت غريبة، واول غرابة بدت لنا هي ان جلوسنا الى مائدة العشاء كان على مقاعـد خشبية مستـطيلة، الى موائد هي الاخرى خشبية مسـتطيلة، مما لا تعهـده الفنادق، وكـان كل شيء في غرفة الطعام غريباً.

ثم كشفوا لنا الحقيقة الطريفة عندما كانوا يهيؤوننا للانتقال الى غرف النوم.

ليس في مـدينة سبـزوار فنادق فـلا يزال اهلهـا على الفـطرة الكريمـة القديمة التي تأبى إلا ان يستقبلوا ضيوف المدينة في بيوتهم. ولما كان ليس من المعقول ان يستضاف هـذا العدد الكبـير من المشاركـين في المؤتمر في البيوت، لذلك ارتأى المشرفون على المؤتمـر ان يكون نـزول الضيوف في (القسم الـداخـلي) لجـامعـة سبـزوار، فـأفـرغـوه من الـطلاب واحلوا الضيوف محلهم فبعد غرفة الطعام (الطلابية) مضـوا بنا الى غـرف النوم (الطلابية) التي كانت اسرتها ذات طبقات ثلاث يؤلف كل سرير طبقة.

فكان هذا الحل افضل حل لهذه المشكلة (السبزوارية). واشهـد أننا لم نشك شيئاً يخل بالراحة، بل كنا بذلك مغتبطين مأنوسين.

عـلى ان هنـاك من قـال ان هـذا الحـل لم يكن لأن سبـزوار تخلو من الفنـادق، بل لأن القـائمين عـلى المؤتمر هم مجمـوعة من النـاس محدودة الإمكانات المالية، فلا تستطيع تحمل نفقـات الفنادق للعـدد الكبير من المدعوين.

وقد اجتمعنا نحن غير الايرانيـين في غرفـة واحدة اتسعت لنـا جميعاً بفضل طبقات اسرتها.

مؤتمر السبزواري

استمـر المؤتمر يـومين تعقـد في كل يـوم جلستان جلسـة قبل الـظهـر وجلسة بعد الظهر. والجلسة عبارة عن محـاضرات يتناوب عـلى إلقائهـا المدعوون للمشاركة في المؤتمر، وكانت كلها باللغة الفارسيـة، ولا مكان للترجمة الفورية هنا، وذلك لأن المؤتمر كان معقوداً للايرانيـين وحدهم، ولم يكن في النية دعوة احد من خارج ايران ولكن عندما عرف القائمون عـلى امر المؤتمـر بتطابق الـوقت بـين المؤتمـرين: مؤتمـر قم ومؤتمـرهم في سبزوار، وان موعد المؤتمر السبزواري يصادف بعـد نهاية المؤتمـر القمي كلفوا القائمين على مؤتمر قم ان يدعوا بالنيابة عنهم المـدعوين الى مؤتمـر قم.

وبعد انتهاء مؤتمر الشيخ المفيد خُيّر الضيوف بين زيارة اصفهان وبين الذهاب الى سبزوار، فاخترنا نحن القلة الذهاب الى سبزوار.

وفي الجلسـة الاخيرة للمؤتمـر رأيت ان من حق الـداعـين لنـا ان نشاركهم بكلام عن مؤتمرهم، وانه ليس من الانصاف ان نظل ساكتين فلا يكون لنا على منبرهم صوت من الأصوات.

وهنـا عنت لي فكـرة المشـاركـة في المحـاضرات لا بحـديث عن



في مؤتمر الشيخ المفيد: من اليمين الى اليسار: الاستاذ مخلص الجده، الشيخ عبد الرسول الغفاري، السيد نصر البطاط

السبزواري، بل بحديث عاطفي عن سبزوار.

فإن علي بن المؤيد الذي دعا محمد بن مكي الشهيد هو خراساني سبزواري، إذ هو آخر الملوك السربداريين الذين قامت حركتهم اول ما قامت في قرية من قرى سبزوار قريبة منها. ثم تمركزت الحركة اكثر ما تمركزت في سبزوار.

فعلي بن المؤيد داعي الشهيد الأول محمد بن مكي هو في حقيقة الأمر سبزواري.

ومعلوم ان الشهيد اعتذر عن اجابة دعوة علي بن المؤيد، وارسل له كتاب (اللمعة) ليكون منه دليل لطالبي الاسترشاد والهداية.

فقررت ان تكون كلمتي المرتجلة مستمدة من هذه الوقائع فطلبت من صاحبي السبزواري الذي انتدب لمرافقتي مدة اقامتي في سبزوار الاستاذ صاحب علي اكبري رئيس قسم اللغة العربية في جامعة سبزوار ان يصحبني الى منبر المؤتمر ليترجم ما اقوله جملة جملة.

وارسلت الى مدير الجلسات اطلب الكلام، فأعلن اسمي ومشيت الى المنبر مع الاستاذ اكبري فكان خلاصة ما قلته: إن بيننا نحن في جبل عامل وبينكم انتم في سبزوار رابطة لا تنقطع على مدى الدهر، هي كتاب (اللمعة) الذي كان اقتراحاً سبزوارياً وتنفيذاً عاملياً.

واذا كان تعذر على الشهيد محمد بن مكي ان يلبي دعوة اسلافكم، فها انا آتيكم من جبل عامل ملبياً دعوتكم حاملاً اليكم تحية العامليين.

ولم اكن اتوقع ان يكون لكلامي ما كان له من الأثر على السبزواريين الذين هبوا من مقاعدهم يهتفون بأعلى اصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد، والهتاف بالصلاة على محمد وآل محمد هو المتعارف عليه في مثل هذه الاحتفالات للتعبير عن التقدير والاستحسان، اما التصفيق فلا مكان له.

ولكن السبزواريين لم يكتفوا بالصلاة على محمد وآل محمد، بل اعقبوها بعاصفة من التصفيق الحاد الطويل.

والواقع ان ذلك كله كان تحية لذكريات الماضي المرتبطة بالحاضر، تحية للسربداريين ولآخر ملوكهم علي بن المؤيد داعي العالم العاملي الكبير، وتحية لهذا العالم المستشهد في سبيل الحق والصدق والاخلاص، وتحية لبعث هذه الذكريات في هذه الليلية السبزوارية الوفية.

لقد كانت ليلة سبزوارية عاملية.

نقد الكتاب

قرأت بتقدير واعجاب الدراسة القيمة التي كتبها الباحث البعيد الغور السيد محمد رضا الجلالي عن (هشام بن الحكم) في المجلد الرابع من (المستدركات)، وانني مع ثنائي على ما كتب، وتحيتي له على ما فصّل وبيّن وشرح، لا بد من أن اعاتبه على عبارات ندّت من قلمه خاطب بها كاتباً كان يناقشه، وانا مع تسليمي فيما اعترض به السيد الجلالي على الكاتب، ارفض ان يصنف الكاتب مع (المغرضين) وأن يقال عنه انه اعتمد على مقدمات (سخيفة)، وان يوصف بأنه (يتفلسف لاثبات أقبح ما اتهم به (هشام) من اعداء التشيع وخصومه) الى غير ذلك من مثل كلمة (صلافة).

ان لنا ان نناقش الكاتب فيما نخالفه به، وانا واثق من انه يأخذ بالصواب حين ندلي له به، ولكن ليس لنا ان نصف كاتب بحث (التقية) بتلك الصفات.

والسيد الجلالي نفسه يسمي ما قاله هشام بن الحكم غفلة، ويقول انه سبب للأئمة عليهم السلام مشاكل وللطائفة عراقيل واتهامات، وان الائمة عليهم السلام لجأوا الى توجيه العتاب الشديد الى هشام ومحاسبته على ذلك حساباً عسيراً. كما انه يسمي قول هشام (زلة)، وان الشيخ المفيد يروي ان هشاماً رجع عن اقواله، وكذلك الكراجكي.

فاذا كان الامر كذلك فلماذا نقيم تلك الضجة على كاتب رأى رأياً في اقوال لهشام رأى فيها الأئمة والمفيد والكراجكي والسيد الجلالي نفسه ما يؤاخذونه به؟

ان كاتب بحث (التقية) يستحق التقدير لا التقريع[1].

ناصح الحسيني

تصويب في المجلد السادس

تكررت ترجمة محمد حسين آزاد في المجلد السادس، فقد وردت مرة في الصفحة (٢٦٤) ثم مرة ثانية في الصفحة (٢٦٦) وهما ترجمة واحدة لشخص واحد.

---

(١) راجع هذا البحث النفيس في دائرة المعارفة الاسلامية الشيعية.

الفهرست

